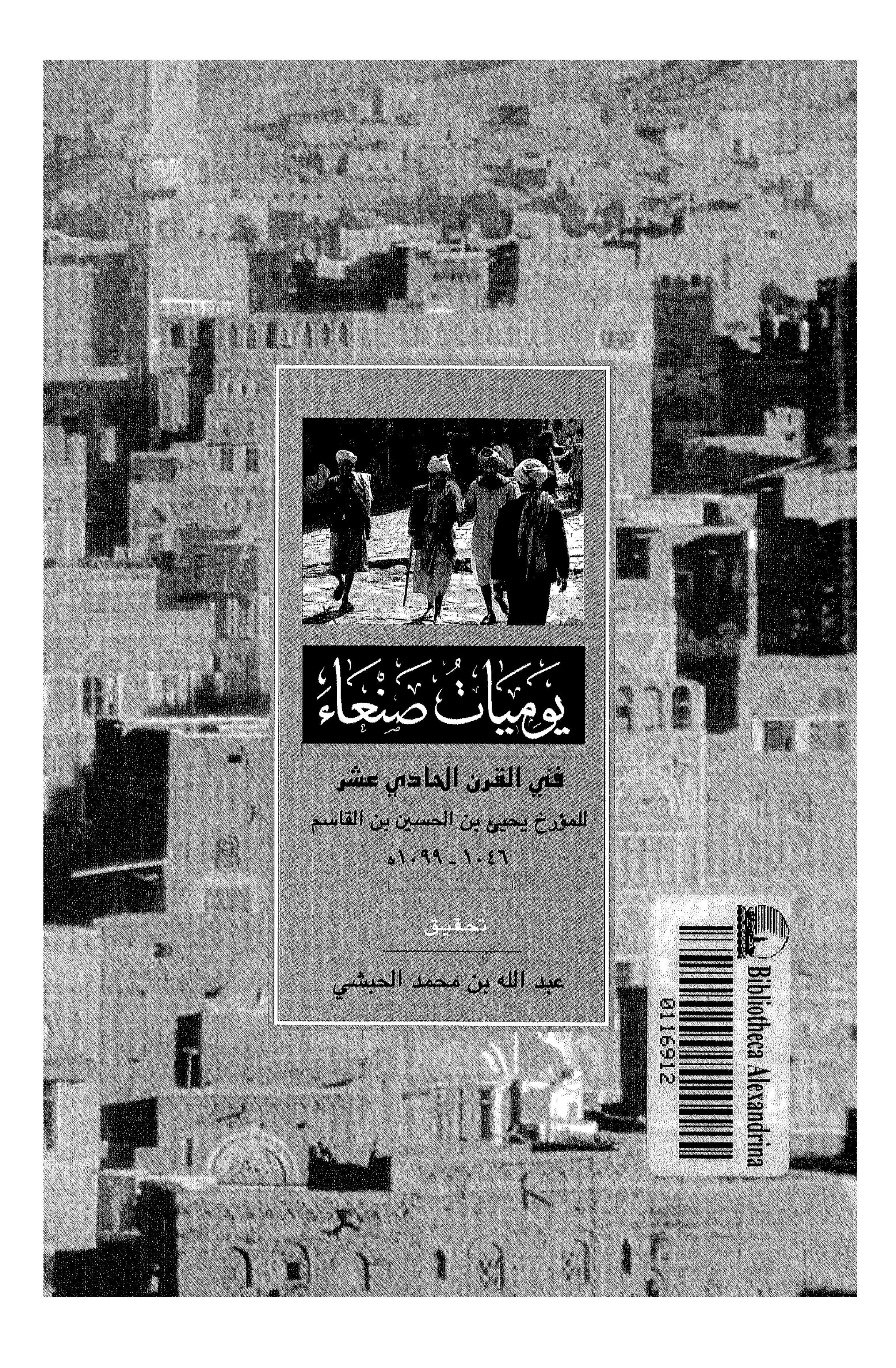
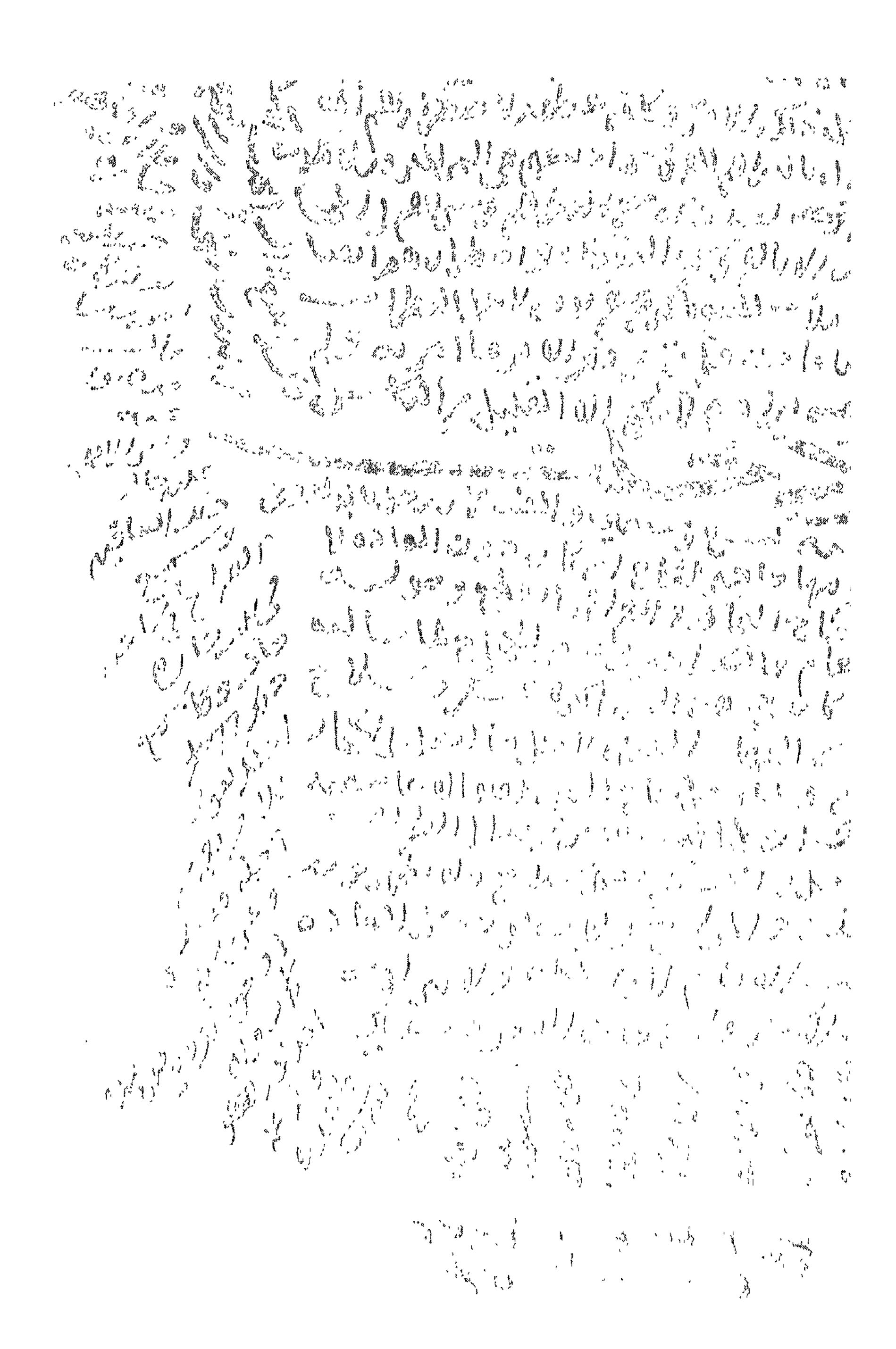

يوميات صنعاء
في القرن الحادي عشر
للمؤرخ يحيى بن الحسين بن القاسم
١٠٤٦ ـ ١٠٩٩هـ
تحقيق
عبد الله بن محمد الحبشي







يوميات صنعاء

في القرن الحادي عشر

للمؤرخ يحيى بن الحسين بن القاسم

١٠٤٦ - ١٠٩٩هـ

تحقيق : عبد الله بن محمد الحبشي

الطبعة الأولى

1996

منشورات المجمع الثقافي

Cultural Foundation Publications

ص. ب ٢٣٨٠ - ابوظبي - الإمارات العربية المتحدة - هاتف : ٢١٥٣٠٠

P.O. BOX : 2380 - ABU DHABI - U.A.E. - TEL. 215300 - CULTURAL FOUNDATION



مقدمة المحقِّق

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد سيد الأنبياء والمرسلين وآله والتابعين ومن سار على هديه من المهتدين، وبعد،

فإنه لما كان القرن الحادي عشر الهجري من المعالم التاريخية في اليمن بما شهده من أحداث جسام وقد خرج فيها اليمن منتصرا في حربه مع الدولة العثمانية ليصبح أول البلاد العربية التي أخذت استقلالها عن الخلافة الإسلامية الكبرى، ومع ذلك رغم جروحه وآلامه التي نتجت عن المآسي العظيمة التي شهدتها البلاد من معارك رهيبة طاحنة فإنه كاد ان يلتقط أنفاسه في الفترات التي أعقبت الاستقلال عن الحكم العثماني ونشطت فيها الحركة العلمية والثقافية لولا ما صاحب تلك الفترة من مجاعات وأزمات اقتصادية.

وفي هذه الفترة الحافلة بعلمائها يظهر علأمه موسوعي مجتهد هو المؤرخ الكبير يحيى بن الحسين بن الإمام القاسم الذي شغل بكتبه حيزا كبيرا في المكتبة اليمنية وهو عالم وهب نفسه للعلم وتفرغ لنشره زاهدا في كل ما يشغله عنه من مناصب ومراكز كبيرة كانت قد عرضت عليه.

● المؤرخ يحيى بن الحسين:

هو العلامة المؤرخ يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد ولد سنة ١٠٣٥ وأمه هي السيدة زينب بنت عبد الله بن صلاح الوادعي وترعرع في بيئة العلم والرئاسة فوالده هو العلأمة والمؤلف والقائد السيد الحسين بن القاسم بن محمد المتوفى سنة

١٠٥٠هـ صاحب كتاب «غاية السول شرح منتهى العقول في علم الأصول» المطبوع، وغيره من الكتب، وأخوه هو العلاّمة الجليل محمد بن الحسين صاحب «منتهى المرام شرح آيات الأحكام» المطبوع بصنعاء منذ عدة سنوات. وقد نشأ صاحبنا في صنعاء وهو يذكر في كتابه «بهجة الزمن» رحلته مع والده إلى اليمن الأسفل وهو دون سن التكليف، ويشير في حوادث سنة ١٠٥١ إلى حجه الى مكة المكرمة، ويبدو أنه قد تعرض له بعض الأمور يغادر فيها صنعاء إلى مناطق قريبة، فهو يشير إلى رحلة له إلى المخادر واتفاقه برجب آغا، ولعل هذا كان وهو بصحبة والده في حياته سنة ١٠٥٠، ولكن الغالب على سيرته الاعتكاف في بيته ومكوثه في صنعاء لا يغادرها إلا نادرا وكان تلقيه العلم علي أيدي شيوخ من العلماء منهم احمد صالح العنسي واحمد بن علي الشامي واحمد سعد الدين المسوري، ثم إنه تصدى بنفسه للأخذ ونهل عن أمهات الكتب المعتمدة عند أهل الإسلام غير متقيد فيها بمذهب موروث عن الآباء والأجداد وكأنه اعتمد الاجتهاد ورأيناه ينعي على بعض علماء عصره من غلاة الشيعة الذين خرجوا عن قاعدة المذهب الزيدي في الاعتدال حول مسألة الصحابة وهو في نفسه علامة واضحة من علامات هذا المذهب الذي جعل الإنصاف والبحث عن الحقيقة ديدته دون مراعاة لعصبية أو هوى متبع، وكأني بهذا العالم الجليل هو وزمرة من علماء اليمن الأفاضل الذين ظهروا في المذهب الزيدي أمثال الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين ويحيى بن حمزة ومحمد بن ابراهيم الوزير والحسن بن احمد الجلال وصالح بن مهدي المقبلي ومحمد بن اسماعيل الأمير ومحمد بن علي الشوكاني كأني بهم وبغيرهم ممن لم نذكره هنا دليلاً وإعجازاً للحديث النبوي القائل:

«لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس».

وهذا الحديث يصدق على أصول المذهب الزيدي عامة، ومؤلفات بعض علماء الاجلا خاصة، وقد جعلوا من طريق الحق والصدق منهجهم وأسلوبهم، وقد رأينا المؤلف رحمه الله ينعي على بعض علماء عصره في كثير من أبحاثهم وميولهم وينقدهم نقداً نزيها مبرءا عن التحامل والحسد. وقد كان صادقا مع نفسه لا يكترث بأحد ممن ناقضه

أو عارضه، وكنموذج من شجاعته نجده قد رفض بيعة عمه اسماعيل، وكان ابن عمه احمد بن الحسن له رأي خاص في أئمة عصره، وقد تركه عمه لشأنه وأقره على أسباب معيشته، ومن منهجه البعد عن أسباب الرزق الآتي قبل الدولة مع إنه كان من دعامات الدولة التي عاصرها، فوالده أحد القواد الذين أسسوا هذه الدولة القاسمية بحد الحسام، وكان من الأبطال الكبار الذين خاضوا معامع المعارك الطاحنة مع أكبر قوة في ذلك الوقت وهي قوة العثمانيين، ومع ذلك فإن الرجل قد اكتفى بجهاد أبيه وأخيه في نصرة الدولة واعتزل السياسة تماما ليتفرغ للعلم بكليته. وكان أخوه قد تولى ولاية كبيرة في اليمن الأسفل فلما توفى سنة ١٠٦٧ عرض الإمام المتوكل الولاية على المؤلف فأباها وآثر حياة العلم والعلماء، وقد قال الشوكاني: إنه عاش في مناضلة مع علماء عصره وكان صلب العقيدة قوي الشكيمة.

وليس بأيدينا نص يحدد فيه سنة وفاته وإنما انتهى في تاريخه «بهجة الزمن» إلى حوادث سنة ١٠٩٩ وبعدها وقف القلم عنده فرجَّح المؤرخ زبارة وفاته بعد هذه السنة وعدَّه بها من أهل القرن الثاني عشر، فترجم له في كتابه نشر العرف ج ٢ ص ٨٥٤ – ٨٥٧ ، ويذكر الشوكاني أنه «لم يجد له ترجمة يستفاد منها تاريخ مولده أو موته على التعيين، أو أشياء من أحواله به أهمل ذكره أهل عصره فمن بعدهم ولعل سبب ذلك والله أعلم ميله إلى العمل بما في أمهات الحديث ورده على من خالف النصوص الصحيحة» ومع ذلك فالمؤرخ يرجح وفاته سنة ١١٠٠ كما أسلفنا وقبره ببئر طاهر غربي صنعاء.

● مؤلفاته:

ترك المؤرخ يحيى بن الحسين ثروة كبيرة من المؤلفات لا يزال أكثرها قابعا بمكتبة جامع صنعاء وبخطه، منها كتابنا هذا «بهجة الزمن» الذي يوجد في مسودته الأولى بالجامع المذكور، وقد استقصينا هذه الكتب في قائمة مستقلة نشرتها مجلة العربي في «الجزء التاسع ربيع الأول سنة ١٣٩٢ هـ – ايار سنة ١٩٧٢» ص ٧٠٧ – ونحن نوردها هنا ونضيف عليها ما فاتنا:

١ – الإبلاغ في معرفة الإجماع: نسخة بخط المصنف في ١٦ ق برقم ١٥٢٦. أخرى خ سنة ١٠٥٧ برقم ١٥٣١ جامع صنعاء.

٢- الأحاديث المحكمة في النهي عن المسألة، خ ضمن مجموعة من ق ١٢٢ - ١٤٠ برقم ١٢١ «جامع صنعاء».

٣- الاختصاص في تنبيه الخواص، نسخة بخط المصنف برقم ٧٠ مجاميع جامع.

٤ - اختلاف الصحابة، نسخة بخط المصنف في ١٢/ق ضمن المجموعة رقم ٦١ جامع.

٥ - الاختيار من مذاهب علماء الأمصار، نسخة بقلم المصنف سنة ١٠٨١ في ١٢٢ ق برقم ١٣١٢ «جامع».

٦ - أربعون حديثا نسخة مخطوطة ١١٠٠ في ١٣ق برقم ١٣١٢ «جامع»

٧ - إرشاد البرية لاتباع الأحكام الشرعية في ابطال التركيبات القياسية خ سنة ١٠٥٧ بقلم المؤلف برقم ١٥٢٦ اخرى برقم ١٥٣١.

٨ - الإشراق في بيان أصل اختلاف علماء الآفاق، خ بقلم المؤلف ضمن مجموعة من ق ٢١٢ إلى ٢٠١ برقم ٤٣ «جامع».

٩ - الاصاغة لمعرفة جميع اشراط الساعة، نسخة بقلم المؤلف في ٤١ ق ضمن مجموعة برقم ٤٦ «جامع».

١٠ - أصول فِرَق الإسلام. رسالة بخط المصنف في ١٢ ق ضمن المجموعة رقم ٦١ «جامع».

١١ - الإعراض عن أهل الجهل. رتبه على قسمين الأول فيما وقع فيه الملوك والثاني فيما وقع فيه سائر الناس رسالة بخط المصنف في ١٠ ق ضمن المجموعة رقم ٦١.

١٢ - الافتتاح على المصباح رسالة في أصول الدين نسخة مخطوطة في ١٠ ق ضمن مجموعة برقم ٦١ مجاميع «جامع».

١٣ - الإفهام في أصول الإمام. رسالة بخط مؤلفها ضمن مجموعة برقم ١٠١ «ترقيم قديم» «جامع».

١٤ - الاقتباس. كتاب ضمنه خمسة علوم «نشر العرف٢ : ٥٨٦».

١٥ – الالتماس شرح الاقتباس يقول المؤرخ زبارة: يدخل في خمس مجلدات جعله في الخمسة الفنون خ في سنة ١٠٩٤ في ١٠٨ ق والورقات من ٤٥ الى ٨٣ ومن ٧٣ بخط المؤلف والموجود منه الفن الثالث وهو علم البلاغة برقم ١٦١٦ «جامع» وفي الفهرس القديم كان يوجد منه أربعة مجلدات برقم ١٠ و١١ و١٢ و١٣.

١٦ – الإلمام بتفصيل بواطن الآثام، خ بقلم المؤلف من الورقة ١٤١ إلى ١٤٨ برقم ١٢١ مجاميع.

١٧ – الإلمام بأصول الآثام وبيان ما وقع من الأوهام، رتبه علي أوهام في الرد على أصحاب الفرق. خ بقلم المؤلف ضمن المجموعة برقم ٦١ مجاميع.

١٨ – إلهام الرحمن في تقرير أصول الأديان. خ بقلم المؤلف برقم ٦١ مجاميع.

١٩ – أنباء الزمن في تاريخ اليمن. من أشهر كتب المؤرخ يحيى بن الحسين، ذكر في المقدمة أنه جمعه من ٧٥ كتابا في التاريخ، ابتدأ فيه بذكر حدود اليمن وسيرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ودولة الخلفاء الراشدين ومن أتى من بعدهم ثم أورد تاريخ اليمن. مرتب على السنين، طبع مختصة لأحدهم وهو المسمى غاية الأماني ونقوم الآن بتحقيقه ونشره، منه عدة نسخ خطية كثيرة منها مخطوطة جامع صنعاء المصورة بدار الكتب المصرية برقم ١٣٤٧ تاريخ.

٢٠ – أوهام الخواص. خ في جامع صنعاء برقم ٦١ مجاميع.

٢١ – الإيضاح لما خفا من تعظيم صحابة المصطفي. مؤلف حافل ينقل عنه الشوكاني في كتابه تنبيه الغبي، وقال: «إنه كان سببا لما وقع للمؤلف من قلاقل من أهل عصره» ويسميه المؤرخ زبارة إظهار ما خفا من تعظيم صحابة المصطفى وكذلك يسميه رفع الخطأ وهو من كتب المؤلف الهامة جعله في الرد على من يتعرض للصحابة من الرافضة، وبين فيه مذهب أهل البيت والزيدية في ذلك وأنهم بعيدون عن اللعن والسب. رحمه الله.

ولعله نفس كتابه الآتي المسمى (منتهى الإصابة). ومنه نسخة محفوظة بمكتبة المؤرخ زبارة وأخرى جامع غربية برقم ١٠٧ مجاميع وثالثة برقم ١٨٧ مجاميع ورابعة برقم ٢١٧ مجاميع في ٢٦ ق.

٢٢ – بحث في تقرير المكيال والميزان. خ ضمن المجموعة رقم ١٢١ «جامع».

٢٣ – بحث في حديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم «ما تركناه صدقة» رسالة بخط المؤلف ضمن المجموعة رقم ١٠١ «ترقيم قديم».

٢٤ – بحث في حكم الماء الواقع فيه نجاسة رسالة في آخر كتاب البيان لما خفا الآتي.

٢٥ – بحث فيما يجب على أهل الأموال في ضمن المجموعة رقم ٤٣ من ٧ ح ١ إلى ١٧١.

٢٦ – بحث في مسألة الاحتجاج بالكلام والنقول القديمة على السمع والمعقول رسالة بخط المصنف في ٢٠ ق ضمن المجموعة رقم ١٠٤ «ترقيم قديم».

٢٧ – البغية المشتهاة في حرب البغاة نسخة بخط المؤلف في ٤٤ ق ضمن المجموعة رقم ١٠١ مجاميع «ترقيم قديم».

٢٨ – بناء الشرع على الظاهر رسالة في ٦ ق ضمن المجموعة رقم ٤٦ (جامع).

٢٩ – بهجة الزمن في تاريخ حوادث اليمن. وهو هذا المنتخب منه وسيأتي الكلام عليه.

٣٠ – بيان فضل العلماء السابقين وموافقتهم للحق المبين خ بقلم المؤلف ضمن المجموعة رقم ٤٣ من ق ٥٧ الى ٧٨

٣١ – البيان لما خفا في القرآن. نسخة بقلم المؤلف فرغ منه سنة ١٠٧٧ في ٦٤ ق برقم ٢٠٢ (علوم القرآن) نسخة أخرى كتبت سنة ١٠٦٣ في ١١٠ ق يليه بحث في حكم المياه للمؤلف برقم ٢٣ مجاميع.

٣٢ بيان الجواب في حديث الباب. خ في ورقات برقم ١٣٤٧.

٣٣ – البيان لنظم القرآن، نسخة فرغ منها مؤلفها سنة ١٠٧٧ في ١٥٧ ق برقم ١٥٩٣ «تفسير».

٣٤ – البيان للنهي عن صوم الشك في رمضان. رسالة بقلم المؤلف ضمن المجموعة رقم ١٠٨.

٣٥ – التبادر «البيادر» في المعلوم والمتواتر، خ جامع برقم ٧٠ مجاميع.

٣٦ – التحفة السنية شرح العقيدة النسفية. خ بقلم المؤلف في ٣٦ ق برقم ٣٦ مجاميع

٣٧ – تحقيق المسائل خ بقلم المؤلف في ٤ ورقات ضمن المجموعة رقم ٤٣.

٣٨ – التحية الحسنة في الفرق ما بين الأولياء والسحرة خ بقلم المؤلف من ورقة ١٠٣ إلى ١٢٥ برقم ٤٣ مجاميع.

٣٩ – التعريف بجملة من أهل العلم والتصنيف، ضمنه تراجم جماعة من أهل اليمن وغيرهم. خ بقلم المؤلف في ٧١ ق. وهو عبارة عن مسودة، بدأه من سنة ٧٤٧ بترجمة ابن حجر العسقلاني وانتهى فيه إلى سنة ٩٠١ مبتور آخره. برقم ٢٢١١ جامع.

٤٠ – تعليق على مقدمة الأثمار في ٥ ق برقم ٤٦ مجاميع «جامع».

٤١ – تقريب الأحكام في أحاديث النبي عليه الصلاة والسلام نسخة بقلم المؤلف كتبها سنة ١٠٦٦ في ١٧٣ ورقة برقم ٣٤٥ «جامع».

٢٤ – تقرير في البيع والشراء خ بقلم المؤلف برقم ١٢١ من ق ٩٨ – ١١٣.

٣٤ – التقرير في أصول الامامة. خ جامع ٦١.

٤٤ – تقرير النية + كتاب في تقرير النية.

٤٥ – تنبيه الراغب في بيان أحسن المذاهب خ من ق ١٥٨ إلى ١٦٦ برقم ٤٣ مجاميع.

٤٦ – التمييز بالدلالات الظنية الأخبار الآحادية خ بقلم المؤلف برقم ١٢٨٣

٤٧ – التمييز بين السلف، خ بقلم المؤلف من ق ٦. الى ٤٣٦٤ جامع.

٤٨ – التنبيهات «حاشية على الأزهار» خ بقلم المؤلف في ٣٣ ق برقم ١٣٥٤.

٤٩ – التهذيب في التقريب جعله في ضبط ألقاب العلماء وقبائلهم وبلدانهم. جرده من وفيات الأعيان لابن خلكان وهو عبارة عن مسودة. ومن وقفه وعليه خط حفيدة العلامة المطهر بن اسماعيل. خ في ٦٩ ق برقم ٢١٩٥ «جامع».

٥٠ – جواب وتقرير على ما كتبه الشريف عبد الله بن الإمام شرف الدين «حول مسألة أصولية» خ ضمن مجموعة برقم ١٠٤ «ترقيم قديم» جامع.

٥١ – الجواب في أصول زيد بن علي. خ جامع بقلم المؤلف من ق ٤٣ الى ٦٥ برقم ٧٠ مجاميع.

٥٢ – الجوابات المنتقاة على صاحب المسائل المرتضاة في ٥ ٧ بقلم المؤلف برقم

١٣٤٧ حاشية على الأزهار + التنبيهات. حاشية على الجامع الصغير + الضوء المنير.

٥٤ – الحقيقية بين علماء الكلام من أهل الشريعة. خ بقلم المؤلف من ق ١٣٨ الى ١٣٠ برقم ٤٣ مجاميع.

٥٥ – الخرائد في صحيح العقائد. خ بقلم المؤلف من ق ١٣٧ إلى ٤٤ برقم ٤٣ مجاميع.

٥٦ – درج الأولياء. خ بقلم المؤلف من ق ١١٠ إلى ١١٢ برقم ٧٠ مجاميع درج الجرح + كتاب في درج الجرح.

٥٧ – الدرجات الرفيعات في اعتماد المصنفات العليات. خ بقلم المؤلف برقم ١٤٣.

٥٨ – الدّلالات شرح المهمات على مذهب الهدوية «مختصر الأزهار». خ بقلم المؤلف في ٢٠٨ ق جامع ١٢٨٣ فرع من كتابته سنة ١٠٦٢.

٥٩ – الدلائل الفقهية شرح العطايا السنية. ذكره المؤرخ زبارة في نشر العرف ٢: ٨٥٦ (مفقود). ولعله نفس الكتاب الآتي.

٦٠ – الدلائل الشرعية شرح العطايا السنية في المسائل الفقهية. في الفقه على مذهب الزيدية وسائر المذاهب في ثلاثة مجلدات برقم ١٠١، و١٠٤ و١١٠٦ و١١٠٧ و١١٠٥ و١١٠٢ و١١٠٣.

٦١ – الرتب الرفيعة في أعلى درجات معرفة الشريعة. خ بقلم المؤلف من ق ١٥٣ إلى ١٧٠ ضمن المجموعة رقم ٤٦.

٦٢ – الرحمن (؟) في تفهيم أصول الأديان رساله ضمن المجموعة رقم ١٠١ مجاميع «ترقيم قديم».

٦٣ – رسالة في انتقاد الإمام المتوكل على الله في بعض المسائل الفقهية. خ جامع برقم ١٣٤٧.

٦٤ – رسالة في بيان ما ينتقم الله من القضاة في تعجيل العقوبات. خ بقلم المؤلف برقم ١٠١ مجاميع «ترقيم قديم».

٦٥ – رسالة في الجمع بين الأدلة. خ جامع برقم ٤٦ مجاميع.

٦٦ – رسالة في تقرير الثواب على أعمال المكلف. خ جامع برقم ٤٦ مجاميع

٦٧ – الزهر في أعيان العصر في تراجم علماء عصره، قال في مقدمته: وبعد فهذا كتاب يجمع ذكر أعيان من لقيناه وعرفناه ممن كان منهم قد مضى وبيان حالاتهم ومعارفهم وفنونهم. خ بقلم المؤلف سنة ١٠٦٧ في ٣٥ ق ضمن مجموعة برقم ٦٦ من ق ٣٢ إلى ٥٦ بجامع صنعاء (الغربية) وهذا الكتاب ينقل عنه العلامة الشوكاني في كتابه البدر الطالع.

٦٨ – الزهر الناعم في اتباع سنة ابي القاسم. رسالة بخط المؤلف ضمن المجموعة رقم ٤٦.

٦٩ – الزواجر فيما جرى من عذاب المقابر. نسخة فرغ منها مؤلفها سنة ١٠٨٦ في ٢٤ ق برقم ٢١٠٢.

٧٠ – سد الذرائع والنهي عن أسباب البدائع. خ بقلم المؤلف برقم ٤٣ مجاميع.

شرح الاقتباس =الالتماس.

شرح التقريب = التهذيب.

شرح صحيح مسلم = المعلم.

شرح العطايا السنية = الدلائل.

شرح العقائد النسفية =التحفة السنية.

شرح المختصر على مذهب ابي حنيفة =المعتبر.

شرح مجموع الفقه الكبير =المصباح المنير.

شرح المهمات = الدلالات.

٧١ – الشموس المشرقة لإزالة ظلمات البحور المغرقة. خ بقلم المؤلف ضمن مجموعة برقم ٦١ من ق ١١٢ – ١١٧.

٧٢ – شن الغارة لإزالة شبه أهل الضلالة. خ بقلم المؤلف من ق ١٣١ – ١٣٨ برقم ٤٣ مجاميع.

٧٣ – صوارم اليقين لقطع شكوك القاضي أحمد بن سعد الدين. ضمن الرد على

القاضي المذكور في مسألة الأخذ من الأمهات الحديثية خ بقلم المؤلف سنة ١٠٧١ في ٤٠/ ورقة ضمن المجموعة رقم ١٠٨ وأخرى برقم ٤٩٩ «جامع» ثالثه بكتبة الحبشي بحضرموت. يقول عنه الشوكاني وهو مؤلف ممتع يدل على طول باع مصنفه «البدر الطالع ٢: ٢٣٣٨».

طبقات الزيديه = المستطاب.

٧٤ – الطباق في هوى الأعناق. خ بقلم المؤلف من ١٣٣ ق إلى ١٨١ برقم ٦١ مجاميع.

٧٥ – العبر في ملوك حمير. جعله كالمقدمة لكتابه انباء الزمن منه مخطوطة نادرة بالمكتبة الآصفية بالهند ملحقة بكتاب التيجان لوهب من منبه.

٧٧ – العطايا السنية «في الفقه». ذكره المؤرخ زبارة في نشر العرف ٢: ٨٥٦ وانظر شرحه «الدلائل الفقهية».

٧٨ – عقيدة المنام المكتوبة بالإلهام. خ بقلم المؤلف من ق ١٤٥ إلى ١٤٨ جامع ٤٣ مجاميع.

عقيلة الدمن المختصر من انباء الزمن = غاية الأماني.

٧٩ – العمدة في الناسخ والمنسوخ من الحديث بقلم المؤلف في ٣٢ ق برقم ٢٣٨٦ «جامع».

٨٠ – عموم الهوى بالناس. خ بقلم المؤلف من ق ٢٠٩ إلى ٢١٢ جامع برقم ٤٣ مجاميع.

٨١ – غاية الأماني في أخبار القطر اليماني. اختصره أحدهم من كتاب أنباء الزمن ويسمى عقيلة الزمن منه خ بمكتبة على أميري برقم ٢٣٧٥ وأخرى بمكتبة بتنه بالهند برقم ٢٣١٥. طبع بمصر سنة ١٩٦٨.

٨٢ – الغرة الصبيحة في العقيدة الواضحة الصحيحة خ سنة ١٠٧٧ من ق ٦٧ إلى ٨٣ برقم ٢٠٢ جامع.

٨٣ – الغرر البهية في سيرة خير البرية. خ بقلم المؤلف في ٢٥٠ ق برقم (٢) تاريخ جامع «ترقيم قديم».

٨٤ – الغرة في العقيدة خ بقلم المؤلف برقم ١٣٤٧ جامع.

الغلاة = كتاب الغلاة.

٨٥ – فتاوى يحيى بن الحسين، ذكره المؤرخ زبارة في نشر العرف ٢ : ٨٥٦.

٨٦ – الفوائد على القلائد. خ في ١٣ ق بقلم المؤلف سنة ١٠٩٦ جامع ٧٥٣.

٨٧ – الكاشف للحق والهدى في إبطال قول من منع الفتوى. خ بقلم المؤلف من ق ١١٤ – ١٢١ برقم ١٢١ مجاميع.

٨٨ – كتاب الإشارات الإلهامية والفتوحات الربانية والأسرار الخفية في الأصول الدينية. خ بقلم المؤلف في ٤٨ ق جامع برقم ٤٦ .

٨٩ – كتاب في أصول الخط. خ بقلم المؤلف في ٥٨ ق ضمن مجموعة برقم ٤٦ .

٩٠ – كتاب درج الحرج والتعديل وتقرير ما هو الصحيح من الأقاويل. نسخة بقلم المؤلف في ٢٥ ق جامع ٤٦ مجاميع.

٩١ – كتاب الغلاة، الموجود منه الورقة الأولى والبقية انتزعت منه ضمن مجموعة برقم ١٠١ «ترقيم قديم».

٩٢ – كتاب تقرير النية على الأعمال . خ بقلم المؤلف في ١٨ ق ضمن المجموعة رقم ٤٦.

٩٣ – كتاب فيه أخبار نبوية وذكر من يلي بعده من الملوك الأموية والعباسية وبيان أعمالهم وصفاتهم التي هي من جملة المعجزات النبوية خ بقلم المؤلف من ق ١٨١ – ١٩١ برقم ٤٦ مجاميع.

٩٤ – كشف علوم الآخرة خ بقلم المؤلف في ٩٣ ق جامع ٢٣٧٢.

٩٥ – الكفاية في بيان فرض الكفاية خ بقلم المؤلف من ق ٩٩ إلى ١٠٦ المجموع رقم ٧٠ جامع.

٩٦ – اللباب في شرائع الآداب خ جامع ١٢١ مجاميع من ق ١٤٩ إلى ١٥٤.

٩٧ – لحوق العوام بمتابعة العلماء في العموم خ بقلم المؤلف من ق ١٤٢ إلى ١٥٢ جامع ٤٦ مجاميع.

٩٨ – مخالفة الإجماع. قال فيه: وبعد فإني رأيت أناسا يتساهلون على الأوهام والمجازفات التي لا تليق بأهل المعرفة لا سيما في العلوم الشرعية. خ بقلم المؤلف في ١٨ ق جامع برقم ٦١ مجاميع.

٩٩ – مختصر في ذكر ألفاظ مشكلات من أقوال ابن عربي خ بقلم المؤلف من ق ٧٩ ٠ ١٠٢ مجاميع.

١٠٠ – مسائل حررها القاضي احمد بن ناصر بن محمد بن عبد الحق إلى سيدي يحيى بن الحسين بن القاسم. خ ضمن مجموعة برقم ٩٣ مجاميع جامع (غربية).

١٠١ – مسألة علم الله تعالى. خ سنة ١٠٩٦ بقلم المؤلف جامع ٧٥٣.

١٠٢ – المسالك في ذكر الناجي من الفرق والهالك. من كتب المؤلف المهمة جعله في مسألة الفرقة الناجية وحديث الافتراق. خ في ١٥٠ ق جامع برقم ٦٩٢ وهذا الكتاب من الكتب التي صورتها بعثة مصر إلى اليمن.

١٠٣ – المستجاد في بيان علماء الاجتهاد. خ في ٤٢ ق بقلم المؤلف جامع ٧٠ مجاميع وهو من الكتب المصورة في بعثة مصر.

١٠٤ – المستخرجات البينات على تحليل الأشياء المستعملات من القهوة والطباق والقات، قال فيه: أما بعد فإنه سأل كثير من المسترشدين عن شرب الدخان الذي غلب عليه اسم التتن في هذا الزمان وكثر في الناس شراؤه ورأيت أن أذكر ما قد جرى من الاشتباه في القهوة المشروبة وما يتبعها من شجرة القات المأكولة بحسب النظر القاصر والتفصيل الظاهر مستعينا بالله على موافقة الحق» خ بقلم المؤلف في المجموع رقم ١٠٨ من ق ١١٥ الى ١٤٣، وقد تم لنا نشره ضمن مجموعة «ثلاث رسائل في القات».

١٠٥ – المستطاب في تراجم علماء الزيدية الأطياب ويسمى طبقات الزيدية. وهو من كتبه النفيسة جمع فيه تراجع علماء الزيدية حسب الطبقات ومنه عدة نسخ خطية يوجد في نسختين موسعة ومختصرة وقد تم تحقيقه وسيظهر قريبا إن شاء الله تعالى.

١٠٦ – المشاهدات. خ بقلم المؤلف من ١٣٩٥ إلى ١٤ جامع ٤٣ مجاميع.

١٠٧ – المصباح المنير في شرح مجموع الفقه الكبير، ضمنه شرح مجموع الإمام زيد بن علي، بقلم المؤلف في ١٣٤ ق جامع ٤٨٢.

١٠٨ – مظاهر البينات في الآيات المتشابهات. خ بقلم المؤلف في ٤٨ ق برقم ٢٢٢ جامع.

١٠٩ – المعتبر شرح المختصر (على مذهب أبي حنيفة) خ بقلم المؤلف في ٥٩ ق جامع ١٣١٩.

١١٠ – المعلم بإيضاح صحيح مسلم. خ بقلم المؤلف في ثلاث مجلدات سنة ١٠٧٨ برقم ٤٦٧ و٤٩٧.

١١١ – المكنون في علم خير القرون. خ بقلم المؤلف من ق ٨٤ الى ٩٥ جامع. مجاميع ٦١

١١٢ – منافع الأبدان في مداواة أمراض الإنسان. خ بقلم المؤلف في ٧٥ ق جامع ٢٢٦٢

١١٣ – منتهى الاصابة فيما يجب من رعاية حق الصحابة، قال في أوله: وبعد فإنه لـ كثر الاختلاف في بيان الصحابة وما زال يتجدد في هذه العصور من غير إصابة توج بيان ما عليه الزيدية من الائمة وسائر البرية، إذ كان الاختلاف بينهم من أتباعهم ودعوى أنهم على طريقتهم. وإنّا بحمد الله رأينا اقوالهم في منثورهم ومنشومهم ومنظومهم كالمتفقة على حسن الثناء وإن القائل بمقالة الآخذ فيهم كالعدم المحض الخ. نسخة مخطوطة بقلم المؤلف في ٥٧ ق جامع ١٠٨ مجاميع (١١٤) منقذ الغواية من أهل الدراية. خ بقلم المؤلف من ق ٤٥ الى ٥٢ جامع ٤٣ مجاميع.

١١٥ – المنير في رد شبه الأمير. من كتبه السياسية المهمة جعله في خمسة أقسام الأول: في متابعة النبي (ص) في سيرته في الجهاد، الثاني في كيفية قتاله للبغاة، الثالث في حث الناس على الجهاد، الرابع في سيرته (ص) في إقامة الحدود. الخامس: في كيفية إعطائه ومنعه خ بقلم المؤلف من ق ٥٤ إلى ٨٣ جامع ٦١ مجاميع.

١١٦ – النجم الزاهر في بيان علم الله العزيز القاهر. خ بقلم المؤلف سنة ١٠٩٦ في ٢١

ق جامع ٧٥٣.

١١٧ – النكت المفيدة في العقائد الصحيحة خ بقلم المؤلف ق ٩٠ إلى ١٠٥. جامع ٤٦ مجاميع.

١١٨ – النكت المفيدة على الرساة القشيرية خ بقلم المؤلف من ق ١٥١ الى ١٥٧ جامع ٤٣ مجاميع.

١١٩ – نور الحقائق في بيان إحاطة علم الله السابق لأفعال الخلائق وما لم يوجد من هذا الخلف واللاحق. قال فيه: إنه وقعت مذاكرة في شأن مسألة العلم والقدرة وما ذكرته المعتزلة في ذلك مع انه تعالى يعلم وجود المستقبل أما إذا ما وجد ما قبل الوجود فلا يعلمه بل انما يعلم مجرد استقباله الخ.خ بقلم المؤلف في ١٢ ق جامع ٤٦ مجاميع.

١٢٠ – ورقات في مناقب أهل البيت. خ جامع من ٢١٣ إلى ٢١٧ برقم ٤٣ مجاميع.

١٢١ – الوافي على الشافي خ جامع برقم ١٣٤٧.

١٢٢ – الهلع للطمع. ضمنه بحث في ذم البخل وجمع المال. خ بقلم المؤلف جامع ٦١ مجاميع.

● كتاب بهجة الزمن:

ومن أهم كتبه واطرفها كتاب «بهجة الزمن في حوادث اليمن» الذي بدأه من السنة التي انتهى فيها من تاريخه الكبير المسمى أنباء الزمن في تاريخ اليمن «الذي نقوم الآن بتحقيقه ونشره» وهي سنة ١٠٤٦. وتشكل السنوات التي أرّخ لها بعد هذه السنة حوادث اجتماعية تاريخية شاهدها المؤلف بنفسه وعاش أكثر حوادثها فيه بذلك تشبه المذكرات التي يكتبها الزعماء والعلماء في عصرنا الحديث.

ونظراً لأهمية هذا العمل الذي قام به مؤلفنا المؤرخ يحيى بن الحسين رحمه الله رأيت أن استعجل نشره او اقتطف منه منتخبات من الحوادث تكون في عمومها جانبا متكاملا من الحوادث الاجتماعية التي يحل بها كتابنا هذا وهي في عمومها حوادث تتميز بشخصية منفردة عن بقية مواد الكتاب من تلك التي يغلب عليها السرد التاريخي

كالذي رأيناه في كتاب المؤلف «أنباء الزمن».

وهي تلك الحوادث التي تعنى بسير الحكام وتؤرخ للصراع المتكرر بين المتنافسين على الحكم من أمراء آل القاسم وغيرهم من طالبي الولايات، وهذا نجد كثيرا مثله في تاريخ اليمن ولا يتميز بشيء جديد يضيفه الباحث على ما عرفه عند المؤرخين السابقين على المؤلف أو الذين اتوا من بعده، لكن المؤلف رحمه الله عنا في كتابه هذا بظاهرة فريدة أدركها بحسه الاجتماعي الفطري ألا وهي تتبعه لأخبار العامة وحياة الناس في مجتمع القرن الحادي عشر. وهذه الظاهرة يكاد ينفرد بها مؤلفنا وحده من دون سائر المؤرخين باستثناء صاحب «حوليات يمانية» الذي قمنا بنشره منذ عدة سنوات. وهو هنا يرصد كل ما يدور في مجتمعه من أوبئة ومجاعات وحوادث طبيعية وهبوط وارتفاع في الأسعار والعملة وأخبار ثقافية علمية إلى غير ذلك.

وكأنه غدا بما دونه هنا مرآة صادقة لمجتمعه لايهاب فيما يقول أحداً من رؤساء الحكم أو متولي السلطة، وكان لمكانته في أسرة آل القاسم وسابقة جهاد والده في خدمة الدولة حصن حصين له من سائر المناوئين له والمنكرين عليه، وقد مكنته هذه الحصانة من إشباع القول في الجهر بالإنكار ونقد ساسة عصره بصراحة ووضوح مع الإنصاف والعدل فيما يصدره من أحكام وآراء شأنه شأن العالم المتدين الذي لا يهمه سوى قول الحق وتحري النزاهة. ومن الغريب أنَّ الرجل وهو من سدة الحكم ورجال الدولة القاسمية التي قامت على أكتاف الإمام القاسم وابنائه الكرام وكان المؤلف يعد منهم – نجده رحمه الله يقف في صف الرعية من عامة الشعب من أهل اليمن الأسفل وغيرهم ويجاهر عمه اسماعيل بن القاسم ومن أتى من بعده من الأئمة بالنظر في شأن المظلومين وكف أيدي عمالهم عنهم، وهو لا يكتفي بما كتبه في تاريخه من استنكار بل يتبع ذلك بالرسائل إلى من يهمه الأمر في هذا الشأن، وهذه غاية الجرأة والشجاعة. والحق يقال إن هذا العصر الذي أدركه المؤلف رحمه الله كان يتميز بظاهرة فريدة قد لا تتكرر في عصر من عصور التاريخ اليمني السابقة إلا في زمننا هذا، ألا وهي ظاهرة حرية القول والنقد السياسي اللاذع الذي نجده عند مؤلفنا وغيره من ادباء عصره فيما كتبوه من انتقادات كثيرة في العديد من قصائدهم

الشعرية، وقد أوردنا نماذج منها في كتابنا «الأدب اليمني عصر خروج العثماني»، فينظر هنالك، وقد حق للمؤلف وهو العالم الورع الذي منع نفسه عن الانخراط في الحكم وعدم الدخول في مناصب الدولة المغرية، حق له أن يقول كلمة الحق، وان ينتقد ويصحح ما يراه الصحيح من إسداء النصح والمشورة لأبناء عمومته فيما انتهجوه من سياسة وأحكام، وهو مع ذلك يأتي نصحه لهم بدافع المحبة والحرص علي المصلحة العامة ورد اطماع الطامعين الذين يتربصون بهم الدوائر كما حدث في النزاع الكبير الذي وقع بين المهدي أحمد بن الحسن وصاحب شهارة القاسم بن المؤيد، فهو لا يرى ما يدعو إلى هذه الفرقة والاقتتال والدعوة واحدة وهم أبناء عمومة، ومن مذهبه في أئمة عصره انهم جميعهم يحوون الشروط التي اشترطها فيهم المذهب، ومع ذلك فهو لا يرى مانعا من تولي أحدهم الحكم إذا وجدت له الغلبة وقهر خصومه، فإن في ذلك – عنده – حقناً للدماء وتسكين الدهماء. ولا بأس إذا قلدوا في ذلك أهل المذاهب الأخرى في إقرارهم أمام الإمام الجائر إذا استفحل امره وعجزوا عن التغلب عليه. والحديث عن رأي المؤلف ومنهجه السياسي الحر مما لا تتسع له هذه المقدمة المختصرة، وهو يظهر واضحا جليا فيما أوردناه هنا وهناك من مقتطفات، وتقولات في هذا الكتاب.

ويمنعني من نشره كاملاً الآن ثلاثة أشياء لا رابع لها:

أولاً – علمي أن أحد طلبة الجامعة بصنعاء يقوم بتحضير رسالة علمية على الجزء الأول من هذا الكتاب – وكانت هذه الطالبة «وهي طالبة من آل الأمير» قد استشارتني منذ فترة حول اختيار موضوع لرسالتها العلمية فدللتها على هذا الكتاب لأهميته القصوى في رأيي، بل ما زلت ألهج بأهميته منذ سنوات عديدة حيث كتبت حوله دراسة نشرتها مجلة العرب التي يشرف عليها علاّمة الجريرة الشيخ حمد الجاسر في «جزئيها الثالث والرابع من سنة ١٩٧٥» وفي كتاب الأدب اليمني خروج الأتراك، ومقدمة مذكرات المؤيد بالله وغير ذلك.

ثانيا –أردت أن أميز الحوادث ذات الطابع الاجتماعي (الانساني – السياسي) في صعيد واحد حتى لا تضيع هذه الحوادث في خضم الحوادث التاريخية العادية التي حفل بها هذا الكتاب. وليكون مرجعا في مجال العلوم الاجتماعية يستسقي منه

الباحثون بغيتهم بدون مشقة أو عناء.

ثالثا – أقوم الآن بنشر أصل الكتاب وهو «أنباء الزمن في تاريخ اليمن» بالاشتراك مع الأخ محمد السنباني – الذي يعتبر كتابنا هذا تكمله لحوادثه فلا يتم نشر التكملة إلا بعد القيام بنشره كاملاً بعد ظهور أصله الأول، أو يقوم بذلك العمل غيرنا ممن لهم خبرة ومعاناة في هذا المجال.

وكتاب «بهجة الزمن» هذا، سبق له تلخيص له قام به الأديب العلامة عبد الله بن علي الوزير المتوفي سنة ١١٤٧ في كتابه «طبق الحلوى وصحاف المن والسلوى»، ومن الغريب أن يشتهر هذا الكتاب على أصله وتكثر نسخه ويطبع في حين ظل الكتاب الأم مجهولا حبيساً في مسودة المؤلف الأول.

وهنا لا بد من كلمة في العمل الذي قام به ابن الوزير رحمه الله في هذا الكتاب، فهو أولاً لم يصرح باسمه واكتفى بقوله « وقد اطلعت على تاريخ لبعض أبناء ملوك اليمن أوعب فيه ما وصل إلى علمه الشريف وفكره اللطيف فاعتمدت في القصص عليه واحلت جل ما نقلته إليه» وهذا لا يكفي في التنبيه على فضل صاحب الكتاب الأول. وثانيا نجد ابن الوزير راعى جانب الدولة وتجنب ما يغضب الحكام لأسباب دعت إليها ظروف عصره، ومع ذلك فإنه ربما غير نص المؤلف البسيط السهل وحوله إلى عبارة مسجوعة متكلفة لا يفهم منها قصد المؤلف إلا بعد إعمال الفكرة والاجتهاد في الفهم وربما اختصر عبارة المؤلف وحولها إلى ألفاظ أشبه ما تكون بكلمات البرقيات الموجزة، وقد انتهى في تلخيصه هذا إلى آخر زمن المهدي احمد بن الحسن أي الى سنة ١٠٩٠ ولم يذكر بقية حوادث سنوات الامام المؤيد محمد بن اسماعيل وبداية حكم المهدي محمد بن احمد صاحب المواهب بما صاحبها من قلائل وفتن، وكأن المؤلف رحمه الله ترك ذلك متعمداً حتى لا يقع تحت طائلة المذكور، الذي يبدو لنا أنَّ ابن الوزير قام بعمله هذا في أثناء حكمه والله أعلم.

ومع ذلك فإني أجد فيما قام به العلامة الأديب عبد الله بن علي الوزير من اختصار لكتاب مؤلفنا يحيى بن الحسين مندوحة لي في القيام بعمل آخر هو «اختيار» لبعض ما جاء في الكتاب من أخبار تتعلق بحياة الناس وحوادث السياسة والتاريخ الهامة لأعطي

القارىء فكرة سريعة عن طبيعة العصر ومناخه السياسي والاجتماعي. ولم التزم بعدم ذكر ما أورده صاحب طبق الحلوى إلا في حالات نادرة تتعلق بالأحداث التاريخية المعتادة في التاريخ اليمني كالذي يحدث بين الأمراء من نزاع حول السلطة والتنافس في الزعامات – كما أسلفنا – فهذا يكثر ذكره في التاريخ اليمني، وهو جانب ممل لم أعول عليه كثيرا لتكراره وتردده مراراً، وإن كنت أستشف من هذه الحوادث الكبار العبرة والفائدة التاريخية فأورد أحياناً نتفاً من ذلك ليأخذ منها القارىء جانبا من حياة الناس وأجواء السياسة والتاريخ، وكان المؤرخ الأديب العلامة عبد الله بن علي الوزير – رحمه الله – قد أخذ العكس مما أخذت به فهو ينقل من كتابنا جل الأحداث السياسية الجارية في عصر المؤلف من نزاع بين الأمراء، ودعوات للإمامة متكررة من قبل بعض الدعاة، وهنا اكتفيت بما أورده المؤرخ ابن الوزير مما جاء في كتابنا وتفرغت لنقل ما جاء في الكتاب من حوادث اجتماعية وثقافية واقتصادية وطبيعية تعطي القارىء والباحث الاجتماعي صوراً كاملة في هذه المجالات السابقة الذكر مع عدم اغفال ما يجب من حوادث كما أشرنا سابقا، ومع ذلك فإني لم ألتزم – فيما أورده – بقاعدة معينة. فربما أوردت شيئا مما جاء عند ابن الوزير إذا كان هذا يتعلق بشيء من أمر السياسة والنقد الاجتماعي وكذا أخبار التعسف والجور من قبل بعض الولاة وغيرهم وبعض حوادث التاريخ المجردة. ولم أبالغ في الانتقاء، والاختيار وإنما تركت الأولوية للجانب الاجتماعي وما أشرنا إليه فيما سبق وهذا لا يمنع من إيراد بعض الحوادث التي تقع بين الساسة من رجالات العصر للاعتبار والعظة وأخذ الحكمة من تكررها في بعض الأوقات والأحايين، ثم اكتشاف البيئة السياسية في ذلك الوقت وفهمها.

ويبدو أن الكتاب ظل حبيس الخزائن ولم ينتشر لما فيه من أخبار وحوادث جريئة شأنه شأن بقية كتب هذا العالم الجليل فهي لا تزال في أصولها الأولى ولم يظهر منها شيء إلا ما نشرته من رسالة صغيرة تتعلق بالقات «ضمن مجموعة ثلاث رسائل في القات» وهذا يفسر عدم انتشار كتابنا هذا فهو لا يوجد إلا في نسخة يتيمة عبارة عن مسودة أولى بما تحمله من إصلاحات وشطب يكاد يعم سائر صفحات الكتاب. ومع ذلك يبدو أنَّ هناك يداً عابثة عملت عملها في أصل الكتاب الوحيد بحيث أنَّ ذلك المحو

تجده قد اختلط مع ما قام به المؤلف نفسه من كشط وشطب في المسودة كما يحدث كثيرا في مسودات العلماء عندما يكتبون مؤلفاتهم إلا أننا نلمس ذلك المحو عندما يكون من المؤلف نفسه يأتي خفيفاً بيِّناً حتى يكاد تقرأ عباراته من خلال ذلك الكشط، أو يتضح أيضا جلياً من خلال تقويمه لبعض العبارات أو تصحيحه لبعض الحوادث ولكنه عندما يكون ذلك من قبل أحدهم يكون في الغالب ممحوا بالماء الذي لا يترك أثراً لكلمات المؤلف ويبقي الصفحة سوداء مشوهة. وفي الغالب أن هذا المحو مسَّ عبارات المؤلف التي تتعلق بانتقاد سلوك الحكام المرير وما يتعلق بشخصيات ذلك العصر ممن يكونوا في الغالب من أقرباء ذلك الماحي والله أعلم. والحق يقال إن ما قام به المؤلف في كتابه من شطب وكشط أكثر ما قام به الماحون من المعترضين على المؤلف في انتقاداته، حتى إنك تجد في آخر الكتاب صفحات كاملة وقد عمل أحدهم بالضرب عليها، وهو شطب لا معنى له لأن بعض الجمل عبارة عن أخبار تاريخية عابرة ليس فيها ما يغضب أحداً وأغلب الظن أنَّ هذا العمل من قبيل ما يشبه عبث الأطفال، أو من بعض المتهوسين الذين لا يميزون بين غث الكلام وسمينه، والله أعلم.

● مخطوطة الكتاب

للكتاب مخطوطة وحيدة تحتفظ بها مكتبة جامع صنعاء «الكتب المصادرة» برقم «٤٩ تاريخ – تراجم».

وهذه المخطوطة جميعها بخط المؤلف وهي عبارة عن المسودة الأولى للكتاب – حيث لم يمدّ الله في عمر المؤلف ليقوم بتبييضها وتنقيحها – وقد بقيت كما هي مملوءة بالإصلاح والمحو والإبدال والزيادة والنقصان إلى غير ذلك، وقد أشرنا إلى ذلك في ما سبق.

وهي تقع في ثلاثة مجلدات من قطع النصف – وكل مؤلفات المؤرخ يحيى بن الحسين بن الامام القاسم التي اوقفها بجامع صنعاء من هذا الحجم – «مقاس ٢٠X١٦»، ويبلغ مجموع صفحات المجلدات الثلاثة نحو ١٤٥٩ صفحة. معدّل أسطر كل صفحة ٢٠ إلى ٢٢ سطراً.

وقد تمكنت من الحصول على صورة مصغرة «ميكروفيلم» من هذه المجلدات الثلاثة

أمدني بها – مشكوراً – صديقي الأستاذ عبد الملك المقحفي، ومع ذلك فإني لم أستفد من هذا «الفيلم» حتى أتى صنعاءَ الأستاذُ فرانسوا أحد الطلبة الجادين من فرنسا وطلب مني موضوعاً لرسالته الجامعية فاقترحت عليه أن يكون حول صلات اليمن بالهند في عهد المتوكل على الله اسماعيل سنة ١٠٥٤ – ١٠٨٩ فأعجب بهذا الموضوع وأخذ في دراسته بعزم وعناية، وكنت خلال ذلك أمده بما يوجد معي من مراجع حول هذا الموضوع، وقد أراد أن يكافئني على خدمتي له في هذا الشأن فقام بتصوير الميكروفيلم المشار إليه في أوراق تقرأ بالعين المجردة.

ولله الحمد فقد أتى التصوير واضحاً جيداً على الرغم من رداءة تصوير الفيلم، وذلك بمعالجة زوجته – المتخصصة في هذا الفن – وجاء مصطحبا به من فرنسا في أوراق كثيرة بلغ عددها نحو ١٥٠٠ ورقة فقمت بمباشرة العمل. واستأنفته في أوقات كثيرة متقطعة. والحمد لله أولاً وأخيراً

عبد الله بن محمد الحبشي

صنعاء ١٤ ربيع الثاني سنة ١٤١٣هـ .



1

الجزء الأول



بسم الله الرحمن الرحيم

● الجزء الأول ●

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم النبيين وآله المتبعين له في الدين وأصحابه الراشدين .

أما بعد فهذا تاريخ ما جرى من الحوادث والأخبار في زمـاننا وما بلغ الينا أثبتناه في هذا الكتاب لما فيه من الاعتبار لأولي الألباب والأبصار :

كتاب يحاكي الدر انتظامه وجواهر ألفاظه ألوانه(*)

وقد توسعت فيه على أصله[١] وضمنت فيه ذكر تراجم أهلـه . فأقول والله الموفق : لما خرج عساكر السلطنة [٢] من مدينة زبيد وتهامة بعد ما جرى من الحروب العظيمة والخطوب الهائلة الجسيمة كما سبق [٣] تحقيقه في الأصل .

بذكر صفته وتاريخ من راح [٤] من النفوس والأموال من الجانبين فيها ما يكثر عدده من أول القرن الحادي عشر إلى هذا التاريخ ، فكانت فتنة [٥] رأس الألف رأس المائة الحادية عشرة وكذلك ما اتصل بها من فتنة الشاه عباس بالعراق [٦] ، ولقد وصف لي بعض الفقهاء (وهو الفقيه عبدالعزيز بن عمر بن عبدالعزيز بهران [٧])[٨] انه شاهد هو وجماعة مكتوباً في جبهة رأس تركي من الذين قتلوا في غزوة النخل[٩] لا إله إلا الله محمد رسول

(*) كذا في الأصل .

(١) يعني كتاب أنباء الزمن للمؤلف .

(٢) يعني الدولة العثمانية التي كانت تحكم اليمن .

(٣) انظرها في مختصره غاية الأماني «٧٦٩ - ٨٣٩» .

(٤) الكلمة في الأصل مطموسة وأثبتناها بالمعنى .

(٥) كذا يرى المؤلف رحمه الله أن قيام جدّه على العثمانيين - وهي الخلافة الإسلامي - فتنة .

(٦) وذلك لقيامه على الدولة العثمانية ،أنظر في ذلك « تاريخ الدولة العلية » لمحمد فريد بك : ٢٧٢ط النفائس .

(٧) لم أقف على ترجمته وهو غير عبدالعزيز بن محمد بهران المتوفى سنة ١٠١٠هـ « ترجمته في ملحق البدر الطالع» .

(٨) زيادة من هامش الأصل .

(٩) وهي المعركة التي وقت سنة ١٠٤٤هـ بين مصطفى باشا وحسن الإمام القاسم في وادي زبيد «انظرها في غاية الأماني :٨٣٧» .

الله ، وتكافأت حروبهم من الجانبين ، لا تحصل قتله في جانب إلا وحصل مثلها في الجانب الآخر ، هذه قتلة وادي الد واهب[1] في الشام وهزيمة جنود جعفر باشا قابلها قتله الشقات [2] فراح كثير من أصحاب الإمام القاسم ، وقتل فيه ولده علي بن الإمام واهتزم الباقون .

ولما حصلت قتلة غارب أثلة [3] في بلاد عذَر . ونواحي شهارة في الأتراك وهزيمتهم الى خمر ، تعقب ذلك قتلة أصحاب الإمام بِرحبان [4] جميع المحطة التي فيه وهم قدر ستمائة وفوق ، لما خرج عليهم عساكر السلطان من صعدة وحاربهم أهل الخيل من الورى ، والعساكر من جهة صعدة ،كما سبق ذكره في أصل هذا التاريخ[5] .

وقتلة أنود[6] بضلع كوكبان في عساكر السلطان ، قابلها قتلة الجرب الكبير بقاع صنعاء ما بين أصحاب الإمام وعساكر الباشا حيدر ، فراح من أصحاب الإمام كثير في جبل نقم وفي القاع والحفا ، وقبل الظبر ، وكان حرباً عظيما واهتزم أصحاب الإمام إلى حدة .

قتلة بحدّ المخيرب[7] باليمن الأسفل في عساكر السلطان ، قابلها القتلة العظيمة في المصفرية فإن جميع المحطة من أصحاب الإمام قتلوا فيها وهم كثير ، قيل قدر ثلاثة آلاف وقيل قدر ألفين ، وقتل فيها ابن شمس الدين رئيسهم وانتهبوا جميع المحطة وكانت قصة كبيرة وفعلة جسيمة وهذه هي القتلات الكبيرة ، وأما سائر الحروب فهي متكافئة في ذات بينهما ، وطالت تلك الحروب والفتن مدة من السنين إلى هذا التاريخ ولما انقضت تلك القضايا والحروب ، وزالت تلك الفتن والخطوب ، وحصل الاستيلاء على مدينة زبيد وهي آخر مدينة باليمن كانت مع عساكر السلطان ، وكان قد دخلها شرف الإسلام[8] بعد الفتح لها ، وعَزْم مصطفى من المخا بعد عزم

---

(١) أنظر تفاصيل هذه المعركة في الـ « النبذة المشيرة » : ٣٦٨ .

(٢) أنظرها في الـ «النبذة المشيرة » .

(٣) من أشهر المعارك بين الإمام القاسم والعثمانيين أنظرها في غاية الأماني :٤٠٨ والنبذة :٣٧ .

(٤) أنظرها في النبذة : ٣٧٢ وهس بين الحسين والد المؤلف والأمير حيدر ، ورحبان واد عظيم في الجنوب من صعدة بمسافة ٣ كيلو متر كان قائماً به سد الخانق « معجم البلدان اليمنية للمقمفي :٢٦٤» .

(٥) يعني أنباء الزمن (مخطوط) .

(٦) سنة ١٠٢٦هـ بقيادة المؤلف الحسين بن الإمام القاسم « غاية الأماني :٨٢١» .

(٧) أنظر غاية الأماني :٨٣٦ .

(٨) يعني الحسن بن القاسم بن محمد .

قانص[1] كما سبق ذكره[2] طلع شرف الإسلام الحسين بن القاسم من تلك الديار الى الجبال العليا فوصل ضوران بنية الاستقرار ، وكانت طريقه وادي رماع فسكن فيه ، وأما صنوه شرف الإسلام الحسن بن القاسم فإنه دخل مدينة زبيد وصام شهر رمضان ومن معه من الأتباع[3] والعبيد والعسكر العديد ، ثم قرّب أعمالها وجعل فيها متولياً السيد الشريف هاشم بن حازم المكي من أشراف بني حسن أشراف مكة آل قتادة[4] .

[وولّوا جميع البلاد وجعلوا الأمر إلى الوالي ورسموا عليه تسليم المطالب بالأمانات فزاد الولاة ونقصوا وغيروا وبدّلوا وخلّطوا بعضهم الأوقاف والمطالب بالصوافي في بعض جهات كجهات صنعاء فإن أوقافها في كثر من نواحيها خَلَطوها بالصوافي وقبض الجميع ناظر الأوقاف كحواز صنعاء وكانت سابقاً مفصولة عن الأوقاف مفرودة ، وكان على اليمن ولاة مقطعون بمال معروض فيه حقه مما زاد من بعدهم ولما طلع شرف الإسلام الحسن إلى ضوران من زبيد وصنوه][5] واهتموا فيه بالإحياء والزيادات في أعمال البناء فأحيوا مآثر حِمْير في هذا العصر وقد كانت دثرت من قديم الزمان وصارت في خبر كان .

ودخلت سنة ست وأربعين وألف

وفيها : تم عمل استخراج غيل[6] الوريد وسعى في الروضة بعد الجهد الجهيد والعمل فيه والبناء الأكيد ، وكان المتولي في عمله السيد محمد بن عبدالله العياني وكيل شرف الإسلام الحسن بن القاسم وجعل شرف الإسلام ولاية بَنْدَر المخا إلى الفتى سعيد بن ريحان[7] ، وبندر اللحية للفتى سعيد المجزبي[8] .

وفي هذه المدة :كتب الإمام المؤيد إلى صنوه شرف الإسلام الحسن بن القاسم يوصيه ويأمره بكتاب فيه طول : في اعتماده عليه في السيرة في الناس ومما ذكره

---

(١) كذا في الأصل ، وهو قانصوه والي اليمن من قبل الأتراك وصل إليها سنة ١٠٣٩هـ «غاية الأماني :٨٣١» .

(٢) أنظر غاية الأماني :٨٣٨ .

(٣) الأتباع والتوابع جنود شعبيون يتبعون المشار إليه .

(٤) ينتسبون إلى أبي عزيز قتادة بن إدريس بن مطاعن من أشراف مكة وفاته سنة ٦١٨هـ «عمدة الطالب :٢٣٩» .

(٥) زيادة من هامش المخطوطة بخط المصنف .

(٦) الغيل : الماء الجاري على وجه الأرض .

(٧) من الأمراء في ذلك العصر أنظر أخباره في طبق الحلوى :١٣٣ و٢٣٢ و ٢٦٢ و ٢٩١ .

(٨) من أمراء ذلك العصر أنظره في طبق الحلوى : ٩٠ و ١٣١ و ٢٦٠ و ٣٣٢ .

فيه[1] : أن يتواضع لله تعالى ، وترك مناهيه وإيثار طاعته في جميع أعماله ، ولا يتطاول على أحد من الخلق فما منهم إلا من جعل الله له حق واجب ، وهم طبقات أوّلهم : أولوا العلم فيراعى حقّهم بالتوقير والتمييز لهم بالإجلال على الجم الغفير ، قال : وأرباب البيوت القديمة والأحساب الكريمة فقرر محالهم وارفع منازلهم ، واقبل شفاعتهم وانفع سائلهم مالم يضع بذلك حداً من حدود الله أو يغير حكماً ، ثم عليك أن تحسن صحبة من معك من الجند ، وأن تكثر عرضهم لا سيما في كل اثنين وخميس ، وأن تنزلهم منازلهم ، وتوقّيهم تقاريرهم ، وليكن ذلك وما يصير إليهم من العطاء على حسب ما لكل منهم من الصبر والبلوى لا على قدر المحبّة والهوى ، وكذا من معك من الجند والحاشية عن التخطي إلى ظلم أحد أو مساءتهم بأذية ، وتولَّ امامة جماعتهم وحافظ على أوقات الصلاة وواجباتها المحتومة ، ووضع كل موضعه من الرعية وأكد عليهم الأمر بإقامة الزكاة ، ثم اجعلها في دار بيت المال والعدل في الرعية ، وعليهم تسليم الحقوق من الأموال على وجهها ، والمعاون من سلم منها طيّبة نفسه . ومن أبى فخذها منه كرهاً ، ولو علمنا براءة ذمة الناس وتخلّصهم عن المظالم والحقوق في المواريث والمعاملات وترك الربا لكان علينا أن نأخذ شيئاً للدفاع[2] عنهم ، فكيف والحال هذه ، وأن الواحد منهم إذا حافظ على حق وتخلص منه أخذناهم[3] والأكثر منهم محل الجميع وحيث قد يعين أخذ شيء منها فإنما يؤخذ للدفاع فيوضع في أهله وهم المتجندة[4] ، وعليك أن تنظر صلاح معايش رعيتك بتعريف [5] التجار والتخفيف عنهم وعدم إيحاشهم ، وطلب ما في أيديهم ، فقد قال تعالى ﴿ولا يسألكُمْ أموالكمْ * إن يسألكموها فَيُحْفكمْ تبخلوا﴾[6] وإزالة الرسوم الجائرة والأوضاع المجحفة وأن تجعل الأناة نصب عينكَ وأن تستشير كلا من أهل التجارب على انفراده فإنه أحرى أن يفيض إليه المشار خلاصة اجتهاده ، فإن اختلفت الأنظار رجعت إلى الاستخارة » إلى آخر ماذكره . وهذا

---

(١) أورد ملخصه صاحب طبق الحلوى (في حوادث سنة ١٠٤٦هـ) :٥١ .

(٢) هذه اللفظة مطموسة بالحبر الأسود وقد كتبناها ظناً .

(٣) كذا كتبناها اجتهاداً والكلمة غامضة .

(٤) كذا تقرأ بالجيم والنون وهم المنخرطون في الجندية وبالحاء المهملة والباء بدل النون في كلام أهل صنعاء . المورطون في مصائب كبيرة كالذي يلقي بنفسه من رأس الحيد والجبل ، والله أعلم .

(٥) كذا تقرأ وقد تقرأ تغريق .

(٦) الأيتان ٣٥ و ٣٦ سورة محمد .

خلاصة كتابه .

وفيها - أو ظناً قبلها - مات السيد الشريف صلاح الحاضري السراجي[1] كان المذكور على اسمه حاضري يستحضر الجوابات ، ويوافق بأقواله وألفاظه المرادات أديباً المعيا ظريفاً حسن الأخلاق مُسَلَّماً ، ولذلك كان له وجاهة عند جعفر باشا[2] ومحمد باشا[3] لحسن محاضرته وأدبه وحالاته ، وله الطرف والاستحضار[4] وللباشا جعفر إليه سؤل في . . .[5] فيها جعفر باشا شعراً :[6]

ماذا يقول إمام العصر في رجل ... أضحى قتيل الهوى والأعين النجل

فهل يجوز له يوماً يعانقه ... ويشفي النفس من قول بلا عمل

وهل يجوز له إحياء مهجته ... برشف محبوبه بالضم والقبل

فأجاب عليه السيد جمال الدين صلاح الحاضري بقوله :[7]

إن صح دعواه في إتلاف مهجته ... وإن رشف اللمى يبري من العلل

فليرشفن رضاب الثغر[8] ملتمساً ... فرشف محبوبه أحلى من العسل

وذاك في ملة الإسلام أهون من ... قتل امرء مؤمن بالله والرسل

وكان مثل هذا في مدة الدولة[9] لا يستنكر ، موافقة لمذهب الظاهرية لأن عندهم أن التقبيل والنظر بشهوة والمقدمات جائزة ، ثم بعد ذلك في مدة حيدر باشا تعدّى إلى غيره كما ظهر واشتهر ، وزاد على ذلك في أيام حيدر باشا اعتماد الشراب والمجاهرة به له ولسائر الأجناد ، وكان إذا خرج إلى الروضة أمر اليهود ببيع الخمر في الأسواق ، وكان الباشا وممن مضى قبله لا يجاهرون بذلك ولا يعتمدونه ، وكان إذا وجد الجندي أحداً راكباً في الطريق أنزله من فوق دابته أو جمله وركب عليه وصاحبه يسير معه حتى يصل

(١) طبق الحلوى : ٥٢ .

(٢) أحد ولاة العثمانيين على اليمن من سنة ١٠١٦ إلى سنة ١٠٢٥ .

(٣) من ولاة العثمانيين على اليمن من سنة ١٠٢٥ إلى سنة ١٠٣١ .

(٤) هنا ضرب المؤلف على نحو ثلاثة أسطر لم يتبين منها شيء .

(٥) لفظة دخلت مع الأسطر السابقة المضروب عليها .

(٦) الأبيات في طبق الحلوى : ٥٢ وهي ليست للمذكور .

(٧) الأبيات في طبق الحلوى : ٥٢ .

(٨) الأصل : « فيرشفن رطباً من ثغر مبتسم » ، وأثبتاه من طبق الحلوى .

(٩) يعني الدولة العثمانية .

منزله ، ومنهم من يُسَخِّر ظهر القبيلي يحمل حوائجه ، وقد يحمله على ظهره ، وكان ظهر في أول الدولة بعد زوال حيدر باشا بعض بواقي ممن كان من أصحاب حيدر وخدم مع غيره ، ومن غيرهم من الجند والعسكر مثل ذلك مع آلة اللهو والطرب ، وربما ظهر الشراب العرقي[1] يشترونه من اليهود ، وكان من ظهر عليه ذلك أدبته الدولة ، وأقيم عليهم الحدود الشرعية حتى تقالل[2] ذلك .

وفيها : قتل خواجا[3] بصنعاء على سبب ماله ودراهمه واتهم بقتله السيد هادي بن أحمد الشامي ، وعبدالله صاحي من شمات[4] فأدبوا بالحبس المرير ، ولم تقم عليهم البينة .

وفي هذه المدة : قتل شريف من الصوفية قيل من بني العيدروس . . .[5] .

وفي أول زمان الإمام المؤيد بالله : وفاة السيد محمد بن عبدالقادر الشريف الحسيني الملقب مقاطعجي[6] .

وفيها : وفاة الفقيه المنجم عبدالله بن صلاح عنقوب[7] ومات أيضاً الفقيه عبدالقيوم الرغيلي المنجم[8] .

. . . .[9] أحمد الوادي الهندي الأصل الصنعاني خرج من الهند إلى اليمن أبوه أو جده والمذكور ، صاحب ثروة في المال وبركة في الأرباح والثمرة ، وكان له مقام عند الباشا سنان وغيره في أيامه مع شدة بأسه لمن عارضه ،فإن أحمد الوادي كان إذا أمر الباشا سنان بقتل أحد بادر المذكور بالمفاداة له وببذل المال ، فكم من نفس استنقذها من القتل ، وكم من خير وشفاعة عنده فعل ، كان مع تحريج سنان على أهل الأموال والمصادرة له في الطلب من المال لم يتفق له مع أحمد الوادي ، بل كانت شفاعته

---

(١) العرق : يطلق على شيء من الشراب ، وهو مسكر جداً .

(٢) تقالل : من كلام المؤلف : غدا قليلاً .

(٣) الخواجا :والخواجة :كلمة تجمّل يلقب بها التجار ونظائرهم ، أعجمية بمعنى معلم والجمع خواجات .

(٤) جبل من بلاد الطويلة بالشمال الغربي من صنعاء ويعرف بحصن شمات .

(٥) الخبر في الطبق : ٥٣ .

(٦) مترجم له في : سلافة العصر لابن معصوم : ٤٥٧ ونفحة الريحانة ٣ :٥٤٣ ضمن شعراء اليمن ، والخبر في الطبق :٥٣ .

(٧) طبق الحلوى : ٥٤ .

(٨) طبق الحلوى : ٥٤ وسيعيد المؤلف وفاته سنة ١٠٥٤ .

(٩) أول السطر مضروب عليه لم نستطع تبينه .

عنده مقبوله في ذلك الزمان الماضي ، وكان قد أهم سنان بقتله والفتك بـه لكثرة ما صار يدفعهم[١] ممن رسم عليه وما صار يبذله في الشفاعات لديه ، حتى أنه رأى في منامه ما صدّه عن الإيقاع به ، قال الراوي : إن الرؤيا له كانت بإقبال شخص في يده حربة يقول له : إن أوقعت بأحمد الوادي وقعت فيك هذه الحربة واشتهر وكثر به الخبر أن أحمد الوادي هذا كان أولاً له سبب[٢] ضعيف حقير ، ولا يملك من المال ما يذكر مثله ، بل كان لـه حمار يسافر به إلى سوق شبام بتلك الأيام ، فاتفق وقوع مطر عظيم في وادي تعود[٣] عبر فيه سيل فخرج منه من خرج من المسافرين ، وكان رجلاً ضعيفاً لا يقدر على العبور فهتف بأولئك الجماعة يخرجونه[٤] فلم يساعدوه ، ولم يخرجه غير أحمد الوادي فلما أنقذه من ذلك الوادي وعبر به عن ذلك السيل الجاري جازاه بالدعاء له بالجاه المكين ، ووسعت المال والمباركة فيه على كل حال ، فمن يومئذ فتح على المذكور من حيث لا يحتسبه وطفح عليه البركات في كل ما جمعه ، وكان له الجاه عند سنان باشا والصدقات الحسان .

قال الراوي : وكان داره شمال صنعاء باليمن عند مسجد الأخضر[٥] قريب باب شعوب ، وكان لقرب ذلك المسجد منه فيه صلاته ، ومن وفد إليه أحسن إليه صلاته ، وأنه ظهر مع جماعات من جيرانه أنه يوافقه الخضر فسأله بعض جيرانه أن يريه الخضر فقال له : هو يصلي في مسجد الأخضر في بعض الأوقات عند الضحى فسأله بالله أن يريه فقال : وقت صلاة الضحى ارصده فالخارج من المسجد هو ففعل ذلك فخرج من المسجد رجل في صورة رجل يعرفه فقال : ما خرج إلا فلان ، ثم سأله مرة أخرى ، فقال له مثل ذلك فوجده فخرج ذلك الوقت الذي عيّنه رجل في صورة شاوش تركي فجاء إلى الوادي يخبره وقال : ما رأى : فقال الوادي : ذاك الذي رأيت هو هو ولكنك حرمت معرفته ، وكان يتصور في صور مختلفة أعني الخضر عليه السلام[٦] .

---

(١) كذا تقرأ اللفظة وربما كتبها هكذا « تدفعه حر » .

(٢) سبب : عمل يتسبب به للرزق .

(٣) نسبة إلى قرية بالبون .

(٤) الأصل يخروجونه .

(٥) مسجد الأخضر : من المساجد العامرة بصنعاء في الجهة الشمالية الشرقية بالغرب من باب شعوب إلى جهة الزمر والسوق « مساجد صنعاء : ٩» .

(٦) للعلماء بحث طويل حول مسألة الخضر ومنهم من أنكر تعميره ولهم في ذلك مؤلفات كثيرة منهم ابن حجر العسقلاني والحسين بن عبدالرحمن الأهدل من علماء اليمن وغيرهم .

ودخلت سنة سبع وأربعين وألف

اجتمع شرف الإسلام الحسن والحسين وسارا من ضوران إلى صنعاء فكان دخولهما في جموع عظيمة وجنود واسعة وخيول كثيرة وأعيان وأشراف وأمراء وأعراب من عرب وعجم ، ومن تبعهم من الجهات ، وكان الدخول بصنعاء ضحوة النهار على أعلى مكان سارحاً من ريمة[2] سنحان والأعلام منشورة ، والصناجق مرفوعة وخلفه منصوبة والخيل مصفوفة وطبل خانة[3] ومزامير مضروبة في أبهة ملوكية وخيالة هاروتية[4]فاستقر الحسن بمدينة صنعاء اليمن ، وخرج في خريفها إلى الروضة ، فأقام فيها وسكن ، وأما صنوه الحسين فإنه لم يلبث أن عاد إلى ضوران ، ولم يرغب إلى سكون المدينة والبستان .

وفيها : وصل ضياء الدين إسماعيل[5] بن أمير المؤمنين القاسم بن محمد إلى حضرة صنوه الحسن وهو بصنعاء لتقاصر الأمور عليه والحاجة الماسة لديه وعدم الكفاية من صنوه المؤيد بالله بشهارة ، فأكرمه صنوه الحسن بالإنعام وأمده ما طلب من الإفضال التام كما هو عادته إلى جميع الأنام وقرر له وأصحابه من السبار[6] ما لا يخطر ببال ولا يظن أنه يحصل إلا ما يقوم بحاله ، وزوجه في داره ببنت زوجته هي أم ولده علي بن إسماعيل وما زال باقياً حتى توفي شرف الإسلام الحسن ثم عاد شهارة . واتفق هذه الأيام بينه وبين السيد العارف محمد بن عز الدين المفتي[7] رحمه الله مراجعة حال القراءة على السيد في «الفصول» للسيد إبراهيم[8] ، وكانت القراءة لشرف الإسلام الحسن وصنوه إسماعيل معهم ، فلما وصلوا إلى مسألة الرجا وما نقله السيد إبراهيم بهوامش الفصول عن الفقيه قاسم بن أحمد المحلي[9] من الغرر والحجول وبيض حولها أجاب

---

(١) ويقال لها : ريمة حميد من قرى سنحان على مقربة من مدينة صنعاء من الناحية الجنوبية .

(٢) طبل خانة : كلمة فارسية معناها فرقة الموسيقى السلطانية وتشتمل على الطبول والأبواق وغيرها « التعريف بمصطلح صبح الأعشى : ٢٢٨»

(٣) كذا تقرأ هذه اللفظة بعد الإصلاح من قبل المؤلف ولعلها أيضاً «قارونية » فيحقق ، قلت لم نجد هذه النسبة في ثمار القلوب للثعالبي .

(٤) هو المتوكل على الله بعد ذلك .

(٥) السبار : الطعام المصنوع الجاري .

(٦) من علماء اليمن ترجمته في (مصادر الفكر : ١٣٩) ووفاته سنة ١٠٥٠ .

(٧) هو العلامة إبراهيم بن محمد بن عبدالله الوزير المتوفى سنة ٩١٤ وكتابه يسمى «الفصول اللؤلؤية في أصول الفقه» منه عدة نسخ خطية أنظر (مصادر الفكر الإسلامي في اليمن :١٧٧) .

(٨) من علماء القرن الثامن (أنظره وكتابه في مصادر الفكر : ١٢٧) .

المذكور فيها فنقضه السيد محمد المفتي وردّها وقرر كلام الفقيه قاسم المحلي .

وفي هذه السنة أو غيرها مما يليها : كتب الإمام إلى إخوته رسالة محبرة وألفاظ منمقة مضمونها أمرهم بأخذ الزكاة من القليل والكثير في الحبوب والمخضرات وجميع الأقوات وذكر فيها : أن على الناس تضمينات ولا يكادون يتخلّصون عن الواجبات وأنه لو علم تخلّصهم عن الواجب ما زاد عليه ولا قبض غيره مما إليه .

وفي هذه السنة أو غيرها : ظهرت نار على بعض الجبال في بلاد حجة في مكان عال بقيت أياماً واستمرت ، ثم بعد ذلك ذهبت وطفت آية من آيات الله التي يخوّف بها عباده ﴿يا عباد فاتّقون﴾[1] .

وفيها[2] رأيت امرأة وأنا في سن الصبا دون التكليف فإذا لها لحية طويلة وثديان أرتني إياهما وذكرت لي أنها امرأة . وهذا من النّوادر العجيبة والمخلوقات الغريبة .

وفي هذه المدة : أدب المؤيد بالله الشاربين للتتن[3] لما كثّر الناس منه وانهمكوا فيه وأمر بتحريق بعض شيء منه في بلاد كوكبان فحرقوه ذلك الأوان لوَهم طرأ مع المويد في تحريمه لا أصل له ، وكان يحرج على من شربه أو ظهر معه ويَكسر مديعه[4] وما يشرب به في أسواق حضرته كشهارة ، ولكنه لم يتم ما أراده فإن الناس شربوه ولم يتركوه ، وهو لم يبالغ في التحريج فيه غير بوادر يسيرة في أوقات قليلة ، ولم يكن لتحريمه دلالة بل غايته مجرد الكراهة كما حققت الكلام عليه في مصنفة[5] حافلة والله الموفق .

وفي أواخر هذا العام : عاد شرف الإسلام الحسن بن الإمام الى مستقر عزه ضوران وجعله مستقراً للسكون وزاد في الأبنية والإحياء للأموال في تلك الشعاب والجبال ، ورغبت أهله لذلك وعودهم الى مالهم هنالك بعد أن كان أخافه قبائل الحدا في الزمان السالف ، وتوحشهم فيه كالسباع الضارية وأخافه الخائف ، واستولوا في تلك المدة

---

(١) الآية ١٦ سورة الزمر .

(٢) لم ينقل هذا الخبر صاحب طبق الحلوى .

(٣) التتن : لفظة تركية معناها الدخان (معروف) .

(٤) جمع مداعة ويجمع أيضاً على مدائع وهي الآلة التي يشرب بها الدخان المذكور وتسمى عند بعضهم بالنارجيلة .

(٥) هي كتاب المؤلف المسمى «المستخرجات البينات على تحليل الأشياء المستعملات كالقهوة والطباق والقات» نشرناه ضمن ثلاث رسائل في القات .

على كثير من أملاك أهل ضوران غصباً وعدواناً وقهراً لأهله ، وامتحاناً لأجل ما جرى في اليمن من الفتن ، وتقلّب الدول فيه مع الحروب الجارية والإحن ، فتراجع أهله يومئذ من البلاد وتصرفوا في أموالهم بغير مانع ولا راد ، وأقيمت الشريعة وأزيل عنهم الغلب من تلك القبيلة ، وما زال تقوى هذه البلاد في مدة الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن أمير المؤمنين لأجل سكونه أكثر أيامه فيه .

وهذا الحصن من المعاقل العظيمة والجبال الشامخة العالية المنيفة ، أصل أساسه من الملوك الحميرية .كما ذكر في الكتب التاريخية[١] بأنه أسسه وبناه وشيده وأعلاه الملك الكبير ذو مراثد .و وجدنا بقية آثار حجهارهم[٢] وبناءهم في الصخرات العظام باقية الى هذه الأيام لم يبلها الجديدان[٣] والأعوام .حتى أن صخرة واحدة بني عليها منظرة[٤] كاملة عبرة لمن اعتبر كما قال قائلهم :[٥]

إن آثـــرنا تـــدلّ عـلــينـا فانــظروا بــعــدنا إلى الآثـــار

ولما طافه شرف الإسلام وكان معه السيد الأديب عيسى بن لطف الله بن المطهر بن شرف الدين[٦] قال السيد المشار إليه للسيد الحسن المسمى : هذا أرض في سماء ، لأجل ما رأى من وسعة الحصن ورحابته وعلوّه في السماء وفسحة سمكه ، وفي أعلاه المزارع والأطيان والعيون الجارية في جميع الأزمان ، وإذا وقع المطر عليه غالت[٧] أرضه وتفجرت ينابيعه ولا يحول ماؤه ولا تنضب عيونه ، وقل أن يوجد في الحصون اليمنية مثله مع ما اشتمل عليه من توسطه اليمن من جميع الجهات ، وركوبه عليه ومعرفة صاحبه بما جاء وفات مع أخذه من جانب المشرق والمغرب بأوفر نصيب ، واطلاع مالكه على البلاد البعيد منها والقريب ، مع صحة هوائه واعتدال جوانبه ، وعذوبة مائه ، وكان يسمى في المدة السابقة عند حمير بالدامغ كما يقول ذو مراثد الملك الحارث

---

(١) أنظر الإكليل جـ٨ :٢٣١ .

(٢) كذا ولعله سبق قلم صوابه (حجارهم)

(٣) الجديدان : الليل والنهار .

(٤) منظرة : غرفة مرتفعة في البناء .

(٥)من شعر تبع يصف صنعاء « الإكليل :٨ :٥٦ » .

(٦) أديب ومؤرخ وفاته سنة ١٠٤٨ « طبق الحلوى :٦٣ » .

(٧) غالت بالغين المعجمة : أي تفجرت بالغيول المائية .

الـرائـش في قـصـيدته في صـفات المهدي المنتظر الذي يخرج آخر الزمان فقال :[1]

ومن مركبان يركب الأرض عربد[2]   ودامـغ أعنـي ذا الأدجه[3] يعمر

وفيها : مـا زال شـرف الإسلام الحـسن بجـهات ضـوران يـقـيم الأموال ويغرس البن في الأودية القريبة تحت الحـصن في النابحة واسـتقر أيضاً بجبهان[4] أياماً في الحيام ، أقام فيه المال ، وكذلك صنوه الحسين استقر بالصافية بذي ثهلان سفال قاع بكيل .

وفيها : دخل الى اليمن كتاب « التذكرة » في الطب للشيخ داؤد بن جمعان[5] المتطبب المكي وكان ابتدأ تأليفه لها في شهر ربيع الآخر سنة ست وسبعين وتسعمائة ، وله شرح منظومة القانون .

وفيـها - أو غيرها - مـات الحاج علي الذماري من أصحاب الإمام القاسم بن محمد وأمنائه وأعوانه وخدامه وأتباعه والسائرين على طريقته من أول أيامه ، ومن جملة ما حفظ من روايته أن قا : كـان الإمام القاسـم في أول دعوته يتوارى ببرط في الكهوف والجبال وحده خوفاً من الطلب لما كثر لـه وكان لا يعرفه أكثر أهل وقته ، فاتفق له وهو متوار في جرف عند غيل وإذا هـو يسمع نسـاء وردن المنهل يتحادثن في صفات الرجال ويسألن بعضـهن بعضاً عن آلتهم مـاهي ؟ وكـان منهن عجوز تصلي قـال : فلما تـمت الصلاة قـالت لهن : هـو عصب[6] عصب قال : فغلب الإمام الضحك من ذلك وهن لا يشعرن به في الجرف .

وفيـها : استقر شرف الإسلام الحسن وصنوه الحسين بضوران وأقاموا فيه الأموال وأحيَوا فيه الأودية بالأبنان ، وكان شرف الإسلام الحسين يستقر أياماً في وادي النابحة مع ضعف هـوائه ووبائه ، وكذلك صـافية ذي ثهلان محبة في المال والتشاغل بالأعمال لما حصل في النفس من ذلك الإنكسـار ، وأما صنوه الحسن فـاستقر بالحصن حازة جبل ضوران . وهو مكان منزه عن الوباء وأطيب من تلك الأماكن السفلى .

---

(١) الإكليل :٨ :١١٦ .

(٢) الإكليل :عن يد .

(٣) الإكليل :ذو الأجبة .

(٤) من قرى ضوران(أنظر التوزيع السكاني ٥ :١٧) .

(٥) كذا عند المؤلف صوابه داؤد بن عمر البصير ولد بأنطاكية ورجل إلى الأناظول ودمشق والقاهرة وتوفى بمكة سنة١٠٠٨ من أشهر كتبه التذكرة في الطب وهو مطبوع منذ مدة (خلاصة الأثر٢ :١٤)

(٦) العصب :أطناب المفاصل (معروف) .

وفيها : جرت مناظرة بين السيد الحسن بن أحمد الجلال[١] وبين القاضي أحمد بن صالح العنسي بحضرة شرف الإسلام الحسين بالمعرة ووادي النابحة فقال السيد الحسن الجلال : إن الجن لا وجود لهم فأجابه القاضي بوجودهم والقرآن ناطق بهم[٢] .

ودخلت سنة ثمان وأربعين وألف

فيها : وصل إلى شرف الإسلام الحسن بن الإمام السيد الطاهر المغربي المالكي فأعطاه شرف الإسلام عطاءً جزيلاً وأهدى إلى شرف الإسلام نبذة مختصرة من كتاب الجفر[٣] .

وفيها : رأيت فقيراً من فقراء الشيخ أحمد بن علوان[٤] يأكل حنشاً من رأسه حتى بلغ إلى ثلثه أو ربعه وطرح باقيه وهو حال أكله يذكر الله هو مع جذب وبقي الباقي منه ميتاً مطروحاً مدة حتى أكلته الأرض والنمل على التحقيق بالمشاهدة .

في شوالها : توفى شرف الإسلام الحسن بن الإمام بالحصين رحمه الله ودفن حيث الجامع الذى أسّسه فيه رحمه الله تعالى وكان عمره قدر إحدى وخمسين سنة وكان عنده يومئذ ولده أحمد بن الحسن وهو بأول التكليف في سنة وكان ولده محمد بن الحسن الكبير قد قضى زيارة والده وعاد إلى بلده وولايته مدينة صعدة وما إليها فوصل إلى حضرة الإمام المؤيد بالله بشهارة ثم سار إلى حبور وبلغه وفاة والده فعاد من حبور إلى عمه الحسين بضوران ، وكان يظن هو وصنوه أحمد بن الحسن أن الإمام المؤيد يجعل إليهما أمر البلاد لما في وجوههما من أصحاب والدهما فاقتضى نظره أن البلاد التي كانت مع شرف الإسلام الحسن بن الإمام باليمن الأسفل إلى نظر صنوه الحسين ، وأمر الإمام محمد بن الحسن وصنوه أحمد بالتوقف على رأي عمهما الحسين والإقدام والاحجام في الحل والإبرام ولا يقدمان ويؤخران إلا برأيه ، وكان شرف الإسلام الحسن قد بلغ من الكرم والسخاء مبلغاً عظيماً لم يسمع في المتأخرين مثله عم بكومه الغريب والبعيد حتى إنه لما وفد إليه صنوه ضياء الإسلام إسماعيل بن الإمام وابن أخيه شرف

---

(١) سياتي ذكره .

(٢) هذا الخبر مضروب عليه بخط المؤلف .

(٣) الجفر : هو عبارة عن العلم الإجمالي بلوح القضاء المحتوي على ما كان وما يكون كلياً وجزئياً وقد ذكر طائفة أنه منسوب للإمام علي بن أبي طالب وضع الحروف الثمانية والعشرين على طريق البسط الأعظم في جلد الجفر « كشف الظنون : ٩٥١ » .

(٤) هو من أشهر مشاهير الصوفية باليمن توفي سنة ٦٦٥ « أنظر طبقات الخواص :١٩ » .

الإسلام الحسين بن المؤيد بالله أكرمهما وقرر لهما من الغزير الفائض الذي لا يفعله غيره فلازماه حتى مات . . وكان جميع ترتيبه وأفعاله ترتيب السلطنة في الشاووشية والخاسكية والصَّناجق ونوبة شية[1] واحتفاله بالأمراء وتنزيلهم منازلهم عنده على الأكمل الأوفى . . . وفي كتاب كتبه السيد أحمد الشرفي جواباً على شرف الإسلام الحسن بن القاسم يقول فيه : وبعد فوصل كتابكم وهو الثاني الذي هو جواب على الكتاب الأول الذي أجيب به عليكم وذكرتم ما اقتضاه الحال من الحاجة إلى الأموال الجملية وبعض التفصيلية ، وعاد المطلوب من النّصف كما كان ، ووصل كتابكم وأنا في معمرة والأمور الجملية ما أظن المولى أيده الله يمنع منها لأنها مصالح للمسلمين إن شاء الله إلا حيث يكون في شيء نقض لما أبرم وذلك مما لا يقع فيه اختلاف إن شاء الله وأما الأمور التفصيلية فلا أدري ما أقول في ذلك ولا من أين جاءت هذه المنافسة والمضايقة وأنت أمتع الله بك كريم الأبوين جدك أبو أمك زاهد زمانه كان قوته في كيسه بالميزان عونة واحدة في اليوم فَرّغ نفسه لعبادة الله في المساجد الخالية ورفض الدنيا وبعد عن أهلها حتى عن أهله وأولاده فكان يوتى في بعض الأموال بقوته من كوة في المسجد لا تسع غير الإناء الصغير ، وقد كان قام بالحسبة لما قال له أهل الشرف الأسفل إن مرجان شاووش وعسكر غوث الدين دخلوا على الشرائف في بلاد بوسان وغيره ، وجعلوا وفعلوا فقام بالحسبة هو والسيد علي بن إبراهيم صاحب الجاهلي وقام معهم قبائل الشرف الأسفل وقاتلوا مرجان شاوش وعسكر غوث الدين في موضع يسمى جبل الفائش فوق بني جل وتحت المحابشة فانهزم القبائل ولم يُصْدقوا وقتل منهم جماعة ولاهمة لهم في نصرة الدين إنما همتهم في إزالة مطالب الدولة وظلمهم لمن استضعفوه منهم أكثر من ظلمة الدولة ، فلما عرف ذلك منهم رفضهم بالكلية واعتزلهم إعتزالاً كلياً ولم يناله من الدولة الذين حاربهم مكروه خوفاً لجانبه ، فبقي رحمه الله يتردد في المساجد للعبادة حتى مات وهو يتلو سورة يس ، وأبوك من قد عرفه الناس جمع الله له فضيلة السبق والزّهد فجمع العلم والعمل ببركات تاثيره طاعة الله ورفض هوى نفسه والزهد في الدنيا : فكان أزهد أهل زمانه وأفضل أهل عصره ، فكان يؤثر بالدنيا من يرجو نفعه أو كف ضرره عن الإسلام والمسلمين ، ولم ينل من البسطة

(١) كذا كتبها المؤلف وعند بعضهم تكتب هكذا « نوبتجية » .

مثل ما نلتم وأنتم قد ملككم الله سبحانه من البلاد وأنتم وما نلتم من هذه الحالة الجليلة من حسنات والدكم قدس الله روحه وحسن نيته فلا تجعلوا شكر هذه النعمة الجليلة منافسة ومحاسدة من كلا الطرفين إذا لم يكن صاحبك فكن أنت ، ولا تجعلوا للعدو والعياذ بالله فرصة في وهنكم ووهن المسلمين ولا للناس طريقاً في القيْل والقال والزهد فيكم وابنوا لأنفسكم جميعاً ذكراً حسناً يبقى بعدكم تذكرون به وتمدحون عليه ، وإنما المرء حديث بعده فكن حديثاً حسناً لمن وعا واصرفوا همكم إلى إعلاء كلمة الدين واذكروا قول الفقيه أحمد بن قاسم الشامي[1] حين تعارض المطهر بن محمد بن سليمان والإمام صلاح عارضهم النَّاصر بغير علم يصل به إلى حيث وصلوا حيث يقول :

هلا سألت مطهراً وصلاحا هل حصَّلا للمسلمين صلاحا

انتهى جواب السيد أحمد بن صلاح الشرفي على شرف الإسلام الحسن بن الإمام القاسم وهذا يدل أنه وقع بين شرف الإسلام وبين صنوه محمد بن الإمام القاسم اختلاف أنظار فلا قوة إلا بالله العلي العظيم .

وكان بهجة الزمان وملكاً رفيع الشان . . وكان له همه عالية وعزيمة سامية كأنه نار تتوقد لا يكاد يستقر في بلد ولا يمل عن الأسفار والحروب والعدد ، وكان يكثر الإنفاق مع الإقبال فكذلك أحبّه الرجال وانخرط في طاعته الأبطال .

وفيها : مات السيد الشريف عيسى[2] بن لطف الله بن الإمام شرف الدين بصنعاء اليمن عقب دخوله إليها ورجوعه من جهة اليمن ، وكان دخوله صنعاء عند ساعة توخاها وتوقف حين يدخل اختيارها خارجها ، وكان قد سرى به المرض حال دخولها بعد أن كان بذمار حضرة محمد بن الحسن ، ثم قيض الله وفاته عقب ذلك ، وكان المذكور أديباً محاضراً شاعراً مؤرخاً كثير النوادر والعجائب ، وله التاريخ المشهور من رأس المائة التاسعة إلى زمانه[3] ، ذكر دولة بني طاهر وزوالها وذكر دولة جده الإمام شرف الدين والمطهر بن شرف الدين ودولة السلطنة جميعاً ، وله تاريخ مفرد يخص محمد باشا لأجل مزيد أنسه به واختلاطه وإنعامه عليه ، وكان المذكور له معرفة بعلم النجوم

---

(١) ترجمته في مطلع البدور ١ : ١٦١ وخ غمضان .

(٢) ترجمته في خلاصة الأثر ٣ : ٢٣٦ والبدر الطالع ١ : ٥١٦ .

(٣) هو المعروف بروح الروح ، نشر أخيراً ضمن مطبوعات وزارة الإعلام باليمن (مصوراً) .

والفلك وأحكامها وسنين كواكبها ، وله قصائد في مدح محمد باشا وله أيضاً جمع ما وجده من أشعار محمد بن عبدالله بن الإمام شرف الدين في مجلد ، وقال أنه جمعها من أوراق[1] . . .

ودخلت سنة تسع وأربعين وألف

فيها : كان زحل بالحوت ، واستقر عز الدين محمد بن الحسن بن القاسم بذمار ومال إليه الرؤساء والأعيان الذين كانوا مع والده ومازال مجتهداً في التقريب لهم والبذل والاستمالة والعطاء كل ذلك لأجل حفظ مملكة والده ولأجل لاتزول الرئاسة عن يده وتأهل ببنت الأمير سنبل بذمار وسكن بدار الأمير سنبل فيه ، ومّديده بالأداب وفتح بابه للشكاة من اليمن وجعل الأداب أرزاقا للأجناد مع ما يوفيهم من عنده ، وصنوه أحمد بن الحسن استقر بحصن ذمرمر والغراس .

وفي شهر ربيع الآخر منها : إطلع السيد العارف أحمد صلاح الشرفي على تاريخ الجندي ورأى فيه ذكر ما جرى من المناظرة بين القاضي جعفر بن عبدالسلام وبين سيف السنة تلميذ الشيخ يحى العمراني ، وما ذكره الجندي أنه أجاب على القاضي جعفر بكتاب سمّاه الانتصار ، فكتب السيد أحمد الشرفي رحمه الله إلى الفقيه محمد بن عبدالرحمن الضمدي والسيد هاشم بن حازم المكي صاحب ولاية مدينة زبيد يومئذ أنهم يستعيرون له هذا الكتاب ليطلع عليه وإن يسأل علماء الشافعية عما يقولون في الاعتقاد وعسى إذا كان الخلاف زائلاً حتى قال آخر كتابه هذا ما لفظه : وتفضلوا وأوصلوا هذه الورقة إلى السيد الجليل هاشم بن حازم إلى زبيد فلعل عنده من العلماء من يجيب على هذه المسألة ويتّحد الاعتقاد فنحمد الله سبحانه على ذلك ، والسلام عليكم ورحمة الله انتهى كلامه .

يريد السّيد ما ذكره العمرانى في مسألة خلق الأفعال وما نقض به على القاضي جعفر فيما أورد عليه من الإشكال ، وهذا الكتاب للعمراني مما وقفت عليه وهو جواب على القاضي جعفر ونفى فيه ما رمى به القاضي جعفر أهل السنة من الجبر وهذا مشهور عن محققي أهل السنة صرحوا به في جميع كتبهم المعتمدة من وقف عليها عرف أن الخلاف

(١) هنا نقل المؤلف ما ورد في مقدمة ديوان مبيتات وموشحات للأديب محمد بن عبدالله شرف الدين جمع المذكور والديوان مطبوع عدة مرات .

لفظي فقط والمعنى متفق علي ، وقد حقق ذلك الإمام شرف الدين وغيره والله أعلم .

وفيها أو التي قبلها : وقع صقر قاصداً الحمام التي في سفال منارة صلاح الدين[١] بصنعاء فوقع منقاره بين آجورتين فنشب فيها فبقي كذلك حتى مات ثم سقط إلى الصدح[٢] وشهده الناس .

وفيها أو ما قبلها : توفي الشيخ الصوفي محمد بن عبدالنبي الميموني المغربي المالكي الصوفي وكان استقراره بصنعاء مدة حيدر باشا . وكان قبل ذلك ببلاد ملحان وله مصنفات في التصوف مثل شرح الوسيلة المسمى بالوسيط أنشأها في نظم أسماء الله الحسنى أولها قوله :

باسمك يا الله زدني محبة لذاتك يا رحمن اعرف مودتي

وفيها : عقب ذلك تقدَّم شرف الإسلام الحسين إلى محروس مدينة ذمار فاستقر هنالك برهة وأياماً ، وكان قد أراد النزول في دار التكيّة في حوطة حسن البابا فمنع ابن أخيه محمد بن الحسن وقال : لا يصلح السكون إلا في داري في بيتي والبيت بيتك والولد ولدك إذ ذلك المقام غير مناسب لمثلك فساعده شرف الإسلام وسكن في داره تلك الأيام ، وكان كاتب الأحرف في تلك المدة هنالك وهو دون التكليف فسكن في دار التكيّة ، وهو أول معرفة منه بالبلاد الذمارية ، ثم عاد شرف الإسلام إلى ضوران ومحمد بن الحسن استقر بذمار .

وفيها - أو التي قبلها - : مات رجل مجذوب معتقداً عند العامة يقال له السيد علي ، مكشوف الرأس يتنجس ببوله ، وكان الجزار الكبزري يقيمه .

وفيها أو التي بعدها : وجد شمس الإسلام أحمد بن أمير المؤمنين في دار الكيخا[٣] لقية عظيمة من الذهب الأحمر في باسان[٤] مجلدة تحت دكة في الحجر ، من

---

(١) مسجد صلاح الدين : من المساجد العامرة في علو صنعاء في الجهة الشرقية بالقرب من الميدان « مساجد صنعاء : ٦١ » .

(٢) الصدح : هو السطح على قاعدة كلام بعض أهل صنعاء في إبدال الدال طاء .

(٣) من دور صنعاء المشهورة في ذلك الوقت أسسها الإمام المؤيد محمد بن الناصر محمد المتوفي سنة ٩٠٨ ، أنظر (إتحاف المهتدين :٧٢ وغاية الأماني :٥٩٣) (والكيخيا اسم هذه الدار في عصر المؤلف لعلها منسوبة إلى أحد الأتراك) والكيخيا أيضاً من المصطلحات العثمانية يطلق على مساعد أو نائب عام عن الصدر الأعظم أو الباشا ينوب عنه في كثير من الأحيان وهو معتمد الوالي «الباشا» وكاتم سره) . يعرف أيضاً بـ(الكتخدا) أنظر «لطف السمر جـ١ :١٢٨» هامش .

(٤) الباسان : جوالق غليظة من مشاقة الكتان

دكاك القضاض[١] لما أراد إصلاح شيء ونقضه فيها ، ولعله يكون من عبدالله شلبي لأنه كان مستقره لما حاصره حيدر باشا أيام جعفر كما سبق[٢] أو من قبله والله أعلم .

ودخلت سنة خمسين وألف

وفيها في غيرها : اتفق لثعلب أن ذئبة أكلت أولاد الثعلب فعقل للذئب حتى خرج من بيته ، ثم حمل أجراه وطرحهن في بركة مقصوصة لا ماء فيها من مواجل الغيول القديمة ثم بقي برأس الماجل ، إذ وصل الذئب ولم يجد أولاده فرأى الثعلب على رأس الماجل فاتهمه ، فقصده فقفز الثعلب إلى الماجل بين أولاده لأجل يلحقه الذئب ثم لا يقدر على الخروج من الماجل والثعلب خرج من مفجر الماجل وطلع برأسه يصيح لأجل يقبل إليه الناس فأتوه فرأوا الذئب في الماجل فقتلوه ، والثعلب راح سالماً وقد رضي بما استقضى به . فهذه من عجائب الثعلب التي لا تزال تذكر وتكتب .

وفي شهر ربيع الآخر : طلع شرف الإسلام الحسن من اليمن الأسفل من طريق نقيل سمارة إلى ذمار فلما نزل فيه وحط بأثقاله حصل بين أهل ذمار وبين العسكر فرقة ، بسبب أن العسكر من أهل الحيمة أرادوا النزول في بيوت أهل ذمار وترك الخيمة ، وكان شرف الإسلام قد خرج عند أول الفرقة ،وقال لأهل ذمار : الناس ضيف هذه الليلة ثم يرحلون عنكم ويسيرون ، فقال محمد بن الحسن وهو في جملة الحضرة : يا أهل ذمار دافعوا عن بيوتكم وأهلكم ، فلما سمعوا قوله وما أشار به عليهم في لفظه أغراهم ذلك إلى القتال ، وحثهم علي عدم الامتثال ، فحصلت هوشة [٣] بين أهل الحيمة وذمار ، ثم زال أمرها وشرف الإسلام الحسين حصل في نفسه من ذلك الحين ، وكان قد خرج بنفسه لفك الفرقة وابتدأه المرض من ذلك الوقت من قبيل ذات الجنب في يوم الثلاثاء خامس الشهر المذكور ، وتوفي ليلة الجمعة ثامن الشهر ، قيل أنه شرب عقب دخوله من هوشة العسكر والتعب وذلك سبب الأجل . ﴿ وما كانَ لنفسٍ أنْ تموتَ إلاّ بإذن اللّه كتاباً مؤجَّلاً ﴾ .[٤]

---

(١) القضاض : بفتح القاف والضاد هو الجص المخلوط بالحجارة تكلس به الجدران والأحواض .

(٢) أنظر غاية الأماني : ٧٩٩ .

(٣) الهوشة : الفتنة والاضطراب بين الناس .

(٤) الآية : ١٤٥ سورة آل عمران .

فكان ذلك حادثاً عظيماً ورزءاً في المسلمين كبيراً لما قد تحمله رحمه الله من الأمور وقام به من حراسة أحوال الجمهور ، مع ما جمع من العلم النافع والكرم الواسع ومعرفة منازل الناس وما يستحقونه بقدر المراتب والمناصب ، وكان رحمه الله آخر مدته بعد وفاة صنوه[1] وتحمله لأموره ، قد بذل العطا وأظهر الكرم في هذه المدة الأخرى حتى مال إليه بسبب ذلك أكثر جنود صنوه الحسن ممن كان أولاً قد تعلق بأولاده في ذلك الزمن ، وحضر وفاته إبن أخيه محمد بن الحسن هنالك وقبر حول حوطة الإمام المطهر بن محمد بن سليمان الحمزي واعتنى وصيه الفقيه عماد الدين يحيى بن أحمد البرطي بالبناء للقبة عليه ، وجعل هنالك صرحاً كبيراً ومطاهر وبئراً وبركة جرين[2] جداً [وتثبت في وصيته فأنه أوصى عقب وفاة صنوه الحسن وصية واحدة لم يرجع عنها وأشهد عليها وأوصى بجميع ما خلفه من النقود أنه لبيت المال ، ونصف السلاح ونصف الخيل ، وجعل السدس من ماله لبيت المال عوضاً عما إذا كان في علم الله قد استهلك شيئاً منه مع أن له فيه حصَّة مقابل عمالته فنفذ وصيته الفقيه يحيى بن أحمد البرطي ، وصار كل شيء في محله إلا النحاس والخيام فاستولى عليها صنوه إسماعيل ومنع عن تسليمها لورثة صنوه . فلما مات طولب ولده ووصيه محمد فقال : ما نعلم بشيء][3] وكان نيته رحمه الله في طلوعه هذا الوصول إلى حضرة صنوه الإمام المؤيد بالله والمفاوضة بينه وبينه في أحوال اليمن وما فيه من المطالب الكثيرة والزوائد على الرعايا الجليلة مما يتوجه تخفيفه عنهم وفرض ما يتجه منه عليهم فسبق الأجل قبل ذلك القول والعمل ،ولكن «نية المؤمن خير من عمله » . وكان له في علوم العربية اليد الطولى وكذا في علم المعقول والأصلين[4] وغلب عليه التبريز في أصول الفقه بحيث لم يشق له غبار ، ولم يبلغ الى درجته أحد من أهل هذه الأعصار ،وصنف فيه « غاية السول في علم الأصول »[5] وشرحها في مجلدين واستوفى فيهما الأدلة وتحريرها وتنقيحها وتصحيحها ، واشتغل آخر مدته بالحديث من كتب السنة والعناية بها في أكثر أوقاته في

---

(١) يعني الحسن بن الإمام القاسم وكانت وفاته سنة ١٠٤٨ أي قبل المذكور بسنتين .

(٢) كذا تقرأ هذه اللفظة في المخطوط ولم تتضح لنا .

(٣) زيادة بهامش المخطوطة ألحقها المؤلف فيما بعد .

(٤) يعني بها أصول الدين وأصول الفقه .

(٥) هو عمدة أهل اليمن في هذا الفن وقد طبع في مجلدين ضخمة بمدينة صنعاء سنة ١٣٤٦ .

الباكر والعشية ، وسمع الجزء الأول من صحيح مسلم على الفقيه العارف عبدالرحمن بن محمد الحيمي ، وله تصنيف في عدم اشتراط الإمام الأعظم في صلاة الجمعة[1] كقول الإمام الشافعي رحمه الله وغيره من أئمة السنة ، وله رسالة في النهي عن منع الشافعية من التأمين في الصلاة لما كان قد منعهم بعض ولاة اليمن وهو الفقيه إبراهيم بن سلامة لجهله بالعلم وعدم معرفته لقواعده ومراسمه ونهاه عن التعرض لمثل هذه المسائل الاجتهادية الخلافية بين علماء الإسلام العارفين بالحلال والحرام ، فعند وصول الرسالة إليه تركهم علي ما كانوا عليه ، ودعا لشرف الإسلام أهل اليمن وقالوا : هذا هو العارف بكل فن ، وله اعتراضات علي أساس والده وعلى شرح السيد أحمد الشرفي اعتراضات جيدة ، وكان المذكور آخر مدته وأيامه في مدة حياة صنوه الحسن وأيامه قد صرف بعض العسكر معه إليه وأضافهم إلى نظره ، وجعل المعول في أمره عليه ، لأجل ما جرى معه من صنوه الإمام المؤيد بالله من قبول الواصل إليه من أهل الحيمة وجعل أمرهم إلى وال من قبله ونزع عملهم عن نظره وعتب على صنوه وقال لم يعرف بتعبنا وما صالينا وما كابدناه من الأسفار والسهر في البدو والحضر ، فإذا كان هذا جزاءنا فينبغي أن نترك الحركات ونسكن ونعرض عما فات ونشتغل بالقراءات ، بحيث أنّي مرة طلبته وهو بالصافية من أعمال ضوران بعد انتقاله إليه لأجل هذا الشأن بعض الحاجات والمطلوبات ، فإذا هو يزهدني من الاشتغال بالدنيا ويحذرني من الغرور بها مع ما فيها من البلوى ، وقال رحمه الله : عليك بطلب العلم وأما الدنيا فهي تبع له ولا يفوتك ما قسم لك منها فلو رأيت ما قد قاسيناه لرضيت منها بما قسم الله ، وحكى ما قد جرى معه من الشدائد العظيمة والأمور الجسيمة . منها : أنه سبح في بعض الأيام في غدير الرصدين من جهات البطنة ببلاد عذَر ومساقط شهارة ، وأنه غطس في الماء كما يفعله الماهر في عمل السباحة فقذفه الماء عند ارتفاعه الى جرف شديد الظلمة ، وكان أعلاه منحسراً عنه الماء وأعلاه هواء لأن هذا الغدير بين جبلين وهو مظنة الجروف من تحته والجروف في سفله قال : فسكن في ذلك المستقر صابراً وما إليه من الفرج والقضاء صائراً من نهار ذلك اليوم الماضي الى صباح اليوم الثاني ، فعند ذلك ظهر له شعاع الشمس عند شروقها وظهر من أسفل الجرف بين الماء ضوؤها فعرف عند ذلك أن

---

(١) منه عدة نسخ خطية أنظر كتابنا « مصادر الفكر الإسلامي في اليمن :٢٤١ » .

باب الجرف هو ذلك الموضع فغطس في الماء وخرج بعد إياسه وإياس من كان معه ، وهذا دال على ثباته وزكاء عقله حيث لم يعجل بالغطس قبل أن يعرف طريق المخرج ، إذ لو غطس قبل ذلك واستعجل لصار في المهالك ، ومنها قال : ما جرى عليه من الشدائد في حروب صنعاء بالحفاء[1] واستدارة الخيل عليه من كل جانب ومنحى وهو يدافع ويضارب ، وأغار عليه صنوه وآخر معه فكانوا جميعاً في الحال المضيق ولم يخرج إلا بالجهد الجهيد وبعد الإياس عنه في ذلك الجمع الوثيق ، قال : ونالـه من الضرب له بالدبابيس شديد الألم العظيم حتى كان يقذف بالدم من صدره مدة من أثر ألمه وما وقع فيه من شدة تعبه ، وكان رحمه الله قد بنى على التقاعد والسكون وترك المشاغل بسبب ما جري معه من الامتحان بعمل الحيمة . ولولا ما لزمه من اللوازم من بعد ذلك وتحتمت عليه المحاتم صيانة للمسلمين ورعاية لحق الإمام ونابه الضر الذي أثنى الله عليه في كتابه المبين ، لما دخل في شيء بعد ذلك ، واستمر على ما وطن به نفسه والسلوك في أحسن المسالك . . . وكان رحمه الله يرى أن الخلاف بين العلماء في أصول الدين لفظي والمعني متفق عليه بين الأشاعرة والمعتزلة بأنه لا يجوز التكفير والتفسيق ، بالإلزام ما لم يلتزمه المخالف ، هكذا أخبرني به الفقيه أبو القاسم بن الصديق التهامي[2] . وكان خصيصاً به . وهو أحد مشايخه في الفقه . وهو ظاهر أقواله رحمه الله في خطوطه وتعاليقه في كتبه [ومما ذكره في شرح غاية السؤل : أن ترجيح الداعي يكون بالإرادة وهو قول السمرقندي من أهل السنة وغيره والإرادة اختلف فيها فعند الجمهور من المعتزلة وكافة أهل السنة أنها خلق الله تعالى ولا يقدر عليها العبد والفعل للعبد ، وقال أبو هاشم : من العبد ، يقدر على الإرادة ، ورد عليه الملاحمي من المعتزلة بمخالفة الضرورة ومحل المسألة من كتب الأصول فعلى القول بأنها خلق الله قد وافق أهل السنة والله أعلم] [3] وكان رحمه الله له مآثر منها : المسجد[4] المشهور بباب السبحة خارج مدينة صنعاء ووقف عليه ما يكفيه وبعد موت صنوه جعل الإمام المؤيد

---

(١) أنظر الإشارة إليها في غاية الأماني :٨٢٤ .

(٢) من علماء زبيد وفاته سنة ١٠٧٤ « طبق الحلوى :١٩١ » .

(٣) زيادة من هامش المخطوط للمؤلف .

(٤) هو المعروف بمسجد حجر ، كان موقعه في باب السبحة الموضع الذي يحتله الآن البنك اليمني للإنشاء والتعمير وكان قديماً يعرف بمسجد البستان ويقع بجوار قبة المتوكل من الجهة الجنوبية الغربية وبعد قيام الثورة قامت وزارة الأشغال بهدمه سنة ١٣٨٧ وأعاضته بمسجد آخر يحمل نفس الاسم بالصافية الغربية «الوجيز :٤٩» .

بالله العسكر بنظره وجميع اليمن الأسفل إليه ، ولم يلبث إلا قدر سنة واحدة ومات رحمه الله تعالى بعد صنوه ، فجعل الإمام المؤيد بالله محمد بن الحسن يكون جامعاً للعسكر وجوامكهم تصل إليه بنظر واسطة من قبله وما يصل وصل من محصول اليمن الأسفل إليه ، فاستمر على ذلك مدة الإمام المؤيد بالله إلى أن توفي رحمه الله . وأمر المؤيد بالله محمد بن الحسن أن يقتصر على البلاد التي جعلها إليه عمه الحسين لا غيرها إلا مجرد أدب شاك يصل إليه من تلك النواحي ، واستقر بذمار فلحقته مشقة بسبب ذلك وتناوب عليه من تناوب مع كثرة المتعلقين به ، ومازال يلاحظ من عنده بمشقة وكلفة خشية لا يفوت العسكر من يده فيستخف بجنابه وتزول رياسته كما هو حال الرؤساء في هذه الدنيا الزائلة التي لا منافسة فيها وإنما المنافسة في الآخرة والأعمال الصالحة ، فنسأل الله حسن الخاتمة ، وبلغ محمد بن الحسن الحال رأن ضرب بعض عدد[1] خيله دراهم وأعطاها جنده رعاية لمن عنده .

وفيه هذه السنة : غزرت الأمطار في جميع اليمن ونزلت سيول من الجبال حتى بلغت البحر والرمال شرقاً وغرباً ويمناً وشاماً ونزل سيل عظيم من بلاد سنحان وجبالها والأطيان والقيعان ، واجتمع بوادي صنعاء ، فاض من أعلى دائرها ولم يتسع لقوته مجاريها فأخرب ما فوق العقود من الدائر[2] المعمور ونفذ إلى الخارد[3] واستمر الى الجوف واخضرت الأرض بالنبات وأقبلت الزرائع في جميع الجهات في فصل الخريف .

وفي شهر جمادى الآخرة : كتب الإمام المؤيد هذا الكتاب ولفظه :

بسم الله الرحمن الرحيم

الوالد السيد الجليل الأعلم الأعمل عز الإسلام والمسلمين محمد بن الحسن بن أمير المؤمنين حفظه الله وإتحفه بشريف السلام ورحمة الله ، وبعد فصدر الفقيه أحمد بن عبدالرحيم بن سلامة لأعماله المباركة إن شاء الله موصٍ بتقوى الله قبل كل شيء ، وإن

---

(١) عدد : جمع عدة وهي آلة الخيل وكان يصنع بعضها من الفضة الخالصة .

(٢) السور : المحيط بالمدينة .

(٣) الخارد : أحد الغيول التي تصب في وادي الجوف ومياهه تتجمع من عدد كبير من الأودية النابعة من مخلاف خولان العالية ومن صنعاء وهمدان وحضور وشبام حمير ومصانع حمير وارحب وغيرها . (معجم البلدان والقبائل اليمنية :٢٠٧) .

أول ما تبدؤا به أنتم وهو رد تلك الظلامة التي تقررت العام الماضي زيادتها في الفطرة وغيرها على الأمر الموضوع التي جرت عليه السنة الحسنة ، واعتذرتم له بأن ولده زادها وأجريتموها فليس لكم أن تجيزوها إنما عليكم أن تستغفروا الله عنها ، وتحسبوها لأهلها مما عليكم الآن من هذه المطالب وتشعروهم بذلك إن شاء الله تعالى وأنها ظلامة ردت ، وترفعوا كل بدعة وكل رسم لم تجربه سنة حسنة كالإحالة على لفظ مصالح البلاد في نحو تقرير سبار[1] ونحوه بل يمات ذكر هذه الألفاظ واستقيموا له وعليه لله وللناس على الصدق والوفاء وما جرت به السنة الحسنة والسيرة العادلة ، فلا يزاد في سياقه المعونة على بقشتين[2] على الحرف[3]ولا في الطعام غير قدح[4] على الزبدي[5] ولا يؤخذ في العدة غير ستة عشر بقشة صنعانية في رأس الإبل وثمان في البقر ، وبقشتين في الغنم ، وفي الصغار نصف ما في أمهاتها وما على ذلك زيادة سياقة ولا غيرها ، ولا في الفطرة غير الصاع النبوي أو قيمته في السوق من غير زيادة إن شاء الله تعالى ، وعلموا الناس سيرة العدل وأذيقوهم حلاوته واتقوا الله جميعاً فيما تأتون وما تذرون وما تأخذون وما تعطون ، يقكم المكاره ويهب لكم البركة ، ويدفع عنكم السوء إن شاء الله تعالى بفضله وجميل عوائده ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، بتاريخ جمادي الآخرة سنة خمسين وألف انتهى بلفظه وكماله ، وهذا عدل عظيم من الإمام المؤيد بالله كفى له يد ، خصوصاً في اليمن الأسفل ، فأما بعده في دولة المتوكل ومن لحقه فإن الأمور تحولت إلى غير هذا من المشاطرة في أموال الناس بالنصف فلا حول ولا قولة إلا بالله العلي العظيم .

وفي هذه السنة : حصل مع الفقيه أحمد المحيرسي صنو القاضي عبدالقادر المحيرسي[6] نشاف[7] وجنون فقتل الساني وهو يسني آخر الليل بذهبان وقال : أنه المهدي الذي يقوم آخر الزمان [والدعاوى في مثل هذا ما زالت من المجانين ومن غيرهم

---

(١) السبار : هو المقرر المعتاد للجند ونحوهم من الطعام وغيره .

(٢) بقشتين : مثنى بقشة من العملات الصغيرة المستعملة في النقود عند أهل اليمن حتى هذا الوقت . أنظر حولها « تاريخ النقود الإسلامية» للمازندواني :١١٦ .

(٣) كسابقه أنظر ما كتبناه حوله في « مذكرات المؤيد بالله :٢٢» .

(٤) مكيال معروف عند أهل اليمن ، أنظر « مذكرات المؤيد بالله :٥٣ » .

(٥) كسابقة وهو أكبر ممن الأول أنظر « مذكرات المؤيد بالله :٥٣» .

(٦) من علماء اليمن توفي سنة ١٠٧٧ « طبق الحلوى :٢١٨ » .

(٧) نشاف : يبس في الدماغ .

كما صار يدعي أيضاً منصور حمير من يدعي ممن مضى وكل ذلك طمعاً في الملك واستغوى الخلق لأجل إجابتهم فلا قوة إلا بالله][1] وأن البانيان[2]ونحوهم يقتلون ، فقيده الإمام المؤيد بالله بجهات شهارة وبقي هنالك مدة ، وكان يدرس القرآن ويكثر من الهذيان وهو مكبل بالحديد خشية من العدوان ثم أطلق وبقي عند صنوه ببلاد الشاحذية وكان المذكور قد قرأ على السيد محمد المفتي ومن ملازمته للقراءة استفاد في علم النحو وعلم العربية ودخل في مذهب الحنفية ثم سار مكة المحروسة ومات بها .

ودخلت سنة إحدى وخمسين وألف

في شهر القعدة منها : ظهر الجراد ببلاد القنفذة والحجاز ومكة وظهرت الدبا في تلك الجهة رأيتهما في هذه السنة سنة حجي ولله الحمد والمنة ، وكان هذا الزمان في مدة الإمام المؤيد يصحب حاج اليمن في بلاد الحرامية وتلك الجهات التهامية السيد الرئيس محمد بن صلاح النعمي متولي بلد أبي عريش وجازان الى محروس حلي ثم يعود وينفرد الحاج الى مكة من غيره لأنها أمان ، ولا ينكد على أحد بها في تلك الأزمان ، وكان هذه السنة وأراد السيد محمد بن صلاح الحج برأسه وارجاع عسكره من حلي وأجناده فبلغ قائد القنفذة ذلك فتلقاه الى دوقة وركز يقدمه في الطريق بالعود والدرقة وقال للحجاج حجوا دون السيد محمد بن صلاح فيعود ولا يغدو وقال : إن ذلك من الشريف زيد بن محسن فرجع السيد محمد بن صلاح الى حلي وأرسل لأصحابه بانتظاره والعود معهم الي بلاده فعاد المذكور ، والحجاج مضوا الى البيت المعمور ، والسبب في أمر الشريف أنه يخشى من تهمة السلطان بإدخاله لقائد عسكر الإمام ، والله أعلم بمراده بذلك .

وفيها اطلع الإمام المؤيد على صبيين ، الله أعلم ما علم فيهما الإمام من بيت القابعي[3]فطلبهما إليه وضربهما بالجريد بيده ونفاهما وطردهما عن السكون بمحطته .

ودخلت سنة اثنتين وخمسين وألف

في المحرم منها : خسف القمر خسوفاً كلياً في برج الميزان .

---

(١) ملحق بهامش المخطوطة .

(٢) البانيان : طائفة من هندوس الهند يأتون إلى اليمن للاتجار .

(٣) قرية من أعمال شهارة عزلة سيران الشرقية « التعداد ٦ :٦٥ » .

وفي هذه الأيام : حوصر حصن ذمرمر واستمر من حال خروج أحمد بن الحسن عنه في ذلك العام والشهر ، فخرج عنه الأغا فرحان ومن معه من المماليك والخدم الذين كانوا رتبة لأحمد بن الحسن وأمر الإمام بإخراج من فيه من أهله وسكونهم بصنعاء اليمن وكان المحاصر للحصن الحاج حسن بن الحاج أحمد الأسدي فرتب سنة كاملة ثم أمر الإمام المؤيد بخراب ذلك الحصن المشيد والأساس المنيع الشديد وإزالة منازله الرفيعة ودوره العالية المنيعة ، ففرح قبائل بني حشيش بخرابه وتحويل أبوابه وأخشابه ، وهرعوا الى الخراب بالمعاول والحديد وخربوه والقائل يقول : هل من مزيد ، حتى بلغوا فيه الى الأساس وأزالوا عنه جميع الأجناس ، كل ذلك منهم لأنه حصن شامخ فوق أرضهم وعادة القبائل جارية بكراهة كل معقل للدولة القاهرة عليهم ، وحملت أبواب الحصن الكبار الى محروس شهارة . ولم يبق فيه إلا المسجد والمواجل[1] لكونها مخروطة في الصفاء لا يكن محقها لأحد بظاهر ولا خفا لأنه من الحصون الحميرية والقلاع القديمة .

وفيها : أنشأ القاضي أحمد بن سعد الدين المسوري[2] رسالة أنابت[3] عن صاحبها الجهالة وذلك في الطعن في سنة النبي صلى الله عليه وسلم والرد لما جاء منها على ألسنة الرواة والمحدثين وما أتوا به عن سيد المرسلين وخاتم النبيين ، وقال : كل ما في الأمهات الست لا يحتج به وأنه كذب ،فإنا لله وإنا إليه راجعون ولا قوة إلا بالله العلي العظيم يريدون أن يبدلوا كلام الله ورسوله ويؤمنون ببعض الكتاب دون بعضه ، وقد أجبت[4] على هذه الرسالة وأظهرت ما فيها من الغلط والغواية بأدلة بينة وما توفيقي إلا بالله وإليه أنيب والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

وهذا كتاب المؤيد بالله إلى الشيخ ابن العفيف صاحب يافع يقول فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم الشيخ المقام الأكمل الرئيس الأوحد الأنبل الأمثل حسام الدين محب أهل البيت الأمجدين معوضة بن عفيف اليافعي أصلح الله أحواله وبلغه في الخير آماله وأتحفه شريف السلام والإكرام ورحمة الله ، وبعد فوصل كتابكم الكريم

---

(١) المواجل : جمع ماجل وهو البركة الكبيرة يتجمع فيها مياه السيول ونحوه .

(٢) سيأتي ذكره .

(٣) تسمى بالرسالة المنقذة من الغواية منها عدة مخطوطات .

(٤) هذه الرسالة تسمى صوارم اليقين القاطعة لشكوك القاضي سعد الدين ، وقفت على عدة مخطوطات منها .

تذكرون ما لكم فينا أهل البيت النّبوي من المحبة والمودة وماسبق لكم من المشاركة في الجهاد وقد سمعتم قول الله عز وجل يقول لنبيه ﴿قل إن كنتم تحبّون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم﴾ ، ثم ساق آيات وأخباراً في طاعة الإمام وأهل البيت ، ثم قال : وذكرتم من جهة ولدنا هذا أحمد بن حسن وتحفظه بنفسه هذا التحفظ وتعرّضه لما تعرّض له من سخط الله عز وجل بالفساد في الأرض والبغي بغير الحق واتباع الشيطان الغوي والهوي المردي وتَعْريضه من عرّض من الناس للتهلكة في دينهم ودنياهم ، فهو يعلم وأنتم تعلمون أنا إنما أمرناه بتقوى الله وعلمناه معالم الدِّين ، ثم ساق الأمثال وما ورد في التَّواصي ، حتى قال : ثم لم يكتف بذلك حتى نكث العهد ونقض العقد وخان الله ورسوله في أمانة كانت عنده من عُهَد المسلمين وأماناتهم وأموالهم وذخائرهم وعددهم التي أعدت لمن قال الله عز وجل فيهم ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة﴾ وحمل على النكث فيها من أخذ ميثاقهم وعهدهم في حفظها ورعايتها فسوّد وجوههم وأضاع أمانتهم وأخرجهم من صفة العرب وهم من وجوههم ورؤسائهم ثم صد عن سبيل الله وبغاها عوجاً وتجرد للبغي في الأرض والفساد بغير الحق وإنفاق أموال الله عز وجل فيمن عاداه وشاقه والتوثب بهم على من ليس له ظلم ، وظلم الضعفاء والمساكين ومعاداة الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر ومصافاة أهل الجهل والغوغاء ، فحين رأينا ذلك علمنا وجوب جهاده ودفعه علينا وعلى جميع المسلمين ، وأخرجنا لذلك امتثالاً لأمر الله وفريضته من إخواننا وأولادنا وأجنادنا من رأى الله لهم المواقف الشريفة في جهاد الظالمين وجلاد المفسدين والمعتدين من أعواننا وأنصارنا فأمضى الله لنا ولهم سنته وعادته الجميلة في النصرة والتأييد والفتح والمزيد وصرع أهل البغي وقطع دابر أهل النكث « الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك هم الخاسرون » إلى آخر كتابه قال فيه : وحرر في شهر صفر سنة اثنتين وخمسين وألف بمحروس شهارة .

وظهر من كتابه هذا إن السَّبب الذي حَرَّك أحمد بن الحسن خروجه هذا الثاني أنه ربّما طلبه المؤيد خزانة والده مما هو بيْت مال وما هو يختص به كان لذريته ، وكانت تحت يده فحصل هذا النفار ووقع ما وقع من ذلك الاشتجار فلا حول ولا قوة إلا بالله .

وفي هذا الزمان : جرى في المكاتبات إلى الإمام لفظ منكر من الناس يقولون في ابتداء

الكتاب مولانا أمير المؤمنين المؤيد بالله رب العالمين ، ومثله جرى في أيام المتوكل أيضاً ، وهو ضمير يعود إلى المضاف لا إلى المضاف إليه في اللغة العربية مثل قولك غلام زيد فاضل يعود إلى الغلام لا إلى زيد ، ولفظ رب يلزم ذلك ولا رب للعالمين إلا الله تعالى فليحذر كتابه ذلك .

وفيها - أو غيرها - : أخبرني القاضي محمد بن أحمد الشظبي قال : اتفق للسيد هادي بن حسن من الأهجر[1] وهو سيد فاضل أنه في بعض الأيام سار الى جهات شمات[2] وتلك الجهات فنزل ليشرب من بركة في الطريق فوجد حولها جمجمة ملقاة على الأرض عند البركة وفي فمها لجام من حديد فبقي السيد متعجباً منها حائر الفكر فيها ثم إنه قال مخاطباً لها : ياليت ما شان هذا الأمر التي أنت فيها فصرخت عند ذلك بصوت هائل عظيم فخر السيد لوجهه على الأرض ملقى لهول ذلك الصوت وما رأى . وصار مغيباً لا يعرف الأرض من السماء ، ثم إنه لما أفاق وزال عنه ذلك الإشفاق واستأنس ببعض مارة في الطريق فدفنوها بحفرة عميقة ، فما هو إلا أن تم ذلك الدفن لها ألقتها الأرض عن بطنها وقذفتها فتركها على ما هي وسار وهو معتبر وجل منها ، وكان سبب صلاحه وشدة خوفه . وقد روى لي هذه القصة رجل آخر عنه وتواترت ، مع أن السيد المذكور حال رقم هذه الأحرف في الحياة إذا حصل اتفاق به سألته عما رآه لكنه لا يتحول عن بلده في الأهجر ، ولا يسير عنها ولا يفعل ، ومسكنه بالهجرة عند ذلك المسجد والغيل والقبة ، وهذا من عذاب القبر نعوذ بالله منه الذي يظهره الله في بعض الأوقات للزجر والله أعلم ، قال القاضي محمد بن أحمد الشظبي : وفي هذه المدة والأيام ظهر رجل محارب للأنام وقاطع لطريق الإسلام في هيجة لاحمة بمساقط لاعة على طريق ملحان وحفاش والضحى ولعسان ، فكان ينتهب الناس ويأخذ ما احتاج من الغنم وغيرها فيأكلها ويتوارى في الهيجة فلا يعرف بمحله ومقره فيها لكثرة شجرها ، ثم انتهى به الحال أنه أخذ امرأة وأدخلها معه بها فشكوه الى الأمير ناصر بن عبدالرب فأمر الأمير ناصر بأنه يترقب ويرمى متى صدفوه ، فلم يعرفوا موضعه لأنه قد صار من المحاربين المفسدين ومن أخاف السبيل ، ولا ظفروا مسكنه لكثرة الشجر ومن توارى

---

(١) الأهجر بلد معروف من كوكبان .

(٢) سبق ذكره .

بينهـا غبر ، فبقى علي ذلك مدة أيام ثم لـم يعرف له خبر بين الأنام إما مات في الـهيجة أو أكلته السباع ، فزال أمره بحمد الله وضاع .

وفيـها : خرج جـماعـة تجار مـن الحسـا والبحـرين والـبصرة مـن البحـر الفـارسي ، فلـما عارضوا بـندر مسكـت الذي بيد الـفرنج يومـئذ انتهـبوهـم وقتـلوهم فانـقطع المـار في ذلك البحر الزخار حتي استولى على بـندر مسكت الـعماني كمـا سيأتي تاريخـه إن شاء الـله وسلك الناس في البحار وأمنوا فيه من أولئك الكفار الأشرار .

وفي هذه السنة - أو التي قبلها - وقع فساد في بحر القلزم - وهو بحر اليـمن - من قبل الافرنج ، فجـهز عليهـم والـي اللحية الـنقيب سعيد الـمجزبي فقبـض عليهـم وأرسلـهـم الى الإمـام وهو بـوادي أقـر تحـت شـهارة في تـلك الأيـام فـعرضـهـم الإمام لـلإسـلام وهـم قـدر سبعين نفراً فأسلموا وأمر بختانهم ثم تفرقوا وذهبوا .

وفيهـا : وصل الخبـر المستـفيض إلى اليـمن أن بلاداً من بلاد تبريز خسـف بهـا في بلاد الـعجـم روى لـي صـبور الـعـجـمي : أن هـذا الـخسـف عـظـيم الـشـأن شـقق الأرض وهَّـدم عـمائرها وأزال سـكانـها وأرضـها وأنـه ليس في جـميـع تبريز بـل في جـهة منهـا وهذا مـن أمارات اقتـران الساعة كما جـاء فى الأحـاديث النبـوية وعند ظهـور لـعن الصحـابة والـسلف كما هو داب الرافضة من الـعجـم في تلك الجـهة وقد جاء في الحديث عنه صلى الله عليه وسلـم أنه قال : « لا تقـوم الساعة حتى يلعن آخر هـذه الأمة أولها فإذا فعلوا ذلك فلـيرتقبوا ريحاً حمراء وخسفاً ومسخاً . . . » الحديث أو معناه كما في الترمذي وغيره .

ودخلت سنة ثلاث وخمسين وألف

وفيها : أمر ضياء الإسلام إسـماعيل بن الإمام وهو باليمن بقطع شـجرة الشيخ أحمد بن عـلوان ، وكـان المـتـولي لـلقطـع الحـاضـر فيه المـحـرض عليه الـسيد مـحـمد بـن أحـمـد المحنكي ، فـوقع بالمذكور علة دائمة عـاقته عن الحركة في أموره بإقعاد ، وعلة جذام ، وسقام ، نسأل الله العافية وطال به هذا السقام السنين والأعوام .

وفيـهـا : أذن الإمـام لأخيـه إسـمـاعيل بـالـطلـوع مـن اليـمـن وبلاد تـعز الـى جبل ضـوران والسـكون في ذلك الإيـوان والدور الـتي قـد بنـاها لـه المـاضـون مـن الإخوان حـالـة مـفرغـة ومائدة موضوعة بغير تعب ولا نصب ولا جهـد فيها ولا وصب ، فطلع المذكور الى ذلك

المقر ، ونهى فيه وأمر ، وكان قد اكتتب باليمن بمدينة تعز سماع تيسير الديبع في الحديث على الشيخ العارف محمد بن عبدالعزيز الحبيشي[1] المفتي الشافعي ، وحصل هناك كتاب سنن البيهقي الكبرى واستجاز منه في الحديث ما شاء .

وفيها : وقع بمصر الموت العظيم[2] والأمر الجسيم حتى هلك به أمم كثيرة ونفوس عديدة جزيلة وخرج الباشا عنه ، قيل إن جملة الذي هلك فيه أربعة لكوك[3] .

وفي رمضان منها على مضي ساعتين من ليلة الخميس : خسفت القمر ببرج الدلو والراس .

ودخلت سنة أربع وخمسين وألف

في ثاني عشر محرم : كان تحويل سنة العالم فكان زحل في برج الحمل بآخره والمشتري في أول الجوزاء .

والمريخ أول درجة في الأسد والجوزهر في برج الأسد .

وفيها : وصل صفي الدين أحمد بن أمير المؤمنين إلى عند أخيه الإمام المؤيد بالله محمد بن أمير المؤمنين وقرأ عليه بشهارة «تيسير المطالب في أمالي أبي طالب» واستقر هنالك هذه المدة ، قيل إن وصوله كان بحساب وعَده من ذمي كان عارفاً بالنجوم بحمدة[4] ولم يحصل له ما كان أمله من الخلافة .

وفيها : ساخ جبل في الأهجر[5] غربي صنعاء وتخرب من أعلاه شيء كثير من الحجارة والطين وكبس بعض ما يليه من المال والبساتين .

وفي هذا العام أو الذي يليه : ظهر لرجل في جهات الحفا بمساقط حجة وجهات الواعظات من غرابي الشرف اعتقاد عظيم للناس . وحدث له منهم كثير . وكان من حدث له يحمد الجناب فلا يضره ، وكان ذلك عقب موته بأيام قليلة . وقيل في حياته .

وفي هذه السنة : كتب الإمام إلى الشريف زيد بن محسن في شأن الاعتزاء إليه في

---

(١) شيخ الشافعية في وقته ، وفاته نحو سنة ١٠٥٨هـ « طبق الحلوى : ١٢٠ » .

(٢) أنظر هذا الخبر في « أوضح الإشارات : ١٤٩ » .

(٣) اللك في حساب المؤلدين عشرة ملايين وعند الهنود مائة ألف .

(٤) حمدة : بفتح الحاء وكسر الميم مدينة أثرية بناحية عيال سريح في الغرب من عمران .

(٥) سبق ذكره .

الخطبة إذا أمكنه فأجاب الشريف بأنه يرسل من الفقهاء من يثق به عنده فأرسل الفقيه محمد بن علي الجملولي وركب البحر في غير الموسم للحج حتى بلغ جدة وبلغ الفقيه موت الإمام المؤيد بالله فعاد من جدة ، هكذا روى القاضي محمد بن أحمد الشظبي ، وهذا الأمر لا يبعد أن الشريف ساعد إليه وإنما هو منه مجاراة للإمام فيما يحب إليه والمراودة بعد وصول الفقيه وما يقتضيه النظر منه والجواب على الإمام بالمشافهة والخبر لأن مكة لا يسمح بها السلطان ولا يترك ذكره فيها كل أوان ولاسيما مع الاختلاف إليها من أمراء الحج كل موسم من السنين ، ومع المادات التي لا تزال واصلة إلى الاشراف من الطعامات والأموال في كل وقت وحين مما لا يقوم بذلك غيرهم ولا يقدر على الاستمرار فيه سواهم والأشراف لا يسمحون بالمصالح إليهم ، مع أنه لو كان ذلك لكان فيه تحريك لما قد غفل عنه السلطان في تلك الجهات والله يصلح أحوال المسلمين .

وكان قد كتب الإمام قبل هذه الأيام بكتاب يذكر فيه طلب الزكاة من أهل مكة والدفع لها إليه في هذه المدة فأجابوا بجواب عظيم واستدلالات بالكتاب الفخيم وقالوا : إن هذه البلدة كما قال الله تعالى حكاية عن إبراهيم الخليل ﴿ إني أسكنتُ ذُرِّيَّتي بواد غَيْر ذي زرع عندَ بيتكَ المُحَرَّم ربَّنَا ليُقيمُوا الصَّلَوٰةَ فاجْعَلْ أفْئدةً منَ النَّاس تَهْوَى إلَيْهم وَارْزُقْهُمْ منَ الثَّمَرات﴾[1] فهم منتظرون أن يصلهم الإمام بشيء من المال ولا يطلبهم فانه عكس هذه الآمال .

وفي شهر رجب منها : توفي الإمام المؤيد بالله محمد بن أمير المؤمنين القاسم بن محمد بن علي بمحروس حصن شهارة الأهنوم واجتمع عند ذلك السادة الحاضرون والفقهاء والكتاب القاطنون ، وعرفهم الفقيه أحمد بن سعد الدين المسوري[2] بأن الأمر المهم النظر فيمن يصلح للقيام والمبادرة به قبل تجهيز الإمام . وعرفهم أنه يرى العقد لصنوه أحمد[3] بن أمير المؤمنين فهو أكبر أولاد الإمام القاسم يومئذ ، فاستحسن أكثر الحاضرين ذلك واتبعوه فيما قاله هنالك وبايعوا وعقدوا ثم دفنوا الإمام المؤيد بعد ذلك وقبروه ، وكان الإمام المؤيد بالله سائراً في الناس بسيرة حسنة لم يغير على أحد مما جرت به الدفاتر والتقارير في زمان إخوته بل زاد شيئاً من مروءته ، وكان يؤثر أهل العوائد

(١) سورة ابراهم ، الآية ٣٧ .

(٢) سيأتي ذكره فيما بعد .

(٣) هو الملقب بأبي طالب .

بالوفاء وليس لأهل الطواري إلا ما فضل من الفوائد وطفا ، وكان قريب الجناب كثير المواجهة حسن الخطاب يقضي الغرض ولا يكلف صاحبه كثير التعب وافياً بما وضع فيه لا يرجع له خط بل وضع العلامة قبض لما فيه كما كان عليه إخوته الحسن والحسين ، ومع ذلك فالبركات في زمانه دارة والخيرات ما زالت في الثمار في الغالب قارة ، يرعون الحقوق السالفة وينزلون لهم المنازل التي يستحقونها في تلك الأيام الماضية لا يستكثرون على أحد عطاء ولا يقولون غيره أولى ، يحسنون الظنون في المسلمين غالباً ويسعون في الصلاح لهم ما أمكن دائماً ، يقيلون من ذوي الهيئات عثراتهم ، ويتجاوزون البعض من زلاتهم ، فانتشرت البركات وكثرت الخيرات في زمانهم بعد تلك الفتن العظيمة والأحوال الشديدة الجسيمة ، فجبلت قلوب الناس في الغالب على حبهم والدعاء لهم لحسن جميلهم فيهم ، وكان الإمام المؤيد بالله على مذهب الهادي في الغالب وله اختيارات يخالفه فيها : مثل عدم توريث ذوي الأرحام والأخذ مما دون النصاب من الزكاة وحل زكاة بني هاشم لبعضهم البعض من فقرائهم ، وغير ذلك من الاختيارات له رحمه الله ، وكان مولده في شهر رمضان سنة تسعين وتسعمائة فعمره ثلاث وستون سنة وشهران وخلافته أربع وعشرون سنة وشهران وكسور ، وله مآثر من السبل منها تصليح سمسرة[1] القبتين بطريق اليمن بعد أن كان قد خربها الحاج أحمد الأسدي ، ومنها المدرج الى شهارة من الجهة الجنوبية الى وادي أقر[2] وغير ذلك ، وكان يستقر في الشتاء بدرب الأمير بوادي أقر مع ضعف هوائه ووبائه إلا أنه يكون في الشتاء أقل وباء والله أعلم ، ولو جعل عوضه هجرة عذر قبلي شهارة للسكون والنزهة كان أوفى لصحة هوائها ورحابة فضائها ، وكان الإمام المؤيد بالله يشدد في النهي للناس عن شرب التتن المعروف مع أنه لا دليل صحيح في تحريمه بل من جملة المباحات الداخلة تحت قوله تعالى ﴿هوَ الذي خلقَ لكمْ مَا في الأرضِ جميعاً﴾[3] وعلة الإسكار غير موجودة فيه أصلاً . .[4] .

ولما بلغ الخبر إلى صنوه ضياء الإسلام إسماعيل بن الإمام وهو بضوران بأرغد العيش

(١) السمسرة : مقصد المسافرين والخان ونحوهما .

(٢) وادي أقر : شرقي شهارة في بلاد حاشد ويعرف اليوم ببيت القابعي أو « درب الأمير » أنظر معجم المقحفي .

(٣) الآية ٢٩ سورة البقرة .

(٤) هنا يتوسع المؤلف في ذكر النزاع حول منصب الإمامة بين إسماعيل بن القاسم « المتوكل » وأحمد بن القاسم « أبو طالب » « أنظره في طبق الحلوى : ٩٩ - ١٠٤ » .

وأطيب السلوان بمواطن اخوته الكرام ودورهم العالية على الآكام يتنقل فيها وفي مناظرها ، ويتفرج من أعالي سطوحها على البراري تحتها .

وفيها رأى أنه الأولى بهذا الشأن وانه المبرز على سائر الأقران وأن غيره من الدّاخلين في هذا المنصب العظيم طفيلي ليس بمحلّ له ولا مستقيم فحملته الدّواعي إلى عدم إجابة ذلك الداعي وبرز في الحال إلى المسجد الجامع بالحصين وطلب البيعة من الحاضرين فبايعه القاضي محمد السّلامي . وصاحبه الكاتب معه القاضي إبراهيم بن حسن العَيْزري وهما أحسن من عنده في وقتهما ، ثم تبع من حضر ، وبَثّ الرسائل إلى الجهات ممن عنه غفل ، وقال : أنا الذي في العلم ردَرَسْتَه ، وفي التحقيق أحرزته وغيرى غير صالح لها بل قاصر عنها ، وكان قد دعا إلى نفسه هذه الأيام السيد إبراهيم بن محمد المؤيدي في جهات الشام وعز الإسلام محمد بن الحسن بن الإمام في جهات إب من اليمن الأسفل في تلك الأيام ، فكان الدعاة في هذا الشهر أربعة . وكتب المتوكل إلى صنوه أحمد يعاتبه بالاستعجال بالدعوة واختلفت آراء الناس حينئذ وتوقف المتوقف ، فمن النّاس من يقول : الأولى بها إسماعيل لأجل رسوخ قدمه في العلم لا سيما الفقه ومنهم من قال : أحمد لأنه أنهض بها وأصلح ولأجل تقدم دعوته ، واضطربت الأمور ، ثم أن محمد بن الحسن تكاتب هو وعمّه إسماعيل واصطلحا فيما بينهم وبذل إسماعيل لمحمد بن الحسن ما طلب من البلاد فأذعن له بالإجابة وطلب اللقيا به برأس القَفْر ليتم بينهما الأمر على المشافهة والإصابة فالتقوا هنالك وتم الأمر بينهما . وبايع وعقد لعمه وعاد إلى مستقره .

وجعل له نظر اليمن الأسفل كله فلما مال المذكور وعقد له في ذلك اليوم المشهور وكان أعيان العساكر يومئذ والرؤساء والخيول عند محمد بن الحسن وهو في حالة عندهم بالوفاء مشكور مال جميع اليمن من ضوران إلى عدن بالاجابة والخطابة وكذا المشرق وذمار وخولان والحدا ، وهو الذي عضد عمه وطّد هذه بالخيل والرّجاجيل ولولاه لما تم شئ لهذا الإمام من الأقوال والأفعال . ولقد أخبرني عز الإسلام محمد بن الحسين أنه لما وصل إلى حضرته بضوران قال له : لا نجد غير الخمسين الحرف ولم تجبه يومئذ من البلاد شئ ولا يجد الصرف فعند هذا سار من صنعاء أحمد بن الحسن وعز الإسلام محمد بن الحسين فَلّته بعد صلاة الجمعة ، ولم يحضر إلى صنعاء للصلاة

للجمعة ، فأحمد بن الحسن توجه إلى عند صنوه محمد بن الحسن ، ومحمد بن الحسين إلى عند عمه إسماعيل ، وطلبا منه من البلاد ما طلبا فأنعم عليهما بذلك حسبما حتّما ، وكان محمد بن الحسن قد جعل أمر اليمن كله بنظره إليه فجعل لصنوه نصفه ونصفه معه ، وأما عز الإسلام محمد بن الحسين فجعل له الإمام بلاد الشرف وحفاش وملحان مع حضور بلاده الأولى ولم تكن حال التولية تحت يده ولا يمر فيها أمره ولا نهيه بل ولاية مستقلة .

. . . وقد كان النقيب سرور شلبي أرسله أحمد بن الحسن إلى بني ميمون ليصدّ من وصل من تلك الجهة ويستقر فيه على جهة الرتبة والكمون فسار إليه وسكن . فاشتجر الحرب بمدينة ثلا وشمس الإسلام أحمد بن الإمام في جملة العسكر يحرضهم على الانضمام والصبر واللقاء وعدم الاهتزام والإبلاء وحصل قتل من الجانبين منهم من يقول سبعة نفر أو أقل وفك الله الفتنة وزالت بحمد الله هذه الفرقة والمحنة وانهزم شمس الإسلام أحمد بن الإمام إلى قلعة ثلا وهرب أهل المدينة والعسكر والبعض واجه ومنهم من فر ودخل العسكر مدينة ثلا عنوه ولم يلبث شمس الإسلام في قلعته ثلا إلا ليلة واحدة فقط وخاطب بالخروج والوصول إلى حضرة صنوه الإمام إسماعيل فسار إلى ضوران وصحبته العساكر والأعيان ، وكان في جملته وصحبته القاضي أحمد بن سعد الدين المسوري والسيد إبراهيم بن أحمد بن عامر وسائر أصحابه وأحبابه ومَرّ طرف قاع صنعاء من باب المنجل تحت السنيات حتى بلغ إلى عضدان وكان شمس الدين أحمد بن الحسن لقيه بجيوشه وغوائره وخيوله من بئر العزب إلى حازه جبل عضدان وسايره إلى الفج ثم عاد بئر العزب وأمسى شمس الإسلام بحدة بني شهاب وسار إلى ذلك الجناب وصنعاء يومئذ محتازة لعدم علمهم بحقيقة هذه الأمور المنهارة ، فلما عرفوا القضية وبان لهم الحقيقة خاطبوا بالفتح لصنعاء والدخول لمن أحب وشاء بعد التأكيد على العسكر وأطاعوا والقبائل لا يحصل بالمدينة ما يحصل من العمائل فدخل أولاً أحمد بن الحسن وترك العسكر وأطاعوا جميعاً ودخل حينئذ جميع من كان بايع أحمد بن الامام في طاعة هذا الإمام ، وبايع منهم بيعة قهر واضطرار كالقاضي إبراهيم بن يحى السحولي وحوّل خطبته بصنعاء بعد أن كان مشدداً للأول فيها تشديداً بليغاً وكذلك القاضي أحمد بن سعد والسيد إبراهيم بن أحمد وجميع اتباعهم فانهم دخلوا في ذلك بالقهر والغلبة

وكان ذلك في التحقيق جمع كلمة المسلمين والخير والبركة ، فلما عرف القبائل بعدم التمكن من النهب انثالوا وتفرقوا وساروا ولم يبق إلاَّ العسكر دخلوا صنعاء في اليوم الثاني ولم يجر خلل في المدينة في هذه القضية العظيمة ، وصلحت الأمور وقرت أحوال الجمهور وأخمد الله نار هذه الفتنة التي كانت عاقبتها وخيمة على المسلمين ومحنة وقا الله شرها وجبر كسرها ، وأمن الناس بشرقها وغربها وطرقها وحضرها فالحمد لله رب العالمين على صلاح أحوال المسلمين .

وشمس الإسلام أحمد بن أمير المؤمنين لم يلبث عند صنوه إلا الأيام اليسيرة وزلجه صنوه بولاية مدينة صعدة والجهات الشامية فقر بذلك خاطر صنوه وأراده لنفسه لينفرد هنالك حاله فسار إليها وسكن فيها .

وما أشبه أمس بالبارحة في هذه المعارضة الجارية مما قد جرى مع الأئمة السابقين وما شجر بين الصحابة المتقدمين ، ومنشأ هذا الجاري من التفرق الحاصل هو قبض شمس الإسلام والشح وعدم المساعدة لأولاد إخوته وأخويه بالبلاد ، فإنه لما منع عن ذلك وتعذر ما هنالك بعد انتظارهم لمثله والانخراط في أمره وشروطهم لهم في بيعته مالوا عنه والدنيا وأحوال الرياسة والنظر في البذل لمن هو من أهل الحل والعقد والاعانة . كما جرت به تلك العادات المالوفة والحالات المعروفة في كل الزمان ، وكفاك بما جرى بين أمير المؤمنين وبين سائر الصحابةمن تلك القضايا التي جرى بها القلم المكتوب في اللوح المحفوظ ، فإنه لما كان أمر الخلافة قد صار لعلي أبي طالب رضوان الله عليه بعد البيعة أتاه جماعة بالإشارة كالعباس عمه والمغيرة بن شعبة وغيرهم يقررهم في أمورهم وله من بعد استقرار الأمر النظر والعزل لمن شاء ليتم له مقصده وما يريده ، فأبى وقال : لا يكون من الأصل ، فكان ما كان من ذلك الذي جرى ، فيا عجباه لأحوال الدنيا وما يجري من أمرها فالله يرحمنا برحمته .

ولقد قال السيد محمد بن شرف الدين الكحلاني كما روى حال وصول أحمد بن أمير المؤمنين وهو كان من أصحابه المبايعين للإمام إسماعيل ومن حضره من أصحابه : لو كان قسمنا البلاد كما قسمتم لكنتم جميعاً عندنا كما كنا عندكم هكذا رواه من سمعه منه ، والأمر كله لله والملك ملكه يعطيه من يشاء والله يختم للجميع بالخيرات . وفي هذا العام : خالفت المعازية بتهامة فسار إليهم عينة فواجهوا وسكنت فورتهم .

وفيه : تكررت الأمطار الغزيرة في الصيف والخريف بالأيام العديدة ، ونزلت السيول في جميع الأودية العظيمة ، وكانت الأسعار فيها رخية بلغ القدح الى سبعة كبار والقدح يومئذ ثلثي قدح زمان المؤيد الصغير محمد بن المتوكل ، والبقشة سلطانية[1] يأتي صرف القرش منها بثمانين بقشة عن حرفين .

وفيها : مات السّيد أبكر الحسيني ببيت أبي الحسين بن علي في بلده بمساقط بلاد حراز وتهامة وكان المذكور قد ظهر له حال اعتقد فيه أهل تهامة والمغارب والشرف إلى بلاد حجة وعظم شانه وكثر الجمع عنده ، وكان الفقراء متى اعتقدوا مشيخته أخذوا الحيات والحنشان فلا تضرهم ويدخلون النار فلا تحرقهم فلما ظهر لدولة الزمان أدبوا أهل البلاد عن الجمع في تلك الوديان وترك لمس الحيات والحنشان وبقي السيد مدته ثم توفى في بلدته ، وخَلّف بعده ولدٌ له يسمى أحمد.أبكر في زاويته ، له أيضاً حالات ومنع نفسه عن قبض شيء من الفتوحات .

وفيها : مات الشيخ العارف الصوفي الشيخ طاهر بن بحر بزاويته وبلده المنصورية بتهامة بسفل وادي سهام بمساقط بلاد ريمة وبرع مما يقرب إلى المراوعة ، وهم يذكرون أنهم في النّسب سادة حسينية ولهم هناك ثروة واسعة وأموال محصلة ومواش من البقر كثيرة وفيهم كرم نفوس ومحبه للضيف وحاله مانوس وعندهم من العسل والسمون شيء كثير مع ما ينضاف إليهم من البلاد من البر والمكافأة والنذور ، وهم قائمون بجميع من وفد من الكبير والصغير ولهم تمسك بالعلم مع ذلك ، وكان المذكور يتعلق بشيء من الشريعة وفصل الأحكام الشريفة وله مصنف لطيف في تاريخ زمانه وله قبول عظيم في التهايم والسواحل مقبول الشفاعة ، وخلف المذكور في الزواية المذكورة المنصورية ولدا يسمى محمد بن طاهر قائم مقام أهله في هذه الأموال والضيافة والشريعة ، أخبرني الفقيه ناصر الزبيب الخولاني الذي نزل عندهم ولازمهم مدة من الزمان : أن الباشا قانصوه لما دخل اليمن تلك الأيام ومرَّ على الشيخ طاهر بن بحر المذكور ذكر له أن اليمن أهله أشراف ولهم حرمة والجبل حقير وعسير فأجاب عليه : انّا لا نلتفت إلى قولك ولا إلى شورك ولا نستمد من فضلك فإنّا جئنا من عند الشيخ أحمد البدوي الصوفي

---

(١) سلطانية نسبة إلى السلطنة العثمانية وهي الخلافة الإسلامية في تركيا ، وفي خلاصة الأثر ٤ :٢٩٨ «البقجة - البقشة - نقد فضي يعادل عثمانيين أي قريباً من البارة» أنظر «من أعلام الفكر العربي» لليلي الصباغ :٢٢٩ .

الولي ، قال : فلما وقع معه ما وقع وكان خروجه من زبيد راجعاً إلى بلاده من غير ترديد مرّ على الشيخ الطاهر وخضع عنده واعترف بحقه واضطجع تحت سريره ، هكذا روى المذكور والله أعلم وأهدى له قانصوه نسخة القاموس وحياة الحيوان الكبرى واعتذر إليه ولما عبر شرف الإسلام الحسن بن الإمام على بلد الشيخ المذكور أضافه ضيافة سنية وقام بخاصته وسائر العسكر في القرى تفرقوا للضيافة .

وفي هذه السنة : تقالل البغايا في بستان الحيد بصنعاء عما كان مدة حيدر باشا ، ومنع علي بن الإمام المحتسب من القبال الذي كان عليهن ، إلا أن المحتسب إذا أراد رفع أمرهن الى والي المدينة جعلن له رشوة وسكت عن أمرهن ويفعلن ذلك خفية وانتقل ذلك الى باب اليمن .

وفيها : حكى السيد أحمد بن صلاح الشرفي في تاريخه : أن رجلاً وجد في بعض قباب مقابر صنعاء صورته صورة درويش يأكل طفلاً صغيراً بعد طبخه ، فنعوذ بالله من ذلك ، وروى السيد أحمد أيضاً أنه رُويَ له : أن رجلاً اطلع في بعض قباب مقابر صنعاء من خارجها درويشاً أخرج من جرابه طفلاً صغيراً وأخرج حنشين ،كأنه محنش ، فأوردهما عليه يلسعنه لسعاً متتابعاً حتى هلك وأسود جسمه وقطعه ، قال : ولعله من السم الناقع الذي يفعله الأشرار هكذا ذكره السيد بمعناه والله أعلم .

وروى لي بعض الناس : أنه روى له رجل من بلاده بأنه شاهد في كهف من الكهوف رجلاً يوقد ناراً بالليل ، وهو ينظر اليه ولا يعرف به ثم أخرج طفلاً من جرابه وطبخه فيها وأكله ، حتى شبع ثم غلبه النوم فنام وعنده سلاحه ، فما هو إلا أن أخذه النوم وجاء إليه ذئب عظيم وثب الى نحره فقتله وأكله فعجب الرائي من ذلك كله وسرعة معاقبة هذا الظالم بما فعله ، قال : وهذا كان في الجهات الشامية [1] بقرب من العمشية من بلاد سفيان قال : وكان هذا في سنة القحط الذي وقع في سنة سبع وعشرين وألف .

وفيها : جاء الخبر أن العماني الخارجي الأباضي ملك بندر مسكت الذي في سواحل بلاده ، وأخذه عن يد الفرنج واستولى عليه بجميع أطرافه ، قال الرواة : وكان دخوله على صفة المكر والخديعة والحيلة والمكيدة ، وذلك أنه أمر جماعة في صورة دراويش

---

(١) الجهات الشامية : هي الجهات الشمالية لصنعاء وغالباً ما يطلق على صعدة ونواحيها .

إرسالاً فلما اجتمعوا في مسكت وخفي أمرهم وسكت ، فتكوا في الرتبة من النصارى وذبحوهم بالسكاكين حتى صارت دماؤهم تجري ، وملكوا القلعة وأحكموا الفعل والصنعة . قال الرواة : وهذه القلعة لا يمكن فتحها بالعنوة لحصانتها ومعاصر جبلها في بحرها في مدخلها ومخرجها ، ومن يومئذ أمن التجار في البحر الذين يخرجون من البحرين والعراق والعجم الى اليمن . . .

وفيها أو التي تليها : مات الفقيه صلاح الكندحي[1] بقرية القابل بوادي ظهر ، وكان المذكور له بعض معرفة في الفقه مثل الأزهار وشرحه والفرائض والقسمة وله تاريخ حوادث وقته لم أقف عليه .

وفيها أو التي تليها : كان رجلٌ يظهر فيه الصلاح فكان كثير المسي[2] بين المقابر وعليه شملة وعمامة سوداء وكان إذا مر على المقابر يتلو قوله تعالى ﴿رجالٌ صدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيه فمنْهُمْ مَن قَضَى نحبهُ ومنهُمْ مَنْ ينتظرُ وما بدَّلوا تبديلاً﴾[3] ثم يبكي بكاء يسمعه من يراه وينهج ، وكان إذا سار لا يزال يحاكي[4] نفسه وأكثره في الاعتبار في الدنيا يوله نفسه ، وفي يده سبحة طويلة وتارة يجعلها في رقبته ، ومتى احتاج الى طعام سار وتعرض في الأبواب وسبح في سبحته ويستقيم ، فإن أعطي وإلا سار ولا يدق باباً ولا يدعو أحداً .

ومثله درويش أيضاً كان لايزال خارج صنعاء في السبحة [5] وبئر العزب يقال له بابا قاسم الهندي ، وإذا سار حمل فوق ظهره وفرة من الجروم[6] والخرق يتعجب من حاله ولا يفهم أحد كلامه ، ولم يزل على ذلك مدته من زمان حيدر باشا الى أن مات في نحو سبع وسبعين وألف .

وفيها مات عبدالقيوم الرغيلي المنجم كان له معرفة بعلم النجوم ، ووجد في كتبه بعد موته كتاب « المنار »[7] فيه فلسفة وتعطيل للشرع ، وصاحبه رجل روي أنه كان في مدة

---

(١) لم يرد في هذا الخبر في طبق الحلوى .

(٢) أي كثير الإمساء (المبيت) .

(٣) الآية ٢٣ من سورة الأحزاب .

(٤) يحاكي نفسه : يحدث نفسه .

(٥) ويقال له باب السبحة من جهة صنعاء الغربية .

(٦) الجروم : جمع جرم وهو كالمعطف الطويل يصل إلى الركب وكان من ذلك الوقت وهذا العصر يصنع غالباً من الجلد .

(٧) لم يرد ذكره في كتب الفلاسفة والملاحدة ومؤلفة من أهل اليمن في عصر الإمام شرف الدين كما ذكر المؤلف والله أعلم .

الإمام شرف الدين سَمّى نفسه التائه الحيران من أهل صنعاء من جنس كتب ابن الراوند[1] حسبما أخبرني به من وقف عليه فصلّب[*] به ابراهيم المجلّد بعد موته فأصاب وأحسن .

وفي هذه السنة أو غيرها : قصد سارق الى مشهد السيد عماد الدين صاحب السودة بشظب وهو مشهور بالفضل في تلك الجهة فلما خرج بالقراش[2] من المشهد الى خارج الباب عمى بصره هكذا روى الثقة .

ودخلت سنة خمس وخمسين وألف

وفي شوالها : سار الإمام من ضوران إلى صنعاء فاستقر بها أياماً وسكن بها شهوراً وجهز ابن أخيه أحمد بن الحسن الى بلاد الأمير الحسين بن عبدالقادر صاحب عدن وأبين ، لأجل أمور وقعت منه لم يرض بها الإمام فدخل أحمد بن الحسن بمن معه لحجاً وخنفر بعد وقوع حرب شديد وأمر منه غير سديد ، وقتل من أصحاب الإمام خلق كثير من العسكر أكثرهم من الأهنوم بحيث أنهم جمعوا في مقبرة هنالك معلومة تعرف بمقبرة أصحاب أحمد بن الحسن ، ثم كانت الهزيمة به وقومه واستولى أحمد بن الحسن على خزائنه وأثاثه وماله وهرب ابن عبدالقادر الى بلاد يافع من غير أن ينتفع بنافع ثم قرر الولاة هنالك ، وأمّر فيها الأمراء وولّى عدنا وعاد الى مدينة صنعاء . والإمام يومئذ فيها ماقد خرج منها ، والأمير حسين لما هرب الى يافع ولم يجد له ناصرا ولا نافع خاطب بالعود والجبر لكسره بالجود ، فجعل له شمس الدين بلد أبين وقرّر له من بندر عدن ما كان لوالده ، ولما دخل أحمد بن الحسن صنعاء والتقاه جنود الإمام جمعاً دخلوا المدينة ، وهم في القاع يسيرون في تلك الزينة حصل بين بيارقدار[3] خصام كما هو عادة في الجموع مما يحصل منهم من الخيلاء والكبر المشوم العام ، وذلك الافتراق من عسكر كوكبان وبين بعض بيارق دار الإمام فدفع جماعة من عسكر كوكبان بنادقهم فسقط اثنان من عسكر الحيام فلما حصل ذلك الأمر الكائن لحقهم العسكر فهرب عسكر كوكبان يؤمون جهة باب ستران[4] والبنادق في ظهورهم ، فقتل منهم ثلاثة ودخلوا باب ستران .

---

(١) هو أحمد بن يحى ابن الراوندي أنظر ترجمته في ابن خلكان ١ : ٩٤ .

(*) أي صلّب به الكتب جلدّها .

(٢) القراش بالقاف المعجمة : المواشي . ولعله الفراس بالفاء الموحدة .

(٣) جمع بير قدار : وهو حامل العلم .

(٤) باب ستران : الباب الجنوبي بقصر صنعاء في ذلك الوقت ، ولاتزال آثاره باقية إلى الآن .

وفيها أو غيرها : كان رجل في أرض تهامة يشهد بآخر رمضان بتقديم الفطر للصيام بيوم على سبيل الدوام ، فلما حضرته الوفاة أخبر أنه كان يشهد بذلك شهادة زور لأجل يفرح الصبيان بالعيد تعجيلاً لهم بالمسرة والفطر من سائر البشر للفرحة ، فانظر هذا الأمر العجيب الذي ينبغي التثبت فيه وعدم التصديق بأول قول من غير لبيب .

وفيها : رخصت الأسعار وكثرت الأمطار الغزيرة في جميع اليمن شرقاً وغرباً ويمناً[1] وشاما[2] ودخل صنعاء سيول كبيرة قدر عشرة وأكثر وصلحت الثمار بلغ القدح[3] بصنعاء الى ستة كبار وارتفع بحر[4] صنعاء هذه السنة عقب المطر ارتفاعاً عظيماً حتى بلغ أنصاف الآبار ، وقرب منه للسناة المنال ونقص عليهم التعب في بُعده عن سابق الحال ، ثم انه شرع يخرج الماء بنفسه من فوق قرية الدجاج بأعلى السد بشعوب .

وفيها أو التي يليها : نزل سيل عظيم بوادي ظهر من منتزهات صنعاء من أعلا بلاد حضور لم ينزل مثله في هذه العصور فدخل الأعناب من الجهتين ولم تَسَعه السائلة من الجهتين ، فخرب الجدرات للأعناب وحمل كثير من الأعناب ، ونزل سيل بمكة المشرفة عظيم بلغ الى القناديل من الكعبة ، وقد أرخه السيد العارف اسماعيل بن جحاف الحبوري[5] بقوله[6] :

أتى السيل مجتازاً بمكة موهناً ... فطهّرها واجتاح منها أباطيلا

وما قصد الضر الشنيع وإنما ... أراد من البيت المعظم تقبيلا

يقولون أرخ كونه قلت فاحسبوا ... سمعت بأن الماء لاقى القناديلا

وفيها : مات الشريف العلامة أحمد بن محمد بن صلاح الشرفي القاسمي ببلدة معمرة رأس جبل الأهنوم وقبر هنالك كان المذكور عارفاً عالماً في كثير الفنون وله مصنفات منها شرح على الأزهار ضمنه من الأدلة والأخبار مخرجه من أمهات كتب الحديث مفردة إلى أصولها وله شرح على الأساس وتاريخ كبير جعله شرحاً على البسامة لابن الوزير في

---

(١) يمناً : جنوباً .

(٢) شاماً : شمالاً .

(٣) القدح : من مكاييل صنعاء حتى اليوم هذا .

(٤) بحر صنعاء : مياه صنعاء في الآبار .

(٥) من الادباء توفى سنة ١٠٩٧ «البدر الطالع ٢ : ٥٥-٥٦ وخلاصة الأثر ١ : ٤٠٤-٤٠٦» .

(٦) الأبيات في طبق الحلوى : ١٠٧ .

ثلاثة مجلدات بلغ فيه إلى آخر دولة الإمام المؤيد بالله محمد بن أمير المؤمنين القاسم بن محمد ، وكان يميل إلى مذهب الجارودية والإمام القاسم صح عنه التوقف في رسالته المسماة بالشجرة . نعم رأيت للسيد أحمد الشرفي رحمه الله في نسخة شرح الأساس الصغير زيادة من لواحقه فيه فذكر التوقف والله أعلم .

وفيها أو التي بعدها : مات السيد حسين الأدرن الوهاسي من سادة بني وهاس ، وكان السيد معمرًا في السن قال لي : إنه يعرف مطهر شرف الدين ويعرف جميع ما اتفق معه من الحروب بحوشان وجميع الباشات الذين خرجوا إلى اليمن ودولتهم جميعاً واحداً بعد واحد .

وفيها : خرج أحمد بن الحسن بأمر عمه الإمام الى بلد ملاحا من أطراف بلاد خولان صنعاء فأخرب فيها بعضها وقطع شيئاً من عنبها ، وذلك بسبب تسليم الزكاة الى الإمام ورفعها الى ولاته ، وكان من قبل ذلك يسلمونها الى فقهاء جهتهم على سبيل المصالحة من غير تحر فيها ولا ملاحقة ، فلَمَّا عرفوا صدق الطلب والقهر بالأمر لهم والغلب أذعنوا بالطاعة والتسليم الى من رآه الإمام لتلك البضاعة ، وانخرط عند ذلك سائر بلاد خولان وحكموا الشريعة في النزاعات بينهم والخصامة ، وتركوا أعمال «المنع»[1] والقبيلة وسلموا الحقوق لليتيم والأرملة مع المطالبة والله يصلح المسلمين . وفيها : مات الدرويش المعروف بالجوبلي كان المذكور مجذوباً يلبس المرقعة وعلى رأسه القعشه[2] يسكن في حارة جبل نقم عند غيل الغراب والنقم حتى نسب هذا الغيل اليه لسكونه وقراره فيه ، وقد يدخل في النهار الى السوق ويبيع فيه فصاصاً يعرف حجارها من جبل نقم ، فيتقوت بها ويستغني عن غيرها ، وكان قد جعل له جرفا عند الغيل يرقد فيه ويختم بابه بصخرة في الليل خشية من الضباع لكثرتها في ذلك الجبل والأسباع وكذا من الذئب فإنه لا يزال هنالك ويوجد مع الرعاة في تلك المسالك ، فحماه الله عنها ووقاه إياها ، وهو وحده في الليل في ذلك الموضع لا يخشاها ومن كان مع الله كان الله معه .

وفي هذه السنة : أمر محمد بن الحسن بن القاسم بجعل مشهد على قبر الإمام أبي

---

(١) المنع : بفتح الميم وإسكان النون هو العرف القبلي عند أهل اليمن وبعض بوادي الحجاز ، وقد أشار إلى ذلك ابن المجاور في المستبصر :٩٩ .

(٢) القعشه : جمة الشعر غير المرتبة .

الفتح الديلمي شرقي ذمار بنجد الجاح طرف قاع القعودين ولم يكن عليه شيء من قبل هنالك ، ثم أن زوجته الشريفة دهماء بنت الإمام المؤيد بالله أيضاً أمرت ببناء سمسرة للمسافرين هنالك وقيم للمشهد فتم جميع ذلك .

ودخلت سنة ست وخمسين وألف

وفي هذه السنة تغير هواء صافية ذي ثهلان من أعمال جهات ضوران ، وهي معروفة من قديم الزمان بضعف الهواء وما فيها من الوباء فارتفع عنها بقية الساكنين ، وصارت قفراء لا يوجد فيها غير الذاهبين والجائين وعادت الى حالها الأولى . وسبب ذلك أن في وقت سكون والدي الحسين بن الإمام في تلك الأيام اتفق نضوب المياه وقلّتها عما كانت عليه قبل من كثرتها ووسعتها فحسن الهواء لأجل ذلك وزال الوباء من ذلك فلما عاد الماء الى الزّمان السالف وغالت أرضها ضرّ وخَمها ووباؤها فانتقل جميع من فيها عنها فصارت بيوتها ومساكنها خالية قافرة بعد أن كانت عامرة ، عبرة لمن اعتبر وتذكرة لمن يذكر فسبحان من لا يزول ملكه ولا يحول أمره وصارت الآن خاربة .

وفي هذا العام : أمر الإمام بأنه لا تؤخذ زكاة السوائم الا من النصاب التّام ففعل ذلك في بعض جهات دون بَعْض .

وفي هذه السنة : أمر الإمام بقطع شجرة في بلاد عذَر كانت مقصداً للعوام بالنّذور والتعظيم والكلام ، جعلوها كشجرة أنواط التي كانت في مدة النبي صلى الله عليه وسلم ونهى عنها .

وفيها : وقعت صاعقة عظيمة بجامع صنعاءالكبير ، فأخذت جانبا من المنارة الشرقية في وسطها وعرضها فتحت منه بابها ولم تهدمها ، فأصلح ذلك الخلل وسد واتصلت الصاعقة الى داخل المسجد المؤخر فأهلكت رجلين اثنين كانا في الصّلاة ، والحكمة في ذلك لله والله أعلم .

وفي تاسع شهر الحجة منها : وقع زلزلة بصنعاء وغيرها وتبعتها أخرى في شهر ربيع الأول من سنة سبع وخمسين وألف .

ودخلت سنة سبع وخمسين وألف

وصل رسول ملك النصارى بالحبشة بمكاتبه الى الإمام المتوكل على الله اسماعيل

بن القاسم ، وكان قبل ذلك أيضاً قد أرسل الى الإمام المؤيد سنة اثنتين وخمسين وألف ووجه صحبته بهدية من الرّقيق والزباد وسلاح الحبشة ، وضمن كتابه الأول والثاني استدعاء رجل يصل اليه من خاصة الإمام ، فأما الإمام المؤيد فإنه اقتضى نظره عدم الإسعاف بإرسال رسول إليه بل أجاب عليه بجواب ووجّه اليه هدية عوض هديته ورجع من بندر المخا ، وأمر النقيب سعيد بن ريحان متولي المخا بتجهيزه وبلغوا به الى بندر بيلول المعروف بلد السلطان شحيم بن كامل الدنكلي الى سنة سبع وخمسين وألف ، ثم أن الملك المذكور عاود بكتاب آخر وهدية أخرى وذكر في كتابه ما معناه : ان المهاداة بالمال ليس هي نفس المقصود وانما هي تبع للوصول الى نيل الغرض بإرسال الرجل الذي استدعينا وصوله ، وقد كان سبق قبل هذا وفاة الإمام المؤيد بالله ، فلما وصل رسول الملك المسمى سجد فاسلداس بن السلطان سجد سَبْنوس (ومعنى سجد كثير السجود ومعنى سَبْنُوس من أسماء الله بلغتهم) الى بعض أطراف الحبشة بلغه خبر وفاة الإمام المؤيد أرسل الى الملك يرفع الخبر فرجع له الجواب أن ينفذ لما أمر به وجعلوا كتاباً آخر الى الإمام المتوكل وأمره الملك أن يبلغ الكتابين جميعاً ليكون كل واحد مؤكداً لمضمون الآخر ، فوصل الرسول الى حضرة الإمام في عام سنة سبع وخمسين وألف ، وكان خروجه الى بندر المخا وجاءت طريقه بطن تهامة من جانب مدينة زبيد ثم على مدينة مور والأمروخ ونفذ الى هجر الأهنوم ووصل الى الإمام وهو بحصن شهارة ، فأكرم الإمام نزله وأطلع على كتبه لاستدعاء رجل من عنده لسر لا تحتمله الأوراق فاختص الإمام بالرسول وسأله هل عنده ظنّ بمراد ملك النصارى : فقال له : الذي يبلغ اليه ظني أنه يريد الإسلام ، فلما قال ذلك استشار أصحابه وكتابه فاتفق نظر الأكثر منهم الى إجابة هذا الملك وأنه تجب شرعاً حيث قد تعلق الطمع بإسلامه وقال الأقل من أهل مشورته بخلاف هذا الرأي وأنه لا يغلب على الظن أن هذا قصد ملك النصارى ولا يريده ، فاطرح الإمام هذا الرأي الصائب لما كان القائل له هو المخالف لرأيه ، وكان القاضي العارف الحسن بن أحمد الحيمي واصلا من حج بيت الله وزيارة النبي صلى الله عليه وسلم ، فعرض هذا الأمر عليه فأجابه القاضي إلى مطلبه .

وأصحبه الإمام هدية فيها بعض من شيء من البنادق وآلات الخيل والسيوف ، وكان الأولى في الهدية الى مثل هذا الملك الكافر غير ذلك من الكسوة ونحوها لا السلاح

والبنادق فإنها لا تجوز للكافر ، ثم أمر بانشاء رسالتين وقال الإمام للقاضي : اذا انتهيتم الى هذا الملك ،اظهرتم له هذه الرسالة المتضمنة للجواب عليه وذكر الهدية وأخرتم الرسالة الأخرى حتى تجتمعوا به ، وهو لا بد ما يفيض عليكم ما عنده ،فإن وجدتموه يريد ذلك الأمر والدّخول في ملة الإسلام دفعتم اليه الرسالة الأخرى والاّ تركتموها فتوجّه القاضي حسن في غرة جمادى الأخرى الى محروس بندر المخا وتجهز من هنالك في نصف شهر شعبان ، وكان جملة السفر في البحر قدر يومين فقط الى بندر ببلول . .[1]

. . انتهى ما ذكره القاضي من مضمون سيرته إلى الحبشة ووصفه ، وذكر القاضي المشار إليه في آخر مصنفته هذه وسيرته وما اتفق له في طريقه في الحبشة قصيدة منه يحث الإمام وأعوانه على الجهاد في سبيل الله لأولئك الكفار الأشقياء من النصارى والطغاة من اولئك الجهلاء ، والاستيلاء على بلاد الحبشة بأجمعها واظهار كلمة الإسلام فيها ، وكلام القاضي حق لا لبس فيه ولا يخالف أحد في حسنه مع إمكان تلافيه ، غير أن حالة اليمن وولاتها ورعاتها وقبائلها ورؤسائها معروفة بكثرة الاختلاف ومحبة الرئاسة إذا أمكن لأحدهم من غير اتصاف ، فلو أن جند الإمام هذا الموجود سار إلى تلك الجهات والنجود رفعت أهل الأهوى في اليمن رؤوسها وادعى كثير منهم تسوّدها وغنموا الفرصة وقت الغفلة ، ووقع بسبب ذلك الفتن والخلاف والمحق وعدم الائتلاف ، ثم أن صاحب اليمن لا يكاد ينهض بجميع نفقات ما يحتاج إليه الجنود من الأزواد والأجمال والأثقال إلا بمَعَرَّة شديدة وصعوبات على المسلمين لا تحصل على الوجوه السَّديدة مع ركة اليمن عن الحركات البعيدة وما يحتاج فيها من الأمور الواسعة الكثيرة ، ثم أن سواحل الحبشة المذكورة إلى جهات السلطان بن عثمان وفيها باشات لا تزال في الولايات هذه الأزمان ، فلا يتم التخطي من بلادهم إلا بتحريك عليهم وتغيير في جهاتهم ، وفي ذلك تحريك دولتين وطائفتين ، فلا شك أن مثل ذلك لا يتم ولا يتقدّر أن ينبرم ، والعجب من غفلة القاضي عن التفكر في العواقب وهو من أهل الرأي الصائب فلله تعالى في الإمهال في أرضه حكمة ولو جُهل وَجْهُها عند أهل الفطنة ، وكان يكفي القاضي لو يذكر بما أسَّى الله تعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم حيث قال ﴿فَلاَ تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيهِمْ حَسَرَاتٍ

---

(١) هنا يلخص المؤلف رحمه الله رحلة العلامة الحسن بن أحمد الحيمي الى الحبشة وهي رحلة مدونة في كتاب مستقل طبع عدة مرات بعنوان (سيرة الحبشة) واختصرناه في كتابنا «الرحالة اليمنيون» :٢٩-٥٨ فينظر .

أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾ ونسأل الله التوفيق وحسن الخاتمة والمطابقة لمراده ، والموالاة لأوليائه وكفاية الأشرار من الكفار وبسطة أهل الإيمان من المسلمين الأخيار آمين .

وفيها أو التي تليها : أمر الفقيه أمير الدين العلفي الأموي وهو المتولي يومئذ على بندر عدن بقتل جماعة من يافع لخلل وقع منهم كان وقع في الطريق وفساد وتمحيق [1] .

وفيها : خسف القمر .

وفي هذه السنة : وصل عز الإسلام محمد بن الحسن بن الإمام الى مدينة صنعاء طالعاً من جهات اليمن الأسفل وذمار بعد الإستقرار له الطويل في تلك الأقطار من عقب موت أبيه الحسن وطلب أولاده يومئذ من صعدة وسكن ، وكان استقراره في دار مسجد الأزهر[2] الذي بناه الإمام الأشهر فاستقر هذه المدة في المدينة . وذكره الخطيب بإسمه بعد ذكر الإمام في خطبة الجمعة ، واستمر على ذلك مدة بقائه وحضوره ، واذا غفل عنها ترك ذكره وتعيينه ، والخطيب يومئذ قاضي المدينة وحاكمها ابراهيم بن يحيى السحولي ، واستمر ذلك كذلك للمذكور واخوته وأولاده في الخطب عند الحضور ، وأما القاضي أحمد بين سعد الدين خطيب الإمام والكاتب الذي كان للمؤيد في ذلك الزمان فإنه لما خطب في صنعاء كما سيأتي تاريخه حذف ذكره وطوى إسمه .

وفي هذه المدة : أباح الإمام المراعي في أملاك الإسلام فتضرر من ذلك أهل القرى من أغنام بعضهم البعض ، وحصل بينهم الخصام ، ومازال بينهم الشجارات وارتكاب الآثام .

وفي هذه المدة : ظهر رجل مقذي[3] يجعل عطبة على موضع الألم الذي يشكوه الأليم من خارج ثم ينزعها فإذا قذفها حمرة أو خضرة أو سواداً أو وسخاً فيقول : هذا قد خرج من داخل ، فأكل بذلك من كثير من الناس ثم اضمحل ذكره وما هو إلاّ من السِّحر .

ودخلت سنة ثمان وخمسين وألف

فيها : ارتفع بحر صنعاء ارتفاعاً غير معهود كما أشرنا سابقاً ، فكان سبب ذلك الارتفاع

---

(١) تمحيق من المحق وهو الإفساد والإهلاك .

(٢) يعرف الآن بمسجد المدرسة من المساجد العامرة شرقي صنعاء غربي الطريق النافذة من باب شعوب الى الميدان «مساجد صنعاء : ٩٦» .

(٣) طبيب يعالج الروحنيات .

وزيادة الاستطلاع إخراج غيل الجراف ، ومدّ الساقية للجري والازدلاف فظهر ، بأيْسَر حفر في الأرض ذلك الماء وجرى من أعلا السد بشعوب الى ذلك المنتهى فانتفع به أهل الجراف النفع التام وزادت أثمار الأعناب تلك الأيام لأجل الانتفاع به [1] وترك المسني وفيْضه العام فترك الناس معاناة المسافي وما يلحقها من زيادة النّفقات بالمثاني ، والمعتنى بهذا الغيل واخراجه محمد بن الحسن بعد طيافته ومعرفته ، وهو في الأصل أساس قديم وغيل غزير عظيم دفنته الدولة الطاهرية مع دفن غيول صنعاء حسداً وبغيا كما سبق في أصل هذا التاريخ [2] ثم تعقّبه في إثره هذا العام اخراج غيل آخر بَجَنْبه من غير انفصال للسّيد جمال الإسلام علي بن الإمام استخرجه أيضاً بأقرب عمل وجرت ساقيته الى سفال السّد وقرية ماطر الحشيشية فسقاها عن كمل وبلغ وفاض الى الرّوضة الغنا وتلك الرّبوع المخضرة الزهراء فسقاها وزاد في إحيائها وأصلح أعلاها .

وفيها : ظهر جراد باليمن كثير .

وفيها : بعث الإمام رسالة الى اليمن يذكر فيها الإنكار من جَمْعِ الشيخ أحمد بن علوان وأنه صار يختلط فيه الرجال والنساء ، فلم يجد ذلك بل استمر على حالته الأولى ، ورأيت في عيد عرفة بحضرة الإمام اجتماع للصدقة واختلاط النساء بالرجال والشابات بالشواب والحسنات [3] بالحسان من غير استنكارلهم في ذلك ولا انتهار ، ويبيتون تلك الليالي في الشوارع والبراري مختلطين ، فجمع ابن علوان نفع الله به من هذا الوادي ، ومن هذا السريد الجاري ، والأمور تجري على غير قصد واختيار بل يلحق بالاضطرار لكثرة الوافدين وعدم الانخراط على طريق الصالحين ، لأن أحوال الدنيا لا تزال مشوبة وأحوالها في كل زمان عجيبة والله يختم بالصالحات .

وفيها : وصلت الى الإمام رسالة القاضي العلامة والبحر الفهامة عبد القادر بن علي المحيرسي [4] في مناقضة مذهب الإمام في قوله بالتّكفير بالإلزام فقال القاضي في هذا الشأن وقد أجاد في الدليل والبيان مما يدل أنه من أهل التمكن والعرفان ما لفظه :

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم ، وبعد فما ذكرتم من منع مشاع

---

(١) هذه اللفظة ضرب المؤلف عليها بخطه .

(٢) أنظر غاية الأماني : ٦٤١ .

(٣) جمع حسنة وهي الحسناء .

(٤) من العلماء الأفاضل توفي سنة ١٠٧٧ (طبق الحلوى : ٢١٨) .

الدعاوي لما كان من زمن الدولة[1] وصارت الجوابات مختلفة فإن كان لأجل البغي فالباغي لا يخرج عن أحكام الشرع فيما بين المؤمنين لثبوت إسلامه شرعاً ، وفي معاملة علي كرم الله وجهه لأهل الجمل وصفين مع استحلالهم لدماء المسلمين ما يهدي الى هذا المعلوم ، وأن كان لكونهم من أولياء المجبرة لموالاتهم لهم أو لكون الجبر معتقدهم فالذي علمناه من يضاد الإسلام والكفر يقضي باتخاذ الطريق الى ثبوتهما والى دخول أحدهما حيث يدخل الآخر من ثبوتهما بفعل القلب بلا اختلاف والاّ لافتقر أحد الضدين الى أكثر مما افتقر اليه الآخر وهو محال أو لزم ثبوت الحكم بمجرد القول فيكفر من نطق بكلمة الكفر بنحو إكراه من دون اعتقاد معناه وهو خلاف الإجماع . . الى آخر ماقال القاضي عبد القادر وأجاب الإمام على القاضي بما أكثره بمحلّ النزاع ولا شك في متانة كلام القاضي هذا وظهور وجهه .

وترادفت الإعتراضات والرسائل على الإمام في هذا العام ، فمنها ما ذكرناه في هذا من القاضي ، ومنها من الفقيه العلامة العارف عبد العزيز الضمدي[2] التهامي فإنه اعترض الإمام في التأديبات التي تجري على أهل البلد عموماً في سبب خاص من بعضهم وكثرة الإسترسال في المجابي ، وكذلك اعترض السيد ابراهيم بن محمد باعتراضات من نحو ذلك ، وكذلك من جهة القاضي أحمد بن علي بن قاسم العنسي[3] الساكن ببرط رسالة فيها اعتراضات على الإمام وجميع الولاة والمتصرفين وأكل الزكاة واستهلها بأبيات أولها يقول فيها :

الى العلماء العاملين الأعزة من الهاشميين الكرام الأئمة

وبعضها غير قادح على الإمام كما بينته في جوابها مع أن المذكور وأقاربه صاروا يقبضون من زكاة برط فوق المائة الزبدي دفعة واحدة وقبض ما فوق نصاب الزكاة حرام .

وفيها : كان لجماعة بعض تقرير جار من زمان الإمام المؤيد بالله وإخوته فلما دخلت دولة هذا المتوكل غيّره وقال : إنه لا يحل ذلك لكونه من الزّكاة وهي تحرم على بني

---

(١) يعني الدولة العثمانية .

(٢) هو عبد العزيز بن عمر الضمدي من العلماء له مؤلفات توفي سنة١٠٧٨ (طبق الحلوى ٢٣٢) .

(٣) من علماء اليمن ولي القضاء وتوفي سنة ١٠٨٩ (طبق الحلوى :٣٥٧) .

هاشم والأغنياء ، وكان ذلك عاماً لكثير من أهل هذا الجنس ، فكتبت اليه : أن ما ذكرتم ليس هو عذر فإن سائر بني هاشم ما تركتم ما هو لهم فيلزم العموم فقال : من أعطيناه فهو للتّأليف والضرورة ولكن قد نجعل لمن لم يكن فيه علة التأليف من المطالب المقررة على البلاد ، فأجبت عليه : حيث قد بَنَيْتم على التّحري فلا وجه لهذه المطالب الشّهرية فإنّها إن كانت على طريق المعونة فلها شروط غير خفيّة ، والظاهر عدم حصول شرطها ولإكمال المسوغ [1] لفرضها فأجاب ما هذا لفظه :

بسم الله الرحمن الرحيم بعد ترجمة الكتاب ، وبعد فوصل كتابكم الكريم ويتضمّن السّؤال عن وجه المقرر ولم يشغل عنه حال وصوله شاغل فتحقّقناه وما كان الظن أن يخفى ذلك وجهه فالحق بيّن بحمد الله ، وبيان ذلك أن مذهب أهل العدل أن المجْبِرة والمشبّهة كفار ، وأن الكفار اذا استولوا على أرض ملكوها ولو كانت من أراضي المسلمين وأهل العدل وانه يدخل في حكمهم من والاهم واتمنرى إليهم ، ولو كان معتقده يخالف معتقدهم وأن البلد التي تظْهر فيها كلمة الكفر بغير جوار كفر به ولو سكنها من لا يعتقد الكفر ولا يَقول بمقالة أهله ، هذه الأصول معلومة عندنا بأدلتها القطعية ومدونة في كتب أئمتنا وسلفنا ، ولاينكر ذلك عنهم أحد من له أدنى بصيرة ومعرفة بمصنّفاتهم الأزهار وغيره ، الى أن قال فإذا استفتح الإمام شيئا من البلاد التي تحت أيديهم فله أن يضع [2] عليها ما شاء سواء كان أهلها ممن هو باق على ذلك المذهب أم لا فالمقلد من الناس إن أراد أن يكتفي بالتقليد فهذه الأمور معروفة في المختصرات وأن الواجب الوقوف على الدليل ففي المبسوطات ما يكفي ويشفي .

وقد أجبت على هذا بكتاب حافل في مجلد صغير قدر ثمان كراريس في نصف قطع ولم نبلّغه اليه لعلمي أنه لا يثمر لديه ، وجميع ما ذكره مختل لم يكن في كتب الأئمة ولا الأزهار مما ذكره ، وإنما المذكور في الكتب أحكام الكفار والمرتدين ، فأما الجبرية والمشبّهة فلا يوجد منهم الآن أحد في جميع بلاد الإسلام ، فكان المتوكل عليه أن يعرف بالأصل ليرتّب عليه الفرع . ولا يجعل هذا ذريعة له ولغيره في الجور من العمال والمتصرّفين ، فلا حول ولا قوة الاّ بالله ، مع أنه ما وفى للناس ماكان لهم مع هذا [3] . .

---

(١) الأصل : المصوغ .

(٢) كذا تقرأ هذه اللفظة ولعلها غيرها .

(٣)هنا كلمات مضروب عليها بالقلم لم نستطع تبينها .

وفي خلال هذا ظهر زيادة المرتفعات من الولاة باليمن الأسفل وغيره ، واسترسلوا في المطالب والزيادات لها حتى تعب أهل البلاد ، ومازالوا بالشكوى فلم يسمعها منهم المتوكل لتحرّر هنا الشبهة الباطلة عنده ، فكتبت اليه كتاباً أترجى أو عسى يحصل معه تعطّف ورحمة لهم فأجاب علي بما لفظه : وذكَرْتم ما صار يجري في اليمن الأسفل ، وما نقل اليكم فما اشتغالنا في الأغلب الاّ بإنصاف مثل من ذكرتم من المظلومين ، وكل من اتصل بنا لا يعود الاّ منصفاً ولا نترك لله حقّا ، وقد كررنا الأمر بذلك إجمالاً وتفصيلا ولا نزال عليه انتهى كلامه ، ولا أصل له فإنهم عادوا من بابه مظلومين غير منصفين مرارا حتى أنه بقى شكاة العدين في بابه قدر سنتين ، ثم حبس شيخهم وأمرهم بتسليم زيادة المطالب .

وفي هذه المدة : خرج من حضرة الإمام رجل يقال له أحمد الغشم الآنسي بخط طلبه للاحتساب والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وما جرى في هذا الباب ، وكان على الإمام أن يمتنع من إسعاده الى الخط ويقول له : مثلك لا يقوم بهذا وليس لك فيه حظ وإنما يقوم به الولاة ومن معه أعوان لتنفيذ ما نهاه ، وكان المذكور قد فرح بذلك وعدّه من الأمور المهمة فيما هنالك ، وهو غير عارف بشروط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بجميع الشروط والحروف فخبط فيه خبط عشوى . وصار يجري فيه تخليط مع الجهل والهوى ، وللناس فيما يعشقون مذاهب ، وربما أن النّية معه غير محرّرة على الإكمال ، وخلوصها عن مفسدات الأعمال فلأجل ذلك لم يحصل فيما أراد على طائل ولم ينفع أمره ولم يتم له نهيه ، بل قد وقع في تعريض نفسه لما وقع فيه ، وجرى له من الفعال الذي حصل فيه لما أنكر مرة على غلمان من سُواس الخيل شرب التتن المعروف ، فاجتمعوا عليه وربطوه في الديخه [1] وأذاقوه الفضيحة ، حتى لقد كتب ورقة من كَتَب منهم ودسّها في غلقة باب منزلته ، وفيها من الكلام الفاحش ما يتعجب منه يقول فيها : ياغشم ياغشوم اعجل بالوصول فإن الأير قائم فالعجل العجل ، وقال في الورقة محبّ الإمام سعيد الغلام ، فهذا ذكْره للتعجّب في الإغترار والفضول من الجهال لما لا يعنيهم ، أوقعت الى هذا من أرذل الناس والى أنكر ما أنكره مع عدم كمال الأثر الذي أثره ، ومع جهله بأن التتن ليس فيه تحريم صريح ولا دليل يعول عليه صحيح

(١) الديخه : موضع الديخة أسفل البيت حيث توضح فيه هذه المادة المكونة من رروث البهائم وأجزاء من البرسيم اليابس .

فجمع في إنكاره هذا بين قبح الإنكار ثم قبح ما وقع فيه وصار ، والرجل هذا حال الاحتساب في سن الشباب وأوان التكليف والبلوغ أمرد الوجه لم يلتحِ ، فكان جهله أوقعه في عمل من لا يستحي ، ثم سرقوا عليه الخطّ وعدم به الحظ ، ولما جرى ذلك دخل حضرموت وأبدل سيما الفقهاء بسيماء الجند وحمل الرمح وركب الحصان مع أحمد بن الحسن ثم تزوج فيه واستقر بنواحيه .

وفي يوم الخميس ثالث عشر شهر جمادى الآخرة منها : اتفق قران المريخ وزحل في برج الجوزاء وفيها : ابتداء الإمام ببعث أمير الحاج يسير معهم من بابه الى محروس مكة المشرفة بعسكره ، وصرّ من الدراهم لصاحب مكة على صفة ما يفعله السلطان ابن عثمان بجهته [1] ، وكان قبل هذا الوقت والأوان لا يعرف الأمير في تلك الأزمان ، بل كان قبل ذلك وفي مدّة الإمام المويد يسير الحاج الى هناك بغير أمير ولا اعطا صرّ [2] ولا منقير [3] وإنما كان السيد محمد بن صلاح صاحب جازان وأبي عريش يَصْحب الحاج في بلاد الحرامية لحفظهم حال المرور والتّعريس ، فإذا وصل الى حل عاد راجعاً بعسكره وذهب الحاج فريداً بأكمله في أمان الله وبركة بيته من غير هذا التكلّف الشاق وكثرة ما يلزم من الإنفاق .

وفيها : انتهب [4] رجلان شاميان [5] مالاً في الطريق الخارجة من ذمار ، وقتلا الرجل ، فقبض أحمد بن الحسن على أحدهما وجيء به الى صنعاء ، فأمر بضرب عنقه وشنق في أعلى نوبة باب شعوب .

ودخلت سنة تسع وخمسين وألف

فيها : جهز الإمام ابن أخيه شرف الإسلام الحسين بن الإمام المؤيد بالله الى قبة [6] خيار ، وأمره بخراب بيوتها وإزالة مافيها : لأجل ما وقع بينهم من الحرب والفتنة

---

(١) عادة إرسال أمير للحج من العادات المتبعة منذ عصر المماليك . ويسمى أيضاً أمير الركب وهو الذي يقوم بالسفر مع ركب الحجاج الى البلاد العربية (الحجاز) ويقود الركب ويحافظ على الحجاج في سفرهم من قطاع الطرق ويعمل على سلامتهم حتى يعودوا الى وطنهم «صبح الأعشى٧ :٧٤» .

(٢) الصر : يطلق على المبالغ السنوية النقدية التي كان السلطان العثماني يرسلها الى أمير مكة والحجاز ينفقها على علماء مكة والمدينة وفقرائها «لطف السمر ٢ :٥٣٣»

(٣) منقير : جمعها مناقير عملة فضية صغيرة .

(٤) هذا الخبرملحق بهامش الصفحة .

(٥) شاميان : أيْ من أهل الشام جهات اليمن الشمالية .

(٦) قبة خيار : قرية من بلاد الظاهر في حاشد تنسب الى خيار بلد من تسيع بني صريم .

والعصبية والقَبلية ، فأخرب منها بيوتاً وعروشاً وتركها خاوية وعاد الى شهارة .

وفي هذه السنة : قصد الناس من العوام بالوفود الى حضرة رجل ظهر من حاله الجذب ممن كان من أهل الحراثة والقُعود في سنحان ببلد أسناف يسمى عبد القادر العرهجي اعتراه نوع من النّشاف فيخيّل للناس ومن وفد إليه من الخفاف [1] أن عنده كرامات ، حتى بلغ بهم الحال أن قال قائلهم قد أبرأ الأكمه والأبرص فاستحب[2] الناس من الجهات لزيارته والمبادرة منهم للاقتباس من طلعته ،ومعهم من الفتوح ما يبذلونه له عند وصولهم ، ثم خرج اليه أيضاً جماعات من المدينة الصّنعانية على ما يعهد من أهلها من غلظة طباعهم وقساوة قلوبهم فأما هذا الرجل فرحل منهم طوائف وسار إليه منهم رغائب وبعض نساء من الحريم[3] ممن اعتراه ألم جسيم ، وظهر شأن هذا الرجل وذكره ، وسببه أنه اتّفق لمن وصل اليه بذلك القصد البرء من علته ولعلها - والله أعلم- حالة اتفاقية ، فحصل مع الناس هذا الانجفال اليه والقصد بالنذور عليه ، ثم أنه لما ظهر هذا الأمر عند ولي الأمر قال : لا ينبغي تقريره ولا تخلية الناس عليه بل تَنْفيره ، فأرسل الإمام بأدب على من قصد إليه وأرسل عليه فهرب العرهجي عن الواصلين ، ثم عاد الى بلدته بعد يسير حين ، ودَخَل عقب ذلك الى مدينة صنعاء فرأيته وهو يدور في شوارعها ويسعى ، والصّبيان خلفه يضحكون وعليه يتعجّبون ، ولباسه لباس حاله القديم وأهله في بلدهم على منهاجهم المستقيم ، من لباس المئزر وحاله الأغبر ، ثم أنه دخل حوش بئر قشام [4] وهو يَسْني وساق البهائم وهو يغني ، ثم خرج عنه في الحال الى لكمة التّراب فسجد عليها وقبلها وصعّد وجهه إلى غير قبلة ولا باب ، ثم طلع رأس دائر المدينة ولم يجد مخرجاً الى البرية ، فَقفز من رأس الدائر فحصل في بعض رجله الكسر ، ثم سار أيّاما وهو يعرج برجله من أثر ذلك ، وقد وهنه ثم انمحل ذكره واستمر على جذبه وخفة عقله .

وفي هذه السّنة : أمر القاضي ابراهيم بن يحيى السحولي [5] بطَمس الكتابة التي كانت في جدار مؤخر مسجد الجامع بصنعاء بلفظ : هذه الروضة في الجانب الغربي ، رأيا رآه

---

(١) الخفاف : أي خفاف العقول .

(٢) استحب الناس : انجرّ .

(٣) الحريم : النساء سميت بذلك من الحرمة وهو ما يحميه الرجل ويقاتل عنه .

(٤) القشام : بتشديد الشين : البستاني .

(٥) من العلماء تولى قضاء صنعاء وسيأتي ذكره بعد قليل .

لاوجه له بل اقتضبه بهـواه ، والا فإن ذلك علامـة للمسجد النّبوي[١] ، ليعرفه من لا يهتدي ، وقد تركه الأولـون وهم العارفون [والعجيبة لبقية المكتوب في طراز المقدم ولفظه : «ولقد اخترناهـم على علم على العالمين» كأنه قصد بـها الآل وانما هي في بني إسرائيل][٢]

قال عبد الله بن صلاح عنقوب المنجم : وكان في هذه السنة دوران زحل ببرج السرطان انتهى .

ودخلت سنة ستين وألف

وفيها : اتفق لرجل من أهل صنعاء في سن الشباب تسودن[٣] فطفر[٤] من رأس بئر السيد قاسم الى قعرها فغرق في الماء ، ومات في الحال وطفى وأطلع منها ميتاً عقب هويّه بها .

وفيها : توفّي الشريف علي العابد بعكفته[٥] ومسجده المسمى مسجد بغلان[٦] بصنعاء اليمن وربَعها الميمون الحسن ، كان هذا السّيد المذكور من الفضلاء وأهل العبادة والرجال الكملاء ، وممن عمل صالحا وأبقى خامل الذكر ضائع القَدْر مهملاً وهو عند الله عظيماً ، وكان يلبس بسَاطا وعلى رأسه قبع[٧] بلا عمامة وكان بقاءه في منزله حيث هذا المسجد ويَتَعبّد في المَسجد وعنده بئر منزع يحركه بيده حاجة الوضوء ، واستمر كذلك في هذا المكان قريب سَبْعين سنة كما روي ، وأنا كنت مما لا أعرفه في حياته ولا يروى لي أحد حالته فلما مات رحمه الله ونفع به وبالصّالحين من عباده رأيت جنازة خارجة الى مقبرة خزيمة[٨] معها خلائق عظيمة ما رأيت قبلها أحد خرج بمثلها حتى أهل السوق ، وكان ذلك هو السبب لسؤالي عنه واهتمامي بوصف شأنه وبيان حاله بحيث أني كنت ظننت أنه من الأمراء والملوك وهم الملوك ، في التحقيق كما يقول الشاعر :[٩]

---

(١) يعني حد المسجد الذي بنى في عهد النبي صلى الله عليه وسلم .

(٢) ما بين المعقوفتين . الحاق بخط مغاير لخط المؤلفة لعله لحفيده المطهر بن إسماعيل .

(٣) تسودن . فعل من السوداء . أي أصابته السوداء وهو مرض معروف ويطلق هنا عند أهل صنعاء على نوع من الجنون .

(٤) طفر : وثب من ارتفاع .

(٥) اي موضع اعتكافه .

(٦) من المساجد الدائرة يحده غربيا حضيرة الوقف وجنوبيا بيت السبيل التابع للمسجد ومفتح بابه وشرقيا بيت السمحي وبيت العديني المزين «مساجد صنعاء :١٦» .

(٧) غطاء للرأس كالطربوش يصنع من خرق تصبغ بمادة زرقاء داكنة ويعتم عليها « زيد بن علي الوزير : جواهر الدر : ٥٣٠» .

(٨) مقبرة خزيمة : هي مقبرة صنعاء تقع في الجهة الجنوبية منها .

(٩) هو عبد الله بن أسعد اليافعي انظر هذا البيت مع أبيات أخرى في (روض الرياحين :٤)

ملوك على التحقيق ليس لغيرهم   من الملك الا اسمه وعقابه

نعم فقالوا : هذا سيد من أهل البيت عابد صالح زاهد يلبس الخشن من الثياب فإذا قام للصلاة لبس أحسن الثياب وأنصعها ، وصلى صلاة بأكملها في متعبّد ومعتكف له يقال له مسجد بغلان ولا يحب الظهور ويؤثر الخمول فقلت : لاشك أن هذا الرجل له شأن عظيم وحال عند الله جسيم رحمه الله ، ودفن بخزيمة ، نعم وهذا المسجد المذكور من مساجد البيوت المهجورة بقرب مسجد المفتون غربي مشهد الإمام صلاح الدين .

وفيها : وصل الى صنعاء اليمن رجل شاطر من الجهات المصرية من اللوتية [1] حالق لحيته مسبل شاربه مخالف للسنة الشرعية ، فمن جملة عمله ولعبه وشطارته على زعمه أنه كان يحمل الخشبة العظيمة والحجرة الكبيرة علمها وينقلها من هذا الجنب الى الجنب الآخر .

وفيها :مات الأمير رجب الرومي بصنعاء وهو الذي سبق ذكره في أصل هذا التاريخ[2] . وواجه الإمام المؤيد ، وكان مرسلاً من جهات السلطان زيادة لحيدر ، فولاّه الإمام وأقطعه وأصحابه بلاد المخادر تحت نقيل سمارة ، فسكن فيها مدته في أرغد عيش وأطيب حال بالكفاية التامة والولاية ، وبنى فيها داراً عظيمة ومساكن واسعة ومصانع غريبة بحيث جعل في داره دَوَّاراً من صروف[3] للطعام يضع فيه الحريم الأطباق والخبز والمقالي [4] المنوعة الفخام ، ثم يَعْصرن ذلك الدوار فيأخذ ما فيه من الجهة الأخرى الرجال ولا يسمعون صوت الحريم ولا يرون شخوصهن حال التّقريب والتّسليم . رأينا هذا في داره لما بِتْنا عنده في سفر مضيناه ، فرأيناه كما وصفناه ، فلمّا طلع هذا العام الى صنعاء لغرضٍ اقتضاه من محمد بن الحسن بن الإمام مات فيها وقبر بحوطة قبّة البكيرية ، وفي مقبرتها كان دفنه وجنبها .

وفيها : توفي القاضي العارف العلامة الفقيه ابراهيم بن يحيى السحولي[5] حاكم المسلمين بصنعاء اليمن ، كان المذكور عارفا بالفقه وعلم الكلام ومشاركة في النحو ،

---

(١) لم أجد هذه اللفظة : ولوتيا عند المؤلف بلدة من الهند أهلها من الباطنية .

(٢) انظر غاية الأماني : ٨٢٩ .

(٣) الصروف : جمع صرفة اللوح من الخشب .

(٤) المقالي : جمع مقلا . وهي المقلاة (معروفة)

(٥) انظر ترجمته في مطلع البدور (خ) والبدر الطالع ٢ :٩٧ .

أخذ في علم الكلام على القاضي عبد الهادي الثلائي ، والفقه على والده يحيى وعلي السيد محمد المفتي ، والشكايذي ، وكان حاكماً بمدينة صنعاء وخطيباً وإمام الجامع للصّلوات في أوقاتها ، ولم يعلم أن المذكور سجد لسهو في صلاة الجمعة في جميع مدته واتفق مرة أنه كرّر لفظة في التلاوة حال الامامة فانتظر السامعون له أنه سيسجد للسّهو فلم يسجد ، فقيل له سجود السهو فاتك لأجل تكريرك ، فأعرض عن كلامه ، وكان مع اشتغاله بالقضاء وعدم المعاون له في زمانه وما مضى في مدته وأيامه وكثرة الشجار والتحاكم من كثير من الأقطار لا يترك الدّرس والتدريس في الفقه وعلم الكلام ، مما يعجب من قوة صبره تلك الأيام ، حتى كان السّنة التي مات بها يدرس في البحر وفي علم الكلام في منهاج [1] القرشي ، وجعل عند ختمه للبحر ،[2] ارجوزة [3] في مشايخه وله تعليق على الأزهار يتضمن تقريرات مشايخه ووالده ، وله تعليق على الثلاثين المسألة [4] وكان يرى حل الزكاة الى بني هاشم والأغنياء اذا كان الصّرف لمصلحة كما صرّح به في حاشيته على الأزهار ، وقبر بالمحاريق قريب جرْبة الروثة بمقبرة باب اليمن وبنى عليه صنوه الحسين قبة هنالك عند مسجد كان بناه المَذكور في حياته ، وكان أولاً قد دفن في جربة الروثة فنقله صنوه عقب موته الى هذا المحل ، وقد صرح القاضي المذكور بأن الخلاف لفظي في مسألة الرؤية ، ونقل كلام الرازي في ذلك رحمه الله ، وكان مع كثرة التدريس لشرح الأزهار ، والأزهار يحفظه عن ظهر قلب ، وكان يحسن الظن بالصحابة ويترضى عنهم في الخطابة جميع مدته .

وفيها : أظهر السيد الحسن بن أحمد الجلال [5] مذهب الظّاهرية وقال : أنه الذي ترجّح له من المذاهب الإسلامية فاعتقد أصولهم وما عليه التعويل عندهم من العمل بالبراءة الأصلية كما يقوله ابن حزم من أئمة الظاهرية ، واسقاط الاحتجاج بالأخبار الآحادية والتّعويل على التواتر به ، وما لم يتواتر فيه فالبراءة الأصلية مع أن داؤد الظاهري في نفسه لا ينكر الاحتجاج بالأخبار الآحادية الصحيحة ، فكان سبب هذا الاعتقاد والمذهب

(١) من كتب الأصول لمؤلفه يحيى بن حسن القرشي توفي سنة ٨٦٢ ومنه عدة نسخ خطية أنطر (مصادر الفكر الإسلامي :١٢٦) .

(٢) يعني البحر الزخار من كتب الفقه المعتمدة .

(٣) تسمى الطراز المذهب في إسناد المذهب منها عدة نسخ خطية (أنطر «مصادر الفكر الإسلامي :٢٤٣»)

(٤) هذا التعليق من أشهر كتب أهل اليمن في العقائد ويعرف بحاشية السحولي «انظر مصادر الفكر الإسلامي :١٤٠»

(٥) من علماء اليمن سيأتي ذكره .

والانفراد إباحة كثير من المناهي والمسائل ، والتفرد من السيد لأقوال ما قد سبق اليه أحد من الأوائل لاسيما واعتقاده أيضاً مذهب القاشاني من إنكار دليل الإجماع وعدم الرجوع اليه والاستطلاع ومع قوله أيضا بإنكار حجة العموم والدلالة من المفهوم ، فضاع عنه بسبب هذه الأصول أكثر الأحكام ، وحقيقة الشرائع والإبرام ، فلاقوة الا بالله العلي العظيم ، فمما ذهب اليه موافقة لهذه الأصول وعمل بما يخالف المنقول والمعقول ، تحليل المتعة المنسوخة ، وموافقة الإمامية المبتدعة واسقاط الأذكار في الصلاة والإعتدال ، وأن الإمامة لا منصب لها معين بل هي صالحة في جميع الناس لا يشترط في صاحبها الا التقوى موافقة للخوارج ومخالفة لأهل الفن ، وتحليل الزكاة لمن حرم عليه من الأغنياء والهاشميين . وعدم وجوب الجمعة الا بحضور الإمام الأعظم من أئمة المسلمين وهو مذهب الخوارج وغير ذلك من الأقوال المخالفة للإجماع .

وظهر أيضاً في هذا التاريخ المذكور للشيخ احمد بن علي بن مطير الحكمي[1] من الشافعية ما تفرد به عن أصحابه وأهل مذهبه مع تشديد الشافعية في هذا الزّمان على التقليد والالتزام ، فمن جملة مسائله المخالفة لدلائل سنة الإسلام قوله بأن الأحاديث الواردة في الافتراق لأمته بعده الى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار الا فرقة ، أحاديث باطلة وعن الصحة عاطلة لأنها مخالفة للمعقول وظاهر ما جاء في كتاب الله تعالى المنقول لقوله تعالى ﴿كُنتُمْ خيرَ أمَّة أخرجتْ للناس﴾[2] فصارت بعد هلاك اكثرها شر الناس ، لأن افتراقها زاد على افتراقٍ من قبلها بفرقتيَن كما في لفظ الحديث وسيأتي ان شاء الله تعالى بيان ذلك في ترجمة الشيخ أحمد إن شاء الله تعالى عند ذكر وفاته والله الموفق . وقد حققت الكلام على ذلك في المسالك[3] .

ودخلت سنة إحدى وستين

وفي هذه المدة : وصل اليمن أعجميان يدعيان معرفة الطّب فاغتر بهما من اغتر ، وظَهَر ضررهما وعدم إحكامهما وحصول مجازفتهما ، وكل من ادعى هذه الصناعة ، وكان غريباً لم يختبر حاله ويعرف دينه فلا يغتر به ، فإن ضرره أكثر من نفعه كما وصّى

---

(١) من العلماء سيأتي ذكره .

(٢) الآية : ١١٠ سورة آل عمران .

(٣) يعني كتاب المؤلف المسمى «المسالك في ذكر الناجي من الفرق والهالك» مخطوط بقلم المؤلف بجامع صنعاء .

بذلك العلماء ، حتى قال صاحب رسائل اخوان الصفا وهو من أهل هذه الصناعة الحكماء : كم قتل من يدعى الطب نفوسا ، وأهلكوا جموعاً فلا تغتروا بهم ولا تعتمدوا عليهم ، وقال صاحب كتاب الحسبة : كان الأولون لا يعتمدون الأطباء الا بشروط كثيرة منها : أن يعرفوا العقاقير نفسها ويعرفوا وزْنها وقدرها في كلام ذكره ، وذكر صاحب كليلة ودمنة[1] شيئاً من ذلك من أراده طالعه والله أعلم . وأيضاً أن فيهم رافضة اثني عشريه والرّافضة خباث العقيدة يكفرون غيرهم ، فلا يؤمن ضررهم لمن خَالَفهم .

وفي هذه السنة : سار أحمد بن الحسن الى الجوف متابعة لأطراف بدوه الغفّل وأهل ذلك الرمل الأطول ، فتغلغل سيره في الرّمل وظَفر بقليل من ابلهم ومواشيهم ، ثم حصل الضّرر العظيم بالحر الشديد والعطش المؤلم الحديد ، وتفرق بعض أصحابه في البرية وفترت قواهم عن السير في تلك القَصيّة حتى أشرفوا على الهلاك وضاع بعضهم ومات ، وهلك كثير من الخيل في تلك الجهات وذهب وفات ، ومنهم من ضلّ في الطريق ولم يهتد بالمخرج عن ذلك الحرج وأصابهم التّعويق ، ولولا أعان شمس الدين أحمد بن الحسن ومن بقى بين يديه من خاصته وأهل وده رجل من أشراف الجوف دلّهم على الماء والطّريق ، وأنقذهم من الأمر المخوف العويق لهلكوا عن آخرهم وللحقوا بأولهم .

وهذه الرّمال قد علم أن التوغّل فيها هلاك لغير أهلها . فأما البَدْو الذين بها فإنهم خلقوا فيها وانبتوا عليها ، شربهم الحليب واللحوم ، يستغنون به عن الماء وسائر الطعوم ، ومن العجائب التي اتفقت لبعض أصحاب احمد بن الحسن في هذه القصة أنه شرب بوله واستَنْقذ به نفسه ، ويلي تلك البلاد المذكورة في هذه الرمال الموجودة الربع الخليّ المتصل بالبصرة ونَهْجها الجلي ، المسافة فيه من نجران اليها سبعة أيام قريب السمك والأمد ، شديد المقاطع والكمد ، فيه رملة وحصاة ، الَحيَّات كامنة والثعابين ساكنة اذا ساره البدو من أهله كانوا على حذر من لدغه قد يركبون على ظهور ابلهم ويجعلون على خفّها الجلود لأجل الحيات تقيهم ، ولقد حكى لي بعض الساكنين ببرط انه اتفق لرجلين منهم التمشي في تلك البراري لاتصال بلادهم بها في تلك النواحي وأدركهما

(١) كليلة ودمنه : ١٩٧ ط دار الأندلس . لبنان .

الليل البهيم والظّلام المغيم فقعدا للبَيْتوتة الى الصّباح ، فكان قعودهما عند غار يخشى منه الهلاك لمعرفتهم بعظم تلك الحيات ، فقال أحدهما للآخر : أما أنا فلا أبيت عند هذا الغار خشية أن يخرج منه ثعبان وأنتقل عنه وسار ، وأما الآخر فقال : التّوكل على الله ونام ، قال : فلما أصبح الصباح ولاح وسار عنه اللّيل وراح ، قام الذي عند ذلك الغار سالماً وَعَّما توهمه صاحبه مخالفاً ، وقصد للبحث عن صاحبه فوجده في البرية مضطجعاً وإذا قد التقمه ثُعبان عظيم الجسم ، وقد التوى عليه بمعاطفة وصار يجره من ذلك المكان ويسحبه والرّجل حي يومئذ ما قد مات ، فاستغاث بصاحبه من الفوات ، فأشار اليه صاحبه أن يضرب رأس الحنش ليقتله فقال له المسحوب الملتوى عليه ذلك الحنش : المطلوب لا تفعل ذلك لأنه اذا أحس بالألم جبذه[1] بقوته فقطعه بجملته ،بل بحيلة تنجيه من تلك البلية والمصيبة ، فما ساعده صاحبه وأخذه الفشل والوجل وعدم التروّي للنظر والعمل ، وضرب رأس الحنش بالجنبية والحنش جبذ الرجل جبذة قوية قطعه في الحال من غير تخلية ، فنعوذ بالله من مصائب الزّمان ونسأله العفو والسلامة والغفران ، وانظر فائدة التّوكل وما قد يتفق له من الإكرام في بعض خرق العادات لمن شاء من عباده العظام والله الموفق ، وقد ذكر من قد التوى على ساقه حنش بتهامة : أن تؤخذ عصا دقيقة وتغرز في رأسها إبرة رفيعة ثم تحرك تلك الإبرة برأس الحنش تحريكاً لطيفاً وغرزاً رفيقا ، فإن الحنش يرخي ويفك أنيابه ويلحق أثر تلك العصا فتحصل النجاة بسبب ذلك لذلك المصاب الملقى .

وفي هذه السنة : قتل الأمير مصطفى والي جدة وكان يومئذ بالطائف للخريف وَحْده وكان ولاّه باشا مصر لبندر جدّة مكان الأمير قيطاس الذي كان بها والياً وبها ساكناً ، وسبب هذا القتل والغيلة مشاركته ومعارضته للشريف زيد في بعض الأوامر والسيرة والمنافسة على هذه الدنيا الزّائلة والأوقات الفانية والملك ، عقيم وسيفان في غمد لا يصلحان ، وكان المذكور قد شارك الشّريف في انصاف من وصل اليه شاكياً وافدا ومنع من مكة الطرب والملاهي في تلك الأيام وظهر الأمر فيها والنظام ، بحيث أنه أخبر الحجاج هذه السنة أنهم ما سمعوا من آلات الطرب شيئاً ، فكان قتله وهو خارج في برية

---

(١) كذا في الأصل ولعله جذبه .

الطائف للنزهة وحده ، وأنكر أمره الشريف ولم يَظهر أنه سببه خوفا من السلطان وما يخشى منه من التعنيف فسقط ذلك الأمر وجهل شانه وخفي ذلك العصر . ولما قتل المذكور بأجله المحتوم ، أعيد قيطاس للولاية والرسوم فدخل جدة وأظهر أمره وحده وتقوت الهمة منهم للشريف زيد في شان أمر مصطفى وما ظهر منه وخفى ، فتقدم الأمير قيطاس بعسكر إلى خارج الحرم ما بين جدة ومكة ، والشريف زيد التقاه من مكة إلى خارج الحل فوقع بينهم الحرب والجلاد والرمي والضرب بالسّيوف الحداد فحصل قتل من الفريقين ، ثم رجع قيطاس الى جده بعد هذا الواقع بين الطائفتين والشدة .

وفيها : توفي القاضي العارف أحمد بن سعيد الهبل الخولاني كان المذكور عارفاً بالفقه مدرسا فيه بمدينة صنعاء وله مشاركة في غيره وكان المذكور لايفتي كتابة بالخط بل باللّسان والمشافهة فقط ، وقبر بمشهد السيد عبد الله الديلمي بالأبهر .

وفيها : توفي الشريف فخرالدين عبد الله بن عامر ابن [١] عم الإمام القاسم وهو الذي كان أراد الدعوة لنفسه كما سبق ذكره ، وكان المذكور يعتمد كتب الهادي يحيى بن الحسين ،مثل الأحكام والمنتخب ونحوها ،ملتزماً لمذهبه غير معرج على غيرها وما فرعه الناس بعده فيها لا يعتمده ويستنكره وصنّف كتاباً في مذهب الهادي سماه بالتّصريح في المذهب الصحيح [٢] ومات بقرية حوث من بلاد العصيمات ،رحمه الله ، وكان يقول ما أخذ من الناس من المطالب من العوام حلال لأن أكثرهم لا يصلون وفساق ويسرقون وهذا منه قول غير صحيح لأن ذلك الجاري لا يوجب تحليل أموال الناس ،كما هو معلوم فإن أموال الفساق لاتحل لأحد بل يعاملون معاملة المسلمين ثم أن التعميم بجميع العوام إساءة ظن بجملة المسلمين والناس بلا شك لا يزالون مختلفين والله أعلم

وفيها : أوالتي تليها مات الشيخ العارف محمد بن علي بن علان البكري [٣] الصّديقي الشافعي المكي شيخ الحديث بمكة المحروسة وهي وطنه ومستقره ومكانه ، كان المذكور عارفاً بالحديث وعلوم العربية ، وله مصنفات مثل «شرح الاقتراح» الذي للسيوطي في مجلد وشرح «قواعد الإعراب» مجلد ، وغير ذلك [٤] وله في الحديث

---

(١) ترجمته في مطلع البدور(خ) والمستطاب (خ)وملحق البدر الطالع : ١٣١ ومصادر الفكر الإسلامي :٢٤٤ .

(٢) وقفت على مخطوطة منه بخط مصنفه بمكتبة حفيده العلامة مطهر بن يحيى عامر .

(٣) ترجمته في :خلاصة الأثر ٤ :١٨٤

(٤) قلت : أشهر كتب المذكور كتاب دليل الفالحين شرح رياض الصالحين وقد طبع عدة مرات في أجزاء متعددة ، وكتاب الفتوحات الربانية على الأذكار النووية ، طبع عدة مرات .

أسانيد عالية ، وقد اتصلت لي بحمد الله من طريق صالح بن محمد العياني عنه ، وكان الشيخ جماعاً للكتب النفيسة في الحديث وغيره ثم لما مات تفرقت وابتاعت ، بعضها وصل الى اليمن وشرى شيئاً منها الإمام .

وفيها : جاءت ريح عظيمة قوية شديدة في بلاد ذمار فأخربت جانباً من دائر القصر به ، وحملت شيئا من الكلاب الى الهواء وطَرَحتْها ، وكان لها قوة عظيمة آية من آيات الله .

وفيها : روى لي بعض الفقهاء ،وهو الفقيه صلاح الأخرفي الآنسي : أن صاحباً له من بلاد آنس لبث بمكة مدة من الزمان ثم عاد الى بلاده وذكر أنه القى اليه وهو بمكة أشياء من الأخبار المغيبات ، وأنه رقمها في أوراق هنالك ورآها معه ، قال : وهي خرافات وتخيلات فهذا من النّوادر الباطلات .

وفيها أو غيرها : اتفق مع رجل أنه وقع فيه وجع الحلق فسار به أهله الى رحيلة [1] من الرحائل اللاّتي لا يزلن يتكهّن في كثير من الجهات ويعتريهن كثير من أهل الغباوات ، وهي خلف ستارة تسأل وتجيب بحسب ارادتها وكذباتها ، فأجابت المذكور وهو قد أضجعوه على خده ينظر ما تقول ، فأجابت بأنها قد أمرت خادمها يجيء بماء من زمزم فيشربه فيشفى من الألم ، فكان ساعة ولاح نظرذلك الأليم من تحت الستار لأجل اضطجاعه الى ما يعمل ، واذا قد رآها تبول في إناء وتجعله بمرش فلما أتمت قالت : هذا هو وصل ماء زمزم ومكنتهم ، فناولوا الأليم فامتنع من شربه لما قد رأى من صفته وخرج عنها وأخبر بما رأى منها .

وفيها أو غيرها : مات الشيخ حسن القارني العروسي ، كان المذكور أولاً في مدة حيدر باشا متولياً لجهة العروس [2] وبنى الراعي ، عليه من المال قطعة في كل عام كما جرت عادة عساكر السلطنة في تلك الأيام ، واستمر على ذلك المقام حاملاً لذلك النظام الى أن استولى عيال الإمام على حصن كوكبان ، وهرب الشيخ المذكور الى صنعاء ولم يثق بالسكون في ذلك المقر ، فوصل الى صنعاء يعينه كاتب معه ، ولم يشعر الباشا حيدر حتى سمع مرفعه ، وكان المذكور بصنعاء وقضى الله وفاته بها في التاريخ المذكور ، وقد زالت رياسته واشتدت به فاقته ، وكان في حالة ركيكة آخر مدته ، وكان كثيراً في

(١) الرحيلة : بالراء والحاء المهملة من الرحلة وهي هنا امرأة يقصدها الناس بقصد التداوي من الجن ونحوهم .

(٢) العروس : حصن وبلد في حضور من ناحية بني مطر .

مجالسه ما يثني على دولة السّلطنة ، ويذكر من الأوصاف أحسنه ، اتفق لي مرة بمسجد البكيرية[1] بصنعاء اليمن ، وكنت قاعداً تحت العقود متفرجاً ، فإذا هو يقول : انظر الى هذه العمارة والبناء والعناية التي لا تبتها[2] دولة السلطنة تحت أفعال الخيرات والسبل والوقوفات وإقامة المساجد والتّرغيب في الطاعات ومحبة العلم والعلماء ومعرفة مقادير الناس والمنازل والرؤساء ، أما هذا الزمان فقد أهملت هذه الصفات والأحوال وانحدر كلامه في هذا المشرب كالسيل ، ومرة أخرى اتفقت به فإذا هو يشكو حالته ويتجرّم من أهل وقته وفي الحديث[3] «جبلت القلوب على حبّ من أحسن اليها» بيد أنه أثنى على الحسن والحسين[4] في وقتهما وأنهما كانا يعرفان بمقادير الناس ومنازلهم دون أهل الزمان .

ودخلت سنة ثلاث وستين وألف

وفيها ظهر عذاب شاويش كان مع جمال الدين علي بن أمير المؤمنين في ولاية صنعاء ، وكان عليه أعمال في المدينة ، ويفعل فيها ما يَهوى ، فلما مات بقى عذابه في القبر قدر شهر ثم خفى حتى تضرّر من سمعه من المجذومين في مقبرة باب اليمن لقربهم منه ، وكذلك أيضاً ظهرعذاب قبر رجل يسمى قرى على أصله من عبيد علي باشا الذي خرج من الحبشة مغيراً على سنان باشا[5] تلك الأيام الماضية والأوقات السالفة[6] فبقى المذكور باليمن ملازماً مع أصحاب الإمام ، وكان فارساً بطلاً شجاعاً جوازاً على الخيل يلتقط الجريدة من الأرض وهو راكب في السير ، وكان سبب موته قَتْل حصانه له ، فإنه سقط من فوق ظهره فدقه الركاب في رأسه ومات في الحال ، كان ذلك كالتّعْجيل للعقوبة في جوره حال ركوبه من مركوبه ومن سل سيف البغي قتل به ، وكان قد قبر بخزيمة ثم نقل الى حازة نقم لشدة أنينه وهوله ، والشاويش المذكور أولاً قالوا : كان له أنين عظيم وصوت جسيم في اللّيل فسئل عن حاله الذي كان في حياته فقال

---

(١) من المساجد العامرة بصنعاء في الجهة الشرقية بالقرب من القصر عمرها الوزير وحسن باشا سنة ١٠٠٥ «مساجد صنعاء :١٧» .

(٢) كذا في الأصل ولم تتضح لنا العبارة ولعلها بَتّتْها .

(٣) حديث يروى مرفوعاً وموقوفاً قال السخاوي : وهو باطل من الوجهين «الأسرار المرفوعة :١٠٢» والمقاصد الحسنة :١٧١ وحليه الأولياء ٤ :١٢١ وكشف الخفاء ١ :٣٩٥ والكامل لابن عدي٢ :٧٠١ .

(٤) يعني أبناء القاسم بن محمد ، والحسين والد المؤلف .

(٥) انظر خبر قدوم على باشا الي اليمن في غاية الأماني :٧٨١

(٦) كان قدومه الى اليمن سنة ١٠٠٧ .

الراوون بحالته : أنه كان في مدته بصنعاء مع واليها يمتحن أهلها فيقول لأحدهم : عليك أمر من صاحب الأمر ويسوقه الحبس فيعطيه من الدّراهم ما يسليه فيقبلها منه ويخلّيه والله أعلم[1] .

وفيها : مات القاضي يحيى الشبيبي الذماري ، كان المذكور هو القاضي الحاكم ببلاد ذمار واستمر كذلك مدة من الأعصار وبلغ من العمر قدر الثمانين ممتعا بسمعه وبصره في جميع الأحايين ، وكان بسببه عزل فخر الدين عبدالله بن أمير المؤمنين عن ولاية بلاد ذمار ورفع يده عن جميع تلك الأقطار ، وذلك أنه تنافر هو والمذكور في تلك الأيام وسار مغاضباً شاكياً إلى حضرة الإمام وشدد الشكوى تلك وغلظ الكلام وقال بلسانه : يا باطلاه من أعمال المنكر في الملأ الكثير الأعظم ، فتغير الإمام من ذلك الكلام وحمله على عزل صنوه عبدالله بن الإمام وَوَلّى بذمار السيد أحمد بن هارون من بلاد الشام رجل صليب لا يداهن ولا يماري ولا يحابي ولا يجاري ، فلما استقرت ولايته واستمرت يده قبض على القاضي ذلك الشاكي ما كان يعتاده في الماضي وقص عليه من أحواله ما كان خاف عليه وغَبّ فعض على يديه بالنواجذ وقال تاسّفا على من تعدينا عليه بالشدائد وهكذا الدنيا تجري على غير اتساق ولا يحصل فيها الاتفاق ولا سيما لمن لم ينظر في العواقب ويوازي ما بين الحاضر والغائب ، ولقد كان يصير إلى القاضي المزبور من الصلات الفاضلة على القررات الجارية طواري ونفحات ولا تزال جارية ، ورأيت القاضي مرة عن يسار الإمام المؤيد بالله في حضور قراءة البحر تلك الأيام فوصلوا إلى مسألة أجرة القاضي وما يصير إليه من الرزق الجاري فقال الإمام : تحرم الأجرة له ولا تحل له فقام ، القاضي على قدميه مغضباً طالباً الأذن والعذر عن القضاء جازماً فسكنه الإمام وقال : اقعد وعلينا التمام ، فقعد في مجلسه واعرضوا عن مسألته ، وعبدالله بن القاسم بعد عزله وصل إلى حضرة صنوه إسماعيل وهو بشهارة يحسن ظنه في عوده فاعرض عنه وبقي لديه إلى أن سار إلى صنعاء وهو معه ثم إلى ضوران حتى أيس عنه وعرف حالته سكن في بيته بذمار وحمد الله على ما قضاه له واختار وقطع مواصلته لأخيه حتى أنه لما وصل ذمار لم يوافقه فيه واستمر ذلك حتى مات بذمار رحمه الله .

---

(١) قولت للمؤلف كتاباً في موضوع القبوريات وما حدث لبعضها من العذاب أنظره في قائمة مؤلفاته المثبته في مقدمة هذا الكتاب .

وفيها : ظهر في أيدي النّاس ورقة مكتوبة [1] ذكر صاحبها أنها من المدينة النبوية والحجرة الشريفة مضمونها : أن خادم الحجرة الشريفة رأى فيما يرى النائم وهو فيما بين اليقظان والنائم موعظة حسنة وحالة مرضية فلم يستيقظ الآ والورقة بين يديه مكتوبة وعنده مقبوضة ، وفيها مواعظ وزواجر عن كثرة المعاصي والأمر بالمحافظة على الصلوات واستيفاء أركانها وان قد أضاعها كثير من . . .[2] عالمها ، وإخبار بقرب الساعة الى غير ذلك مما ذكره فيها ، ورأيت أكثر ما تضمنته هذه الورقة التي ظهرت والمكتوبة التي اشتهرت من الرؤيا بالحجرة الشريفة على الصّفة المذكورة ورقة مثلها وعلى حكمها في حامية كتاب قديم تاريخها سنة اثنتين وسبع مائة ،وفيها أكثر لفظها والرائي لها خادم الحجرة الشريفة المنورة المنيفة ذلك الوقت السابق عبد الله بن كثير ، ولكن ليس فيها الأمر بالصيام السبعة الأيام والإخبار بجملة من مات ذلك العام ، وذكر الكفر الذي ذكره في هذه الورقة المتأخرة ، والله أعلم .

وفيها : وقع فساد في بحر القلزم من فرنج خرجوا فيه كانوا تحت الأسر والترسيم ببندر السويس ببندر مصر أسرهم السلطان ابن عثمان في حروب مالطة [3] في تلك الجهات النائية ، فهربوا من البندر وكانوا تحت الترسيم لعمل البندر والخدمة لمن مرّ في أعمال السبب[4] ودخلوا البحر اليماني في سفينة يريدون الخروج الى أصحابهم فرنج الهند والصدور من عندهم الى أرضهم من وراء جبل الحبشة بالجد والجهد ، وصادفوا قريب القنفذة جلبة [5] عابرة داخلة جدة ومكة فيها من الحجاج والتّجار ، فطلبوهم من الأزواد ما اضطروا اليه من الامداد ، فأبوا عليهم ورموهم ، وكان فيهم جماعة من التجار من بني الشكردة من صنعاء ومن بني قلعس وغيرهم من الحجاج والغربة [6] فحملوا عليهم ودخلوا جلبتهم وقتلوا المسلمين ، وأخذوا ما احتاجوه من جلبتهم من جميع الزاد والسلاح والغالي الثمين والباقي ذهب وراح ، ثم توجهوا في البحر سائرين فلما وقع هذا الحادث بهم .وعلم النقيب سعيد المجزبي صاحب اللحية ضرهم وكذلك صاحب

---

(١) انظر ما كتبناه حول هذا النّص الفريد في مجلة العرب ، ج ٣ ، ٤ (سنة ١٩٧٥) .

(٢) كلمة مضروب عليها بقلم المؤلف .

(٣) انظر جهاد السلطان محمد بن ابراهيم خان وفتحه لمالطه في تاريخ الدولة العلية : ٢٩٠ وفيه إشارة الى بعض تلك الحروب .

(٤) كلمة لم تتضح في الأصل .

(٥) الجلبة : سفينة تسير في المحيط الهندي والبحر الأحمر واستعملها أهل مصر والحجاز واليمن في نقل الحجاج والأزواد . انظر : السفن الإسلامية : ٢٧ .

(٦) الغربة : الغرباء .

المخا السيد محمد بن أحمد ، اجتمعوا على قتالهم وجهادهم فمازالوا في أثرهم ، وطلبهم حتى قبضوا عليهم وأسروهم وأدخلوهم بندر المخا ، وعرض عليهم السيد الإسلام فأبوا واختاروا السيف اللهذام[1] فقتلهم عن آخرهم وهم زهاء سبعين .

وفيها : ظهر نجم في المشرق ذو حمّة[2] ، ولم يكن مستطيلاً بل الى قدر شبر فقط بقي أياماً يسيرة ثم ذهب . وتعقبه نجم آخر عظيم خر من جهة المغرب الى جهة المشرق بعد صلاة العشاء ، فكان له صوت هائل كصوت الرعد الشديد والخرير في الجو إلى حيث أوقعه الله ويريد .

وفي هذه السنة : أنشأ الإمام رسالة محبّرة وحروفاً محرّرة الى أمصار اليمن وأماكن الاجتماع في السر والعلن ،كصعدة وصنعاء والسودة وذمار ونحوها ، مضمونها إخبارالناس بتحريم الزكاة للأغنياء وبني هاشم وأنّها لا تحل لهم حسبما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم مما أخبرهم ونهاهم ، وأنهم صاروا يكثرون سؤاله فيها ويطلبونه منها وأن من صار اليه شيء منها فليس اعطاؤه لهم يقضي حلّها بل حرام على من قبضها واحتج على جواز اعطائه للسائل منها اضطرارهم له وعدم عذرهم ، وأن ما أعطاه لهم فهو بمثابة اعطاء النبي صلى الله عليه وسلم للمؤلفة قلوبهم ، وذكر حديث صحيح البخاري فيما اعطاه يوم حنين[3]وآثر بالموجود المؤلفين وترك الأنصار المقربين ونحوه .

وفيها : قطع جماعة من بدو مشرق الجوف طريق جبل الملح بأسفال مأرب وحطوا على الجبل بمواشيهم وأهلهم بالخدور والعلب ، فلم يمكن أهل الجوف العبور بجمالهم لأخذ الملح منه لمنعهم إياهم وتوعدهم لقاصدهم ، فارتفع سعره بالمدينة الصّنعانية وسائر الأسواق التي يليها في الأرض الجبلية ، وجاء الملح من البلاد التهامية مدة انقطاعه هذه الأيّام وسدهم لطريقه أولئك القبائل الطّغام ، وهم الذين يقال لهم قبيلة سدلة ويام ، ثم ارتفعوا عن ذلك المكان وذهبوا عنه وانصرفوا منه .

وفي هذه المدة : وصل شرح من بلاد الحسا ، وقيل من الحجاز على عقيدة الإمام المتوكل على الله التي أنشأها وفيها اعتراضات ومناقشات .

---

(١) اللهذام واللهذم : الحاد القاطع من السيوف .

(٢) الحمّة : لون بين الدهمة والكمنة .

(٣) أنظر صحيح البخاري ٥ :٤ ١٠ باب غزوة الطائف .

ووصل أيضاً فيها أو التي تليها : رجل عارف من البلاد المصرية يقال له حجازي بن علي المصري الشافعي الأشعري فمرّ على الإمام وزلّجه [1] بما يمكن به من الإنعام وسار شاكراً ذاكراً الى مدينة تعز اليمنية ، فاطلع فيها على العقيدة الإمامية فشرحها شرحين اثنين على العقيدتين وسبك الشرحين على قواعد الأشاعرة وصاغه مصاغ القول[2] الواحد وأهداه للإمام .

وفيها أيضاً : وصل الى الإمام الشيخ العارف جعفر الواعظ الحنفي من علماء الحنفية والمحقق في علومهم الظاهرة والخفية الأصولية والفرعية ، وكان وصوله والإمام تلك الأيام في ظفار داؤد قبيل عوده الى السودة ، فأقام عنده أياماً وأمر الإمام بإملاء عقيدته لأجل يسمعها جعفر الواعظ المشار اليه بحضرته ، فوقع من المذكور مراجعة وإيرادات متتابعة ، وتصدّى لمراجعته الفقيه أحمد بن صالح بن أبي الرجال في حضرة الإمام وطالت المراجعة فيما بينهما في مسألة الرجاء والشفاعة ، حتى حرّ طبع كل واحد منهما على الآخر في تلك الساعة ، فأشار الإمام الى ابن ابي الرجال بالقرار وسكون الجدال فسكن الجميع عن الكلام والاستشكال . ولما وصل جعفر الواعظ المذكور الى مدينة صنعاء اتفق بينه وبين عز الإسلام محمد بن الحسين مراجعة أيضاً في هذه المسألة .

وأورد عليه عز الإسلام قوله تعالى ﴿يوم لا يُخزي اللّهُ النّبيَّ والذين آمنوا مَعَهُ نُورُهُم يَسْعَىٰ بيْنَ أيْديهمْ﴾ [3] ، وقوله تعالى ﴿إنَّكَ مَن تُدْخِل النَّارَ فَقَد أخْزَيْتَهُ﴾[4] لما ذكر الشيخ جعفر جواز الخروج بالشفاعة وانقطع الشيخ عن الجواب في ذلك المقام وقال يمهله حتى ينظر الجواب ورد الالزام ثم أنه كتب الشيخ جعفر المذكور جواباً في ورقة وأرسله إلى عز الإسلام لينظره وأراد الصنو عز الإسلام الورقة التي بخط الشيخ جعفر وما ذكر فيها من الجواب الذي خصه ومن جملة ما ذكره فيها وتكلم به عليها أن قال ولو نظرنا إلي ظواهر الكتاب وتركنا التوفيق بين الأدلة لزم أن لا يكون اليوم على وجه الأرض مؤمن على الحدّ الذي يذكرونه لما ورد في صفات المؤمن من الآيات الكريمة والأحاديث العظيمة من الأمور التي لا يكاد الآن من يتصف ببعضها فكيف من يستجمع

---

(١) زلّجة : سيّره وجهّزه .

(٢) كذا في الأصل لعل صوابه «القولة» ليناسب ما بعده .

(٣) سورة التحريم ، الآية ٨ .

(٤) سورة آل عمران ، الآية ١٩٢ .

هذه الأوصاف ، منها ما ورد في صفات المؤمن أنه دائم البكاء من خشية الله زاهد في الدنيا سخي الكف دائم الحزن قليل الضحك محب الصالحين وأين لعمري دائم الحزن والبكاء من خشية الله فيلزم من ذلك نفي الإيمان عن جميع المؤمنين إلي آخر ما ذكره وحرره .

وفي مدة سكون عز الإسلام محمد بن الحسن بن الإمام بمدينة صنعاء اليمن حصل نقص على أهل الولايات فيما حول صنعاء من السياسات والشكايات التي يعتادها أهل الأمر لأجل وصول بعض الشكاة الى المشار اليه كما هو عادات أحوال الزمان في تأثير الدولة الكبيرة بالمشكى عليه وما يستغرقه من الأكلاف لبعد بلاده عنه في هذه القواعد والأسلاف .

وفيها أو التي بعدها : حولت المجزرة بمدينة صنعاء الى باب اليمن لتنزيه المدينة عن العفن ، وأمر الجزارين بالذبيحة خارج الباب وتقطيعه وبيعه داخله في ذلك الجناب ، ووضع بذلك الحكام سجلاً ، وكان المعتني في هذا محمد أفندي ، ورسم السجل بشهادة أعيان مدينة صنعاء وكان نقله من سوق الحطب ، ورسم عليهم أن لا يبنوا حوانيت حالة التّقطيع للحم والبيع في باب اليمن لأجل لا يحصل غش من الجَزر فأنهم كانوا يشترون من اليهود ما حرم عليهم ويقطعونه في حوانيتهم .

ودخلت سنة أربع وستين وألف

وفي شهر رجب منها : سار الإمام من السودة إلى مدينة صنعاء فلما وصل عمران بالبون لقيه الأمير ناصر بن عبدالرب صاحب كوكبان ودعاه إلى الضيافة إلى حصنه والمرور إلى وطنه فأسعده الإمام ، ودخل كوكبان وأضافه الأمير الضيافة السنية وحيَّاه بأحسن تحية وبذل من كرمه له ولمن معه من الأعيان وأولاد الإمام ما هو أهله ومحله وما من أحد الاَّ وشكره وذكره ، وهي عادة أهل هذا البيت في النفاسة الحسنة لمن أمّهم وقصدهم في غالب حالاتهم لا سيما من له منزلة أو يستحق رعاية بل ومن كان من آحاد الناس فله نصيب في البر والايناس .

ثــم أن الإمام مرَّ إلى مدينة ثلا وطاف قلعته شامخة العلا وبات هناك على ما يهوى ، ثم دخل صنعاء مجرداً بخيله لم يشعر أهل المدينة إلا بوصوله وحضوره إلى قصره العالي ومربعها الحسن الواسع الكافي فلبث بصنعاء إلى آخر شعبان على الضيافات الحسان من

الولاة والأعيان ، ثم تقدم إلى ضوران وحصنه الشامخ العالي على الوديان والبلدان .

وفيها : مات ناصر الديك الحائك الفاضل الصالح ، أخبرني الرجل الصالح جميل الظاهري قال : طالما صحبته وأن المذكور كان يحفظ من القرآن قدر جزئين لاغير وغلب عليه الوله والعبادة وقيام الليل ، قال : ولقد لقيه رجل واصل من الشام فدعاه باسمه ناصر وسلم عليه تحية الحاضر ، فقال له المذكور من أين عرفتني قال له : وكيف وقد رأيتك بدمشق فأجاب عليه لعلّك شبهتني ، قال : ومازال على العبادة مع حرفة الحياكة حتى مات ، ووصف حسن حالته وطاعته .

وفيها : وفد الى الإمام هندي فأكرمه الإمام وقرر له ما يحتاج وأمره بسكون صنعاء ، فخالط أولاد السيد محمد بن أحمد المؤيدي وجالسهم وكان في بعض تلك الأيام وظهر على الهندي آلات الملاهي والشراب والقبوس [1] وما يتْبعه مما تهواه النفوس ، فأمر جمال الدين احمد بن الحسن بتعزيره ، فأركب على دابة مقلوب الرأس والمرفع تلقاء وجهه يضرب من خلفه وأطافوا به الشوارع والأسواق ثم طردوه من صنعاء الى دياره ، وأما السيد « . . . . » بن أحمدالمويدي فحلق ذقنه كأن أكلها داء الثعلب ،فبقى محلوق الذقن مرة من الزمان .وقيل أنه كان ينتفها بيده لأجل يخيّله[2] أن يكون شاباً .

ودخلت سنة خمس وستين وألف

كان المطر فيها قليلا والمزن فيها هاطلاً يسيراً لاسيما في الجهات الصّعدية وتلك الأراضي الشامية فارتفع السعر هنالك والأعلاف[3]

وفي صفرها : أمر الإمام بجمع الجنود والأبلاق وأمر أولاد اخوته بجمع عساكرهم والتحريض لهم والتلاق فجمعوها وألفوها وأنفقوا عليها ولموها وقال لهم : اقصدوا الى بلاد بني أرض التي خلف بلاد قايفة واصلاح تلك الجهات المختلفة الخائفة ، وأرسل قبل ذلك بالرسائل الى الشيخ حسين بن أحمد الرصاص زعيم امر بلاد بني أرض والحاكم عليها والمتصرف عليهم في أمرها ونهيها ، والرجل لباسه لباس البدو وسيماه سيماهم وحاله حالهم ، وله الذؤابة الطويلة من القعشة المستطيلة المخدومة

---

(١)تحقق هذه اللفظة ولعلها آلة من آلات الملاهي .

(٢) تقرأ في الأصل (نجيله) وهذا الخبر ورد بهامش المخطوطة متداخلا مع السطور .

(١) هو العلف : ما تطعمه الدابة ونحوها .

بالدهان من الجواري والعبيد والفتيان ، ومع ذلك فعنده من خاصته وجنده من ينفذ أمره ونهيه ويحكم على ضعفاء بلاده وأهل أسواقه وتجبى اليه مصالح الأسواق والرعايا في تلك البلاد مثل البيضاء وغيرها وله استقلال هناك واستبداد . ومن خلفه مما يليه كبلاد دثينة الى الشيخ على الهيثمي حاكم على بلاده وأغواره وانجاده ، ومن خلفه العولقي كذلك مختص بأصحابه وبدوه وعشيرته ، ومن خلفه الواحدي ويليه الفضلي هذه قبائل المشارق متصلة الى جهات حضرموت ، وكل شيخ فيها كالأمير ولا تزال بينهم المغازي كما هي عادات القبائل النائي .[1] .

وفيها : مات الشيخ أحمد القيرواني المالكي المغربي وصل الى صنعاء مرة سابقة في آخر دولة الإمام المؤيد بالله ، ثم عاد للحج الى مكة المشرفة واستقر هنالك برهة ومدة ، ثم عاد الى اليمن وصحبته كتب كثيرة فوق مائة مجلد لا يفارقها في أكثر أوقاته بالمرة ، وقبض الكتب قاضي صنعاء الحسين بن يحى السحولي حتى يظهر وارثه وكان له معرفة بعلم السيميا[2] . والى حال كتابة الأحرف لهذا التاريخ وكتبه باقية عند أولاد القاضي حسين السحولي ولم يظهر وارثها .

وفيها : افتى القاضي العلامة عبد القادر المحيرسي قاضي بلاد الشاحذية[3] . بأن الإعانة التي فرضها الإمام على الناس غير واجبة عليهم لأن الخزائن فيها ما يغني عنها ، فامتنع بعض أهل الجهة لهذه الفتوى وبعضهم سلم وأعطى . وخرج أدب على الممتنعين من واليهم الأمير ناصر وسلموها جميعا .

ودخلت سنة ست وستين وألف

استهلت بالأحد

وفيها : خسف القمر ببرج الجدي في شهر رمضان منها .

وفيها : تضرر المسلمون في صنعاء بالبانيان[4] من المجوس الكفار وأنهم أفسدوا البيع

---

(١) هنا يسرد المؤلف حرب الإمام المتوكل مع الرصاص ، أنظر في مختصره (طبق الحلوى :١٣٦) وقد جئنا على هذاالخبر في كتابنا «وثائق الوحدة اليمنية في القرن الحادي عشر»

(٢) ضرب من السحر وهو غير الحقيقي منه وحاصله احداث مثالات خيالية في الجو لاوجود لها في الحس أنظر «مفتاح السعادة ومصباح السيادة لطاش كبرى زاده ١ :٣١٦» .

(٣) البلاد الشاحذية : عزلة من ناحية الرجم وأعمال الطويلة بالغرب الجنوبي من كوكبان سميت باسم شاحذ بن حديق بن عبد الله بن قادم بن زيد بن عريب بن جشم بن حاشد «معجم بلدان اليمن للحجري : ٤٣٩ والمقحفي :٣٣٩» .

(٤) البانيان : تجار الهنود من الوثنيين وقد سبق ذكره .

والشراء والتعامل بالربا وأرادوا اخراجهم ، وألم جماعة من صوفيّة صنعاء وأهل المساجد والدّعاء واجتمعوا بالابتهال وساروا الى حوطة الإمام صلاح الدين في ذلك الوقت مع استعجال ،فلما بلغ الإمام ذلك الشأن.وما عزم عليه أهل المدينة بدفع البانيان لم يرض بإزالتهم ، فإن بخدمتهم وبسببهم مصالحهم ، وزجر أولئك الذين ألّبوا عليهم ، وحبس بعضهم ، وقال : هم في أمانهم وتسليم جزيتهم وقرارهم .

وفيها : هم الإمام وتحدث لمن يختص به في هذه الأيام ارسال جنوده وعساكره وخيوله إلى الحبشة لأجل القصائد التي أنشأها القاضي حسن بن أحمد الحيمى الذى كان دخل إليها وما جرى معه من الامتحان فيها كما سبق ذكره وبين تحقيقه وأمره ثم ترك ذلك لما فكر في أمره وما أشار به عليه خاصة أهل محفله .

وفي شهر شعبان ورمضان منها : وقع المرض والموت باليمن وهلك به طائفة من الخلق في هذا الزّمن ، ولقد خرج ليلة عيد الفطر برمضان من مدينة صنعاء قدر ثلاثين جنازة وأكثر فلله الأمر من قبل ومن بعد .

وكان في آخر شهر رمضان : انصبّ مطر الخريف كأفواه القرب وشنت السحائب بالماء العذب فدَفَعت السيول في الأودية الكرارة ونعمت الأرض بماء المزن الهطالة ، ونزل بمدينة صنعاء سيول عظيمة متلاحقة ومتتابعة ، وكان أول سيل منها عظيماً اقتلع بعض العقود[١] المبنية وأزال مافوقها من البناء وطفح الماء من أعلا لعدم سعة المجرى ثم ثنى السيل الثاني فأزال بقية تلك المباني الى القرار في الجهتين والدائرين ، وأخرب هذا السيل بيوتاً بصنعاء مما يلي السائلة وأزال عنها الداثرة والعامرة ثم دفن غيول السدّ المستخرجة ، وخرج بعض السيل من باب السبحة ولولا انكسار الخندق الأسفل وخرابه لخرب كثير في بيوت المدينة وصلحت بحمد الله الزرائع وأخضرت ونمت في جميع الجهات والبقائع[٢] .

وفيها : عبر رسول ملك الهند باليمن ومرّ راجعاً من الأبواب السلطانية والجهات الرومية الذي كان أرسله ملك الهند الى ابن عثمان وما يلقيه اليه من الشكاية والإعانة لما

---

(١) العقود : جمع عَقْد وهو الجسر والقنطرة الصغيرة .

(٢) البقائع : جمع بقعة وهي هنا القطعة من الأرض وفي القاموس : البقعة بفتح الباء وإسكان القاف . المكان يستنقع فيه الماء وبالضم ويفتح القطعة من الأرض على غير هيئة التي الى جنبها . جمعها بقاع .

وقع معه من العدوان من قبل ملك العجم الشاه صاحب أجبال فارس لأجل أنه وقع منه في هذه المدة استفتاح لأطراف تلك البلاد الهندية وتلك الجهات الجنوبية مما يلي أطراف البلاد وتلك الأغوار والأنجاد ، وكان المذكور أعني ملك الهند المزبور طالباً من السلطان محمد بن ابراهيم بن عثمان فتح الحرب على الشاه من الجهة الشمالية العراقية التي تليه ، ليقع بسبب ذلك التنفس عليه ، فأجاب السلطان ابن عثمان مع هذا الرسول ان بَيْنَنا وبين الشاه صلح معقود فلا ننقضه فعاد الرسول خائباً وعن المقصود مجانباً .

وفي هذا الشهر : جاء طلاب [1] من الإمام للسيد العلامة احمد بن علي الشامي [2] الى الحضرة العلية . وقد صار المذكور مكفوف البصر بسبب ما وقع من ولده محمد بن أحمد بقتله لمملوك لهم كان لما صدر منه اليه من العدوان ، وحقق للإمام ذلك الحادث والطغيان ، وأن قتله كان دفاعاً من ولده لما رماه بحجارة عظيمة من أعلى سطح على مرور طريقه ، وأنها لو أصابته لأهلكته وأماتته . وخشي من الكر والعدوان واعادة ذلك الفعال .

وفي صفرها : توفي صفي الإسلام أحمد بن أمير المؤمنين القاسم بن محمد بمدينة صعدة المحروسة ، والمذكور كان أكبر في السن من أخيه إسماعيل ، وكان المذكور كثير الصّدقات وفعل الخيرات ، وله مآثر حسنة وصدقات جارية معتمدة منها الجامع الكبير والموضع الحسن الشهير بمحروس الروضة من منتزهات صنعاء ليس له نظير في العمارة والصناعة وحسن النظارة والإقامة وهو الذي عمره وبناه جميعاً وشيده رحمه الله ووقف عليه وقوفات كثيرة تقوم بأعماله وفرشه وسكانه في سعوان وغيره من البلدان وعمر سمسرة عظيمة بسوق العنب بصنعاء ووقفها عليه ، وله من المآثر أيضاً سمسرة الأزرقين بوصية من بعض زوجاته بنات المعافى ومنها سمسرة ريدة وغير ذلك ، جزي خيراً وترك الإمام بعده ولاية صعدة لعلي ولده وما ذكره في حياته رحمه الله في هذه السنة أن مخرج الصنو إسماعيل إلى المشرق وبعثه للصر إلى مكة ما كان ينبغي لأنه يكون لمن ولي بعده مشقة ولا يكاد يقوم بذلك فكان كما قال رحمه الله وخالف المشرق وعجزوا عنه ونصر بعض بعضه عما كان أولاً .

---

(١) طلاب : بكسر الطاء . في كلام أهل صنعاء بمعنى طلب من قبل الدولة وهو الإستدعاء والإحضار في كلامَ أهل هذا الوقت .

(٢) من علماء اليمن وفاته سنة ١٠٧١ «طبق الحلوى :١٧٤» .

وفيها : وقع بين أهل برط اختلاف وقتول بين ذي محمد وذي حسين من دهمة ، وهم في الأصل أخوة فافترقوا ووقع بينهم الشر واعْتصبوا ودخل في رؤوسهم الكبر وتحزّبوا فكان أول قتال بينهم الدائرة فيه على ذي محمد راح منهم تسعة ، ثم أن ذي محمد مازالوا يغيرون على ذي حسين ويترصّدونهم ويخيفونهم في النهار والليّل فأذاقوهم التّنغيص والكرب وشدة الخوف . والتحريش والفتنة أكبر من القتل فكانوا يقتلون منهم أفراداً ومن وجدوه واحداً واحداً ، فَعَظم عليهم ذلك الأمر لإختلاط بيوتهم ومساكنهم وكون العدو صار فيهم ،فما زال القتل في الجانبين على هذه الصفة والخوف من الطائفتين على هذه الجملة مدة طويلة ، حتى حصر منهم قتولاً كثيرة ، ولكنه كان بذلك الإشتغال ببعضهم البعض دفعاً لأذى مغازيهم لغيرهم من القبائل التي تليهم والطرقات أمنوا من نهبهم ، فإن هذه القبيلة لاتزال غازية الى المشارق التي تليهم فيغزون الى يام والى وائلة والمعضة وسدلة وتلك النهوج المشرقية وأطراف الخبوت [١] الرملية والى طريق المسلمين بالعمشية [٢] وأولئك أيضـــاً يغزونهم الى سهول بلادهم فلا يزال بينهم ذلك وعليهم غير ان هذا الزمان لما كثرت البنادق مع أهل برط اثخنوا في تلك القبائل وصابحوهم في كثير من البكر والأصائل وإلاّ فإن من أهل تلك النهوج القصوى أهل خيول وباس أقوى والضّرب حاصل لجميع أهل الأهوى .

وفيها أيضاً : أنشأ السيد الحسن بن أحمد الجلال من الظاهرية رسالة[٣] في شأن حرب المشرق الداخلية وأن أهل المشرق شافعية ، وهم لا يرون قصد البغاة الى ديارهم وأن الإمامة ظنّية . وهو وهم منه وغلط ، فإن الشافعية يرون قتال الباغي ولا يخالفون في وجوب طاعة الإمام الآمر الناهي ، وإن الزكاة اذا طلبها وجب اليه دفعها ، هذا نصهم في كتبهم وتحريرهم في مذهبهم ، مع أن في ذلك صلاح شأنهم وجمع كلامهم وازالة تفرقهم واختلافهم الذي لايزال ذات بينهم وتقليلاً لما شجر بينهم كما لا يخفى على كل عاقل فيهم .

وفي [٤] هذه المدة : خرج الى اليمن من جهات مكة المشرفة كتاب [٥] «فتح المتعال في

---

(١) الخبوت : جمع خبت . المتّسع من بطون الأرض الذي فيه رمل .

(٢) العمشية : عزلة مشهورة من حرف سفيان وأعمال خمر «المقحفي :٤٦٦» .

(٣) أسماها براءة الذمة في نصيحة الأئمة منه عدة نسخ خطية أنظر كتابنا مصادر دار الفكر الإسلامي في اليمن : ٥٣٦ .

(٤) ورد هذا الخبر ملحقاً بهامش الصفحة .

(٥) طبع في الهند في مجلد .

مدح النعال المشرفة بخير الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام» للعلامة الشيخ أحمد المالكي [١] . أصله من بلاد فاس المغرب . يتضمن شأن صفات نعال النبي صلى الله عليه وسلم وبركتها ، وما جاء في الأخبار وأقوال العلماء فيها . في مجلد ، وخرج معه أيضاً كتاب «ريحانة الالباء وزهرة الحياة الدنيا [٢]» يتضمن تراجم علماء عصر المصنف ، في الشام ومصر والمغرب واليمن والشعراء والأدباء في مجلد ، وكلا الرجلين من المتأخرين لبعد الألف من الهجرة . وصاحب الريحانة هذا يسمى شهاب الدين أحمد الخفاجي [٣] الا أنه اقتصر فيها على أدباء عصره والشعراء واليسير من العلماء كابن العلقمي [٤] شارح الجامع الصغير . وذكر ابن حجر الهيتمي [٥] . وكذا ذكر عبد الله بن الإمام شرف الدين [٦] .

وفيها : وضع هندي من الدراويش الذين يعرفون بالتهاويش ولا يعرفون الحديث الصحيح ولا الضعيف ولا يميّزون بين الوضيع والشّريف ، فلذلك وضعوا هذا الحديث بينهم رجاءً لترغيب العوام لهم ، وهو أن قالوا عن النبي صلى الله عليه وسلم وكذبوا :[٧] من أكرم غريباً في غربته فكأنما أكرم سبعين نبياً مرسلاً ، وكان هذا الهندي الذي وضعه في رقاع يطرحها عند المصلّين في البقاع لطرح الدراهم عليها والانتفاع ، وسار عليه بعده الهنود وتناقلوه عنه وساروا سيرته الى وقت رقم هذه الحروف فلاقوة الا بالله . ومما يؤكد وضعه ويبين لك كذبه أن الواضع له في هذا المقام زاد في لفظه في بعض الأيام فقال فيه من أكرم غريبا في غربته في بيته فكأنما أكرم سبعين نبياً مرسلاً فزاد لفظ في بيته ، يريد به مزيد التّرغيب كون السؤال منه يقع في بيته ومسجده وحال التّوجه لأداء جمعته ، فانظر هذا التلعب الباطل والمشي مع الهوى العاجل ، وقد اغتر بهذا الحديث عالم ممن لم يعرف الحديث .

ودخلت سنة سبع وستين وألف

وفيها وصل من قبائل حدود البصرة وهم من بلاد الجمبلي البديع ما بين الحسا وبين

---

(١) هو المعروف بالمقري أحمد بن محمد التلمساني ،من أشهر كتبه نفح الطيب ،توفي سنة ١٠٤١ .

(٢) طبع عدة مرات آخرها طبعة محققة سنة ١٣٨٦هـ .

(٣) هو شهاب الدين أحمد بن محمد الخفاجي المتوفي سنة ١٠٦٩هـ

(٤) ريحانة الألباء ٢ :٧٧-٧٨ ط ١٣٨٦

(٥) ريحانة الألباء : ١ :٤٣٥

(٦) ريحانة الألباء ١ : ٤٥١ .

(٧) في الأسرار المرفوعة : ٣٢٠ حديث من أكرم غريباً في غربته وجبت له الجنة ، قال ذكره الديلمي عن ابن عباس به مرفوعاً بلا سند وأنظر : كشف الخفاء ١ :٩٧ و ٢ :١٠١ و ٣١٨ ، والحاوي في الفتاوى للسيوطي ٢ :٨٧ .

الدواسر في تلك الجهات كتاب يذكرون فيه : أنه بلغهم عدل الإمام في اليمن وأنهم يودون الدخول في الطاعة في السر والعلن وتسليم الزكاة إلى رسوله والاعتزاء إليه في قليله وكثيره ولم يتم من ذلك بشيء من الجهتين لخوفهم من ولاة السلطان ويعد صاحب اليمن من تلك الأوطان .

وفي رمضانها : خسف القمر ببرج الجدي ، ورخصت الأسعار يومئذ الرخص التام بعد تلك الأمطار والصلاح[1] في جميع الأقطار . بلغ القدح ثمانية كبار[2] الى عشرة كبار من الشعير .

وفي هذه السنة : شرع أحمد بن الحسن بإعادة بناء حصن ذمرمر وحث على اصلاحه وعمارته ، وأمر بعد الخراب له من الإمام المؤيد كما سبق تاريخه ، فتمّ بناء أحد دوره وإصلاح أبواب الحصن وطريقه وأخرج من صنعاء والرّوضة بعض أهله وأولاده وسكن فيه واستوطنه هو والغراس ، ومدّ فيه العراش ، وهو حصن عظيم وأثر قديم وقلعة حصينة وحصن منيعة .

وفيها : في عصر يوم الجمعة ثامن شهر شوال من السنة المذكورة توفي عز الإسلام محمد بن الحسين بن أمير المؤمنين[3] رحمه الله بمستقره البستان غربي صنعاء وقبر جنب المسجد في المشهد الذي بناه على عمه يحيى بن الإمام وولده كان قد مات قبله بأيام ، فكان لموته رحمه الله موقع عظيم لما كان عليه من حسن الأخلاق للخاص والعام وكثرة الإنفاق ، وكان له معرفة حسنة في العلوم والنحو والمعاني والبيان اليد الطولى والباع الأقصى وشيخه فيها الفقيه عبد الرحمن الحيمي والقاضي احمد بن صالح العنسي ، وكذا في أصول الفقه ، وأصول الدين وكتب الأدب ، وآخر مدته التفت الى الفقه والقراءة فيه والعناية بدرسه والنظر في مبانيه ، وكان مع ذلك يحب السنّة النبوية والحديث ويعظم أهله ويوقر متحمله ، وله تأليف حسن في آيات الأحكام مجلد[4] وأحاديث في صفة الجنة ، وكان كثير المحبة للفائدة والمذاكرة في المجالس مع التّواضع وحسن التوانس وطيب الأنفاس ، ولطيف المفاكهة لذوي الأجناس ، والسماحة

---

(١) كذا تقرأ هذه اللفظة وتقرأ أيضاً الظلام .

(٢) الكبار : جمع كبير ، وهي عملة نقدية سائدة في ذلك الوقت تكون عن ربع أو ثلث قرش في أكثر الأحيان .

(٣) هو أخو المؤلف .

(٤) يسمى «منتهى المرام شرح آيات الأحكام» وهو من أقدم المطبوعات التي قامت بها مطبعة صنعاء في زمن الإمام يحيى طبع سنته ١٣٤٢هـ في ٤٢٣ صفحة .

والطلاقة والسجاحة والرجاحة ، وكان مرضه رحمه الله علة القولنج واليبس واحتباس الطّعام والشراب ، وعرض الإمام على كاتب [١] الأحرف النيابة على هذه البلاد التي تحت نظر عز الإسلام وحفظ الأجناد فاعتذرت اليه من ذلك ولم أدخل في شيء مما هنالك .

وفيها : وصل جعفر بن عبد الله بن عمر الكثيري أخو سلطان حضرموت ثم عاد بلاده .

وفيها : وقع بالناس زكام عام ونزلات في المشام [٢] .

وفيها : طافت رسالة من الشيخ أحمد بن علي بن مطير الحكمي [٣] الشافعي يذكر فيها أن الزيدية صاروا يخالفون كثيرا من أقوال الإمام زيد بن علي ولا يذهبون الى أقواله مع انتسابهم في المذهب الى اجتهاده فكيف هذه النسبة مع المخالفة ، وفي التحقيق انهم هدوية لأتباعهم مذاهب الهادي في الأصول والفروع فالنسبة اليه أولى .

وفيها : اتفق لرجل كان في السوق بالحصين من قرية جبل هداد وتلك البلاء السعي لأجله والمشي لحتوفه فأشرف من تجاه معصر [٤] الطريق للتّفرجة في ذلك المضيق على الدخلة بعد صلاة الجمعة والنّاس في تلك الحال من العسكر يبندقون [٥] ويعشرون [٦] فوقعت في صدره رصاصة أبعدت أنفاسه وحوائج السوق في يمينه لا يُدْرى بمصيره فبقي في محله عقيراً ميتاً تجاه المارين حتى انتهى آخر المارين ورآه الإمام في تلك الحالة وحولق [٧] الله سبحانه وأمر برحاله وجهازه وجاؤه أهله آخر النهار عاجون ومطالبون ولا يعرف راميه من بين الحاضرين .

وفيها : رأيت جماعة من خدم المتوكل هربوا الى حضرة محمد بن الحسن الى ذمار ثم سمح لهم المتوكل وأرسل لهم الى ضوران ، ثم أمر بضربهم وحبسهم وقال لهم :لابد

---

(١) يعني المؤلف نفسه .

(٢) المشام : جمع . وهو موضع الشم ويعني الأنف .

(٣) قلت : لعله أول من أثار هذه القضية ، وبعده في القرن الثاني عشر دارت مجادلة كبيرة بين العلماء حول هذا الموضوع على أثر قصيدة نسبت الى ابن الأمير وتلميذه ابن اسحاق ، أنظر في ذلك كتابنا «الأدب اليمني عصر خروج الأتراك من اليمن :٨١» .

(٤) معصر : منحنى .

(٥) يبندقون . من البندقة . أي يستعملون البندقية .

(٦) عشر : بتشديد الشين المعجمة وأصلها في اللغة يُطلق على الحمار اذا نهق عشرة أصوات في طلق واحد فاستعير هذا للبندقية اذا اطلق مجموعة منها دفعة واحدة والله أعلم .

(٧) الحولقة : الحوقلة وهي حكاية لاحول ولا قوة الا بالله ومنه قول الحريري «فتحرقت حينئذ وحولقت وأفقت» وهي أعدل من الحوقلة لأن اللام في الحول والقوة متقدمة على القاف والحوقلة أشهر لأنهم اختاروا استعمالها لمشاركة البسملة والحمدلة .

من الخدمة ، وهم أحرار فهذا غير جائز في ظاهر الشريعة ، وقد كان استنكر على الباشا قانصوه[١] يوم خرج من مصر بنحو هذا ، فلا قوة الا بالله .

وفي هذه السنة : اتفقت سرقة بدار الجامع التي لأحمد بن الحسن فراح منها ما راح ، ثم ظهر بعضها لما عرض في الأسواق ، وانكشف أن السارق لها البواب مع جماعة معه أصحاب ، فأمر به أحمد بن الحسن حصن ذمرمر في الزنجير[٢] ، ورجع البعض منها وفات البعض .

ودخلت سنة ثمان وستين وألف

استهلت بالأربعاء فيها : أمر الإمام بتفريق فطر مدينة صنعاء لفقرائها فأصاب وأحسن .

وفيها : في آخر صفر ظهر أساس ساقية مقضوضة[٣] جنب الخندق الشامي بصنعاء عند مَخرج السيل ، ولم يعرف قبل ذلك ، وسبب ظهوره لما نَحت السيل ذلك المجرى وحمل أصل الأساس عند خروجه ونحا ، ثم لحق في الأساس المعمار لما شرعوا في الإصلاح لذلك الذي زال من آثار ذلك السيل وراح ،فوجدوا هذه الساقية المقصوصة ولحقوها الى جهة المدينة فحفروا في أطيان بئر العلمي[٤] على ذلك الأساس القديم المبني وساروا في آنجاز[٥] الصّحيح العظيم الحجفر[٦] حتى بلغوا الى قريب بئر الجوزة ورأو ساقيته أنها ستأتي الى بيوت أهل الذمة ، وما يقرب الكنيسة ووجدوا من كضائمه[٧] في بيوت من أطراف تلك البيوت صحيحة ، فترك المعمار العمل ، وربما أنه كما قيل بذل له من البرطيل[٨] لكي يتحوّل فانحرف شقاته بأمره جنوباً وقال : لم نجد لأصله طريقاً وشرع في عمل غيل جديد وضرب في متن الأرض الحفر العميق ، وترك ذلك الأساس الأصلي وصار راكباً عليه أعلى ، ثم أنه أرى المستقيم ساقية مقضوضة في أعلا السائلة قريب الدائر اليماني والخندق الثاني رافعه وقال : هذا الأساس يرجع الى تلك

---

(١) في الأصل قانص ، سبق ذكره .

(٢) الزّنجير ، السلسلة «فارسي» ويطلق على الغل يقيد به اليد والرقبة .

(٣) مقضوضة : من القص وهو الجص (معروف) أو أنهم فصوا أثرها حتى ظهرت معالمها .

(٤) العلمي : من المساجد العامرة في الجهة الشمالية من صنعاء قبلي الطريق النافذة من الفليحي الى السائلة «مساجد صنعاء : ٨٤» .

(٥) كذا تقرأ هذه اللفظة وربما كانت هكذا « الجانب » .

(٦) كذا تقرأ في الأصل ولعل صوابه «الحفر» وربما قرأت اللفظة هكذا «الحجفي» وهي ملحقة بهامش الصفحة .

(٧) جمع كضامة وهي مخرج الماء يغطى عليه بالبناء .

(٨) البراطيل : الرشاوي جمع رشوة (معروف)

الساقية مع أنها عالية على ظهر الأرض ثانية وإنما هذا الأساس لاشك من الغيول القديمة الحميرية التي كبستها الحبشة الخبيثة قبل النبوة [ولعله الغيل الذي يخرج من سوق المحدادة . فقد وجد هنالك حاله يخرج الى صرحة مسجد الفليحي [1] مغمورة تحت الأرض] [2] . ثم أن المذكور أخرج غيلاً ثانياً هابطاً واطياً وجرّه في السائلة العظمى وما ظهر على الأرض الآ من رأس الجراف . وذلك المنحى فسقى الجراف وجر في أيام الى الروضة لكنه معرض للزّوال لاعتراضه بالسائلة اعلاه وأسفله [وقد برز سيلان حمله وشلّه كما سيأتي ذكره] [3] .

وفي شهر ربيع الأول من هذه السنة : مات الفقيه الشيخ العلامة الفهامة المحدث الحافظ عبد الرحمن بن محمد الحيمي [4] بصنعاء ومقره حيث سكن وقبر بمقبرة باب اليمن بجربة الروثه مقابل لمنارات الجامع مستقبل القبلة رحمه الله ، كان المذكور من العلماء الأماثل الحفاظ بقية في الحديث والسنة والتحقيق والفطنة يملى من حفظة العلوم وألفاظ الحديث النبوي باللفظ المفهوم من غير تحريف ولاتغيير للعبارات كما يفعله من ليس له معرفة بهذه الصناعة ، فهو لا شك محط ركاب الطالبين الحقيق بتصدير [5] المجالس للراغبين ولقد أخذ عليه في علوم العربية جلة من أهل العصر في النحو وعلم المعاني والبيان في كل عام وشهر ، لايزال يدرسه في هذه الفنون وفي الأصول أيضاً لطالبيه من الكبار والبنين فكان يدرس في منتهى السؤل لابن الحاجب والعضد في زمانه وكذا في تفسير الكشاف لإخوانه وكذا في المطول والشرح الصغير والتصريف والمنطق وفي صدر أيامه ، قد درس الحديث ، وفي زمان المؤيد أيضاً استفاد منه جماعة في جامع الأصول فإنه لما فتح القاضي حسين بن يحيى حابس على السيد محمد المفتي رحمه الله في هذا الكتاب كان يحضر الفقيه لمحبة الحديث فيه والخطاب ، فقال له السيد محمد بن عز الدين رحمه الله : القراءة في التحقيق عليك والفائدة بلا شك مأخوذة منك وموجه القراءة اليك ، وكفى باعتراف هذا السيد على علمه الزاخر برساخة قدم هذا الفقيه الماهر رحمهم الله جميعاً . وعلى الجملة أنه كان في الحديث واللّغة والأصول آية زمانه

---

(١) الفليحي : من المساجد العامرة بمدينة صنعاء في الجهة الشمالية من صنعاء «مساجد صنعاء :٩٠»

(٢) إضافة بخط المولف بهامش الصفحة .

(٣) اضافة بخط المولف بهامش الصفحة .

(٤) من العلماء ترجمته في : طيب السمرخ والبدر الطالع ١ :٣٤٠ . ومصادر الفكر الإسلامي :٦٠ .

(٥) تصدير : تصدّرالمجالس الجلوس على الصدر منها .

وفريد وقته[1] . ولقد كان هذا الشيخ في الأدب والمعرفة الكاملة في النحو والمعاني والبيان والأصلين آية زمانه عديم القرين في أيامه ، وكان أولاً هدوياً لأن أصل بلاده من الحيمة ، ثم لما فتح الله عليه بالعلم والذكاء والمعرفة ومطالعة كتب السنة ومذاكرة علمائها في عصره ترجّح له الخروج من مذهبه الأول الذي كان ابتداء نشوئه عليه من قبل ، وترجّح له مذهب الشافعية في الفقه وفي الأصول على مذهب أهل السنة ولذلك تراه في تصنيفه لشرح بلوغ المرام ينتصر للشافعي ويرد على مخالفه ولكنه رحمه الله ما يظهر ذلك تصريحاً . بل محتجاً ، وقد ذكر عنده مرة من طول استمرار الدولة العثمانية . والسلطنة فقال عند ذلك ﴿فأمّا الزَّبَدُ فيَذْهَبُ جُفَاءً وأمّا ما ينفعُ النَّاسَ فيمْكُثُ في الأرض﴾[2] .وكان مع ذلك في القرار والوقار وعدم النّزق[3] والانتهار آية في ابناء عصره لم أر مثله في محاورته وأدبه وحسن منطقه فأين لنا مثل هؤلاء الرجال ومن تتعطّر بهم المجالس وتزهو بهم المحافل والأقلام والمعايش آه ثم آه على أمثالهم وأشكالهم ، وكان المذكور يميل الى السنة والله أعلم . وشيخه في الحديث الصابوني والخاص وغيرهما وقد سمعت منه بعض أحاديث يمليها ورقمتها وجعلت سماعي لها منه في جملة مجالسي التي اتفقت به فيها سنداً وطريقاً اذ كان يملي من حفظه الحديث بمتنه ورجاله وغريبه وشرحه ، يعرف بالرجال وما قيل فيهم من تعديل وجرح وكلام على قواعد الحديث وأفانينه وعلومه واصطلاحات أهله في الأسانيد والمقاطيع والمراسيل والمعلولات وغير ذلك من التدقيقات ، وله مصنف عظيم وكتاب حسن فخم وهو شرح على كتاب بلوغ المرام الذي صنفه ابن حجر العسقلاني في الأحكام في مجلد حافل ومن رقائق شعره ومحاسن قوله ماقال :

صنعاء اذا كنت مشغوفاً بمسكنها … فاعدد لها من ذوات الحاء مارسما

حبٌ وحِب وحمام مع حطب … حضيرة وحمار حرفة وحمى

وفيها : توفي السيد الشريف على المحرابي والى بلاد تعز باليمن الأسفل والمتصرف في أوامرها عن كمل بألم الفالج نعوذ بالله منه .

---

(1) هنا قصيدة طويلة للأديب أحمد بن حسن بن حميد الدين في رثاء المذكور انظرها في طبق الحلوى : 151 .

(2) سورة الرعد ، الآية 17 .

(3) النزق : حدة الغضب والطيش فيه .

وفيها : ظهر في أيدي الناس ضريبة من القروش فيها ضعف تسمى دكني ضربت بمصر فلما فطن الناس بضعفها وكثرة نحاسها تركوا التّعامل بها بالمرة فقلّت بعد ذلك وعدمت الاّ اليسير منها ، ثم أنهم قبلوها بعد ذلك بناقص الثمن من سائر القروش وتعاملوا بها والقروش الفضة الخالصة هي الراكلي معهم[1] والفلى على تسميتهم ورسمهم .

وفي رجب منها : ثارت ريح عظيمة من جهة الغرب لها حركة شديدة وحالة غريبة وأثارت عجاجاً كبيراً وتراباً واسعاً وكسرت بعض الشجر .

وفي رمضانها : مات الفقيه العارف عبد الهادي القويعي الحضرمي الأصل الشافعي ، كان المذكور بالعلم عارفا وبه متفرغاً مشغوفاً من وقت شبابه الى حال مماته ينسخ بخطه الواضح الحسن الكتب النفيسة لنفسه ويشتري منها ما وجد في وقته ، فجمع كتباً كثيرة جليلة في كل فن غير أن غالبها في فقه الشافعية وفي الأقوال الصوفية ولا يزال بينها مجالسا وعليها طول مدته عاكفاً وكان جملتها قدر ستمائة مجلدا وفوقها ولم يخلف بعده مالاً ولا ولداً لأنه كان حصوراً لم ينكح ولم يتزوّج . وكان مكثراً من أكل القات مشغوفاً به في جميع الأوقات فلعله الذي قلّل شهوة النكاح في أكثر الحالات وأسلس جري المني وقلل الشهوة لأن من خواصه إسلاس المني ولذلك يعتمده المنقطعون ليقلل داعيهم إلى النكاح ، وكان أيضاً قد اعتاد شرب دخان التتن المعروف في كتب الطب بالطباق وكان مع ذلك كثير التسليم والتواضع وعدم الكبر والترافع فيقضي حاجته من السوق ويأكل القات أينما اتفق ولو كان في قاعة السوق ولم يورث بعده غير ابن أخيه عبدالله بن أحمد القويعي عامي مشتغل بالزراعة والفلاحة في جهات البون من بلاد القبلة لأنه اختطها والده أحمد وتزوج فيها لما كان في تلك المدة السابقة يتسبب إلى أسواقها من صنعاء إلى سوق خمر وغيره من نواحيها ، ولقد سألت الفقيه عبدالهادي هذا المذكور مرة عن الندا الذي ظهر قبيل قيام الإمام القاسم هل له أصل وهل سمعه فقال : نعم سمعته بأذني هذه وأشار إلى أذنه باصبعه يقول بصوت جهوري : يا إمام قاسم فيه وحشة بالليل وينتقل من جهة إلى جهة مدة شهر . وقبر المذكور بمقبرة باب اليمن رحمه الله ، وأوصى في كتبه الى القاضي حسن بن يحيى حابس الصّعدي وجعل الثّلث منها للفقراء والمساكين بصنعاء من أهل السوق تباع وتصرف فيهم ، فنفذ القاضي وصيته

---

(١) هذه الأسماء لم أجدها في معاجم أسماء النقود .

وظهر من جملتها كتاب «النبراس شرح الأساس» ونسب مصنفه الى الشيخ عبد الوهاب بن ابي عبد الله بن الحسين بن أبي الشهاب الكنجوي نزيل دمشق ، فقبضها القاضي حسن وباعها وبعضها شراها وباع «النبراس شرح الأساس» هذا من محمد بن الحسن أو اعاره ثم ظهرت نسخها باليمن الأسفل كتعز وغيرها ، فرأيت نسخة طلعت من بلاد تعز مع نعمة الله بن الشيخ عبد الرحيم اللاهوري[1] استعرتها منه فإذا جميعها ردود ومناقضات واحتجاجات لأهل السنة وجوابات وقابل كل حجة بحجة ، ومن جملة ما اعترض به ، انك جعلت هذه عقيدة أهل البيت ورأينا سائرهم يخالفون هذه العقيدة ولهم عقائد أحسن كعقائد أهل السنة وهم السلف من الماضين السابقين ومنهم من يوافق المعتزلة فمع هذا الإختلاف الواجب الرّجوع الى الدّليل وقد وقع الخلاف والاختلاف في مسائل الكلام ما وقع ، وأهل السنة ذات بينهم مختلفون الكرامية لهم مذهب مستقل في الأصول يعملون بالظواهر من غير تأويل فلزمهم التجسيم[2] ، وبعض الحنابلة أيضا كذلك ، وأحمد بن حنبل والسلف ، يمرون أحاديث الصفات والآيات على ظاهر ها من غير تأويل مع اعتقاد أن الله ليس كمثله شيء وهو مذهب كثير من السلف والحنفية والأشعرية حصل بينهم الخلاف في الأصول وتوسّطوا ما بين المعتزلة وبين الأشعرية وردّت الحنفية على الأشاعرة وألزموهم الموافقة للجبرية ، كما ألزمهم المعتزلة والأشعرية ما سلّموا لهم ذلك لاثباتهم الإختيار للعبد والكسب وضيق الحنفية[3] [في] مصنفات الرد على الأشعرية مثل كتاب الصابوني وشرح المرقاه على الجواهر ، ورد على المرقاه من الأشاعرة محمد بن سعيد أيضاً اختلفوا ذات بينهم وكذا الزيدية بسلف الزيدية يوافقون السلف وأهل السنة والمتاخرون وهم الهدوية يوافقون والمعتزلة .

هذا وان أهل البيت لبسوا كلهم على رأي المعتزلة بل بينهم شافعية كالشريف السمهودي والسيد شريف الحنفي والسيد علي بن مظفر بن حمزة بن زيد بن محمد الحسيني الدبوسي نسبة إلى دَبّوسة بلدة ببخاري من ذرية الحسين الأصغر بن زين العابدين علي بن الحسين قيل شافعي قال السبكي في الطبقات الكبرى كان اماما جليل القدر ، وذكر في «النبراس» هذا أنه تواتر عن علي بن ابي طالب كما رواه الشريف

(١) هو من القادمين الى اليمن نفاه المهدي صاحب المواهب ونكبه الى الهند «نشر العرف ٢ :٧٢١» .

(٢) قلت أشهر من رد عليهم الإمام فخر الدين الرازي من الأشاعرة في أغلب كتبه .

(٣) هنا كلام كثير بالهامش حول الخلاف بين الحنفية والأشاعرة والمعتزلة .

السمهودي في جواهر العقدين[1] وغيره أنه قال : خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر ، قال : فهذا نصّ من الإمام علي فأنتم أيها الشيعة الذين تدعون متابعة علي شيعة الهوى لأنكم ما عملتم يقول امامكم وامامنا من نصّه هذا فنحن المتابعون له لا أنتم ، ثم قابل كل الزام بالكفر بالزام مثله الى آخر كتابه يتكلم بكلام عارف بالحجة وينقل فيه عن الأطواق يريد به أطواق الحمامة في فضائل الصّحابة[2] للإمام يحيى بن حمزة وأن ما ذكر في «الأساس» مخالف لما ذكره المتكلم في شأن الصحابة ينقل أيضاً عن الأنوار شرح الأزهار يريد به شرح الفقيه علي البحري على الأزهار لأن اسمه «الأنوار» ينقل منه في شرحه في مقدمة الأزهار ويرد ما خالف فيه صاحب «الأساس» الى ذلك وما الزم به أنه على طريقة أهل البيت لمخالفته لقول الإمامين هذين ، وغير ذلك من المناقضة في كلامات طويلة يعرفها من طالعها في شرح المذكور . ولما ظهر هذا الكتاب وصل بعض العلماء من بلاد دمشق الى صنعاء اليمن وله تعلق بالسبب عن هذا الذي عزى اليه النبراس فقال : ما نعلم به في جهات دمشق ولا يعرف أصلاً فقال بعضهم : يدل هذا أنه للفقيه هادي القويعي[3] لأنه لم يظهر الا في خزانته بعد وفاته ولأنه لا يكاد يعرف بقواعده من لم يمارسه خصوصاً مع معرفة بعض مصنفات الإمام القاسم مثل المرقاة في الأصول والأساس وشرح البحري ، والرجل متمكن فقد يحتمل ذلك ، والإنصاف الرجوع الى قول سلف أهل البيت كما تضمنه جامع آل محمد ، وبعده في الإنصاف قول من يقول بأن الخلاف لفظي في مسائل الكلام ،كما هو قول الإمام شرف الدين والإمام عز الدين بن الحسن والإمام يحيى بن حمزة من المتأخرين ، والحق ظاهر لمن وفقه الله والتّقليد لا يجوز في مسائل الأصول بالإجماع .

وفي ذي القعدة الحرام ، مات الفقيه العارف علي بن جابر الشارح الذّماري الأصل ثم الصّنعاني : كان هذا الفقيه مدرساً في الفقه مثل الأزهار وشرحه و«البيان» لا غيرها وكان لكثرة التّدريس في هذه الكتب الثلاثة قد صارت عنده مسائلها كالغيب ، وكان فيه حدّة

(١) جواهر العقدين ٢ :٤٣٧ ط بغداد .

(٢) انظر مخطوطاته في كتابنا مصادر الفكر الإسلامي :٦١٧ .

(٣) يدل على ذلك أنه لم يترجم له صاحب خلاصة الأثر وهو من أهل دمشق وذكره صاحب هدية العارفين ١ :٦٤٢ وذكر كتابه هذا ولكن مصدره الوحيد هو هذا الكتاب المذكور . ومنه نسخة بمكتبة مصر قلت هناك كتاب آخر في الرد على الأساس يحمل نفس العنوان من تأليف إبراهيم بن حسن الكوراني المولود سنة ١٠٢٥ والمتوفي سنة ١١٠١ وقفت على مخطوطة منه بمتحف بغداد .

قوية ورفع صوت عند المراجعة بحيث يسمع من بعد . وكان تدريسه بمسجد الجديد [١] بصنعاء وكان شيخه السيد العلامة محمد بن عز الدين المفتي المؤيدي وكان من جملة مراجعته للسّيد محمد في مسألة : مقدور بين قادرين ، فقال الفقيه علي : باستحالته ، والسيد قال : بأن امكانه حاصل ونفيه عن الدّليل عاطل ، قال فلم أسلم لشيخي السيد محمد ذلك ولا التفت الى ما قاله ولم اعترف له بما هنالك ، قال : فاشتد الجدال بيني وبينه والاستحداد ، قال : فقام السيد في الحال الى باب الجامع المقدس وحمل الحجر المرزح[٢] للباب والمترس ، وقال لي : تعال أريك ما انكرته من الخطاب وازيل عنك الشك والارتياب ، ووضع طرف الحجر بيده فوق عنقه وطرفها بيده وقال : ماتقول هذه الحجر مقدور بين قادرين قال : فانقطعت ولم أدر ما أقول وابتهت .

وأخبرني المذكور أنهم حال قراءتهم على الفقيه ابراهيم حثيث [٣] بمدرسة ذمار جاء الناس اليهم يخبرونهم وهم في حضرة القراءة أن الإمام يحيى بن حمزة سرج من راس قبته لهبة خضراء ، وأن الناس يتكحّلون منها ، قال فاستهجن قولهم حثيث ثم جاء آخرون بذلك . قال : فاحتمل وسار الى هناك وطلع الى رأس القبة على السلم ونفخ اللهبة فطفئت ، ثم رجعت في الحال قال فذرّت دموعه بالبكاء واعترف بما قاله الناس وترك الإنكار لما شاهده بعينه من غير خفاء . وقبر الفقيه المشار اليه بمقبرة باب اليمن بحوطة الفقيه حسن النحوي رحمه الله تعالى .

وفي ذي القعدة : وصلت هدية صاحب حضرموت والشحر .

وفيها : توفي الشيخ أحمد بن علي بن محمد بن ابراهيم بن القاسم بن عمر بن احمد بن ابراهيم بن محمد بن محمد بن محمد بن عيسى بن مطير الحكمي الشافعي [٤] كان المذكور بمساقط جبل تيس وحواز جبل ملحان وتلك الجهات وهم بيت علم . وكان المذكور أعرج . وقد يُرجح أشياء تخالف مذهبه مذهب الشافعية وربما ادعى الاجتهاد وكان يعتقده أهل الحفار وتلك البلاد ، وله منهم عادات من البر والإحسان والصّلات والنذور اليه من سائر البدوان ، وقد يطلب البر في القرى ويدور في تلك النهوج فيعطى

---

(١) مسجد الجديد : من مساجد صنعاء غربي مسجد معاذ وتعرف هذه الحارة قديماً بشارع بني شعبان «مساجد صنعاء : ٤١» .

(٢) المرزح : هو الحجر الذي يجعل تحت الباب حتى لا يحركه الريح .

(٣) من علماء اليمن وفاته سنة ١٠٤١ «ملحق البدر الطالع : ٤» .

(٤) من العلماء ترجمته في خلاصة الأثر : ١ : ٢٥٢ وملحق البدر الطالع : ٤١ .

هو وإخوته في زمانهم ، وله منظومة للأزهار لأن الرّجل أحب الاطلاع على سائر المذاهب واجتنى الأثمار فنظمها ، وله شرح على غاية السول في أصول الفقه وله مصنفات أخر ، وكان عارفاً بالحديث أخذ فيه على والده وأخذ عليه من أخذ في وقته ، وقد اتصلت لي الطريق اليه في الحديث عن الفقيه علي بن محمد العقيبي عنه ، ومن غرائبه الرسالة التي أنشأها في استشكاله لحديث «ستفترق أمتي الى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار الاّ فرقة واحدة وهي ما أنا عليه وأصحابي» كما أخرجه أهل السنن فقال : هذا الحديث لا يصح انما هو من طريق معاوية . قال : فلم يروه غير معاوية بن أبي سفيان كما أخرجه أبو داودفي سننه وأنه لم يخرجه غير أبي داؤد وهو أحادي لا يحتج به في هذه المسألة ، وهذا من الشيخ غفلة مفرطة فإن الحديث رواه غير أبي داؤد وطرق كثيرة عن جماعة من الصحابة غير معاوية مثل أبي هريرة وخلائق آخرون . .[1] .

وفي ذي الحجة : جاء الخبر بأن جعفر بن عبد الله بن عمر الكثيري أخو أمير الشحر وحضرموت خرج من حَضرموت الى ظفار بعسكره ومن جمع من قبائله ، وقصد الحرب لصاحبه ، وقتل ولد بدر بن عمر في حربه ، وطرد عمه بدر بن عمر من جهته واستولى على ظفار وبلاده ، وكان ذلك كما روى سعاية ومشاركة من أخيه صاحب حضرموت .

وفيها : كان المطر قليلاً فارتفع السعر يسيراً .

وفيها : وقع فرقة بالبيضاء قتل بها اثنان .

وفيها أو التي قبلها : توفي الفقيه العارف عبد الله بن مسعود من هجرة الظهرين بحجة كان المذكور نادرة أهل العصر في حفظ اللّغة العربية ومعانيها الخفية ، مع غريب الحديث وضبط رجاله ومؤتلفه ومختلفه كل ذلك بمطالعة كتب اللغة والرجال كالاكمال لإبن ماكولا وغيره من كتب الرجال .

ودخلت سنة تسع وستين وألف

في آخر صفرها : مات شيخنا القاضي العلامة أحمد بن صالح العنسي الأصل ثم

---

(٢) هنا يستطرد المؤلف نقلاً عن المذكور حول هذه المسألة اختصرها من كتاب المترجم له في شأن هذا الحديث ، وهو رسالة يقوم بتحقيقها الآن صديقنا الأستاذ عبد الله بن يحيى السريحي .

العياني ثم البرطي ثم نسبة الى مدينة عيان ببلاد سفيان ،كان هذا القاضي له معرفة بعلم النحو والمعاني والبيان والأصول وغلب عليه علم الكلام واللطيف[1] والتبحر فيه والعكوف منه عليه على رأي المعتزلة درس فيه «الغايات» على القاضي عبد الهادي الثلائي وتذكرة ابن متويه ، وصنف شرحاً على المؤثرات وكان كثير الشك في الطهارة في الوضوء للصّلاة في جميع أوقاته وسائر أحواله وأيامه ، بحيث أنه كان يتوضأ أول المغرب فلا يفرغ عنه الا بعد أن يصلي الناس جماعة العشاء ، وكان لا يجتزي بطهارة ماء الأواني ، ونصيبه من ذلك الشك فيها والتواني ، ولا يزال يغسل يده مراراً متكررة في يومه وعشيته وصبحه وليله ونهاره ولا يجتْزي بمسح رأسه في وضوئه بل يغطسه ويفحسه مما يتعجّب من حاله ، وكان اذا صلى جماعة بعد أحد أعادها ولا يجتزي بأركانها بل قد يعيد صلاته نفسه اذا صلاها مفرداً ، ولا يفارق سجود السهو دائماً وفي جميع صلواته عموماً ، وأصابه آخر موته ألم النقرس في قدميه نعوذ بالله منه فبقى منه عليلاً مدة طويلة وأوقاتا جزيلة ، ومن جملة أسبابه كثرة تغسيله وطول مكثها في الماء حال غسله لها وتطهيره حتى ورمت أقدامه ، قرأت عليه رحمه الله في علم الكلام كتاب التلقيح[2] في الأصول ،وهو كتاب مفيد في ذلك الفن ، وقبله في الثلاثين المسألة ، كما استفدت عليه في المذاكرة والمراجعة في سائر المجالس والإقامات والمطالعات ، وقرأت عليه شرح الكافية في النحو شرفين[3] . وقبره بخزيمة رحمه الله تعالى .

وفيها في صفرها : وقع قتال بين عيال عبد الله وذيبان من بلاد حاشد ، فقتل من الفريقين أربعة ومثلهم من النساء كما روى .

وفيها : وصل الى صنعاء شاطر[4] مصري فلعب على ظهر الحبال .

وفيها : وقعت صاعقة بشهارة قوية الرعد شديدة البرق بحيث يحسب جميع بلاد الأهنوم أنها في بلده لشدة ذلك ، وصعقته فوقعت بحصن شهارة أخربت في دار العقبة[5] جانباً وسلم بسلامة الله من فيها ، وهلك في جبل سيران واحد أو اثنان في وقت واحد .

(١) اللطيف . هو فرع من علم الكلام عند أهل اليمن وقد يطلق على علم التصوف .

(٢) هو كتاب تلقيح الألباب للهاوي بن إبراهيم الوزير المتوفي سنة ٨٢٢ أنظر كتابنا مصادر الفكر . الإسلامي ص :١٢٩ .

(٣) شرفين : مجلسين .

(٤) شاطر : بهلوان كالذين يلعبون في السيرك .

(٥) كذا تقرأ وقد تقرأ أيضاً «الفقيه» .

واشتد برد هذه السنة وقرّها وشّاها شدة عظيمة .

وفي شعبانها : جاء الخبر أن الفقيه حسين النحوي الذي كان باقيا ببلاد ينبع من أرض الحجاز طلب منهم الخطبة للإمام من قبائل ينبع فمنع أكثرهم وقالوا لا يتم هذا والأروام نخشاهم . ثم أسعد آخرون وهم أقلهم فخطب خطبة واحدة في يوم جمعة ولم يزد على ذلك تلك المرة . فبلغ أهل المدينة المنورة فتغيرت خواطرهم من ذلك الفعل وقال أميرهم : نكتب ونسجل عليهم إلى باب السلطان ليعرف بأمرهم وينتبه لشأنهم . وبلغ الشريف زيد بن محسن ذلك الحادث وما حصل في نفوس أهل المدينة من ذلك الأمر الباعث فتعب خاطره وظاهره وكتب إلى أهل المدينة أن هذا الأمر لا نرضاه ، ولا نعتمده ولا نهواه وإنا قد أرسلنا إلى البلدة التي فيها الفقيه وأمرناهم بازعاجه عنها وعدم تخليته فيها وأدب أهلها فسكن الأمور في تلك الجهة وزال عنها بعض النازل معها . وقد قيل أن الإمام كان كتب مع هذا الفقيه المذكور إلى الشريف زيد وأهل البلد المسطور بكتابين اثنين ورسالتين ، فأما الشريف فحين وصله بها أعرض عنها فخرج الفقيه عن تلك البلدة وسار جهده ووصل إلى اليمن استقر فيه مدة من الزمن . ثم عاد بعد موت الشريف زيد بن محسن إلى تلك البلدة بعد أن أمن لأنه كان تزوج فيها واستوطن وباع ماله واطيانه ببلاد صنعاء وكذا كتبه وأقلع عن هذه الدار إلى تلك الدار ولم يعد إلى شئ من تلك الفعال ولا عضده أحد إلى ذلك المنهج ولا وافقه أحد في الأقوال وخشي من عاقبة الوبال ورغب في مجرد السكون فيها عند العيال إلى الآن والله أعلم .

وفي شهر ذي القعدة من هذه السنة : ارتفع السعر بلغ قدح الحنطة الى حرفين وكذلك باليمن الأسفل حتى بيع الجراد بدرهم لقلة أمطار الصيف والخريف وكثرة الجراد .

وفيها : وصف مقضّض[1] من بلاد عتمة أنه سار في جهات المغرب فأظلم عليه الليل قبل وصول البلد ، فبات في سقيف[2] فلما أقبل الليل لم يشعر الآ بقائم قام من ذلك السقيف ، فنهره وقال : ارقد ثم قعد ، ثم فعل[3] كذلك مرة أخرى ، ثم قبضه بيده فإذا هو رجل ميت ، وهناك كوة مفتوحة برأس السقيف ، فيها النباش كان يريد أن يجرّه منها ،

---

(١) مقضض : عامل في القضاض . والقضاض ما يعمل على البرك ومجاري المياه كالإسمنت الآن وهو عبارة عن جص صغيرة تخلط بالنورة «الجير» وتدك فتتحجر أنظر «الموسوعة اليمنية ٢ :٧٧٠» .

(٢) موضع مسقوف يكن من المطر ونحوه .

(٣) تقرأ أيضاً قعد .

قال : ففزع وخرج جنب باب السقيف فلم يذق المنام طول الليل ، بل تارة قاعداً وتارة قائماً ، والذئب كان يقاربه ويصول عليه ولا يتباعده [١] .

ودخلت سنة سبعين وألف

في آخر محرمها انحط السعر قليلا ، وحاج العراق انقطع لأجل فتنة الشريف احمد بن الحارث المكي وخلافه على الشريف زيد بن محسن في جهات بلد ولايته اليمامة ، والطريق للعراق تُقطع عرضها وتمرّ منها ، وكان قد خرج الشريف زيد اليه الاّ انه اشتغل بموسم الحج .

وفي هذه السنة : خرج تجار الحسا من بندرهم البحرين المعروف بالقطيف الي البحر الفارسي ، وخرجوا الى عدن بالأعبى [٢] الحساوي واللؤلؤ عوضاً عما فاتهم من البيع بمكة لقطع الطريق من قبل ابن الحارث كما ذكرنا ، فباعوها باليمن وصنعاء وتعوضوا من البن الصافي الى بلادهم في البحر من عدن .

وفي هذه الأيام : جهّز الإمام ولده محمد وولد أخيه محمد بن أحمد بعساكرهم الى البيضاء لأجل اصلاح الطرق وتسكين القبائل عن المحق فيها والخلل لا يحصل بجهتها ، فنزلوا واستقروا بها ، والجراد هذه السنة متردد باليمن وأكلت الزرائع لا سيما في بلاد ظليمة ووادي أخرف [٣] فإنها ترددت هناك حتى أن بعض أهل الوادي عوض غرس البن فيه مما ضرّبه من أكلها .

وفي ربيع الثاني : توفي الفقيه العارف الأديب صاحب الطرف واللطائف المهدي بن عبد الله المهلا النيسائي الأصل ثم الشرفي . كان له معرفة بالنحو ومشاركة في الأصول والأدب والسير وله الخط الحسن ، كان ملازماً للإمام ولإخوته ينسخ لهم بخطه وحسن سبكه وقلة تصحيفه وغلطه بحيث يخرج الكتاب . من تحت يده وهو كالكتاب المقروء على الشيخ لعرفان الرجل [٤] .

وفي هذه المدة : حصل من عسكر الحيمة انتهاب لسوق الحصين بضوران وعاث

---

(١) ورد هذا الخبر على هامش الصفحة .

(٢) الأعبى : جمع عباءة . وهو لباس خاص بالرجال والنساء وانظر «المعجم المفصل باسماء الملابس» : ٢٤٠ .

(٣) وادي أخرف : في الشمال الشرقي من حجة . وهو من بلاد حاشد واليه تجتمع روافد سيول عديدة وينصب اليه وادي مور في تهامة .

(٤) انظر بعض منسوخات الرجل في مكتبة جامع صنعاء وقد وقفت على بعضها فوجدتها كما وصف المؤلف رحمه الله .

الناس وهاشوا [١] فيه هوشة ضعيفة ، حتى وصل ذلك الى ساحة الإمام ، فلما سكن الناس أمر الإمام بحبس جماعة من عقالهم ، وفرق الإمام على الناس يومئذ جمالاً بالكرى لتحمل الأثقال [٢] الى بلاد حضرموت لتعذر حصولها من تلك القبائل الا بقتل النفوس وثلاث معاون [٣] فحصل مع الناس من جهة فرقة الجمال نزاع ، وسهلت عليهم المعاون دون غيرها من الجمال فعدم فيها الاتساع حتى سلموا المعونة ، وأكرى البعض الجمال ، وسار بالقسر والاجبار والبعض منهم سلم جمالاً منه هبة ولا يسير معها من أصحابه أحد من الفئة .

وفي هذه السنة : أمر الإمام بضربة جديدة وأصْغر [٤] البقش كل بقشة من الصغار تأتي قدر ثلثي بقشة من الضربة الأولى ، وعمل من جملتها بقشة واحدة عن خمس بقش وهي بالوزن قدر ثلاث من البقش الأولى ، فازداد بسبب هذه الضربة صرف القروش ، بلغ القرش يومئذ الى مائة بقشة ، ثم لما كثرت بلغ الى ثلاثة أحرف وفوق ، وقلّت القروش ، ثم تعقبه أحمد بن الحسن من بعد هذه المدة ، وضرب ضربة مخالفة وفي الظاهر زائفة فإنها عند ظهور أولها طرحها القبائل والمتسببون وقالوا : لا يبيع ولا يشتري بهذه القشاقش [٥] الآ المغبون ، والسّبب أن كل بقشة كانت من ضربة الإمام نصف بقشة ، وهو حسبها بقشة كاملة ، فحصل هذا الاشتجار حال ظهورها . ثم أن أحمد بن الحسن جدّ على الناس في قبولها وعدم ردّها فسلكت واحتملت باختلاطها بما يحملها وتداخلت ثم أنه بعد أيام نزعها وتركها .

وفي شوال :كثر الجراد وانتشر في الآفاق . وكان ظهوره من البلاد التهامية .

وفيها : وصل الى الإمام شريف هندي له اتصال وقرب من سلطان الهند فأودعه الإمام رسالة وهدية يسيرة ، وسار بها الى السلطان ، وهذا السيد يسمى محمد بن ابراهيم ومن جملتها تفسير الحاكم [٦] المعتزلي المعروف بالتّهْذيب وفيه ردود على أهل السنة

---

(١) هاشوا : نهبوا وفي القاموس هاش المال : جمعه حراما .

(٢) في تجهز جند الإمام المتوكل الى حضرموت وقد توسع المؤلف في هذا الخبر وأوردنا خلاصته في كتابنا «وثائق الوحدة اليمنية في القرن الحادي عشر» فانظره .

(٣) معاون : يعني معونات دفعات من المال .

(٤) أصغر البقش : أي جعلها صغيرة .

(٥) تحقق هذه اللفظة ولعله من القشاش (معروف) .

(٦) هو الحاكم الجشمي . المحسّن بن محمد المتوفي سنة ٤٩٤ .

والزامهم الجبر ، أراد المتوكل أن سلطان الهند يرجع اليه ويكون حجة عليه فأرسل سلطان الهند في مقابله هدية تفسير «مفاتيح الغيب»[١] للإمام الرّازي لأن فيه الرّد على المعتزلة والزامهم بالموافقة في المعنى .

وفيها : وصل أحمد بن الحسن الى البيضاء واستقر بها بقية الشهر ، وبلغ الجراد الى حضرموت واليمن الأسفل ، وعاد الى اليمن الأعلى في آخر شهر القعدة فأكل بعض الزراعة ، وارتفع السعر لأجل ذلك ،وارتفعت الأسعار ببلاد صبيا وبتلك الجهات القصيا لأجل الدبا الذي انبعث هنالك من الجراد في ذلك المنحى .

وحصل مع الذي جاؤوا مع أحمد بن الحسن الضرر الشديد في الطريق ، وكثرة ما نالهم من التعويق لأنه خرج من الطريق الشرقية طريق شبوة ، وهي مقاطع ، فهلك من أصحابه كثير من السّموم وماتوا وأكلتهم السباع ولم يدفنوا ، وأكثرهم من التوابع والخدم .

وفي آخر هذا الشهر : خر نجمان عظيمان في بلاد شرعب[٢] من اليمن الأسفل بلدة يقال لها «الخُشُب» فأحْرقا من فيها ، ويقال أنه سمع صوت ذلك الى بلاد «عتمة» [٣] ، وكان بعض أهلها في زرائعهم خارج البلد، فسلموا لكنه حدث في بعض أهلها ثقل السّمع وصمّوا ، نسأل الله السلامة والجمالة ، ويقال أنهم أحرقوا شيئاً من الدبا والجراد بالنار ، وكان سقوط النجمين ضحوة النهار .

وجاء خبر آخر : أن في بعض جهات حبيش لما أكل الجراد المرعى رعته بعدها غنم لأهلها فهلكت منه .

وفيها : اشتهر رجل استخف عقول الناس بالخديعة والالباس بأنه يعرف بإكسير الفضة وتراب المعدن من جهات لاعة من بني الناشري ، وكان المذكور سارقاً مارداً مشهوراً وقد حبسه الأمير ناصر[٤] مدة من الزمان ، فلما ظهر أمر المذكور وما مَوّه به من الصناعة لهذه البضاعة ، اشتاق اليه كل أحد وتاق اليه كل فرد ، وزاد في تصديقهم لذلك أنه كان

---

(١) عرف بتفسير الرازي طبع سنة ١٢٧٩ ثم تكررت طبعاته .

(٢) : شرعب : بالشين المعجمة وسكون الراء وفتح العين . ناحية معروفة بالشمال الغربي من تعز بمسافة أربعين كيلومتر .

(٣) عتمة : بضم العين والتاء المثناه من فوق وفتح الميم . بلدة مشهورة بالغرب الجنوبي من ذمار بمسافة ٦٢ كيلو متر ، بها مركز قضاء عتمة .

(٤) هو الأمير ناصر بن عبدالرب بن علي بن الإمام شرف الدين كما سيأتي : ١٢١ .

يفعل من التراب سبيكة ويريهم اياها فضّة ، ولم يعلموا بحيلته ولم يفطنوا لدهائه ، حتى استغربه الكبار وطلبوه اليهم للاستبصار والعمل والاختبار ، فعمل من ذلك وموه عليهم بما هنالك ، فظنوه كما قال ، وكثرت في وصفه الأقوال ، حتى انتهى أمره الى الإمام وطلبه الى صنعاء بعد وصوله اليها تلك الأيام ، فأراه التراب ، وقال : هذا الذي يصنع منه الفضة ويعمل به هذه الصنعة ، ففرّغ له الإمام منظرة في القصر خالية ، وقال : افعل لنا صفة من الفضة عالية ، ففعل ذلك وأراهم وقال لهم : هذا عملنا وأراهم فقالوا جميعاً ما هذه الا فضة بلا شك ، وما الرجل الا حكيم قد ادرك صنعة السبك فكساه الإمام كسوة سنية وأعطاه فرجية[1] وبغلة فارهة عطية ، وزلجه حيث شاء من البّرية بعد أن أمره بالصّنعة والمشاركة في هذه الفضة ، فسار ذلك الرجل وقد استدان من الناس ووعدهم بالقضاء لهم مما يصنعه من الالباس ، فاغتر به كثير من الكبير والصغير والعامي والأمير ، ثم توارى وهرب لا يدرى أين ذهب . وبيان حيلته التي موّه بها وصنعته التي غر أهلها أنه أخذ تراباً من بعض الجبال كثا نيساً[2] وخلط بينه بردة فضة ، فكان يسكب منه في البوطا[3] ويكير عليه بالكير والغطا فيخرج من الفضة القذى الذي وضع عليه لاغير ، هذه خديعته كل ذلك للمعيشة ، وزاد الغرر مع المغترين السماع المشهور : بأن في سارع[4] معدناً محفوراً ، فظنوا أنه من جهته وأنه أحكم صناعته ، لأن هذه المعادن في اليمن مشهورة لكن صنعتها لا تكون الا بوضع اكسيره . وكانت الأكاسير مع ملوك حمير معروفة ومخزونة ، وكانوا يعملون منها ويتقوّون في الملك بها ،وقد عُدّ في اليمن ما بين بيشه وعدن قدر خمسة وعشرين معدناً[5] من جملتها المعدن بجبل عيشان[6] ونهم وبينون وخولان وغيرها ، ورفع الله العلم بصنعتها لحكمة يعلمها لأن المعادن اذا كثرت قلّ النفع بها وعزّة الأشياء من نفاستها وتمام مصلحتها ، وما فطن بحيلة هذه الا بعض الحذاق ومن لهم في الفراسة مراق والله أعلم .

وفي يوم الأحد سابع شهر ذي الحجة الحرام : وصل الإمام الى صنعاء من بلاد ضوران

---

(١) الفرجية : ثوب فضفاض له كمان يعمل من الجوخ أنظر « المعجم المفصل : ٢٦٥ » .

(٢) النيسة : هي صغار الحجار أو التراب المتحجر .

(٣) البوطا : أو البوطة . بوتقة الصائع معرب بوته بالفارسية .

(٤) سارع : أرض واسعة بالشمال الغربي من شبام كوكبان بمسافة ثمانية كيلومتر .

(٥) انظرها في ملحق كتاب الجماهر للبيروني : ٢٧٠ط الهند .

(٦) عيشان : قبيل وبلدة بالشمال الشرقي من شهارة وعلى بعد ٣١ ك .م من مدينة حوث غرباً .

ومن حصن الدامغ عالي البنيان . وكان وصوله بجماعة من الخيل والرّجل قليلة لأجل خروجه من ضوران على حين غفلة ، وجرد تجريده متّصلة منه الى صنعاء في يوم واحد فدخل صنعاء وقت العشاء والمؤذن في حالة النداء ، وخروجه من ضوران صلاة الفجر ثم تلاحق الناس في الليل واليوم الثاني .

وفي العشرة الآخرة : ظهر شأن عجيب للسيد علي الجلال من سادة بلاد صعدة من آل يحيى بن يحيى الهدوي [1] وهو أنه يضع شيئاً في يده ثم يفتحها ولا يرى فيها شيئاً البتة وادعى أنه يعرف بالخبايا والسرقات وعجائب أخر كثيرة مخرقات ومختلفات مع أن حالته غير حالة الصلحاء بل من جملة الخلعاء وقد روى أنه يترك الصلاة نحيف الجسم [2] ، يمدح تارة مع المداحين بالأسواق ، وتارة يطلب من الولاة الأرزاق وحبسه الإمام بكمران [3] فخرج على ظهر الماء سائراً وماشياً الى البريــة بمرأى العيان فمن قائل يقول : ساحر ومن قائل يقول : مخدوم . وحال كتابة الأحرف . ودخل المشرق وما عرف منتهاه في ذلك الأفق .

وفي هـذا الشهر : خطب القاضي أحمد بن سعد الدين المسوري بمنبر جامع صنعاء اليمن للجمعة ولم يخطب فيه قبل هـذا ، فطول الخطبة كما هو العادة عنده وحذف ذكر الصحابة رضي الله عنهم وترك ما كان يذكره الخطباء في صنعاء قبله ، وحذف أيضاً ذكر محمد بن الحسن مع حضوره كما كان يذكره آل السحولي ، وابتدا ذكر اسم زيد بن علي في الخطبة ولم يذكره أحد قبله . ولما سار مع الإمام شــهارة أعاد ذكر الصحابة خطيب صنعاء حسين السحولي في جميع مدته ، ثم لما توفي وصارت الخطبة الى ابن أخيه محمد بن إبراهيم ذكر الصّحابة في ابتداء أمره ثم حذفهم في جميع مدته وغيره من آل السحولي اذا خطبوا ذكروهم دونه .

وفي ذي الحجة : ارتفع السعر بلغ قدح البر الى تسعين بقشة ، والجراد تردد باليمن ، والأمطار قلت الآ أن السعر تراجع الى دون ذلك بمدة قريبة .

وجاء الخبر مع الواصلين من حضرموت : أن صاحب عمان جهز جماعة من عسكره

---

(١) في نيل الحسنيين : ١٣١ آل الجلال ينسبون الى الجلال بن صلاح بن محمد بن الحسن بن أحمد بن المهدي بن علي بن المحسن بن يحيى بن يحيى الناصر بن الحسن بن عبد الله بن محمد بن القاسم المختار بن الناصر احمد بن الهادي يحيى بن الحسين .

(٢) كذا تقرأ هذه اللفظة .

(٣) جزير معروفة في البحر الأحمر أمام الصّليف من ناحوة الغرب وفي الشمال من الحديدة .

إلى بلاد ظفار باستدعاء جعفر بن عبدالله الكثيري لهم .

وفيها أو التي بعدها : عرض رجل جملاً له للبيع ، هو في ذلك ساه اذا التقمه الجمل في فمه وعضه عضة شديدة وخبط به الأرض فهلك من ساعته .

وفي هذه السنة : شرع رجل من المتسبّبين يقال له مقريش في عمارة سمسرة عظيمة كبيرة في بلدة عسم في بلاد الأشمور [1] للمسافرين فتمت السمسرة بالعقود والقضاض والباب الكبير يدخلها الجمّال والأجمال ، ولم تكن من قبل سمسرة ، وهذه الطريق لا تزال فيما بين صنعاء وحجة الى سوق حورة [2] واستعان من الناس في ذلك فأعانوه ممّا تيسر لهم ، وكان الثواب للمذكور .

ودخلت سنة إحدى وسبعين وألف

وفي هذه السنة : وصل السيد محمد بن ابراهيم الهندي الذي كان عبر اليمن عقب حجه ووافق الإمام وأصحبه هدية كما سبق ذكره ، وجملة هدية الإمام كتاب الحاكم التّهذيب في التّفسير وسيف وحصانين عظيمين ، قالوا : لما وصلت الهدية الى السلطان [3] الهندي تحاقرها وعجب منها فاعتذر السيّد محمد بن ابراهيم وبسط له . وهو من أصدقاء السلطان ومن المقرّبين عنده في الديوان ، وأرسل الى الإمام بهدية عظيمة فاخرة ملائمة وهي قدر عشرين من البراذين لها صورة عجيبة ملونة بالسّواد والبياض [4] لا يوجد مثلها في هذه البلاد . وأرسل معها بغيرها من الحاصل لكن خفي العلم بقدرها وكميتها ، وأرسل أيضاً صحبته بهدية للحرمين الشريفين ، وخرج بجميع ذلك المذكور وعارضه المرض في الطريق بعد خروجه من المخا فوصل الى يريم . وتوفي هنالك ، فأرسل الإمام من عنده الشيخ العلامة عبد الرحيم اللاهوري وغيره لافتقاد ذلك فافتقدوه جملة لا عن تفصيل وتدرّك به الأغا الذي مع حريم السيد المزبور الطواشي وطلع الى صنعاء بذلك ، وقبض الإمام هدية الحرمين ،فبقت عند الإمام حتى وصل لها رسول صاحب الهند السلطان وأمره بقبضها وتبليغها الى الحرم ففعل الإمام وأعطاه ما رسم عند

---

(١) جبل بالغرب من مدينة عمران بمسافة ٢٢ك .م ، وعسم المذكورة بلدة ظاهر المصانع تشرف على أودية شرس وبلد حجة وهي على طريق المسافر .

(٢) من بلاد حجة معروفة .

(٣) سلطان الهند في ذلك الوقت اورنكزيب عالمكير ١٠٦٩ - ١١١٨ أنظر «تاريخ المسلمين في الهند للساعاتي : ٣٨٩-٤١٦» .

(٤) لعلها المعروفة بالحمر الوحشية .

خروجه بعد هذا العام .

وفيها : اعترض السيد العلامة احمد بن علي الشامي الإمام في شأن اهدار الدماء في مدة الأروام وعدم سماع الدعوى فيها لمن رام فيما تحصل من التعدي والخصومات بين القبائل تلك الأيام ، وقال السيد : لا وجه لإسقاطها ولم يقل به أحد من علماء الشريعة المقتدى بها ، وقد سبقه بالاعتراض في ذلك القاضي عبد القادر المحيرسي كما سيق ذكره ، فأجاد السيد وأفاد وبيّن فيه من فيض علمه كل مراد ، فقال ما لفظه : اعلم أرشدنا الله وإياك أنه قد صار يتعاطى بعض علماء العصر التجاري بالتكفير والتفسيق والفتاوى باهدار الدماء ، وهو ظاهر البطلان لأن دار الحرب حيث فرضت وقيل بها في البلاد التي ولايتها لأهل الجبر والتشبيه أنها هي دار اباحة فيما بين الكفار وأما بين المسلمين فلا وجه لاهدار الدماء التي حرمها الله . .[1] وأجاب عليه الإمام بجوابه هو بمحل النزاع والرّد وعدم الاتباع ، لأنه جاء في ذلك باحكام كفار التّصريح المحاربين من المشركين ومن معتقده غير صحيح ، وفي الإسلام كفر صريح وهذا واد آخر ، وقول عن محل النزاع شاغر ، فاستدل بالآيات الواردة فيهم وبما قاله العلماء من أحكامهم وهي لم تكن داخلة في ايراد السيد احمد المذكور ولا مقصوده على كل الوجوه والأمور . وأشار السيد الى قول الإمام شرف الدين فإنه لا يكفر بالإلزام للمتأولين ، والعجب من الإمام مع أنه من أهل العلم التام كيف قال في جواب السيد بقوله : وللإمام شرف الدين كلام حسن فقال : الإمام شرف الدين مصرّح بإثبات كفر التأويل واثبات دار الكفر وأحكامها في كتبه غير مخالف في ذلك ، قال في «الأثمار» وشرحه : ولا قصاص فيها ولا تأرش غالباً ، أي ولا يجب القصاص ولا الأرش في الجنايات اذا وقعت في دار الحرب أو وقعت الجنايات فيما بين الكفار وفيما بينهم وفيما بين المسلمين وقوله غالباً احتراز من أن تكون جناية المسلمين ،في دار الحرب فإنه يثبت التأرش بينهم الى آخره ،فهذا قلبٌ لأن كلام الإمام شرف الدين في كفر الصريح لا التأويل ، فإنه لا يقول به أصلاً كما في الأثمار وشروحها في غير هذا الموضع ، وكما في رسائله المشهورة ، فالعجب من تغافل الإمام في هذا ومغالطته .

وفي شهر محرم منها : منع الإمام أهل الذمة من عصير الخمر في بيوتهم . وأرسل من

(١) أنظرها في طبق الحلوى : ٢٦٨ .

كسر آنيتهم .

ولما وصل مشايخ المشرق مع الجملولي حال رجوعه من حضرموت كما ذكرناه أرسل الإمام بالشيخ على الهيثمي صاحب دثينة الى حصن كوكبان فحبس فيه لأجل إساءته ونكثه بمحق الطريق وقطع القوافل عن المرور والتعويق ، وأما سائر مشايخ المشرق فأخذ منهم العهود الوثيقة في الطاعة وعدم التعرض في الطريق بالمحق والإفساد والاستمرار على الانقياد والتسليم للواجبات وعدم العناد ، ثم أذن لهم في العزم الى البلاد وهم ابن عبد الواحد والعولقي .

وسقط في صنعاء في هذا العام : ثلج رقيق ظهر على الأشجار .

وجاءت الأخبار أن بين شاه عباس الثاني بن حسين بن شاه عباس فتنة في بلاد لاهجان من بلاد العجم حكى قطب الدين الحنفي في بعض تواريخه أنه كان بلا هجان زيدية في رأس المائة التاسعة لكنه روى لي بعض من سألته من العجم أن هذه المدة قد صارت تلك البلاد امامية اثنى عشرية وزال عنها مذهب الزيدية . هذا الراوي محمد بن صالح الرافضي سكن صنعاء قال وأصله من بلاد الجيل وقال غيره : من الرافضة لما سألته وكان حاجاً عاد من مكة فقال : بقى فيه زيدية ناصرية واسماعيلية يعني من الباطنية ولعله يجمع بين الروايتين لم يبق هناك زيدية ممن تظهر له شوكة ومذهب ظاهر بل يتسترون وروى بعض أهل السنة أنه لم يبق في تلك البلاد الآن زيدية أصلاً ولا أهل سنة بل قد صار رفضه لأجل الشاه لهم واصلها شعار مذهبهم فيه .

وفي العشر الوسطى من جمادى الأولى : سار الإمام الى بلاد شهارة فخرج من صنعاء على غفلة ثم تبعه الناس ارسالاً ودخل السودة أول الليل ثم دخل أولاده بالعسكر بعده في النهار وحصل عند الملقى ما حصل من الارتجام [1] والنزاع والخصام على سبب البرع [2] والمزاحمة بين العسكر وأهل السودة في تلك الأيام ، فأدب الإمام أهل السودة وأنكر ما فعلوه هم وجنوده .

والجراد هذا العام ظاهر ، وجاء الخبر أنه في الشام الأقصى والحجاز ونواحيه شاهر ، فارتفعت الأسعار ومازالت مرتفعة غالب هذه الأعصار .

---

(١) كذا ولعله الازدحام والإرتجام من الرجم معروف .

(٢) البرع هو الرقص الخاص بأهل اليمن يكون في أفراحهم وبعض المناسبات الخاصة ، وهو بفتح الباء والراء وإسكان العين أنظر في ذلك الموسوعة اليمنية ١ :١٥٧ .

وفي شهر جمادى الآخرة : مات الفقيه الصالح جميل أصله من بلاد الظاهر من بلاد الكلبيين كان جندياً مع والده عند أول نشوئه وشبابه ، ثم أنه تجرد وانخلع وتفرّد ولبس شعار الدرسة ، وسكن بمسجد موسى[1] بالمنزلة التي جنبه من مدينة صنعاء ، وقرأ في الأزهار ، وكان غزير الدّمعة ، كثير الخشوع بالسرعة اذا تلى القرآن التالي عنده بصوت شجي ، أو ذكر أحد شيئا من الوعظ وأحوال الآخره أغمي عليه وغشى ، تكرر منه هذا مراراً كثيرة حتى قد يرشه بالماء من حضر ، فمات رحمه الله ونفع بالصالحين من عباده ، وقبر بخزيمة غربي صنعاء .

وفي شهر جمادي الآخرة : حصل تعرض في طريق عدن في حدود بلاد الفضلي في ذلك النهج العدني الجنوبي وقتل هناك أربعة من العساكر . فأرسل أحمد بن الحسن جماعة عسكر بأدب على ذلك الفعل المنكر .

وفي هذه المدة : وقع اختلال في بلاد الفضلي والهيثمي فسار أحمد بن الحسن بنفسه إلى تلك الجهة .

وفي آخر شهر رمضان : جاء الخبر أن جعفر الكثيري اصطلح هو وعمه بدر بن عمر الكثيري على يد المهري وواجه وطلب من عمه أن يتوسط له في الأمان من الإمام والوصول إليه ، وغزى أحمد بن الحسن جبل الفضلي فلم يشعر إلا بوصول القوم والخيل عليهم تجري والفضلي عند ذلك هرب .

وفي هذه المدة : خرجت بنت سلطان الهند من البحر الى محروس المخا ، ثم سارت برّا الى مكة لفريضة الحج ومعها من الآلات والخَدم والخيام والحشم والمال الكثير الأعظم ، وأعطت صاحب المخا زيد بن علي بن جحاف مالم يعرفه من العطاء ، يقال نحو خمسين ألفا .

وجاء الخبر : أن في الهند قحطاً وغلاء .

وفيها : ساخ جبل في جهات بني عشب[2] فأخرب قرية تحته ودفن من مالها كثيراً ، ولم يبق من القرية الا قدر بيتين في طرفها . وكان هذا الجبل يستخرج منه الرّخام الأحمر فتعذّر الاستخراج لذلك بعد دفن الجبل وخرابه هنالك .

---

(١) مسجد موسى : من المساجد العامرة بمدينة صنعاء في الجهة الشرقية الجنوبية وكانت هذه الجهة تعرف بحارة القطيع «مساجد صنعاء : ١٢١» .

(٢) بنو عشب : عزلة من ناحية كحلان تاج الدين بالشرق من حجة .

وفي هذه السنة : ظهرت ورقة مع بعض المنجمين منسوبة الى بنيّان [١] المنجم يقول فيها : أن في سنة احدى وسبعين يموت الإمام ويخلفه محمد بن الحسن خمس سنين ، ولم يتفق شيء بل مات محمد بن الحسن قبل الإمام ، والمنجمون كثيراً ما يكذبون كما قال الشاعر ، وهو أبو الغنائم محمد بن المعلم [٢] شعري[٣] :

يقضي عليها من ليس يعلم ما	يقضي عليه هذا هو العجب
قد بان كذب المنجمين وفي	أي مقال قالوا وما كذبوا

والقرآن ناطق بأنه لا يعلم بالخميس أحد من الأنام وهي ما تضمنتها آية القرآن حين ذكر منها آخرها قوله تعالى [٤] ﴿وما تدري نفسٌ ماذا تكسبُ غداً وما تدري نَفْسٌ بأي أرض تَموتُ﴾ وكفى بالقرآن حكماً وبالنجوم في هذا الخَميس[٥] تكذيباً ، وأما ما عداها فقدً يتفق بعض شيء فيها وقد لا يعلم حقيقتها .

وفي هذه المدة : ضربت النوبة [٦] مع يحيى بن محمد بن الحسن والي بلاد مدينة تعز باليمن الأسفل بمزاميرها وطبلها واستروح لسماعها وضربها ، وطرب بوحيها ، بعد أن كان قد تركت من بعد وفاة شرف الدين الحسن بن الإمام القاسم بن محمد الا المدة اليسيرة مع أولاده . وظهر ليحيى بن محمد هذا الكرم الواسع والعطاء الباذخ الجامع ، بحيث قد يُخلي مخْزانه وينفق جميع أمواله لأن من شان الطرب بالسّماع الراحة ، ومن شأن الراحة الكرم والبذل والاستراحة . الا أنه جار مع ذلك على الرعايا وأذاقهم البلايا لا سيما بلاد الحجرية ، وتعلقت به الديون ومد على والده من المطالب اليمنية التي في السهول والحصون ، فشقّ ذلك على والده ونقص عليه في وارده ، حتى كان سبباً لنزوله الى اليمن الأسفل كما سيأتي قريباً .

وفيها : مات الفقيه سالم الخَمْري كان يصوم الدهر جميعه تكفيراً منه لنفس كان قتلها في بلاده فتاب إلى الله .

---

(١) لم أقف عليه وفي عيون الأنباء لابن اصيبعة : ٢٣٤ سلموية بن نبان فلعله المذكور .

(٢) كذا لعل صوابه . أبو الغنائم مسلم بن محمود الشيزري من علماء الفلك توفي سنة ٦٢٢ تقريباً أنظر الأعلام ٧ :٢٢٣ .

(٣) كذا في الأصل .

(٤) الآية ٣٤ ، في سورة لقمان .

(٥) الخميس : الجيش . والملاحم هو اسم هذا العلم أنظر «مفتاح السعادة ١ :٣٦٤» .

(٦) فرقة موسيقية خاصة بالعسكر .

وفي هذا العام : حصل مرض عام لكثير من الناس من قبيل الحمى والنافض حتى أن بعض البيوت استوعب من فيه ولا يجدون من يعمل لهم الطّعام الا من الجيران والأرحام ، ومات من ذلك في جميع أنحاء اليمن ممن وفا أجله وانتهى أمده ، ولله الأمر من قبل ومن بعد .

بحث الأسد

وفيها : اتفق لبعض الهنود أنه مر بلاد تهامة فمر بعض هياجه وأشجاره فأكل الأسد فيها عليه حماره ، فوضع الهندي المذكور في جثة الحمار بعد أن عقره عليه وسار من سم الفار الذي يهلك به الدواب ذوات الأذناب ، فعاد الأسد لأكل عقيرته بالليل ليتهنى فريسته[1] فمات وحَضَره غيره من الأسود ، فربما أكلت من لحم صاحبها الأسد المنبوذ فماتت ، فمات منها في ذلك الوقت جماعات ، فاستعمل ناس من أهل تهامة ذلك لما قرب منهم ومرّ عليهم في تلك الأوقات فيما عقرها من مواشيهم وبقرهم ، لأن قاعدة الأسود اذا عقرت في النّهار لا تأكله في الحال بل تتركه معقوراً ويتروّحن[2] له في الليل حضوراً خوفاً من بني آدم ، إذ كل شيء من السباع تخافه وترهبه ، فزال بسبب ذلك كثير من الأسود ،وهلك ومات ، حتى لقد أخبروا في هذا العام :أن بعض الهياج منها عدمت .

ودخلت سنة اثنتين وسبعين وألف

روي : أنها استهلت بالجمعة ، وكان وقوف الحاج بعرفات يوم الجمعة ، وغلت الأسعار بمكة هذه السنة ، وكذلك غلت الأسعار ببلاد الشام ،فبلغ القدح بدمشق الى قرشين اثنين ثم تهون بآخر السنة بسبب حبوب وصلت وميرة[3] من بلاد مصر لما بلغهم قحط الشام في هذه السنة ، وسببه كثرة الدّبا والجراد كما وصف لي ذلك بعض أهل دمشق الثّقات وهو الشيخ محمد كَزْبر .

وفيها : خسف القمر بشهر صفر ببرج الحمل وغربت خاسفة .

وفي هذا الشّهر : انتهبت دراهم على الحطروم في العمشية ، وكان النّاهب لها رجل من سُفْيان يقال له الشمشي في عهدته ورفاقته للقافلة ، واستنكر عليه قبائل بلاده وعيبوه

---

(١) الأصل : فيرسته .

(٢) يتروّحن : يذهبن من الرواح .

(٣)الميرة : الطعام الذي يدّخره الإنسان .

في ذلك واسترجعوا منه أكثر الدراهم وخوفوه من الإمام فرجع اليه أكثرها .

وفي هذه السنة أو التي تليها : اتفق حضور السيد عبد الله بن محمد بن الحسين بن جحاف للجمعة بمدينة صبيا حال سفره للحج ، وكان الخطيب يعتاد تقديم أبي بكر وعمر وعثمان ثم علي في الخطبة ، ويجمع بين ذكر الإمام والسلطان ابن عثمان ، فجرى الخطيب على عادته في بلده ، فتغير ظاهر السيد وتحامل على الخطيب وقام عليه من مجلسه وتكلم عليه ونهره وشرع في المقام وقوع هوشة ولولا حضور الحاضر والرجل العاقل سكّن الأمر ، لحصل ما حصل .

وفي جمادى الأولى : توفى السيد أحمد الذنوبي من علماء بلاد حجة وكان يدرس ببلاد حجة في علم الفقه وقت الفراغ ووقت الاقامة له من مادة الوقف وحضور الدرسة قد يدرس بظفير حجة ثم إذ اخرج بلده وسكنها يشتغل بالعمل في ماله بنفسه ويده وإذا سأله السائل وهو في الحجن أجاب في مسألته رحمه الله .

وفي آخر شهر رجب منها : خرج أحمد بن الحسن متنزها الى رأس غيل الخارد الأعلى سفال الرحبة وسكن فيه أياماً ، ثم سار الى نهم فقطع شجرة هناك كان أهل نهم يعتقدونها ، ثم رجع الغراس ومن ذلك الوقت ابتدأ المعاودة والنزهة الى بادية الخارد في الشتا مرة بعد مرة ، وبنى فيها بعض البناء لأجل الفرجة . وسائر الناس يسكنون في الخيام ، فيبقى فيه الشهر والشهرين هذه الأيام ثم يعود ، وجعل فيه حماماً يتحمم هو وغيره هناك .

وفي هذا الشهر : وصل السيد زيد بن علي بن جحاف صاحب المخا الى حضرة الإمام وأهدى منظرة من صروف مركبة مفصلة فركبت في بيت القابعي فوق سطح الدار .

وفي نصف رمضان منها : خرج جماعة من الفرنج من سواحل الهند من النّصارى في غرابين أو ثلاثة الى ساحل عدن فمنعوا المار الى المخا من التجار والجلاب معاندة للسيد زيد بن علي بن جحاف صاحب المخا لما ضاررهم العام الأول وصدُّوا المراكب الى عدن . فجهز السيد زيد عليهم جماعة من عساكره ومدفعين معهم من مدافعه فرموا عليهم أول حجر بالمدفع فحرّق البارود عليهم بحريقه الجلبة الذي هم فيها واتصل الحريق بهم وغرق بعضهم وافتض المدفع عليهم . ورماهم الفرنج فقتلوا منهم وأسروا

بعضهم وانتهبوا سلاحهم ،ومن جملة الأسراء رجل يقال له سرور بن عبد الله كان في المخا . فدخل معهم الى بلادهم بسواحل الهند ، ووصل الى كوة [1] عند أميرهم الفرنجي النصراني ، ثم أنه أرسل به الى حضرة سلطانهم الكبير الذي بالغرب الجوان في طريق البحر الحبشي قال سرر المذكور : فساروا بحراً سبْعة أشهر ، وبرا ثلاثة عشر شهراً ، ثم كان في سنة خمس وسبعين ووقع له منهم الإطلاق والتّخلية فعادوا الى اليمن . وقيل أن سبب الحريق الذي وقع عليهم من طيّارات الفرنج التي يرمون بها الى غيرهم فتحرقهم ، وترسّموا على المراكب الهندية ، وأخذوا منهم الدّراهم النقدية في باب المندب الذي يقع فيه الحكم على من ذهب ، ثم قصدوا الى جهة المخا بعد أن بلغت نفوسهم مما أرادوه غاية المنتهى ، وركزوا أمامه وقدامه ، فلما بلغ أحمد بن الحسن ذلك الحادث الذي جرى سار مجرداً ، وجرى في خلال وصول الإمام الى عمران ولم ينتظر الاتفاق به بعد أن بلغه وصوله وقرب حضوره . وكان قد أراد قبل ذلك العزم للحج الى بيت الله الحرام والمعاودة لتلك المشاعر العظام ، وقد أهب المراد وجعل لأصحابه الميعاد ، وكان الإمام لما بلغه ذلك المقصد ، قد أشار عليه بالتّرك والتأخير وأنه قد قضى الفرض فلا وجه للتكرير . ومر جماعة من حجاج حضرموت فظفر بهم الفرنج فأذاقوهم الفوت ، ثم وصل أحمد بن الحسن الى عدن وقد عاد الفرنج الى ديارهم وانصرفوا عن محلّهم ومكانهم ، فلم يقض من سيره هذا وطرا ، ولم يعرف لهم في البحر خبراً ، والإمام وصل صنعاء بقى أياماً من شوال الى شهر الحجة ثم تقدم الى ضوران وتلك الجهات والأوطان .

وفيها : توفي الزمزمي [2] من علماء مكة المحروسة وكذلك توفي القشاشي [3] عالم المدينة وخرج الى اليمن شرح للقشاشي المذكور على عقيدة الإمام [4] التي وضعها ، وجعل هذا الشرح كالجواب على تلك الأبواب وبناه على قواعد الأشاعرة وألزم فيه بالزامات الموافقة ونقل أشياء من تفسير الكشاف استظهر بها على أن قول الجميع هو

---

(١) كوة :مدينة ضمن ولاية اتحادية هندية تقرب من بومباي ،أنظر هامش «تحفة المجاهدين :٢٠٠» .

(٢) هوعبدالعزيز بن محمد بن عبد العزيز الزمزمي مولده سنة ٩٧٧ ووفاته سنة ١٠٧٢ خلاصة الأثر ٢ :٤٢٦ .

(٣) هو أحمد بن محمد بن يونس الدجاني القشاشي من علماء المدينة ومكة وفاته عند المحبّي سنة ١٠٧١ فلعلها آخر السنة وأول سنة ١٠٧٢ «خلاصة الأثر ١ :٣٤٣» .

(٤) يعني المتوكل على الله اسماعيل امام عصره .

قولها ولا خلاف مع ذلك اللفظ المنقول فيها ، واستحدّ[1] في بعض مسائلها .

وفيها : لما استقر أحمد بن الحسن بعدن أرسل بهدية الى سلطان الهند وهي ثمان رؤوس من الخيل وأرسل معها رسولا[2] الى الحضرة الهندية فسار تلك الجهة رسوله فلم يبلغ الى السلطان الآبعد مسافة في البر طويلة وأحوال عليه كانت بعيدة قيل مسافة ثلاثة أشهر براً الى محل السلطان مع تحيّره عند الولاة والاستئذان ، فلما بلغ المذكور تحيّر عنده أياماً ليعرف الأمور واستكشاف حقيقة المستور ، ثم زلجه وضاعف عليه هديته ووصل الى أحمد بن الحسن الجواب . والهدية من ذلك الباب آخر سنة خمس وسبعين بشهر القعدة .

وفي يوم الثلوث شهر ذي الحجة : توفي الأمير الكبير ناصر بن عبدالرب بن علي بن شمس الدين صاحب كوكبان ولاعة وشبام ، وكانت وفاته بشبام ، وجعل الإمام بلاده إلى ولده عبدالقادر بن ناصر ، وكان المذكور من أهل المروءات والكرم والبشاش بالناس وكان ينزل كلا منزلته في المجالس والأعطيات حتى سلام الجمعة فانه كان يفرد يوم الجمعة قبل الغدا للسادة والفقهاء ثم يبرز لعامة العسكر والناس عقب الغدا .

وفيها : مات الشيخ العوبلي الصوفي ببلاد ويمة وكان المذكور معتقداً إلى جهته تصل إليه النذور ويبذلها للضيافات لمن وفد تلك الجهات وكان مكاشفاً[3] .

ودخلت سنة ثلاث وسبعين وألف

استهلت بالأربعاء وقيل بالثلاثاء . وفي نصف محرمها : توفي القاضي حسين بن يحيى السحولي حاكم المسلمين بمدينة صنعاء ونعاه المؤذنون من منارات المدينة . والنعي منهي عنه في الشريعة ، وقبر جنب أخيه إبراهيم بن يحيى السحولي خارج باب اليمن عند المسجد الذي لهم هنالك .

وفي هذه السنة : ابتدأ أحمد بن الحسن بشعار يوم الغدير في ثامن عشر يوم من ذي الحجة بنشر الأعلام والألوية والحَزْية والمتوكل اقتدى به ففعله من بعد وهو بحبور[4] لما وصل اليه أحمد بن الحسن كما سيأتي ان شاء الله .

---

(١) استحدّ : اعترته الحدة وهي حدة المزاج والحرق .

(٢) في سيرة المتوكل على الله اسماعيل الجرموزي اسم هذا الرسول هو الخولاني .

(٣) الكشف عند أهل التصوف هو الاطلاع على ما وراء الحجاب .

(٤) حبور : بلدة مشهورة من ناحية ظليمة في مركز الناحية .

وفي هذا الشهر : ظهرت ديدان خُضرٌ وسود ، كثيرة على وجه الأرض في بلاد صنعاء وقاعها وما يقرب منها ، فأكلت ما كان صفراء من الزراعة وقشرته وهو نوع من الجرمى المعروف وسمّاه العامة القاشر ، وظهرت الدبا بالتهائم والسهول من الرمل .

وفي وقت عود أمير حاج اليماني فرحان الى بلاد الحرامية حصل منهم تعرض للنّهب والتأهب للضرب بسبب منع فرحان تسليم ما يعتادونه ، فقتلوا أربعة من العسكر ومن الحجاج نفراً واحداً ، وحجّ هذه السنة الركب العراقي بعد انقطاعهم فيما سبق لأجل فتنة ابن الحارث .

وفي شهر ربيع الأول منها : ظهر الجراد جاء من تهامة كالغمامة فأكل كثيراً من الزرائع لكثرته وقوته وكان عامّاً .

وفي هذا العام : حصل نقص كبير في محصول بندر المخا لأجل عمل الفرنج وما جرى ولم يدخله من البز الا اليسير .

وفي هذا الشهر : توفي الفقيه حسن بن ابراهيم السعيدي العطار ، كان هذا الرجل من الصالحين ومن أهل التقوى العاملين صاحب خلق حسن ومحبة للمسلمين عن تحمل يُحبّ الصلح بين الناس ويسعى بينهم بالصّلاح وصاحب صدقة وحال حسنة فرحمه الله تعالى ، وعرض عليه ولاية النظر على الأوقاف بمدينة صنعاء والحفظ لها فأباها وقال : لا غرض لي ولا أهواها وكان له معرفة بالطب ومجربات يصفها للناس يحصل بها الشفاء مما كان حفظه على أحمد ميمي الطبيب .

وفي هذه المدة : اشتهرت رحيلة [1] بصنعاء قصدها كثير من الناس حتى لقد أخبرني بعض الفقهاء : أن رجلاً من بلاده قصدها وقال : لم يحصل له ولد من امرأته فما ينفعها ، فقالت له : تطأ زوجتك في الليلة الفلانية يحصل لك الغرض فيما تهواه من الولد ، قال ففعل كما قالت فحصل كما أخبرت ، وقد افتتن بها من الخلق عامتهم وقصدوها في كثير من أمرهم .

وجاء خبر مع الحاج : أن أمير المصري [2] لما وصل الى المدينة بعد انقضاء الحج تلقّاه مرسوم بالعزل فسلم الأمر اليه وامتثل .

---

(١) امرأة مرحول اليها للاستشفاء والدواء وكأنها هنا تلك التي تتكهن وتستحضر الجن .

(٢) يعني أمير الحاج المصري

وفي جمادى الأولى : نزل الإمام الى وادي النائحة فسكن بها الأيام يقيم فيها شيئاً من المال من تلك الآكام .

وفيها : وصل الى حضرة احمد بن الحسن ثم الى عند الإمام شيخ من حدود بلاد الدواسر يقال له الجميلي ، فأكرمه أحمد بن الحسن وزلّجه بزلاج عظيم وأرسل معه الفقيه محمد الحيمي للخطبة للإمام في بلاده وإظهارها في انجاده فَخطب هنالك خطبة أو خطبتين ثم عاد الفقيه الى اليمن بعد أن مرّ للحج الى بيت الله في ذلك الزّمن ، وهذا الشيخ الجميلي هو شيخ بلاد البديع (١) وهو متوسّط بين الدواسر وبين الحسا انتساب ولايته في الجملة الى الشريف صاحب مكة من غير تمكن من التصرف والحكمة (٢) .

ولما استقر محمد بن الحسن باليمن وقبض على يد ولده يحيى في السر والعلن ونَهاه عن ضرب النوبة ، وأن تُركها أولى والأوبة ، فتفرق أهلها وبعضهم وصل الى صنعاء ، فأمرهم أحمد بن الحسن بضربها بحضرته وتجديدها فضربوها عنده هذا العام ، وسار للتفرجة عليها الخاص والعام من الذين لا يعرفونها من صغار الأسنان من لم يكن في سالف الأزمان ، وحصل في عيد هذه السنة برمضان جمع كبير لأجل سماعها ثم تلاقح(٣) شأنها وأمرها حتى أذن محمد بن الحسن بضربها واستمرت معه حتى مات بعد أن كان أولاً يَنْهى عنها حتى كان اعترض والده الحسن بن القاسم فيها ، وأما أحمد بن الحسن فتركها بعد موت صنوه في غالب الأوقات(٤) .

وفي آخر شهر رجب منها : تغلب أهل بلاد ظفار حضرموت على الأمير خلف العماني وأزالوا دولته من ذلك الأفق القاصي ، بعد أن كان قد دخل في ممالك العماني ، وظفار هذا وبلاده متوسّطاً ما بين حضرموت وبين عمان ، المسافة براً من حضرموت اليه عشرون يوماً ومثلها براً الى عمان ، فقتلت قبائله من أصحاب الأمير خلف المتولي للعماني قدر أربعين نفساً ، كان أرسلهم من ظفار الى البلاد لبعض المطالب فحاربوهم

---

(١) البديع : مدينة تقع في الشمال الغربي لجزيرة البحرين كانت محط رجال قبيلة الدواسر التي أتت الى البحرين بعد هزيمتها من قبل آل خليفة وراحت تغير على القرى المجاورة ، هددهم الشيخ حمد آل خليفة بالعقاب سنة ١٩٢٤م فهربوا وحل مكانهم سكان بحرينيون «المنجد :١٢٠» .

(٢) كذا ولعله الحكم .

(٣) تلاقح شأنها : انتشر .

(٤) قلت : هذه النوبة وما شاكلها هو ما يعرف الآن بموسيقى العسكر مما اختلف فيه العلماء انظر في ذلك معالم القربة : ٣١١ وقد دافع الإمام الهادي بن ابراهيم الوزير المتوفي سنة ٨٢٢ عن استعمال الإمام علي بن صلاح الدين النوبة لجنده وألف في ذلك كتاب «كريمة العناصر في الذب عن سيرة الإمام الناصر» وهو مجلد كبير مخطوط .

في الطريق وتربّصوا لهم في المكان المضيق وقتلوهم وقصدوا الى ظفار ، فاحتال خلف بالفرار وركب البحر وسار ، وكان قد ترك له مدفعين فيها لم يتمكن من حملها ، ودخله محمد بن جعفر الكثيري ، وحوّل الخطبة للإمام بعد أن كان قد خطب له في تلك الأيام ، وزالت دولة العماني عنه بالكلية ، حكى لي من كان حاضراً في بلاد الحاكم العماني حال هذه القضية في تلك النواحي ، فقال : قال العماني المسمى سلطان بن سيف أن قبضنا لظفار بإرسال أميرنا خلف ليس لرغبة منا اليه ، ولا بغي عليه وإنما هو بسبب استدعاء صاحبه الكثيري ولقد لزمنا لمن فيه نفقاتهم وأزوادهم وما يحتاجونه مدة بقائهم ، ولم يدخل علينا منه شيء بل مجرد الإنفاق ، ولا مصلحة أتتنا من تلك الآفاق فلا رغبة لنا فيه ولا غرض ننافس عليه .

وفي أول فصل الصّيف من هذه السنة : حصلت هجرة عامة لجميع اليمن السهل والجبل من مشرق ومغرب وما علا وما سفل ، واتصلت كذلك قدر شهرين وهما رجب وشعبان ، فمن الزرائع ما بطل لأجل دوام المطر ، ومنها صلح وأثمر وهو الأكثر وسقط السعر حالة الصراب[1] للثمار وحتى بلغ القدح الى عشرة كبار .

وفيها : مات قاضي ذمار محمد بن صلاح الفلكي ، كان المذكور عارفاً بالفقه والفرائض معرفة شاملة وكذا في علم الهندسة والمساحة احاطة كاملة ، وكان الرّجل دمث الأخلاق متكلّما مع كل أحد بما يناسبه حتى من أهل الأسواق ، وكان له الولوع والمداومة على المراقح [2] كالقات والتنباق .

وفي شهر شوال : طلع محمد بن الحسن من اليمن الأسفل مبادراً في هذه الأسفار حتى وصل الى محروس مدينة ذمار ، ولم يستقر فيه كل القرار حتى سار الى ضوران ، واتفق بالإمام في تلك الأوطار ، ثم عزم الى مدينة صنعاء اليمن ، وكان الإمام أمر ولاته وأعوانه وعماله أن التحاويل اذا خرجت لأحد فلا تسلم الا بعد استفهام وعرض لما جرت به الأقلام فما استحسنه بعد ذلك أمضاه وما لم ترك ولا يسلم شيئا مما وضعه لمن يهواه واقتدى به أكثر ولاته وأولاده .

وفي هذه المدة : اتفق في بلاد بعْدان أن حاكما قاضياً كان هناك جرى بينه وبين أحد

(١) الصراب : هو الحصاد للحبوب ونحوها .

(٢) المراقح : هي كما فسرها المؤلف وهي الْوَلَع - جمع وِلعة - التي يتولع بها الرجل ، والمتمرقح هو الذي يستعمل القات (يمضغه) انظر قانون صنعاء :٢٧ .

المتشارعين[١] عنده خصام أفضى الى الفتك من ذلك الرجل الى القاضي والاقدام فأمسك ذلك الرجل وأقيم عليه حكم الإسلام .

وفي هذه المدة : وقعت قتول كثيرة متتابعة وعداوات متلاحقة بين بني حذيفة وبني سحار من بلاد صعدة ،فلما حصل ذلك الحادث بينهم قصدهم صاحب صعدة علي بن أحمد بأصحابه ومن فيه نجدة من أتباعه . فاستاق من مواشيهم بعضها وتقدم عنها وخلف بعض أصحابه معها . فلحق أهلها بعدهم فتوافقوا ذات بينهم .

وفي شهر ذي الحجة من هذه السنة : ترجَّح للمتوكل أن يكتب إلى الشاه عباس صفي بن شاه عباس صاحب العجم وسلطانها الاثنى عشري الإمامي . . وأجاب عليه الشاه في ذلك معاهدة كما هو مقتضى هذا الابتدا وماكان للمكاتبة هذه معنى لأن الشاه في طرف نقيض هو والمذكور لأن ذلك اثنى عشري يقول بأن الأئمة إنما هم اثنى عشر لا غير فعنده أن المتوكل سلطان ، وكذلك هو في جهاته ، وكان جوابه كما قيل جواب يابس ليس فيه هدية ولا صلة بخلاف سلطان الهند فانه لما كتب المتوكل إليه مع السيد أحمد سعيد الذي كان مضى المخا كان جواب سلطان الهند بهدية عظيمة وحالة فخيمة .

ودخلت سنة أربع وسبعين وألف

وفي هذه كان الخريف بها في شهر محرم صالحاً ، وفي نصف محرم خسفت القمر ببرج الدلو خسوفاً كليا طمس جرمه جميعاً .

وفيه : وصل الإمام من ضوران الى صنعاء .

وفيها : وصل شاطر من مصر فلعب في باب محمد بن الحسن بصنعاء على الحبال وسار عليها بالقباقب واجتمع الخلائق للتفارج .

وفي هذه المدة فرض الإمام على المصلحين[٢] بمدينة صنعاء دراهم يسلمونها فيما يباع ويشترى ويصلح عليه في أسواقها فجعل على سمسرة القشر[٣] قريب ثمان مائة حرف مع متقبل في السنة ، وسائر الأسواق كذلك بأن جعل على المبيع بالجبر[٤] على

---

(١) المتشارعون . الذين يطلبون الحكومة «الشريعة» .

(٢) المصلحون : هم السماسرة الوسطاء بين البائع والمشتري .

(٣) سمسرة القشر . من مدينة صنعاء ذكرها المؤيد في مذكراته :٢٠٩ (تحقيقنا) قلت هو الموضع الذي يصل اليه القشر «قشر البن» ويباع فيه والسمسرة هنا مخزن كبير يحوي البن بأنواعه .

(٤) الجبر بفتح الجيم واسكان الباء البضاعة الكثيرة أو ما يعرف الآن بالجملة .

البائع بقشتين والمشتري مثلها ، وكذلك ضرب الناظر على الوقف في باب اليمن على الجزارين كل نفر بقشة وضرب على من بَسَط في قاعة السوق بقشة وزاد في شيء من ضريبة الحوانيت ،فتضرر بذلك أهل السوق والمتسبّبين من المصلحين إذ لم تكن عادة مع الماضين ولم تجر به دولة من السابقين فاستمر ذلك كذلك الى شهر ربيع الثاني سنة سبع وسبعين ثم رفع الإمام ما فرضه وأمر به من ذلك الكلام ، وأزال ذلك النظام وردّه على ما كان لأجل ما جرى بسببه من التظالم وعدم التّوقف من المتقبّلين على الحدّ اللاّزم ، فإنهم تعدوا على البائعين والمشترين في الزيادة والنقصان ، فدعا له الناس وجزوه خيراً وقالوا : دفع عنّا بهذا الأصر الذي كان بدع تعباً وضيراً ، وأما جانب الوقف فإنه استمر ولم يرفع عن ذلك الأمرلسهولته على الناس وعدم اكتراثهم به كل الاكتراث .

وفيها : شكى شيخ اليهود ، والذّميون النّقاش وقال : كثير من المسلمين طلب بيع الخمر منهم والشراء منهم ووقع توقيعاً في الذين صاروا يشترونه منهم من وجوه الناس وغيرهم وسادتهم وفقهائهم وصغارهم ، وذكر كلا منهم باسمه الى حد بعض مماليك الإمام من العبيد والفتيان ومن بعض بني القاسم من أقارب الإمام فحارت فكرة الإمام ، وعجب من ذلك واسترجع وحولق وكدّره ذلك الكلام ، وشق عليه ذلك الإلمام .

وفي هذه السنة : وصل الى اليمن رجل غريب من بلاد الغرب الأقصى من القيروان وأخبر من عجائبه أن مع بعض أمرائهم في بلادهم مرآة يرى الإنسان فيها باطنه مثل رؤيته ظاهره ، وهذا من عجائب الزّمان .والطُّرف النادر في هذا الأوان .

وفي رجبها : خسف القمر في برج الدلو طلعت من المشرق وهي خاسفة .

وفي هذا الشهر : أخبرني رجل أنه باع الى رجل مغربي من الغرب الجوان بضاعة بأربعة حمر [1] فقبضها البائع وتركها في صرة ، ثم فتحها بعد أيام يقضي غرضه منها فإذا هي حجارة ، بقى مفكراً فيها ، قلت : هذا من قبيل السحر [2] لأن السحر يتغير عن حالته ولا يدوم على صفته .

وفي شهر رمضان منها : وصل الخبر الى اليمن أن سُرّات [3] أحد بنادر الهند انتهبه

---

(١) حمر : عملة نحاسية حمراء .

(٢) قلت : هذا النوع من السحر يسمى السيميا ، وهو الذي يحدث معه خيالات في الجو لا وجود لها في الحس ، وقد سبق ذكره .

(٣) سورت ميناءومدينة يبحر منها الحجاج وتقع فى ولاية بمبي معجم « الأمكنة للندوى :٣٤» .

الإنجريز وقبضوا كل غال فريد ،وأنهم تغلبوا على بلادهم وخرجوا عن طاعة سلطانهم .

وفي هذا الشهر : حصلت فرقة ومراجيم ومصاويب ما بين سفيان وسحار ، وهم وافدون بحضرة الإمام بحصن شهارة ، وكان في الجملة من المفارعين رجل من بلاد عفار كسرت رجله فحمل الى بيته ومات .

وفي هذه السنة : وصل صنعاء حجام[1] بقى فيها أياماً يحجم للنّاس وكل من حجم له ظهر في محل المحجم نبتة خفيفة وتجترح ، ويتألم صاحب ذلك مدة من الأيام ثم تبرى وتتداوى ، وظهر في البعض من الحب المعروف بنار فارس[2] نعوذ بالله منها فقال القائل : أن السبب أن هذا الحجام كان به من الحب ونار فارس ، فكان يحصل من قبيل العدو من نفسه حال الحجامة ، ومن آلاته التي يحجم بها ذلك ، فلما ظهر الضّرر من قبله طرده والي المدينة وأمر بإخراجه عنها بعد أن ضر ناساً كثيرين مع علمه بذلك وتعمّده قاتله الله .

وفي شهر ذي القعدة منها : حصل افتراق في بلاد صعفان[3] من حراز على سبب محجر[4] اختلفت فيه الأحكام من قضاة البلاد والولاة ، فكل قبيلة تمسكت بما حكم لها ، فكان سبباً للحرب بينهم والقتال فقتل من الطائفتين سبعة وأدبهم الإمام وسكن ما وقع بينهم من ذلك الإلمام والآثام .

وفي هذا الشهر [شهر ذي القعدة] : وقع اختلاف في الرأي فيما بين السيد حسين المحرابي الوالي من قبل محمد بن الحسن بمدينة تعز ، وبين الشيخ راجح الوالي في الدكة[5] من قبل الإمام ، وسيفان في غمد لا يصلحان ولا يكاد يتفقان ، على سبب المشكى فكان ، يأتي الشكاةُ الى الشيخ راجح يشكون اليه من العسكر الذين مع السيد الحسين المحرابي ، فيرسل عليهم الشيخ راجح بأدب فلا يمتثلون ذلك ولا يلتفتون اليه ، فوقع بينهم الاشتجار والإحن والخصام ، فقتل نفر واحد من أهل الشام ، فلما وقع ذلك الحادث وجرى ذلك الأمر الكارث أمر الإمام الشيخ عامر بن صالح الصائدي بالسعي في

---

(١) هنا قدر كلمة ممحوة لم تَتّضح .

(٢) أنظر الكلام على هذا المرض بتوسع في تذكرة داود ٣ :٤٨ .

(٣) صعفان : جبل غربي مسار من أعمال مناخة مركزه متوح ومن أقسامه ربع المغارب وعزلة بني جرين وربع بني عوف وربع الجروخ والطرف وبني اسحق .

(٤) المحجر : حمى القرية ، والموضع الذي ترعى فيه الأغنام .

(٥) الدكة : الموضع المرتفع من الرمل ونحوه ويطلق هنا على غلة الجبايات على الأسواق ونحوها .

الإصلاح وافتقاد هذا الخلل وأخذ الحقيقة للاتضاح فسار الشيخ اليها وبلغ جهتها وأصلح أمرها وسد خللها .

وفي هذا الشهر : برز أمر الإمام ببناء قصر مدينة عيان واعادته على ما كان في دولة الأروام ذلك الزمان فشرع فيه العمل ، وكان المتولى له السيد صالح عقبات ، فتضرّر قبائل سفيان وقاموا وقعدوا من اعادة ما قد كان ، كما هو عادة القبائل يتضررون بالمعاقل في بلادهم لأجل لا يعترضون في أعمالهم وأحوالهم ، وما زالوا يخادعون ويذهبون ويبحثون ويرعدون ويبرقون ويكسّلون ويمحقون في ترك ذلك ، فلم يجد كلامهم الى ترك ما قد مضى به الأمر هنالك ، حتى أكمل القصر وبنى هذا العصر على ما كان أولاً بل وأحسن ، واستقر السيد صالح عقبات فيه وجمع الإمام زكاة بلاد خيوان ونحوها الى ذلك الإيوان ، والحاكم على طريق المسلمين والموجب للأمان ، وسكن هنالك السيد برهة ورأى من سفيان كثرة الخداع وإظهار المباينة أو الغيلة والمخاتلة ولم يكن عنده من العسكر ما ينْهض به لدفعهم وقت ما يحتاج اليهم ،فرأى مع ذلك أن هذا المكان لا تحكم عليه الاّ دولة كبيرة وعسكر قاهرة والاّ كان من الاغراء من غير نفع ولا أجدى ، وعرّف الإمام بذلك وأنه يعذره عن القعود هنالك ، فأجابه الإمام وأسعده فيما أشار به ورام ، وكان أثناء ذلك ما حصل من خروج السيد الى برط وما حصل في تلك الجهات والطرق والوهط وما اتفق من النهب كما سيأتي تحقيقه ،فكان سبباً للتروي والنظر ، وكان بعده ما سيأتي من الخبر .

وفيها : ساخ جبل في جهات مدوم من بلاد الشّرف وكان على ظهره أموال فذَهبت وانهدّ وسط الجبل وخربت .

وفي هذه السنة : كان البرد في شتائها شديداً واتفق أيضاً البرد في حجرها وكانت الأمطار قليلة .

وفي هذا الشهر [شهر ذى الحجة] حرّج الامام على الذين يبيعون من الكسارين[1] المعاجين التي تخرج من الهند وهي مسكرة فأصاب .

وفيها أو ما بعدها : حرق المتوكل كتاب «الفصوص»[2] للشيخ بن عربي واستنكر عليه

---

(١) الكسارين : البائعون بالتجزئة .

(٢) كتاب الفصوص : ويسمى «فصوص الحكم» للشيخ محيى ابن عربي المتوفي سنة ٦٣٨ طبع لأول مرة بالأسنانة سنة ١٢٥٢ ومصر سنة ١٣٠٩ ثم تكررت طبعاته .

ظاهر أقواله في الوحدة ، وقال أنه أطعم قطفة منه امرأة مريضة فشفيت ، وهذا الشيخ قد اشتبهت أقواله على [1] كثير من الناس حتى أن منهم من كفره ورماه بالحلول وهو لا يقوله به ، وهؤلاء الذين كفروه أحمد بن تيمية الحنبلي ، والذهبي ، والشيخ حسين الأهدل الشافعي اليمني وأبو مخرمة صاحب الفتاوى واسماعيل المقري الشافعي ، وكثير من العلماء ، وآخرون قالوا هو من الأولياء وإنما جهلوا مقاصدهم فلما لم يعرفوها رموه بظاهر ما لم يفهموا حقيقته فيها ، وهؤلاء مثل القاضي العارف [2] زكريا شارح الروض في فقه الشافعية وشارح رسالة القشيري [3] وجيلاً لا يحصون ونَزّهوه عن الحلول ، وإنما يقول بوحدة الوجود لأجل استناد كل الأشياء الى الله ويعتقدون ما قعدوه فعدّه السهروري في العوارف [4] من الجمع والتفرقة وقد شرح الفصوص القيصري [5] وبين مقاصده ، وكذا شرح التائية [6] لابن الفارض مع أن ابن الفارض قد صرح بأنه لا يقول بالحلول في تائيته وطائفة من العلماء كالسيوطي [7] والسّخاوي [8] وغيرهما . وقالوا بالوقف في حال ابن عربي وهو الأولى لمن لم يعرف بمقاصده [9] .

ودخلت سنة خمس وسبعين وألف

في نصف محرمها خُسفت القمر في برج الدلو .

وفيها : توفي علي العيدروس وهو من سادت حضرموت المعروفون بآل باعلوي ، وكانت وفاته بجهات الحيمة لأنه كان يدور فيها في كل سنة لطلب البرمن أهلها لما يعرفه من المواساة منها . وكان المذكور قد سكن هذه المدة حدة من متنزهات صنعاء

---

(١) في الأصل : عمل .

(٢) هو الشيخ زكريا الأنصاري المتوفي سنة ٩٢٥ وكتابه شرح الروض يسمّى «أسنى المطالب في شرح روض الطالب» طبع بمصر سنة ١٣١٣ .

(٣) للمذكور يسمى أحكام الدلالة على تحرير الرسالة ذكره صاحب (كشف الظنون :٨٨٢) .

(٤) انظر عوارف المعارف ٤ :٤٥٤ بهامش احياء علوم الدين .

(٥) هو داود بن محمود القيصري الهمداني المتوفي سنة ٧٥١ ، وكتبة المذكور طبع سنة ١٣٠٠هـ .

(٦) شرح التائية للسعيد محمد بن أحمد الفرغاني المتوفي في حدود سنة ٧٠٠ وهومشهور منه عدة نسخ خطية ، وطبع سنة ١٢٩٣ بمصر فى مجلدين .

(٧) له في شأن ابن عربي كتاب تنبيه الغبي .

(٨) له في ابن عربي كتاب القول المنبي .

(٩) قلت : شان ابن عربى من الأمور المشكلة عند العلماء وقد ألف حوله جماعة من العلماء الكتب الكثيرة بين قادح ومادح نذكر منهم : الشيخ عبدالغني النابلسي له الرد المتين علي منتقص الشيخ محي الدين ، طبع و المخرومي له صفوة الأصفياء في خلاصة الأصفياء والشعراني له اليواقيت والجواهر (مطبوع) والعطار له الفتح المبين في رد الاعتراض علي الشيخ محيى الدين والأهدل له كشف الغطا مطبوع له قرة عين الحافظ الأوفر في ترجمة الشيخ محي الدين الأكبر وابن السمين له الطالع الأنور لنصره الشيخ الأكبر والعمادي له المعراج الأزهر وغيرهم كثير .

واستوطنها وبنى بها بيتا ما بين عضدان وحدة ، وكان أهل تلك البلاد يعتقدون فيه ويروون من أعاجيبه ما يحار الفكر فيه ، منها أنه روى لي شيخ من مشائخ تلك البلاد أنه قد أخرج لهم من كمه كل مراد يقترحونه عليه فمنهم من قال أنه كان مَخْدوماً[١] ، ومنهم من يقول كان معه من الأسماء علومٌ ، والمذكور كان صوفياً والله أعلم بحقيقة ذلك ، وكان المذكور له حالات مختلفة في اللباس والأذكار فتارة يلبس اللبس العالي والقمصان والبياض والعباءة وتارة يلبس المرقعة ، وتارة يعلن بالاذكار والمسبحة ، وظاهر الرجل مع ذلك الخير والصلاح إن شاء الله ، وكان محله مكان أهله بجهات الوهط[٢] وعدن وتلك الديار ، وانما استقر في حدة بني شهاب هذه المدة المتأخرة وقبر حيث مات بجهات بلاد الحيمة .

وفي ربيع الثاني : هبّت ريح عظيمة بجهات بلاد رازح[٣] فاحتملت شيئاً من الحيوانات بقوتها بل قيل أنها حملت ثلاث نسوة وطرحتهن على شجرة والله أعلم .

وفي نصف هذا الشهر : سار أحمد بن الحسن الى أعلا الجوف بمكان يسمى الملتقى بسفال وادي شوابه وخرج مالا هناك وأجاش[٤] على إصلاحه وحطّ عليه بأصحابه فخرج فيه مالاً واسعاً بعد أن كان ضائعاً ، فجاء فيه من الثّمار شيئ كثير من ذرة وجلجلان وبر وشعير ، وأما الفواكه فغرس فيها فلم يصلح ، وكذلك البن غرسه فلم يجيء فيه شئ ولم يثمر ولا صلح بل يبست شجره ولا تجيء فيه ثمرة . وأخرج أحمد بن الحسن ثلاث معاصر حجر كن بشوارع صنعاء مطروحات من الزمان الأقدم مهملات وأن أهل صنعاء في المدة السابقة والأوقات الكائنة يعصرون السّليط بها ويعتمدون على ذلك فيها ، فأما هذه العصور المتأخرة فتركوا ذلك واكتفوا عنه بما يصل مصنوعاً من الجهات القعطبية[٥] والبلاد اللحجية فارغاً حاصلا لكثرة المعاصر في تلك البلاد واعتمادهم عليه في تلك الأنجاد واستغنوا عنه .

---

(١) اي مخدوم بالجان .

(٢) قلت : لعل المذكور من أولاد عبد الله بن علي بن حسن بن علي بن أبي بكر السكران أبناء عمومة وآل العيدروس وليسوا من آل العيدروس ، وهم الذين يسكنون الوهط القرية المذكورة القريبة لعدن

(٣) رازح قضاء من جهة صعدة (معروف)

(٤) كذا ولم تتصح لي هذه اللفظة

(٥) الجهات القعطبية نسبة الى قعطبة مدينة بالشرق الجنوبي من مدينة إب بمسافة ٦٢ ك م

وفي أول شهر جمادى الأولى : ظهر نجم في المشرق له نور مستطيل وذَنب طويل نحو سبعة أذرع أو أكثر ،ثم انتقل الى وسط السماء واعوج فيها بقي كالقوس ثم عاد الى الإستقامة ولعل ظهوره كان ابتداؤه في برج الثور ، ثم انتقل الى المغرب وكان ابتداء ظهوره وقت السحر ، ثم ما زال كذلك حتى ظهر وعاد الى المشرق قبل الفجر ثم اضمحل وزال عن كمل ، وهو من ذوات الأذناب والنيازك التي يكونها الله تعالى وعلامات لشيء من الشدائد فإنها نحوس كما ذكرته الحكماء في كتبهم وقد يكون في الغلاء وارتفاع الأسعار كما أجرى الله تعالى العادات في غالب الأوقات . وجاء بذلك حديث نبوي عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان مدة لبثه من أول الشهر المذكور الى آخر جمادى الأخرى لبث كذلك ظاهراً قريب شهرين اثنين .

وفي هذا الشهر : وقع ببلاد برط صعقات تشبه تعاشير البنادق الكبار وهي نجوم خرت من السماء فوقعت قريب بلد هناك تسمى العنان وسمع صوت صعقاتها الى بلاد سفيان وكان ذلك وقت العصر .

وفي تاسع وعشرين شهر جمادى الأخرى : اكتسفت الشّمس وقت صلاة الضحى يوم الجمعة في برج الجدي بعقدة الذنب .

وفيها : وصل أمير بلاد حضرموت والشحر الى الإمام وكانت طريقه الجوف لأنها أقرب وإن كانت صعبة بالنّظر الى قلة الماء والمقاطع والنّهب وكان معه هدية للإمام انتهبها عليه أهل المشرق من العَرب ، ولم يصل ما جاء به وذهب ، وأمرا الإمام يومئذ الفقيه أمير الدين العلفي الأموي لولاية الشحر فسار اليها ، وكان هو المتولي أولا لعدن وجعل أحمد بن الحسن في عدن متوليا الفتى الأغا فرحان ، واستأذن الواصل المذكور صاحب حضرموت للحج الى بيت الله الحرام ، وهو المسمى بدر بن عبد الله الكثيري فأذن له وسار الحج وكذلك ابن أخيه ، فمات بدر بن عبد الله الكثيري بطريق الحج واستقرت ولاية حضرموت لمحمد بن بدر والشحر الى أميرالدين العلفي الأموي .

وفي رجبها : ظهر في جبل جُبَع من مساقط بلاد حفاش رجل ينادي ويعظ الناس ولا يعرف محله ومكانه ثم دخل هيجة هنالك وبقي فيها متوارياً ويخرج في بعض الأوقات للوعظ لمن يقرب اليه من القرى والبلدان مدة هذه الأعوام وله أصحاب يواصلونه

ويوافقونه في بعض الأيام ، وتارة يقول أنه المهدي الذي يخرج آخر الزمان وتارة يقول واعظ آمر ناهي عن أعمال الآثام وقد وصل منه كتاب الى عند والي المحويت على يد أصحابه وبلغوا اليه ما كتبه بأقلامه ، قال الراوي : وكلامه لا يدل على علم ولا عرفان ولا ما يستفيد منه انسان والله أعلم ما يكون وكان ، وليس المهدي وقته هذا الزّمان ، ولا أيامه هذا الحين والأوان حسب ما في الملاحم المشهورة والأقوال المأثورة والأخبار النبوية والشرائط والأمارات التي لا تخفى على أهل العلم من أهل النهايات ، وإنما هذا يكون من نوادر الأوقات ، وما يجري فيه من الدّعاوي التي لا تزال غضّات طَريّات ، مع أن المهدي لا يكون ظهوره آخر الزمان الآمن مكة المشرفة في ذلك الوقت والأوان ، كما في الأخبار النبوية والآثار المروية ، فليحذر من أهل الدعاوي ولا يلتفت إلى أقوالهم في هذه المهاوي .

وفي هذه السنة : جاء خبر بوقوع خسف عظيم ببلاد العجم .

وفيها : انزعج القاضي علي بن يحيى بن صالح العنسي من بيته وأرضه جهات برط وانصرف عن ذلك المحل والوهط يؤم جهة العراق وتلك النهوج والآفاق طريق الدّواسر ، واستقر في تلك الجهات ولم يعد منها الى بلاده في جميع هذه الأوقات ، قيل وسببه أن المذكور قرأ في الأسماء الأربعينية المشهورة ،فحصل معه عند ذلك جذب الحالة وتَشْويش الخاطر ، وارتحاله فريداً وحيداً سائحاً ، وسألت عنه بعد مرور مدة طويلة هل وجد له خبر عند أهله وأقاربه فقال الراوي : نعم جاء منه كتاب الى أهله أو وصية خطاب يقول فيه : أنه حجّ ذلك العام وعاد مع قبائل الشام وأنه فارقه من نواحي بلاد الدواسر وتلك النهوج وهو عابر به والله أعلم .

وتعقّبه ولد الفقيه عبد الله الجربي ، كان بصنعاء بعد موت والده قد شرع في قراءة الأزهار ، ثم أنه توحش وكان يخرج فيقعد بين القبور بباب اليمن واذا دخل بيته خلا في منزله وسببه أن عكف على شيء من الكتب المندلي[1] والرقا العجمية فحصل معه تغيّرمزاج وجذب وانحراف ، ثم أنه خرج من صنعاء وساح ولا يدري أين ذهب ولا أحد يأتي له بخبر .

---

(١) المندل : عند أهل التعازيم دائرة يخطهاالمعزم على الأرض يجلسون داخلها عند دعاء الأرواح لأجل الاستعلام منهم على أمرمن الأمور (محيط المحيط) .

ومثل هذه الرُّقي العجميّة قد ذكر العلماء كراهة اعتمادها لأنه لا يعرف معانيها ، وكذلك الأسماء يَحتاج صاحبها إلى طهارة باطن وظاهر وقوة جاش وخاطر وإلاّ حصل معه تغيّر في العقل ، ثم إن المطلوب من العبد الاشتغال بالواجبات وأنّي يقوم بذلك إلاّ من وفقه الله ولا يدخل نفسه فيما لا يعنيه والله يختم بخير .

وفيها : أخبرني رجل يقال له الفقيه أحمد العنسي المؤذن أنه سار لزيارة الشيخ أحمد بن علوان نفع الله به إلى يفرس فنام عند قبره وعقد في نفسه إشارة تظهر من الشيخ له ، قال فرأي في نومه وهو بين النّائم واليقظان يقول له الشيخ أحمد : جئت لتراب شل تراب ، قال المذكور :فما حصل له إشارة من الشيخ ورجع قلت : بل حصلت له إشارة عظيمة جسيمة لو فهمها الرجل ،فإنه قال إن سيره إلى نهجه من جهة أحوال الدهر وتعْسر أعمال الدنيا الآ بقوة الصبر فأراد الرجل أنه يشير بإشارة قبض ذهب وفضة باليد من غير تعب ولا نصب ولا عمل ولا كسب ، فجاءت إشارة الشيخ على قوله جئت لتراب شل تراب يشير إلى الدنيا كالتّراب وأنه لا يملأ جوف ابن آدم منها إلاّ التراب كما في الحديث النبوي[1] المشهور فأراد حقيقة هذه الإشارة التي جاءت على لسان هذا الطالب أنك أقنع بما يسره الله لك وما رزقك فإن طالب الزيادة على ما كتب طالب للتراب الذي هو غاية منتهى سؤال السائل لو عرف المسكين .

ولما استقر احمد بن الحسن هذه المدة بمعين الجوف وجد هنالك مآثر جارية وأساسات ذاهبة مثل البيضاء والسوداء والأهرام ، يحفها الجميع غيل مراد وغيل شوابة ، وهو غيل كبير لا سيما بأوسط الوادي ، بحيث أخبرني رجل من أهل شوابة وهران أن هذا الغيل لا يقدر أن يعبره أحد في أيام السيول والأمطار ، وفي سائر الأوقات لا يعبره إلا القوي من أهل تلك الأقطار ، وأنه في القوة كغيل السحول في البلاد اليمنية ، ولكن أهله أشرار وقبائل ليسوا في الغالب أهل قرار ، عمدتهم على المواشي والجمال واللحوم والألبان لا على الحرث والثمار . ولما دخل أحمد بن الحسن تلك المآثر الخراب وأراد القعود وعدم الذهاب . خرج عليهم نمل كثير من بين التراب فصدّهم عن السكون بين تلك الهضاب ، ولعل الحكمة والله أعلم في ذلك أن هذه الأرض- أعني أسافل

---

(١) حديث : لو كان لابن آدم واديان من ذهب وفضة الخ . .اخرجه الترمذي :٢٣٣٧ وأحمد بن حنبل ٤ .٣٦٨ وابن حبان ٣٤٨٣ والطبراني ٥ .٢٠٨ ومجمع الزوائد ١٠ :٢٤٤ .

-الجوف- وما اتصل بها إلى بيحان وبلاد سبا خسف الله بها وأزال أهلها عنها ومزقهم في الأرض وأبدلهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل كما في القرآن الكريم ، فقد قال تعالى في آية أخرى ﴿وحَرامٌ على قرية أهلكناها أنّهم لا يرْجعونَ﴾[1]فلهذا الوجه صرفت هذه الأسباب عن إقامة شيء في أسافل تلك الشعاب وكلما أنجر[2] في أسفال الجوف إلى قرب سبا كان أعظم عدم إمكان السكون فيها والأحياء ، وكلما توسط كحدود الجوف كان أحواله وسطاً ،فهذا وجه الحكمة في ذلك والعلم عند الله تعالى .

ومما جرى هذا المجرى في تلك النهوج القصوى ما أخبرني به بعض قضاة برط وأهل ذلك الوهط قال :إن بعض أهل بلادهم ساروا على ابلهم يؤمون أطراف الرّمال في تلك النهوج والحالة قال : فوصلوا إلى مكان وإذا فيه أساس آثار قديمة وأشرفوا على ماء معين قال : فهم في ذلك المقام وتحقيق النظر فيها التام ، إلاّ وقد حملت عليهم طيور انبعثت من ذلك المكان إلى وجوههم ووجوه إبلهم قال : فصوعتهم[3] وصوّعت إبلهم وشعفتها وصدتهم عن التمكن من الوصول إلى حقيقة ذلك الأساس والماء قال : فرجعوا مضطرين غير مختارين ، والله أعلم .

وفي رمضانها : عاد ذلك النجم الذي كان ظهر في شهر جمادى الأولى والنور شُعْلة طويلة قدامه قدر سبعة أذرع نحومنزله ثم أضمحل بسرعة .

وفيها : ظهر لقاضي المدينة حسن بن يحي حابس رجل أمرد أصرم لا لحية له كان يتشبه بالنساء ويلبس لباسهن ويدخل البيوت عند النسوان ولا يستنكره أحد ، ويظن النّاس أنه امرأة وهو رجل شاب من أهل سوق الحب بصنعاء فحبسه القاضي أياماً .

وفي ثاني عيد الفطر أول شوال : ظهر على بعض بيوت الجيران بمدينة صنعاء مراجيم متتابعة إلى باب المجلس الذي فيه أهله كان لا يرون إلاسقوط الحجار وصوت وقعها في الباب ، وكان الرجم ثلاثاً ثم سكن كذلك الليل والنهار سمعها جميع جيرانه ومن حوله ومن مضى في شارعه أو بابه ظاهراً ، وكان ابتداء ذلك الرجم عقب العشاء أول ليلة فظنوا

---

(١) الآية ٩٥ سورة الأنبياء

(٢) كذا تقرأ هذه اللفظة .

(٣) فرقتهم وباعدتهم

أولاً أنهم رجال فداروا فما وجدوا أحداً ، ثم عاد على ذلك فراعهم ما رأوه وما سمعوه ، ثم أنهم تلك الليلة خرجوا من بيتهم وأخذتهم الوحشة بأجمعهم ، ثم لما استمر ذلك الرجم على تلك الحالة في النهار عادوا بيتهم وسكنوا والرجم مستمر إلى نفس الباب الذي في المجلس من داخل البيت ، وكنت ممن سمع ذلك كذلك ، وكان استمراره الليلة الأولى ثم النهار الثاني ثم سكن ، ثم عاد كذلك في شهر القعدة ثم سكن ، وعاد بعد ذلك في شهر الحجة ، وبقي أياماً يرميهم بالحجارة إلى ذلك الباب ثم سكن ، وقد كان جاءوا عند الابتداء بالمعزمين فما أفادوهم ولا نفعوهم ، لأنهم قالوا من الجان ذلك الفعال والله أعلم .

وفى شهر ذي القعدة من سنة خمس وسبعين وألف : توفي القاضى العارف هادي الحشيشي ، وقد بلغ سن الشيخوخة وكان من أعوان الإمام القاسم وولده المؤيد بالله ورئيس قومه من بنى حشيش والسر وكان موته بداره ومقره الأبناء من وادى السر أخبرني المذكور : أنه جرى له في مدته نصب كبير ونصب عريض طويل وامتحان في مدة سنان باشا وما كان منه من التشديد وقوة الباشا ، ولما خرج سنان على الفقهاء في زمانه وأذاقهم مرارة عقابه وما يجري معهم من القتل إذا ظفر أحد بهم من عساكره يماحنهم علي ذلك وبذل للشيخ الدراهم في مقابل ما هنالك فتخوفوا وحذروا وغير كثير منهم لباس الفقهاء ولبس لباس القبائل والضعفاء ليأمن شرهم ويسلم من ظفرهم ، قال المذكور : ولم يكن هذا التحريج منه إلا في فقهاء البوادي لأنهم الذين صاروا يحملون الناس من الانجاد والفيافي دون فقهاء المدينة فإنه لا ضرر منهم ولا ريبة فإن المذكور كان من جملة الذين في البوادى قال : فدخل هو وغيره من الفقهاء إلى بلاد خولان ليحرروا أنفسهم فيه مما يجري من الطغيان ورافق القاضي سعيد الهبل في ذلك الزمان هو وغيره قال : فما زالوا هناك مكرمين قائمين بهم القبائل غير مقصرين وصابرين حتى دخل سنان باشا خولان في زمانه بعساكره وجنوده فهربوا إلى بدْبدَة وتفرقوا في الشعاب والأودية لعدم قوتهم على الدفع لكثرة من معه من الجمع قال : فأطل عليهم من جبل هناك وأمر عساكره بالتعشيرة فعشروا تعشيرة هائلة رجت الجبال منها وظهر للناس رعبها ثم دخل بعض جنودهم إلى جانب بدْبَدة فأخربوا جانبها ثم صَعبَ عليهم باقيها وتركوها وعادوا عنهاَ قال : فلما حصل هذا الخوف الشديد وعدم الأمان واستمسكت البلاد لهم باليمن

حولت لباس الفقهاء عني وأزلته بالكلية من فوقي ولبست لبس القبائل فجعلت إزاراً وقعشة وطلعًّا على رأسي ورديغاً التحف به وسباعية وبقيت على ذلك الحال مدة ثمان سنين حتى انقضت مدة سنان إلى آخرها ، وتولى جعفر باشا ووقع الصلح وزال في زمنه بعض الباساء ، هكذا ذكر لي المذكور من لفظة رحمه الله .

وفي ثاني شهر شوال : توفي الشيخ أحمد بن عامر الجماعي من مشايخ اليمن الأسفل من بلاد بعدان ، وكان تزوج أحد بناته شرف الإسلام الحسين .

وفي آخر شوال : اكتفى الإمام بأمر السيد محمد بن صلاح لمسايرة الحاج إلي مكة المشرفة وترك النقيب فرحان هذا العام لأجل ما حصل معه في العام الماضي في بلاد الحرامية .

وفي ذي الحجة منها : وقع مرض ببيت القابعي من أعمال شهارة ومات كثير من الذين كانوا فيه ، وكذلك حصل مرض وموت ببندر المخا في هذه الأيام .

ودخلت سنة ست وسبعين وألف

فرض الإمام على كسارين التتن كل يوم بقشة ، واستمر ذلك كذلك حتى رفعه مع رفع قبال المصلحين في سنة سبع وسبعين .

وفي محرمها : وصل حاج اليمن وكان معهم حال الدخول طرف قتال من الحرامية فقتل من الحرامية اثنين منهم وقتل من العسكر نفر واحد أو اثنين .

وكان مطر صيف هذه السنة صالحاً وفيها مباركاً عم شرق اليمن وغربه .

وفيها : ساخ جبال باليمن منها في جهة الأهجر كبس بجانب طريقه ومنع المارة في جهته ، ومنها جبل في بني حجاج بشظب غير في الطريق وسد المرور في المضيق ، وكذا في جهات بلاد كحلان وعفار .

وفي شهر ربيع الآخر : مات الفقيه العارف محمد بن لطف الله الخواجا الشيرازي ثم الصنعاني بداره وبستانه الجراف أيام نزهة الخريف وقبر بخزيمة وبنى عليه والده قبة هنالك رحمه الله ، وكان المذكور قد طلب في العلم وقرأه وأحكمه وبلغ فيه إلى ما يهواه في النحو والمعاني والبيان والمنطق على شيخه الفقيه العلامة عبدالرحمن الحيمي رحمه الله فإنه لازمه وتخرج عليه بوقوع الجورة بينه وبينه وقرب بيته في صنعاء ، وفي نزهة

الخريف ، وكان مذهبه مترددا بين الشافعية والإمامية والهدوية ، ولذلك جمع كتبهم الجميع بعد أن كان أهله أمامية اثنى عشرية .

وفي هذه السنة : انبعث سيد علوي من سادة الماخذ فأنكر [عدم] الاحتفال بالمساكين وظلم دولة المسلمين وأن العطاء قد صار للكبار والمؤلفين والأجناد الملازمين ، وقال : أنه يريد أن يكون إماماً فلم يلتفت إلى كلامه أحد ولم يُجْد ما ذكره من الجهد ، ثم أن أحمد بن الحسن لما وصل إليه أعطاها شيئاً من المال لتزول به عنه تلك الأمال والأقوال وظهر له نقص عقله على كل حال ، فيقال إنه أمر بأن يكوى برأسه ليزول عنه ما به ، وكان هذا العلوي خارجيّاً في العقيدة أباضياً في الطريقة صح عنه القول بأنه لا يحتج بشيء من السنة وإنما يحتج بالكتاب لا غيره بالمرة ، ثم أنه سار إلى جهة عمان لأنهم يوافقونه في ذلك القول والهذيان فغرق في البحر قبل وصوله وزال عنه ما كان يؤمله ويقوله .

وفي شعبانها : سار أحمد بن الحسن من الخارد إلى الحضرة العالية فاتفق بالإمام بحبور بعد أن طلبه الإمام إليه لأمر تطلع ويقف عليه وهو جواب الشاه عباس بن حسين بن شاه عباس الإمامي الذي كان كتب إليه الإمام المتوكل وهو بضوران كما تقدم ذكره آخر سنة ثلاث وسبعين وذكر في جوابه أنه كان يصلح منا ومنكم التعاون على أهل نعمان[1] الخوارج لتوسطهم فيها بيننا وبينكم ، يكون البادي منكم والشروع في قصدهم من جهتكم ثم نعينكم بما يمكن من الإعانة ونستولي على تلك البلاد بحسب الطاقة ثم أنه أشار بعض من حضر في مقام الإمام هذه الأيام : أن هذا الأمر ما كان يصلح فتحه ولا مكاتبة الشاه وذكره ، لأن الملك عقيم وسريانه وتلاقحه ومحنته أمر جسيم فقد يخشى والعياذ بالله إذا استمدت جنود الشاه إلى بلاد عمان ودخلتها ملكت تلك الجهات وغيرها وقالوا : البلاد بلادنا ودخلناها باستفتاحنا ، ثم أظهروا شعارهم فيها ومذاهبهم بها وتاقت النفوس منهم إلى ما يليهم فالأولى طي هذا الخبر والتغافل عما قد كان سطر والاشتغال بما حضر ثم إن الجنود إذا بعثتموهم من اليمن إلى عمان مع ما يحتاج إليه الأسفار من الأعوان أنفق لذلك كثير من الخزائن وعاث أجنادكم في تلك الأماكن وحصل الفساد في اليمن ورفع كثير رؤوسها كما هو عادة أهل هذا الزمن ثم قد يَبدو باد

---

(١) يعني أهل عمان

من الأطراف فلا تجدون ما يدفعه بتباعد الأطراف ، والأولى طي هذا القول والجواب بما يناسب هذا الشور فأجمع العقال من الحاضرين على الجواب بما يقتضي ذلك والإرسال به إلى هنالك فأجاب الإمام بما يقضي ذلك : وإنّا إذا رأينا القصد لهم ووجدنا نهضة عليهم واحتجنا إلى معونة منكم فالبادي منا عليكم ومَرَدٌّ ذلك القول والله يصلح البلاد والعباد ، وكان سبب هذه الحركات إلى العراق والبصرة كما سبق ذكره وفي هذه السنة هو من موجبات الإسعاد من الامام وترك ما كان أهم به فإنه وابن أخيه أحمد بن الحسن قد كان هموا وظهر عنهم وبنوا على التقدم والبعث بجنودهم طريق نجران ثم إلى الحسا والبحرين وبلاد عمان أو البصرة ، فلما حصل هذا الاحتراك من جهة بني عثمان في إزالة صاحب البصرة والتولية علموا أن المفاتحة تعود إلى العسرة ولا تقوم به القدرة ، وأما محمد بن الحسن وكل عاقل فلم ير هذه الهمم التي كان أهم بها الإمام وصنوه الحسن لما يُعْرف من محصول اليمن وعدم انتهاضه كما تقتضيه الفطن وجهز الإمام حاج اليمن في هذه الأيام .

وانحطت الأسعار وسط هذه السنة عما كانت أولها ، وزالت العسرة والله هونها وكان شتاؤها قليل البرد معتدلاً .

وفيها : صحح الحسين بن الحسن دائر مدينة رداع واستقر وسكن بأهله في ذلك المرباع .

وفيها : وصل الخبر بوقوع خسف ببعض بلاد تبريز من بلاد العجم ذكر لي الشيخ العارف محمد بن الحسن الملا الحنفي الحساوي : أن واحداً من أهل تلك البلاد حرّق كتاب الله تعالى بالنار استخفافاً ، فوقع ذلك الخسف والحيف عقاباً ، ولعل هذا الرّجل الذي حرق كتاب الله من بقية المجوس الذي كانوا قبل النبوة في تلك الجهات تهوس ، لأن بلاد العجم وفارس كانوا مجوسية قبل النبوة كما في التواريخ القديمة والسير المشهورة ، وسألت المذكور عن بلاد هرموز[1] فقال : هي في سواحل جهات بلاد العجم مما يلي بندر كنج من بنادر بلاد فارس والعجم وهذا البندر في مملكة الشاه الآن قال : وهرموز هذا الذي كان دخل إليه الفرنج في المدة السابقة في المائة التاسعة[2] قد

---

(١) هرمور . جزيرة إيرانية في الخليج على مضيق هرمز .

(٢) كان ذلك سنة ٩١٣ أنظر غاية الأماني : ٦٣٦ .

صار بعضه مخسوفاً به لا ساكن له .

واعلم أن الخسوفات هذه كثرت في بلاد العجم هذا الزّمن وسببه ما يصدر من الإمامية والعجم من السب واللّعن للصّحابة في السر والعلن وجعلوه لهم بضاعة وعبادة ، وقد جاء في الحديث الذي أخرجه الترمذي[1] وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إذا لعن آخر هذه الأمة أولها فليرتقبو ريحاً حمراء . الحديث إلى آخره .

وسألت الشيخ محمد بن الحسن الحساوي عن مابين العجم وسمرقند وبخارى ، فقال : بلاد الأزبك هي تلي ساحل البحر الهندي ومن خلفها بلاد سمرقند وبخارى ، وبلاد الأزبك تسمى كاشغر وهم حنفية سنية ولا يزال بينهم السّيف هم والأثنى عشرية الإمامية لقرب بلاد الأزبك ببلادهم وهي داخلة في مملكة صاحب سمرقند الشّريف عبد العزيز بن سلطان مستقل له مملكة ما وراء النهر من بلاد الإسلام أجمع إلى حدود الهند في الجهة البرية مثل كاشغر هذا وهو بلاد الأزبك وبلاد سمرقند وبخارى وكثيراً من بلاد الترك في المشرق من المسلمين ويليه في الوسط بلاد الشاه ، وهي جبال فارس وشيراز إلى حدود تبريز واصفهان هذه بلاد الشاه يحيط بها من المغرب فارس ومن المشرق بلاد ما وراء النهر وهي سمرقند وبخارى المذكورة ، وروى رجل مرّ اليمن حاجاً من سمرقند فقال : ملكهم هذا الشريف عبد العزيز أمّه شريفة من أهل البيت وأبوه تركي ، وقاعدة عندهم يسمون من أمه فاطمية شريف ومن أبوه فاطمي سيد ، وقال المذكور : والسند له ملك مستقل أيضاً والهند ملك آخر قال : وكذا بلاد الترك لها ملك مستقل خاقان إلى الباب والأبواب يلي سد ياجوج وماجوج ، فأطراف التّرك الداخلي في المشرق لا يدري حالهم هذا الزمان هل دخل منهم الإسلام أو هم على ما كانوا عليه تلك المدة والأزمان أيام فتوحات العباسية والأموية لهم ، فإنهم كانوا تلك المدة كفار وأسلم من أسلم من البلاد منهم التي تلي بلاد الإسلام ولا نعلم حقيقة ما خلفها ، الاأن جميع بلاد ملك سمرقند وهي من بلاد الترك التي تقرب إلى جهة بلاد الإسلام كلها مسلمون من أيام العباسية واستفتاحاتهم بتلك المدة الماضية ، فأما ما خلفها فالظاهر أنهم من التّتر إلى حدود الصين وهم أمم كثيرة لا يعرفون الإســلام والله أعلم ، قال : وحد بلاد بن عثمان صاحب الــروم إلى البصــرة والعــراق والموصــل لا غير وممّا يليها تبريز من بلاد

---

(١) الحديث لم يحرجه الترمذي وهو في ابن ماجة .٦٦٣ والترهيب والترغيب ، ١ .١٢٢ عن البيهقي ، وأنظر البيهقي : ٢٦٣ .

الشاه ، وما وراء النهر بلاد صاحب سمرقند ، ثم ملك السند ، ثم ملك الهند ، هذه بلاد الإسلام وملوكها وأعظهم وأقواهم وأكبرهم ابن عثمان ، وأخبرني رجل من بلاد بخارى كان حاجاً فقال : بلاد الشاه بين ثلاثة ملوك لا تزال الحروب بينهم ، أحدها بلاد العراق للسلطان ابن عثمان وبينه وبينه اصلاح من سنة خمسين وألف ، والآخر ملك سمرقند وبخارى إلاّ أنهم هذه الأيام ضربوا بينهم صلحاً والثالث صاحب الهند ، انتهى .

وأخبرني بعض من سافر إلى محل السلطان الهندي فقال : المسافة من المخا إلى سرات اذا سَبَرَ[1] الريح قدر عشرين يوماً ومن سرات إلى محل السلطان مثلها معمور متصل .

وفي عيد ذي الحجة من هذه السنة : أراد جماعة من عسكر همدان يمروا بالريح[2] والطبل إلى عند أحمد بن الحسن وهو بالغراس من بلاد بني الحارث وكانوا قد استأذنوا أحمد بن الحسن في ذلك ، فلما علم بهم بنو الحارث تحزبوا واجتمعوا وتعاقدوا على الصّد والمنع لهم من ذلك ، وكتبوا إلى الإمام وذكروا أن هذا لا يتم عند القبائل في سالف الأيام وأجاشوا من قبائلهم إلى أطراف بلادهم وقالوا : لا يمكن المرور أوساط قرى بني الحارث على هذه الصفة إلاّ أن يمروا بغير ضرب ريح فلا حجر ولا منع ، أو يمروا إلى صنعاء الطريق المسلوكة فلا نعترض لهم ولا ننهر ، فلما علم الإمام بذلك أمر احمد بن الحسن أن يكون عيده بصنعاء ، فدخل صنعاء وما زال ما تحاذره القبائل من العادات بينهم والهوى .

والأمطار هذه الأيام شحّت بها الغمام وقلّت المراعي على الأنعام .

وفي شهر ذي الحجة منها : خسفت القمر ببرج القوس .

وفيها : أحكم الشطارة ولد حدث السن من جبلة دون التكليف لما رأى صاحب مصر يلعب حال وصل ، فأدرك عمله وزاد أحكامه ودار لذلك عند الأمراء والولاة باليمن ، وجمع من الدنيا منهم ما استغنى به وقضى الوطر .

وفي يوم الإثنين سادس شهر الحجة منها مات السيد المطهر الجرموزي[3] ببلاد ولايته

---

(١) هرموز : جزيرة إيرانية في الخليج على مضيق هرمز .

(٢) كان دلك سنة ٩١٣ أنطر غاية الأماني :٦٣٦ .

(٣) هو المطهر بن محمد الجرموري ترجمته في خلاصة الأثر ٤ .١٠٦ نشر العرف ١ :١١٧ طبق الحلوى :٢١٠ ومصادر الفكر الإسلامي :٤٨٨ .

عتمة ، وقبر بها ، كان هذا السيدمتولياً لبلاد عتمة من أول دولة الإمام المؤيد واستفتاحه لها فاستمر بها إلى وفاته وقد بلغ في السن فوق ثمانين سنة ممتعاً ببصره وسمعه ، وكان جمع في أيامه سيرة للإمامين القاسم [١] والمؤيد [٢] وبعض سيرة المتوكل [٣] ولم أقف عليها .

وفيها : طلع الشيخ راجح متولي دكة مدينة تعز لأجل ما حصل من الشجار بينه وبين ولاة محمد بن الحسن وصنوه احمد بن الحسن فيها وعدم الإتفاق في أمرهم عليها .

وفي هذه السنة ، أو بعدها : أمر محمد بن الحسن بخراب بيت شاوش الملقب الضعفة [٤] بسبب أنه بعد موته كان له ابنة تظاهر أمرها بقصد الرجال إلى بيتها وكان بيتها مجاوراً لمسجد عباس [٥] بحافة باب شعوب بصنعاء ، فأعْجب لمجاورة الفساد بالمسجد للصّلاة للعباد فلا قوة إلا بالله ، وهذا المسجد كان صغيراً يقال له مسجد عباس ثم زاد جنبه لاصقاً به الطواشي مسجدا عظيماً في مدة الوزير حسن ولا يزال المسجد الأول على حالته ، قد صليت في المسجد القديم فوجدت انشراح صدر وسرور ما لم أجده في غيره فانظر حقارة الدنيا وكثرت مكدراتها كيف حف هذا المسجد بمثل ذلك .

ودخلت سنة سبع وسبعين وألف

استهلت بالسبت : في أول محرمها جاء خبر الحاج وأنه كان موسماً مباركاً .

وفيها : أمر النّاظر على وقف صنعاء محمد بن عبد الله الأكوع بإزالة الطراز والكتابة التي كانت داخل المسجد الجامع إلى الجدار ، وفيها ذكر شهادة أن لا إله الا الله محمد رسول الله ، أبو بكر الصديق ، عمر الفاروق ،عثمان ، علي ، فطمس جميع ذلك وأزال رسم ما هنالك وحمله على ذلك جماعة من الجارودية والرّافضة ، وارتكبوا مع ذلك أمراً عظيماً وهولاً جسيماً بطمس شهادة الوحدانية وذكر خير البرية ، فلا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم ،ولما عاتبه بعض الناس في ذلك ، قال : ليس هو بابتداء منه بل بأمر

---

(١) تسمى بالدرة المضية في السيرة القاسمية (لاتزال محفوظة) .

(٢) تسمىً بالجوهرة المنيرة في السيرة المؤيدية (محطوطة) .

(٣) هي المعروفة بتحفة الأسماع والأبصار لما في السيرة المتوكلة من الأخبار (مخطوطة) .

(٤) الكلمة بدون إعجام في الأصل ولعلها كذا كما أصلحناه من عندنا والله أعلم .

(٥) لم أقف على هذا المسجد ،وفي مساجد صنعاء :٦٩ قال : ولعل مسجد عباس قد دخل في ضمن مسجد الطواشي هو قديم عمره عباس بن محمد الثعلبي .

من أحمد بن الحسن .

وكان الخريف في هذه السنة بشهر المحرم ، ومضت معالم الخريف وأوقات المطر ولم يحصل شيء منه ينفع ولا حصل عموم في جميع البقع ، وانتشر جراد في ذلك الوقت كثير ، والأسعار ارتفعت وصارت الحبوب قليلة ، فبلغ قدح [1] البر إلى ستين بقشة والذرة والشّعير إلى حرف ثم نقص قليلاً عند صراب الثمرة مع ضعفها عن العادة ، ولله حكمة في صنعه لا راد لحكمه .

وفي هذا الشهر : أمر الإمام إلى أسواق الحيمة أنها تسلم المجابي كغيرها من سائر النواحي ، وأمر بالطيافة والخرص لثمر البن فيها ، وكانوا قبل ذلك لا يعتادونها ولا يألفونها بل الزكاة بالأمانة ولا مجبى في شيء من أسواقهم ولا إعانة [2] لأجل ما سبق لهم مع الإمام القاسم والمؤيد من الإعانة وما معهم من الخطوط في الصّيانة[3] فمنعوا عن تنفيذ الأوامر حتى يسيروا إلى الحضرة العالية ويخبروه بما تعتاد بلادهم ، والأمر معهم ظاهر فلم يجبهم الإمام إلى ما سألوه ، ولم يلتفت إليهم في شيء مما قالوه ،والخرص هذا مما صار أمره عظيم وحاله على العباد جسيم لما يحصل من وضع الزيادة على الرّعايا بسببه ولا ينظرون إلى انكشاف ما يحصل من بعده وقدْره ، فلا قوة إلا بالله العلي العظيم إلاّ أن مع ظهور الخيانة لا بأس به في الشّجر من الرجل العارف المعتبر ، فإن في ذلك تعريفاً ومعرفة لئلا يحصل التّفريط دون الزروع ، فلا ينبغي الخرص للإجماع على عدم شرعيته فيه .

ولم يحج هذه السنة الركب العراقي لما حصل عندهم من خروج الجنود إلى جهات البصرة كما سبق ذكره ، وكان الركب الشامي هذا العام قويا زائداً على العادة لأجل ما حصل في سابق أيامه من النكاية من الحرامية[4] وقبائل لام[5] وعنزة[6] .

وفي هذه الأيام غلت الأسعار وضعفت البقش وصغرت وكثر فيها النحاس والغش ، وكثرت المماكسة في البيع والشراء والمعاملة ، واختلفت الحالة ، وحصل مع أهل

---

(١) القدح : هو الوحدة المستعملة في المكيلات وهو يساوي ملء صفيحتين من صفائح القاز «الكيروسين» .

(٢)الأصل عانة ، والإعانة : معونة للدولة

(٣) الصيانة : أي صيانتهم عن دخول العسكر ونحوهم .

(٤) نسبة إلى حرام بطن من زيد بن كهلان (معجم قبائل العرب ١ :٢٥٧)

(٥) لام . بطن من جديلة من طي من زيد بن كهلان من القحطانية كانت مساكنهم المدينة المنورة وما حولها وجبل أجا وسلمى (معجم قبائل العرب ٣ :١٠٠٧) .

(٦) عنزة من القبائل الكبيرة من نزار بن معد «قبائل العرب ٢ :٨٤٦»

الأسواق تغير المزاج والدعا والسخط والانْزعاج حتى دعوا على الدولة جهاراً من غير حياء ولا احتشام ولا خوف ، بحيث أني سمعت رجلاً من أسواقها وأهلها يقول لآخر : هذه الدولة ما ترحم المسكين ، وأما الترك فإنهم يرحمون المسكين ، وكلام آخر غير هذا ، فأجاب عليه الآخر بمثل كلامه واستحسان نظامه واعلامه ، والدنيا وإن لم يجمع على أحد فيها إلاّ أن الكلام هذه زاد وكثر فيها ، والله يصلح أحوال المسلمين .

وكان خرج من الهند بعض خواص السلطان الهندي من الكبار حاجاً هذا العام فلما وصل إلى البيضا باب مكة مات هنالك ومعه من الأثاث والدراهم والمال الكثير والشيء الواسع الجزيل ، فقبض جميعه أعوان الشريف سعد[1] ورفعوه إليه بيد القوة والصد ، وكان بعض أولاده حاضراً وعند أبيه وماله قائما فلم يمكن من شيء من ذلك وظلموه بأخذ جميع ما هنالك ، حتى قال للقائد من عبيد الشريف أحد الحجاج : هذا ولده حاضر غير غائب ، فقال له : من أين يأتي رزق الشريف . وهذه مظلمة عظيمة وحالة غير مستقيمة مع الأشراف بمكة فإنه إذا مات أحد من أهل المال من التجار والخواجات في بلدهم استولوا على جميع ماله وقبضوه بكماله وإن كان الوارث حاضرا واليه مشاهد ، فلا قوة إلا بالله العلي العظيم ، حتى أن بعض الذين يقع معهم الموت هنالك قد يبالغون في كتمه وحمله معهم وإظهار مرضه حتى ينفذون البحر خشية من قبض المال وغصبه .

وكان حج اليمن هذا العام قوياً من جميـــع طرقه ونواحيه ، فإنه حج علي بن أحمد صاحب صعدة طريق الشرق وبيشة ودخل أمير حاج اليمن من طريق تهـــامة بإظهار حالة العسكر والمرفع إلى مكة والتعشيرة في باب الشريف ، وكان يومئذ الشريف زيد حياً[2] ولما وصل علي بن أحمد إلى مكة وتم الحج وفرضه استأذن على الشريف للوقفة ووصل إلى بابه فاعتذر الشريف عنه ولم يحصل له منه أذنه . وفي بعض الملاحم وجد بيتين شعرا يتضمنا أن يموت زيد وتزول دولة آل زيد فكان كذلك والله أعلم .

وفيها : تزوج الحسين بن الحسن أخت الشيخ صالح الرصاص .

وفي آخر شهر ربيع الثاني : سار السيد محمد بن علي الغرباني الى بلاد برط الذي دخله فيما سبق وأرسل برسالة الى الإمام فيها اعتراض وطعن عليه في الأحكام ، فسار رسوله

---

(١) هو سعد بن زيد بن محسن بن حسين بن الحسن بن أبي نمي الثاني أمير مكة سنة ١٠٧٧ توفي سنة ١١١٦ «خلاصة الكلام ٨٠» .

(٢) والد سعد السابق ذكره كانت وفاته في المحرم من سنة ١٠٧٧ أي أنه أدرك حج سنة ١٠٧٦ (خلاصة الأثر ٢ ١٨٦)

من عنده بغير جواب منه . فسكن ببرط هذه المدة . والمذكور كانت مفارقته من حضرة الإمام بالسودة . وكان يقرأ على الإمام من جملة الحاضرين من الدرسة ، وقال إنه يعرف بأحكام الملاحم والنجوم وأنه يعرف بالخبايا والكنوز ، وسار في برط إلى محل عينه لكي يحفر عليه ويرفعه ، فلم يوجد شيء منه ولا أحد عرفه .

وفي هذا الشهر : رفع الإمام القبالات التي كان وضعها في الأسواق كما سبق ذكره ، وأبقى ما كان ماضياً من قبل على حاله .

وفي جمادى الأولى : حصلت رجفة وزلزلة نهاراً وقت الضحى ، ومرّ جراد قوي ارتفع من بطون تهامة وطلع الجبال وسار جهات الشام حتى جاء خبره بدخوله دمشق وحلب ، وربّما بلغ إلى الروم ولم يعد إلى اليمن إلى سنة خمس وثمانين كما سيأتي ، ووجد في أذناب هذا الجراد كتابة محمد ابراهيم[1] رأيتها كذلك فيها .

وجاء خبر هذه الأيام باختلاف يد الأشراف بمكة .

وفيها : وصل إلى الإمام رجل من عمان يقال أنه كان متولياً فأعطاه الإمام وربما رغّبه في دخول جهاتهم وإرسال عليها من يشاء من أجنادهم وهو عونهم ، وإنما يريد الدنيا وقبض ما يحصل له بهذه الحيلة لما يهوى .

وفي نصف جمادى الأخرى : خسفت القمر عند طلوعها ببرج الجوزاء .

وفي هذه السنة : اتفق لحفار يحفر القبور يقال له مدير جان أنه قبر رجل سمسري فسقط عليه بعض شيء من الدّراهم حال تجهيزه له ، فسار إلى القبر ولم يسمح بما راح عليه من الدراهم ليأخذها ويرده على حاله الأولى ، فلما فتح القبر ونبش اللّحد ، رأى حنشاً عظيماً قد التقم فم ذلك الميت وهو على بطنه يمتص منه ، فاهتال منه وحصل معه دهشة أذهلته ، وربما أنه رأى مع ذلك شيئاً آخر هاله فلذلك تغيّر عنه حاله ، وصار زائل العقل في أكثر أوقاته وفي بعضها يفيق في أقلها ، وترك حفر القبور وخاف من تلك الحالة وما يتبعها من البَعْث والنشور ، نسأل الله حسن الخاتمة ونعوذ بالله من عذاب القبر ، وسمعته مرة في جامع صنعاء يقول : ما هي إلاّ جمالات رأينا الموت وما رأينا إلاّ اللحد كأنه منه كالهذيان . والتذكر باللحود والموت لهول ما رآه .

ووقع أيضاً في هذه الأيام ظهور عذاب قبر في إثر ما دفنوه بقرية ضلع من بلاد همدان ،

---

(١) هو الخليفة العثماني محمد الرابع بن إبراهيم حكم من سنة ١٠٥٨ إلى سنة ١٠٩٩ ، أنظر الدول الإسلامية ٢ :٤٨٧.

فكان أهل البلد يسمعون دلائل العذاب والأنين العظيم ونحوه من الأمر الجسيم .

وكذلك اتفق في هذه الأيام أيضاً في بلاد برط من بلاد دهمة أن رجلاً منهم كان قد اشتهر عندهم بالفساد العظيم والسرقات وشرب الخمور وقتل النفوس فقضى الله موته وتعجيل عقابه وزواله ، فظهر لهم عذابه بعد دفنه ليال وأياما .

وفي هذه المدة : سار محمد بن الحسن من اب وجبلة إلى تعز ولم يلبث أن عاد .

وفيها : أخبر العمانيون التّجار الواصلون بصحّة خروج الجنود على الباشا حسين صاحب البصرة كما سبق تحقيقه [1] روى لي بعض الوافدين من أهل البصرة إلى صنعاء فقال : البصرة مدينة كبيرة معمورة أكبر من صنعاء هذه المدة ، ذات أسواق وبساتين وأنهار جارية في شوارعها من دجلة يجز النهر أجزل بيوتها إلى بساتين معهم في البيوت وبرك صغار ومفارج حسان ، وكل من أراد الماء جرّ من النهر في أي وقت شاء ، ووصف حسنها قال : وبغداد يدخل من نهر الفرات إلى بعضه لا جميعه لارتفاعه ، وسألته عن الكوفة فقال : قد خربت في الفتنة الواقعة بين السلطان والشاه في الأيام الماضية .

وفي شهر رجب : وصل قاصد من محروس مدينة اصطنبول من حضرة السلطان محمد بن ابراهيم بن أحمد خان بن عثمان ، وصحبته خمسة عشر رجلاً بنادقية جميعاً ، ومعه بعض هدية وصل بها للإمام ، فوصل المذكور إليه وهو بسودة شظب ، فحذر خواص الإمام عن مباشرة شيء من الهدية خشية لا يكون فيها ما يحذر منه لعدم المعرفة بالرجل والركون عليه بالكلّية ، ولم يقع من المذكور شيء مما توهموا وظنوا ، ثم زلّجه الإمام بعد أن جمع في بعض الجمع عساكره توهماً أن يكون جاسوساً ، وإلاّ فإنه أظهر أنه إنما يريد الدخول إلى الهند عند أخ له هنالك ، ومن الناس من قال أنما رويّ بذلك وأوهم ، والله أعلم بما هنالك من الحقيقة ، ولبث قدر شهر واحد حضرة الإمام بالسودة ، ثم تقدم إلى صنعاء ذلك الوقت لأجل الجمع والجمعة ، روى أنه لما استقر بصنعاء سأله سائل عن عساكر السلطان وحاله فقال السلطان : محمد بن ابراهيم ساكناً بالتخت باصطنبول وأنه قبل العام الماضي جهز إلى بلاد الفرنج قدر سبعة لكوك من الجيش والبنود فصادف وصولهم بلاد الفرنج في وقت نزول شيء من الثلج ثم تقدموا للحرب والطعن والضرب والرمي بالمدافع والمكاحل والزبارط[1] والطيارات من الجهتين ، قال :

---

(١) انظر هذا الخبر بتوسع في طبق الحلوى : ٢٠٢ نقلاً عن كتابنا هذا .

فكانت الهزيمة الشديدة في جانب الإسلام ، وقتل منهم كثير من الأنام قريب نصف ذا
الجند العرمرم والغمام الواسع الأطم ، فعاد الباقون إلى حضرة السلطان وعرفوه بـ
الحادث العظيم والطغيان قال : فأمر السلطان عودهم في الحال وإبدل الذي هل
غيرهم من جنوده من بلاد الأروام وزاد فيهم ، فبلغوا قدر عشرة لكوك ، فكانت الهز
في المشركين الكفار الملحدين ، وقال : السواس والخدم قدر أربعة آلاف وقا
هؤلاء[2] الذين رأيناهم عند الإمام قدرهم ملطية جنود السلطان ، فقيل له وما الملطية فق
: الذين يملطون الشجر في الطرق ويصلحونها وعليهم حراسه[3] المحاط ونظمها
الراوي : فلما وصل إلى حضرة محمد بن الحسن باليمن الأسفل أمر جنوده للاجتـ
للتمشية في ذلك المرباع ومعهم التركي المذكور من جملة أهل الحزبة في قاع جـ
ورتب العسكر فأوله جعل خَيْله صفاً واحدا وجعل أول الخيل جماعة من الخيالة الذ
معه من الترك ، ثم بعدهم العساكر والبيارق والشاوشويه والنوبة تضرب طبلها وتـ
زمرها وتدق صاجها[4] والخيل التي معه كلها باليمن اجتمعت وهي قريب سبع مائة ع
انتظمت على زي عساكر الأروام وترتيبهم المعتاد تلك الأيام ، فسئل المذكور عن ذ
قالوا : فأجاب على السائل : إن كان ملك في اليمن فهذا هو غيره ما فيه شيء ، وزلـ
محمد بن الحسن بزلاج عظيم ودراهم وكسوات ، ونزل المخا ثم ركب البحر فلا يد
أحد أين توجه وجاء ،هل الهند كما وصف أو العراق أو البصرة أو من بحر اليمن إ
جهات مصر . وأخبر المذكور أنه كان من خدامة السلطان مراد عم هذا الموجود ا
والله أعلم .

وفي هذا الشهر : عاد السعر إلى الارتفاع فبلغ البر ستين بقشة والشعير حرف والذ
إلى خمسين .

وفي يوم الجمعة عاشر شهر شعبان : انتهب[5] أهل شبام كوكبان ومن حضر من القبـ
يوم السوق أهل الذمة من اليهود ، ودخلوا بيوتهم وأخذوا ما معهم من الرجال والنـ

---

(١) الربارط . آلة حربية ضخمة تستخدم في رمي النفط وغيره من القذائف على العدو ، وتحمل كل أربعة ربارط على عجلة ويكون ربرطان ثلاثة جروح لرمي القذائف وخمسة طول لتنظيم الرمي «دوزي تكملة المعاجم» .

(٢) في الأصل : هلا

(٣) كذا تقرأ في الأصل والكلمة مبهمة .

(٤) صاجها الصاج هو : طبق من حديد يخبز عليه . وهنا يقصد الصنج صفحة مدورة من النحاس يضرب بها للطرب .

(٥) أورد هذا الخبر وهو حادثة اليهود المذكورة صاحب طبق الحلوى . ٢٢٢ (طبع مركز الدراسات اليمنية) نقلا عن كتابنا هذا .

حتى أخذوا حلي النّساء من رقابهن وخلسوا ثيابهم ، ومنهم من وجد الخمر عندهم فشرب منه فسكروا ، وصرخ الصارخ في السوق : أن الإمام أباحهم فهاج الناس لهذا الانتهاب ، وذهب مع ذلك على الفراشين في السوق فرشانهم ، ولما بلغ أهل بلد حاز [١] من همدان والغرز [٢] والعروس [٣] انتهبوا من عندهم من اليهود القعوس وأذاقوهم كل بوس وفعلوا فيهم كفعل أهل شبام . ووصل جماعة من قبائل همدان وحضور إلى مدينة صنعاء بكرة ذلك اليوم تسعى فوصلوا إلى سائلة اليهود فَتْحة الباب من تلك الأوقات حين برق الفجر ولاح ضوء النهار والإشراق وقصدوا نهب اليهود إلى بيوتهم فأغلقوها في وجوههم وغارت الناس من المسلمين لفك شأنهم ودفع أمرهم وأرسل والي المدينة جمال الإسلام من عساكره من يَدْفعهم فاندفعوا بعد هوشة وخصام ، وقالوا قد أباحهم الإمام ، وأصل هذا وسببه أنه لما وقع الواقع من اليهود اللئام في هذه الأيام من الأفعال القبيحة ، وبلغ الإمام أفعالهم ، ربّما تحدّث في الديوان : أن هؤلاء [٤] ينبغي إباحتهم وانتقاض ذمتهم ، بل أجاب على من سأله في شأنهم فقال : قد انتقضت ذمتهم لكن رأيت فتواه لذلك جوابا على الفقيه أحمد بن سعد الدين [٥] كاتب الإنشاء معه ، فقال : أن ذمتهم قد انتقضت عليهم ولم تكن عند غيره من علماء زمانه بمنتقضه اذ لم يتم شروط الإنتقاض ، فبقى حالهم مضطرب الحال ، ولما بلغ الإمام ذلك بهم بشبام قال : ما أمرنا بهذا ولا كرهنا ، وصفة هذا الحادث من قبلهم أنهم في هذا العام في شهر رجب منها بنوا على أنهم سيرحلون عن اليمن ويدخلون عند أصحابهم بالشام وبيت المقدس في السر والعلن ، وزعموا أن المسيح بن داود المهدي عندهم ، وهو عندنا الدّجال قد ظهر ، فباعوا في الأسواق كثيراً من منقولاتهم ومظنوناتهم بأبخس الأثمان ، وعرضوا أيضاً أموالهم وباعوا منها شيئاً في هذا الزمان . فلما بلغ الإمام أمرهم ، قال : لا بأس ببيع منقولاتهم دون أرضهم وبيوتهم فباعوا المنقولات أكثرها حتى أخرجوا ما يدخروه من الطعامات بأكملها ، وقالوا هم راحلون وعلى ساق العزم سائرون وأن المسيح بن داؤد قد حضر وقرب ، ومنهم من قال يأتي لهم ما يحملهم من اشارة المسيح بن داؤد بغير سفر

---

(١) حار : قرية أثرية في ناحية همدان على طرف قاع المقب .

(٢) الغررة . قرية من بني حشيش بالشمال الشرقي من صنعاء

(٣) حصن وبلد في حضور ناحية بني مطر وهو مقابل لكوكبان .

(٤) الأصل . هلا .

(٥) هو المسوري الآتي ذكره .

ولا تعب ، وخرافات وهذيانات كثيرة زوّروها وكبروها ، وقال من قال منهم : إن الملك سيعود لهم كما هو مقرّر عندهم آخر الزمان ، وأن المسيح بن داؤد عندهم المهدي وحرّفو التوراة فجعلوا ما جاء فيها من ذكر النبي صلى الله عليه وسلم هو المسيح بن داؤد قاتلهم الله ، قال صاحب الكشاف[١] عند تفسير قوله تعالى ﴿إنْ في صُدورهم إلاَّ كِبْرٌ مَّا هُمْ ببالغيه﴾[٢] في سورة تنزيل ما لفظه : المجادلون هم اليهود وكانوا يقولون بخروج[٣] المسيح بن داؤد يريدون الدجال . ومبلغ سلطانه البر والبحر وتسير معه الأنهار وأنه من آيات الله فيرجع إلينا الملك فسمّى الله تعالى تمنيهم ذلك كبراً ونفى أن يبلغوا متمنّاهم ، انتهى كلام صاحب الكشاف ، يعني وقته صلى الله عليه وسلم وإلاّ فقد ثبت ظهور الدجال آخر الزمان نعوذ بالله من فتنته ، ولا شك أن هذا الوقت ليس بوقته لتأخر اكثر الإمارات التي دل عليها النبي صلى الله عليه وسلم في صحيح سننه وإن كان النبي قد توقعه في مدته ، فذلك من باب اقترابه وكون ما هو آت فقريب كما قال تعالى ﴿اقتربت السَّاعةُ وانشَقَّ القَمَرُ﴾[٤] واذا قيل لليهود هو المسيخ الدجال أنكروه لأنهم عرفوا تحذير الأنبياء جميعاً منه ، ولكن النبي صلى الله عليه وسلم زاد في البيان فسماه باسمه ولقبه جميعاً إذ الدجال اسمه المسيخ كما ثبت في الخبر الصحيح ، ثم بعد هذا الهذيان الصادر منهم وخرافات ، رجع بعضهم إلى الإقبال على رجل منهم من يهود صنعاء فزعموا أنه المسيح وكانوا يكتمونه . ثم أنه أظهر نفسه حال سكره وضعف عقله ، وطلع إلى القصر ودخل ديوانه واستقر بليوانه[٥] ، بلباس قد لبسه من اللباس الحسن والبروجي[٦] العال ، ولم يعلم به أهل الفطن ، ولا شعر به إلاّ في ذلك المحل والسكن ، فلما فطن به على ذلك الحال جمال الدين علي بن أمير المؤمنين أرسل به حبس البستان بعد أخذ ما عليه من تلك الثياب العال ، فبلغ الإمام ذلك الفعل والبهتان ، وما اجتراه هذا الذمي من الطغيان ، فأمر الإمام شاووشاً وقال : اضرب رأسه بسوق الحلقة واذقه بما فعله فضرب رأسه هنالك وصلبت جثته بنوبة[٧] باب شعوب بقت أياماً ، ثم دفنه أهله لعنه

---

(١) الكشاف ٣ :٤٣٢ دار المكر .

(٢) الآية ٥٦ سورة غافر (المؤمن) .

(٣) الكشاف . يحرج صاحبنا .

(٤) الآية : ١ سورة القمر .

(٥) كذا في الأصل . ولعله ايوانه (معروف)

(٦) البروحي . نسبة إلى بروج بلد بالهند ذكرها في تاج العروس على زنة مفعل وفي مذكرات المؤيد بالله ٣٨ تنسب إليها بعض الثياب .

(٧) النوبة هنا مرقب حربي يقوم فيه الجنود للحراسة والدفاع

الله ، ثم أمر الإمام بإسقاط عمائم أهل الذمة ، وحَرّج على من تعمم منهم بعد هذه الفعلة ، وأرسل إلى كل جهة من جهاتهم وبلدانهم بعسكر يأخذون منهم الآداب فأذاقوهم مدة طويلة كل ضر وغمة ، وفقر أكثرهم ، وأسلم [1] كثير منهم ومات في سنة القحط الآتية والجوع الجزيل منهم ، مع ما نالهم من ضرر الجوع والسبارات للعسكر والآداب وأمر بجماعة من كبارهم إلى الحبوس ، واليهود لعنهم الله تكون عقولهم ضعيفة ناقصة بسبب اعتمادهم على شرب الخمر ، وهو مما يضرّ بالعقول ويزيلها وينقصها ، ولذلك البانيان من طائفة المجوس لا يشربونه لأنهم يحكمون العقل في كل ما يفعلونه فلذلك لا يشربون الخمر ولا يأكلون اللحم ، ومع ذلك فإنه يورث دورانها لما يصعد من بخاراتها ، وفي الخمر مع ذلك الضّرر أيضاً لمن داوم عليه وأكثر من شربه ، وجنح إليه ، ألم عظيم ومرض جسيم وهو القولنج والرياح في البطن نعوذ بالله من الخمر ، ثم الضرر الأعظم والهول الأطم العذاب المهين ، فقد ثبت في الحديث الصحيح «لايدخل الجنة مدمن خمر»[2] والله أعلم .

وأدب أحمد بن الحسن بلد حاز والغرزة من بلد همدان فيما أخذوه على اليهود[3] من أنواع المال والبرود فردّوا أكثرها وأما الآداب عليهم فأمرها وقرّرها .

وفي هذه السنة : وقع بين العصيمات وخيار حرب ، قتل من الفريقين ثلاثة فأرسل عليهم الإمام بأدب العصيمي والخياري قيل بألف حرف وجماعة عسكر .

وفي شعبانها : انتهبت قافلة بالعمشية في عهدة سفيان والمنتهب لها برط ، فلحق سفيان غارة لأجل ما راح فصادفوا جماعة من برط دفعوا فيهم الرصاص ، فقتل أربعة أو خمسة من برط وجنايات في آخرين بالطعن والضرب وعاد بعض الحمولة .

ووقع خلال ذلك انتهاب قافلة بطريق الجوف جاءت من حضرموت انتهبتهاالعرصان[4] والمعضة [1] قبائل البدو الذين في أطراف مساقط الجوف .

---

(١) قرأت في فتاوي ابن الرداد (مخطوطة) أن يهود اليمن لا يصح قول تدينهم باليهودية لأنهم اعتنقوا اليهودية في زمن ذي نواس وهم أصلاً من أهل اليمن ولم يكونوا من اليهود المرسل اليهم أنبياء بني إسرائيل .

(٢) أخرجه ابن ماجة : ٣٣٧٦ والترغيب والترهيب ٣ :٢٥٤ .

(٣) قلت انظر إلى سماحة المسلمين وانصافهم كيف انهم أدبوا من أخذ على اليهود بعض ما نهبوه على المسلمين بالزور والإحتيال وقد حدث مرة واحدة في دهر طويل وهم أهل الحكم والدولة . وانظر إلى ما يصنع اليهود بالمسلمين الآن في فلسطين من قتل وتشريد وسجن بصفة مستمرة دائمة ولا تجد من ينصفهم ، فإنا لله وإنا اليه راجعون .

(٤) العرصان من البدو وهم أهل ماشية .

واشتد برد هذه في الشتاء ، وكان شروعه عند رجوع الشمس واستمر قدر شهرين ونصف فضرب أكثر الزرائع من القياض [٢] .

ذكر رجفه :

وفي الساعة الرّابعة من ليلة الأحد ثامن عشر شهر رمضان الكريم رجفت الأرض وتزلزلت زلزلة شديدة ، حتى انتبه النائم من نومه ومنهم من توهّم أنه خراب عنده ،وهرب من هرب من بيته ، ومنهم من انتبه من الحريم وصاح بأعلى صوته وانشق بعض البيوت بصنعاء منها ، وعمّت أكثر جهات اليمن سهلها وجبلها فلله الأمر من قبل ومن بعد ، وهذا من آيات الله التي يخوف بها عباده ﴿ياعباد فاتَّقُون﴾[٣] ولبيان قدرته تع إلى ليعلم العباد من تحريكه للسموات والجبال أنه قادرَ علىَ ماَ يوعد تعالى من دك الجبال وطي السما كطي السجل للكتاب آمنا بالله ، وذكر في ملحمة الرّجف المنسوبة إلى علي بن ابي طالب رضي الله عنه ، أن حصول الرجف في هذين الشهرين وهما ما سبق من الرجفة الأولى بجمادى وهذه برمضان علامة لشدة البرد وغلاء السعر وقل المطر فاتفق بحكمة الله ذلك كذلك .

وفيها حدث مولود عينه بجبهته ثم مات .

وفيها : نتجت بهيمة فلوا له أظلاف كالبقر وسائرة بهيمة ، كذا روى أنه اتفق بذمار والله أعلم .

وفيها : شاع أنه ولد لليهود لعنهم الله ببيت عذاقة[٤] مولود مشوه له آذان طوال كآذان الحمار ، وله عين بجبهته وأنه تكلم وهو في المهد ، ولم يصح لذلك حقيقة وقيل بل حدث حقيقة ، لكنه مات .

وفيها : وجد بجهات بلاد بيحان وما يَقرب من مدينة سبا بين صخرتين صنم طوله قدر ذراع حديد ، وله عنق ورقبة ورأس وفي وجهه فصّان لهما نور ، وإذا احتركت الريح

---

(١) المعصة بتشديد الصاد المعجمة طائفة من قبائل متفرقة أهل ماشية يتنقلون ما بين الجوف ونجران على أطراف الرملة «الحجري مجموع بلدان اليمن ٧١٣/٣» .

(٢) القياض : موعد زراعة المحاصيل في العديد من المناطق ويمثل الموعد الرئيسي بعد الصراب وفي الغالب يكون في يناير وفبراير (انظر ملح الملاحة للملك الأشرف عمر بن يوسف الرسولي ١٦٩)

(٣) الآية ١٦ سورة الزمر .

(٤) بيت عذاقة : بكسر العين وقد تضم مدينة في جبل مسور بها مركز قضاء مسور التابع لمحافظة صنعاء

ودخلت عنقه يسمع له خوار ، ولعله والله أعلم من أصنام الكفار الجاهلية الذين كانوا بتلك الديار الخالية في المدة الماضية قبل ظهور نبينا صلى الله عليه وسلم .

وفيها : أمر الإمام بتفريق صدقة بصنعاء ،وجاءت الأخبار أن الأسعار بطريق مكة مرتفعة ، وكان مطر هذه السنة قليلاً بل عدم في المشرق ،ولم يقع فيه شيء أصلاً ورحل أهل المشارق بمواشيهم وأولادهم وتفرقوا في الأرض .

وفيها : حصل القحط الهائل ببلاد العجم أجمع وفارس بحيث ذكر الشيخ محمد بن حسن الحساوي أن منهم من باع أولاده بطعام ، ورحل منهم كثير عن أرضهم ومات كثير في بلادهم ، ومنهم من دخل بلاد عمان وأخرجوا من حُليهم ونفائسهم لشياطة [1] الحب هنالك ، ومنهم من خرج في البحر إلى اليمن دخل من المخا وعدن كثرة ، ومنهم أخلاط من بعض سواحل الهند لما لحقهم هذا القحط الشديد واستمدّ ذلك القحط ما وراء النهر إلى بلاد التتر .

وفيها : منع أحمد بن الحسن من الرّمي يوم العيد للنصع [2] إلى دائر المدينة ، وقال للعسكر ذلك ضرر على الدائر فمن عاد إلى رميه أدب فخرج عقب صلاة العيد ورأى واحداً يرمي إليه فضربه بين يديه ، فكأن الضرب زاد عليه فحمل إلى مكانه ومات .

ودخلت سنة ثمان وسبعين وألف

استهلت بالأربعاء وجاءت أخبار الحاج بأنه كان صالحاً متوفراً من جميع الجهات ، ركب العراقي والشامي والمغربي واليماني ، واستقرت ولاية سعد بن زيد ، وأما الأسعار فمرتفعة هنالك بلغت الكيلة إلى ستة عشر [3] بقشة ، ثم انحطت عقب الحج إلى اثنى عشر بقشة .

وفي هذا الشهر : كان فصل الخريف والأمطار قليلة .

وفي شهر محرم منها : جاءت أخبار أن الفرنج طاشت في البحر إلى حدود مسكت

---

(١) شياطة الحب : اكتياله وشرائه

(٢) النصع : بفتح النون والصاد المهملة الرمي إلى عرض معين بقصد التسلية والتدريب

(٣) كذا في الأصل

بجهة عمان ثم انصرفوا . وحمود[1] بقي مرابضاً لخروج القافلة من جدة ودخولها إلى مكة لينتهبها عدواناً وظلماً ، فلما توسطوا الطريق إلى بيت الله الحرام وفيهم حجاج ومتسبّبين من اليمن وزبيد ومصر والهند انتهبهم ، وصال عليهم فاستولى على ثلاث مائة جمل وأخذها عن كمل ، وهي مجموعة من كل نفيس من قشر وحنطة وقروش وذهب وجوخ وغير ذلك من الأموال وراح أيضاً في هذا الوقت قافلة خرجت من القنفذة[2] قدر ستين جملا أخذها بعض أقارب حمود .

وانتهب الحرامية على الحجاج حال الدخول في الملاوي قدر عشرين جملاً .

وفيها : جاء كتاب من سعيد بن شبير صاحب بيشة يطلب من الإمام غارة ومادة بعسكر ومال فلم يفعل الإمام شيئاً من ذلك .

وفي صفرها : ازداد السعر في جميع اليمن وتحرك طلوعه في كل مسكن ، فبلغ القدح إلى مائة بقشة والذرة إلى حرفين ، وقل الطعام في الأسواق ، والسّبب مرور الخريف بغير مطر فيبس ما كان زرع لـلعطش وظهور القاشر وهو الدود الذي يشبه الجُرمى مصور[3] صغير ، وضر القاشر الشعير دون البر والعلس[4] فلم يضره .

وفي هذا العام : نقّص الإمام على كثير من الناس نصف كيْلاتهم واعتذر بقلة الطعام والخلف العام .

وفي يوم الأحد تابع شهر ربيع الآخرة : توفي جمال الإسلام علي بن أمير المؤمنين المؤيد بالله ببلد مدينة صنعاء كانت وفاته رحمه الله بمكانه القصر الأعلى منزل الملوك الأنهى بعلة القروح المتولدة في رأسه ، وظهره بعد أن كان يتعاهده ألم المفاصل والنقرس مدة من الزمان بذلك الايوان لشدة برد المكان ، وكون سهواته التي هي دكاكة مسطوحة بالقضاض وعواقب القعود عليه من أسباب آلام البرد والاقعاد ، ثم ما عارضه أيضاً من ألم البواسير قبل ذلك مع المفاصل لكثرة مكوثه على تلك الدساتير وقلة الحركات معه طول أيامه وشهورة وأعوامه ، وكان بابه للخطير والحقير يتصل به في

(١) هو حمود بن عبد الله بن الحسن بن أبي نمي نازع سعداً في الإمارة لما توفي زيد سنة ١٠٧٧ وبقي تحت حكم سعد حتى توفي سنة ١٠٨٥ «الأعلام ٢ .٢١٨» .

(٢) القنفذة : مرفأ على الساحل الغربي من البحر الأحمر .

(٣) كذا وقد تقرأ مصوف

(٤) العلس حبس من البر ابيض وأحمر ، ولها حب ينبت في غلف في كل غلف حبتان وإذاصلح فقد يكون ثلاث حبات (انظر ملح الملاحة :٥٨) .

غالب أوقاته وبعض أغراضه وينصف شاكيه في حاله من غير تفسير وترديد ولا تقييد ولا تهديد ومع ذلك فكان زاهداً في أموره قانعاً بميسوره غير متطاول في المساكن ولا متشاغل بالأبنية والمفاتن بل من أول ولايته الطويلة لم يتحول عن منزله ولا مرقده بل في زاويته التي يعتادها غير متطلع إلى مكان غيرها ، ومع ذلك فإنه غير منافس في فرشها ولا متخير لنوعها ولا مبدل لها قبل عتقها ، فراشه بسط الشعر في مكانه وديوانه فلعمري أنه كان أزهد أهل زمانه مع تمكنه من حالات إخوانه وما هو فيه من ولايته وإيساره لا سيما بأول رياسته وبسط يده ، وكان رحمه الله كثير الغرائب والنوادر مما يحفظه ويتفق في زمانه من غرائب ما يسمعه أو يراه أو يجمعه من مجون الماجنين وحالات المغفلين وأقوال الأعراب الغبيين وعجائب المخرفين فكاهة زمانه وأعجوبة دهره ، وكان في مدة والده له بسطة الولاية والتصرف في الأعمال والأداب برايه إلى غير بلد ولايته كالحيمة وغيرها من البلدان في تلك المدة والأزمان ، وكانت مطالب صنعاء جميعاً إليه وتصرفها عن كمل مرفوعة له وعائدة عليه ، فكان مع ذلك متصرفاً بما شاء معطياً لمن استعطى حتى حصل بآخره عليه التمحيص كما هو حال الدنيا فيمن يتفق له ذلك حسبما سبق في علمه لما كان ويكون هنالك ، وقبض الإمام عليه جمهور المطالب وما فيه النفع والإمداد في الغالب ولم يبق إلا القليل فكانت أحواله متماسكة مع الصبر والتدبير ، وكان رحمه الله راعياً للمناصب وأهل المنازل بجهده غير متعرض فيها بحدة ورغبة يأتي للأمور من أبوابها متماشياً بما استطاع لأهلها مع نية صالحة وبواطن ظاهرة أنفاسه طيبة وحالاته متحاملة ولا يخشى منه عائلة عطوف في ذاته غير حقود في صفاته هذه كانت حالاته . وكان مدة ولايته بصنعاء قدر أربعين سنة غالبها خيرات دائمة وثمار واسعة وعلل مثمرة وكانت وصيته إلى أخيه الحسين بن الإمام ، وقبر في صرح مسجد الإمام الوشلي وبني عليه صنوه الحسين قبة عظيمة رحمه الله .

وفيها : وصل إلى شهارة قاصد من عند باشا الحبشة في جماعة معه من خدمه فأنزله الإمام منزلاً يليق به ، وأجرى له من السبار ما يقوم به ثم لم يلبث أن مات عقب وصوله شهارة .

وفي هذه المدة : ماتت بنت سلطان الهند في بندر المخا وكانت مريدة للحج إلى بيت الله الحرام قد خرجت بحراً من الهند ومعها من المال شيء عظيم ، قيل وهي كانت

خرجت فيما مضى وحجت وعادت إلى بلادها كما سبق تاريخه ، ثم خرجت بالباقي هذا العام للحج فقضى الله عليها في المخا قبل وصولها ، وقيل هي غيرها .

وفيها : جرت قضية غريبة في هذا الشهر ، وهو أن بني عرهب من أهل الجراف وبني المتيم من صنعاء كانت بينهم شريعة على ساقية وصلبت بين أموالهم فاشتجروا في ذلك وحضروا فيها عند القاضي حسن بن يحيى حابس الدّواري حاكم المسلمين بمدينة صنعاء يومئذ ، فاتفق خصام بين يدي القاضي ، والقاضي يومئذ في الجراف فحمل الغضب الشيطان نعوذ بالله منه ابن المتيم ، طعن اثنين من بني عرهب في الحال وهم خصومه ومن كان بينهم الجميع شجارة ثم احتمل ولد صغير أخ للمقتولين في ابتدا التكليف فلحق القاتل فقتله قصاصاً وكان قد عقر عن الهرب لم يقدر عليه مشياً فسقط القَود واستوفى فيه حكم العمد ، لأن القاتل للذي قتل من جملة الأولياء .

وفي يوم الأحد سابع شهر ربيع الثاني : وصل محمد بن الإمام المتوكل اسماعيل بن أمير المؤمنين إلى صنعاء متولّياً لها من عند أبيه ، وضم والده إليه مع صنعاء بلاد الحيمة وخولان ونهم وسنحان وحراز وبلاد ثلاء وبعض بلاد همدان ، قال الفقيه أحمد بن مهدي قره : وكان الطالع حال دخوله صنعاء الذنب ، واستقر بقصرها . وكان قام قبله يحيى بن حسين بن الإمام المؤيد بالله بعد موت عمه واستند في التصرف إلى أحمد بن الحسن وظن أن الإمام يقرره على صنعاء ولا يحوله .

وفيها : كان الصراب فانحط السعر يسيراً لضعف الثمرة من أصلها .

وفيها : حصلت فرقة بسوق ذيبين بين قبائل حاشد وبكيل فقتل جماعة من الفريقين يقال ستة أو سبعة .

وظهر جراد من جهات تهامة فأكل في بعض من الأماكن الذرة وابتدأ هذه الأيام القحط والجوع فنجع أهل المشارق كافة من بلاد رداع وخولان ونهم وبني جبر وبلاد برط من دهمة وسفيان وقرى كثيرة من بلاد القبلة وكذلك بلاد الخشب ، وما اتصل بها لعدم المطر في الخريف والصيف معا وكذلك ظهر الجوع في بلاد الحقارات والتهائم وريمة وحراز وغير هذه البقاع ، وكان شدته وقوة الجوع في السنة الآتية كما سيأتي ذكره إن شاء الله .

وفي هذه السنة : صال على أهل برط قبائل يام وصابحوا أطرافهم وبدوهم بالمغازي ، فأخذوا من المواشي عليهم واستاقوها بلادهم وظهر ، معهم يومئذ الضعف من الجوع والمرض والموت ، وكلبت بعض كلابهم فأكلت جماعة هلكوا منها .

وفي ليلة خامس عشر : خسفت القمر عقيب طلوعها بلا فصل في آخر برج الثور .

وفي هذه الأيام : اتفق مع جماعة كانوا ببيت القابعي من وادي أقر تحت شهارة نياماً فلم يشعروا إلاّ وقد انتبه أحدهم مرعوباً وطعن أصحابه طعنات قاتلة وهم رقود ، فهلكوا لعدم العلم به ليدفعوه والأمان لجانبه ، فقيل اعتراه جنون وقيل بل كان بأثر مرض منع [1] كثر البخارات عليه إلى رأسه فتغير عقله .

وفيها :[2] كان بصنعاء محتسباً على السوق يلقب بالوارم [3] وهو بسوق الزبيب يتمرقح[4] القات ضحوة نهاره ، فلم يشعر إلا برجل كان عسكرياً في أيامه وقد طعنه طعنة ممحنة [5] في أجنافه[6] بعد أن جلس عنده وعاتبه لما فعل معه الأيام السابقة من التعزير والتنكيل . وكان المذكور قد سار حضرموت مع الشيخ ابن خليل ثم عاد صحبته وهذا الرجل من بلد تسمى شَعَب أطراف بلاد همدان ، فهلك المطعون في الحال بين العالم من الرجال فضُبط القاتل في الحبس أياماً ، ثم سلم للقَود فيما وقع من ذلك العمد ، وكان المذكور قد أضيف إليه الظلم في حسبته والتّعدي في حالته فعجل الله عقوبته .

وفي هذا الشهر المذكور (شهر جمادى الآخرة) شرع محمد بن الإمام لاستخراج غيل في بلاد سنحان في قاع الجردا وتلك الأماكن العليا ، فوجد آثار مجاري قديمة وسواقي وأبنية فخرج أول الغيل من أسفله سقفوها ثم ما زال العمل في أعلاه طويلاً قدر ثلاث سنين أو أزيد قليلاً ولكنه تقالل[7] غيله من بعد ولم يسق إلاّ ما حوله .

وفي رجبها : غزت المعضة بدو الجوف ومعهم غيرهم من بدوهم إلى بيحان فخرج عليهم جماعة من الأشراف بذلك المكان فغلبتهم القوم وكثروا عليهم وتدابروا فقتل من

---

(١) تقرأ هذه اللفظة في المخطوطة أيضاً «مسع» .

(٢) ذكر هذا الخبر صاحب النور المشرق . ١٤٤ (تحقيقنا) .

(٣) في النور المشرق «حسن الوارم»

(٤) يمضغ القات

(٥) لم أقف على هذه اللفظة .

(٦) الأجناف بالجيم الجوانب تحت الصدغ

(٧) تقالل قل ماؤه ، واللفظة مكتوبة في الأصل هكذا أو «تعارك»

الأشراف وأصحابهم ستة ونهب أولئك القوم مواشيهم وذهبوا بها خبوتهم وبواديهم .

وفي هذا الشهر : انتهبت القافلة في العمشية وكان الناهب لها أهل جبل غربان من جهات أطراف خولان (الشام) فأرسل الإمام عليهم جماعة عسكر قدر خمس مائة نفر فوصلوا إليها وانتهبوا عليهم من مواشيهم وجاؤوا إلى الإمام بها : ثم إنهم وصلوا إلى الحضرة العالية يشكون على الإمام ويطلبون ردّها ويعتذرون مما كان مرّ من نهبها فارجع الإمام لهم أكثرها وما بقى منها .

وفي هذا الشهر : وصل إلى الإمام مشايخ الحرامية من تلك البلاد التهامية ومساقط البلاد النجدية بعد أن كان طلبهم الإمام لأجل ما فات وانتهبوه على الحاج في العام من الزاد والأقوات .

وفي هذا الشهر (شعبان) : أرسل الإمام إلى مكة النقيب محمد بن سعيد الحُمْري من لأهنوم ومعه كتب إلى سعد واستطلاع الأخبار عن حوادث البصرة وما لحق من حمود من هذه الفعلة .

وفي رمضانها : توفى السيد الرئيس محمد بن صلاح متولي بندر جازان وأبي عريش كان السيد رئيساً كاملاً ناظماً لبلاده حافظاً لأطرافه ثم خلفه في أمرها صنوه أحمد بن محمد .

وفي العشرة الأخيرة من رمضان الكريم ليلة الإثنين ثاني وعشرين من الشهر المذكور : ظهر في المغرب عمود من نور طويلاً مستطيلاً من مسقط الشمس صاعدا إلى السماء صعوداً كثيراً مشتملاً على برج الحوت جميعاً ثم أول برج الحمل ، وكان ظهوره عند تمكن المغرب وما يزال ساقطاً إلى بعد آخر العشاء ثم يغرب ويظهر في اللّيلة الثانية والثالثة على هذه الحالة مدّة عشرين يوماً ثم اضمحل ، وكان ظهوره ثالث وعشرين شباط وكان هيئته وعرضه أشبه شيء بالمنارة الطويلة وأسفله أعرض وأنهى[1] من أعلاه وهومن ذوات الأذناب التي يكونها الله تعالى وهو علامة الغلاء وقلة الأمطار وارتفاع الأسعار حيث أتى في غالب أحواله وما جرى به التجارب في أوقاته ولله ما يشاء سبحانه .

وازداد حينئذ في هذه الأوقات الجوع الشديد والحاجة وكثرة الفاقة في جميع اليمن ، وزادت الأسعار إلى الغلاء الذي قد مضى ، ودار الناس في الأرض وشق بهم الحال في

---

(١) وانهى هنا بمعنى «أدق» .

الطول والعرض ،ولعله والله أعلم الذي أشار إليه في الجفر بقوله فيه :

سيطلع من مغيب الشمس نجم
له ذنب كمثل الرمح عالي
بوجه مستدير مثل ترس
علامة ما يكون بلا محال

وقال في الجفر عند هذا : محمد عثمان عبد صالح خير من حر طالح وهو بالسيف يقتل انتهى كلامه ، وقد اتفق فتوحاته في بلاد الفرنج كما سيأتي ذكره وكثرة من قتل فيها بسيفه .

وفيها سار القاضي السياغي من رداع مغاضباً عازلاً نفسه عن القضا لأجل ما حصل معه من تقاصر العطا ومعارضة غيره لتحمل القضا واستقر ببيته وأصل وطنه جبل اللوز .

وفيها : أصيب أهل قرية بالشرف بصواعق كثيرة متلاحقة فأهلكت منها بعض أهلها وحصل الضرر فيها فانتقلوا عنها إلى قرية أخرى وخربت تلك القرية وزال سكانها ، ثم أن بعضهم نقل من حجار تلك القرية وأخشابها فأصابه من الصواعق التي كان تجري فيها فتركوها وتركوا أحجارها وجميع الذي بها .

وفيها : انشأ السيد محمد بن علي (الغرباني) رسائل فيها اعتراضات رأيت رسالة منها وطلب جوابها فأجبتها .

وفي هذا الشهر : جاء خبر العمانيين أنه خرج جماعة منهم في غربانهم وبراشهم إلى باب المندب ، وزعموا أنهم يريدون الفرنج حتى خرجوا بالبر ، وكان يومئذ قد خرج أوائل الموسم من الهند فمرّ عليهم من المسلمين من الهند فلم يتعرضوهم ، ثم لما خرج إليهم الفرنج ببضاعتهم يريدون المخا فوقع بينهم قتال استولوا على بعضهم وبقوا هنالك في المندب قريب ثلاثة أشهر ثم عادوا بلادهم .

وفي هذه الأيام : جاء الخبر من جهة مكة والحجاز بمزيد الجوع والغلاء والشدة والموت والفناء ، بلغت الكيلة إلى ثلاثين بقشة يخرج القدح بخمسة حروف ، وحصل موت في الدواب أيضاً لقلة العلف ، وازداد ذلك عند وصول الحاج بمكة فعلى ما روى أنه يخرج في اليوم الواحد نحو مائة نفس فأكثر .

وفي هذه المدة شهر شوال والقعدة والحجة وأول سنة تسع وسبعين إلى آخرها اشتد الغلاء والموت والفناء في جميع اليمن ، وكان أكثره بتهامة والحقارات وبلاد حراز وسائر الجهات فراح سنة تسع وسبعين من الجوع والمرض والموت أمم لا تحصى ، وبلغ القدح في بلاد الشرف والمغارب إلى ثلاثة أحرف ثم إلى اربعة ، والدّجرة ابتاعت بثلاثة حروف والحلص المعروف من شجر الجبال ابتاع في تهامة بدراهم ، وأكل أهل تهامة والحقارات الجلود والميتات ،وقلّت المواشي للحاجة إلى أكلها ، وكانت البلاد العليا باليمن مختلفة غالبها القحط والخلف ، وبعضها فيه نقص ثمرة ، فغنى الذي رزقه الله صلاح ثمرته بالشياطة مع الغلاء ، وفقر المخلف ، فالحكمة لله تعالى يبسط الرزق لمن يشاء ويقبضه عمن يشاء ، ومن نوادر هذا الجوع أن رجلاً غسلوه وكفنوه وظنوه قد مات بصنعاء من الغرباء فلما حملوه تحرّك فوق النّعش ففتحوه وإذا هو يهتف بالطّعام فأطعموه وسقوه ، وإذا هو بخير وإنما ساخ وبطلت قواه بسبب الجوع ، ودخل رجل إلى صنعاء قيل إنه من سنحان أو غيرها ، فكان يأكل الميتات وينهشها بفمه كالكلب الضاري وهو في هيئة وصورة ردية سبعية[1] دقيق الساقين ، ولعل ذلك لشدة كلب الجوع الذي قد ناله وأصابه الهلاع في الأكال حتى لا يقنع بشيء ولا يشبع ، وكثير من الناس يطلب الطعام بالبكاء ومنهم بالتمارض في الشوارع لأجل يرحمه الناس بالعطاء .

وفي هذه المدة : جاور المخا مركب كبير فيه من البز والتفاريق الغالية والمحاسن الفاخرة أشياء كثيرة إلى جهات بندر جدة لعدم اتجاره[2] له في الجهات اليمانية لما ناله من القحط والغلاء الذي لا يعرف في هذه المدة ما إليه انتهى .

وجاء خبر : أن بعض قبائل بلاد مكة من هذيل وتلك العصبة قصدوا نهب قافلة داخلة من جدة إلى مكة فشعر بهم سعد بن زيد بن محسن فأرسل عليهم وقطع أمرهم وقتل منهم وصدّهم عن قصدهم وسلمت القافلة من شرهم .

وكان وقت تحويل هذه السنة بدخول الشمس أول درجة الحمل آخر شهر شوال وحصل قران بين المشتري والزهرة في برج الثور والمريخ كان في العقرب وزحل في أول برج الدلو .

---

(١) نسبة إلى السباع (معروف) .

(٢) كذا تقرأ هذه اللفظة ولعلها غيرها .

في هذه الأيام : أرسل الإمام رسالة في النهي عن الربا في البيع والشراء والبيع بأكثر من سعر يومه لأجل النسا [١] والنهي عن صرف القروش بالدّراهم ، وعدم تحليل الجريرة ، فحصل مع التجار مشقة من أجل ذلك وكلفة عظيمة لاضطرارهم إلى الإبدال بالدّراهم للقروش إذ بيعهم في اليمن للبزوز لا يكون الآ بعددي[٢] وشرائهم في المخا لا يكون إلا بالقروش النقدي ، واضطرارهم أيضاً في المعاملات للبيع بأكثر من سعر يومه لأجل النظرات[٣] والسياقات ، فلم يتم من ذلك الأمر ما أمر به ولم يَحصل منه مراده إلاّ القليل من النّاس وكسد البيع والشراء بحيث انكسر كثير من التجار وخسروا وباعوا في صنعاء بدون ما أخذوا في بندر المخا والرابح منهم من باع بسعر المخا وخسر الملاحيق والربح وغير ذلك .

وفي هذه المدة : مرض رجل أدنف فيه ثم إن الله أقاله ، وأخبر عند صحته أنه حضره ملكان فأراد أحدهما قبض روحه ، فقال له الآخر وهو يسمع : ليس هو المقصود المأمور لقبضه وإنما هو فلان جاره وبَيْته جَنْب بيته كذلك كان مريضاً ، قال : فذهبوا عنه وأنزل الله عليه حال ذلك العافية ، وسمع الصراخ في ساعته في بيت جاره قال : وسمع ذلك الملك يقول للآخر بقى من أجله قدر خمس وعشرين أو نحو ذلك ، وبقى بعده مدة كما رواه المذكور والله أعلم والقدرة لله تعالى [٤] .

ودخلت سنة تسع وسبعين وألف

كان زحل بالدّلو

وفي أول محرمها : جاء خبر الحاج أنه كان دون العادة لا سيما حاج اليماني والعراقي انقطع وصوله هذا العام ، أخبرني بعض الحجاج لما سألته . فقال : كان حج هذه السنة أكثره عسكر وسلاح من الجهات المصرية لأجل ما اختل في الحجاز وراح . ولما وصل حاج اليمن وهو الأغا سعيد بن ريحان أرسل إليه سعد بن زيد إلى الطريق بأنه يدخل

---

(١) النسأ والنسيئة كل زيادة مشروطة أو في حكم المشروطة يتقاصاها المقرض من المستقرض مقابل تأخير الوفا

(٢) يعني نقود صغيرة « دراهم » .

(٣) لعلها النظرات جمع نظير وهو سند الارجاء إلى العام المقبل .

(٤) زاد في المخطوطة بخط مغاير لخط المؤلف لعله خط حفيده المؤرخ يحيى بن المطهر بن اسماعيل بن يحيى بن الحسين قال . وفي أوائل دولة المنصور بالله الحسين بن المتوكل على الله اتفق مثل هذه القصة بعضها رواها السيد حسن بن زيد الشامي المتفق ذلك أنه رأى ملكين متربعين في الهواء وبيد أحدهما شفرة وقال أحد الملكين للآخر . (دخل الكلام في التجليد) .

والعسكر بغير سلاح ولا يظهرونه في الغدو والمراح ولا يصلون على العادة إلى بيت الإمام الذي بمكة ولا ينزلونه وقت الاستروا ح فإن الأمر متغير والحال متقلب والعساكر كثيرة والأمراء جزيلة فيخشى من جانبهم الاستنكار والتعرض والاشتجار ، فامتثل للأمر وفعل ما ذكر ، ودخل الناس حجاجاً واستقروا بالشبيكة على الصورة الخفية والحالة السكوتية .

وفي أول محرمها : قصد أصهار صاحب قلعة دثينة في بلاد بني أرض إلى تلك القلعة وأظهروا زيارتهم لأرحامهم ومن فيها . ثم إنهم قتلوا الشيخ الذي فيها منهم وولده وأغلقوا بابها وسكنوها ظناً منهم أنهم يملكونها ، فأرسل عليهم الحسين بن الحسن من رداع جماعة عسكر فحاصروهم وأرادوا القبض عليهم فلما فَطنوا بالقهر وعدم الظفر وتمام الأمر استلوا من القلعة وهربوا والعسكر دخلوا القلعة وحفظوها وقتلوا واحداً كان ما قد خرج منها من الذين دخلوها .

وفي هذه الأيام : وصل واصل من الهند من التجار فأخبر أنه كان بالبصرة ثم خرج إلى الهند ثم إلى اليمن للحج ، فأخبر عموم القحط في السنة الماضية والتي قبلها في بلاد العجم وما وراء النهر إلى أقصى المشرق وبلاد التّتر في الهند وبلاد الترك بالمشارق وأنه خرج في الهند خارج على سلطانه فجهز عليه سلطان الهند جنوده وبنوده وأنها وقعت هزيمة في أصحاب السلطان من الخارج عليه وسار والحرب مستجر بينهم والحرب مستمر .

وفي آخر محرمها أو صفرها : حصل انتهاب في العمشية لضعف بلاد سفيان وارتحال الكثير من أهلها في الأرض لطلب المعاش لما حصل من القحط والركة من الجوع والارتعاش فجهز بعد ذلك صاحب صعدة مع القوافل عسكراً حتى تخرج إلى عيان .

وكان غرة شهر صفر ابتداء الخريف فحصل مطر يسير أول العام ، ثم اكتف بحكمة الله بالمرة في جميع معالم الخريف ، وشحت السحاب وانقطع القطر الغزير والخفيف ويبس بعض ما كان قد بذره أهله على ذلك المطر القليل ، ولم ينزل التهائم شيء من السيول ولا غيرها ما ينتفعون به من المطر وماء العيون ، والسعر في زيادة يومئذ والشدة والصيف في الغاية والأحوال في الضعف الى زيادة وظهرت الركة والضّعف للنّاس وسقطت أثمان السلع في التجارات وأثمان الأموال في جميع الجهات ، وكثر الموت من

الجوع والمرض فراح عالم لا يحصيهم إلاّ الله تع إلى وبلغ القدح الى قرشين .

وفي هذه الأيام هبت ريح عظيمة ببلد حضور يقال لها القذف ، وحمل بعض من أهلها وحبّها وقذف ، وكذا حملت الريح ثيابهم وتساقطهم على جنوبهم ووجوههم . وحملت الريح جميع الحب لأمر اقتضته الحكمة وسبب ذلك أنه وفَدَ إليهم حال الحصاد وجمع الحب والرواح كثير من الغربة أهل الجوع والفاقة في هذه الحطمة ، فتعاقد أهلها على أنهم لا يعطون أولئك شيئاً منها فخيّب الله نيتهم وأذاقهم حرمانهم لأن إعانة هؤلاء الذين على هذه الصفة ممن وجب إنقاذهم بما يسد الفاقة وفيه تأكيد وجوب سدّ الرمق واعانة الحاضر ولو باليسير مما ليس فيه تبذير بل هو في التحقيق زيادة ونمو وبركة ووقاية ، وما أشبهها بما قصّه الله تعالى بسورة نون من حرمان أولئك المساكين حيث قال تعالى حكاية عنهم ﴿ أن اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إنْ كُنتمْ صارمينَ﴾[1] ﴿أن لاَّ يَدْخُلَنَّها اليْومَ عليكُم مسكينٌ﴾[2] ﴿فأَصبحتْ كالصَّريمِ﴾[3] .

وجاء خبر أنه حصل إعانة بطعام من مصر إلى مكة فنقص السعر فيها عما كان أولاً بها .

وفي ثامن عشر محرم منها : كان توفى القاضي العارف أحمد بن سعد الدين المسوري[4] الذي كان كاتباً مع الإمام المؤيد بالله ثم استمر بآخر مدته مع الإمام المتوكل . وقد كان بايع صنوه أحمد كما سبق ذكره ، وكان بينه وبين المؤيد بالله حسن ألفة وصحبة وزيادة مودة وسماع كلمته وتعظيم شوره وقبول خصمته والاحتمال له . وكان اعتراضاته وخطاباته ورسائله[5] إنما يوجهه إلى الإمام دون غيره من سائر الأنام ، فمن أحسن ما وافق الحق قوله إن الناظر الذي على أوقاف صنعاء حسّن للإمام أن يزيد في الأجر للأوقاف على ما كان في عريص[6] الحوانيت مما وضعه سنان[7] التي هي أملاك للناس وفي عريص البيوت ، فقال القاضي للإمام : إمام بعد إمام ودولة أظلم من سنان . فترك الإمام ذلك المرام وكان ذلك منه حسنة للأنام لأن العمارات كانت بمواطاة على ذلك القدر في ذلك الزمان فالزيادة فيها ظلم وعدوان ، لأنهم بعد العمارة لا

---

(١) سورفة القلم الآية :٢٢ .

(٢) سورة القلم الآية :٢٤ .

(٣) سورة القلم الآية : ٢٠ .

(٤) من علماء اليمن ترجمته في : حلاصة الأثر ١ :٢٠٤ نفحة الريحانة ٣ :٥٢٩ البدر الطالع ١ :٥٨ ديل أجود المسلسلات :٢٥٦

(٥) الأصل : رسالة .

(٦) عريص : جمع عرصة الساحة من الدار وقطعة الأرض .

(٧) سان باشا : حاكم اليمن من قبل العثمانيين من سة ١٠١٣ - ١٠١٦ .

يحسنون في تركها والخروج عنها مثل سائر الأجراء فيكون ذلك جار مجرى الإكراه والظلم كما لا يخفى مع ما في كثير من الوقف من المظالم التي ظلم الناس البوني[1] زمن سنان كما سبق في تاريخ زمن جعفر مما شكاه الناس كما مر[2] ، وكان القاضي المذكور لا يكلم أحداً من الناس ولا يبدؤه ذو انقباض كثير ووحشة من هذا الرجل الشهير ، وقد يتبسّط مع الإمام ويسترسل في الحديث ويجهر بالكلام بإقبال واستمرار واحذار ، ثم يقبض عنانه ويلجم لجامه ويعرض عن خطابه فيسكت كأنه أصم ، وكأنه لا يدري ما يقول ولا يفهم ، كأنه يحصل معه نوع تلوّن وعارض وتمنّن بحيث يعجب من حالته ويتوهم من ليس يعرف بطبعه أنه قد تغيّر في وجومه وقبض لسانه . واستنكر شيئاً من شأنه وإنما هو طبعه وحالته ، وكان غالباً لا يفضي لأحد غرضه ولا يدل عليه بشر[3] . . لما يرى من وحشته وإعراضه فالمذكور له زفرات وسكنات ، وحالات مختلفات له في العلم جمليات وسجعات وخطب ووعظيات يأخذها غالباً من نهج البلاغة ونحوها من خطب أهل البلاغة ، ويعتمد كتب الهادي ولا يلتفت إلى غيرها ويعرف بالفضائل والمناقب ويعرض عما سواها . وكان إذا سئل عن شيء من المسائل الدقيقة تخلص واحتال بالذم للمتوسعين في العلوم الجليلة فكان ذلك منه تشنية على أهل المعرفة ، وهو إنما لم يرد به[4] المحذقة وعدم ظهور أنه على غير المعرفة الكاملة ، وليس هذا من الخصال الشريفة فإن العلوم أجل من الجهل بها ، وكانت خطبه يضمنها بالقرآن الكريم وذكر وعده ووعيده وأشياء من آياته تعالى ثم يتبعها من خطب نهج البلاغة ولا يثني ولا يدعو لأحد من الصحابة ، وظاهره في العقيدة عقيدة الجارودية والتحامل على الصحابة ويطرح كتب جميع أهل السنة وكتب المعتزلة ، واعتنى المذكور بجمع فتاوى الإمام المؤيد بالله ، وله الرسالة التي تقدم الإشارة إليها في الطعن في الحديث وقد أجبتها وذكرت أقوال الأئمة والعلماء في نقضها ، وكانت وفاته بشهارة وقبر فيها إذ هي وطنه ومستقره ولم يعقب ذكراً بل بنت واحدة وكان قد جمع كتباً بخطّه وأكثرها في المناقب والفضائل والرسائل ، وله مختصر من جلاء الأبصار الذي أصله للحاكم قليل الفائدة ،

---

(١) هو محمد بن أحمد البوني وقد شكاه الناس من أهل صنعاء الى الباشا جعفر بسبب التعدي على أموالهم وأدخالها الوقف فقتله سنة ١٠١٦ ،غاية الأماني :٧٩٤ .

(٢) انظر غاية الأماني : ٧٩٤

(٣) كلمة مختلطة لم تتضح .

(٤) كلمة غامضة .

ومن غرائبه في تأويله لحديث أن العبد يكتب في بطن أمه شقي وسعيد فقال : الأم هي الأرض بعد الدفن في القبر ، وهذا باطل وتحريف عاطل مثل تأويل الباطنية من الرافضة ، لأن الحديث في لفظه مصرح ببطن الأم حقيقة وعلمه تعالى سابق للأشياء قبل خلقها وكتابة اللوح المحفوظ معلوم بها قبل وجودها ، ومن غرائبه أنه سأله سائل فقال : صار المستحق هذا الزمان للصدقات هو محروم والغنى تصير إليه من ذلك أوفر المقسوم فأجابه القاضي وقال : عطاء الأئمة مثل المطر يصيب العاطش من الأرض وغير العاطش والمحتاج وغير المحتاج . وقد اتل لي منه طريق في المرويات .

وفي هذه السنة والتي قبلها ظهر مع جماعات الأخذ في جانب الصحابة وظهر عنهم ولم يعرف لأحد في الزمان المتقدم ، وكان سبب ذلك أبيات قالها الفقيه صالح المقبلي [1] الثلائي فحصل هذا الأخذ في الصحابة والتجاري في السبابة وحصل مع ذلك أيضاً الأخذ في الأئمة كالهادي والإمام المهدي ، وقالوا خالفوا زيد بن علي ومن تأخر منهم معتزلي إلى غير ذلك ، وكان السيد أحمد الآنسي خبيث العقيدة رافضياً فقال :

إذا غضبت أمنا فاطمة   وماتت بغصتها الدائمة
فكيف نرضى عن المغصبين   لها كالإبل السائمة
وفيم التحرج من لعن من   على لعنه حجة قائمة
ومن كان خصما لبيت الرسول   فهي له في غد حاطمة

فأجبت عليه :

لقد رضيت أمنا فاطمة   وماتت وما بك باللائمة
فكيف التحرج عند الترضي   وفي اللّعن لا حجة قائمة
ومن كان خلفا لبنت الرسول   فهي له في غد خاصمة

وكان هذا السب والقصائد من هؤلاء في هذا العصر نشأ من بيتين أنشأهما الفقيه صالح بن مهدي المقبلي ، أصله من جبل تيس ثم استقر بمدينة ثلا المحروسة فقال فيها :

قبح الاله مفرقا   بين الصحابة والقرابة
من كان هذا دينه   فهو الشقي بلا استرابه

---

(١) من علماء اليمن وفاته سنة ١١٠٨ ه البدر الطالع ١ .٢٨٨ ، نشر العرف ١ .٧٨١ .

فلما وقف عليها السيد أحمد الآنسي أنشأ هذه القصيدة وخص الجواب على هذين البيتين بقصيدة قال فيها :

ماذا وفرت على الذآبة تـرب بفيك وجندل

ماذا خصصت أبا تراب به إذا ساوى ترابه . . .

وزاد على احمد الآنسي ، حسن بن علي بن جابر الهبل بما هو أعظم وأكبر من قوله أخزاه الله وعاد لعنه عليه فيما لعنه :

ألعن أبا بكر الطاغي وثانيه والثالث الرجس عثمان بن عفاناً

وقد أجاب عليه السيد لطف الله بن علي بن لطف الله شرف الدين والفقيه حسن الفضلي الآنسي فمن جواب السيد لقدمه قوله :

تبت يد أخس ثاني أبي لهب قد أصليا لهباً محمى ونيراناً . . .

ولهذا الرافضي ديوان يتضمّن الشتم للصحابة عليهم الرضوان قد أضل به كثير من إخوانه الرافضة والطغيان والجهال ، الذي قد ثبت أن أجهل الناس من سب الصحابة ، وزاد هذا الرافضي بما لم يتفوه به رافضي قبله في قوله وألعن محبهم لأن الله تعالى يقول «فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه» وبالإجماع من المفسرين أنها نزلت في أبي بكر لما قاتل أهل الردة من بني حنيفة وغيرهم لأن الآية في المائدة في سياق قوله «من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه» وهو خطاب للمؤمنين وحصلت الردة بعد موته صلى الله عليه وسلم ممن أسلم في حياته ، وهم مثل بني حنيفة وجماعة باليمن وعمان ارتدوا ، فقاتلهم أبو بكر بسبب ذلك لم يقاتلهم غيره رضي الله عنه ، فالله تعالى حكم بأنه يحبهم أعني الذين قاتلوا أهل الردة الذين منهم ابوبكر وقومه كأبي موسى الأشعري وأصحابه وغيرهم ، فقد أتى هذا الرافضي شططاً عظيماً وقولاً جسيماً ما قد قال به أحد من الرافضة قبله ، ولكن ما عصى الله بشيء أعظم من الجهل ، فإن الرجل كان شاباً ورأى بعض المتشابهات من أقوال الرافضة فقال من حيث لا يدري بالمعتقدات وبالروايات الصحيحات ولم يخالط العلماء ويسأل ويأخذ الحقيقة ويستكشف المشكل بل وقع فيما وقع فيه ، فلا قوة إلا بالله نعوذ بالله من الجهل ونسأله الثبات الذي وعد به تعالى بقوله تعالى «يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة»

ونعوذ بالله من الضلال ، ومما بلغ بهذا الرافضي من المزال ونستغفر الله حكاية لفظه وكتبه لكن ذكره كله لأجل لا يغتر به من يغتر من الجهال لأن قد صار ديوانه وأقواله منقوله مع الجهال من اخوانه الرافضة ، والرافضة هذا الزمان الذين من الزيدية كثير الاّ أن منهم من يتستر بمذهبه ولا يظهره عند سائر الزيدية غير الرافضة ولم يظهر الرفض الاّ هذا حسن بن علي الرافضي ، والسيد أحمد الآنسي ، والسيد صلاح بن محمد العبالي والفقيه أحمد بن عبد الحق[1] الحيمي ويحيى بن المويد[2] ، فهؤلاء الذين أظهروا الرفض والشتم وكبيرهم الذي أفضع حسن بن علي بن جابر الهبل ، وعندما جرى هذا ترجح للفقيه صالح المقبلي الثلائي اليمني أن باع املاكه ورحل بأولاده الى مكة واستقر بها ودخل في مذهب الشافعي رحمه الله [3] . .

وقد جرى مع كثير ممن ولع بسبّ الصحابة رضي الله عنهم سوء الخاتمة نعوذ بالله من سوء الخاتمة ونسأله أن يرحمنا بصلاح الخاتمة والرضا والتوفيق . أخبرني الثقة أن هذا حسن بن علي بن جابر لما ذكر له في مرض موته التوبة فقال : ذاك هوالذي يلقى الله به وأن ذاك سببه علي بن أبي طالب هو الذي ترك حقه وأنه قد عصى بترك حقه وربما وسبّه ، فأعجب وانظر كيف ختم له سبّ الصحابة من أجل علي ، ثم طغى الى سب علي رضي الله عنه ، وكان رجلاً يقال له الفقيه صلاح القاعي من رافضة الهدوية لما حضرته الوفاة قال لزوجته انها تنادي أن الفقيه صلاح القاعي مات كافراً ، هكذا روى لي هذا السيد لطف الله بن علي وروى هذه الرواية الأخرى عن صهره محمد بن حسن الحيمي وهو ممن حضر موت خاله صلاح القاعي المذكور . ولما مات محمد بن صالح العجمي الرافضي من الإثنى عشرية قال الراوي : أنه ظهر في لسانه سواد عظيم ، قال الراوي : وكثير من الرافضة غالبهم أو جميعهم تكون خواتمهم خواتم سوء فنسأل الله السلامة والأمان من العذاب وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم ، وكان منهم السيد صلاح بن محمد العبالي فأمر محمد بن المتوكل بحبسه لأجل تعصبه وامتناعه عن ترك ذلك ، وأمر بإخراجه من القصر الى حصن ثلا فاجتمع بكثير من عامة صنعاء وصبيانهم ، يقولون عند خروجه : هذا جزاء من سب صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أن

---

(١) هو أحمد بن ناصر بن محمد بن عبدالحق المحلافي المتوفي سنة ١١١٦ جامع ديوان الهبل .

(٢) هو يحيى بن الحسين بن المؤيد سمي المؤلف

(٣) قلت : لم يدخل المقبلي في مذهب الشافعي وإنما ترك التمذهب وسلك طريق الاجتهاد والله أعلم .

زيد بن علي رضي الله عنه ممن حرم سب الصّحابة وغلظ في النهي عنه كما علم عنه بالتّواتر ضرورة ، حتى أن بعض جهلتهم قال لبعض من راجعه فيهم واحتج عليه بأنه يجب القدوة بالإمام علي فإنه قصد وشكر وحضر جماعتهم وجمعهم ، ولم ينكر أحوالهم فقال عند ذلك : «ترك علي خطا وغلط ، والا فكان عليه القيام عليهم .

وهؤلاء الذين أخذوا في جانب الصحابة رضي الله عنهم كلهم أحداث صبيان ما قد عرفوا العلم بالحقيقة ولا أخذوه بالطريقة فيعملون بالظواهر والإطلاقات ولا يضمون الكلامات بعضها الى بعض ويجمعون بينها ويوفقونها فبسببه حصل هذا الأمر العظيم نسأل الله التوفيق ، ثم انجر ذلك الى كتابة اللعن في كل ما وقفوا عليه من الكتب في ذكر أحد من الصحابة ويخالفون مقصد المصنّفين ، والمؤمن ليس بلعان ويلعنوا بكثير من هذه الكتب . وزادوا ونقصوا فيها فلا حول ولا قوة الا بالله ثم انجر الى طمس بعض شيءمن نصوص زيد بن علي رضي الله عنه في مجموعه مما ظاهره موافقة أهل السنة وقصّ ورقة بالمقاريض فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ، ثم نقلوا عن هذه النسخة المغيّرة المنقصة المحرفة نسخاً ، فيتوهّم المتوهم ممارأى اختلاف النّسخ والعياذ بالله الدّس بالزيادة وليس كذلك فإن التحريف حصل بالنّقص كما هو في النسخ القديمة ثابت والنقص باطل فيعلم ذلك ان شاء الله .

وفي شهر ربيع الأول ليلة الخميس ثامن الشهر المذكور توفي محمدبن الحسن بن الإمام القاسم بمحروس الروضة عند وصوله من بلاد ذمار وبعد طلوعه من اليمن الأسفل بداره وبستانه ، وكان قد بادر بالخروج من صنعاء عقب دخوله اليهابلا فصل لأجل الخريف لأن ذلك الوقت كان أول الخريف فمات هنالك رحمه الله ، ودفن في جانب من بساتينه تلك ، وكان موته رزءاً كبيراً في الإسلام لكونه العمدة في النظام والمنفرد برعاية أكابر الإسلام من الأعيان والوفاد والعرب والانبساط والاحتفال وعدم الإهمال وحفظ العسكر والمحبة له من الأكثر مع الاطلاع على الدفاتر والمشارفة وقرب الحال والخاطر ، وكان له مشاركة في العلم أخذ فيه على القاضي أحمد بن يحيى حابس في صعدة أيام سكونه فيها ونيابة والده له بها ،فأسمع الكشاف والبحر وشرح الأزهار ، وما زال وسائر مدته وزمانه يفتح في قراءة السير والأخبار وكتب المناقب الكبار ، وحضر وفاته عمه الإمام المتوكل على الله وصليّ عليه ، وكان رحمه الله أوصى بوصية متقدمة

فيها تفصيل ما يخصّه ، وما لبيت المال يتذاكر ولم يحددها ، فعمل بها ولم تؤخذ تلك الأمور التي كان عيّنها لتحولها والتصرف فيها بعد طول المدة من وقت تاريخها ، فميز ذلك بعد نظر يحيى بن مهدي خازنه وما قال خاص سلم لورثته وما قال عام قبض لبيت المال وصرفه الإمام ، وله شرح[1] صنفه على المرقاة التي للإمام القاسم أعانه فيه الفقيه العارف مهدي بن محمد المهلا وفيه أوهام منها : في حقيقة الإيمان والإسلام وانهما شيء واحد بدليل قوله تعالى «فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين»[2] احتج به على أن الإيمان والإسلام شيء واحد وأنه لا يطلق على الفاسق ، وهذا قول المعتزلة وهو مخالف لأصل صاحب المرقاة[3] كما صرح به في الأساس حيث قال : الفاسق لا يخرج عن الإسلام ، وقال ما لفظه : فاعل الكبيرة غير مفضية الى الكفر مسلم فاسق انتهى ، وهو قول أهل السنة فأما القول الأوّل فهو للمعتزلة والآية حجة على أن الإيمان والإسلام شيء واحد فأما أنه لا يطلق على الفاسق فلاحجة فيها أصلاً فما ذكره الشارح للمرقاة مخالف لقول المصنف .

ومنها : مسألة التّرجيح فإنه ذكر الشارح وأطلق التقابل بين الكتاب والسنة والترجيح اذا تعذر الجمع والتعارض في الكتاب غير واقع إذ لا يصح ترجيح السنة على الكتاب أصلاً . ومنها : تفسير «أنا مدينة العلم وعلي بابها» الحديث الذي أخرج الترمذي[4] بلفظ عنه صلى الله عليه وسلم « انا دار الحكمة وعلي بابها » فجعل ذلك من الاستعارة بالكناية وليس الأمر كذلك بل من التشبيه البليغ لأنه ذكر المشبه والمشبه به مع حذف أداة التشبيه وذلك هو حال التشبيه البليغ ولعله قلد السيد أحمد الشرفي لشرح الأساس فإنه ذكره كذلك وهو غلط ، وغير هذه الأوهام للمذكور للمذكور ، وله أيضاً جواب على الشيخ أحمد بن علي مطير الشافعي فيما أورده على الحديث عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ستفترق أمتي الى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار الا فرقة واحدة ، فقال الشيخ ابن مطير : هذا لا يصح لأنه لم يروه غير معاوية مع ظهور الأدلة على فضل هذه الأمة ، وأنكر النسخ في الشرائع ، فأجابه المذكور وأعانه فيه الفقيه العارف عبد

---

(١) منه نسخة محفوظة تقلم المؤلف بجامع صنعاء (العربية) رقم ١٤ أصول فقه (أنظر كتابنا مصادر الفكر الإسلامي : ١٨١) .

(٢) الآية ٥٣ سورة الذاريات .

(٣) هو الإمام القاسم بن محمد .

(٤) سنن الترمذي : ٣٧٢٣ عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه .

الرحمن الحيمي والفقيه مهدي المهلا ، والأمر ظاهر فيه فإن ابن مطير ما عرف طرق الحديث فإن الراوي له كثير غير معاوية وقد بسطنا القول فيه في «المسالك»[1] وله مختصر في أصول الدين على مذهب المعتزلة ويجري فيه مجرى الإمام القاسم في أساسه . وهو أول من جار في مطالب اليمن من أهل هذه الدولة فإنه زاد فيها على المعتاد وأمر عماله بذلك حتى كان يصح مع أهل اليمن النّصف والنصف يأخذه . أخبرني جماعة : أنه أمر العمال أنكم لاتتركون لهم إلاّ الثّلث ، وكان لسوء اعتقاده فيهم وأنهم جبرية عنده . وجرى أيضاً على ذلك فيهم المتوكل بعده فلا قوة الا بالله . وفي هذه المدة كان مضربا عن الطلوع الى البلاد العليا ، فكان الى هذه المدة واقتضّب الطلوع اقتضاباً بهمة ومبادرة ولم يقف بذمار مع أن فيه داره وأهله وقراره ولا بضوران ولا بصنعاء بل استقر بالروضة لما علم الله تعالى من الحفرة ، حتى لقد ذكر لي بعض من كان عنده يوم سار من إب وجبلة قال : لم يتحدّث بعزمه الا ليلة سفره قال هذا الراوي : وكان في ألسنة أهل اليمن يتحدثون أنه اذا طلع من نقيل سمارة لم يعد إليه ، قال : وكان العادة لا يطلع الا من نقيل صيد أو غيره الا هذه المرة وطلع من نقيل سمارة . وكان ملوك الأولين يطلعُون في الغالب من غير سمارة كنقيل صيد لما يتحدّث به أهل البلاد في سمارة من النقل على الملوك حال الطلوع والسلوك لا النزول فلا ، فهذا من النوادر والعجائب والحكم لله في كل الأمور ، وله من المآثر توسيع جامع ذمار جهة غربية قدر الثلث أو أكثر وخشر[2] منارته وإعادتها على الصحة بعد أن شارفت على الخراب والذهاب ، وكان محمد بن الحسن مطلعاً على جميع الأمور حافظاً للجنود فلما توفي انتثرت الأمور ، الاّ أن الآداب والنفائع يجور فيها ، ولا يرد عن المشكى وإن انكشف غير مخط .

وقبيل هذه المدة (شهر ربيع الأول) أرسل الإمام بهدية لباشا الحبشة مصطفى عوضاً عن الهدية التي وصلت اليه منه فأكرم الرّسول وأعزّه وأجلّه وذكر له محبته لأهل البيت وللإمام ولجميع الأشراف وأنه قد عزل ثلاث مرات ويعود .

وفي هذه المدة خرج الى اليمن كثير من بلاد العجم يتعيّشون لما وقع في بلادهم من القحط والجوع العام الماضي ومنهم من أكل الميتات بل ورَجل منهم حمل طفلا صغيراً

---

(١) يعني كتاب المؤلف «المسالك في ذكر الناجي من الفرق والهالك» سبق ذكره .

(٢) خشر : نقض .

وأدخله بجرابه فتداركه أهله وقد أشرف على الهلاك لاغتمام نخسه[1] وأنفاسه بالجراب ، وآخر أيضاً فضربوه ضرباً شديداً وحبسوه وصاحبه وطردوا الآخرين فتفرّقوا ، وبقى منهم من كان من أول لا يعرف منه ذلك ، وسألت واحداً منهم فقلت : من منكم يأكل بني آدم فأجاب علي : بأنا نقرأ القرآن ونصوم ونصلي لا نستحل هذا وإنما هؤلاء فرقة من السليمانيين من أطراف الهند يفعلون مثل هذا الفعل القبيح .

ولما وقعت التّعْشيرة في بعض الجمع رمى أحدهم التعشيرة فسقطت الفتيلة فانحنى ليلتقطها ثم انتصب قائما في تعشيرة الذي بعده فوقعت الرّصاصة في رأسه حال انتصابه على جهة الخطأ فسقط في الحال ميتاً ، وهذا من أصحاب اسماعيل بن محمد بن الحسن هذا المرمي الذي وقع فيه الخطأ .

وأولاد محمد بن الحسن رجع بعضهم الى عمهم احمد بن الحسن ، وهو يحيى الكبير فرأى منه عدم كمال الإجابة فيما يريد ، وكان طامح النفس ربّما يريد بلاد والده أجمع له ، وأحمد بن الحسن رأى أن ذلك لا يتم فباعد الأمور ، والإمام ذكر لأحمد بن الحسن وقال هذه البلاد التي ولاّها محمد بن الحسن لأولاده لهم على جاري عادتهم ، فالحجرية وبلادها ليحيى بن محمد والعدين الى اسماعيل وسائر البلاد لنا النصف واليكم النصف ، وعسكر محمد بن الحسن عهدتها اليكم ، فكأن قد ساعد أحمد بن الحسن الى ذلك ثم اعتذر عنه ، وتمزّق جنود محمد بن الحسن حينئذ وتفرقوا فمنهم من سكن عند الإمام ، وهم الأقل ، ومنهم عند أحمد بن الحسن ، ومنهم من ترك الملازمة من الأصل ، ومنهم سار الجهات الشامية وتفرقوا وتبددوا ومات كثير منهم هذا العام مع من مات فيه من العالم لأنه كان بآخر هذا العام ووسطه موت هائل وفناء واقع في الناس نازل ، بحيث عمّ جميع أرض اليمن وهلك فيه أمم ، منهم من الغرباء بسبب الجوع والقحط ، ومنهم بسبب المرض من قبيل الحمى المطبقة المُسْبَعة فلله الأمر من قبل ومن بعد ، بحيث اجتمع في هذا العام الثلاثة الأشياء التي ذكرها الله تعالى ، من النقص في النفس والمال والأهل ، كما قال تعالى ﴿ونَقْص من الأموال والأنفُس والثَّمرات﴾[2] الذي حُصرَ من الروضة قدر ألفين ، ومن ضوران ثمانية آلاف بحيث خرج في يوم سبعون جنازة ، وكان

---

(١) نَخْسَه : أنفاسه .

(٢) الآية : ١٥٥ سورة البقرة

يخرج من صنعاء كل يوم قدر ثلاثين نفسا وأكثر من ذلك في أكثر هذه السنة وكذلك بمكة والحجاز عالم لا يحصى ، وهلك في سائر اليمن كالتهائم والحقارات ثم الجبال والشروق أمم وقلّت المواشي .

وفي يوم الثلاثاء عاشر شهر جمادى الأولى توفي السيد العارف الهادي بن أحمد الجلال[1] في بيت صنوه الحسن بن أحمد الجلال بالجراف من متنزهات مدينة صنعاء . وكان هذا السيد أولاً ساكناً ومستقراً بأهله بمدينة ذمار مدة من الدهر ، وكان يختلف الى اليمن الأسفل لقبض أشياء من تقاريره التي كانت بنظر محمد بن الحسن ، ثم لما استقر بعد ذلك في اليمن الأسفل وأنزل أولاده من ذمار اليه في العام الذي قبيل هذا وطلع الى صنعاء من جهة سباره[2] وتحول أحواله وأموره بعد موت محمد بن الحسن لاغير ، وكان مراده العودة الى ذلك المكان المقصود ، فسبق الأجل وحرمه ما يريد من الأمل ، وكان سكونه هذه الأيام باليمن يسمع بعض كتب الحديث هنالك ورجح من مذاهبه مذهباً منفرداً غير مذهب صنوه الحسن وغير مذهب الهدوية واعتقد اعتقاد الأشعرية ، وصنّف عقيدته في ذلك وقفت عليها بخطه وقرر ثبوت الرؤية وزاد على الأشاعرة في جعلها رؤية حقيقية كمذهب أوائل الحنابلة وجوز حصولها في الدنيا والأشاعرة يمنعون الرّؤية حقيقة ويمنعون الرؤية في الدنيا وغير ذلك كقطعه بخروج العصَاة من نار جهنم بالقطع[3] وأهل السنة مختلفون في ذلك فكثير منهم لا قطع بذلك بل ظن فقط ، فزاد السيد أشياء أخر ذكرها في عقيدته يختص بها كقوله بأن الظن يكفي في المسائل العلمية وهذا لا يقول به أكثر البرية ، وكان المذكور له معرفة في النحو ومشاركة في الحديث .

وقبله في الشهر الماضي مات السيد الهادي بن أحمد القطابري الديلمي ، هذا السيد من سادة قطابر[4] بشام صعدة من ذرية أبي الفتح[5] الديلمي كان له مشاركة في الفقه وله مسكة بالنحو . وكان شاعراً . وفد الى محمد بن الحسن قبل طلوعه ، وطلع معه الى صنعاء ومات بها رحمه الله .

---

(١) سبارتهم : نفقاتهم ومصاريفهم من الطعام والمال ونحوه .

(٢) الحراف : في كلام أهل صنعاء قلة ذات اليد وهو بكسر الحاء المهملة .

(٣) كذا وكأنهم جمع طواري والله أعلم

(٤) الغربة : بالهاء هم العرباء .

(٥) قراضة :بالقرب من لاعة كما ذكر المؤلف ولاعة من أعمال حجة .

وفي هذه المدّة تعطّلت أكثر المدارس والمساجد من كثرة القراءة في الزمان السابق من الوافدين والأعراب القاصدين لعدم القيام بحالهم وتناقص سباراتهم[١] وعدم نظم حالاتهم ، مع تقاصر الهمم التي صارت في الإقبال أقرب الى العدم ، مع انه كان قد وصل من الإمام الى ولده محمد قبيل وصوله صنعاء من السودة يذكر فيه افتقاد ولده للمعالم الدينية ومصارف الوقف ومن رأى منه الإقبال للعلم كفاه كفاية فاضلة لا تلجئه الى اشتغال خاطره لأجل يتفرّغ للعلم ويقرب له الفهم ، فلما وصل الكتاب وما فعله من الخطاب كان كأنه سراب ، ولم يخرج شيء لا من عتَبة ولا باب بل زاد الحراف[٢] على الدرسة وأهل التّقارير من الأوقاف ، والحرمان ونقص ما كان لهم من التقرير في ذلك الزمان بسبب مزاحمة محمد بن الإمام للطوارير[٣] والأوصال على جانب الوقف في جميع الأعمال ، فلم يتّفق لأهل التقارير الا التّافه اليسير ، وقلّ طلبة العلم من الأعراب وساروا بلادهم واشتغلوا بكسبهم وأموالهم وأهلهم ، وعزّت الأسعار وغلت .

وفيها : خرج صاحب جمل هائج من باب السَّبَحَة من صنعاء ، وصاحبه يقوده وهو راكب على حمار والخطام بيد صاحبه ، فلم يشعر الاّ وقد التقم رأسه ثم رفعه الجمل في الهوى وخبطه الى الأرض وعضّه عضة أخرى في فخذه فمات المذكور من ذلك بقى بقية يومه وهلك .

ولما اجتمعت الغربة[٤] بجهة بلاد قراضة[٥] بلاعة والجوع الشديد فيهم فكثروا حال الصراب فانتهبوا من الزّراعة للجوع والاضطرار الهائل فيهم ، فدافعواهم أهل المال وقتلوا اثنين لعدم اندفاعهم وفات من الزراعة ما فات .

وفي شهر جمادى الأولى في يوم الإثنين تاسع وعشرين منه : كسفت الشمس في برج العقرب بعقدة الذنب في آخر ساعة من ذلك النهار والطالع الثور .

وفي هذا الشهر : مات السيد قاسم بن ابراهيم الديلمي كان سيداً لا بأس به كاملاً خيراً وفياً صادقاً ببلدة قرية القابل[٦] من وادي ظهر ، وكان المذكور اليه ولاية بلاد نهم والنهر

---

(١) سبارتهم : نفقاتهم ومصاريفهم من الطعام والمال ونحوه .

(٢) الحراف : في كلام أهل صنعاء قلة ذات اليد وهو بكسر الحاء المهملة .

(٣) كذا وكأنهم جمع طواري والله أعلم .

(٤) الغربة . بالهاء هم الغرباء .

(٥) قراضة بالقرب من لاعة كما ذكر المؤلف ولاعة من أعمال حجة .

(٦) قرية القابل : تعرف باسم الروض وهي من قرى بني الحارث أسفل وادي ضهر وقد اكتفى الناس الآن بتسميتها بالقرية .

في الوادي ، وكان سبب موته أنه طلع على سطح بيته فسقط على رأسه الى الحجرة فاندقت عنقه فمات في الحال .

وفي ليلة خامس عشر من جمادى الثاني : خسفت القمر بالرأس في آخربرج الثور .

وفيها مات فقيه القاعدة [1] بجهات تعز باليمن الأسفل ، كان هذا الفقيه له معرفة بالرمل وبعض الفلك والحرف كما روى ، وكان أحمد بن الحسن استدعاه لمعرفة شيء من هذا فعرفه ببعض شيء من ذلك واعتذر عن غيره .

وفي جمادها الثاني :وقع مطر باليمن في ليلة واحدة والشمس في آخر برج العقرب بشهر تشرين الثاني آخر مطر الوسمى [2] فانتفع كثير من البلاد به لثمرة الربيع والقياض وبعضه بين الشتاء وعدم البرد ، وسقط ثلج كبير بجبل عيان غربي صنعاء اليمن وهو لا يحصل فيه ولا يعتاده وإنما يقع الثلج في جبل القاهر بحضور .

وفي جمادها الثاني : انتهبت قافلة بالعمشية وهي داخلة صعدة من صنعاء لتجار ومتسبّبين والناهب ذو محمد من برط وقتلوا من أهل القافلة واحداً في حدّ سفيان وآل عمار قبل أن يلتقيها آل عمار فغنم الفرصة دهمة فانتهبوها ، ثم غارت آل عمار وسفيان فانتهبوها مع النّاهبين . وكانوا الكل متعدين ، ثم انتهب أيضاً بعض الذين نهبوا من برط بعضهم البعض ، فهذا من العجائب وسببه الضّرورة من الجوع ونقص سبار من سفيان لعدم الوفاء لهم بالذي يعتادون من الدولة .

ويحيى بن محمد بن الحسن لما أيس عن التولية ببلاد أبيه وعرف عدم معونة عمه أحمد بن الحسن فيما يشتهيه ، سكن دار المدرسة على الكمد والقبض وشدة الغم والضيق واحتجب أكثر أوقاته ولم يسأل الإمام ولم يخاطبه في شيء مما يريد .

والإمام قبض الزمام ونقص على أهل التقارير ما يعتادونه تلك الأيام .

وفي رجبها : توفي يحيى بن محمد بن الحسن بصنعاء وهو في أثر الهم [3] لما كان يريده ويهوى فاعتبر كثير من العقلاء بحقارة الدنيا والقناعة فيها ، وكان أراد الحاضرون أن يقبر في حوطة المدرسة وقد حفر قبره . ثم رجح أحمد بن الحسن في جوابه الإخراج له

---

(١) زاد في طبق الحلوى : ٢٤٤ «فقيه القاعدة الحصباني» .

(٢) الوسمى : هو مطر أول الربيع سمي به لأنه يسم الأرض بالنبات .

(٣) الأصل كتبت هذه اللفظة هكذا «الكهم» .

الى حوطة أبيه وجواره ، فأخرج وقبر بالروضة عند أبيه بالزيلة قرب وادي النعجة ، وكان المذكور يحبه أصحاب والده لما يعلمون من سماحة كفّه . وكرمه وسعة بذله . ولما مات لم يوجد بعده من الدراهم غير حرفين كما يروى ، وأما الرخوت(١) والفرش وآلات الخيل والسلاح والحلي فشيء كثير .

وفيها : وصل حسن بن المتوكل الى درب ملوح واستقر فيه أياماً وكان منتظراً لوصول مشايخ بني حبيب حين قل عليهم الطعام مع الغلا والقحط فعاد صبياً وتزوّج فيها ووصل اليه وَهْوَ بها بعض المشايخ بتلك البلاد ، فلما وصلوا أمر بربطهم وحفظهم ، ثم سار في خلال ذلك طالعاً الى الحضرة العالية فوصل الى حبور بأولئك البدوان وقد تقطّعت أرجُلهم في الجبال والوديان والبرد أصابهم وضرّ أكثرهم ، ومات بعضهم ، فلما وصلوا الى الإمام عاتبهم في البغي والعدوان وزجرهم عن العود الى شيء من ذلك في جميع الأزمان ، ثم كساهم وعادوا الى بلادهم ، وفيهم من الغباوة والجهل بالشرائع ما يحار الإنسان منه ويعجب ، فلا فرق بينهم وبين البَهايم ﴿إنْ هُمْ إلاّ كالأنعام بَلْ هُمْ أضلُّ سبيلاً﴾(٢) . والإمام غضب وتغيّر وقال : لمَ يطلع حسن من غير رأي ولا أذن وما قد تمت الأعمال في تلك الأماكن والديار وأمره بالعود فعاد الى صبيا وقد تفرق عسكره وساروا الى بيوتهم ، فلم يَعُد معه الاّ اليسير من خاصة خدمه وأصحابه وسكن بصبيا وأبي عريش ثم ظهر للإمام عدم الجدوى ومشقة الاستئناف لإرسال(٣) العسكر مع ما نالهم من المشقة في ذلك السفر مع القحط وعسرة الأمر فترك ذلك .

وفي هذه الأيام : أخذ الإمام ما كان قد جمعه علي دشيلة في بيته بالحصين من الفرش والحبوب والسلاح والنحاس وغيرها ، ومنعه عن ملازمة ولده على بعدها ، وأنكر على ولده في التّبذير بإعطاء مثله وهو خدّام من آحاد الناس لا يعطى لمثله ما أعطاه ولا ما صير اليه وأوفاه .

وفيها : مات محمد الحَطْروم الصّعدي التاجر فانكشفت تجارته أكثرها معاملة للنّاس وبيعت بيوته بصنعاء والجراف وقطعت لأهل الباب والمعاملات وكان المذكور له

---

(١) الرخوت : جمع رخت وهو السرج بالفارسية .

(٢) الآية ٤٤ سورة الفرقان .

(٣) الأصل «لارسل ل» .

حسنات وصدقات في حياته ، ومنها سمسرة وماجل للماء في نقيل عجيب ، وماجل آخر في العمشية من بلاد سفيان على طريق صعدة وبئر على طريق المدينة النبوية [١] .

وفي شعبانها : ظهر غطاط بالجهة الشمال وذنبه بجهة الجنوب أشبه شئ بالمجرة إلا أنه أبيض منها ثم سار على حاله وغرب من الشرق .

وفي هذا الشهر انتهى زيادة السعر فبلغ القدح البر بصنعاء الى قرشين والذّرة قرش ونصف والناس في هذا الوقت في الشدة العظيمة عليهم الفترة والموت الذّريع فيهم والله تعالى اللّطيف الخبير .

والإمام[٢] هذه المدة لما امتدت يده في بلاد محمد بن الحسن باليمن الأسفل خفف بعض المطالب عنها ورَفَعها مثل سبار الولاة وزوائد الربيع في الزكاة وأمر بزكاة النصاب في الأنعام على[٣] وترك ما كان يأخذ محمد بن الحسن على الرؤوس وأسقط دراهم الصلاة جزي خيراً . الا أنها لحقت الرعايا من جهة أخرى وذلك جور العمال واستقطاع البلاد بخراج من المال فتضاعف ذلك غيرما كان من مطالب محمد بن حسن فلا قوة إلا بالله[٤]

وفي هذه الأيام : مع الجوع هاجت قبائل دهمة في أطرافها فانقطعت الطّريق بالعمشية الشرقية وبقت الطّريق العذرية .

وفي هذه الأيام :تخطفت قبائل دهمة في أطراف بلاد الجوف ، وكذا حصل تخطّف في اليمن الأسفل ، ووصل شكاة من أجل ذلك من اليمن ، فأرسل عسكراً الى هنالك ، وهمّ أهل بلاد الشوافي[٥] بالامتناع من بعْض المطالب فأدّبهم الإمام .

وحسن بن الإمام استمر مكوثه بعد عوده الى صبيا وأبى عريش في أبي عريش الى وقت موسم الحج ثم سار بالنّاس للحج وحج بهم .

وفي رمضانها : سقط قر[٦] عظيم في وقت الظافر أول معالم مطر الصّيف بعد

---

(١) هنا كلام ضرب عليه المؤلف بالقلم لعدم التأكد من صحته .

(٢) هذا الكلام ضرب عليه المؤلف بخط خفيف .

(٣) هنا كلمة لم نستطع تبينها لشدة الكشط .

(٤) هنا كلام لم نتبينه لشدة المحو .

(٥) الشوافي : ناحية كبيرة في الشمال الغربي من مدينة اب بنحو ميلين تشتمل على أربع عرل كبار .

(٦) القر : بضم القاف والراء مع التشديد . البرد .

الصراب ، وكان الناس قد قدّموا الزراعة للقياض لما كان أول الشتاء قليل البرد ، ولما رأوا الأسعار عالية والحاجة الى الحب حاصلة ، فراح أكثر الزرائع بالضريب[1] ولم يسلم الاّ ما هو مؤخر بذره في وقوف الشمس لما ما تقدم بذره .

وفي هذه الأيام : كان رجلٌ حاجاً عرض له مرض فكان رابع مرضه كما روى وطعن نفسه فمات فقال الراوي : كان متغيّر العقل من البخارات الصّاعدة في الحمى المسبعة ، وأعجب منه ما رواه آخر أنه يعرف رجلاً سخط على نفسه في بعض الأيام فوجأ بطنه وهلك قال : وهو رجل شامي ، فنَسأل الله التّوفيق وحسن الخاتمة فقد جاء في الحديث الصحيح «أن من قتل نفسه فهو في نار جهنم خالداً فيها أبداً»[2] .

وفيها : انتهب أهل حباشة من سفيان بعض قافلة من الزّبيب ولكنهم ما استهلكوا شيئاً منها وهم من أهل عهدة الطّريق وممن عليهم الدرك فيها ، فأرسل عليهم الإمام السيد صالح عقبات بقدر مائة نفر فأرجعوا الذي انتهبوه وسلموه واعتذروا أن ذلك لأجل قطع سبارهم . فطلب الإمام شيخ حباشة وحبسه بضوران بقى في حبسه أياماً ومات فيه .

وفي هذه الأيام : فتح الإمام قراءة في كتاب اللمع[3] واستغربه كثير من الناس لأنه من الكتب القديمة التي لا تعتمد هذا الزمان الآخر .

وفي هذه الأيام : خرج من الهند أرز وحبوب شاطوه هنالك لما بلغهم الغلا في اليمن فحصل لهم ربح كبير أبلغ من البزّ والمخرج له بانيان وغيرهم وما زال يتواصل وصوله الى المخا ، وكذلك الذرة حتى نفع الناس كثيراً وبلغ وصوله الى مدينة صنعاء وأثر النقص في سعره بالمخا ، ثم خرج ايضاً من الحبشة الى اللحية انتفع به أهل تهامة وبعض المغارب .

وفي الثلث الأخيرمن ليلة الأحد سادس عشر شهر رمضان من هذه السنة : توفّي القاضي العارف شرف الدين الحسن بن يحيى حابس الدواري بمحروس مدينة ذمار كان الإمام طلبه من بيته بصنعاء الى حضرته بضوران ، وأمره بالعزم الى ذمار لافتقاد قسمة مخلّف محمد بن الحسن ، وإخراج ما هو لبيت المال وقسمة الذي يخص بين ورثته

---

(١) الصريب : الضّرب أثر البرد على الثمار .

(٢) البخاري ٢ :١٢٠ الترمذي ٢٠٤٣ مسلم كتاب الايمان ١٧٥ . الدارمي ٣ :١٩٢ البيهقي ٨ :٢٤ .

(٣) كتاب «اللمع» في فقه أهل البيت عليهم السلام للأميرعلي بن الحسين بن يحيى بن الناصر المتوفي سنة ٦٥٦ من أشهر كتب الفقه على مذهب الإمام زيد منه عدة نسخ خطية انظر (مصادر الفكر الإسلامي في اليمن :١٩٨) .

فقضى الله وفاته بعد أن كان قد شرع في ذلك ، وقبر بصرح حوطة الإمام يحيى بن حمزة ، وكان المذكور عارفاً مشاركاً في كل فن وكان يدعي الاجتهاد ، وكان طريف المحاضرة والمجالسة والأدب وما يناسب المقامات وبه يتعجب ، يحب الرّاحة والاستراحة والمؤانسة والمجابرة خصوصاً مع أصحابه الصعود[1] وغيرهم من الوفود ، كثير الاطناب في المراجعات والمساءلة والمحاجة والمجادلة ولأجل محبته للرّاحة كان قليل الصبر على التدريس فإنه تركه بالمرة ولم يبق معه الا مسألة الشريعة والقضاء . وكان قد نصبه الإمام قاضياً بصعدة عقب موت صنوه أحمد بن يحيى حابس لكنه لما عرف صنعاء وتزوج فيها لم يرغب الى غيرها وسكونها فقضا فيها بعد وفاة قاضيها حسين بن يحيى السحولي واستناب بصعدة من يقوم مقامه . وكان من محبته للرّاحة والاستراحة قد بنى له عند داره بالجراف مفرجاً[2] وشاذروان [3] . وكان المذكور له مشاركة في الحديث النبوي آخذاً منه بالحظ الصالح القوي بالنّظر الى هذا الوقت الذي عن الحديث عَري[4] قرأ جامع الأصول على السيد محمد بن عز الدين المفتي رحمه الله واستجاز منه ، ولي منه اجازة في جميع رواياته بحمد الله عن السيد محمد بن عز الدين المفتي عن الخاص وعن عبد العزيز بهران متّصل الأسانيد الى أصلها . ووقع بيني وبينه مراجعة في مسألتين احداهما في اجماع أهل البيت وقول من قال أنه حجه . والأخرى في اجتهاده صلى الله عليه وآله وسلم فقال بأنه يصح اجتهاده في الأمورالدينية فقلت له هذا أحد القولين . . وكان المذكور صاحب تجارة وله تعلق بالبضاعة يشارف عليها بنفسه رأس السنة ، وكان يتساهل في وضع المحاضر لمن طلبها يذكر صورة الدعوى والإجابة بحق وباطل قبل ظهور الحق فيتمسك بذلك المدعي ويشبه به على الدولة ، ويقول : هذا وضع القاضي وعلامته وشهادته على حكمه ، فيجرى بسببه المظالم كما رأيت في بَعْض الموضوعات للمذكور بأنه ادعى رجل على آخر عيناً وجدها عند دلال فبيّن عليها المدعي أنها حقه وأنها مسروقة عليه وأنه ثابت اليد عليها فقال الذي هي بيده هو شراها من فلان ، فقال المدعي : هؤلاء هم الذين سرقوها وأنهم سرقوا معها غيرها كذا [5] من

(١) الصّعود : يعني أهل صعدة بلده المترجم له .

(٢) المفرج . غرفة نزهة تحصّص لمجالس القات ونحوها .

(٣) الشّاذَرْوَان . نافورة تنفث الماء في اتجاهات عدة .

(٤) تقرأ في الأصل هكذا «عزيز» .

(٥) الأصل : لكذا .

الدراهم عينها مع أن هذا الذي عزاها الى غيره أنه شراها مشارك لهم في التّهمة بمخالطة ذلك الرجل المسروق عليه كمخالطتهم فالتهمة متعلقة به مثلهم ، فكتب القاضي عند هذا : على تقرر الخبيئة عند فلان وأنه صحت سرقة لفلان وأنه ذكر المدعي ان سرق معها كذا من الدراهم ، وذكر المشترى للخبيئة أن السارق لها فلان يحفظها المدعي بيده ، ثم بعد مدّة وقد قبض تلك العين أظهر التمسك وذكر للحاكم أن الذي عزى اليهم سرقوا سرقة أخرى وأن هذا حكم القاضي أنهم السرّاق وأن عليهم بقية من ذلك وهي الدراهم فاغتر به الحاكم الآخر ، فهذا من المظالم العظيمة والتساهل من المذكور وقع بادراجه في حكمه بتلك العين التي قامت بها الشهادة على انتزاعها من الذي بيد غيرها مما لم يقم به شهادة في الزائد من الدراهم ، ولا قامت شهادة أيضاً بأن الفاعل لها هم أولئك الذين اضيف إليهم لأنه إنما أضافه الذي وجدت بيده ، وكان طريق الشريعة في مثل هذا أن يقال للمدعي للزائد على الخبيئة بَيِّن عليه فإن لم يجد بيّنة حلف له هذا الذي وجدت عنده الخبيئة ، وأولئك الذين أضيف اليهم ان كان للمدعي دعوى عليهم في الزائد احضرهم فأما بيّن عليهم أو حلفوا ولا يذكر وصفًا قبل معرفة ذلك واخوانهم الذين في يد المصادق[1] الواضع لها عند الدلال هذا طريق الشريعة ، وهذا تساهل من المذكور فيه خلل عظيم . وكان له هوى نفس في أحكامه كما جرى في مطالبته مال عند بعض أهل بلاده وأصحابه وهو متمكن من تسليمه في ذلك الوقت ، فقال : يمهل الى وقت آخر وأفتى المطالب بأنه لا يسلم ذلك الوقت شيئاً فلا قوة الاّ باللّه ، وكان المذكور آخر مدته يأخذ من الزكاة فقيل له ، فقال : مع المصلحة تجوز ، وهو قول القاضي عبد الله الدواري ، وكان يعامل كثيراً محمد بن الحسن بتجارته وله صبر على مخالطة الدولة في كثير من أوقاته ، ولم يوص بوصية مع كثرة ما ينظره ومعه من المعاملات كما روى ، وكان كثير الولوع بالنّظر القياسي ، وضرب الأشباه ببعض ، وكان له ميل الى مذهب اهل السنة .

وفي أول شهر شوال :كان ابتداء مطر الصيف فوقع بأكثر اليمن شرقاً وغرباً وشحت الأصْياب[2] لغلا الأسعار وغلت مع ذلك اللحوم والغنم والسمن الى النصف مما كان

---

(١) تقرأ اللفظة هكذا المصارف .

(٢) الأصياب : جمع صيب . وهي الذرور .

سابقاً ، ونزلت السيول في الجوف والعصيمات وخَيْوان وحمل سيل وادي خيوان جماعة كانوا يطهفون الطَّهف[1] ،فباغتهم السيل حتى حملهم فعادت قبائل المشرق يومئذ الى أوطانها ومساكنها .

وفي آخر شهر شوال منها : مات القاضي محمد بن يحيى العنسي ثم البرطي بصنعاء اليمن وكان ساكنا في السَّبحة غربي صنعاء في بئر العزب ، وكان عارفاً بالنحو والأصول وله مشاركة في الفقه حسن الإعتقاد لا يكفر بالإلزام في مسائل الكلام ، ووقع بينه وبين السيد محمد بن علي الغرباني الذي سكن برط مراسلة بقصائد ، وقبر القاضي بمقبرة خزيمة رحمه الله ، وكان للمذكور لحية طويلة تبلغ الى قريب سرته فسبحان الخالق .

وفيها - كما روى - ابتلعت الأرض رجلاً في جبل رازح بما معه من بقر وغنم قال الراوي : ولم تبق الآيده خارجة من الأرض . ونسأل الله التوفيق .

ونزل سيل عظيم هذه الأيام في وادي مور من أعاليه وذلك جبال ساقين وخولان وبلغ الى تهامة وربما أبحر ، لأنه كان قوياً شديداً عظيماً وهو صلاح لتهامة وحمل كثيراً من الأموال .

وفي ذي القعدة منها : مات الأديب المنشي المحاضر محمد بن حسن أَفَنْدي كاتب الإنشاء مع محمد بن الحسن ، طالت ملازمَة المذكور لمحمد بن الحسن ونال منه بخدمته له وعدم مفارقته في السفر والحضر كل منال ، وظهرت نعمته وحصّل كتب الآداب النفيسة بالخطوط العالية وغير ذلك ، وما زال في نعم رغدة وأحوال حسنة وافية من غير تنكير ولا تنغيص الى أن مات محمد بن الحسن ثم لازم الإمام بضوران ، فمات هنالك وقبر بضوران ، وكانت له مشاركة في النحو قليلاً ، وكان له معرفة بعلم الفلك والرمل ، وكان له قصد صالح بقضاء أغراض من غير تعب .

وفيها : جعل ولاية ظفار حضرموت الى الشيخ زيد بن خليل الهمداني فسار المذكور بلغ الى الشحر ، ثم أرسل ولده الى هناك وهو بقي في الشحر وعثمان زيد مولى الإمام وعتيقة خرج من ظفار ووصل الى حضرة الإمام وهو كاره لولاية تلك الديار .

والقحط والموت هذه الأيام في الغاية لا سيما بالحفارات وجهات حراز والحيام حتى

---

(١) الطَّهَف . طعام من قصيلة الذرة .

باع أهل تلك البلاد سلاحهم في الطعام من أهل حضور وغيرهم . وكان في هذه السنة من الناس من فقر ومن الناس من غنى ، وسار يومئذ من اليمن وصنعاء جماعات وانتقلوا الى سائر الجهات فمنهم من بلغ الى مصر ومنهم من تفرق وسافر في القرى والجهات .

وعند أول دخول الشمس أول درجة في برج الحمل بعشرين شهر شوال ، عم المطر الصيفي جميع اليمن وما كان خال عنه من المطر الأول ، فاشتغل الناس بعمل الصيف فلله الحمد ، وأما الأسعار فعلى حالها ، وكان المريخ في برج الحمل مع الشمس يومئذ .

وفيها : فقد رجل بجبل المحدد من بلاد مسور لاعة ثم داروا له فوجدوا آثار حماره مأكولاً وقيل انما سقط في الحيد وحماره فأكلته السباع والدراهم التي كانت معه على حالها ولم يجدوا للرجل خبرا ، والظاهر والله أعلم أنه أكله سبع وحماره كما روي ذلك ولا سيما مع الجوع فيقع مثل ذلك .

ووصل آخر شهر القعدة منها سلطان الأزباك [1] الى بندر المخا ، وقال أنه يريد الحج الى بيت الله الحرام ، ومعه من العسكر قدر خمس مائة نفر ومن الزاد شيء كثير ونزل بالمخا قريب الموسم وبلده تسمى كاشغر مما يلي بلاد فارس من شرقيها وهو من تحت نظر السلطان عبد العزيز صاحب سمرقند وبخارى ، والبلاد تلك متصلة وهي بلاد الترك . ولماوصل المخا في هذا الشهر المذكور وكان قد فاته الموسم بقى ينتظر الموسم المستقبل فسكن هنالك شهورا وحصل في أثناء سكونه بينه وبين بعض أصحاب السيد زيد [2] فرقة وخصام أفضت الى القتال ، فراح من جانب السلطان جماعة ومن جانب السيد زيد أصواب ومجاريح ، ثم فكّ الله ذلك وسلم السيد زيد ديات ، وخاض في الإصلاح ، ثم أنه خرج السلطان عن المخا الى جهة جدة ومكة وحج في العام القابل وعاد بلاده .

وفيها : وصل من الهند سؤال يتعلق بالفرائض والضرب والقسمة ولفظه : تيمّنا بذكره الأعلى ما قول أئمة الدين رضوان الله عليهم أجمعين اذا وصّى الرّجل بمثل نصيب بنيه ، والآخر بمثل ما بقى من الثلث بعد النّصيب ، وكان النصيب مثل جذر المال وللآخر بمثل نصف ربع خمس سبع تسع عشر ذلك الجذر ، ثم مات وخلف ثلاثة بنين ، هذا أصل

---

(١) الأزباك هي أوزبكستان حمهورية اسلامية تقع بين تركمانستان وفازخستان عاصمتها طشقند ومن مدنها سمرقند وبخارى .

(٢) هو ريد بن علي جحّاف متولي المخا .

السؤال وصل من حضرة السلطان أورَنقزيب انتهى .

فعرضه الإمام على أهل الفرائض من ذمار وغيرهم فقالوا : لا يمكن خروجه على جهة الجبور في الحساب بل لابد من كسر على مقتضى الجبر والمقابلة ، وأجاب عليه القاضي مهدي بن عبد الهادي الثلائي من ثلا ، وأجاب عليه بعض الشافعية من جبلة ووقفت على جواب صاحب جبلة فإذا هو غلط واضح ، وكذلك جواب القاضي مهدي صاحب ثلا غلط أيضاً ، وقد أجبت بجواب صحيح ذكرته في بعض المصنفات ولله الحمد .

وفي غرة شهر ذي الحجة منها : تعرّض العمانيون بسواحل عدن والمخا وسدوا باب المخا وصدوا عن المنتهى ، وانتهبوا من بابه ثلاث جلاب كانت واصلة للفرنج في باب فرضة المخا وقتلوا منهم جماعة ، وانتهبوا الذي معهم وساقوه الى بلادهم ، وكان جملة العمانيين قدر سبع براش [1] ، وطلب السيد زيد بن علي الغارات من زبيد وغيره مما يقرب اليه من الجهات ظنّاً أنهم يقصدون المخا ولم يكن لهم قصد الا في الفرنج لما بينهم من الحروب فيما مضى ، وكتب السّيد زيد أيضاً الى الإمام فجهز الإمام من ضوران ولده علياً ومن حضر من العسكر فساروا الى المخا ووصلوا وقد عاد العمانيون ورجعوا بعد ما محقوا في البحر ونهبوا ، وضعف موسم هذه السنة بالمخا بهذا الحادث ولما حصل باليمن من القحط في جميع الجهات ، وسار بعض المراكب الى جدة وحصل كثير من التحولات والتقلبات ، والإمام جعل في اب مملوكه بشير وفي بلاد يريم النقيب سعيد بن ريحان .

وفي هذه الأيام : دخل محمد بن الإمام من الجراف بخيلة راكضاً ، وكان من الملازمين للمذكور رجل يقال له النّقيب سراج من جبل عيال يزيد ، فتلقاهم المذكور الى رأس ميدان البكيرية يريد السير تجاه صاحب أمره والخدمة ببندقه في جملة الخيل راكضة في الميدان فصَدَمه حصان أولها وسقط ثم تعقبته الخيل الآخر بعده فدعسته بحوافيرها حتى هلك ومات وفات .

ودخلت سنة ثمانين وألف

استهلت بالجمعة بالرؤية وبالحساب معاً واجتمع ببرج الجوزاء الشمس والزهرة

---

(١) براش : جمع برشة نوع من السفن في ذلك الوقت .

وعطارد والمشتري والقمر وفي العاشور [١] وصل أول الحاج فأخبروا بأن الحج كان مباركاً ، وقفوا الجمعة والعيد السبت ، وكان الحاج مجتمعاً من العراق والشام ومصر واليمن وحصلت الأمطار بمكة والحجاز فزال الحذار [٢] ونبت الريف وتهون السعر بعض تهون فيها فبلغت الكيلة ثمانية كبار وهي سدس قدح .

ولمااستقر علي بن الإمام بالمخا حصل مرض في العسكر ومات فيه من انتهى أجله وأكثرهم من أهل الحيمة ، وكان هذه الأيام حال خروج عمان الى باب المخا قد طاش بعض جلابهم الى حدود بندر جازان ودخلوه واستقوا منه وهرب عنه أهله حال دخولهم نحوه ، وكان سبب وصولهم الى هنالك أنهم تبعوا مركب بايزيد صاحب الديو لما بلغهم أنه جاوز المخا الى جدة فلم يظفروا به لتقدم مروره ورجعوا وبايزيد توفي بجدة كما روى

وفيها : وصل حسن بن الإمام الى حضرة والده بعد تمامه للحج وعوده .

وحسن باشا فرق الصر [٣] بمكة وتولى أمره فوجد الزائد منه لعدم وجود أهله لأجل ما نال مكة من الضعف والموت هذه السنة .

وفي صفرها : أمر الإمام لولده علي بالطلوع من المخا واليمن الى حضرته فوصل ، وأذن الإمام لهبوط اسماعيل بن محمد الى ولايته العدين ومعه أخوه أحمد بن الحسن وجاءت طريقه وادي النابحة ورماع وتهامة وعطفوا من تلك البلاد النائية الى العدين ، فمات أحمد بن محمد بن الحسن في الطريق وقد دخل وادي العدين وقبر بالمذيخرة رأس العدين .

ولما مات أحمد بن محمد بن الحسن كما ذكرنا سابقا تعقّبه موت صنوه اسماعيل بن محمد بن الحسن بدون شهر بعد وصوله العدين محل ولايته وقبر جنب صنوه بالمذيخرة ، وكان صاحبه وكاتبه ووزيره السيد جعفر بن مطهر الجرموزي معه فجعل الإمام نظر البلاد اليه فاستقر هنالك ، وبنى السيد جعفر على اسماعيل بن محمد وصنوه قبة جزَاء لإحسانه لأنه كان من أجْلاسه وأصحابه كما ذكرنا ، ولما بلغ السيد ابراهيم المؤيدي موت المذكور تركبّ عليه القول بسبب اشتباه الإسم فظَنّ أنه الإمام اسماعيل فخرج من صعدة في الحال ومعه أعوان حطام الدنيا يمرون الجادة حتى استقر

---

(١) العاشوراء وعاشور . هو عاشر محرم يستحب صومه لما ورد فيه من الفضل .

(٢) في الأصر الحرار .

(٣) الصر . هو المال النّقدي الذي يجمع من أوقاف الحرمين ، وكان يرسل في كل عام الى الحرمين برفقة قافلة الحج الشامي .

ببلد العشة ورغافة وطلب من أصحابه الحاضرين البيعة ، ثم ظهر له بعد ذلك خلل التّركيب فبطل عمله وزال ما كان أبْرمه ، فانظر شدة هذا اللهج في الملك لهذا الخَلَف فلا قوة الا بالله .

وحصلت العبرة العظيمة لكثير من الناس بتحوّل حال محمد بن الحسن وتعقّب أولاده بعده بسرعة في حول واحد وكذا أعيانه وخواصه وانقلاب أمره ومضى دهره ومدته مع طول ملكه وولايته وأمره ونهْيه ، ولذة حاله ووقته ، وعدم منكّده حتى سارت أيامهم ومرت أوقاتهم وعدم في الجديدين[1] ذواتهم وصفاتهم فكأنها وكأنهم أحلام ، فما أحقر الدنيا وما أعظم غرورها وما أقرب زوال طويلها ، وكان مدة المذكور في الولاية فوق أربعين سنة من حال استخلاف أبيه له لما خرج من صعدة لبلاد صعدة الى هذا التاريخ فلله الأمر من قبل ومن بعد .

وفي صفرها : مات المقريء للقرآن في السبعة محمد السلاخ بضم السين المهملة ثم خاء معجمة الصنعاني ، كان عارفاً بالقراءات السبع وكان مكفوف البصر ، ولقد جرت العادة هذا الوقت أنه لا يعتنى بالقراءات الا مكفوف البصر غالبا .

وفي صفرها : قتل السيد سالم بن خيران من سادة الشام وهوبداره بصنعاء غيلة ، وكان قد ماتت زوجته وبناته ، فلم يبق في البيت الا هو برأسه وخادم معه من بلاده الشام ، وكان السّيد هذا ملازماً مع محمد بن الحسن ، وكان سبب قتله أن خادمه هذا خانه وخادعه ومكر فيه وهو واثق به وأمر له[2] على طمع الدنيا ، واتفق عند ذلك خصام من السيد للمذكور فصاحب المخذول رجلين من قليلي الخير بصنعاء ، أحدهما ابن الحاج ريحان الشهاري كان أبوه ريحان من خدم الإمام القاسم ومماليكه ثم المؤيد بالله ، وكان هذ ولد الحاج ريحان ملازماً مع محمد بن الإمام متولي صنعاء وآخر معه عبد دلاّل لا خير فيه أيضاً ، فأدخلهم المذكور البيت على خفية ، ثم خلا بالسيد حتى نام بمجلسه ومنزله آمناً فيه فاتحاً لبابه ، ثم لما نام وهو في كيس من ثوب جاء الثلاثة فَعَدا أحدهما على رأسه وآخر على رجليه وآخر طعنه في نحره ومات في الحال ، وسعد المذكور شقاق[3] منهم ، وكان السيد لما أحس بهم فزّ من مرقده وانتبه فغلبه الثلاثة ، وكان المباشر له بالطعنة

---

(١) الجديدان : الليل والنهار .

(٢) في الأصل : امرته .

(٣) كذا في الأصل .

والفوات كما قيل ولد ريحان ، ثم أنهم جمعوا دراهمه وأودعوها عند اخوان لهم من أهل صنعاء وبيوتها وظنوا أنهم قد ظفروا بها والشامي هرب بلاده الشام ، وكان رجلاً مكارياً في صبل[1] الدار قد وعده السيد من العشي للسفر وحمل الأثقال فلم يشعر به الآثاني يومه وهو منتظر لسفره وناديه ، فانكشف أمر السيد وإذا هو تحت أثوابه وفراشه ميتاً ، فعرف به محمد بن الإمام فسألوا المكاري ، فقال لا أعلم بشيء من الجاري غير أنه أخبرهم بذهاب خادمه الشامي ، فلحقوه الى الطريق وظفروا به في بلاد الظاهر وجاؤوا به على الحال المضيق ، وأمر به الحبس ، وسألوه عن الحادث وقتل النفس بعد أن ناله من الضرب والمس ، فأخبرهم بالقضية ودلّهم على أصحابه الشقية فجيء بهم وضبط أمرهم ، فلما شعر به أهله بالشّام وصلوا إلى صنعاء لأخذ الحقيقة وكيفية هذا الإلمام وعرفوهم بالإقرار وعرضوا على القصاص والإبرام فأنفت نفوسهم ، وقالوا لا نستقضي لصاحبنا من هؤلاء النحوس الطغام إذ هم غير أكفاء ولا فخر بقتلهم على قاعدة بلادهم وعرُفْهم ، فخلوا سبيلهم بعد طول حبسهم ، هذا تحقيق قصتهم فلا قوة إلا بالله ، وأما المال فإنه بعد البحث عليه وجد ورد لأهله والده فلا حصل معهم بذلك لا دين ولادنيا .

وفيها : توفي القاضي بَدْر بن حميد الكحلاني من ذرية الفقيه حميد الشهيد[2] ، كان المذكور له معرفة في الفقه وكان قاضياً وخطيباً في مدة محمد باشا[3] وفضلي باشا[4] في جهات جبل عفار بكحلان ، ولما كان دولة الإمام المؤيد بالله استمر على ذلك ثم عزل بآخر المدة ، وكان المذكور متواضعاً يلبس الشقة السوداء قميصاً ولا تتوق نفسه الى شيء من المراتب العليا قال لي مرة : دخل وهو صبي دون التكليف مع والده أيام الوزير حسن باشا الى مدينة صنعاء للفرجة يوم العيد ، قال : فرأى جمع الوزير حسن وخيوله وجنوده ، فقلت له : ما رأيت يا قاضي قال : قوة عظيمة وحاله جسيمة وملابس مع الجنود عالية وحلي فاخرة ، فلما بلغت الجنود المصلى على تلك الزينة العالية تقدم سنان الكيخيا[5] الى جنب منزل الباشا في باب المصلى وحَضَنَه بيديه من سرج الحصان

---

(١) صبل : اصطبل (معروف) .

(٢) هو حميد بن محمد المحلّي من العلماء توفي سنة ٦٥٢ ترجمته في أئمة اليمن ١٦٦ ومطلع البدور (خ) .

(٣) محمد باشا والي اليمن من سنة ١٠٢٥ - ١٠٣١

(٤) احمد فضلي باشا والي اليمن من سنة ١٠٣١ الى سنة ١٠٣٤ .

(٥) الوالي سنان سبق ذكره .

وأنزله على حاله بالقفطان(١) وكان سنان ضخم البدن قوي الجسم والوزير حسن ليس مثله لطيف البنية صغير الجثة ، ولما تمت الصلاة أركبه سنان كذلك الى فوق سرج الحصان وضربت الأرياح(٢) والطبول وسارت الركبان ودقت خلفه النوبة بصفائحها وزمرها ونشرت الصناجق معها ، قال وكان بعض عسكره من سائلة صنعاء ولهم بيرق يختص بهم عن غيرهم فيها ، فاتفقت فرقة حال الدخول بينهم وبين بعض الأبلاق(٣) فهرب الناس من المتفرجين وانثالوا الى المدينة داخلين منهزمين خائفين ، قال القاضي المذكور : وكنت في جملة أولئك الهاربين وأنا صغير السن صبي ، فدخلت بستان قشام(٤) تلك المدة الماضية والأيام وافقت فيه القشام وهو كبير السن يومئذ شيخاً وأخبرته بهَربي خائفاً فقال لي : أقعد عندي حتى ينفك هذا الحادث الجاري ، قال : فقعدت عنده كما أمر وتحاكيت وهو عن حال هذا الدهر ، فقلت : ما هذه القوة لهذه الدولة العظيمة والخيول الواسعة والجند الكبيرة ، فقال القشام : فلو رأيت يا ولد ما رأينا في مدة الإمام شرف الدين ودولته لأنستك بهذه الأيام وحالته ، قال القاضي : وكيف ذاك فقال : كان يوم العيد يجتمع عنده الخلائق ما لاتحصى بعديد ، وكان لا يسعهم الدخول الى القصر والديوان بل يمدون الصّماط والصوان خارج باب القصر في الميدان ، وكان حوائج السماط من الكَبْزرة(٥) والبصل والثوم يفرّقه علينا في المقاشيم معونة لحوائج السماط الممدود ، فنلف من الكبزرة وحدها قدر زبدي(٦) بزبدي ذلك الوقت ، وهو عن نصف زبدي اليوم ، قال : فهون علي شيئا مما رأيت من هذه الجنود ، وقلت : لا إله الا الله الملك المعبود يعطي الملك من يشاء ، قال القاضي : ثم أن الأوامر خرجت الى العساكر بالتأهّب للحزبه(٧) ثاني العيد إلى رأس الحصبة(٨) بلا ترديد ، وأمر في اليوم الأول اليهود بتبريح الطريق من الحصا ورشها من الحصبة الى داخل القصر بصنعاء ، وكان عودهم من طريق باب السبحة ، كما هي عادتهم في تماشي العيد كل مرة ثم خرج الناس

(١) القفطان لفظة تركية وهو قميص كالجلباب ، وفي تعريف دوزي رداء له كمان قصيران يصلان الي المرفقين وقد يتدلى حتى يبلغ منتصف الساقين بل قد يهبط أكثر من ذلك «المفصل بأسماء الملابس ١٣٤» .

(٢) مفرده ريح : وهو الطبل في عرفهم (سبق) .

(٣) الأبلاق : هم فرقة الخيالة انظر الحديث عنها بتوسع في «المجتمع الإسلامي والغرب لهاملتون ٢ :١٨٩»

(٤) سبق : وهو البستاني

(٥) الكبزرة : هي الكزبرة . بقلة زراعية حولية من الفصيلة الخيمية تضاف أوراقها الى بعض المآكل «معجم الألفاظ الزراعية ١٨٦» .

(٦) مكيال كبير معروف في اليمن (سبق) .

(٧) الخزبة : العرض العسكري

(٨) الحصبة : بالتحريك موضع شمالي صنعاء وقد دخل الآن في العمران .

في زي عظيم وحال جسيم ، فكان أول الناس بالحصبة ورأسها ، وآخرهم في صنعاء وبابها ، هذا ما روى لي من خبره وما قال به من لفظه .

وفي هذا الشهر : رفع الإمام عن أهل الذمة الآداب والسبار بعد أن أسلم كثير منهم ومات بعضهم من الجوع المفرط مع الغلاء وأخذ ما جمعوه في أيديهم .

وفي هذه الأيام وسط الخريف عند أول طلوع سهيل : رحم الله بالمطر العام بجميع اليمن فأخضرت الأرض عن كمل ، ولو تأخر المطر شهر لاشتد الأمر لما قد نالهم من الحاجة وما مسهم من الضر .

وفي شهر ربيع من هذه السنة : كانت فرقة بين أصحاب السيد زيد بن علي بن ابراهيم بن جحاف ، وبين سلطان الأزيك بالمخا كما تقدّمت الإشارة اليه أولاً ثم تعقب خروجه عنه لأجل ما جرى .

وفي هذا الشهر : غزت دُهْمة الى حدود براقش بالجوف فانتهبت طرفاً من إبلها وهي ترعى فيها .

وفي ليلة الثلاثاء ثامن وعشرين شهر ربيع الثاني من هذه السنة : رأيت قبيل الفجر وأنا بين النائم واليقظان ورقة مكتوب فيها : مدة هذه الدولة الى ثلاث وسبعين [1] سنة ثم تعود الى اصلها بهذا اللّفظ .

وفي عاشر شهر جمادى الأولى منها : كان ابتداء أوائل الحصاد للثمار ، فانحط السعر الى النّصف في جميع الأقطار ، وكانت الذرة الوعد الأول بآخر ربيع بأربعة أحرف عن قرش ونصف باعتبار صرف وقته ثم انحطت الى تسعين بقشة ، والشّعير كان بثلاثة أحرف وربع عن نصف قرش فانحط الى سبعين ، وتقالل المرض والموت ، وزال معظم الشدائد ، وان بقى بواقي هي بالنّظر الى ما كان خفيفة ، بعد أن كانت بلغت القلوب الحناجر من شدة ما جرى من الضرائر .

وفي نصف ربيع الثاني : غزت دهمة من برط ومعهم بنو نوف الى حدود بلاد معين من بلاد الجوف وانتهبوا عليهم ، ومن أطراف صافية أحمد بن الحسن ، وسببه شدة الجوع معهم ، فلما بلغ احمد بن حسن أرسل ولده حسين بن أحمد في جماعة عسكر الى

---

(١) كلمة يُرى عليها أثر الإصلاح ، وقد كتب بهامش الصفحة بخط المصف «يحتمل ثلاث وسعين لأنها حدشة»

معين ، فوصل وقد سارت القوم ، ثم تعقب ذلك مغزى جماعة من برط الى أطراف المراشي وصحبتهم السيد محمد بن الغرباني ، وطالبوا أهلها الزكاة فمنعوها عنهم ، وأبو التّسليم اليهم ، وقالوا لا نسلّم الاّ القضاة الذين يعتادونها منهم ، وهو القاضي علي بن محمد العنسي وأصناه فوقع بينهم قتال قتلوا واحداً من أهل القرية فحمل عليهم أهل القرية وأوقعوا بهم جنايات بسبب هذه العملة ووقع رصاصة في عصا السيد منهم ، وانهزموا هم والسيد معهم ، وكان السيد المذكور قد شرط للغزاة معه على أن الزكاة تكون لهم فلم يتم شيء من ذلك وخاب أملهم ، ثم استقر السيد بالمرانة من المواشي يومئذ وأنكر عمله سائر برط والقضاة آل العنسي .

وفي شهر جمادى الأولى : سار سلطان كاشغر أزباك من المخا متوجهاً الى مكة كما سبق الإشارة اليه وبقى في المخا من ذلك التاريخ الذي دخل فيه الى هذا التاريخ .

وفيها : لبس السيد محمد بن عبد الله العياني غرارة سلب وخرج في سوق الروضة ، وسببه أنه وقع بينه وبين ناظر وقف صنعاء شجار في صَلَب ، وخرج عسكر من قبل محمد بن الإمام الى شركائه نهبوهم وربما أن ذلك من التناصف للماضي فإنه كان جرى من السيد حال استقامته على غيل الوريد ضرب لبعض خدم الإمام من العبيد على سبب قضب كان مقررا من شرف الإسلام الحسن بن الإمام تلك الأيام والدنيا دار عبر في جميع الأوقات والأيام .

وفي جمادها : مات حسين بن أحمد الوادي [١] المنجم كان له معرفة بالفلك والنجوم وحسابها وأوقاتها وأحكامها ومعرفة وقت الخسوف والكسوف قبل وجودها وحصولها ، وكان مستقراً بمدينة صنعاء ، ثم أنه سار الى قعار [٢] باستدعاء واليها الحاج عاطف الآنسي للمداواة ، وكان للمذكور طرف في معرفة الطّب فسار اليها وكان خروجه من صنعاء في ساعة اختارها الى مسجد وهب [٣] أمسى في السمسرة ثم سار منها صبح اليوم ولم يلبث هنالك ومات ، وكان شيخه في هذا الفن الفقيه حسن بن عبد الله السرحي وغيره من أهل هذا الفن وللسرحي المذكور زيج جديد صنعه في هذه الأيام [٤] .

---

(١) ترجمته في خلاصة الأثر ٢ : ٩٩

(٢) عزلة من ناحية الحيمة

(٣) مسجد وهب من المساجد العامرة خارج صنعاء في الجهة الجنوبية داخل العرصي الشرقي مساجد صنعاء : ١٢٩ .

(٤) في مكتبة جامع صنعاء زيج يسمى غاية اتقان الحركات برقم ١٤ (هيئه) وينسب هذا الزيج لعبد الله بن عبد الله السرحي فلعله نفس المذكور .

وفيها : كتب الإمام للمجزبي بالوصول اليه وهو في كمران ، وإليه اللحية والضحى فاعتذر النقيب سعيد المجزبي بالعجز والكبر ، وأرسل ولده والإمام عذره على أنه أخذ بعض بلاده وهي الضّحى ومور وولّاها من قبله ، وبقى النقيب له بندر اللحية وكمران فقط ، فحصل مع المجزبي المقيم المقعد من العزل كما هو غالب عادة البشر .

وفيها : وصل كتاب من عيسى بن علي باشا صاحب الحسا بهدية للإمام وأحمد بن الحسن وحسين بن الإمام المؤيد فكافأوه عليها وأجابوا عليه فيها .

وفي شعبانها : وصل مشائخ برط الى حضرة شمس الدين أحمد بن الحسن بالغراس .

وفي نصف هذا الشهر : جاء الخبر أن الفرنج لما خرجوا في الشهر الماضي الى سواحل بلاد الحاكم العماني كما سبق ووقع منهم فيه ما وقع فساروا الى البحر ورجعوا يريدون استخراج اصحاب الحاكم العماني وراءهم في البحر فصدقت حيلتهم في ذلك ولحقهم أصحاب الحاكم العماني في البحر ، فلما توسطوا فيه وخرجت لهم زيادة من بلادهم فوقع الحرب والمقاتلة والمراماة والمصادمة فقتل من الفريقين كثير جداً حتى قذف البحر بالقتلى الى ساحله ثم انعطف الفرنج على العمانيين مع ما جرى لهم من الزيادة من بلادهم فقتلوا منهم قتلاً كبيراً يقال قدر مائتين أو أكثر وانهزموا الى بلادهم ، والفرنج رسوا في البحر ومازالوا يهيجون فيه ويجولون الى آخر هذا العام وكان خروجهم الى المخا .

وفي عاشر شعبان : حصل قران زحل والزهرة بأول برج الحوت .

وفي هذه المدة : حصل خارج في بلاد ظفار بغي وعدوان من القبائل ، فقتلوا من العسكر قدر سبعة وعشرين رجلاً وصاحب ظفار ولد زيد بن خليل صار كالمحتاز بظفار لا يتم له نفوذ أمره ولا نهيه .

وفي هذه الأيّام : لما بلغ الإمام الحادث مع عسكر ظفار جهّز عثمان زيد الى حضرموت لولايته بعد أن مات محمد بن بدر وقد كان زيد بن خليل حال استقراره فيه يتصرف في أعماله ، فلما وصل عثمان زيد ، طلب زيد بن خليل الهمداني ولده من ظفار وقال يتركه ويخرج بحراً ، فخرج عنه الى اليمن ، وكذلك زيد بن خليل ، فأما ظفار فأهمل أمره وربما سكنه بعض آل كثير وانتسب في النّسبة الى الإمام وتصرف فيه بما شاء من الحل والإبرام ، وخرج في التحقيق عن أمر الإمام ، وأما حضرموت فإنه استقر به عثمان برهة من الشهور والأيام ثم اعتذر عنه وطلب الإذن في الوصول فخرج في العام الذي بعد هذا العام ، ثم

أراد الإمام ولايته الى حسين بن الحسن وأنه يدخل تلك البلاد ، فما ساعده ولكنه أرسل اليه بعض مقادمته ولم يتم لهم في أمر كما سيأتي ذكره ، وكان الحسين بن الحسن قد استشار صنوه أحمد بن الحسَن فأجاب عليه بأنه لا يرى له بذلك لأن تلك البلاد بعيدة ولا يحكم عليها الا بقهر أهلها بعساكر عديدة ممّا لا يقوم محصولها بهم ، وذكر له ما أنفق حال دخوله الى جهتهم من خزائنه وذخائره ، ولم يحصل منها فائدة غير الخسارة ، مع أنه كان في ظهره صنوه محمد بن الحسن بمدّه منه من غير ما احتاج اليه ، فسمع شوره وترك رأي الإمام وقوله .

وفي عيد الفطر من هذا العام فرّق الإمام صدقة واجتمع لها عالم من بلاد ضوران وغيرها فحصل زحام في الباب فهلك من الضعفاء جماعة قيل ثلاثة أو أربعة .

وفي نصف رمضانها منها : أمر الإمام محمد بن أحمد بن أمير المؤمنين أن يسير بعسكره الى بلاد عيان وسفيان وبرط لتقرير أعمالها وإصلاح طرقها وخللها فتجهز الى خمر ثم سار الى هنالك واستقر بعيان .

وفي هذه السنة : جاء الخبر الى اليمن الميمون أن السلطان محمد بن ابراهيم بن أحمد خان بن عثمان استفتح ما لطة بحدود الأندلس وأطرافه ، وقد كان أخذ بلاد مالطة شيئاً فشيئاً ، وهذه بلاد مالطة تشتمل على بلدان وسيعة أكثرها للمسلمين ،وكانوا حال استيلاء الفرنجة عليها عندهم مؤمّنين لا يعترضوهم في أديانهم ، ثم أن السلطان ما زال يحاربهم ويستفتح بتلك البلاد شيئاً فشيئاً من أيديهم . ولم يبق الا القلعة وما وراءها من بلادهم في البحر ، ويقال فيها معدن الذهب ، وعسر فتحها لكونها في البحر ووضعوا سلاسل حديد جوانبها لتقطع المراكب ومن يريد غزوها ، وكان مدة الحصار والحروب ببلاد مالطة ونواحيها قدر سبع وعشرين سنة الى هذا التاريخ ، وعند هذا الفتح زادت القوة للسلطان محمد بن ابراهيم بن عثمان وتوسّعت مملكته في الغرب الجوان في جزيرة الأندلس وتونس وأما سائر بلاد الغرب كبلاد فاس فهي للسيد الأدريسي وهو مصالح للسلطان .

وفي شوالها : حُرق بعض جانب من بيت السيد علي بن خالد والي عفار وهو يومئذ بصَبرة وعقرت عليه بعض خيله ، ولم يعين السيد علي له خَصْما ، وأرسل حسين بن الإمام بأدب على البلد لأجل ذلك وقال السيد علي : الصّواب رفع الأدب والعسكر فإن هذا شيء يشتبه عليه فاعله ، وقيل سببه أن بعض ولده كان ربما يتطفل الى بعض بيوت

البلد فتضرروا من ذلك والله أعلم بحقيقته ، واتفق أن الحريق لما ظهر أمر سَقّاء معه فغرف الماء في قربته ثم أراد صبه على النار من أعلى السقف ، وكان قد حرقت خشبه من تحت فخرب السقف من تحته فسقط السقا في النار وهلك في الحال .

وفي شوالها : عزل السيد زيد بن علي ابراهيم بن جحاف عن ولاية المخا ، وكان السيد زيد في الحضرة العالية والإمام أرسل عند ذلك للولاية السيد حسن بن مطهر الجرموزي على صورة مكتومة الى المخا فدخله على حين خفا واستقر فيه على هذا الوجه الذي جرى لأجل عدم المحصول والتناقص وما صار به يحول ، ولأجل وصول الهندي الى الإمام الخواجا المسمى نور الدين وما حقق له من المدخول والتفريط وكثرة الإدلال في المحصول ، وفرح أهل البندر بالسيد الحسن لما كان قد جرى من الزوائد عليهم والمحن ، أخبرني دلاّل من صنعاء ينزل المخا كل موسم يقال له حنجف قال : نزلنا الى المخا وحصلنا قدر ستين قرشاً فأخذ السيد زيد بن علي علينا النّصف منها وتظلم من المذكور وشكا .

وفي شهر ذي القعدة : وصل السيد ابراهيم بن يحيى جحاف الى الحضرة العالية وعاد في الحال وقال الإمام ما أنصفه . [غير أنه حكى لي بعض من يتعلق بالسيد أنه جرى على ما زاده السيد زيد ولم ينقص منه][1] .

وفيها : وصل رجل من غامد شرقي القنفذة ودوقة من بلاد الأشراف وهم شافعية وحلي ودوفة زيدية هدوية ، وقال : مراد أهل بلاده أن يكونون الى جنابه .

وكان في هذه الأيام ووصل جماعة من بلاد شهران بحدود بلاد الحرجة وما بين بلاد بيشه فقالوا يرسل الإمام معهم من يقبض زكاتهم ، فأرسل سيد من بني الكبسي الى هنالك .

وفي هذا الشهر : محق الشيخ منصر العولقي في طريق حضرموت وانتهب قافلة واصلة من الشحر أكثرها للإمام وأحمد بن الحسن .

وفي هذه الأيام : رفع الإمام ولاية السيد علي الظلعي من ولاية كحلان وأرجعها الى السادة آل الهادي بن الحسن بن الإمام شرف الدين .

---

(١) ما بين المعقوفين ريادة من الهامش لا أدري إذا كان موضعها هنا أو غير ذلك لأن على حافة الصفحة كلام محي بالماء ولم يتضح .

وفي شهر ذي الحجة منها : مات الشريف صلاح بن أحمد بن عز الدين المؤيدي بجهاته بلاد صعدة ،كان المذكور أديباً شاعراً يكتب الإنشاء مع محمد بن الحسن مدة من الزمان ثم كان بآخر أيامه وأصابه ألم النقرس في أقدامه فتقالل معه المواضبة إلاّ في بعض أوقاته ، وكان قد سار الى بلاده من صنعاء بأهله قبيل هذا العام بتحويلات [1] سنين فقضى الله وفاته هنالك ، وكان يقول الشعر ولا يعرف بالعروض سمعته مرة ، لما قال له قائل : ما وزن هذا البيت فقال لا نزن ولا نكيل ، وكان المذكور يَميْل الى مذهب أهل السنة .

وفي هذه المدة : ظهرت أحكام الشريعة في أكثر بلاد اليمن بل في جميعه في السهل والجبل ، وعرضت كتب الطواغيت والمنع[2] في الأسواق وصلّب بها المجلّدون فلله الحمد على ذلك .

وفي هذه الأيام : نزل سيل عظيم بمكة المشرفة قبيل موسم الحج ودخل المسجد حتى بلغ باب الكعبة .

وفي هذا العام : خرج من البز الى المخا ربع العادة قدر عشرة مراكب لضعف اليمن وعدم الحازة [3] وبعضها جاور جدة .

وفي هذا الشهر سلخ سنة ثمانين وألف : انحط السعر كثيراً ، بلغ قدح الشعير والعلس الى عشرين بقشة ، والبر الى حرف ، وهذا السعر انحط عند عزة القياض وحصادها لصلاح مطر الربيع في جميع انحائها مع كبر القدح وزيادته على ما مضى بقريب الثّلث أو فوق ، وكان هذا السعر ببلاد صنعاء والبلاد العليا فأما المغارب فعلى حالها في الغلا لأن ثمرتها إنما هي الذرة .

وفي سلخ شهر الحجة : وصل ولاة ظفار وحضرموت وفرغ لآل كثير الذين كانوا فيه من أول الآ الشحر ففيه أمير الدين العلفي ، والإمام لما رأى مشقة أحواله وقلة محصوله وبعد دياره جعله في ولاية علي بن بدر من آل كثير وسار من حضرته الى هنالك واستقر الحال على ذلك والله يصلح أحوال الإسلام والمسلمين [4] .

---

(١) يعني تحويلات سنين فلكية وطوالع وقرانات وكان كثير ممّن يطلع على هذا الفن لا يتحرك الأعلى حسب ما يشير اليه الطالع ونحوه .

(٢) هي قوانين الأعراف القبلية وكان الفقهاء يحذّرون منها .

(٣) الحارة : الحاجة (والله أعلم)

(٤) هنا انتهى الجزء الأول وقد كتب في آخر حملة منه والى هنا انتهى الدور الثالث من أول الإسلام وهو كل دور ثلثاه سنة الذي يذكره أهل الحكمة عن المفلكين .



2
الجزء الثاني



ودخلت سنة إحدى وثمانين وألف

كان استهلالها بالثلاثاء بالحساب وبالرؤية الأربعاء والشمس بالجوزاء في القيض ، وكان دخولها مباركاً بالثمار وتهون الأسعار بعد مضي الشدة الواقعة في هذه الأقطار ثم حلّها الله تعالى وذهب ما كان وسار .

واتفق في هذه السنة بشهر محرم منها : خروج طائفة الفرنج الملاعين بعد قضاياهم مع الحاكم العماني في هذه الأحايين كما سبق ذكره ، فلما فرغوا عن حربه ، له وهزيمتهم إيّاه الى أرضه غفل عنهم وتدير ببندر مسكت وهدأت فورته وقتاله لهم وسكت ، كان منهم هذا الخروج الى بندر المخا والقصد لبابه من غير خفا عقب دخول البضاعة الهندية على قلتها اليه وشروع البيع والشراء فيه ، وكان قد ظفروا في بابه قبل الاتصال بجنابه بثلاثة أغربة أحدها خرج من بندر عدن الى المخا لأحمد بن الحسن بحراً وفيه دراهم وهدايا والآخران من عدن وجْهَته فانتهبها الفرنج وحازوه واستولوا عليه وقبضوه والبعض منه حرقوه واستهلكوه ، فلما كان الأمر كذلك واتفق هذا هنالك أمر صاحب المخا يومئذ الحسن بن مطهر الجرموزي بالمصانعة للفرنج والخطاب وبذل الضيافة وتسكين الحالة حتى يتّصل اليه جنود الغارة والتجسس لأخبارهم وكثرتهم وقلّتهم وعدتهم وحقيقة مقصدهم فجاؤوه الرسول [٢] بالخبر عنهم والسبب الحامل لهم فقالوا : موجب الوصول ما جرى مع أصحابهم العام الأول في باب المخا من القتال وما راح عليهم من المال من أصحاب العماني وعدم دفع صاحب المخا لذلك الفعل الصادر والجاري وأنه كان به راضياً وعليه معيناً ،فبذل السيد الحسن لهم عوض ما راح مالاً وقال : ليس له فيه سعاية ولا قصد فأبوا الاّ القتال والاهتمام بالدخول الى البندر والاحتمال فأخذ منهم الصلح قدر ثمانية أيام عشرة أيام كل ذلك منه للانتظار لوصول الغارات مما يقرب اليه من الجهات ، فوصلت الغارات من زبيد وموزع ومن جحاف بعد أن كان قد انجفل أكثر أهل المخا عنه بأموالهم ومنهم من دفنها في التراب خشية من الذهاب ، وسكن السيد حسن

---

(١) كذا في الأصل لعل صوابه فجاءه الرسل

من سكن من أهل المخا ، وقال : هذه الغارات واصلة فلا نخاف منهم إن شاء الله ولا نخشى وكان جملتهم قدر سبع خشب ما بين برشة وغراب فيها الرجال ومكاحل الرمي والمدافع والمال ، والإمام لما وصل اليه خبرهم وحادثتهم بادر بارسال ولده علي بن أمير المؤمنين في الحال بمن حضر عنده من عسكر الرجال جملتهم قدر خمس مائة وسار وحث الانتقال ، وكان وصول الغارات الأولى هي التي نفعت البندر من الصدمة ، فلما كان سابع وصولهم أو سادسه قصد الفرنج المخا وكان كل خشبة من خشبهم فيها بيرق وعدة الحرب والضرب ، ولعل جملتهم قدر ثلاثة آلاف لأن الغراب يسع قدر مائتين وخمسين مع الأزواد والآلات ، فأول عمل منهم قصدهم الى قلعة فضلى التي في مقابل للمخا من خارجه ، وكان فيها جماعة من المسلمين رتبة فصابحهم جماعة من الفرنج خرجوا في الساحل فجراً فركزوا السلاليم القنا وصعدوا من أعلا فهرب من القلعة بعضهم ولبث البعض لهم ، فكان القتل في الدرب في المسلمين قتل منهم ثمانية . ووقع القتال بينهم واشتد وحمى وطيسهم ، ووصلت غارات المخا اليهم فانهزموا حينئذ وقتل من الفرنج قدر عشرين نفساً حال الهزيمة ومن المسلمين الثمانية وجنايات أخر ، وكان جملة الخارجين من الفرنج الى القلعة من الساحل قدر ثلاث مائة نفر وقيل أقل وأكثرهم في البحر بغربانهم وبراشهم ، وأخذ عسكر المسلمين بيرقهم الذي خرج معهم في البر لأن صاحبه قتل في باب الدّرب وهزموهم الى البحر فدخلوا غربانهم وسنابيقهم واجتمعوا بأصحابهم وأرسل بالبيرق الذي أخذ عليهم إلى صنعاء فركز في سوقها بأعلا سمسرة خان خليل ، ثم كان اليوم الثاني من هذا الحادث المذكور ورجعت الفرنج بأجمعهم الى باب المخا وشنوا عليه المدافع والزبارط من جميع براشهم فكانت تقع في وسط المخا كالمطر الملقى ولم تضر مع كثرتها أحداً غير رجل واحد هلك منها ، وأخربوا بذلك الرمي جانباً من قصر المخا المطل على البحر بعد أن كان خرج عنه الجرموزي الى الجانب الأقصى وأخلاه عن السكون لكثرة الرمي المشنون . ثم رمي أهل المخا بالمدفع الكبير فوقع في دقل البرشة معهم ، ويقال أنه راح منه ثلاثة نفر ، وكان بسببه تأخرهم . وكان قد تقدم جماعة من الفرنج الى دائر المخا من جانب آخر يريدون القاء الحريق ففطن بهم بعض المسلمين فرمَوْهم فردوهم على أعقابهم وزال جميع حيلهم ثم أنهم ساروا الى باب المندب ثم عادوا إلى باب المخا ، ثم ما زالوا كذلك في

البحر يسيرون ويرجعون مدة أربعة أشهر ، ثم ساروا في البحر ولم يقع قتال ، وكل ذلك لأجل استخراج أهل المخا واللّحوق في البحر ليأخذوا منهم الغرض الأقصى لعلمهم بقلة إحسانهم أعمال البحر وتصرّفهم ، فلم يخرج اليهم أحد في مدة لبثهم . فلما أيسوا عن ذلك عادوا راجعين بلادهم وزال شرهم ودخلوا بلادهم ،وحصل للفرنج هذا العام هيجان في البحر عظيم وسببه تحريك الحاكم العماني لهم لما غزا بندرهم الديو العام الأول .

وأحمد بن الحسن لما بلغه أفْعَال الفرنج وحطاطهم في البحر ومضاررتهم ، لم يقرّ به القرار بالغراس خشية على بَنْدر عدن والمخا من وصولهم وضررهم ، فجمع عساكره جميعاً والوطاق وسار الى حضرة الإمام بضوران وسار معه أيضاً محمد بن الإمام من صنعاء وطلب والده زيادة بلاد له فزاد له الإمام بلاد حراز ، وعلى بن الإمام وصل عدن واستقر لما بلغه هزيمة الفرنج .

وهؤلاء[1] فرنج الهند طوائف مختلفون ، فمنهم انجريز ولونده وبرتقال وفرنصيص . والبرتغال هم الحاكمون عليهم وسائرهم رعايا لهم . وقد ذكر المسعودي في مروج الذهب ان فرنج الهند أصليون من قبل الإسلام ساكنون في تلك البلاد ، وذكر قطب الدين في تاريخ بني عثمان الإعلام والبرق اليماني [2] : أن طائفة الفرنج في الهند خرجوا القرن التاسع وضروا في سواحل اليمن قال : وكان خروجهم من وراء جبل القمر بضم القاف من خلف الحبشة بحراً استطرقوا من أصل بحر المغرب من بلادهم ثم بحر الحبشة ثم بحر الهند الى هذا المحل الذي سكنوه في الهند ، ولهم قلعة في الهند تسمى كوة بضم الكاف . وهي محل أميرهم وسلطانهم ، والجمع بين القولين أن هؤلاء الذين خرجوا هم طائفة البرتقال الذين حكمو على فرنج الهند وسائر طوائف فرنج الهند هم الأصليون . وقد صاروا الآن رعايا للبرتغال الذين خرجوا من فرنج المغرب والله أعلم ، وكلهم نصارى ، وهم فرق ذات بينهم وأحد طوائفهم تنكر أن عيسى ابن الله والطّائفة الأخرى تثبت ذلك وهم على دينين .

وفي شهر صفر أو ربيع :حال رجوع الفرنج من باب المندب اتفقوا بجماعة من تجار الحسا وعمان وغيرهم في مرسى بروم ما بين الشحر وبين أحور فقصدوهم ، فهرب

---

(١) الأصل : هلا .

(٢) الاعلام بأعلام بيت الله الحرام ٢٤٦٠ بهامش خلاصة الكلام والبرق اليماني ١٨ .

عسكر العماني ، وكانوا في غراب قدر ثلاث مائة نفر إلى الساحل وانكسر غرابهم ودخلوا بروم ، وكذلك أهل الحسا الذين معهم البضاعة من البن تركوا المراكب في البحر فوصل الفرنج الى قرية وحَرقوه جميعاً وعسكر الحاكم العماني رموا الى جهة الرنج الى البحر من ساحل برّوم فما عرفوا هل أصابوا أحداً أم لا ، وأصيب واحد من العمانيين برصاصة من الفرنج في ساحل بروم ، ثم أن عسكر الحاكم العماني بقوا كذلك حتى حصل لهم غراب آخر بعد أن سار الفرنج ورجعوا بلادهم والفرنج ذهبوا في البحرجهاتهم .

وفــي صفرها : لما استقر محمد بن أحمد بعيان طلب مشايخ برط اليه وذكر لهم مـن أجل الذي نهبوه في طريق صعدة وبطرف العمشية العام الأول فقالوا ذلك قد حصل وتلاشى أمره وانفصل وما هو باق عاد ، وما قد استهلك فيسلم فيه العوض فـدخلوا في ذلك وسلموا من القيم والبنادق بما قيمته قدر ألفين حرف وخمس مائة أو ثلاثة آلاف قيمة الجميع وسلموه اليه . وقالوا النهب شاركهم فيه غيرهم وهذا العوض جهدهم .

وفي شـــهر ربيـــع الأول : ظهر نور عظيم في مسجد النهرين [1] الذي في سائلة وادي صنعـاء لَهَبـة خضراء داخل المسجد بقت من صبح ذلك اليوم الـذي ظهرت فيه الي العصر والناس يتكحلون بالميل من ذلك ، وأهل المكان يقول أن هذا المسجد فيه بركة .

وظهر في هذه المدة براهين وكرامات للشيخ فليح بن مفلح الذي مقبور في طرف سعوان ، وعليه مسجد قديم ومنارة وبركة ومطاهر وذكر أهل الجهة انه قديم وأن هذا المسجد كذلك قديم الأساس وأنه مشهور بالبركة ولا تزال براهينه ظاهرة [وكان يقرب إليه قرية هي خراب الآن] فمنها هذا الزمان كما وصفه الواصف : أن رجلاً أخذ من قضب له شيئاً لغنم معه معلوفة فهلكت أجمع ، ومنها أن رجلاً من نهم سرق من كسوة تابوته شيئاً فأصبح يابساً مكفوتاً فأرجعها وتاب ، ومنها أن جماعة خرجوا من صنعاء الى مَسْجده فتمخلع [2] واحد منهم ولعب جنب حوطته ولم يأخذ أدبه وطلع منارته أطل من موشق فيها فألتم عليه الموشق ولم يستطع لإخراج رأسه حتى استغفر ، ومنها أن نساء

---

(١) مسجد النهرين : من المساجد العامرة غربي السائلة أسفل صنعاء وهو منسوب الى الناحية التي عمر فيها إذ هي مشهورة بهذا الإسم «مساجد صنعاء : ١٢٥» .

(٢) تمخلع : من الخلاعة . أظهر اللّعب والمجون .

دخلن المسجد زائرات وكانت واحدة منهن حائضاً فلما وصلت الباب لم تستطع الدخول وجاء شيء ما منعها . ومنها : أن رجلا أدهن بشيء من السليط الموضوع للتّسريج فسقطت لحيته بذلك ، ومنها أن رجلين لم يأخذوا أدبهم في حوطته وهم عند بركة الماء التي جنب مسجده فلم يشعروا الاّ وهم في الماء أحدهما على الآخر ولم ينفكوا حتى تابوا واستغفروا وتوسلوا ببركة الشيخ في اطلاقهم ، ومنها أن رجلاً نهب على راعي غنم للشيخ فليح بنظر ولي مشهده رأساً من الغنم فبقى ثلاثة أيام وجنّ السارق وأرجع الرأس الغنم على حاله ، وإذا وصل أحد الى باب المسجد وله اعتقاد بالشيخ انفتح ، واذا لم يعتقده لم ينفتح له الباب ، هذا كله في هذا الوقت ، قال أهل البلد : وكم له من براهين لا تزال متكررة متواصلة ، ومن أعظم ذلك أن المسجد لا يزال مفروشاً بالبسط الرداعية والكسوة على تابوته في مكان قافر خلا وقرى سعوان عنه نائية ويضع القيم الحبّ في منزل حوله يدخله كل أحد ويضع جميع ما جاء له من النذور من دراهم وشمع وحب وغير ذلك في حوطته ولا حارس لها ولا يقدر أحد أن يمسّها ولا يقربها ، فهذا من أعظم الكرامات لهذا الشيخ ، قال الراوي : أنه قديم ولم أجده في تاريخ بَيْد أنه روى لي أنه من قبل النبوة ، وأنه كان من أصحاب عيسى بن مريم والله أعلم ، وبعد هذه الكرامات فإنها دالة على فضله ، وفي اليمن أولياء ومشاهد لم يعرف في تاريخ ذكرها في هذه البلاد العليا لعَدم اعتناء الشيعة بذكر تاريخ الفضلاء كما يعتني أهل السنة بهم ، فمنهم الشيخ مياس في طرف بلاد آنس الى ما يلي بلاد عتمة وذاهب ، عليه مقام ومزار ولم نعرف تاريخه في كتب التاريخ ، ومنهم السيد يحيى الذي في السودة وآخرون مغمورون ، ولكن نعلم أن الأولين ما وَضَعوا هذه الأساسات والأبنية والمساجد والمشاهد الاّ وهم من الفضلاء نفعنا الله بالصالحين .

والباشا حسن حج بالناس وأراد ان تكون الحزبة له دون سعد فلم يتم ، فبقى بمكة الى آخر شهر الحجة وعاد جدة ، وكان أرسل الى فرحان بأنه يكون دخول مكة معه حجاج ويتركون الدخول بالسلاح والأرماح فأجاب فرحان أن الأمر للشريف سعد إذ هو الوالي بمكة ، والناس داخلون الى بابه ، وكان دخل الى جدة بحراً ياقوت اسماعيل من أصحاب أحمد بن الحسن ومعه جماعة بسلاحهم فانتهبه الباشا عليهم ، وقال يدخلون مكة حجاجاً ، ثم أن ياقوت اسماعيل سار الى حضرة الباشا وعرفه في ذلك فأطلق له السلاح .

وفي صفرها : وصل العولقي والواحدي إلى رداع ثم إلى حضرة الإمام بضوران ، وكان أحمد بن الحسن قد رجع عنه بعد جمعه لجنوده وجنود صنوه محمد بن الحسن هنالك وأراد أن الإمام يعرف بما في وجهه من الناس وما يتوجه لهم من الايناس ولما وصل الواحدي والعولقي إلى حضرة الإمام عرض عليهم القافلة التي راحت فأصلحوا فيها ثم تقاطروا فيما بينهم من القتول الجارية معهم في قبائلهم فتساقطوها وزاد العولقي للواحدي قدر خمسة وعشرين قتيلاً ، وكل هذه القتول التي حسبت بهم من بعد فتح المشرق ودخول أحمد بن الحسن فأما قبل فلم يجر فيها حساب لكثرتها فيما بينهم . وكان خروج العولقي من بلاده في عسكر كبير من قبائله فوق ألف نفر وبيارقه ، فلما وصل طرف بلاد الرصاص منعه الشيخ صالح الرصاص ، وقال : ادخل بمائة نفر فدخل كذلك .

وفي شهر ربيع الأول : وصل الى الحضرة العالية رجل من الإمامية الإثني عشرية يتعرض للطّلب وحصل للإمام من شعره قصائد كثيرة على الحروف ، وخرج أيضاً مداو يذكر أن له معرفة في أدوية البواسير يقال له الشيخ يعقوب فتحصل من الدوا الذي معه زوال ذلك ، لكنه يتعقبه من بعد الانتقاض وضعف البدن والعود فلم يحصل منه كثير فائدة ، وكان يرسم على الذي يداويه دراهم كثيرة قدر خمسة وعشرين قرشاً وفوق فمنهم من يَبْرى ومنهم من لا يجد لدوائه جدوى .

وفي هذه الأيام : أخرب محمد بن أحمد بيتا كان في طريق بلد الأوساط التي يسكنها لأجل أنه كان مع برط مجمعاً للفساد وأصله بيت قرى جمعه التركي أيام دَخَل برط[1] عمره أيام دخوله فيما سبق .

وفي هذه الأيام : اعتنى صاحب المخا بعَمارة القليع[2] عند المخا وتصليحها وافتقادها لأجل ما وقع من الفرنج وفسادها .

وفي خامس عشر شهر جمادى الأولى : خسف القمر ، أكثر جرمه في برج الحمل وغرب كاسفاً .

---

(١) وكان ذلك سنة ١٠١٣ ، أنظر : غاية الأماني ٧٨٧ .

(٢) القليع : القلاع جمع قلعة (معروف) .

وفي هذه الأيام : وصل خواجا تركي بهدية للإمام وهو وطاق[1] من جهة بلاد الحبشة وسكن بحضرته قدر شهر تام وزلّجه الإمام وأعطاه قياس ثمن وطاقه وزيادة في الانعام فمرّ صنعاء وحضر جمعتها فقال : ليش[2] ما يذكر الصحابة خطيبها .

وفيها : ظهر رجل قيل أنه يدعي أنه شريف إذا سئل ما اسمه؟ قال : عبد الله وأصله فقيه قيل من الخيشني قد كان قباضاً مع أحمد بن الحسن في بعض البلاد ، كان قد قرأ على حي القاضي حسن الحيمي بعض قراءة لم يحصل له فيها فائدة ، وكان له صناعة في كتب الإنشاء فظن من لم يكن به معرفة أن عنده علماً ، ولما وصل الى بلاد كحلان وحجة حصل له من الناس الضيافات والإحسان ، ثم أن صاحب حجة محمد بن حسين بن جحاف استماله الى الدخول اليه فوصل فباحثوه ، فلم يجدوا عنده في العلم معرفة ، وأدب بعض أهل بلاده عن ما فعلوه اليه من الإكرام والضيفة ونهاهم عن ذلك وزلجه ، وأمره بعدم البقاء في بلاده ثم أنه ركب البحر وسار الي حضرة حسن باشا ولازمه ،ثم بعد ذلك سار الى جبل الطائف استقر فيه هذه المدة .

وفي نصف جمادى الأولى : لما تمت اعمال دخول برط وكان علي بن احمد صاحب صعدة قد استقر في بلاد أملح[3] عاد الى صعدة لما بلغه أن أحمد بن الحسن وصنوه محمد بن أحمد يريدون دخول صعدة لما يحتاجون من التأهب للوصلة وكراهية دخولهم في البطنه .

ثم أن الإمام ذكر لأحمد بن الحسن ومحمد بن أحمد بالعود وعدم دخول مدينة صعدة ، والطرق التي كان يدخل برط الملوك السّابقون من جهات صعدة لأنها سهلة لا يخشى فيها حوزة ولا توجد فيها عقبة ولا تعب ولا معرّة بخلاف طريق وادي النيل والمراشي التي تخرج من عيان فإنها مرافض وعقيب وملاوي غير صالحة لدخول الجنود لما يخشى فيها من الخديعة عند التلاقي في الحدود ، وقد دخل برط كثير من الأولين في زمان العباسية وزمان الهادي دخله بنفسه والإمام شرف الدين ، هؤلاء دخلوه جميعاً عنوة ودخله صلحاً الإمام أحمد بن سليمان والمنصور ، وقرى جمعه في مدة سنان باشا .

---

(١) الوطاق : الخيمة (تركية) .

(٢) ليش : عامية بمعنى لأي شيء .

(٣) من أودية صعدة ويقع في الشرق منها .

وأحمد بن الحسن لما بنى على الحركة والارتحال قال لأهل برط : السيد محمد بن علي الغرباني النظر في أمره فقال برط : هو جارهم وعليهم الدرك لا يحصل شيء من جانبه ما دام عندهم ولا يرضون ان يحصل من جهته ما فيه محق ولا أحد من قبائلهم يجيبه ما دام ساكنا وعليهم حفظه ، فقال أحمد بن الحسن : لابد من ضمانات من كباركم على صغاركم في هذا الأمر وعدم حصول الخلل ، فدخلوا في الضمانة وضمنوا بعضهم على بعض ، وقالوا : هذا أمانة ولا يجري منا لما يخالف ذلك خيانة . وأنشأ بعد ذلك السيد محمد الغرباني قصيدة وجهها الى والده بصنعاء وذكر في ضمنها السلام على من يعرفه بها بعد أن بالغ في مدح أبيه بالعبادة والزهادة ثم ذكر عند ذلك قوله :

صلاة الإله ورضوانه عليه نوافجها تنفج [(1)]

وقد جرت عادة أهل الوقت من أهل الزمان التصلية على غير النبي عليه الصلاة والسلام ، كما ابتدعه خطيب صنعاء محمد بن ابراهيم السحولي في خطبه ، بعد أن لم يكن ذلك معروفاً لأحد من قبله ، وقد عرف العلماء أن الصلاة تختص بسيد الأنبياء لا غيره من سائر الناس الأعلى وجه التبع من الآل بعد ذكره صلى الله عليه وسلم ، فأما على الانفراد فلم يقل به أحد من العباد وإنما يقول بذلك الرافضة ، ومن قصيدته هذه بعد أن خرج من مدح والده والتوجيه اليه ذيلها بقوله :

وعج زبني القاسم الأكرمين ودن لهم في العلا أودج [(2)]
وأتحفهم بشريف السلام وعاتبهم إن هم عرّجوا
وقل ما لكم يا بحور الحجى أتيتم بشئ بكم يسمج
جنودكم [كلها] [(3)] أقبلت الى رجل واحد تزعج
وليس له ثروة لا ولا ولا ثمّ أوس [(4)] ولا خزرج
ولم يأتكم منه ما تكرهون سوى أنه قال ذا المدرج

---

(١) أنظر هذه القصيدة في (نشر العرف ٢ ٦٩٧ - ٧٠٢) .
(٢) كذا في الأصل وفي نشر العرف وطبق الحلوى «أوّح»
(٣) ساقط من الأصل وأثبتناه من طبق الحلوى .
(٤) الأصل . ولا أوس ولا حزرج

ومـا قـال إنـي إمـــــــــــام ولا	الإمامــة عنكـم لهـا مخــــرج
ولـكنـه قال إن كـان مـــــــــــا	ذكـرت هـــو المنهـــج الأوهـــج
فحيّ اليـــه اذا شـــئتـــــــم	وإلا فـمـا شــئـــتـم فـانـهـجـوا
وردّوا علـــىّ إذا شـــئتـــــم	مـقالـــي إن كـان مُسْـتـسمج

وهذه القصيدة هي من البلاغة بمراحل بعيدة كما لا يخفى على أهل البصيرة مع ما فيه من اللحن في قوله سوى أنه قال ذا المدرج برفع القافية مع عدم الضرورة فإنه كان يمكن رفعه على وجه لا يكون العامل ناصباً له وكذلك بعده البيت الآخر ، ثم أوعد بعد ذلك بالفتن وأن الدهر لا يؤتمن ، وقد أشار لما ذكر هوما اعترضه على الإمام وولاته وسيرته وأكثرها غير قادحة اذ من لازم الداخل فيها الجري عليها كما ذلك معروف لأحوال الأئمة ممن مضى وخلف في هذه الأمة ، وسواء كان هو متولها أو غيره من أدانيها وأقاصيها ، والسعي في جميع الأمور لصلاح المسلمين لا للتفريق بين المؤمنين ، فقد علم ما في الإجماع من الخيرات وما في التفرق من المحق والتشتتات ، والله يجمع المسلمين على الخيرات والبركات ، وقد قال تعالى «ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها» . وقد ظهر من قصيدة السيد محمد المشار اليها استحلال الخروج على هذه الدولة ، وأنه انما سكَن لعدم القدرة ، وقد كان أرسل السيد محمد بن علي الغرباني في هذه المدة قبل دخول برط برسالة الى أحمد بن الحسن أو بعض أصحابه فيها مطاعن كثيرة في تكثير الجوار يجعلهن أمهات أولاد وأنه تهوّر في تكثير الجوار واتباعه للهوى فيهن والمبالغة في محاسنهن ، ومتى كبرت الأولى بذلها وأخذ أخرى غيرها ، وما زال في كل سنة بل في كل شهر له سرية ، وصار يتخيّرهن ويستبدل بهن ويلبسهن الملابس الفاخرة ، حتى لا يزال يبلغن أربع مائة خمس مائة ، ثم يخرج هذه ويخرج هذه ، وهذا شيء لم يعرف لغيره من الماضين ولا من غيرهم من السلاطين .

وخرج أحمد بن الحسن من برط ، ومحمد بن أحمد في غرة جمادى الآخرة منها ، فكان سكون محمد بن أحمد ببرط قدر شهرين ونصف ، وأحمد بن الحسن شهر وعشرة أيام ، وجاءت طريق أحمد بن الحسن الزاهر ، ثم خرج الخارد والغراس ومحمد بن أحمد جاءت طريقه خمر .

وفي هذا الشهر : لما ولي الإمام بلاد الضحى ومور وخرجت عن ولاية النّقيب سعيد المجزبي فسح لبعض عسكره واستبقى بعضهم عنده وسكن في كمران محله وولده باللحية ليقضي الأعمال ، وقَدْ معه في النفس بعض انكسار .

وفي هذه الأيام : طرد الحضارم الرسول الذي أرسله حسين بن حسن متولياً وردوه راجعاً ومن معه ، وقيل أنه قتل من أصحابه رجلان أو رجل ، فلما كان كذلك قال الإمام الصواب ولاية الشيخ علي الكثيري[1] ، وكان يومئذ عنده فجهزه اليها ونظر أن تَعَبها أكثر مما يأتي من مصلحتها .

وفي يوم الجمعة ثاني وعشرين شهر رجب : حصل قران المريخ وزحل ببرج الحوت .

وفي هذه الأيام : ترجّح لرجل هو أبو مؤذن مسجد الأبهر بصنعاء أظنه من سيان[2] سنحان أن وجأ بطنه بالسكين ، وقد كان في عشر السّبعين وولده اسمه الفقيه صالح السياني بعد أن كان أولا شرع يذبح نفسه بيده ، وسببه أن زوجة ولده وولده ما زالوا يخاصمونه ، ويستثقلونه ويتمنون موته وهلاكه لأجل بخلهم بنفقته والقيام بحاله ، فغضب المذكور علي نفسه فختم له بشر خاتمة نعوذ بالله من ذلك ، والاّ فكان أرض الله واسعة وأرزاقه شاملة ، ولا بد من نَصيب عند غيرهم وسواهم .

وفي هذه الأيام :أمر الإمام بأنه لا يرجع من الدّراهم الاّ ما هو أحمر فأما المقصوص فماض .

وفي هذه الأيام : جاء خبرأن سيواجي[3] رئيس الرازبوت ببلاد الهند من المجوس عضد بعض أقارب السلطان الهندي سلطان الإسلام ، وغزا الجميع بندر سرات فانتهبوه جميعاً وأظهروا الخلاف على سلطان الإسلام ، وهذا البندر هو أقرب البنادر في سمك البحر الى بنادر اليمن المسافة مع صلاح الريح قدر عشرين يوماً ما بينه وبين عدن ، ومنه الى محل سلطان الهند قدر شهرين براً .

---

(١) هو السلطان علي بن بدر بن عمر بن ابي طويرق تولى الحكم بعد وفاة أخيه عيسى بن بدر سنة ١٠٨١ وعاش الى سة ١١٠٧ ودفن بمقرة الشحر «تاريخ الدولة الكثيرية :٨٦» .

(٢) سيان : قرية عامرة جنوبي صنعاء من بلد ذي جرت «سنحان» بالقرب من مَقْولة .

(٣) أحد أمراء الهند الهندوس في ذلك الوقت هَلَك سنة ١٠٩١ أنظر أخباره بتوسع في «تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية» لأحمد الساداتي :٤٠٢ .

وفي رمضان آخر الشتاء : حصل مطر الربيع بأكثر اليمن .

وفي هذه الأيام : جاء الخبر أن سيواجي اصطلح هو وسلطان الإسلام بالهند ، وسكن خلافه وأن الهند فيه خير كثير وصلاح واسع ومطر غزير .

وفي هذه الأيام : وقع في جهات البحرين في حدود البحر الفارسي فتنة .

وفي غرة شوال : خرج جماعة حجّاج من العجم من بندر كنج الى المخا وأخبروا أن الفرنج يخشى منهم ، فإنهم مروا ، و الحاكم العماني متحرز على أطراف بلاده منهم .

وفي هذه السنة : تسلّط مارد في بعض بيوت صنعاء وكان يؤذيهم ويحمل عليهم بعض مفاتيحهم ويردها ، قال : فطلبوا منه مَرّة طعاماً من الزلابيا [1] ، قال الراوي : فلم يشعروا الاّ وهو بين أيديهم فأكلوا منه .

تسعير أسواق صنعاء

وفي شهر الحجة : تسعّرت أسواق مدينة صنعاء في المكاسير[2] ومن قبل لم يعرف تَسْعير الدّولة بل بالتراضي ، فحصل بسبب ذلك ركة مع الكسارين في البيع والشراء بحيث ترك بعضهم ذلك الابتغاء وغلق الحانوت ومضى ، ومنهم من صبر على ما به من البلوى .

وفي حادي عشر القعدة : كان تحويل السنة الرومية ، فكان عنده دخول الشمس أول درجة الحمل ، وأول المريخ في الثور وزحل بالحوت والمشتري بالأسد والشمس والزهرة وعطارد بالحمل والجوزهر الذي تأخر درجة من الميزان ثم تدخل السنبلة .

وفي هذه الأيام : وصلت من صاحب عمان الى المخا رصاص قدر ألفي رطل معونة لحرب الفرنج اذا خرج أحد منهم في السواحل ، كل ذلك منه لأنهم خصومة وكثرة ما جرى بينه وبينهم من الحروب .

وفي هذا العام : حصل مطر الصيف واستمر الى شهر محرم فصلحت الأرض .

وفيها مات الشيخ العارف الصوفي محمد بن الشيخ طاهر بن بحر ببلدة المنصورة بتهامه وكان على طريق والده الشيخ طاهر بن بحر في إكرام الضيف والثروة وخلف ولده عبدالباري .

---

(١) الزّلابيا : عجين يمد على نحو طول شبر في عرض ثلاث أصابع ويغلى بالزيت . وهو بالفارسية (زلبيا) .

(٢) المكاسير : البضاعة المباعة بالتجزئة .

وفيها : مات الشيخ السيد إسماعيل بن إبراهيم الحضرمي ببلده لكلمة ابن سلم ما بين الحيمة وحراز وكان ساكناً فيها من مدة مع ضعف هواها ووبائها وكان مكرماً للضيف ما أحد يمر إلا وأغاثه لأنه على طريق حراز وكان كثير النذور من القبائل وما دخل يده أنفقه رحمه الله واتفق مع رجل أنه لما عبر الطريق وهذه البلد صادف بعض جواري الشيخ بقرب الماء من المورد فكأنه راودها عن نفسها فبلغ الشيخ فدعا عليه فجن في الحال والوقت وتغير عقله وبقى كذلك برهة من الأيام مكبلاً بالحديد ثم لم يلبث أن مات .

ودخلت سنة اثنتين وثمانين وألف

استهلت بالأحد بالرؤية ، وحصل قران المريخ بالزّهرة في نصف محرمها بأول برج السرطان . واتفق قران المشتري والزهرة في برج الأسد ، والزهرة كثيرة القران بسرعة سيرها .

وتأخر الحجّاج الذين يصلون من البحر في هذه الأيام إلا أهل السراة فقط وسببه عدم التمكن للسفر من مكة إلى جدة للخوف ،ثم وصل أهل البحر عقب ذلك .

وفي هذا الشهر : ولدت امرأة للحوثرة من أهل شعوب عجلاً فبقى قدر يومين ومات .

وفي هذا الشهر : اتفق أن السّيد جعفر بن مطهر الجرموزي متولي العدين هرب بعض أصحابه الى مشهد الشيخ صلاح ، فأمر السّيد بإخراجه من الحوزة[1] فلم يساعده أحد فسار بنفسه وأخرجه ، قال الراوي : فخرج عليه حنش عظيم في مجلسه ومكانه ، وما زال يراه في كثير من أوقاته فسار الى المذيخرة ، فلم يشعر الا بذلك الحنش أطل عليه من باب مكانه فصاَح وحصل معه بعض طيش ووحشة ، وكان السيد جعفر قد تقبل بلاد العدين هذا العام بقبال كبير كل شهر ستة آلاف ، فجار على النّاس بسبب القطعة والقبال .

وفي هذه الأيام : ارتفع سعر مكة لأجل تناقص السياق من جدة ، فقيل أنه بلغ القدح الى خمس حروف وتفرق كثير من أهل مكة يومئذ في الآفاق ، وكذا من أهل المدينة أيضاً والحجاز ، فمنهم من سار الى تهامة وزبيد وبيت الفقيه ، ومنهم من طلع الجبال بأولادهم ، ومنهم من طلع بلاد الطائف ونجد .

وفي شهر جمادى الأولى : خسفت القمر في برج الحوت بعد طلوعها بساعة فطمس

(١) الحوزة هنا بمعنى الحمى والحوطة عند بعضهم .

الخسوف جميع جرمها أوله بسواد ثم تغشاها بحمرة ، وكان الخسوف بالرأس بمصاحبة زحل ومقابلة المريخ للكسوف بالسنبلة واستمر الخسوف وقتاً طويلاً ، منهم من يقول ست ساعات ومنهم من يقول خمس .

تغير حساب اليهود في أعيادهم

وفي هذه السنة : تغير حساب أهل الذمة من اليهود لعنهم الله في مواقيت أعيادهم على الشهور الرومية فقدموه على وقته بقدر شهر كامل ، جعلوا سبت السبوت[1] هذه السنة في أول شهر جمادى الأولى وهو في آخره على حساب جدول الخاص وغيرها فدل على تخليط حصل معهم ، وهو دخول العام الثاني الى الواقع في العام الثالث ، ثم رجعوا الى التقديم كهذه السنة بشهر ، وكذلك عيد الفطر خلطوا فيه تخليطاً كثيراً فهو يكون مستمرا نصف فصل الصيف فجعلوه في نصف هذه السنة آخر الصيف ، عند سقوط الثريا وغُروبها وإنما تكون عيد الفطر عند غروب الظافر وطلوع[2] السماك نصف الصيف .

وفي هذا الشهر : عرض الإمام على ولده أحمد ولاية ذمار فأباها ، وقال : يريد الإذن له في عوده شهارة وتوليته لبلادها لمحبته للوطن كونه نشأ فيها ، فولاّه نصف بلاد عذر وامتدت يده في الآداب أينما نهى وأمر ، وعارض بذلك حسين بن الإمام المؤيد في أمور كثيرة ، وصار يقالله فيما يفعله من السيرة ، حتى أن الشاكي اذا شكى الى حسين بن المؤيد وفرض عليه من الآداب والأخذ باليد يقصّر ذلك أحمد المذكور عمل ابن المؤيد ، فَحَصَل في نفس الحسين كضم الصدر من هذا الأمر ، وعدم التوقير للكبير ، وما يتوجه من المراعاة من الصغير ، حتى بلغ الحال أنه لما وفد عيد الأضحى في بعض هذه السنين خرج عن شهارة كراهة للإجتماع ، لما رأى من هذه الأمور المنهارة ، وأظهر التمشية بذلك قبيل العيد وعيَّدَ في قرية الصاية ودخل بعد مضي العيد ، وقد صار هذا الأمر في هذه الهالة[3] الاخره هو الغالب لهم والسجية ولقد قوض بيارقه وطبوله توقّيا من

---

(١) سَبْت السبوت : أصل هذه اللفظة مأخوذ من اسم عيد اليهود وهو بداية الشتاء والبرد عند أهل اليمن وكان له احتفال كبير في زمن بني رسول (أنظر الأكليل سنة ١٤١٣هـ) .

(٢) هما نجمان أول وثاني عد أهل اليمن يأتيان بعد الطرف .

(٣) كذا تقرأ هذه اللفظة .

ثائرة الاشتجار والفتنة لما رأى من شدة النخوة ،[١] ثم كتب الى الإمام يعذره عن الأعمال كان ظنه أن الإمام ينهي ولده عن المعارضة فجاء الأمر خلاف ظنه ، فاغتم من ذلك الأمر ، وأمر الإمام لولده أحمد حينئذ بريح وطبوله والعلم لعسكره ويروى أن الإمام كان أمر بالخروج على الحرامية بتهامة فاعتذر فما زال حاله الى الاتضاع حتى مات أمره وضاع .

وفي هذه الأيام : سار كثير من أهل كوكبان وشبام الى الحضرة العالية شاكين من الأمير عبد القادر بأنه يؤخر بعض ما يعتادونه من التقارير لهم من الماضي والحاضر ، فأرسل الإمام معهم الفقيه محمد بن عز الدين الأكوع . . .[٢] الذي كان مع الحسن بن الإمام القاسم خازناً ومعاوناً فأراد العذر لكبر السن ، فألح عليه الإمام ، وقال : المراد إنما هو المشارفة على محصول البلاد ، فسار المذكور واطلع على الدفاتر ورقمها للإمام لمعرفة الماضي والحاضر ، وكان خرج مع الخارجين من شبام وكوكبان السيدان محمد بن ابراهيم المفضل ، والسيد يحيى بن أحمد الحمزي استنكر ما كانا يألفان من الأمير ناصر من الإحسان وقبول الشفاعات والأجلال غَرَراً منهما وعدم معرفة حال غيرهما ، فوصل السيد محمد الى وادي ظهر سكنه ، وعمر فيه داره ، والسيد يحيى شرى داراً بصنعاء وسكنه ثم ندما بعد ذلك وتأسفا لما عرفا بالحالات وأن التقصير من عبد القادر إحسانا كما قال الشاعر :[٣]

وبـــضــــدّها تتبيـــن الأشـــيـــاء

وفي هذه الأيام : سرق بيت القاضي علي بن جابر الهبل ، قاضي الشريعة بصنعاء ، وكان المذكور في الخريف بأولاده ، فراح بعض شيء كان وديعة لأيتام قاصرين فعرض ذلك الأمر على القاضي أحمد ، فحصل اشتجار بين الوارم[٤] المحتسب على المدينة ، وبين أصحابه أرادوا قسمتها بينهم فغلب المحتسب عليها ، فأخبر أصحابه والي المدينة انها مع المحتسب ، وأنه السارق لها وأنها في موضع كذا ، فوجدت كما وصفوا هذا هو الأصح في خبرها وقيل أنه عرض أمرها على الفقيه أحمد[٥] .

---

(١) في الأصل كتبت هذه اللفظة هكذا صح .

(٢) هنا شطب قدر كلمة واحدة وهي تقرأ هكذا «وقدمه»

(٣) للمتنبي عجز بيت صدره :

ونذيمهم وبهم عرفنا فضله   وبضــــدّها تتبين الأشـــياء

(٤) سبق قبل قليل حرر قتله ولعله ابنه .

(٥) بقية الخبر ضرب عليه المؤلف ولم نتبينه .

ذكر مصنفة الاقتباس

وفي هذا الوقت يسّر الله لي تمام مصنفي «الاقتباس» [١] الى آخره بحمد الله الذي يشتمل على خمسة فنون النحو والصرف والبلاغة وأصول الفقه وأصول الدين في أربعة مجلدة ، وكان الفن الأخير توسعت فيه فكان في مجلدين نصف الكتاب أو يزيد عليه ، واستوفيت الكلام في أصول الدين ونقل أقوال العلماء من أهل السنة وأقوال السلف وأقوال المعتزلة والأشعرية والحنفية والمالكية والحنابلة مما ساق الدليل الى قوة مذهب السلف ووافقه أهل السنة ، ولما كان المنصف من أهل هذه البلاد كالعدم والتقليد قد لصق بالأكثر وعم قلت :

في مثل تقريري لا يحسن العـــذل	وإنما النــــاس أعداء لما جهـــلوا
رأوا تخير قولي في علومهـــــــــم	فأوسعوا القول إذ ضاقت بي الحيل
لو أنهم عرفوا في الحق معرفتي	لشأنهم عذروا من بعد ما عذلـــوا

. . . . [٢]

مع أن الاتفاق بين علماء أهل السّنة والمعتزلة ومن وافقهم من الهدوية أنه لا يجوز التقليد في أصول الدين ، وقد أمْعنت النظر في الآيات القرآنية والتفاسير الأثرية والمعاني العربية والأحاديث النبوية والنقل للآثار عن الصحابة والتابعين وعلماء السلف الماضين من أهل البيت الأولين وغيرهم من العلماء العاملين ، فلم أجد عقائدهم الا على مقتضى عقائد أهل السنة المحققين ، كما نقلنا أقوالهم وتتبعنا آثارهم أجمعين ، وقد جريت على ذلك المنوال باتباع الأدلة والآثار في المسائل الفقهية ، وصنفت أيضاً في ذلك كتابي «الدلائل» [٣] في ثلاثة مجلدات والله الموفق[٤]

وفي هذه الأيام : دخل جماعة من الفرنج الملاعين الى جزيرة سقطري من بلاد المهري فصالحهم وسكنوا في مكان منها يقال له قشن ، وكان قد أهم الإمام بتجهيز زيد بن خليل الهمداني ودفع الفرنج عن القرار بساحل بلاد المهري ، ثم أنه بلغه في خلال

---

(١) من كتب المؤلف الكبيرة يوجد منه الجزء الثالث الخاص بقسم البلاغة بجامع صنعاء (الأوقاف) برقم١٦١٦ .

(٢) الأبيات بتمامها في الأصل فتنظر .

(٣) هو كتاب المؤلف الدلائل الشرعية والعطايا السنية شرح المسائل الفقهية منه مخطوطة في ثلاثة مجلدات بجامع صنعاء الأوقاف برقم ١١٠١ ورقم ١١٠٧ ورقم ١١٠٣

(٤) هنا بياض تركه المؤلف الى آخر الصفحة .

ذلك الأمر تجهيز محمد شاوش من مصر الى جهات مكة وتلك الثغور ، فترك ما كان أهم به أولا وطوى شأنه طياً .

وفيها : شرع أحمد بن الحسن بإخراج غيل عند الحمراء [1] فلما استمر العمل في ذلك المجْرى انهدم على الحفّارة فهلكوا فيه على تلك الحالة قدر سبعة رجالة فترك عند ذلك تمام إعماله .

وفي هذا الوقت والحين وصل الخبر من بندر المخا وذلك المحل الأقصى يذكرون أن الفرنج الذين تقدم ذكره ، وصلت خشبها وركزت في ساحلها ومنعت الداخل ، وجملتهم أحد عشر مركباً ، فكتب السيد الحسن بن مطهر صاحبها الى ما قرب منه من العساكر للتّحفظ على البندر من ثائرة الساكن ، فوصل اليه صنوه من العدين في أربع مائة نفر ومن زبيد حول مائة نفر ، ومحمد بن أحمد بن الحسن استقر بحيس اذا احتيج الى غارة وصل فاستقر الأمر هكذا ، وأهل المخا محافظون على دوائر البندر في الليل والنهار ، وقلعة فضلي فيها رتبة من قبل السيد الحسن قدر شهر كامل لا يدخل الى البندر داخل من البحر [ولا يذوق عساكر البندر النوم بل السهر] ثم وقعت المراسلة بين السيد الحسن وبين الفرنج للصلح وكان أول مطلبهم أن يسلم السيد الحسن جميع قيمة ما راح على أصحابهم فيما مضى لما قصدهم أصحاب الحاكم العماني الى باب المخا فأجاب عليهم السيد : أنكم تسلموا ما أخذتم في باب المخا على المسلمين ونحن نسلم ما راح عليكم من المسلمين ، فقالوا بعد ذلك : يسقط على من دخل المخا منهم بسبب ما زاده السيد زيد من المأخوذ عليهم ويجرى ما كان سابقاً من وقت الحسن بن الإمام لهم ، فأجابهم السيد الى مطلبهم وعقد الصلح بينه وبينهم ، ودخل منهم البعض الذين معهم وسار الآخرون بلادهم هذا جملة خبرهم ، وقيل أن السيد الحسن بذل لهم شيئاً من المال والله أعلم .

ودخلت سنة ثلاث وثمانين وألف

في غرة محرمها : كان استهلالها بالخميس بالحساب ولعله بالرؤية كذلك ، واتفق عند ذلك حلول زحل آخر برج الحوت واتفق قران الزهرة وزحل ببرج الحوت .

---

(1) هي المعروفة بحمراء العلب قرية في بلاد سنحان في السفح الجنوبي من جبل نقم .

ولما وصلت الأخبار المكية والحركات الرومية ، وبلغت البلاد الحجازية إلى الإمام وأولاده وكانوا في غفله عظيمة وذهول عن شيء من هذه الحوادث التي لا تخفي على أهل الفكر السليمة ، فانتبهوا عند ذلك من الغفلة وظهر معهم كواذب تلك الآمال المتقدمة بعد أن كان قيل ذلك إذا قبل لهم : الأورام لا ينبغي تحريك جهات السلطان ، أجابوا : بأنهم قد ركّوا وضعفوا وليسوا الآن كما كانوا ، وهكذا أجاب به الإمام عليّ لما نصحته نصيحة هي في التحقيق عامة لصلاح الإسلام ، وقلت له : الأولى طي الأسباب الفاتحة لأطراف بلاد السلطان ، فلما كان الأمر كذلك حارت بهم الأفكار وتبلدت القرائح والأنظار ، حتى أن الإمام كتب إلى أحمد بن الحسن وولده محمد يطلب مشورتهم وما يكون من أمرهم فاجابوا عليه أن التغافل أولى والسكون والتسكين أحرى .

. . . وكان سبب هذا التحّمل من المتوكل بعد رجوع فرحان ما زاد حركة من مثل قصيدة إبراهيم بن صالح الهندي المهتدي حيث بعث بها إلى حضرة المتوكل منها أولها (١) :

أظلما عن البيت الحرام نذاد على مثلها الخيل العتاق تقاد

حتى قال فيها :

وخيل صفي الدين تمضي بهّمة وأشراكها نسر السماء تصاد

ولو حقق النظر العاقل لم يكن الظلم إلا في قتل الباشا حسن في حرم الله الذي جعله آمنا وأما رد حاج اليمن فلم يحصل منهم بل باختيارهم مع أن كثير منهم حج ولم يصدهم أحد وانما كان خروج عسكر السلطنة لأجل سعد بن الشريف زيد للانتقام منه في ما وقع في بلده . . نعم ولما وصل أحمد بن الحسن إلى حضرة عمه فحال وصوله أفاض عليه وعلى ولده محمد صاحب صنعاء لما وصل صحبته ما في نفسه وما اهتم به في أمسه وقال لهم : أمر مكة صرت مفكرا فيه مشغولا ببادية وخافية والمراد إنكم ترحلون إليها وتؤمون نحوها وتناصرون سعد بن زيد بمن معكم من العساكر ونضيف إليكم سائر الأتباع فترفد بجملة من العشائر فأوجم الحاضرون عن الجواب وثقل عليهم هذا التحمل والخطاب لما يعلمه العاقل بأن القصد لبلاد السلطان ابن عثمان خصوصاً الحرمين

---

(١) أنظرها في نشر العرف ١ :٣٢-٣٤ .

الشريفين الفتح للأمر العظيم والقتال الجسيم وأن صاحب اليمن وغيره لا يقدرون على مقاتلته وإن أمكن الدخول مكة مجرّدة فلا يقدرون من بعد على دفعه لقوة عساكر السلطنة ، وأن صاحب اليمن لا ينبغي له إلا الموادعة أو الاقتصار على اليمن لا غيره وأجمع الحاضرون أن الرأي السكون وأما الحاج ودخوله واستمراره فيراجع صاحب مكة في شأنه ، وهذا التحمل من المتوكل وإظهاره من أعجب العجب في التطور لأمثاله ففي الحديث الذي رواه الديلمي عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : إذا أراد الله نفاذ قضائه وقدره سلب ذوي العقول عقولهم ووقعت الندامة انتهى ، ولله قول الشاعر :

وكم قضايا على غير الصواب مضت حكما ولله في تنفذها حكم

ثم لما رأى المتوكل بعض الحاضرين على غروره جاءه بشئ مما فيه تعجيره فقال له : إذا قد بنيت على هذا الأمر المحال فاشتري أولاً قدر ثلاثة آلاف من الجمال واجمع ثمنها من الخزانة لتحمل الأثقال فجاء ثمن مجرد الجمال بكثير من المال فحار فكره وتهوّن عزمه ، ووصل كتاب محمد شاوش يذكر فيه للمتوكل أنه بلغه رجوع بعض الحاج اليماني وأنه ليس برضا منه ولكنه ربما الخوف من الباشا حسين وأن سعد بن زيد إذا أراد الوصول إليكم فلا تساعدونه إلى ذلك .

وفيها : انتهب سحار وقيل آل عمار قافلة كانت سارحة من صعدة فيها دراهم كثيرة لأجل الموسم مصدره الى المخا وصنعاء وسببه أن صاحب صعدة ، كان هذه الأيام عند المتوكل بضوران ، وكان في صحبته عنده شيخ البلاد لم يقض له غرضه وطال عليه المقام ، فسار بغير زلاج وفعل هذا عند وصوله ، قيل ولعل صاحب صعدة سعى به فيه أنه يريد الخروج .

وفيها : عزل أحمد بن الحسن الأغا فرحان عن ولاية بندر عدن وولاه غيره ، وما زال عقب ذلك التخطف خارج صعدة للغادي والرائح وكف أكثر التجار عن الإرسال بالمال خشية من نهب القبائل وعدم الاحتفال .

وأحمد بن المؤيد أرسل صاحب عيان مع بعض القوافل جماعة من عسكره الى باب صعدة .

ووصل الخبر أن صاحب الشحر أمير الدين العلفي لا ينفذ له أمر في غير البندر ، فصالح القبائل وسكن .

وفاة شلويع

وفيها : مات الشيخ المسمى شلويع بالشين المعجمة ثم باء موحدة كان المذكور بمدينة صنعاء اليمن مجذوباً مخلوعاً[1] ، له رواتب يرتب بها من الأسماء لله الحسنى يدعو بها في كثير من أوقاته وصلواته ، ويلحن فيها لأنه رجل عامي ، قيل أصابه الجذب بسبب الأسماء ، وكان يبيت بالّليل في سمسرة وهب التي خارج باب اليمن ، ويستأجر واحدا من الذين في السمسرة يربطه وحراسته حال نومه لئلا يخرج شارداً من الذي يعتريه من الجَذب . منها قد يدخل النهار المدينة يطلب الصّدقة في الأسواق ويصلي في بعض الحالات بجامعها ، وكان قد شاخ وكبر وضعف ، ولباسه قميص من ثوب خشن وعمامته خرق وخيوط ، وقد يستحد لسانه ويشتم من عانده بالكلام الفاحش ، نسأل الله التوفيق وحسن الخاتمة .

وفي هذه الأيام : وصل الى الإمام شكاة من أطراف بلاد سنحان الى ضوران ، فأرسل الإمام على المشْكيين جماعة عسكر ونفاعة[2] ،فبلغ ولده محمد متولي صنعاء وسنحان فأرسل على العسكر وطلبهم الى حضرته ثم نهبهم وأمر بحبسهم ، فعجب من ذلك كثير من الناس ممن اطلع على ذلك واستغرب كثيراً لعظم أمر الإمام وكون هذا لا يليق في حقه ، ولو كان من غيرولده لكان خلافاً وبغياً وخروجاً ، والإمام سكت عن ذلك وصفح فلا قوة الا بالله ،والسبب حدة طبع المذكور فيعتريه عند بادرة الأمر حدة مزاج وانحراف ثم يفيق بعد ذلك الى المعقول ولعله الإدلال والله يصلح الأحوال .

وفي هذه الأيام بشهر ربيع الأول :وصل من جبل صبر بعض مشايخها يشكون من واليهم الشيخ راجح الآنسي ويذكرون للإمام إزالته عنهم وتولية غيره عليهم ، فلم يساعدهم الى ما طلبوه ، ولم يُسْعفهم فيما قصدوه ، ثم أن أهل جبل صبر والحجرية عند ذلك منعت المطالب وقالت : لا نسلم الى الشيخ راجح شيئاً من المعتاد حتى تولى علينا غيره وننقاد ، وحصل بينهم وبين أصحاب راجح ما حصل ، وقتلوا ثلاثة من العسكر

---

(١) المخلوع والخلع بكسر الخاء واللام : الطائش والمتهتك وربما المجنون أيضاً وفي القاموس : الخلوع الفزع يعترى الفؤاد كأنه مس من الجنون .

٢) أجرة تفرض على الأهالي للعسكر ونحوهم .

وامتنعوا من التسليم اليهم عن تجمل وأرسلوا بما عليهم الى حضرة الإمام ، ووصل اليه جماعات من المشايخ لأجل ذلك الإلمام ، وحذف المؤذن بمدينة تعز «حي على خير العمل» من الأذان كما هو مذهب الشافعية وسائر أهل السنة في جميع الزمان ، وسكّن قبائلهم محمد بن أحمد بن الحسن ، وأرسل الإمام عليهم السيد صالح عقبات بجماعة عسكر بأدب لأجل ذلك الأمر ، وعمر محمد بن أحمد المنصورة رأس جبل الحجرية وجرّ اليها المدفع ، فبذلك حصل منهم الردع .

وفي شهر ربيع الآخر : توفي السيد الأكرم الأعظم محمد بن الحسين بن علي بن ابراهيم بن جحاف متولي بلاد حجة بمقره حصن مبين وهو معتاد محل واليها وخير مربع فيها ، وكان السيد المذكور قد زاد في قصر مبين أبنية وسيعة وقصوراً رفيعة في مدته ، وجعل الإمام بعده في الولاية صنوه جمال الدين علي بن الحسين .

وفي هذا العام تخمن[1] البز على أهل الهند بالمخا وعدن فنفق بعضه وبقي بعضه ، فوكل أهل الهند لبيعه وساروا وبعضهم بقي عنده الى الموسم الآتي ليبيعه .

وفي هذه الأيام : وصل محمد عامر من الحبشة إلى ساحل المخا مطروداً لما وصل عمر باشا إلى سواكن ، وكان جرى من محمد عامر هذا المخالفة وهزم عساكر السلطان وأخرج الباشا مصطفى الأول من سواكن وأراد التغلب وبقي محمد عامر متردداً إلى ساحل المخا لم يدخله بل عرج عنه في البحر لا يدرى أني استقر .

وهذه الأيام بالشهر المذكور في الخريف : وقع مطر جود بجبل إرْتل وبيت بوْس جنوبي صنعاء ، فنزل سيله جاراً ذيله بوادي المدينة فاتصل بغيل خندقها الذي أحدثه الإمام في المدة السابق تاريخها فدفنه وخَرّبه من أعلاه الى أسفله ، وهذه المرة الثالثة بخرابه ، وكذلك معه غيل العلفي المستخرج بالسد ، وغيل الحسين بن المؤيد بالله في السد أيضاً ، وسلم غيل الجراف وغيل جمال الدين علي بن المؤيد بالله وهو أحسن الغيول لا تضره السيول لتجنّبه ومَيلانه من مجرى الوادي .

وفي هذه الأيام : أمطار الخريف كانت قليلة وفي أماكن يسيرة فبلغ السعر للحنطة الى ثلاثة أحرف والذرة مائة بقشة ، والشعير الى حرفين ، ونجع[2] أهل المشرق مثل خولان

---

(١) كذا تقرأ هذه اللفظة في الأصل . ولعله تخمّر بالراء المهملة آخر الحروف ، ومعناه عندهم الذي أصابه بلل من الماء والله أعلم .

(١) نجع القوم وانتجعوا ذهبوا لطلب الكلاء في مواضعه .

صنعاء وسنحان وبلاد نهم وجميع المشارق الى بلاد المغارب والى اليمن الأسفل والتهايم ، ونضَبت الأنهار في بلاد سنحان والآبار ، وكذلك في أودية المشارق وبعض أودية المغارب بحيث يبس بعض الأبنان[1] لانقطاع الغيول ، وظهرت الركة للكثير من الناس لتلاحق القحط والجوع الذي جرى في سنة تسع وسبعين فلم يكن معهم بعد ايناس ، حتى أنه بلغ شبكة التتن سبعة حروف ووزن رطل التتن فإذا هو بخمسة كبار ، وهذا شيء لم يعهد ، ولولا اليمن الأسفل مازال يرحل منه الطعام الى صنعاء لبلغ السعر عشرة حروف ، والتهايم هذه السنة صالحة وإنما الغلاء في الجبال فقط ، ولله في كل أفعاله حكمة والله لطيف بعباده .

وما زال الغلاء وقلة الأمطار من سنة سبع وسبعين وألف يتردّد ولا نعلم اتفاق مثل ذلك بل قد يحصل في سنة وسنتين أو ثلاث . وفي العشر الآخرة من جمادى الأولى هرب جماعة من أصحاب سعد بن زيد [2] بعد وصوله هو وهم الى بيشة [قدر أربعين نفراً ومنهم الأغا شعبان شرقي] فوصلوا الى صنعاء الى حضرة الإمام وقد سلب أكثرهم السلاح والحوائج قد راح ، وذكروا أنهم تفادوا أرواحهم ببذله للقبائل في طريقهم حين خرجوا على هذه الحالة .

وفي هذه الأيام مما يعتبر به الأنام : أنه وصل شامي الى صنعاء اليمن ببغل سعد والخطام مع غيره مما بذله من خيل الشام وقال : أنه شراه من سعد بحب[3] وقشر بأرخص الأثمان .

وفي هذه الأيام قبض محمد بن الإمام مخلف سعيد بن ريحان لما استكثر ما خلف من النقود والذهب من مدة ولايته لبندر المخا تلك الأيام وترك لورثته اليسير ، وقيل أنه أوصى وصية ، وعين لبيت المال ما عيّن[4] وكان حال ولايته وهو مملوك لشرف الإسلام الحسن بن الإمام ثم أن المذكور كاتب نفسه وأعتقه أستاذه .

وفي هذا الشهر (شهر رجب) : حصل حال التّعشيرة في مدينة صعدة رصاصة أصابت بيرق حسن بن الإمام فانكسر عوده والترامي من أصحاب علي بن أحمد هو وجنده ،

---

(١) الأبنان : هنا جمع بن (معروف) .

(٢) سبق ذكره .

(٣) الحَبُّ : الطعام (معروف) والقشر ، البن (معروف)

(٤) وهذا هو الظن محمد بن إسماعيل المذكور لورعه وتقواه .

فكادت تحصل فرقة بين العسكرين ، ثم أنه حبس الرامي وحصل في نفس السيدين ما حصل من هذا الأمر الجاري ، وسيفان في غمد لا يصلحان ، ولا يكاد في الغالب يتّفقان ، ولما استقر حسن بن الإمام بصعدة طلب مشايخ آل عمار وسحار من أجل ما راح من القافلة على التجار فأجابوا أن أكثر الفاعلين قد هربوا وهذه بيوتهم وأموالهم بين أيديكم افعلوا فيها الذي ترون ، فأمرهم بتسليم الأدب الذي فرض والده الإمام عليهم فسلموه ، وأمر بخراب بيوت الذين هربوا ، وقد كان قبض على سبعة نفر من الناهبين وأمر بتعزيرهم في أسواق صعدة وضرب المرفع فوق رؤوسهم لأجل تلك النهبة ، ثم لما خرج من صعدة كما سيأتي تاريخه أمر بضرب عنق ثلاثة منهم وأرسل بباقيهم في الزناجير الى حضرة والده لما جرى منهم وبسببهم ، وأنكر بعض الناس على المذكور قتله للثلاثة ، وقالوا : هذا كان بعد الأمان لهم والطاعة ، والقتل لا يكون أيضاً الا بعد تحقق قتل صدر منهم كما هو شرط المحاربين والمفسدين والناهبين .

وفي يوم الأحد سابع شهر شعبان : وقع قران بين المريخ وزحل في أول برج الحمل ، وكان المريخ في بيته وقوته حال هذ القران ، وزحل كان في بيت هبوطه ، وكان المريخ المرتفع على زحل حال هذا القران من الأفق الشمالي بقدر ذراع على مقتضى حساب الزيجات[1] على تقسيم المتأخرين . وعلى مقتضى تقسيم البروج للأولين كان ذلك في برج الحوت .

وفي هذه الأيام : أرسل الإمام بصدقة الهند الى سعد بن زيد بعد وصول رسول سلطان الهند الى حضرة الإمام واستفهامه في شأنها وكيف يكون أمرها لأنها كانت مصدرة الى سعد بن زيد قبل أن يبلغ الى صاحب الهند تحول الدولة وزوال الحالة ، فقال الإمام : نرسل بها الى من صدرت اليه ، وكان الواصل بها السيد عثمان الحلبي الأصل ، فادعى السيد أنه كان قَدَّم سعد بن زيد العام الأول وهو بمكة وأنه لا يرسل الا بما بقى بعد الدين له فأخذ ذلك ، وبقى حول النّصف مما هنالك فأرسل به الى سعد وهو يومئذ ببيشة فكانت أعظم واصل عنده .

وفي آخر رمضان منها : وصل الخبر بخروج قلياطة[2] من باشا مصر بحراً ، فيها

---

(١) الريجات والأزياح : جمع ريج وهو عند المنجمين كتاب يعرف به أحوال حركات الكواكب ويؤخذ منه التقويم .

(٢) تحقق هذه اللفظة لم أجدها في المعاجم . ولعلها المرقاطة أنظر السفن الإسلامية ١١٥ .

جوامك العسكر وطعام وخلعتان ، أحدهما للشريف بركات والأخرى لمحمد شاوش ونوبة وصنجق [1] وزيادة عسكر قدر مائتين ، هكذا جاء الخبر به ، واختلفت الأخبار في سببه والله أعلم .

وجاء خبر أيضاً هذه الأيام : أن أسواق مكة وجدّة لبست لبشرى اصلاح ما كان انتقض على السلطان أطراف بلاده .

وفي هذا الشهر : جاءت جوابات محمد شاووش والشريف بركات على الإمام بأن الحج ثابت ولا منع لأحد عنه ، ولكن لا يدخل الى هنالك الآ على الحالة الأولى ، صفة حجاج بغير سلاح ولا بيرق ولا رماح ، وطلب بركات ارسال بالدراهم التي كان يرسلها الى سعد ، وكان أراد الإمام أن يأمر فرحان بالعزم مع الحاج على العادة الماضية والحالة السالفة ، ثم أن أحمد بن الحسن أرسل كاتبه السيد صلاح بكتاب ويوصيه بأن ارسال فرحان خطأ ،فأرسل الإمام السيد أحمد بن صلاح صاحب جازان وأبي عريش على العادة التي كانت في مدة المؤيد بالله ،وكان يومئذ في حضرة الإمام الا أنه عيّن معه حول ثلاثة مائة نفر ودراهم للشريف بركات قدر عشرة آلاف قرش وقيل أربعة عشر ألفاً .فسار المذكور من ضوران طريق تهامة ، فلما وصل العسكر الى أبي عريش حصل بينهم افتراق ومضاربة وشقاق فيما بين أصحاب السيد أحمد وبين الآخرين ورجع بعضهم الى بيته وبعضهم اعتذر بعروض علته ، ثم تقدم السيد أحمد بمن بقى معه ومن انضم من الحاج على قلته وساروا في أمان الله وبركته .

وفي هذه الأيام : شاع نادرة غريبة وحكاية عجيبة : وهي أن صورة امرأة ظهرت لرجل من أهل كحلان تاج الدين عند بعض أهله من الفلاحين ، وحتّمت عليه ضيفة وعشاء وذبح رأس بقر لها متى جاءت تأكله في المساء ففعل ذلك المذكور وجعل من الطّعام معه الميسور ، وأقبلت اليه فأكلته ، وقالت هي الحطمة التي كانت في اليمن ، وانها خارجة في هذا الشهر والزمن ،وهذه لعلها صورة شيطانية ليعتقد العامة أنها المؤثرة في الحطمة الرّبانية ، والموثر والمحطم والقابض والرزاق الله تعالى المتصرف بما يشاء سبحانه .

وفي شهر شوال منها : أصبح فقيه يقال له بدر الدين وهو من أولاد الفقيه مهدي بن

---

(١) الصجق والسجق لفظ تركي بمعنى العلم أو الراية . أو اللواء والسنجقدار هو الذي يحمل الراية خلف السلطان

محمد المهلا[1] بحانوت بصنعاء ميتاً وقد حرق فراشه وحوائجه ، فقيل أنه يجعل كل ليلة مستوقداً عنده لأجل يشرب التتن فحرق من ذلك وغَمّ نَفَسه الدُّخان المستكن .

وفي رابع وعشرين شهر شوال : وقع قران الزهرة لزحل ببرج الحمل على حساب المتأخرين والزيجات ، وعلى تقسيم البروج للأولين كان ببرج الحوت ، وكانت الزهرة هي المرتفعة على زحل .

معدن جبل ثائبة

وفي هذا الشهر : استخرج محمد بن الإمام بجبل ثايبة من بلاد نهم معدناً حديداً إلاّ أن فيه قساوة كثيرة وأعماله عسيرة ، وأدخلوا منه الى صنعاء فلم يصلح للحدادين بل تكسر حال الوقيد والمطارق فتركوه وأهملوه ، لأنه غير مطابق ، ولعلّه أحد أجزاء الفضة لكنهم ما عرفوا جمعه وعقده ، وكان أمر الوالي أن يعتنى بمعدن الفضة الذي كان فيها ، فلم يحصل على طائل لعدم معرفة الإكسير فيها ، وكان هذا المعدن في مدة المنصور بالله عبد الله بن حمزة يستخرج منه شيخ البلد ويأخذ الإمام فضّة منه الخمس فيما حصل من العدد كما ذكره صاحب سيرته ، ولم يبق في هذا الزمان من يعرف صنعته لأمر لله فيه حكمته ، وانما يصنع في هذا الجبل الرصاص .

وفي هذا الشهر جاء الخبر مع العمانيين وأهل البصرة والحسائيين من التجار المسافرين أن صاحب عمان صالح الفرنج وأمن البحر قال الراوي : وكل ذلك لأجل أن صاحب عمان قد ولع بالتجارة . . .[2] .

وفي خامس شهر الحجة : كان وقت تحويل[3] سنة العالم والشمس في أول درجة للحمل على حساب الزيجات والمتأخرين في تقسيم البروج ، وكذلك عطارد وزحل في الحمل أيضاً والزهرة في الثور والقمر في الجوزاء وكذا المريخ والجوزهر[4] في الأسد والمشتري في الميزان .

وجاء خبر هذه الأيام : حصول حرب ما بين الأشراف خارج مكة حدود الطائف ، فقتل

---

(١) سبق ذكر سميه : مهدي بن عبد الله المهلا . وهذا المذكور لم أجده

(٢) هنا كلام دخل في الكشط لم يتّضح لنا ولعله يقرأ في أصل الكتاب بصعوبة بالغة والله أعلم .

(٣) التّحويل : عند المنجمين توجه الكوكب من آخر برج الى أول برج آخر أو انتقاله مطلقا .

(٤) الجوزهر من منازل القمر . معرب كوزهر بالفارسية

جماعة من الفريقين ، وكان الحرب فيما بين الشريف أحمد بن زيد بن محسن وحمود ، وأما سعد فصار في بيشة وحدودها .

وفي خامس شهر الحجة : خرج حسن بن الإمام من مدينة صعدة الى جبل رازح ، وكان علي بن أحمد بن الإمام بصعدة قد ظهر تضرره بطول بقاء حسن بن الإمام وثقل عليه ذلك الإلمام وأهمه في اليقظة والمنام ، وعطل في نفقاته الحبوب التي قد جمعها بصعدة من سابق الأعوام ، وكان سالماً من معار الضيافات لعدم من يدخلها من أهل الأمر في هذه الأوقات .

وفي هذه السنة أو غيرها : حصل بصبيا بتهامة الشامية حريق فخرق فيها المنسكي التاجر هو والعبد الذي معه وحرق عليه من ماله بعضه ، وكان قد كبر في السن وعمي آخر مدته فكان موته بالحريق لم يقدروا على التخلص من النار وكان في مربعته .

وفي هذه الأيام : وصل خبر مَوْت الأمير العادل المتولي لأطراف بلاد الشاه من الجهة التي تلي بلاد الهند وأقصاه ، وكان سلطان الهند قد تصالح هو وإياه حتى زوجه بعض النساء من قراباته إتقاء لشره وضرره وترك أطراف بلاده فبقي كذلك تلك مدته مصالحاً لصاحب الهند الى أن توفى في هذا التاريخ .

وفي عيد عرفة منها :كان يوم الثلاثاء استند فيه الى قاضي تعز الفقيه علي المخلافي الشافعي وشهد على مثل ذلك في الروضة من أعمال صنعاء باليمن الأعلى عند القاضي عبد الواسع العلفي[1] وأخبروه أنهم رأوا الهلال ليلة الأحد فلم يحكم بها ولم يعول عليها ، قال : لأنه يُركنون في الليلة فيعنون باللّيلة المستقبلة لليوم الماضي وحكم بها علي بن جابر الهبل ، والهلال رأيناه ليلة الإثنين عشية الأحد صغيراً بحيث لم يلبث أن غرب بسرعة قبل أن يتمكن المغرب والمؤذن يؤذن ،ولا شك أن ذلك لا تستقيم فيه الرؤية عشية السبت أصلاً لأنه كان يومئذ في قدر ست درج من الشمس ولا يمكن رؤيته في السهول فضلاً عن المواضع التي بين الآكام مثل صنعاء والروضة وتعز ونواحيها لارتفاع الجبال عليها ،وإنما يكون أوله هذا اليوم الذي ذكروه بطريق الحساب بتعقبه لحجم الشمس من غير إمكان الرؤية بلا ارتياب ، والشرع طريقه الرؤية ولا يمكن الا فيما

---

(١) هو عبد الواسع بن عبد الرحمن العلفي القرشي من العلماء وفاته سنة ١١٠٨ «البدر الطالع ١ :٤٠٩» .

زاد على ست درج للمعرفة ،فحصل مع كثير من الناس اضطراب واستبعاد ، ومنهم من أخر العيد ولم يعمل بهذه الشهائيد[1] ، وقد وقع مثل هذا في بعض السنين الماضية مما حكم به القاضي حسن حابس كهذه القضية الجارية والله أعلم .

وفي هذه السنة : فتح الإمام قراءة في «المشكاة»[2] في السنة النبوية فأصاب غير أنه أمر القاري لا يملي شيئاً من الأحاديث المتشابهة وما كان مثل ذلك يصلح لأن المتشابه مردود الى المحكم كمتشابه القرآن ، وكذلك كان فعل قراءة في صحيح مسلم المدة الأولى .

ودخلت سنة أربع وثمانين وألف

في يوم الجمعة خامس شهر محرم : وصل خبر الحاج فذكروا أن الحج كان مباركاً والأمان على جميع الوافدين موافقاً ، وأن الوقوف بعرفة وتلك المواقيت المشرفة كان يوم الأربعاء بالشهرة كما هو مقتضى الاستهلال والرؤية ، وأنه وصل الباشا محمد من طريق الشام ، ومعه من العسكر ما يزيد على خمس مائة فارس من الخيل الجياد ، وحول ألفين وأكثر من الأجناد وخيم ببركة ما جد ، وحاج المصري فيه قوة عظيمة ، وأن الباشا محمد الخارج المذكور شدد في التامين لحجاج بيت الله الحرام ، وتوعّد على من غدر أو سرق أو نهب العقاب التام وحجّ الناس أحسن الحج مع الكثرة للخلق ، وأخبروا مع ذلك بتهون الأسعار وكثرة الخصب والكلا والريف والعلف في جميع تلك الأقطار ، قال حجاج اليمن : وظهر في عسكر السلطان السؤال عن أحمد بن الحسن والإمام . . .[3] مع الحجاج من المشاة والركبان والسيد أحمد بن صلاح بلّغ ما معه من الدراهم التي صدّرها الإمام معه إلى يد الشريف بركات .

وفي نصف شهر محرم : وأخبروا أن الباشا محمد أخرج من مكة ، من بقى من الذين كانوا مع سعد بن زيد ، ومنهم من اعتقله ومنهم من أرسل به الى حضرة السلطنة ، ورفع المجابي من جميع أسواق مكة وأمر بتوريث من مات بمكة وجدة ، ولا طريق لأحد فيما تركه مما كان يفعله أشراف مكة .

وفي نصف شهر محرم : حصل قران بين الزهرة والمريخ في برج السرطان على مقتضى

---

(١) الشهائيد كأنه يَعْني الشهادات جمع شهادة .

(٢) كتاب مشكاة المصابيح للخطيب التبريزي المتوفي سنة ٧٣٧ طبع عدة طبعات أقدمها طبعة بومباي سنة ١٢٧٠ .

(٣) هنا قدر ثلاثة أسطر ضرب عليها .

تقسيم البروج للمتأخرين وعلى تقسيم الأولين كان في برج الجوزاء ، وكان المرتفع حالة القران هو المريخ من جهة الجنوب ، ثم انفكت الزُّهرة عنه قليلاً في ذلك البرج ورجعت القهقرى فقاربت المريخ المذكور في نصف شهر صفر قران آخر .

وفي هذه المدة : كان وقت الصيف فحصل فيه أمطار مستمرة من أول الصراب الى آخر الصّيف عند سقوط الثريا ، فصلحت ثمرة الدثا[1] على هذا المطر زرعوه في أوله واستمر المطر عليه الى حصاده فتهوّن السعر بعض التهون ونَقَص حول الثلث مما كان قبل ذلك .

وفي شهر صفر : غزا جماعة من بني نوف من قبائل دهمة الى أسافل الجوف فانتهبوا منه وقتلوا ، وكذلك تعقبه مغزى الى أطراف ومساقط بلاد خولان وبدبده لما نجع أكثر خولان هذه السنة ، وكذلك لحق مغزى من برط الى أسافل الجوف بحدود براقش فوقع بينهم وبين من نهبوهم قتال راح من برط نفران ومن أهل الجوف خمسة ، وأحمد بن الحسن لما بلغه أرسل حول ستين نفراً من أهل البنادق لحفظ الصافية له في الملتقى فمنعوها ،ولم يصل أحد اليها . وبقى من حضرته ممن كان متعلقاً به من برط وقال : ما بقى بيننا وبينك ثقة ولاكنه[2] ولا نفعت المداواة لكم كما لا ينفع الدواء الجروح الفاسدة ، وأهم بغزوهم الا أن الإمام قرره وقال : لاتزر وازرة وزر أخرى ، وهم قبائل لا يحكم عاقلهم على جاهلهم ولا قائد لهم بل كل منهم رمحه بنانه وانتصافه لنفسه والأمر كذلك . ولا نفع منهم الا حفظ أطراف البلاد الجوفية كون بلادهم لا تحمل العسكر ولا تقوم بمن بها استقر .

وفي هذا الشهر : اتفقت لرجل يقال إنه من بني بنيان من صنعاء اليمن أنه سار الى حضرة الإمام للطّلب منه والسؤال والرفد والنوال ، فطال به المقام الكثير من الأيام فانحرف مزاجه ، وغلب عليه كلامه واستحدّ به لسانه وتبلبل بلباله ، وذلك عقب صلاة الجمعة في الاجتماع من المسلمين والحضرة ، وقام على قدميه كالخطيب يقول بأعلى صوته : هذا الإمام قد صار عطاه . . .[3] والفقراء حرموا عنها ولم يصر اليهم شيء منها ولكن سَيَرى سبب ذلك وما يحركه من هنالك ، ولا يكون آخر هذا أولاده مثل عيال

---

(١) الدثا : هو المطر الموسمي انظر «ملح الملاحة : ٥٠» .

(٢) كذا في الأصل ولعله «ولا ركنة» كما هو في كلام أهل صنعاء .

(٣) هنا شطب بقلم المؤلف قدر سطرين .

شرف الدين ، وسار المذكور ولم ينتظر لشيء انتهى كلامه ، وللمجيب أن يجيب عليه هنا أما أولاده لصلبه فهم كما ذكر هذه المدة في النعم الشاملة وغيرهم ممن له الولاية ، وأما غيرهم فقد صاروا الآن حالهم كمن ذكر من أولاد شرف الدين يكسبون على أنفسهم ويحْترفون ويبيعون ويشترون لا يصلهم الإمام ولا غيره بشيء من المال بل سعيهم في نقص من كان له بعض شيء على كل حال ، ومن كاسح منهم وكثر في السؤال صار اليه النزر اليسير على أشق حالة ، ولكن أيها الفقيه المنافسة كلها في غير هذا ، فالدنيا كلها عاطلة وأحوالها زائلة والسعيد من رزق منها أدنى الكفاف ، وقنع بما جاء منها وما فات ، فالله يختم لنا بالخير ويغنينا بفضله وكرمه عن غير بابه الواسع الذي وسع كل شيء .

وفي هذه الأيام : وصلت كتب من المهري صاحب جزيرة سقطرى والساحل الحضرمي الذي بين بلاد الشحر وبين ظفار تذكر للإمام أنه يرسل بعيّنة من العسكر وأنه قدْ بنى على الانقياد والائتمام ، وسبب هذا من المذكور وما كتب به في ذلك المصدور ، أنه كان انتهب الأيّام الأولى بعض من وصل الى ساحل جزيرة سقطرى من جهة بلاد العماني لشيء من البضاعة فتحمل الحاكم العماني وجهز عينة الى ذلك البادي ، فلما شعر بذلك المذكور هرب من الجزيرة الى ساحل الشحر للجيرة ، ودخل أصحاب العماني سقطرى فلم يظفروا بشيء من ذلك الأمر الذي جرى ، فأشير على الإمام بترك إجابة المذكور والاشتغال بغيره برعاية مصالح الجمهور والقريب من البلاد والأمور لا سيما مع تغير حال الأشراف واضطراب أعمال مكة وتلك الأطراف . وأصحاب الحاكم العماني لما لم يجدوا ما طلبوه وفاتهم الأمر الذي قصدوه عادوا بلادهم وسكنت أعمالهم .

وفي هذه الأيام : ظهر رجل من بلاد شظب يقال له الفقيه حسن بن صلاح بن الفهد ، يعرف بالخبايا ويخرج على قوله الأسحار بتربيع ضرب الرمل في الظاهر وهو يحتمل التعمية والتمثيل ويظهر أنه يكتب الى رؤساء الجان فيأتيه الجواب منهم بخطوطهم على قوله وقد يضع ورقة منه في طاقة المنزل بابتداء الكتاب والعرض فيأتي ظهر ورقته بالجواب على مقتضاه من قبل الابتداء له يقول له : ضع هذه الابتداء هنالك يأتيك الجواب فيكون كذلك هذا جملة ما هنالك والمذكور يلبس الجوخ واللباس الغالي وذكر أنه أخذ ذلك على رجل كان بتهامة قد مات يسمى الفقيه محمد الولي ، وظهر آخر أيضاً

حضرمي له من المعرفة مثل هذا الشظبي والله أعلم ، وكان في شهر شعْبَان قد ظهر ثلاثة أنفار بجهة لاعة لهم هذا الشأن قد استخفّوا عقول كثير من العامة والخاصة ، وجمعوا منهم أموالاً كثيرة ، فبلغ الإمام شأنهم وأعمالهم فكره مثل ذلك ، وأرسل جماعة عسكر بأدب عليهم فوصل اليهم أولئك العسكر وعادوا بغير أثر ، وكان الإمام ألزمهم بحبسهم فلم يتم شيء في شأنهم ، ثم أرسل الإمام غيرهم فرجعوا كذلك ثم أرسل ثالثاً اليهم ، وأمر بحبسهم بحصن غولي فحبسوا جماعة من أقارب الرحائل وأمروهم بمنع الرحائل ، وأما أولئك الثلاثة فخرجوا عن تلك الجهة وأعيا الناس أمرهم واستحوذوا عقولهم . لكنهم تركوا لاعة وداروا في غيرها من الجهات الواسعة ولعل هذا المذكور والحضرمي الآخر من أولئك الذين كانوا بلاعة ، ووصل الشيخ المذكور الى صنعاء في شهر ربيع من هذه السنة فأظهر عمله واستخف عقول كثير من الناس ، وأظهر لهم فعله فعجبوا من إخراجه الأسحار ومن المكاتبة الصادرة منه للجان ، ولازمه يحيى بن الحسين بن المؤيد بالله[1] وأخذ عنه الصنعة وطلب منه المعرفة فعلمه المذكور ، وقال : انه قد ربما يدرك ذلك المسطور ، فيحتمل أن تكون هذه الأمور من الشعبذة والتّمويهات والمخرقة فلا ينبغي الاغترار بذلك اذ قد تكون هذه الصنعة من صنعة قلب الأعيان ، وهي من أنواع السحر كما قرّره العلماء فيما مضى من الزمان ، وقد كان رجل سيد في المدة السابقة صبياً شاباً فاسقاً متهتكاً قد حدّ مراراً في الشراب وغيره يقص البياض قطعاً ويتلو سيئاً واذا هي بقش بيض يراها غيره فقد تكون هذه الخطوط في الأوراق التي يظهرها من هذا الوادي وما يقوله من اخراج ورق السحر من هذا الأمر الجاري والله أعلم .

وكذلك كان يفعل هذا رجل يقال له السيد ياسين ويرجع البياض الى أصلها الأول من بعد ذلك ، وكان فقيراً فقراً مدقعاً ، ومنهم أيضاً هذا الزمان الفقيه أحمد الأسنافي لكنه يستخطف الدراهم فلذلك تبقى ولا تغير عن أصلها ، وهو لا يجوز الاستخطاف لأموال الناس . وكل ذلك من أعمال السحر وأبوابه .

وذكر الشظبي المذكور أنه يتصل بالجان ويهاديهم ويكاتبهم ، ورأيت مكاتبة في بعض الورق الى الأحمر بن بهاء الدين قال : وهو الساكن فيما بين براش ونقم ، وأنه ملك على جميع جنّ اليمن ، ورأيت جوابه عليه في ظهر ورقته على قوله . وفيها علامته . بعد

(١) هو سمي المؤلف سيأتي ذكره فيما بعد .

الصلاة والسلام علي سيدنا محمد وآله غير أن الخط مثل خط الكاتب في الابتدا . وذلك أنه كتب اليه المذكور الفقيه حسن بن صلاح الفهد الشظبي الساكن في جبل بني حجاج شرقي السودة أنه أخرج ارصاداً على بعض ما سأله من بيته . وذكر هل بقى شيء نبهه به فأجاب : أنه بقى واحد بالباب فأخرجه المذكور ، هذا ما قاله وعرف من حاله ، وطلبه بعض من أعانه[1] من الجان فسار الى ذلك وكتب من أجله الى الأحمر ، فأجابه في ظهر ورقته أن هذا مارد من مردة وقال : المردة يهربون ولا يكاد يظفر بهم الا بتعب ، قال المذكور ، وأنه رجمه بحجر فأخطاه لما أراد منعه وطرده عن الاتصال بذلك الإنسان ، قال : ولا بد ما ينظر في الاستعانة من صالحي الجان بالقبض عليه هذا ما ظهر عنه .

وَوَثَّق هذا المذكور جماعة من القضاة ، مثل قاضي ثلا مهدي بن عبد الهادي وقال : إنه عارف وله خدام واتصال بذلك ، قال المذكور لما سأله سائل أن يسير معه الى عند الأحمر شرقي نقم ويطلعه على الجان في ذلك المقر ، فقال : يصلح ذلك غير أنه لا يمكن الاّ بكحال يعطيك هو تكتحل به فتراهم هنالك ، والكحال قد ذكروه مشهور بمثل ذلك ، قال : وهم يأكلون هنالك من الشجر ، والله أعلم بذلك هذا كما وصفه المذكور ، ولم يظهر منه أكثرمن هذا من المكاتبة وإخراج أرصاد ، يقول : انها سحر وأنه يضرب في الرمل للتّربيع لإخراج ذلك فيخرجه ، فيحتمل الأخذ بالعيون في الأوراق والكتابة ، ويحتمل أن له عيوناً[2] من الجان تأتيه بالجوابات ويتّصل بهم ، والله أعلم بذلك وبعضهم ، شكا اليه رجل اعتراه الجنون بسبب أنه كان يتعلّق بقَسَم «قل هو الله أحد» للاستحضار ، فحصل معه تغير وهذيان ، فقالوا لهذا الرجل الشظبي من أجل ذلك فقال : هنالك أرصاد وسحر ، فأخرج من بيته ذلك كما يخرجه من سائر البيوت ، وهذا يحتمل التّعمية ولم يحصل تأثير في ذلك الذي اعتراه الجنون ولا زال عنه ما كان به ، فلأجل هذا دلّ أنه من قلب الأعيان في الكتابة معه فقط والله أعلم بالغيب .

ولقد كان في أول دولة الإمام المؤيد بالله في رأس الأربعين وألف بصنعاء رجلٌ مظهراً لمخاريق عجيبة وأحوال غريبة يخرج من تحته الطيور والحمام في تلك الأيام ، وحار في عمله كثير من الأنام ، وقطع كثير من العقلاء والعلماء أنه من السحر والتمويه العاطل

---

(١) الكلمة في الأصل مختلطة

(٢) الكلمة مختلطة ولا تكاد تقرأ وقد كتبناها ظناً .

والتخييل الباطل .

وكذلك روى الثقة في هذه الأيام : أن رجلاً يقال له الفقيه عبده له معرفة بمثل هذه المخرقة فإنه كتب رقية أو تلاها في بياضه فإذا فيها بعض شيء من الدّراهم وأخذ مرشّاً ليس فيه من الماورد شيئ فإذا الماورد يخرج منه ويرش به وغير ذلك ، كذلك كانت امرأة قالت : هي حاسبة كانت تضع نقس [1] الملح بباطن يدها فإذا هو لبان وتلقط الحصا الصغار الى يدها وتكون حباً إمّابُرّاً أو شعيراً [2] وقد كان رجل أيضاً بشهارة في الأيام السابقة مشهوراً بالسحر له أفعال عجيبة ، حتى أنه مرة طالب رجلاً في دين فسحره ورأى غريمه وقد ذبحه ونزع رأسه .

ذكر سعيد المجزبي وما قيل إنه يخالف

وفي نصف ربيع الثاني : وصل الخبر بأن النقيب سعيد المجزبي متولي اللّحية وكمران ظهر منه ما يقضي بالمخالفة للأوامر والاستقلال في هذا الوقت الآخر ، وصار يكثر عليه الكلام عند الإمام ، وأنه يخشى منه أن خلى الانخلاع والانصرام ، وأنه ربما قد كاتب الى جهات جدة ومصر وسواكن وجرت له الأقلام ، وكان مع هذا الوهم وما جرى للإمام من النقل أن المذكور قبض على جماعة كان وصلوا الى الحديدة وبلادها بحوالة من حسن بن الإمام ، وكان المذكور بعد عزله من بلاد الضحى الأيام الأولى قد حول أكثر أثاثه وخزائنه الى كمران واستقر فيه هذا الأوان ،وما زال يحصنه ويعمره ويقويه ويؤكده ، فكان سبب حصول الأوهام مع الإمام ، وتصديق ما ينقل اليه من الكلام مع ظهور الاشتجار بينه وبين المحبشي متولي الضّحى والمراكزة والمناصبة ، فكتب في هذا التاريخ الى ولده الحسن بأنه يقصده ولا يظهر أنه يريده حتى يدخل اللحية ويحفظها بجميع من معه ،فسار المذكور من أبي عريش يطوي المراحل بتهامة ولا يدري أحد بمقصده ،حتى بلغ منتهى مرامه ،فلما بلغ المجزبي وهو بكمران هذا الأمر والشان سقط في يده وتلاشى أمره ، وكان من الاتفاقات أن حال وصول المذكور بندر اللحية وجد الغربان التي للمجزبي بساحلها مجموعة لافتقادها ودهنها ، فقبضها حسن بن الإمام واحترس بها ولم يكن مع المجزبي ما يقوم مقامها ،ولم يشعر المجزبي حال دخول

---

(١) نقس : قطعة صغيرة .

(٢) كلمة لم تتصح وهي هكذا «أو تسطيراً»

حسن بن الإمام اللحيّة حتى وصله رسوله بالوصول الى الحضرة فتلكأ عند ذلك وأراد الامتناع هنالك فقال له العسكر الذين من اليمن نحن عسكر الإمام ، فلم يسع المذكور الاّ المبادرة بإرسال الضّيافة والمكاتبة في الوصول وبذل الأمان وأنه من جملة الخدم غير متكبر على الإمام ،وأن البلد بلده والبندر بندره فخرج المذكور ، ودخل حسن بن الإمام جزيرة كمران وقبضها وولاّها من ينوبه في السكون فيها ثم استدعى الإمام المجزبي فوصل إليه إلى محروس ضوران وحال وصوله أمر باللقياء له بالعساكر والأعلام ويذكر له الإكرام والمستقر بحضرته ، وفسح برأي الإمام لمن وصل معه من عسكره وبقي هو وخاصته من خدمه وذكر للإمام أن جميع ما في جزيرة كمران من السلاح مع العسكر والمدافع قبضها ولده وسلمها إليه ولم يحمل الاّ ما يخصه من أثاثه ، وخرج أولاده الى بيت الفقيه ، وكان المذكور قد طالت مدته في ولاية هذه الجهة من مدة شرف الإسلام الحسن بن الإمام وفتحه لتلك الجهات تلك الأيام فاستمر الى هذا التاريخ ، وقد صار المذكور كبير السن واعتذر الى الإمام وأنه لم يجر منه منابذة ولا محاربة ، وإنما كان يعتذر تلك المدة عن الطلوع لكبر سنه وعجزه وبحسن الظن في قبول عذره ، وتلا عند وصوله قوله تعالى ﴿ولو كُنتَ فظّاً غليظَ القَلْب لانفضُّوا من حولكَ﴾ [1] وكان المذكور في الحقيقة غير آمل للعزل من تلك الحملة والأمر جرى على مقتضى قوله تعالى «وتلك الأيام نداولها بين الناس» [2] ويحكى أنه كان عنده حَسَّاب يقص الحساب أنه لا يعزله من ذلك الموضع الاّ من كان اسمه اسم الذي ولاه الحسن قال الراوي : فكان ذلك من الموجبات للمسارعة بالخروج منه من غير مراجعة ومن الأمر الغريب أن جميع السواحل تحولت أمورها وتغيّرت أحوال ولاتها وتبدلت أعمالها ، هذا المذكور ، والسيد زيد بن علي جحاف الذي كان بالمخا وفرحان والي عدن ، والسيد أحمد بن صلاح متولي جازان ومدينة زبيد عزل واليها عبد الله بن سراج المحبشي فلله الأمر من قبل ومن بعد .

مولود براسين

وفي هذه الأيام ولد مولود عجيب الخلقة خرج من مشيمته وغشايته ، ولا أظفار له ولا شفات ولا دبر ، ثم ظهر له دبر ثم أظفار ثم شفات شيئا فشيئاً وتكامل خلقه لخمسة

---

(١) الآية ١٥٩ سورة آل عمران .

(٢) الآية ١٤٠ سورة آل عمران

أشهر ، وكذلك اتفق أيضاً مولود آخر في هذه المدة من هذه السنة له رأسان ، ثم مات عقيب ولادته ، وكأنهما شخصان متلاصقان فسبحان الله الخالق لما يشاء ، والأول كان لرجل من القبائل والثاني لرجل آخر من العسكر .

وفاة السيد حسن بن أحمد الجلال

وفي يوم الأحد ثاني وعشرين شهر ربيع الثاني منها : مات السيد الشريف العارف الحسن بن أحمد الجلال[1] كان المذكور مستوطناً للجراف شمالي صنعاء في الخريف والشتاء ودفن جنب صنوه برسلان ، وكان المذكور قد اختار سكون ذلك المكان على صنعاء في جميع الأوقات والأزمان ، وأصل داره وأهله جهات صعدة . ثم أنه ارتحل الى شهارة في أول دولة الإمام فقرأ فيها تلك الأيام على الشيخ العلامة لطف الله بن محمد الغياث الظفيري ، وعلى شرف الإسلام الحسين بن القاسم ثم ارتحل الى صنعاء عقب خروج حيدر عنها ، ودرس علي السيد العارف محمد بن عز الدين المفتي المؤيدي وتأهل ببنت من بنات السيد صلاح الحاضري السراجي ، وما زال كذلك بصنعاء ثم طاب له سكنى الجراف آخر مدة الإمام المؤيد بالله الى أن مات فيه ، وكان يدعي الاجتهاد وأنه ترجح له مذهب داؤد الظاهري ويعوّل عليه في أقواله في الأصول والفروع ، ويقول إن الإجماع ليس بحجة ، ويقول بالمتعة موافقة للرافضة الإمامية ولا يحتج بالآحاد موافقة للقاشاني [2] وأن صح بالإسناد ولا يحتج الا بالمتواتر وما لم يجده فبالبراءة الأصلية وقال : أنه على رأي ابن حزم في العمل بالبراءة ، وله أقوال عجيبة ونوادر غريبة فيها ركة واباحة ، ومخالفة لجمهور الأمة وللإجماعات المنبرمة ، فلا قوة الا بالله ، ولو توقف على مذهب داؤد نفسه لكان أقل من تلك النوادر والمخالفات ، لكنه خرج عن أصل داؤد في موافقة الرافضة في المتعة ، وفي سب عثمان رضي الله عنه ، وفي موافقة الخوارج في منصب الإمامة ، فقال : إنها في جميع الناس عربي وعجمي فيها على سواء وانما يشترط فيهم التقوى ، وكان يرى في خلق الأفعال مثل قول أهل السنة ، وثبوت الخروج لأهل الكبائر من النار بالشفاعة والرؤية . وكان لا يكفر بالإلزام كما يقول به

---

(١) من علماء اليمن الكبار ترجمته في خلاصة الأثر ٢ :١٧ والبدر الطالع ١ .١٩١ ونشر العرف ٢ :٥٦٤ .

(٢) يقول الشوكاني في «إرشاد الفحول» :٤٨ «ذهب الجمهور الى وجود العمل بخبر الواحد وأنه وقع التعبّد به وقال القاشاني والرافضة و داؤد لا يجب العمل به وحكاه الماوردي عن الأصم وابن عليه وقال انهما لا يقبلان خبر الواحد في السنن والديانات ويقبل في عيره من أدلة الشرع» .

علماء الإسلام ، وقال السيد ما لفظه : الزام الجبرية مع عدم صحة نقله عن المؤمن به تواتر مما لا يجوز أن يبنى عليه حكم ظني فضلاً عن قتال واستباحة النفوس والأموال ، لأن الجبر لا يعرفه مدققوا علمائهم مدعى أنه ذادهم عن الاعتزال قائم البرهان ولا قائل بتكفير الأشاعرة لقولهم بالكسب ، ولا يكفر أهل الكسب فيما نعلم الا مجازف لا يعرف العلم ولا أهله لأن الكسب هو العقل الذي يقول به المعتزلة وإنما الخلاف للعبارة بعد التحقيق إلى آخر ما ذكره في بعض رسائله . . وله رسالة تضم الاعتراض على المتوكل على الله إسماعيل في دخول عساكره المشرق وأنه لا يجوز ذلك في كلام طويل تضمن ذلك رسالته وله قصيدة في الأصول يذكر فيها الحث على ما عليه السلف من الطريقة الأصولية على مقتضى مذهب الحنابلة . وله تصانيف على القلائد حاشية ، وتتمة حاشية سعد الدين على الكشاف . وكذلك تعليق على الفصول في أصول الفقه يورد فيه تشكيكات على الأصل وإيرادات ، وله شرح على التهذيب في المنطق ، وله شواذ كثيرة تعد أشياء منها في الخرافات لا ينبغي الالتفات اليها ولا الاغترار بها ، بل كان التقليد له أولى من القول بها وقد أوردت بعضها في كراريس وبيّنت ضعفها والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم .

وفي هذا الشهر : اتفق مغزى جماعة من العسكر قدر سبعين نفراً الذين جعلهم أحمد بن الحسن رتبة في معين الى بلاد بني نوف من مساقط جبل برط وسهوله مما يلي الجوف والشرق فانتهبوا من مواشيهم عوضاً عما فعلوه من قبل من نهبهم ثم إن بني نوف صاحوا وتغاوروا بأجمعهم ولحقوهم واقتتلوا ، فراح من العسكر حول عشرين نفراً ومن بني نوف أربعة فقط ، واسترجعوا مواشيهم لأجل كثرتهم وقلة العسكر ، وهذه البلاد لا خير فيها ولا مهبط ومستقر لمن يقصدها من الدّولة لعدم ما يقوم بها ، ولأنهم بدوان لا قرار لهم ولا أطيان بل رعاة للإبل والمواشي ، وأكل اللحوم في تلك القفار والفيافي ، فلذلك تركتها الدول الماضون وعَرَضوا عنها أجمعون ، وكان استقرار تلك الرتب في معين ونحوه من أطراف القرار من الجوف كفاية لحفظه لأنه يحتمل العسكر ويقوم بهم ، وكان الزمان الماضي مقطعاً للأمراء من أشراف الجوف ، فلم يحصل فيه من هذا الانتهاب مع الرعايا من أهله والخوف حتى لم يبق فيه رتبة هذا الزمان ورفعت مطالبه الى المخزان فحصل هذا الخلل وأهمل عن العسكر .

كسوف الشمس

وفي تاسع وعشرين شهر ربيع الثاني يوم السبت :حكم بعض المنجمين بكسوف الشمس قدر أربع أصابع في برج الأسد والطالع العقرب ضحوة النهار ، وأن مدة الكسوف ثماني درجات ونصف عن نصف ساعة ، ولعله كان كما ذكر ، فإنه روى جماعة أنهم رأوها كاسفة ، ولم أرها لأنه كان بالسماء سحاب متراكم وهو ممكن لأن الذنب يومئذ في نحو ثلاثة عشر درجة في برج الأسد والشمس في نحو تسعة عشردرجة من الأسد وكسور ، وكان من جملة الحاكين بالكسوف الشريف محمد ، وصل من الروم له معرفة بالنجوم .

السرّاق في صنعاء

وفي هذه الأيام هاج السرّاق بمدينة صنعاء وكثروا وكبسوا بيوتا ونهبوا على ضوء القمر في نصف الشهر ، ولم ينتظروا الظلام لذلك الحرام ، ودخلوا من البيوت الخالية التي أهلها في الخريف وسرقوا ما وجدوا فيها من الأواني وعَبروا منها الى البيوت المحلولة من فوق الأجبي[1] فضرّوهم وتسور منهم من تسور بالسّلاليم التي يجدونها في تلك البيوت الخالية ، وكان من الأسباب أن محمد بن الإمام صاحب المدينة أقام محتسباً وأمره أن يطوف على المدينة فاستخدم معه أعوانا من السرّاق وأهل الطغيان فحصل منهم ما حصل من هذه الأعمال ويقال « . . . . »[2] السرّاق أخوان وتجرّى معهم سائر السرّاق لما سمعوا أن محمد بن الإمام قال : لا يحبس أحد من السرّاق ، وأن قد اشتهر سرقهم الاّ بشهادة فَجرّأهم على ما ألفوه من العادة بحيث أن تاجراً من بني كباس كبسوه الى بيته فأراد الدفع والصيال فسلوا عليه الخناجر والسلاح ، فحملوا من بيته ما شاءوا وهم جماعة يقال خمسة ، وكان من سبق من الولاة بصنعاء من اشتهر بالسرقات حبسوا ونفوا الى الأماكن البعيدات اذا لم تقم عليه شهادة نصاب القطع بل مجرّد الشهرة ، فلهذا وقع الخلل من الجانبين المحتسب وأصحابه والسرّاق من غيرهم كل من جانبه ، والشهادة انما تعتبر في القطع لليد لا النفي والطرد والحبس والكرد[3] فإنه يكفي فيه الشهرة وظهور الأمارات المتكررة فإنهم لا يخفون .

---

(١) الاجبى : جمع حبا في كلام أهل صنعاء هو سطح المنزل . والمكان المرتفع منه المكشوف

(٢) هنا خرم في الورقه قدر كلمة .

(٣) الكَرْدُ . الطرد .

وفي أول هذا الشهر : نزل سيل عظيم هائل غير معهود من جبل مسور الى بني مهدي وبني مهند ، فحمل من أموال البن وغيرها كثيرا جزيلاً حتى فقر بعضهم لحمله لجميع ماله وراح منه ثلاثة مساجد حملها ، وحمل خمسة رجال كانوا فيها وحمل تالوقة[1] عظيمة لها مدة طويلة ، وكان قد هرب اليها شيء من الرُّباح[2] فقلعها بعروقها وقرودها تحت جبل فيه ، أخبر أهل العمر[3] انهم لا يعلمون مثل هذ السيل مدة أعمارهم ولا أخبرهم أحد من كبارهم فالقوة لله ، وأخرب بيت شيخ بني مهدي لأنه كان في رأس الوادي فهربوا عنه ، ثم نزلت صخرة عظيمة من الجبل عمته بالخراب ، فعمر الشيخ في موضع آخر وسط الوادي ، ونزل سيل أيضاً بوادي ضلع كَبَس أموالا كثيرة .

وفي سلخ جمادى الثاني : عاد الحسن بن الإمام إلى أبي عريش ، ثم طلع جبل رازح حيث كان ، بعد أن قد قبض اللحية وكمران كما سبق ذكره .

وفي هذا الشهر : أنفذ محمد بن الإمام الأمر في خرص الثمار من الحبوب في بلاد سنحان ، ولم تكن عادة من قبل هذا الزمان ، ثم تركه بعد ذلك .

وفي شهر ربيع الثاني من هذه السنة : وصل الفقيه صالح المقبلي الثلائي اليمني من مكة المشرفة بعد أن استقر فيها هذه المدة فذكر تحقيق موسم حج هذه العام الماضي ، وقال : الخارج مع حاج الشامي محمد باشا صاحب حلب ، وهو مملوك للسُّلطان ولاّه مدينة حلب هذا العام ، ورجع مع المحمل الشامي عقب تمام الحج ، ومحمد شاوش بمكة يتردد منها الى مكة ، وذكر أن ما لطة تم استفتاحها والاستيلاء على قلعتها والحكم عليها ودخولها في مملكة السلطان محمد بن ابراهيم بن أحمد خان ورفع عنها العساكر ، وبقّى فيها من يحفظها ، وفيها المعدن الذّهبي فكان ذلك زيادة قوة للسلطان ، قال : ووقع ذلك الصلح الذي بلغكم في الأيام الماضية وهو على البلاد الداخلة للنّصارى من الفرنج ، وليس علي القلعَة إذ دخولها كان عنوة قال : والجاري من الانتقاض الذي جاء به الخبر في أطراف بلاد السلطان من جهة أخرى اختلف فيه الخبر ، قال : وكان شاع الخبر بمكة أن القاصد هو السلطان بنفسه ، قال فلم تمض الا برهة أيام حتى وصلت

---

(١) التالوقة . والتالوق . شجر عظيم هو المعروف بالحمير .

(٢) الرباح القرد الذكر

(٣) كذا تقرأ في الأصل وربما كتبت هكذا «اليمن»

البشارات الى مكة بالاستيلاء عليها وعود السلطان من تلك الحملة التي أمها ، قال : ويقال أنه ما قد كان خرج بنفسه قبلها وزال الخلل فيها وزينت الأسواق بمكة وجدة إظهاراً للبشارة .

وفي نصف شهر جمادى الآخرة : خرج محمد بن الإمام من صنعاء بعد الفطر طريق الجراف ثم ذهبان ثم سار الى ضلع صلى فيها المغرب والعشاء وسار ليلاً حتى بلغ الى ثلا آخر اللّيل ، ولبث فيه نصف شهر ، ولم يكن في المدينة من مآثر الدولة الأولى لخراب أساس قصر عامر بن عبد الوهاب من المدة السابقة [1] فانه كان هذا القصر عامراً الى مدة المطهر الى دولة السلطنة وخرب وعمر بحجاره أهل البلد ولم يبق الأعمارة الحصن على حالها الأول دون قصر المدينة الآما فيها عمارة لأهلها ثم استدعاه صاحب كوكبان للضيّافة فسار الى هنالك واتفق مع بعض الخدامين قتل بواب شبام حال الدخول بسبب خصام أدى الى عدم الاحترام والاحتشام ، فطلع الجبل ولم يبق فيه الأقدر ثمانية أيام[2] .

وفي آخر نهار السبت تاسع وعشرين جمادى الآخرة مات شرف الدين الحسين بن الإمام المؤيد بالله بوطنه ومستقره حصن شهارة ،وكان المذكور له معرفة بمنازل الناس والرعايات وبقية من الطبقة الأولى بالنظر الى هذه الأوقات ، ولكنه كان يجور في الآداب قد تبلغ نفاعته الى المائة الحرف فأكثر في الشكايات ، حتى أنه قد يتلطف المشكى به في ترك المشكى وتسليم الحق من دونه ، وكان الى ولايته بلاد عفار وعاهم[3] وظاعن[4] بمساقط الشَّرف الأسفل ، وكان أصحاب والده يحبونه و كثيراً من الأعيان في جهات القبلة من المشايخ والرؤساء يودونه لما يرون منه من الإنصاف لهم والإكرام مع أحوال الوقت ، وكانت وصيته مسنده الى صنوه القاسم بن محمد ، قيل وأوصى بالثلث من تركته للعلماء والمتعلمين والله أعلم ، ودفن بحصن شهارة جنب الجامع بين القبتين رحمه الله ، وكان المذكور له سياسة عجيبة : اتفق أن مسافرا أمسى في سمسرة الرباط فراحت عليه دراهم كثيرة في خرج أو مسب[5] ، فشكاه إلى المقهوي لأنه الذي يغلق

---

(١) كان دخول عامر بن عبد الوهاب الى ثلا سنة ٩١٧ أنظر الفصل المزيد ٣٣١ وغاية الأماني :٦٣٨ .

(٢) هنا تعليق كثير على الحاشية وصفحتان أخريان فيهما حديث نفيس عن العزل عند الملوك ضرب عليه بالمداد ومحى بالماء ، ولا ندري هل هذا الكشط من قبل المؤلف أم من جهة أخرى والله أعلم

(٣) جبل في همدان من حجور في غربيها

(٤) بلد من حجور كسابقه (الحجري ٥٥١) .

(٥) والمسَب . بفتح الميم والسين : زنبيل كبير

السمسرة ، فأنكر ذلك فلم يقر بشيء ، ثم أنه سار الى عند الحسين بن المؤيد فطلب المذكور وحبسه ثم أمر الرسمي [١] يسوسه بأخذ خاتمه من يده فأخذه ، فكتب على لسان المحبوس الى ولده والخاتم الأماره يذكر فيه أنه يرسل بالخرج بما فيه من الدراهم ، فسار ولده بذلك الى حضرته ، وتقرر عليه أمره ورجعت الدراهم لصاحبها[٢] .

وفي هذه الأيام : بعد وصول مشايخ بلاد خولان صعدة شكاة من علي بن أحمد أرسل معهم الإمام والياً السيد علي بن مهدي النوعة ، فحصل مع علي بن أحمد ما حصل وتنكد خاطره واشتغل .

وفي غرة رجب : نزل علي بن الإمام من حضرة والده الى اليمن الأسفل بلد ولايته فسار واستقر بمدينة إب .

ووصل هذه الأيام بآخر شهر رجب وأول شعبان مركب كان متوها [٣] في البحر من الهند وله في البحر حول أربعة أشهر من أول الموسم .

وكان الحسن الجرموزي صاحب المخا قد جهز المحصول من البندر الى حضرة الإمام وطلع صحبته فوصل الى حضرة الإمام بأول شعبان بحَوْل مائة وخمسين جملا .

وفي هذا الشهر أهمّ الإمام بضريبة [٤] جديدة ويكون الصرف للقرش بحرفين فتضرر التجار من ذلك الأمر خشية من الخسران في قضاء الديون هذا الأوان ، لأن صرف القرش هذه الأيام الأولى بثلاث حروف وكسور فينتفعون في المعاملات وقضاء الديون الثلث ، فسار الى الإمام جماعات للمشكى ، فأجابهم الإمام وترك ذلك الذي كان أراده فيما مضى ، وأطلق يومئذ لليَهود أموالهم وبيوتهم من ذلك الترسيم الذي جَرى ، وقال : ليس عليهم الآ الضريبة متى احتيج اليها من غير أجرة ، وحط عليهم ما كان زاده على الجزية وقال : ليس عليهم الآ الجزية المعتادة .

وفي هذه السنة : ظهرت مصنفة في بعض كراسة سماها واضعها «الجلسات» فيها تخليطات ذكر فيها : أن المريد أول ما اليه يريد من الطريقة [٥] أن يربط رجليه بحبل

---

(١) الرسمي بالتحريك · الجندي المكلف بالحراسة .

(٢) قلت : وردت مثل هده الحكاية في كتاب الأدكياء لاس الحوري فتنظر هناك .

(٣) متحيراً وضائعاً .

(٤) صريبة وضربة : سكة نقود

(٥) الطريقة : هي الطريق الموصلة الى الله تعالى أنظر «معجم مصطلحات الصوفية :١٦٨» .

ويعلقهما في سارية ، ثم جلسة أخرى بعد ذلك متربعاً ويربط قدميه ويبقى على ظهره ملقى ، وخرافات وجهالات لا يقول بها أحد من البريّات ولعل صاحبها اعتراه شيء من الخيولا[1] نعوذ بالله منه من أعمال السوداء فصنفها وافتعلها من غير معرفة ولا يعرف منشئها .

وفي هذه السنة : كثرت الخيانات في الأمانات بين الناس ممن لم يُظن أنه يفعل ذلك ، فلا قوّة الاّ بالله وغفلوا عن قول الله تعالى ﴿فَلْيؤد الذي أوتُمنَ أمانَتَهُ﴾[2] ﴿وليتَّقِ الله ربَّهُ ولا يبخسْ منه شيئاً﴾[3] .

وفي هذه الأيام : كان كمال الصّراب والحصاد للثمار ، فتهونت الأسعار ، بلغ القدح الصنعاني مع زياداته بعشرين بقشة والبر بحرف والذرة من خمسة وعشرين ودون ذلك .

والإمام تلك الأيام توجع من أعمال أهل برط وبني نوف من دهمة ، وكان أكثره من أهل جبل برط في عدم نفوذ أمره وخطّه ، فإنه كان أمره بتسليم الزكاة الى أحمد بن المؤيد الى عيان والنّصف يصير الى القضاة علي بن محمد العنسي وأصناه وعاتب بذلك صنوه ، حسين[4] بن محمد بن علي العنسي وقال : لم يمتثل القاضي على أمرنا وخطنا في سوق النصف الى عنان[5] وقبض الجميع بالأكف والبنان حتى وادي المراشي وهو في العادة الماضية الى عنان والى مدة الإمام المؤيد بالله فإنه كان يقبضه أشراف الجوف ، وكان عم علي بن محمد يرسل علي بن قاسم وهو القاضي أحمد بن علي يرسل بالفضلة الى الإمام المؤيد بالله ، مع أن المراشي كان مخرجاً عنه ، وهذا الوقت تعذّر ذلك كله ومن جملة قوله في العتاب : أنه كان قد أهم أن يسير بنفسه الى بلاد ظفار وذيبين وينتظر من هنالك ما ينتهي به الى الحال والتبيين ، وإن اقتضى المخالفة والشقاق كان النظر من ذلك المكان وتلك الآفاق مع ما أخذوه ونهبوه على الضعفاء من أهل الجوف ، ثم أنه انبرم القول : أن صنوه المذكور ارسل بعض أقاربه الى هنالك والنظر فيما يصلح في ذلك وما يردوه من الذي أخذوه فأرجعوا الى المذكور ما بقي بعينه وسلموه الى رسول أهل

---

(١) كذا في الأصل ولعله «الماليخوليا» . قال الأزرق : هو ضرب من الجنون وهو أن يحدث بالإنسان أفكار رديئة فيغلبه الخوف والحزن انظر «تسهيل المنافع ١٧٥»

(٢) الآية : ٢٨٣ . البقرة .

(٣) الآية ٢٨٢ . البقرة

(٤) تقرأ هذه اللفظة ايضاً حسن

(٥) عنان . بلد في برط معروف .

الجوف بأصله . وذكر لي بعض أقاربهم : أن شبهة القاضي علي المذكور في قبضه للزكاة أنه قال : لا ولاية للإمام في تلك الديار لأنها لا تنفذ فيها أوامره ، والإمام صار متردداً في شأنهم يقدم رجلاً ويؤخر أخرى ، لأجل أعمال مكة[1] وما يخشى من تلك الجهة ، فإن أحوال الأشراف بها ما انتظمت والتقويه من جهة السلطان ما زالت ، ثم أنه وصل جماعات من أهل برط لقبول[2] عيد رمضان فسكن بعض الذي كان ، وزلّج الإمام القاضي حسن وعرّج عن ما كان قد أمر .

وفي العشر الآخرة من شوال : سقط الآغا فرحان من فوق الحصان بالغراس من أعمال حصن ذي مرمر حَضْرة احمد بن الحسن بعد عوده من التمشية في ذلك الوطن ، وذلك أنه جرى بالحصان فقذف به وانقلب عليه فهلك في الحال في ذلك المقام ،وقبض أحمد بن الحسن تركته وما جمعه أيام ولايته لبندر عدن ورسم على بيته بصنعاء لأنه مملوكه .

وفي ذي القعدة منها : زلج الإمام السيد الحسن بن مطهر الجرموزي الى محل ولايته ببندر المخا بعد أن كان طلع الى حضرته كما سبق ذكره .

وفي هذه المدة كثر من الناظر على الوقف يحيى بن حسين السحولي بصنعاء التّضييق على المسلمين في الطرقات والمفاسح في الأسواق والشوارع والطرق وعمر فيها للوقف . وصار يقطع من طلب عمارة فيها للوقف طمعاً في الدراهم والعامر طمعاً في الانتفاع ، وصار خط الناظر ذريعة الى عدم تعرض الناس ،لأن العامة يعتقدون أن الطرق والحواثر التي لا يد عليها للوقف ، وهو جهل ظاهر لأن ذلك لا يكون للوقف ، وإنما هو لمصالح المسلمين كافة لا يجوز إحداث ما يضر عليهم ، فأما الوقف فلم يقل به أحد من علماء الإسلام . وصار يطلب الزيادات علي العريص[3] في الأجر فيما كانت العمارة معروضة على ذلك القدر ، ولكن لهوى [في] النفوس لا يعلم . وقد استولى المذكور ووالده على مقبرة في المحاريق تتصل بأعنابهم المذكور للعامة[4] لهم ولم يستنكروا على أنفسهم ، فكان هذا مظلمة من المذكور ومن تقدمه قبله من النظار يفعَلون ذلك

---

(١) كانت حكومة اليمن في دلك الوقت تخشى من تحركات الدولة العثمانية تحاه اليمن وتحركاتها ضدها لما سىق من حروب بينهما وخروح البلاد عن سيطرة الدولة العثمانية

(٢) لقبول : إقبال .

(٣) حمع عرصة (سىق) .

(٤) الكلمة هىا في غاية الغموض وكتبناها ظناً .

جهلاً منهم لكنهم ما أفرطوا الى إفراط هذا الناظر ، ثم من مظالمه أيضاً أنه صار يدعي على كثير من أهل الأملاك الوقف ويأذيهم[1] في شيء ما قد قرر عليه يد الوقف من قبله ، حتى صار حاله يقرب مما كان من البوني[2] في مدة سنان باشا وكثر شكاء الناس منه على جعفر باشا ، وعمل معه ما عمل من الأمر الذي لا يخفى ، وصار المذكور يعلل بالعلل ويغر الدّولة بهذا العمل ويقول : مع فلان من الوقف فحصل من جهته الضرر فقد يصادق في قوله ، فلا قوة الاّ بالله العلي العظيم ، وصار يدعى الحوائر[3] التي لا يد عليها للوقف في المدينة وخارجها وطرقها ومقاشمها[4] ومن ذلك ما جرى مع السيد محمد بن عبد الله العياني في أملاكه كما سبق ذكره ، وصار أيضاً يصادقه بعض حكام المدينة ، وهو القاضي علي بن جابر الهبل غرراً منه من غير حضور بينة أو شريعة ، واذا حقق للقاضي بعد ذلك يذمه ، وقال : غرّه المذكور .

ومدارس العلم في هذا الزمان غلق أكثرها في مثل صنعاء وصعدة وغيرها لعدم الإقامة من الوقوفات بها .

وفي العشرة الأخيرة من شهر القعدة الحرام : وصل تاجر الى حضرة الإمام وغيره من الأعيان أخبر بأن العماني سلطان بن سيف اليعربي جهز من بلاده في البحر حول عشرين برشة ، وأن مراده القطع على البانيان في البحر حال خروجهم الى اليمن من الهند ، اذ هم أول من يخرج من هنالك ، وذكر للإمام أولاً يكون قصده الى التمحيق في سواحل اليمن بعد صحة تجهيزه في البحر .

وفي هذا الشهر أظهر الإمام الإجازة لولده أحمد للبلاد التي كانت لشرف الإسلام الحسين بن المؤيد بالله ، وهي بلاد عفار وبلاد عاهم وضاعن فتصرف فيها وأمر القباض اليها ، ولم يبق للولاة الأولين ما كان من اطلاق اليد والنّظر عليها وكان ولد شرف الإسلام الحسين يحيى بن حسين بن المؤيد وصنوه القاسم بن المؤيد طامعين وراجين الى توليتها وتَنْصيب أحدهم فيها ، وحصل التغير على أهل المقررات : الفقهاء وسادة كحلان وغيرهم من الفقراء ومن يعتاد العطاء منها كسائر الناس ، فان ذلك قد حصل

---

(١) كذا لعله : يوذيهم .

(٢) سبق ذكره .

(٣) الحوائر كالعريص ، قطع الأرص .

(٤) مرارع المساجد وبساتينها .

وعم الخاص والعام من جميع الأجناس ، فالملح ما ترك الإلحاح والمظالمة ولم يحصل له الا التافه اليسير مع المشقة والصّابر صبر وترك المشاحجة ، ولقد استحدّ بعض السادة من بني عشيش فقال في كلامه : هذا الجمع لا مصلحة فيه فلعله كجمع المؤيد بالله وصار أكثره لحسين ولده ، وقال السيد عبد الرحمن بن أمير الدين للإمام : اذا قد عجزت عن أمور المسلمين تركت الناس ينظرون فيمن يصلح لهم ، واحتمل الإمام كلامهم وعرض عنهم والدنيا لله تعالى ،لا ينبغي للعاقل التكالب عليها : غير يأخذ السهل منها والأرزاق مقسومة ، ولن يَعْدو كل أحد ما كتب له ، ولكن ينبغي الالتفات الى ما أمر الله به من الحركات والكسب والابتغاء من فضل الله واصلاح النيات ، لأن الأرزاق معروفة بذلك إما بتجارة أو زراعة أو حركة للكسب كما قال تعالى ﴿وامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه﴾ وقال الشاعر[1] :

واذا رأيت الرزق عز ببلـــــــــدة	وخشيت فيها أن يضيق المكسَبُ
فارحل فأرض الله واسعة الفضا	طـــولا وعرضـــاً شرقها والمغرب

وفي سادس عشر شهر الحجة : كان دخول الشمس أول درجة الحمل وهو تحويل السنة وتقومها ، وكانت الزهرة وعطارد معها في برجها والمريخ في برج الجدي بيت شرفه ، وزحل في برج الحمل بيت هبوطه والمشترى في برج العقرب والجوزهر في آخر برج الأسد والرأس مقابل له في السّابع والدلو ، وكان هذا الوقت الأمطار كثيرة في جميع اليمن غزيرة فصلح بسببه ثمرة القياض بالدثوي[2] وأعلق الفلاحون معه ثمرة أخرى ، يقال لها ثمرة الدثا ، فتهونت الأسعار في جميع الأسواق وانحطت وزالت المشاق .

وفي هذه الأيام بهذا الشهر المذكور : وصل الى حضرة احمد بن الحسن جماعة من مشايخ خولان الشام يشكون اليه من جور حصل معهم [من] ولاة بلادهم أول هذا العام ، مع جور أيضاً من حسن بن الإمام ، واستعانوا به في تعريف الإمام ، وكذلك سادة بنو المؤيد شكوا الانقطاع للمقررات التي لهم .

وفي آخر هذا الشهر : وصلت الأخبار الى تجار صنعاء من بندر عدن والمخا يذكرون

---

(١) من أبيات تنسب للإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه .

(٢) كذا تقرأ في الأصل ، وربما قرنت هكذا (بالروي) والدثوي نسبة الى الدثا (سبق)

أنه وصل نحو من اثني عشر برشة [1] من أصحاب الحاكم العماني الى قريب سواحل البندرين ثم رجعوا الى باب المندب ، ظاهر حالهم الضّرر وقطع الوافدين من المتسبّبين في البحر ، وأن منهم جماعة نحو المائتين كان قد دخلوا المخا قبل وصول هؤلاء وأظهروا أن معهم بضاعة من التمر وغيره مما ظهر وخفي ، ثم تعقبهم في البحر هؤلاء وظهر من حالهم أن قصدهم البانيان من الكفار .

وفي هذه الأيام من هذا العام وبعض العام الذي بعده : ظهر أنين صفته :آه آه يمدّ فيه منْ مقابر باب اليمن يسمع الى داخل دائر صنعاء ، سمعته كذلك قريب سبعة أشهر أو ثمانية ، والظاهر أنه من عذاب القبور لبعض الموتى ممن يشاء الله إظهاره ، فنعوذ بالله من غضب الله ، ونعوذ به من عذاب القبر ، ونعوذ بالله من عذاب جهنم ونسأله أن يرحمنا .

ودخلت سنة خمس وثمانين وألف

ولعلها استهلت بالسبت . وفي ثالث شهر محرم وصل مكتب الشّام وسار الى حضرة الإمام وأخبر تمام الحج للإسلام والأمان التام ، وأن سعد بن زيد وصنوه أحمد بن زيد قد تحيروا في بلاد نجد العليا ، وأن بركات عاد من بَدر الى مكة وصحبته الشيخ ابن مضيان ، رأس مشائخ بلاد قبائل حرب وبلاد الصفراء ما بين مكة والمدينة ، وهو الذي جرى منه ما جرى مع معاضدة أحمد بن زيد والخلاف كما سبق ، فصار معه تحت الحفظ بعد أن وقع ذلك الحرب ، ثم تعقبه من بركات القصد فانحاز الى جبل هنالك ، وطلب الأمان وواجه وراح من أصحابه جماعة ، وأدب الشريف أهل بلاده وصلح عمل الحجاز ، وخمدت ثائرة القبائل وامتنعوا عن مناصرة سعد وصنوه خوفاً من السيف الطائل والعسكر الصائل ، قيل : فلما لم يجد الشريف سعد وصنوه ملجأ يلجأون اليه وينتصروا به ويعتمدوا عليه عزموا علي طرح أنفسهم بين يدي أمير الشامي أو الدخول معه الى حضرة السلطان محمد العثماني ويكون من أمره ما كان ان عفا أو واخذ بما جرى من الفعال مع كثرة الآمال مع سعد وأنه يرجو عود الملك له في المآل ،والله أعلم بما يصير اليه ، وما ينتهي ، وأنه كتب الى السلطان بالأمان والتبري مما جرى من القتال ثم إنه

---

(١) البرشة . مركب بحري .

هـذا العام . . .[1] وبقي مع البدوان لا يملك من نفسه القطمير[2] ولم يبق عنده لا قليل ولا كثير ، وباع أهله حليهم للنفقة ، وتضرّر أهله بمكة وأولاده في غاية الحاجة ، فالدنيا عبر لمن اعتبر ، أمس وهو ملك كبير ، والآن وهو فقير ذليل .

وأخبر الحجاج أنه زيد في سقايات مكة وسبلها على معتادها ، وظهرت دبا جراد بأودية منى ومكة ، وأصحاب الحاكم العماني الذين خرجوا في البحر كان استطرقوا جزيرة سقطرى من بلاد المهري وقتلوا من أهل الجزيرة ، وكان دخولهم في صورة زي النّصارى لئلا يهربون عنها كما هربوا العام الأول منها .

وانتهب قبائل عنزة ولام من ركب الشامي لعلهم هذا العام .

وفي يوم الجمعة ثامن وعشرين شهر محرم : وصل الخبر الى صنعاء أنه وصل الى باب المخا برشة لاحقه لبانيان وصلوا ببضاعة فوافقوهم وأسرعوا في انتهاب ما معهم ، فأنكر عليهم أهل عدن ومن يقرب اليهم من جبل صيرة ، وقالوا هؤلاء قد صاروا في الأمان والجيرة ، فقالوا : إمامهم أمر بانتهابهم ، وكان بعض البانيان قد قفز البحر فغرق من خوفهم ، فلما رآهم أهل صيرة وعدن لم ينتهوا صبّوا عليهم البنادق البالغة والزّبارط التي عندهم حاصلة ، فقتلوا منهم نحو قدر عشرين فأكثر قذف بعضهم البحر الى ساحل البر ، وانهزم الخوارج هاربين ، وانهزم بانهزامهم سائر براشهم[3] ، حتى استقروا في المندب وخلفه ، وكذلك انهزم البراش التي كانت أيضاً قريب المخا وكذلك خرج العمانيون الذين كانوا قد دخلوا المخا كما سبق ، لما علموا بما جرى مع أصحابهم ولم يقفوا بقرب البنادر ، ثم منعوا جميع من وفد في المندب من الهند من مسلم وكافر ، فلم يدخل الى البندرين شيء من ذلك غير الذين قد وصل عندهم الحاضر ، وجهز أحمد بن الحسن عند أن بلغه هذا الأمر الضاري جماعة من العساكر ،وكذلك ولده محمد بن أحمد الساكن في الحجرية ، إضافة إلى من تقدم زيادة في التّقوية ، فبقى كل منهم في البنادر لعدم صنعتهم للأعمال البحرية[4] .

وقد كان جهز السلطان محمد بن عثمان وزيره وجنوده الى اليمن ، ثم عاقه عن ذلك ما

---

(١) هنا كشط قدر سطر .

(٢) القطمير شق النواة أو القشرة التي حولها . يضرب هذا المثل لمن لا يملك شيئاً .

(٣) البراش . جمع برشة سفينة حربية ذات شكل اسباني طويل ومغطى واللفظة من الأسباني (Barca)

(٤) هنا امتدت يد عابثة وضربت على بقية أسطر الصفحة بكاملها بخط سميك لم نستطع استخراجه .

حصل من الحرب من الفرنج كما سيأتي ذكره ، وعند هذا تحقق خطأ الرأي الذي كان أراده الإمام من مفاتحة مكة المحروسة كما سبق ذكره وصواب شور من أشار بالسكون وتقرير أمره ، لأنه لو تم له رأيه كان مع هذا المخرج من المشرق والعسكر في جهة الشام والمغرب ، ولا ينبغي لصاحب اليمن إلاّ الاقتصار على حفظه ونظم أمره وأطرافه ، ولا يشتغل بغيره ، مع أن مكة المحروسة لا موجب للحركة اليها ، ولا ينبغي قصد الحرب فيها لحرمتها وصلاحها من جهة السلطان والقيام بها منه في جميع هذه الأزمان ، مع أنه لا يقوم بما يعتاد لها ولأهلها غيره على كل حال من الأحوال .

العثور على نقود قديمة

وفي هذا الشهر [شهر صفر] : ظهر مع رجل في صنعاء بقش من الدراهم القديمة كل بقشة منها تأتي ببقش اليوم مثل الخمس فأكثر ، وزنها قياس الدِّرهم ، وحَمَلها في صرة كبيرة ثلاث مائة درهم رَسْمها قد انطمس وبعضه نقش لم يَفْتهم ، وكان لُقْيَاها لرجل في جدار داره لما أخربه وأراد إصلاحه لقدَمه ، فأخذها عليه الدولة ، وقالوا : هي غنيمة ، وكان الفرض عليه منه الخمس أو تكوَن لقطة . . .[1] .

وأحمد بن الحسن زاد زيادة نحو المائة من العسكر غير من تقدم إلى بلاد عدن ، وقد كان أرسل ولده محمد بن أحمد من محله المنصورة بالحجرية زيادة عسكر الى عدن والمخا لأجل المحاذرة من أصحاب الحاكم العماني وما جرى ، ولما وقع ذلك الحادث انكمش اصحاب الحاكم العماني وولّوا هاربين الى خلف باب المندب خائفين ، غير أنهم منعوا جميع الداخلين ونهبوا بعض الواصلين غير الوافدين ، ثم لما طلعت الثريا فجراً من المشرق رجعوا بلادهم لأجل تغلق بحرهم ، لأن هذاالبحر يَنْغلق قبل البحر الهندي وينفتح قبله بنحو شهرين والبحر الهندي يصلح الريح .

والبز ما زال هذه الأيام سعره في تناهي ، ولولا ذلك المركب الذي خرج التواهي لكان هو في غاية الارتفاع والغلا والإنتهاء وكان بعض المراكب الهندية الخارجة حال وصول العمانية لما قاربت المخا عرجوا عند بندر جدة وساروا الى ذلك الموضع والمنتهى .

ورأيت كتاباً من مكة من بعض من يطلع على حقائق الأخبار من الشريف بركات وغيره

(١) هنا كلام للمؤلف دخل في الحاشية لم نستطع تبيّنه .

من أهل تلك الجهات يقول فيه : إن الحج كان مباركاً آمناً صالحاً ، وكان الشريف كان قد أصلح الحجاز وعاد مكة وصحبته الشيخ ابن مضيان ، والشريف حمود اتفق ببركات وصلح هو وإياه . وكذلك أحمد بن الحارث انتظمت لهم جميع الحالات . وأنه حصل في عرفات فرقة بين القبائل من هذيل الذين يبيعون العلف فقتل منهم جماعات ، وراح من المغاربة أربعة ، وقبض الشريف بركات مشايخهم وأدبهم في فعالهم وأن السلطان كان قد جهز الى اليمن تجهيزاً كبيرا صحبة الوزير الأعظم ، وبلغ أول العسكر الى مدينة قاهرة مصر ، ثم حصل خلال ذلك خلاف في بلاد الفرنج الكافرة المارقة ، فقتلوا من المسلمين ألوفاً وانتهبوا من المال كثيراً ، بحيث كان أمراً هائلاً وخطباً جسيماً ، فلما طرق السلطان محمد بن ابراهيم خان هذا الحادث العظيم اغتاظ من ذلك وضاق وحمله على الإسلام الاشفاق ، واسترجع من كان قد وصل من عساكره ورحل بنفسه يؤم تلك الآفاق ، قال صاحب الكتاب :

ولما كان عقب الموسم خامس وعشرين الحجة أمر الشريف بركات ومحمد شاوش حاكم جدة بالإجتماع للدعاء في الحرم الشريف فاجتمع المذكورون وأعيان علماء مكة المشهورون وانضم اليهم الأمير الشامي وفتح باب الكعبة ورقى الخطيب اليه ودعا للسلطان بالنصر والمذكورون يؤمنون ويضجون ، حتى بكى الخطيب ، وبكى الحاضرون وقرؤا شرف الفاتحة [1] قال : وكل ذلك لهول ما جرى قال :وانتهبوا من البحر على السلطان بعض المراكب .

وكان قد أخبر بهذا التجهيز من السلطان الى اليمن جماعات منهم خواجا وصل الى صنعاء في شهر شوال ، وكذلك شريف رومي قبله قالوا : ولولا هذا الحادث شَغَله لقد خرج حيث السلطان أمره إلاّ أنه لما حدث ذلك الحادث خلال التجهيز ، قدم الأهم وشغلهم ذلك الأمر الأعظيم .

وكان هذا التجهيز المذكور في أول عام أربع وثمانين كما تقدم ذكره برواية الشيخ ابن مضيان .

فلما حصل انتقاض صلح الفرنج ونكثهم في نهجهم ، عرج الوزير نحوهم وتبعه

---

(١) شرف الفاتحة : قراءة الفاتحة .

السلطان فالله أعلم ما يكون بعد ذلك الأمر وما اليه المنتهى ، وأما مالطة فقد صارت بيد السلطان لم يجر فيها الخلاف بل في غيرها . قال بعض الوافدين الى اليمن ممن كان من أهل ذلك الوطن : ان مالطة هذه في ساحل الأندلس[١] بعضها في البحر وقد عمرها وحصنها وقواها طائفة الفرنج من النّصارى ، وسائر البلاد حولها المتصلة بها فيها إسلام كثير وجوامع ومساجد ،وكان الفرنج تاركين لهم لا يتعرضونهم الاّ أنه لا يد لهم بل الأمر القاهر للفرنج عليهم ، فما زالوا كذلك في ديارهم حتى استفتحها السلطان في تسع وسبعين ، وصالحت الفرنج على سائر بلادهم .

قال علي بن بسام في كتابه الذّخيرة في تاريخ الجزيرة[٢] - يعني جزيرة الأندلس- :

جزيرة الأندلس آخر الفتوح الإسلامية وأقصى المآثر العَربيّة ليس وراء هم وأمامهم الاّ البحر المحيط والروم ، وأواسط بلاد الأندلس مدينة قرطبة والجانب الغربي من جزيرة الأندلس اشبيلية وما اتصل بها من بلاد ساحل البحر المحيط الرّومي والجانب الشرقي من جزيرة الأندلس هو أعلى الأندلس انتهى ما ذكره .

وهذا المصنف علي بن بسام قد ترجمه ابن خلكان في تاريخه[٣] وكتابه هذا في مجلدات كبار الا أنه لم يكن التاريخ فيه الاّ النّزر اليسير لحوادث ما جرى في الأندلس ومن ملكها في الدولة الأموية ،وإنما كثّر كتابه ذلك وكبّره بذكر كلامات الأدباء من أهل الأندلس والوزراء وما ذكر فيه من المكاتبات والرسائل وقصائد الشعراء .

وفي شهر صفر منها جهز المتوكل الى بندر الشحر بسواحل بلاد حضرموت عثمان بن زيد من موالي المتوكل بقدر ثلاث مائة من العسكر ، وأمرهم أن يكونوا حفظة للبندر من أهل عمان لأجل ما حصل منهم في سواحل عدن .

وفي هذا الشهر : ترك القاضي أحمد العيزري الأهنومي صلاة الجمعة ، بسبب إبطال أحكامه وما جرت به أقلامه وعدم تنفيذها من ولاة زمانه واحتج عليه سائر الحكام بأنه صار يحكم بخلاف مذهبه ، ولا ولاية له من الإمام في حكمه ، وكان المذكور بشهارة أولاً ثم عارضه بعض من عارض فيها فانتقل منها الى صنعاء واستقر فيها .

---

(١) قلت : لا تذكر مالطة ضمن بلاد الأندلس وإنما هي جزيرة تقع بين صقلية وليبيا .

(٢) ابن بسام . الذخيرة ١ :١٤ط احسان عباس .

(٣) قلت : لم يترجم ابن خلكان لابن بسام صاحب الذّخيرة المتوفى سنة ٥٤٢ وانما ترجم لعلي بن محمد ابن بسام الشاعر المشرقي المتوفي سنة ٣٠٢ (أنظر وفيات الأعيان ٣ :٣٦٣ط احسان عباس) .

وفي يوم الخميس ثاني ربيع الأول منها : سار المتوكل من ضوران الى مَعْبَر جهران ثم عاد ضوران اليوم الثاني .

وفي العشر الأولى من هذا الشهر : وصل الخبر أن برشة من عمان وصلت الى ساحل أحور حال رجوعهم من ساحل عدن فانكسرت عليهم وغرق في البحر بعضهم وراح عليهم منها حوائجهم وما فيها من سلاحهم ومدافعهم ، وخرج آخرون ممن سلم منهم الى ساحل أحور فانتهب ما عليهم أهل أحور ، مما بقى معهم وقتلوا منهم .

صرف القرش

وفي هذا الشهر : أعاد الإمام ما كان أراده سابقاً من الضربة الجديدة ، وجعل القرش صرفه من حرفين الى تسعين ، وصرفه يومئذ بالدّراهم القديمة بثلاثة أحرف وعشرة كبار ، فتحصل عليهم النّقص بقدر الثلث من أموالهم ، فتضرر التجار وأهل الأسباب من ذلك الأمر لما ينالهم من الخسران ، بحيث سخط من سخط منهم لما يفوت عليهم من أموالهم ، وارتفع سعر البضائع يومئذ لأجل هذه الضريبة ولأجل ما حصل في البنادر من انقطاع الخارج من الهند وسائر الجهات القريبة . فلما تحقق ذلك المتوكل ترك الضربة ولحصول شدة ألمه في خلاله كان سبب عدم تمام قصده .

وظهر في هذه الأيام في عشر من الشهر المذكور ، جراد من جهة الشام ومرَّ باليمن الى جهة الجنوب ولعله من الدّبا الذي أخبر به الحجاج بمكة بتلك الأيام .

مرض المتوكل

وفي يوم الخميس سادس وعشرين شهر ربيع الأول : جاءت كتب الي محمد بن الإمام مزعجة من بعض أهل بيت والده يذكرون له الوصول لأجل حصول مرض مع أبيه اشتدّ به ، فسار في الحال الى ذلك المكان فلما خرج من صنعاء في ذلك اليوم حصلت الأوهام مع أهل صنعاء وغيرهم فشَرَتْ التجار الطعامات من الأسواق والحطب والملح حتى ارتفع ذلك اليوم السعر لكثرة المشترين ، وأخبر بعض من وصل اليه كتاب : أن الإمام اقتصر من بعد صلاة الجمعة ثم تنفس يوم الإثنين ودخل الزائرون الى مجلسه بالدار الخضراء في الحصين ورأوه قد أثر مرضه في بدنه وظهر ضعفه وركته ، وما زال مريضاً متألما الى آخر شهر ربيع الثاني ومنّ الله عليه بالعافية ، وظهر في مرضه هذا نفاق

كثير من السادات وأهل الأمر القادات مما يصدق أقوال أهل الفراسات التي تحدثوا بها فيما مضى من الأوقات ، كجمال الإسلام علي بن المؤيد بالله رحمه الله فإنه قال في هذا الإمام : بركة للأنام من جمع الكلمة في هذه الأيام فإن هذه القالة [1] يظهر من حالها تفرق الكلمة وادعاء المملكة والخلافة ، ولعل حالهم سيكون كحالة أولاد مطهر بن شرف الدين ، فكان كما قال المذكور وصدق قوله فيما ظهر منهم هذه القصور ، فإنه لما بلغ أحمد بن المتوكل صاحب شهارة وزادوا في الرواية وأخبروه بأن والده قد انتقل حاله ، فأظهر النية للدعوة وحفظ الخزانة وتواصى أهل النقابة ، وكتب إليه أحمد بن الحسن كتاباً فلم يجب عليه فيه ، قيل ومضمونه التوصية له بحفظ الخزانة وعدم التفريط فيها على كل حالة ، وكان قد طلب مفاتيح جميع المخازين من الفقيه حسين بن يحيى حنش الخازن للإمام والأمين ، فقال له : هي مبذولة الا أنكم لا تعجلوا قبل أخذ الحقيقة ، ويحيى بن الحسين بن المؤيد بالله خرج عن شهارة بأهله الى الهجر ، ثم الى هجرة عذر ولم يستقر وأظهر أنه يريد الدعوة ، والقاسم بن المؤيد بالله طالبه بعض أهل الأهنوم الى البيعة ، وأحمد بن الحسن كاتب الى جماعات من الأعيان وبعث اليهم بشيء من الدراهم في هذا الأوان . وكاتبه أهل رتبة جبل ضوران وبعض الملازمين للإمام والسكان . وصاحب صعدة علي بن أحمد ظهرت حركته في بلاده ونواحي مشايخ البلاد وأعيانه ، وكذلك صاحب برط وولد السيد ابراهيم بن محمد بن أحمد المويدي في العشة [2] .والإمام جعل ولده محمد ولي عهده بعده وَقَبَّضه مفاتيح خزائن بيت المال ، وقال العهدة عليك في الأعمال ، وقرر ما فعله الإمام السيد مهدي بن علي بن جحاف وغيره ، وحصل في جميع الجهات بعض ارتجاف من التفرقات ، وانتهب سوق الثلوث في بلاد الأهنوم ، وحصل مع الجاهل الفرح بهذه العلوم ، وحصل مع العاقل الغموم ، والله يخمد ثائرة الفرقة ويصلح أحوال المسلمين ويسكن الفتنة[3] .

وفي ليلة رابع عشر شهر ربيع الثاني : وقع خسوف قمري في برج الجدي بالرأس تغشاها بالسواد المظلم ، ولم يبق من جانبها ورأسها الغربي الا قدر النجم ، وكان شروع خسوفها من اسفلها من جهة المشرق في الساعة الرابعة والطالع الحوت .

---

(١) كذا في الأصل ولعلها العائلة .

(٢) العشة : بلدة من عزلة الأقور في ناحية سحار شمالي صعدة .

(٣) هنا كشط بقدر عشرة أسطر

وفي هذا الشهر : حصلت فرقة ما بين بيت لقط من بلاد جنب بحضور وبين الجبارنة من سفيان من أهل الجهة بسبب كثرة مواشيهم وتفرقها في أملاك أهل بيت لقط وأموالهم ، فدفعوها عنهم فلم يندفعوا وقاتلوهم فوقع في الفريقين أصواب ومراجيم ، فأدبهم والي البلاد فحصل بينهم وبين العسكر خصام على السبار ، ورفع ذلك الى أحمد بن الحسن ، فأرسل من عنده جماعة عسكر فيهم الشيخ ابن مذيور الحيمي بمن حضر وزاد لهم من الأدب القدر المعتبر فغدر في الليل بحصان ابن مذيور ولم يعرف قاتله من الحضور ، فدخل أهل بيت لقط في قيمة الحصان معرة بسبب هذا الشأن ، وقد يحتمل أن قتل هذا الحصان مكيدة من العسكر الأولين الذين وقع فيهم الاشتجار علي السبار ، إذ قد يجرى هذا من بعض العسكر الذين لا خير فيهم ، كما وقع من رجل كان عسكرياً مع شرف الإسلام حكى لبعض أصحابه في سابق الأيام ، وأنا أسمعه بما يحدث به من الكلام فقال : انه خرج هو وجماعة عسكر بأدب على بعض البلدان قال : فأهملهم أهل البلد عن السبار والمكان ، وبقوا تحت شجر خارج البلد ذلك الأوان قال : فقلت لأصحابي نبيت نحن وأنتم هذه اللّيلة بين هذه الشجر والحطب فمتى كان الليل أحرق كل منا ما عنده من الحطب والشجر ، فإذا أصبح الصباح قلنا : أهل البلد أحرقونا وكتبنا الى الدولة فخرجَ عليهم أدب آخر أكبر من الأول وعسكر مع العَسْكر .

وفي شهر ربيع : وصل خبر عثمان زيد الذي أرسل الى الشحر دخله وخرج عنه أمير الدين العلفي .

وفي شهر جمادى الأولى وصل الشريف محمد بن يحيى بن زيد بن محسن المكي الى حضرة المتوكل بأولاده ، فأنزله في بيت الفقيه بتهامة وقرر له من السبار ما يكفيه ومن معه .

وفي أول شهر جمادى الثاني : وصل الفقيه أمير الدين العلفي الأموي الذي كان متولياً لبندر الشحر بعد وصول عثمان زيد الى ذلك المقر فوصل المذكور الى ضوران بهذا الأوان ، ومعه قدر مائة وخمسين من الأصحاب وخاصة الأعوان ، لم يشعر به الإمام الاّ بالوصول عقب الفجر من محل مبيته بالمنشية [1] تجنّباً منه للّقيا المتعبة .

---

(١) المنشية .قرية من جَهْران حموبي نقيل يسلح وشمال ذمار .

وشكاة العدين من الجرموزي وشكاة الشيخ راجح طال بقاؤهم بحضرة الإمام من أول هذه السنة ولم يقض غرضهم وشكواهم الجور من المذكورين والمطالب الزائدة على ما كان كالماضين . وروي أن الإمام قد أمر معهم من يناظر بينهم بعد أن قام من المرض ، والا فكان معرضاً عنهم والشكوى في الحقيقة عائدة من الإمام عليهم لأنه المرخص للعمال في الذي يأخذوه من الأموال .

مولود برأسين

وفي هذه السنة : روى أنه ولد مولود للفقيه يحيى بن حسين السحولي النّاظر على الوقف بصنعاء له راسان وفمان ، فسبحان الخالق لما يشاء .

وفي آخر شهر جمادى الآخر : كان قران الزهرة والمشترى آخر برج العقرب .

ووصل يومئذ كتاب من الحاكم العماني الى الإمام : يذكر فيه العتاب فيما جرى في أصحابه في ساحل عدن وعند بابه . وكان بندر عدن . . .[1] التجرّي من جهاته وأنه اختار بندر عدن بقصد الإعانة بعينة لأجله وغير تارك أمره ، وربما في كتابه إرعاد وإبراق من نحو كتابه السابق الذي شاع ذكره في الآفاق .

رجفة وزلزلة ومطالب اليمن

وفي العشر الوسطى من شهر جمادى الآخرة : وقعت رجفة وزلزلة بضوران . ولم يقع في غيره من البلدان ، فحصل مع الإمام والناس خوف من ذلك الشان وفيه عبرة وموعظة كما قال تعالى ﴿ وما نُرسلُ بالآيات إلاّ تخويفاً ﴾[2] خصوصاً حيث خص الله به ذلك المكان دون غيره من سائر البلدان ، وتتابعت تلك الرجفات ، كانت في عشية الخميس وليلة الجمعة رابع عشر الشهر المذكور حتى بلغت نحو ثلاثين رجفة متتابعة ، ولم يحصل من ذلك انتباه بإنصاف الشكاة من تخفيف المطالب التي زادت في اليمن الأسفل ، وهي مطلبة التتن لمن شربه أو لم يشربه ، ومطلبة الصّلاة لمن صلى أم لم يصل . ومنها مطلبة الريّاح[3] ومنها مطلبة البارود والرصاص . ومنها مطلبة سفرة الوالي ،

---

(١) كلمة مطموسة لم نكد نتبينها وهذا الحبر كله مضروب عليه الا أنه ضرب خفيف يقرأ .

(٢) الآية :٥٩ سورة الإسراء .

(٣) الرباح : جمع ريح وهو عندهم طبل يستعمل في المناسبات العسكرية وشعار لقوة الدولة والقبائل .

ومنها مطلبة دار الضرب ، ومنها ضيقة العيدين والمعونة ﴿إنْ هي إلاّ أسماءٌ سميتموها أنتمْ وآباؤكم﴾[1] ولم يكن في اليمن الأعلى من هذه المطالب الآ مطلبة ضيقة العيدين والمعونة ، وان كان اليمن الأسفل كثير الخيرات والمحصُولات بالنظر الى اليمن الأعلى ، لكن كان الواجب الرفق والعدل ولا يزيد على الطين بلة ، كما ذكره السبكي من الشافعية في ، «معيد النعم ومبيد النقم»[2] وفي الحديث[3] «ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء» . وقد ثبت في الأحاديث أن سبب الزلازل المعاصي والظلم والكبائر ، كما ذكره السيوطي في كتابه «الصلصلة في الزلزلة»[4] والله أعلم .

ووصل الى الإمام كثير من الجهات للزيارة والهدايا والضيافة ما يكثر ، وترادف الواصلون وامتلأت الأماكن .

وفي هذه المدة : لما بلغ مرض الإمام الى اليمن الأسفل وما زادوه في الزيادة من الخبر ، رفعت الحجرية رؤوسها وقتلوا عبداً من عبيد محمد بن أحمد بن الحسن ، وربطوا بعض غلمان الخيل في الليل وهم نيام الى أيديها ، ولولا سكون محمد بن أحمد في رأس جبلهم لكان طردوا عمّالهم عنهم ، وخافت الطريق فيما بين عدن ولحج من التّعويق فلم يَمُرُّها أحد الآ في الجمع الكثير الوثيق . ووصف واصف أن الجور أيضاً من أصحاب علي بن الإمام في اليمن الأسفل كإب وجبلة حاصل بسبب إرخاء العنان لأصحابه يفعل كل منهم ما أراد في جهاته ويحبسون من شاؤوا ويعملون ما أرادوا . .[5]

وفي هذا الشهر : غضب أحمد بن الحسن على جارية مملوكة له فضربها بالدبوس كان فيه هلاكها . وأخرى ضربها فزال عقلها وجنّت . . .[6] واتفق مع حسين بن حسن لما خرج من رداع زائرا للإمام فبات بالهضبة أضافه أهلها في بعض بيوتهم بها ، فلما كثروا في مجلسهم سقط السقف بهم فهلك منهم ثلاثة أنفار والآخرون حثوا في الفرار ، ووقع في بعضهم أصواب من حجارات الخراب .

---

(١) الآية ٢٣ سورة النجم .

(٢) معيد النعم ١٣٠ ط دار الحداثة .

(٣) سنن البيهقي ٩ : ٤١ عن عبدالله بن عمرو ويرفعه

(٤) كشف الصلصلة : ١٣٨ ط عالم الكتب .

(٥) هنا كشط لأربعة أسطر .

(٦) كلمة دخلت في التجليد .

وفي ثالث شهر رجب عادت الزلزلة في ضوران أيضاً بعد الزلازل الأولى . . .[1] .

وفي شهر رجب هذا : وصل الخبر بدخول أصحاب العماني البحر وخروجهم من مسكت عن البر لما تحركت ريح الشرق وسبّر لهم ظهر البحر وحصل الوهم أن قصدهم سواحل اليمن الى جهة المخا وعدن ، وكان الإمام وأحمد بن الحسن مهتمين بهم في غاية الشجن ، فلما طرقهم الخبر بالخروج زادوا من عندهم العسكر غير من قد كان في تلك النهوج ، فأرسل أحمد بن الحسن [من العسكر رئيسهم حسين حنش[2]] وحثهم على الصدور خشية لا يحصل في عدن ما يحصل عند الوصول والحضور ، وقد صار حال أهل هذين البندرين وهما المخا وعدن في هاتين السنتين كما قال الشاعر :

لقد خفت حتى لو تمر حمامة ... لقلت عدو أو طليعة معشر

فإن قال خير قلت هذه خديعة ... وإن قال شر قلت حق فشمر

فإنهم ما زالوا هذين العامين خائفين من الجهتين ، جهة الشّام من السلطان محمد بن عثمان لأجل ما كان اهتم به من قصد اليمن كما سبق ذكره ، ومن جهة صاحب عمان سلطان بن سيف اليعربي لأجل ما حصل في العام الماضي وما جرى في أصحابه من ذلك الجاري ، وإن كان الحاكم العماني في العادة ليس ضرره في غير البنادر في تلك الساحة ، وإلاّ فان جملة جنده كما حققه الخاص من جهته قدر أربعة آلاف وأن بعد من بلاده فيخشى من الفرنج الغارات لكن ضرر السواحل حاصل منه كما قال الشاعر :[3]

لا تحقرن عدوا رماك ... وإن كان في ساعديه قصر

لذلك قال الأولون : من الحزم أن لا يحتقر الرجل عدوه وإن كان ذليلاً ولا يغفل عنه وإن كان صغيراً فكم برغوث أسْهَر فيلاً ومنع الرقاد ملكاً جليلاً . وقد ضرّ في البنادر هذه السنين ، ومحق البيع والشراء للبائعين والمشترين ، ولما خرج أصحاب الحاكم العماني عن بلاده وركب البحر مع أجناده جاء خبر آخر أنه قصد بعض جزائر البحر . وانتهب من أموالهم وحمل شيئاً من أثقالهم .

---

(١) هنا بقية كلام للمؤلف في نصف صفحة وربع ضرب عليها مجهول ، يفهم من نتف الكلمات الباقية الظاهرة : أن المؤلف يستغرب من تحصيص بلد ضوران وحدها بهذه الزلزلة والرجفة وكلام آخر لم يتضح .

(٢) هذه العبارة دخلت في التجليد ولم نكد نتبينها بوصوح

(٣) لابن نباته السعدي .

واتفق مع القاضي يحيى جباري نكتة عجيبة وهو أنه ركض رجلاً برجله فشكاه الى محمد بن الإمام ، فأرسل إليه للمناصفة فيما وقع من الإلمام فأبطأ القاضي ، وقاله له هو قاضي الإمام ، فبعث اليه نفرين للوصول قهراً من غير كلام يأتون به إلى حضرته بالقهر والإبرام ، فأتوا به الى حضرته ، وقال للشاكي : استقض منه في ركضته ، فَحَصل مع القاضي المقيم المقعد ، واستحال ما أمله من أن يرفع الأمر إلى والده ، فعجب بعض الحاضرين في شأنه ، وأن القاضي إنما فعل ذلك لعله من قبيل التأديب أو نحوه ، مع أن الركضة لا قصاص عنها لعدم العلم بقدرها الا في قول شاذ لبعض العلماء ، فحضر الحاضر وجامل ذلك الأمر الصادر وطلب الصّلح ، والصلح خير وبذل لذلك الرجل بعض شيء من الدراهم ، والله أعلم .

عجيبة في كسوف الزّهرة

وفي أول شهر شعبان اتفق كسوف للزهرة بمقابلة القمر وحجابها لها بالمشاهدة ، فسبحان الخالق لما يشا ، وكان ذلك في أول ليلة رابع الشهر المذكور في برج القوس ، ورأي أيضاً بالمشاهدة المريخ رجع في برج الثور قد كان قارب سيره الثريا ثم تراجع [وكان يومئذ في سابع][1] واستمر رجوعه الى نصف القعدة ثم سار ودخل الجوزاء .

وكان عند دخول أحمد بن الحسن من الروضة الى صنعاء من باب السبحة ومعه نحو أربعين من الخيل ومثلهم من الرجال فصفت الخيل في بابه عند دخوله ، وكان قد ازدحم أهل صنعاء للتفرجة حوله ، فاتفق أن ركض حصان السماوي رجلاً من أولئك المتفرجين الى جنب جدار هنالك حتى سقط في ذلك الحين وهلك لم يبق الا بقية ذلك اليوم ، ولأهل صنعاء لهج بالتفارج وغيرهم من البشر لا يشبعون منها ولا يملّون عنها كبارهم وصغارهم ، ومزاحمة الخيل لا تصلح للعاقل ، ولكن البشر أميل الي الملاد[2] والنظر في أكثر البلاد ، فلا قوة الا بالله ، وأهل الخيل أيضاً يركضون في الطرق والشوارع فيصدمون من يصدمون فذلك مما يجب على ولي الأمر منعهم .

صوت في الليل

وفي هذه الأيام حال سكون أحمد بن الحسن بصنعاء بدار الجامع كان يسمع في اللّيل

(١) ما بين المعقوفتين ضرب المولف عليها

(٢) لم أقف على هده اللفظة

صوتا من سطح الجامع يقول : الظلم شهر والفساد كثر ، ثم أرسل من ينظر ذلك فلم يجدوه ، وأخبر أهل الجامع أنه لم يكن فيه أحد فأثر مع أحمد بن الحسن ذلك الكلام ، ووقع معه الاهتمام ، والظلم الذي اشتهر في اليمن الأسفل بالمطالب من ولاتهم والإجحاف بحالهم وعدم الإصغاء الى إنصافهم فلا قوة الاّ بالله .

عمارة مسجد نقم من أحمد بن الحسن

وتمشى أحمد بن الحسن الى سفح جبل نقم ودخل مسجده ورأى خرابه وتهدم[1] سقفه ، أمر بسقفه وإقامته ، ويروى أنه كان مقاماً في مدة محمد باشا وأنه بنى بيتاً جَنْبه لأجل سدانته ، وخرابه كان عند حصول الفتنة في زمن حيدر باشا ثم اتصل ذلك الى هذا الوقت لم يكن معموراً منه غير جدره دون سقفه ، ولو أن أحمد بن الحسن أمر بأن يكون جملولاً[2] بالحجارة ليدوم سقفه ، فأما بالخشب فإنه يخرب وتسقط عيدانه وتسرق لأنه في خلاء وفضاء الاّ أن يجعل عنده من يقوم به ، وكان هذا المسجد زمان الإمام صلاح الدين[3] مقاماً والطريق اليه لا تزال محتركة بيضاء مدة وأياماً ، ويقولون أنه من المساجد القديمة التاريخ[4] والله أعلم .

وأمر أحمد بن الحسن في هذا التاريخ لما صلى بمسجد علي[5] الذي بسوق صنعاء إجراء ساقية للماء تخرج في السوق ليكون ماؤه طرياً ، فاتفق أن دلالا نَظَره قد قل وفي يده جنابي مسلولة يدور بها في السوق مدلوله ، لم يشعر الاّ وهو في حفرة تلك الساقية والحفار تحته فوقعت الجنبية في ظهره .

وفي شعبانها حصل قتل رجل من بلاد نهم ، والقاتل له بنو حشيش من بني الحارث فحصل تحمل النهمي على الحارثي وأظهروا المغزا للحارثي ، فرتبوا أطراف بلادهم وحموا جهاتهم ببنادقهم فغزا النهمي وهو غير متعبي فرماهم بنو حشيش من البيت الذي قد رتبوه لما قصدوه فقتلوا رجلاً من نهم ، فلما وقع هذا الحادث وصارت القتول بأجمعها في نهم تحملوا لهذا الأمر الكاذب وضَربوا الطبل في جهاتهم والقصد للحرب

---

(١) في الأصل : وعدم .

(٢) كذا في الأصل باللام صوابه الجملون : سقف محدّب مستطيل .

(٣) هو الإمام الناصر لدين الله صلاح الدين محمد بن علي حكمه من سنة ٧٧٣ ووفاته سنة ٧٩٣ «اتحاف المهتدين ٦٧»

(٤) انظر الكلام عليه في مساجد صنعاء ١٢٣ .

(٥) من المساجد العامرة شرقي الحلقة من أسواق صنعاء «مساجد صنعاء ٨٦» .

بأجمعهم فجهز عند ذلك أحمد بن الحسن جماعة من العسكر الى بلاده ونائب محمد بن الإمام من صنعاء الى نهم جماعة من أجناده .

وفي هذه السنة : اشتدت العسرة على أهل وادي السر شدة عظيمة ونضبت الآبار ويبست الأعناب حتى قطعوا أصول أكوالها[1] ورحل أكثرهم عنها للمعاش وتتابع عليهم عدم المطر سنة تسع وسبعين ، بحيث أنه صار عبرة لمن اعتبر خصوصاً وسط الوادي ، قال بعض أهله : وسببه كثرة التجاري على الأيمان والمحاسدة بينهم مع العدوان .

وفي هذا الشهر : خرج حسن بن الإمام من صعدة الى بلاد خولان لتقريرها والمناظرة فيما بين مشايخها وبين واليها لأن الإمام لما شكى مشايخ خولان واليهم وأرادوا عزله عنهم ولم يساعدهم ، بل قال : يتناظرون فإن صح عند النوعة المتولي حجة عزله وحوله ، وأمر ولده حسن بن الإمام بالمناظرة بينهم وتقرير الكلام عندهم ، واستقر بحيدان من بلاد خولان ونفوس خولان غير راضية في البَاطن بحسن بن الإمام ورغبتهم عادت الى علي بن أحمد هذه الأيام ، ثم سار حسن بن الإمام الى جبل رازح حيث كان ، وعلي بن أحمد حصل معه التّعب لأنه لم يكن قد قطع الياس عن خولان ، وكان يدفع اليه أهله في ولاية النوعة هذا الأوان ولا يَراعون رأي النوعة في بعض تلك المطالب المأخوذة حال مشايخهم عند الإمام ، فكأن الأمر يومئذ قد اختلف ورفعت كثير من القبائل رؤوسها لما ظهر لهم من قبل علي بن أحمد في تلك الجهة وغيرها[2] .

وأحمد بن المؤيد صار بوادعة وفي نفسه أمور واسعة ، وقال من قال منهم ولسان حالهم : هذا الإمام فيه الركة لما اعتراه من الألم هذه المدة ، وأحمد بن الحسن هو الذي يخشى منه قد اشتغل بتجهيزه الى عَدَن بعض عساكره وكان هذا كله في شهر شعبان ، فأجهز أحمد بن الحسن ابن خليل الهمداني الى عدن بجماعة من العسكر بعد التجهيز الأول للتحفظ على البندر من طارق يحصل من جهة الحاكم العماني من البحر .

وحصلت رجفة في ضوران في هذا الشهر بعد تلك الرجفات الأول فحصل مع الدولة بعض ارتجاف ، والله يسكن الفتن ويؤمن مما نخاف ، فلينظر العاقل ويعتبر بفكره الحاضر هذا الاختلاف ، والمنافسة على الدنيا بين أقارب الإمام ثم من بعدهم من

---

(١) الكول : غرسة واحدة من العنب .

(٢) هنا كلام صرب عليه المؤلف أو عيره لم ستطع تبينه .

السادات ، ثم من بعدهم من قبائل مذهبهم في هذه الحالات .

فإذا كان هذا فيما بينهم يريدون الخلاف وشب الفتنة والاجتحاف ، فما ظنك بمن كان من الملوك البعيدة عنهم فلا يكون اللوم عليهم وحدهم في الخروج عليهم والتفريق والبغي منهم ، إذ أقل حاله التسوية فيما بينهم .

وفي شهر رجب : تجددت الأخبار بصحة ما جرى في الفرنج واستيلاء السلطان عليهم وسُبي كثير والقتل فيهم ، وصدق هنا ما تقدم ذكره من الكلام عند طلوع ذلك الذنب كما نقل من الجفر بغير شك ولا اختلف كلامه ولا اضطرب حيث يقول فيه ما لفظه : محمد بن عثمان عبد صالح خير من حر[1] طالح شعر :

سيطلع من مغيب الشمس نجم   له ذنب كمثل الرمح عالي
بوجه مستدير مثل ترس   علامة ما تكون بلا محال

وهو بالسيف يقتل . انتهى بلفظه فهذا دليل صدق ما وقع ، إلا أنه كان الوجه مستدير في النجم الثاني الذي مثله طلع أولا من المشرق ثم ، طلع من المغرب ، وظهر النجم كالترس في آخر سنة إحدى وتسعين وألف كما سيأتي إن شاء الله ، فأما الأول فلم يظهر نجمه بل كالرمح وهو مغروس في الغرب .

إحداث المعاصر بصنعاء

وفي هذه السنة : أحدثت معصرتان للسليط[2] بصنعاء بعد أن لم يكن فيها هذه المدة شيئ ، وإنما كان فيها في المدة السابقة مدة بني العباس كثيراً[3] ، وصنع أهلها لها حجارة جديدة من الحجر الحبش ، نقر وسطها وجُرّت الى صنعاء على العجيل بالبقر ، جَرَّت كل واحدةً منها ثماني بقرات لكبرها وثقلها ، وعصروا فيها الخشخاش والخردل لأنه يزرع في أرض الجبل ، فأما الجلجلان فلا يصلح إلا في التهايم واليمن الأسفل ، فكان في ذلك بعض رفق لأهل المدينة في سعره ، مع ما يطلع من اليمن الأسفل من سليط الجلجلان مصنوعا ومن جهات الجوف محمولا .

وفي غرة رمضان : وصل ثلاثون رجلاً من العدين شاكين على الإمام ما تقدّمت لهم من

(١) كلمة غامضة لم تتضح لنا

(٢) السليط . الريت المستحرج من السمسم وعيره قال في القاموس السليط الريت .

(٣) يدكر الراري في تاريح صنعاء . ١١٥ أن عدد المعاصر بمدينة صنعاء أربع وخمسين معصرة يعصر بها السمسم

الشكية من الجور عليهم في المطالب الثقيلة ،وما صار يأخذه[1] عليهم السيد جعفر بن مطهر الجرموزي ، مما استجحف أكثر محصول ما لهم وما يحصلونه من غلاتهم ، وأن رسوله الذي أرسله معهم في الشكوى الأولى لم تحصل منه جدوى ولا نفع ولا ارعوى ، فيقال إنه ربما تحدث بتعويض الوالي وإبداله بآخر ووعدهم بما ينظر فيه واليهم ياتي ، وفي التحقيق ليس مطلبهم مجرد الوالي وإنما مطلبهم إزالة[2] التخفيف عنهم من الزوائد في المال لأنه حصل بسبب السيد جعفر الزيادة في التقرير الشهري كما سبق ذكره بقريب النّصف مما كان في المدة الماضية ، فحاف عليهم الجور من هاهنا لأنه نمق للإمام وسوّل له المقاطعة في كل شهر علي صفة الشروة بزائد على ما كان له لتتم له المساعدة ، فساعده الإمام فكان ذريعة للجريرة لهم في هذه الأعمال ، ولا ينبغي مساعدة المزايدين في القطاع من الولاة لأنهم بذلك يستحلون أموال الرعايا بما شاؤوا ، ويعملون فيهم ما أرادوا ، ويطلقون الزيادة من ظهورهم ، فلو أن الإمام إن تم عزله لهذا والإبرام يحط عن نفسه طلب الزيادة ، ويقرر الوالي الثاني أن حصل ما كان أولاً من غير زيادة ، لكان هو العدل والإنصاف والحكم بالحق وعدم الإجحاف .

ذكر ما جرى من غلاء الحطب بسبب زيادة المجبا

هذا سوق الحطابين بمدينة صنعاء اليمن دخل فيه مزايد في المجبا في كل شهر ، فلعب بالسوق وجمع من الحطب كثيرا مع الدراهم ، جعل بعضه لمطابخ القصر وبعضه له في القطعة ، فزاد بسببه ثمن الحطب ، لأن الحطابين زادوا ثمن ما أخذوه عليهم على المشترين ، بحيث حسب في هذه الأيام عند رخص الطعام فجاء حمل الحطب بحمل من الحبّ لأن الحمل ستة أحرف وخمسة وأربعة وأضعف حمْل بمائة بقشة وثلاثة لأن السعر بلغ هذه المدة الي عشرة كبار ، والحمل قدر ستة عشر قَدحاً لكبر القدح ، وكان الزمن الأول الحمل من الحطب بحرف وخمسين بقشة الى ستين ، وما كذب من قال صنعاء أم اليمن فإن غلا أثمان الحطب ارتفع في كثير من البلاد مثل بلاد كوكبان وثلا ومسور وشهارة وعفار وحوزة الحطب فيها أرفع من صنعاء .

وفي هذه الأيام : أمر الإمام ولده العود الى بلد ولايته بصنعاء والمبادرة اليها لأجل

---

(١) في الأصل «مأخذه»

(٢) كذا ولعله سبق قلم صوابه «ازالته والتخفيف» .

توهمات حصلت عنده ، وهو انه أخبره المخبرون : أن أحمد بن الحسن حال دخوله صنعاء هو ومحمد بن أحمد بن القاسم طافوا الأسواق ودخلوا الى القصر يوم الجمعة بالأجناد ، فحصل مع الإمام توهمات ، وأظهر التجلد عن ألمه وركب الحصان يوم الجمعة ، وانكشف أن ألمه من قبيل الباسور .

وفي شعبان : قتل رجل بمدينة شبام كوكبان وهرب القاتل وبعده في أوائل شهر رمضان قتل ثلاثة بشمات قتلهم أهل بلدهم لعدوى بينهم فأدب الجميع الدولة فيما جرى بينهم .

وفي هذه الأيام تناهى ثمن الثياب البيض[1] المتينة لعدمها بسبب منع الحاكم العماني لها .

وفي رمضانها : وصلت المراكب الهندية التواهية الى حدود بندر المخا وساحله ووصل معها من الحسا بضاعة من الأعبى ونحوها ، فأما الذي من الحسا فدخل المخا ، وأما المراكب التواهية فرست في البحر ، وشرطوا تخفيف المأخوذ عليهم والحط مما كان زاده السيد زيد بن علي[2] ، والسيد حسن[3] وإلاّ عرجوا عنه الى جده ، فقيل أن السيد حسن استأذن الإمام ، وأنه حط عنهم بعض شيء .

وفي ليلة السبت خامس عشر شوال منها : خسفت القمر بجميع جرمها في برج السرطان ، وكان أول شهر شوال بالاستهلال السبت ، وعند أهل الحساب والمنجمين بالجمعة . والخسوف على ذلك كان في سادس عشر .

وفي هذا الشهر : توفي الفقيه محمد بن عز الدين الأكوع في بيته بالحصين من ضوران وكان قد شاخ وتعمر ، وكان عليه المخازين مع شرف الإسلام الحسن بن الإمام القاسم مدته ، وولاية بلاد آنس هو وصنوه عبد الله ، واستمر كذلك مدة الإمام المؤيد محمد بن القاسم .

الحجر الذي في السر

وفي رابع وعشرين شوال : سقط من السماء حجر بغضران من بلاد وادي السر وقت العصر ، والشمس شارقة فسمع لخريرها في الجو صوت كصوت الرّعد العظيم سمع

---

(١) تقرأ في الأصل هكذا : المبّض

(٢) جحاف والي المخاء في السابق

(٣) هو الحسن بن المطهر الجرموري سبق ذكره

ذلك الى صنعاء ، وكان وقوعها بباب بيت في قرية غضران بوادي السر من بلاد بني حشيش ، ونزلت الأرض ، قالوا : ولونها كلون الحطم فسبحان القادر علي كل شيء وذلك من آيات الله التي يخوف الله بها عباده «ياعبادي فاتقون» . واشتد بالسر الجوع ويبست عليهم الأعناب وأصبح ماؤهم في الآبار غوراً لاماء فيها ، كما قال تعالى «ان أصبح ماؤكم غوراً فمن يأتيكم بماء معين»[1] ونجعوا عنها وتفرقوا في الأرض ولم يبق الاّ البعض منهم ثم قطعوا أصول العنب بالشرم[2] وأدخلها أهلها يبيعونها . وروى لي بعض فقهائهم : أن ذلك من عقوبات الله بهم لأنهم كانوا يتجارون على بذل الأيمان الكاذبة عند شريعتهم وكثر منهم المغادرة والأذية لبعضهم البعض حتى نزل بهم ما نزل .

خبر الجنّي

واتفق بهذا الشهر لبعض بيوتات بصنعاء أن شخصاً من الجان شغلهم وكسر عليهم من أوانيهم ، وكان ترى شخصه امرأة منهم لا غيرها من أهل بيتهم ، وكان يخرق ثيابها ويطرحها بئرهم ، ومرة سل عليها السلاح ، ومرة ذبح عليهم دجاجة وهي تراه ، ومرّة صاحت منه وقالت َسل عليها السلاح ثم سكنت ، وكان بعض المعزمين يعزم لها ويكتب لها فيخرقها ، ومع هذا فحسّ[3] تلك المرأة لم يتغير ، وذكر صاحب البيت أنه كسر عليه بعض سلاح وتضرر منه وذكر أن صورته صورة امرأة ، ومعها خادمان تأمرهما بما تريد ، وغفل بعض أيام ثم عاد ومعه كتابة عجمية وصورة ووضعها في عتبة الباب ، فرأته تلك المرأة حين وضَعَها ولم يره غيرها ، فأخرجوها فدلّ ذلك أنه ساحر ، وأن السحرة من الجن والإنس نعوذ بالله منهم .

وفي شهر الحجة منها : أرسل محمد بن المتوكل صاحب صنعاء جماعة من العسكر والخيل الى شعوب لمنع جمال الإسلام محمد بن أحمد صاحب الروضة عن حمل أثل كان فيه دَعْوى للفقيه يحيى بن حسن السحولي ناظر الوقف ، فأبرز محمد بن أحمد حكماً شرعياً من القاضي علي بن جابر الهبل ، فلاوجه لرد الجمال ووضع الأثل من ظهورها من غير وجه ، فبرّده الفقيه ابن جميل وقال : الأمر جميل فيكون الصبر منكم

---

(١) الآية ٣٠ سورة الملك

(٢) الشرم . جمع شريم . المحل .

(٣) حس مصدر الحواس .

والصّفح لكم لئلا يحصل ما يحصل من الإشتجار في هذا الأمر الحقير الذي ما كان مثله يكلف لا قليل ولا كثير ، فحصل المعقول من جهة ابن جميل ، ووضعت الأحمال وترك باقي الإثل في موضعه تلطف منه ومداركة وحال جميل ، وظهر بين الرجلين كوامن الأحقاد والاستيحاش الى غير المراد ، وطلب محمد بن الإمام عقب ذلك علي بن جابر وقال له : لم تحكم بغير أمرنا وبغير حضور ناظرنا ووكيلنا ، فأجاب القاضي : أن هذا الحكم جرى بعد تقرر بطلان دعوي جانب الوقف لما طلبنا ، والأمور فيها بعض الربش بين السيدين فإن محمد بن أحمد وإن كان أبرد في حرارة الطباع والجميل والرعاية والاتساع فقد ظهر منه بعض كلام شاع في الناس من جهة صنعاء : فإنه لما مرض الإمام ظهر من محمد بن احمد أنه لا يترك صنعاء ، فربما بلغ محمد بن الإمام فيحصل في النفوس ، وإن كان قد شوحج محمد بن أحمد وأزيل عنه ما كان يعتاده من بلاده ، فإنه أخذ عليه محمد بن الإمام لما تولى صنعاء زكاة أموال أهل صنعاء في الروضة والجراف ، وكان ذلك أولاً اليه ، وأخذ خطأً من والده الإمام عليه فلم ينفذ عنه ولده وقرره والده ونقض خطه ، فلا قوة الاّ بالله العلي العظيم ، ولم يدخل محمد بن أحمد بيته بصنعاء عقب العيد لما في النفوس ، وحصل عقب ذلك غيار بقطع عنب الناظر على الوقف يحيى بن حسين السحولي بالمحاريق [1] .

وفي هذه المدة : روى أن رجلاً حمالاً مشتاطا [2] نزل الى اليمن الأسفل ، فلما بلغ الى بلاد الجَند اضطر الى السؤال لطعام من بعض بيوت في تلك الجهة بعد أن أظلم عليه اللّيل ودقّ الباب . ففتحت له امرأة وقالت : ادخل وهي خارجة فدخل وإذا فيه جماعة من الشماة [3] وملقىً بين أيديهم سلاحهم فقالوا له : اقعد فقعد ثم أنهم خرجوا وأمروه بحمل شيء معهم في غرارة فحمل ذلك معهم الى البرية ، وحفروا حفيرة ألقوه فيها ، وإذا هو مقتول قتلوه بها ، ثم حفرو حفيرة أخرى فقال : لمن هذه فقالوا : لك نلقيك بها لئلا تخبر بخبرنا وتشيع أمرنا يظفر بنا ، فسقط في يده وأيقن بالهلاك فألهمه الله الى الدعاء والإستغاثة بالشيخ احمد بن علوان نفع الله به والتوسل الى الله ببركته ونذر له بما حمله ، قال : فلم يشعر الاّ بشيء أقبل عليهم بحربته دفعهم بها ، فحمد الله تعالى على

---

(١) المحاريق من أحياء صنعاء يقع في الجهة الشرقية بشمال صنعاء وتوجد فيه محاريق النورة .

(٢) بائع للطعام وحالب له .

(٣) الشماة من بلاد الحجرية .

النجاة منهم وسلامته عنهم ،هكذا روى بعض القبائل وهذه الرواية لا تعرف الأ من مثلهم لأنه رجل حمال من جنسهم ، فإذا صحت فهي من كرامات الشيخ أحمد نفع الله به .

ووصل خبر هذه الأيام برجوع أصحاب الحاكم العماني الذين كانوا قد بلغوا الى حدود الشحر .

وفي هذه المدة : انكسرت جلبة كانت داخلة من اليمن فيها حجاج ومن البن وراح من البن على بني[1] ودراهم جملة مستكثرة وعلى أخرى من المتسببين فهلكوا لم يسلم منهم الا اليسير ممن خرج مع صاحبها في سنبوق ومن تعلّق بشيء من صروفها على مشقة في ذلك ، فإنه وصف الواصف أنه تعلق بصُرَف[2] فلبث في البحر فوق ثلاثة أيام لا يذوق شيئاً من الطعام ولا الماء ، وهو في معاناة مع ذلك الصرف لأجل الموج فتارة يكون على ظهرها وتارة تقلبه فيقبض عليه ويتعلّق به لئلا يغرق ، فما زال كذلك يسوقه الريح الغربي ، حتى قذفه في ساحل جازان بعد الإياس منه ، وكان انكسارها مقابل لبندر جازان وهم قدر سَبْعين نفراً ، لم ينج منهم الا نحو خمسة عشر رجلاً .

وخطب خطيب صنعاء محمد بن ابراهيم السحولي[3] بخطبة الرافضة يوم الغدير ثامن عشر شهر الحجة يوم الجمعة ، وحث الناس علي الصيام فيه وإظهار الشعار الذي للإمامية الإثني عشرية ، ولم يخطب أحد قبله من أهل مذهبه .

وأدخل جماعة بمكة الحبس لأجل شراء جماعة من أهل اليمن لبنادق وربما مطل بعضهم في شرائه الثمن فشكا الى الباشا فأرسل للشيخ راجح أمير حاج اليماني ، فدخل إليه إجابة للداعي ، وقال الباشا حسين : ما موجب الشراء للبنادق منكم أهل اليمن ، فقال : يامولى السعادة لأجل الحرامية لحفظ الحاج في الجادة ، فأمر بإطلاقهم من الزناجير ، وسلم الشيخ بوقته من مطل الثمن وانجبر الأمر ، وكان قد قطع الباشا يد بعضهم .

وفي سادس وعشرين شهر الحجة منها : كان تحويل سنة العالم بدخول الشمس أول دقيقة في برج الحمل فكانت الزهرة وعطارد في الحمل ، والمشتري في القوس والقمر في الدلو والذنب ، وهو الجوزهر في السرطان وكذا المريخ وزحل في أول برج الثور ، وكانت هذه السنة الداخلة سنة ست وثمانين الآتي ذكرها ان شاء الله سنة خمس وثمانين

---

(١) كلمة دحلت في حامية الكتاب .

(٢) صُرَف : بضم الصاد وفتح الراء . قطع خشبية

(٣) خطيب من العلماء توفي سنة ١١٠٩ «البدر الطالع ٢ :٩٦» .

شمسية لأنه حصل فيها ازدلاف اذ لا يكون تحويل سنة العالم بدخول الشمس أول دقيقة في الحمل الا في أول شهر محرم سنة سبع وثمانين وألف ، وهي مع ذلك بالنظر الى القمرية لا تسقط بل هي سنة ست وثمانين بعد الخمس والثمانين الماضية ، وإنما هذا السقوط والازدلاف باعتبار السنة الشمسية والزحلقة بأيام البين وهي إحدى عشر يوماً وكسور في كل سنة والله أعلم . . . .[1]

وفي هذه الأيام : كان مزيناً حلاقاً معه مرآة من بلور عوجا فَيُمرّي[2] القبائل فيرون وجوههم عوجاً ، فيقول لهم : ما رأيتم ، فيقول : معه علاج لذلك فيأخذ شيئاً من الجلود يسوى بها وجهه على زعمه ، ويخرج مرآة أخرى صحيحة ، فيقول : ما رأيتم ، قالوا : زالت العوجة فيعطونه شيئاً من الأجرة ، وكان هكذا يفعل وإنما فطن به من تفطن ، فكان آخر أمره أن أصيب بشيء من الطّرش ، وبقى في حالة ضعيفة ، وأولاد جبل[3] الهمداني الذين كانوا بصنعاء لهم من البيع والشراء والثروة والغناء فلما كان منهم من الفساد وظهر عليهم القبائح وقبضوا غير مرة على ذلك عوجلوا بالعقوبة وتفرقوا وخسروا ، فراح واحد منهم الى مكة ظهرت عليه فيها سرقة فقطعت يده . والآخر كان في أعظم مما جرى له ، وشيخ ببرط يقال له الشيخ قاسم كان شريراً قد قتل نفوساً ونهب أموالاً فأصيب ببطلان نصفه . فبقى كذلك مدة ثم صار أعرج يسير على العصا وسلم الناس شره وصار في أعظم حاله .

قصة المجذوب الذي ألقى بنفسه من رأس حصن ثلا

وفي هذه المدة : ترجح للقاضي مهدي الحسوسة الثلائي بأن حبس فقيراً من فقراء الشيخ أحمد بن علوان نفع الله به في حصن ثلا لأجل منعه من دق صَدْره بالدبوس حال جذبه ، فترجح له بأن قفز من رأس الحصن من الحيد فوقع ، فوق غرارة قشر في سوق ثلا ، وسار على قدمه لم يضره شيء مما جرى وسلمه الله تعالى ببركة الشيخ أحمد بن علوان نفع الله به ، فلما رأى ذلك القاضي مهدي اعتقد بركة الشيخ أحمد وخلّى سبيله ولم يعرض[4] له ولا لغيره من الفقراء والله أعلم .

---

(١) هنا كشط كثير يتجاوز نحو سبعة عشر سطراً فيه الكلام على والي صنعاء محمد بن المتوكل مع بني بهلول . لم نستطع تبينه لقوة هذا الكشط فيهم

(٢) يمرّى . فعل من المرآة أي يعرض وجوههم على المرآة .

(٣) لفظة دخلت في التجليد

(٤) تقرأ أيضاً : حنشل .

والى هنا انتهى الدور الثالث من أول الإسلام الذي يدور على ثلاث مائة وستين سنة لكنها سنة شمسية [1] فتزيد على هذا بخمس سنين فيكون انتهاؤه في سنة خمس وثمانين وألف ، وعند أهل الفلك أنه يكون فيه انقلاب في الدولة في بعض الجهات واستيلاء بعض الملوك على بعض والقدرة لله تعالى .

ودخلت سنة ست وثمانين وألف

قيل إنها استهلت بالخميس .

والإمام هذه الأيام حمل بعض خزانة ضوران الى صنعاء .

وأصبح يوم ثاني الشهر المذكور [المحرم] حال وصول أول كتب مكة : دخل احمد بن الحسن من الروضة الي صنعاء ولقاه محمد بن الإمام الى الجراف ، وسار الى الروضة وافق محمد بن أحمد للاعتذار من أجل ما كان صدر منه من جانبه الى جانب محمد بن احمد في منعه من حمل الأثل . ومصادقة محمد بن الإمام للنّاظر على الوقف ، وما جرى من ذلك العمل ، ثم دخل الجميع صنعاء .

وكان من الحاث له على ذلك والمعاتب أحمد بن الحسن فإنه لام محمد بن الإمام وقال : مثل هذا الشيء الحقير مدرك مع الأناة على الوجه الجميل والحق أحق أن يتبع وليس لأحد مخالفة له ولا مطمع ، ومحمد بن أحمد معه حكم شرعي في ذلك وأنه مما يتصل بأملاكه وتحت يده مع أنكم لو طلبتموه هبة لوهبه لجانب الوقف ولم يبخل به لحقارته ولا يجرى في الوسط بسببه .

وفي آخر هذا الشهر : خالفت بلاد الحجرية ومنعوا بلادهم عن المتصرفين فيها ، كان أول حادث ما سبق ذكره من قتل العشرة الأنفار من أصحاب محمد بن أحمد الحسن ، ومنهم النّقيب ابن جومر من الأهنوم كما سبق ذكره ، فأرسل الإمام اليهم رسولا برسالة يطلب منهم الدّيات ويتوعّدهم أن خالفوا أمره بالعقوبات ثم قال للرسول : ان لم يتم هذا فالسيف ، فقتلوا رسوله ومن معه ، ثم أرسل جماعة عسكر بأدب فردّوهم عن دخول بلادهم ، ومحمد بن أحمد قد كان أهم أن يخرج عنها الى يفرس ، فلما حدث هذا الحادث أرسل الإمام بأول شهر صفر ولده عليا ، وكذلك أحمد بن الحسن أرسل السيد صلاح بجماعة عسكر .

---

(١) لفظة دخلت في التجليد

وفيها : توفي الفقيه علي بن محمد البحيح الذي كان كاتباً للبصائر بمدينة صنعاء من مدة حيدر باشا الى هذا التّاريخ ، وقد كبر في السن ، وكان في مدة حيدر باشا قد جعلوه فَنْديّاً بمدينة عمران في البون بأمر الباشا فبقى هنالك برهة علي هذه الوظيفة .

وفي شهر صفر منها توفي الفقيه بدر الدين محمد بن علي المرواحي الشافعي ، كان المذكور ساكنا بصَنْعاء من مدة دولة السلطنة ، وله وظيفة في محراب مسجد عقيل [١] أول المدة ، ثم نائباً عن الفقيه هادي القويعي ، ثم صارت وظيفته في مسجد جناح [٢] حتى مات في التاريخ المذكور يؤم بالشافعية من الساكنين بصنعاء ، وكان فقيهاً .

وفي نصف صفر : جاء الخبر بأن محمد بن أحمد غزا إلى الزرّيقة بتشديد الزاي ثم الراء لما وصل إليه أوائل الغارة وهم أحد قبائل الحجرية الذين وقع منهم الحدث السابق ذكره من تلك القضية فواقعهم وقتل منهم ثلاثة أنفس وثمانية مجاريح وانتهب عسكره عليهم نحو مائة وخمسين رأساً من الغنم وراح من العسكر أربعة أنفار وقيل خمسة وأخبر من حضر الوقعة ان الذي راح من أصحاب محمد بن أحمد قدر عشرين نفراً وأن الحرب استمر أربعة أيام فلما بلغهم وصول علي بن الإمام هربوا في الليل إلى الأودية والشعاب والجبال فلحق من آخرهم يوم ثاني هربهم انتهب عليهم ذلك القدر وقتلوا منهم ثلاثة أنفار قال الراوي : وتميّلوا إلى الصبيحة إلى أطراف جهات ابن شعفل .

وفي هذا الشهر : هجم الفقيه حسين بن يحيى حنش على جماعة من السادة في شهارة وهم سكارى ،فقبض منهم البعض وهرب البعض .

وفي يوم الجمعة رابع عشر شهر ربيع الأول : وقع قران الزهرة وزحل ببرج الثور .

وفي هذه الأيام : هرب جماعة من عسكر حسن بن الإمام من جبل رازح فبعضهم سكن في بيته بالأهنوم وغربان ، وبعضهم وصل إلى حضرة الإمام .

وفي هذه الأيام : وصل الى حضرة المتوكل جماعة من عسكر زبيد يشكون من واليهم السيد حسين بن زيد بن جحاف . وكذلك وصل الى أحمد بن الحسن عسكر من عدن يشكون من واليهم السيد حسن الحرة .

---

(١) من المساجد العامرة في صنعاء قبلي السوق مشهور « مساجد صنعاء »

(٢) من المساجد العامرة بالقرب من سوق الملح عربي مسجد المذهب « مساجد صنعاء ٤٢ » .

واتفق بين ولد يسمّى علي بن محمد بن أحمد بن الحسن ، وكان شاباً وبين سيد من بني عامر يسمى حسين بن علي بن محمد بن عامر قضية ، وهو أن ابن عامر كان وافداً في الغراس أن طعن علياً بالجنبية فبقي خمسة أيام ومات ، فبقي عند أحمد بن الحسن وإنما حبسه وشفع الى ولده محمد بن أحمد أن يعفو عن القود .

وفي هذا الوقت : أقبل جراد من جهة الشام فمر بصنعاء وحضور والبون وهبط الى جهات وادي سردد ، وتبعه جراد آخر وفي أذنابه مكتوب جرا[1] والله أعلم بحكمته .

وفي هذا الوقت مال بعض قبائل البروية الى محمد بن الإمام ، وقالوا أنهم يسُوقون زكاتهم الى قصر صنعاء ، فجعل لهم خطّاً بمثل ما قالوه فتغيّر خاطر احمد بن محمد وأرسل عسكرا الى بلادهم ، فوصلوا شكاة على محمد بن الإمام فلم يسع محمد بن الإمام الا ترك ما كان أهم به واعتذر بأنهم الذين طلبوا ذلك منه . وبعد ثمانية أيام وجاء أمر الإمام بأنهم يسوقون على العادة ، وأن ما أخذ من الأدب يرده العسكر لأهل البروية فصالحهم أحمد بن محمد واستطاب نفوسهم وأنهم يبقون على عادتهم وجعل لهم الوفا بما كان لهم وزيادة لمشايخهم فلم تطب نفوسهم .

وفي العشر الآخرة من ربيع الأول : وقع بين الحشا[2] بعضهم البعض قتال بسبب فرقة على مرعى فراح جماعة قتلا قيل سبعة أنفار .

وأعمال الحجرية سكنت وأما الزريقة الذين الحذر منهم ، فهربوا كما سبق ، وعلي بن الإمام وصل الى يفرس بقي فيه بعض الأيام ، واتفق هو ومحمد بن أحمد وعاد الى تعز ثم الى إب ، ومحمد بن أحمد عاد الى المنصورة .

وفي غرة شهر ربيع الأول : وصل حضرة الإمام بضوران خواجا هندي أمير المراكب التي تصل من بندر سرات ، ومعه من الخدم جماعات قدر خمسين نفراً فوصل الى الإمام وأعطاه هدية من البزوز[3] الهندية فأجازه فرساً ، ثم وصل الى أحمد بن الحسن ، وهو بالغراس فدخل صنعاء المذكور في خمسين نفراً من الخدم في هيئة غريبة لم يعلم بمثلها في العصور القديمة ، وهو أنه يسير في محمل يحمله أربعة رجال ، ويسيرون به على

---

(١) هنا ضرب على نحو أربعة أسطر وهو بقية هذا الخبر

(٢) الحشا بضم الحاء المهملة جبل بالشرق الشمالي من تعز

(٣) البزوز جمع بز (معروف)

الخيول عند دخوله صنعاء وخروجه الى شعوب وأهل صنعاء يتفرّجون على هذه الحالة الغريبة العجيبة ، وأهدى لأحمد بن الحسن أيضاً هدية ، ولعلّ الحامل له على ذلك فترة الشراء في بندر المخا كما يعتاد فيما مضى فأراد انفاق بضاعته على هذه الصفة ، والاّ فإنه يخرج في المواسم الأولى الى المخا ويرجع بعد بيعه فيمامضى ،ولما قيل له : كان الأولى لك عدم الإتعاب لهؤلاء الذين يحملونك أجاب بأنهم انجريز[١] كفار لم يسلموا ،فهم يستحقون ذلك فلو أنهم أسلموا لما أتعبوا ولخليوا[٢] ووصل عقب المذكور تركي الى عند الإمام ومعه جماعة من الخدم حول عشرين عبداً وهو من الحبشة مهديه .

وفاة تاجر

وفي هذا الشهر : توفي صلاح نصار في بلد الظهرين من حجة ، وكان تاجراً وحصل معه التأثر والمرض والألم من حال انكسرت الجلبة عليه في البحر ، وراح عليه من المال ما يقابل حول ثلاثين ألفاً من القروش ، وما لحقه من الخسارة في صافي البن العام الماضي بسبب الهجوة وتحارفه[٣] في الغرائر وعَقَبه شحنه قبل جفافه ويبسه ، فلم يصل الى جدة الاّ وقد بطل بسببه والمال الذي معه له وللسيد علي بن حسين جحاف والي حجة ، وكان قد تضرر منه كثير من الزرعة والمتسَبّبين من أجل أنه كان يجمع الصافي[٤] بالصلبة في المخازين فإذا وصل تجار الشّام[٥] اليها ، وشرع البيع والشراء فيها باع من الواصلين بناقص بعض شيء مما باعه سائر الناس لوسعة ما معه لأجل التّرغيب أن يشتروا ما قد جمعه ، فيشترون منه جميع ما قد معه ويتركون الشراء من الزرعة وسائر المتسبّبين ، ثم يشترون ويستغنون ، فبعد ذلك يبقى حق الزراع متخمناً لا يجدون من يشتري منهم ولا يبذل ثمناً ، وهو يشق بهم عوده الى بلادهم ، فيتحكّم فيهم ابن نصار في الثمن ويشتريه منهم بدون ما باعه ويخزنه في السمسرة ينتظر لمن يصل من التجار من الشّام ، هذا دأبه وحاله في بيعه وشرائه ، وهذا منه خداع للمسلمين فكان الواجب عليه أن يعرض البضاعة من جملة غيره ، ويبيع معهم من غير أن يستميلهم ويجرهم اليه

---

(١) كذا في الأصل .ولعلهم .هندوس من الكفار .

(٢) كذا بزيادة ياء صوابه خُلّوا : أي تركوا الحال سبيلهم

(٣) شدة مهارته في البيع والشراء

(٤) الصّافي : البن المنزوع منه قشره .

(٥) الحجار وما سامتها

ويطمعهم ، بل يبيع من طرف ماله ويشارك غيره ، وما جرى به السعر مع طرح البضاعة فالله المسعّر وليس له أن يتحجّرهم بل عليه الرعاية للمسلمين والاشتراك مع غيره من البائعين والمشترين ، فلهذا السّبب ما زال الواصلون بالبن من الصافي الى الصلبة [١] يدعون عليه . وظهر هذا الوقت نقص بيع بني نصار وشراؤهم عما كان لأجل ما انكسر فيه المذكور ثم تفرقهم من بعده .

وفي هذا الشهر : نقص أحمد بن الحسن في عدد[٢] أصحابه وأجناده ، وجعل لهم ثلاثة أحرف على السوية فمنهم من ترك قبض ذلك ، ومنهم من قبض الاّ إن الحاضرين عنده الذين لا يفارقونه يلحق بتوفيتهم فأما الغائبين فلم يزدْهم على الثلاثة سواء قربوا منه بصنعاء أو بعدوا وإنما قصر الحاق التوفية لمن في ديوانه فقط لا يغيبون عنه ، وقيل أن ذلك بأمر الإمام له لأنه يفعل ذلك والمنكسر يحاسبه وقت الحساب ويقطع له البز [٣] بناقص ثلاثة أرباع ويصح معهم الربع .

ووصل [٤] الى الإمام هذا الشهر طالب الحاكم العماني الذي يخرج في المدة الماضية بالأعبى [٥] من جهاته وهو رسول من عمان الي الإمام لم يكن معه بضاعة لأنه غير وقتها ، وإنما يخرج متى سلك سيْر البحر في أواخر فصل الشتاء ، والله أعلم .

وفي هذه الأيام : اتفقت بالحاج محمد بن أحمد كزبر الدمشقي الشامي الحنبلي الواصل الى صنعاء ببضاعة من جهات الشام بعد أن حج الى بيت الله الحرام وزار النّبي عليه أفضل الصلاة والسلام ، وكان قد وصل العام الماضي وتزوّج في مدينة صنعاء بزوجة ، ثم لم يلبث العام الماضي أن عاد وتعوض من البن الصافي وسائر ثوم تلك النّواحي من طريق البحر ، وحج بيت الله الحرام ، ثم دخل مع المحمل الشامي واتفق لبعض ما أدخله من البضاعة من الصافي الانتهاب من الحرامية من بلاد عنزة عرب الحجاز ، ثم لما دخل مع من دخل بعد ما حصل من الانتهاب استقر بوطنه دمشق الى قريب الحج الى بيت الله الحرام وعاد مع الحج الشامي فحج أيضاً هذا العام ، وكان

---

(١) الصلبة من عزلة وناحية شرس قضاء حجة .

(٢) العدد أجرة الجند النقدية .

(٣) اللفظة مكتوبة في الأصل الهر

(٤) هذا الخبر ضرب عليه المؤلف

(٥) الأعبى : جمع باءة (معروف

وصوله من صنعاء في الشهر الماضي يستقر فيها الى موسم الحج ثم يسافر ، وكان وصوله ببعض شيء من بضاعة الشام ثم يدخل يعوضه من الصافي هذا العام حسبما ذكر لي ، وله معرفة في العلم على مذهب احمد بن حنبل مذهب الحنابلة واستنسخنا على كتاب له يسمى «منتهى الإرادات» [1] في فقه الحنابلة ، قال إنه المعتمد في جهاتهم وعليه مدار الفتوى لأهل مذهبهم ، ومما وصف لي المذكور :أنه حج الى هذ العام نحو خمسين حجة مع الزيارة كون طريق الشامي على مدينة النبي صلى الله عليه وسلم قال : ووالده في الحياة في قدر تسعين سنة ، وذكر : أن الشام عامرة ، وذكر المذكور أن الشام وغيره فيه الفواكه المثمرة وأنه يكون في الخريف حاراً شديد الحرارة ، ولا يقع فيه مطر وإنما مطره يكون في الربيع في كانون وشباط ، وأنه يشتد فيه البرد شدة قوية ، وقد ينزل في الجبال بعض شيء من الثلج في مدة الأيام ، وذكر المذكور : أن المعتزلة الذين يختلطون بأهل السنة في جهة العراق هم الآن الإمامية الإثني عشرية لأنهم في الأصول معتزلة وفي الإمامه اثني عشريه ، وأما غيرهم فلا يعلم بأحد ، وهو كما قال ، وذكر المذكور : أن سعد بن زيد بن محسن الذي كان والياً بمكة الأيام الأولى وجرى عليه ما جرى من التخويف والإزاله لقاهم في شهر القعدة من السنة الماضية بدومة الجندل في حدود تبوك قريب الشام وأطراف بلاد بني لام [2] وأنه وافق الباشا حسين حال خروجه بعد استئذانه وأمانه ، وأنه أخذ رأيه في القَصْد الى الأبواب السلطانية فقال له : لا بأس عليك فمر وأتم النية والقصد ، فسار المذكور وصنوه أحمد صحبته والأغا ذو[3] الفقار التركي الذي كان معه وجماعة من خاصته ومماليكه نحو الثلاثين ، وأعطاه بعض شيء من المصروف وكذلك أمير حاج الشامي أعانه ببعض شيء لما شكى من الضرورة نحو خمسين أحمر [4] ومن أمير الشّامي نحواً من عشرين أحمر ، وأخبرني المذكور : أن هذا الباشا حسين هو باشا مدينة دمشق وبلادها وعليه جميع أعمالها خرج الى مكة مع المحمل الشامي تقوية مع

---

(١) كتاب منتهى الإرادات في حمع المقنع من التنقيح وريادات من تأليف الشيخ محمد بن أحمد الفتوحي الحنبلي المتوفي سنة ٩٧٢ طبع بالقاهرة في محلدين سنة ١٩٦٢م

(١) نو لام سبق دكره .

(٣) في الأصل :الأغار لفقار .

(٤) أحمر دينار عثماني ويقال له أيضاً الشريفي والأشرفي وهو من الذهب وكان ورنه ٥٣ حبة «أي درهم وقيراط وحزء والدرهم يساوي ٥٠ حبة أو ٢ ،٣ عرام وكان يعادل في منتصف القرن العاشر ٦٠ أقحه «بقشه» انظر ليلى الصباغ من أعلام الفكر العربي في العصر العثماني الأول : ٢٢٦ .

الأمير للحج لأجل ما جرى من النّهب من الحرامية والبدوان العام الماضي ، قال : وهو غير حسين باشا الذي خرج الأيام السابقة حال ازالة سعد بن زيد عن مكة كما مضى خَبره ، فإن ذلك كان خروجه من حضرة السلطان لذلك الشأن ، وأن الهزيمة والقتل الذي وقع في العام الماضي في أصحابه وأن الذي فات حول ثمانية آلاف من المسلمين ، قال : وسببه أن الوزير الأعظم كتب إليه أنه يتوقّف في مكان عيّنه من أطراف بلاد الفرنج حتى يأتيه رأيه ثم أنه حصل اليه القصد من الفرنج واجتمعوا في جهاتهم ورجعوا بأجمعهم فحصل ما حصل وانهزم عن ذلك المحل ، وأن السلطان لما بلغه ذلك الحادث تغيّر واحتمل بنفسه كما مضى ذكره ، وأهمّ بقتل حسين باشا لأجل اهتزامه فشفع فيه جماعات من الأعيان والباشات فترك قتله وعدل الى حبسه قال : وجملة وزراء السلطان سبعة وزراء أعلاهم في الدرجة الوزير الأعظم وأنه الآن يسمى احمد له بعض مشاركة في فقه أبي حنيفة وعلم النحو والأدب ، قال : والباشا بمصر الآن له حول سنة وعزل عنها الأول في العام الماضي .

قال : وبلاد فاس من أرض المغرب مالكية وهم في الولاية إلى الأشراف الادريسية وكذلك بلاد التكرور فيها أشراف فاطمية . قال : وفي الشام جماعات من الصحابة كأبي الدرداء[1] وغيره مزور مشهور وأمّا قبر معاوية[2] فمختلف فيه غير متيقن ، وأن قبر يزيد بن معاوية قد صار مهملاً مهانا لا يلتفت أحد اليه بحيث ذكر أنه قد يطرح عليه بعض الأوساخ ، وذكر انتظام عمل مكة وأن السلطان جعل المشارفة فيها للشيخ العلامه محمد بن سليمان المالكي الفاسي المغربي[3] في النظر على مقرراتها وما يصل اليها وقسمتها ، ووضع كل شيء في مصرفه فانتظمت أمورها ، وان كان حصل مع الأشراف ما حصل فلم يسعهم الآ الامتثال في كل ما فعل ، وذكر المذكور مزيد قوة يد السلطان محمد بن ابراهيم بن عثمان وامتداد يده في كثيرمن بلاد الفرنج هذا الزّمان ، وذكر أن بعض أطراف

---

(١) مشهد ابي الدرداء «عويمر الخزرجي الصحابي» وزوجته أم الدرداء الصّغراء بدمشق بباب الصغير انظر الإشارات الى أماكن الزيارات لابن الحوراني : ٤٥ ط دمشق

(٢) في الإشارات : ٤٧ «قبره بباب الصّغير بدمشق» .

(٣) هوالعلامة المحدث الكبير عرف بالروداني من أشهر مؤلفاته «صلة الخلف» مطبوع و «جمع الفوائد» مطبوع توفي سنة ١٠٩٤ «خلاصة الأثر ٤ :٩٦» .

الشام باطنية زنادقة من بواقي القرامطة الرديّة إلا أنهم مد وخون[1] عن إظهار قبائحهم بدولة السلطان ، وأما فيما بينهم فهم عليه يتركون صيام رمضان ويستحلون الحرام ، ويعتقدون تناسخ الأرواح ، وينفون البعث قاتلهم الله ، وكأنهم من طائفة الباطنية الغلاة ، وذكر أن من دمشق الى محل السلطان قدر أربعين يوماً برّاً .

غيل الخندق

وفي هذه السنة انحسر بحر[2] صنعاء وقارب الرجوع الى حاله الأول قبل الردّة ونقصت الغيول المحدثة . ونزل سيل عظيم في الخريف من جبل الحفا[3] وحدّة الى وادي صنعاء ، فأخرب غيل خَنْدقها الذي أحدثه الإمام ودفنه جميعاً ، وكان هذا في خرابه رابع مرّة فتركوه وأهملوه ولم يصلحوه لمشقته وكثرة خرابه وتغيّره .

وفي هذه الأيام : قد كان توجه الى جهة جدة بعض المراكب الهندية فلما وصلت الى حدود جازان تغيرت عليهم الريح فردّتهم وهاج عليهم البحر فرجعوا الى المخا والسبب أن أيام الخريف من أوله يهيج البحر اليماني مدة قدر شهرين فيعسر مروره بالجلاب الا على خطر ثم يصلح بعد ذلك ، ولكن لما تقارب على أهل الهند العود الى بلادهم وتضَيّق وقتهم دخلوا المخا ، ولما رأوه من خسارة البيع فيه والشراء ، ووصل من أهل الهند الى حضرة الإمام أمير المراكب الهندية السراتيه[4] ، وكان وصوله في مَحْمل يحمله أربعة ومعه قدر أربعين نفراً في الخدمة ، واعترض عليه في ذلك وأنه كان يجعل له محفة على شيء من الدواب ويترك حمل الرجال وأتعابهم فقال : هم كفار أسراء ليسوا من المسلمين الأجراء ولم يلبث أن عاد الى المخا لتقارب سيرهم وتوجّه مراكبهم ، وشرى خيلاً من صنعاء وبالغ في قيمتها أولاً ثم كثر عرضها عليه فنقص النصف في قيمتها .

وفي ثاني عشر شهر جمادى الأولى منها : وصل السيد صلاح وزير أحمد بن الحسن من بلاد الحجرية بعد أن لحق بعض الهاربين وظفر بهم وانتهب من إبلهم ومواشيهم ، وقبض جماعة منهم وصل بهم الى حضرة محمد بن أحمد بن الحسن بالمنصورة فحبسهم .

---

(١) كذا في الأصل .

(٢) ماء الآبار في الأرض

(٣) الحفا : بكسر الحاء جانب من سهل صنعاء الجنوبي .

(٤) نسبة الى سرات أو سورت بلد بالهند مطل على البحر «سبق ذكره» .

ولما كان بجمادى الثاني : وصل تركي الى حضرة الإمام الى صنعاء ولم يظهر منه خبر بل قال : أنه خرج الى سواكن ببشارة من السلطان ، وأخبرني الثقة أن معه كتاباً من صاحب سواكن اطلع عليه يتضمّن إخباره بأن سعد بن زيد وصل الى السلطان ودخل في مذهب الحنفية وأنه اعتذر عن سعايته في شأن حسين باشا ، وأنه لم يكن منه فقبل السلطان عذره ثم تعقّبه تركي آخر خرج من اللحية قاصدا إلى حضرة الإمام وظهر منه أنه رسول قاصد فاتفق بالإمام وزلجه[1] الإمام بسرعه وعاد الى اللّحية ، وركب بحراً فمن قائل إن معه كتاباً من باشا مصر ومن قائل إن معه وصاية ولعلّه من أجل هذه الأمور الجارية والأحوال الماضية والله أعلم بحقائقها .

وروى لي بعض المطلعين على الأخبار : أن المتوكل هذه الأيام أهم ببعث هدية الى باب السلطان محمد بن عثمان ليكون بسببها ترك ما عرفه من التحركات هذا الزمان حتى أنه أشار عليه من أشار بأنه قد يراها السلطان عادة مستمرة إذا تركها لم يترك طلبها فلأجل ذلك تركها لعلمه بعدم الوفاء بها .

وصول مشايخ عمان

واتفق عند ذلك وصول جماعة من أطراف بلاد عمان من المشرق على مطايا فأخبروا الإمام أن سبب وصولهم اليه هذه الأيام أنهم كانوا في سالف الزمان مستقلون في بلادهم وأنهم مشائخ علي أصحابهم ، ثم أن صاحب عمان طالت يده اليهم وقهرهم وعشرهم[2] وأنهم يريدون الإعانة على تقوية بلادهم ومنعها منهم ، فما زال يواعدهم ويماطلهم لأن هذه البلاد نائية ولا مصلحة فيها ولا عائدة لا تصلح الاّ للبدوان ومن قرب اليهم كصاحب عمان ، فأما صاحب اليمن بينه وبينهم مقاطع ومسافات لا تقوم بالنفقات لحقارتها ولا فيها خير ولا بركة تقوم بغير أهلها ، وكان وصول هؤلاء المذكورون بأول شهر جمادى الآخرة .

وفي هذا الوقت هذ الشهر أواخر الأول : اتفق عند حسن بن الإمام بجبل رازح فرقة ، فقتل من القبائل خمسة ، ومن العسكر نفر واحد ، وسببه أن بعض القبائل كان يبيع في العنب بالسوق فاختصم هو وعسكري في القيمة ، فقتل العسكري والعسكر قتلوا عند

---

(١) زلجة : بفتح الراي وتشديد اللام : سيّره وجهزه

(٢) أخذ العشر من أموالهم .

ذلك الخمسة بإشارة حسن بن الإمام ، فلما حصل ذلك الإلمام أغارت القبائل من القرى والآكام وقصدوا محل حسن بن الإمام فهزموهم إلى القلعة واحتازوا فيها هم وحسن بن الإمام حتى صالحوا ذلك الشان ، وسكنت الفورة والخصام ، ثم تعقّب ذلك نزول حسن بن الإمام الى أبي عريش في هذا الشهر بجمادى الثاني فاستقر فيه وأراد الغزو الى أطراف البلاد الحرامية من بني حبيب ونحوهم . وكتب الى والده بإرسال عسكر وعينه فأجاب عليه يترك ذلك هذه الساعة ، ولعله حتى يتحقق أخبار ما يصل الى مكة ، وهل هناك من جهات السلطان حركة ، وكون التّحريك في تلك الجهات الشامية توهم ما توهم على عساكر السلطان فالأولى طَي هذا الشّان وهو الذي أشار به أحمد بن الحسن وغيره على الإمام .

واتفق بصعدة في شهر جمادى الأولى قضية ، وذلك أن السيد أحمد بن محمد بن ابراهيم بن محمد المؤيدي وجماعة من السادة والفقهاء من صعدة من الدرسة استنكروا على أهل فندق الحديد مناكير من المعازف والغناء ونحوها حال عملهم في الليل للحديد ، فرفعوا ذلك الي علي بن أحمد والى صعدة فحبسهم ، فوصل الى علي بن احمد الفقيه عمر المتولي على الفندق من قبل الإمام ، فقال لعلي بن أحمد هؤلاء أمرهم إليَّ فأخرجهم من الحبس ، فتغيّر السيد أحمد وسائر درسة صعدة وقالوا : هذا منكر قد رضي به هذا الفقيه ، فاجتمعوا جميعاً عليه وضربوه بجامع صعدة ضرباً مبرحا ثم خرجوا عن صعدة الى محل السيد أحمد بن ابراهيم وبلده ، وكتبوا الى الإمام : أنه إمّا أزال ذلك الفقيه وعزله والاّ هاجروا عن صعدة ، فأهمل الإمام ذلك الأمر بعد أن كان أهم بإرسال القاضي عبد الله التهامي في شأنه ، والمنكر اذا قد ثبت يجب إزالته مهما أمكن على الوجه الواجب الحسن ، غير أن مجرد الغنا فيه خلاف بين العلماء ، والمختلف فيه عمل العامي[1] لا ينكر عليه .

وفي هذه الأيام : أطلق الشيخ الهيثمي الذي كان محبوساً بحصن كوكبان بحبس الإمام فأكرمه صاحب كوكبان غاية الإكرام وأركبه حصاناً وسار بعد أن حصّل في الحبس قراءة القرآن وهو في الأصل من البدوان ، وطال حبسه الى هذا الأوان .

---

(١) بل وعمل غيّر العامي كما هي قاعدة الفقهاء قال أبو بكر الأهدل :

قالوا وليس ينكر المختلف   به ولكن ينكر المؤتلف

(أنظر المواهب العليه : ١٢٥)

وفي نصف شهر جمادى الآخرة : وقعت زلازل بضوران تتابعت قريب مما حصل في العام الماضي .

وفيه : اتفق قتل رَجل سَلاّط [١] في شارع بالقطيع بصنعاء في الليل لم يعرف قاتله .

وفيه : اتفق خصام بين حمالين يقال لهم العوبسات الساكنين جبل الحفا خارج صنعاء ، وبين بني قَرَمان فقتل من العوبسات واحد ومصاويب من الجميع ، كان ذلك بقاع الحفا على حمل حبّ لبعض من اكترى من الصراب الى صنعاء .

وفي شهر رجب : سار علي بن أحمد من صعدة الى نجران لتغلب أهله عن المطالب فقبضها منهم قهراً .

وفي هذه الأيام ، ظهر جراد جاء جهات لحج وأبين ومر في اليمن بلا غير ضرر .

وفي سلخ شعبان : وصل طلاب [٢] لمحمد بن الإمام من والده الإمام فسار الى ضوران .

وفي هذه الأيام : وقع بين بني أسد ومرهبة خصام وقتال على حدود المرعى ، فقتل من مرهبة رجل وامرأة ومن بني أسد رجل وامرأة فخرج عليهم أدب من الدولة .

وفي هذه الأيام : طلع السيد حسن الحرة من بندر عدن الى حضرة احمد بن الحسن بما معه من محصول البندر ، وكذلك لحقه السيد حسن الجرموزي صاحب المخا وصل الى حضرة الإمام بمحصول الموسم فيه ، يقال فوق مائة حمل من البز والدراهم ، فاستقل ذلك المحصول الإمام فإنه كان السيد زيد يحصل قريباً منه ، ولم يكن في مدته له الاّ نصف محصول ونصفه لمحمد بن الحسن في أيامه .

والأسعار هذه السنة زادت في الرخص ، بلغ القدح من الذرة ثلاثة عشر بقشة ، والشعير ضعف ذلك وفي القدح زيادة .

وانقطع هذا العام والذي قبله ما كان يرسل به من حضرموت وهو شيء يسير لا يكاد يقوم بما ينفقه على من وصل من مشايخه ، مع أنه لم يبق منه الاّ الاسم بعد الثمانين وألف لعودة آل كثير الذين كانوا ولاته كما سبق ذكره وكان حاله ذلك كما قال ابن المقرب في ديوانه [٣] .

---

(١) سلاّط : يبيع السليط .

(٢) طلاب : طلب استدعاء لقدومه .

(٣) ديوان ابن مقرب : ٦ط آل ثاني .

أمـوالـهـم لـذوي الـعـداوة نـهـبـه   وعـن الـمـكـارم فـي يـد الـجـوزاء
لا يعرف الـمعروف في ساحتهـم   إلا كـمـا يـحـكـى عـن الـعـنـقـاء

والإمام عذره التأليف لهم لمصلحة سكوتهم عن الفساد ولكن فسادهم تلك الأطراف على أنفسهم لا يزال بينهم والله أعلم .

والجراد عاد من الشام الى الجنوب ولم يضر لظهوره في فصل الشتاء بعد رَفْع الناس للثمار ، مع أنه صار يأكل من الحشيش والمراعي ولم يحصل تضرّر منه ، مع سقوط الأسعار الى الغاية بلغ قدح صنعاء الى اثني عشر بقشة وهو زائد بالنّصف على ما كان أول هذه الدولة ، فيكون سعر القدح القديم الذي كان في مدة المؤيد بالله بسبعة كبار ستة كبار .

وفي هذه الأيام : لما طال بقاء الذين وصلوا من أطراف بلاد عمان عند الإمام طلبوه الزلاج والإمداد ، وان لم فهم عازمون الى بلاد السلطان وباشا البصرة وبغداد لطلب المعونة ، وأن بلاد السلطنة الى بلادهم أقرب لتلك الجهة ، وأنها بين عمان والعراق ، وروى بعض البدو من المعضة الذين بسفال الجوف أن بينهم وبينهم مسافة سبعة أيام في الرمال ، وبينهم وبين العراق مثلها ، وكانت بلاد عمان من أول [1] الى سبعة ، كل جهة يليها شيخ بلادها وقبيلتها ، ثم أنه استولى على الجميع هذا الزمان الذي فيها فهولا [2] ممن كان الأمر في بلادهم لهم ، فمرادهم في الظّاهر ، رفع يد سلطان بن مرشد العماني اليعربي عنهم ولم يكن هنا مصلحة للإسلام من أهل اليمن لدخولها لبعدها ومشقة طرقها والمقاطع فيها فيما لا يحمل القاصد [3] اليها بل ولا هي تحمل من سكنها لغير أهلها ،وقد قال تعالى ﴿وأنفقوا في سبيل الله ولا تُلقوا بأيديكم إلى التَّهْلُكة﴾ [4] فإن هذه الآية نزلت في النهي عن إلقاء النفس في التهَلكة في المقاطع والآفاق من غير نفقات فيها وما يحملهم من زادها ، وهذا كالمتعذر والبحر لا صناعة لأهل اليمن في عبوره وحروبه ، ولأن اليمن كثير المعارضات من أهله والمخالفات فإذا سارت عساكر الى تلك الجهات رفعت رؤوسها من كانت المخالفة مضمرة في خاطره ، فالأولى طي ذلك

---

(١) أي من الزمن الأول .
(٢) الأصل : مهلا .
(٣) الأصل : القاسط .
(٤) الآية ١٩٥ : سورة البقره .

والاشتغال بالموجود عن طلب المعدوم والسعي في الإصلاح [١] .

وفي ليلة الأربعاء ونصف شهر شوال : خسفت القمر فجراً في برج السرطان بعقدة الذّنب وغربت خاسفة ، وكان خسوفها العام الماضي في هذا البرج الآأنه كان عند طلوعها ، وكان هذا الشهر أيضاً بأوله اجتماع الخمسة الكواكب ببرج الجدي الشمس والقمر والمريخ والزهرة وعطارد .

وفي هذه الأيام : قالت عجوز من عجائز صنعاء : أنها تعرف زمان الإمام شرف الدين وزمان أولاده المطهر وعلي بن الإمام حيث كان في حصن ذمرمر من قبل نزوله الى اليمن وجميع الباشات وأن عمرها الى الآن قد صار في نحو مائتي سنة .

وفي الشهر الماضي : حصل في بلاد هزم [٢] قتل امرأة بضربة في رأسها بسبب زوجها بتهمة لها في فاحشة ، تعدّى عليها بغير طريقة الشرع ظلما . وطرحها في ماجل [٣] فاستجاش أبوها عليه فوقع مقاتلة راح جماعة من نساء ورجال بسبب ذلك الفعال ، فخرج عليهم أدب وعسكر من جهة الدولة .

زلزلة بصنعاء

وفي وقت السحر من ليلة السبت ثالث شهر شوال : وقعت زلزلة بصنعاء وغيرها انتصب النائم من نومه وتبعها أخرى مثلها فلله الأمر .

قصة الذي حلف كاذباً

وفي هذه السنة أو التي قبلها : أصاب رجلاً في يده أكلة ما زال معذباً بها مدة طويلة لا يذوق فيها المنام ولا يهنيه الشراب والطّعام حتى أجافت ولا يقدر أحد يدخل منزله الذي فيه مسكنه ، وكان المذكور سنادار [٤] أولاً في مسجد الخراز في مسجد الأبهر ، وكان شاباً طويلاً عظيماً ، ويقال أنه من القبائل ليس من أهل المدينة ، ثم أنه لما طال به ذلك ولم ينفعه الدواء ، قطع يده اليمنى باختياره أمر من يقطعها له ودملها [٥] بالسمن

---

(١) هنا كلامضروب عليه لم نستطع تبينه .

(٢) هزم بكسر الهاء وفتح الزاي قرية كبيرة من عزلة شعب من أرحب .

(٣) الماجل سبق ذكره . وهو موضع تجمع الماء يصنعه الإنسان أو يكون في نسقرة الجبل ونحوه .

(٤) سنادار (سنيدار) . قيم المسجد وسادنه . وكأن اللفظة أصلها يطلق علي القائم بالسى ، مكونة من لفظتين سنى العربية ودار التركية بمعنى الحافظ والممسك والله أعلم .

(٥) دمل الدواء الجرح : أبرأه .

والقطران ، وكان قد أشرف على الموت ونحل جسمه وصار عبرة لمن رآه ، وسبب ذلك كما وصف الواصف أنه أفسد وجنى هو وآخر معه ، وكان قد طال عمله وفساده ، ثم أن والي المدينة محمد بن الإمام طلبه فاعترف صاحبه فأقام عليه حدّ الزنا وهو مدّ يمينه لليمين فيما وقع منه وجنى ، وربما قد فعل غيره من السيئات والعظائم من نحو السرقات ، فوقع فيه تعجيل العقوبة فنعوذ بالله من سخط الله ، ونسأل الله الحماية وحسن الخاتمة فمن رأى حالته هالته . وعلم أن التجاري على الأيمان وسائر الكبائر والعصيان عظيم الشان ، واما الأيمان الفاجرة فالأغلب فيها المعاجلة ، فقد رأينا عقاب أهل وادي السر بأيمانهم الفاجرة كما سبق ذكره ، فالحذر الحذر من التساهل في الأيمان والطغيان .

وفي هذه السنة : سار حسن بن الإمام الى جهات فيفا [1] أخذ منهم شيئاً من الطعامات لأنهم لا يسلمون الزكوات . ثم طلع الى جبل رازح .

وفي هذه الأيام : أمر الإمام في جميع اليمن أن تقوّم أموال الذميين وأملاكهم ، ويؤخذ منهم العشر ، فجمع للإمام شيء كثير من ذلك .

زلازل عظيمة

وفي يوم الخميس ثالث الشهر : سار الإمام الى معبر من ضوران لما كثرت الزلازل فيه والرجفات ولا سيما رجفة ليلة السبت فإنها كانت رجفة عظيمة في ضوران حتى تشققت أكثر البيوت هنالك وخربت زريبة غنم أو بيت على الغنم ، وانشق دار الحصين شقّاً عظيماً ودعموا الدّار الخضراء بالدعائم ، وسقطت غرة بالجامع بالحصين ، واشتق دار السيد حسن الجرموزي الجديد ، وكثير من سائر البيوت ولم يبق بينها وبين الخراب الا اليسير ، وتساقطت من جبل ضوران كثير من الحجار .

وكانت هائلة عظيمة وهي التي امتدت الى صنعاء في سحر ليلة السبت كما سبق الا أنها كانت بصنعاء خفيفة فيها الله يرحمنا ، روى أنها لما وقعت بضوران دامت قدر قراءة شرف يس تزلزلهم زلزالاً شديداً ، حتى خاف منهم من خاف بانهدام البيوت عليهم وسقطت أواني الصين [2] من الطاقات والعلائق ، ومنهم من أراق الماء ومنهم من أجراه بطنه دماً ، فأفزعتهم إفزاعاً عظيماً ، وكذلك سقط التراب من الجدران ، ثم تبعتها أخرى

---

(١) فيما : بفتح الفائين الموحدتين جبل معروف في شرق منطقة جيزان يقدر ارتفاعه عن البحر بستة آلاف قدم «المعجم الجغرافي : ١٨٢

(٢) أواني الصين : الأواني المصنوعة من الزجاج .

يوم الجمعة في ضوران حال خروج الإمام ، ثم تبعتها أخرى بضوران ومعبر يوم الإثنين ، ولم يكن في غير هذا المواضع شيء منها .

وفي خلال هذا : وصل الخبر الى الإمام بوصول برشات الى حدود باب المندب في البحر أو مايقرب منه قيل من عسكر الحاكم العماني ، فأرسل أحمد بن الحسن من صنعاء السيد الحرة متولي بندر عدن ، بالمبادرة بالنزول الى جهة عدن وكان عهيداً بعرس وزواجه في الغراس فسار بجماعة من الناس وأحمد بن الحسن أيضاً خرج من الغراس الى الروضة .

ورفعت قبائل المشرق رؤوسها مثل بلاد العولقي ، وبلاد برط من دهمة . وأرسل أحمد بن الحسن ابن مديور الحيمي إلى جبل الفضلي عقب الحرة .

وانتهب برط من دهمة قافلة بالعمشية هذا الشهر فيها بر وحمولة مصدرة لتجار من صنعاء الى صعدة ، فسار أهلها يشكون على الإمام فكتب اليهم بردها والله أعلم ما يكون في شأنها ، ثم تعقب منهم مغزى لقافلة أخرى الى بلاد عمار وأطرافها فتوافقوا ووقع في الفريقين مصاويب ، وسلمت القافلة ولكنهم استفردوا بعد ذلك برعاة من آل عمار انتهبوا عليهم بعضها ثم عزموا ثالثاً الى الجوف فلم يظفروا وشعر بهم أهل الجوف فهربوا . وقال من قال منهم : إن الإمام يجعل لهم السبار الذي للعسكر بعيان وعليهم درك العمشية ولا يجري منهم فيها خلل مادامت الجامكية .

ولما استقر الإمام بمعبر طلب شرف الدين الحسين بن الحسن من بلاد رداع فوصل إليه ، وذكر أن سبب وصوله مراودة في شأن الشيخ الهيثمي فإن حسين بن الحسن قال ما يصلح رجوعه بلاده لأنه يخشى منه التمحيق هنالك . وقيل حصل بعض خلل في المشرق ، ومن بلاد العوالق ونحوها والله أعلم .

وذكر في هذا الشهر أيضاً لحقت زلازل أخر بضوران إلاّ أنها خفيفة ، والإمام كما وصف الواصف في تلك الزلزلة الكبرى استرجع وظهر عليه استعظام الأمر ، حتى روى الراوي الثقة أنه استعبر وبكى ، واعلم أيها المعتبر أن هذه الزلازل دوامها وتكريرها في هذا الموضع[1] هذا العام والعام الماضي كما سبق ذكره حتى أن في العام الماضي أسرعوا

(١) قلت : ليس الأمر كما ظن المؤلف ، وهو ليس من نوع العقاب والزّجز وإنما هذه المنطقة « منطقة ضوران ونواحيها » بلد زلازل وقد وقع مثلها في أيامنا الأخيرة فيفهم .

في تعْداد حصرها وتجميلها ، فلما كثرت وبلغ عددهم لها الى سبعين زلزلة ملّوا تعديدها ، ثم ما لحقت هذا العام الى هذا التاريخ له شأن عظيم وأمر من الله تعالى جسيم لأنا لم نعلم بحصول مثل هذا الإستمرار من الزلازل في التواريخ والأزمان ، وأن حصلت في مكان دون مكان لكن لايبلغ تكررها الى هذا المقدار ولا استمرت الى مثل هذه المدة المستمّرة هذه الأيام ، وأن لها شأناً عظيماً ، والذي ظهر لنا في أقوى أسبابها ما تواتر لنا عن كثير من الناقلين للفساد ببلدة ضوران ، والإصرار عليه وتكاثره وتكرره من الفساق حتى غلب على أهل ذلك .

ودخلت سنة سبع وثمانين وألف

وفيها : وصلت رسالة من الهند من بعض الصوفية الحلولية الذين فيه الى مكة ، وفيها فلسفة ، فأجاب عليها بعض علماء أهل السنة وكفر المنشئ لها ، وكتبوا الى سلطان الهند أنه يحرق كتب المنشيء لها .

وفيها : وصل العولقي الى حضرة المتوكل شاكياً من حسين بن حسن .

وفي سابع محرم : كان تحويل السّنة عند المنجمين دخول الشمس أول دقيقة بالحمل وزحل كان بالثور والمشتري بالدلو والمريخ في أول درجة من الأسد وعطارد مع الشمس إذ لا يفارقها والزهرة بالثور .

وفي يوم الخميس نصف ربيع الآخر : خسفت القمر ببرج الجوزا قدر أصبعين وتجلت بسرعة .

وفي هذه السنة : وصل جواب السؤال الذي بعث به المتوكل الى مكة في العام الماضي ، وهو في بيان اللّطيفة في قوله تعالى ﴿وبَنَات عَمكَ وبنات عمَّاتكَ وبنات خالكَ وبنات خَالاتكَ﴾[1] كيف جمع بنات العمات وبنات العم وبنات الخالات وأفرد بنات العمة وبنات الخال ، فأجابوا بجوابات متفقة المعنى مختلفة الألفاظ ، كما رواه الحاج محمد الحلبي[2] الكتبي المصري ثم المالكي الذي أودعه المتوكل ذلك السؤال ، قال الحلبي : فوصلت بالجواب الى المتوكل وقد كان مريضاً فوقف عليه قال : وكان أحد المجيبين الشيخ العارف محمد بن سليمان المالكي المغربي ، ولم يعرفني بلفظ

---

(١) الآية : ٥٠ سورة الأحزاب .

(٢) الأصل هكذا « الحلبي »

جواباتهم ، وكنت قد أجبت بجواب ذكرته في كتابي «الأطراف»[١] ووصل الى المخا أول المراكب ، وفيها هدية من سلطان الهند المتوكل وصدقة لأشراف اليمن .

وحصلت فتنة في البحر من العماني والفرنجي .

وفيها :كثرت الفلوس من المناقير التي ضربها أحمد بن الحسن بالغراس ، فأمر المتوكل أن تكون البقشة بثمانية مناقير[٢] فلم يسعد أحمد بن الحسن وقال : لا تكون الاَّ بأربعة لأنها كبار ، فاختلفت الناس في التعامل بها ، فمن الناس من أخذها بثمانية ومنهم بأربعة .

وفيها : حصل انتهاب في طريق العمشية وأهل الطريق أهملوا حفظها قالوا : لأن الدولة ما زاد أعطيتهم ما يعتادونه فيها ، والمتوكل زلّج البدو الشكاة الذين وصلوا من أطراف بلاد عمان الذين شكوا من الحاكم العماني انه استولى على بلادهم وهي في أطراف جهاته ، وكانت طريقهم الرمل طريق المشرق من شبوة وحدود حضرموت ، وقال : بلادكم بعيدة وطرقها مقاطع عن عيون الماء لا يمكن نزولها ولا المرور فيها لغير أهلها مع بعد عمان أيضاً .

وفي شهر ربيع الآخر منها :أرسل حسن بن المتوكل من رازح إلى صعدة بحلة من أهله وأنهم يسكنون بدار مطهر بأمر من الإمام كان ظهر ، فتغير خاطر علي بن أحمد من وصوله ودخوله لأجل ما قد جرى من مضاررته له حين قدومه ، ولأجل إخراجه من دار مَطهّر فإنه شق به الأمر وعظم عليه الخطب والقهر لما كان الله تعالى قد قرن بالخروج القتل كما قال تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾[٣] وكانت نية الإمام تضعيف يد علي بن أحمد والعزل وان بلاد الشام تكون كلها لولده الحسن ، فعند ذلك أمر بردهم وكتب إلى حسن بن الإمام وقد صار في مجز كتاباً مضمونه أني كنت قد نهيتك عن دخول صعدة والوصول هذه المدة فانت مخير إما رجعت من حيث جئت أو وصلت وعلينا تأمينك في الطريق إلى اليمن عند والدك أو الحرب بيننا وبينك ومناجزتك فسعى الساعي بينهم أنه لا ينبغي رد أهله وقد وصلوا إلى باب صعدة غير أنهم يدخلون ويسكنون في دار محمد بن الحسن

---

(١) لم أقف عليه

(٢) من النقود (سق) .

(٣) سورة النساء ، الآية ٦٦ .

فأدخلوهم ، وأما حسن فإنه عاد من مجز يريد إلى ساقين من أجل حوائجه التي قد بلغت إليه فمنعه عن ذلك أهل عرو لما وصل إليهم وقالوا أنه يكون المبيت عندنا ولك النظر من بعد ، وكانت وصلت كتب علي بن أحمد إلى أهل عر وبمثل ذلك وأنهم يمنعونه النفوذ إلى هناك ، فلما أصبح الصباح كثرت عليه الأراجيف والقبائل فامتنع عن دخول ساقين وسار راجعاً إلى جهة رازح لا يريد إلاّ النجاة ، وترك الأمر الذي كان يهواه ، وسار صحبته جماعة من بني بحر على صفة الرفقاء له حتى تخلص إلى بلاد رازح ثم قصد علي بن أحمد إلى ساقين لأجل الاستيلاء على أصحاب حسن المتأخرين ومعهم فيها خزانة حسن بن الإمام التي جاء بها من رزاح فوقع الحرب بين الفريقين أصحاب حسن وعلى بن أحمد فراح أربعة من أصحاب علي بن أحمد ومن أصحاب حسن بن الإمام واحد ثم استولى علي بن أحمد عليهم وأمنهم وأسرهم وانتهب الخزانة فكانت هذه القضية أعظم حادثة مدة هذا الإمام وإيقاظ الفتنة وهي نائمة ولا سيما بين الأقارب والأرحام .

ولما وقع هذا الحادث الذي جرى بعد أن قد كان جمع القبائل من سحار وآل عمار حال خروجه من صعدة واخبرهم بما هو سائر فيهم من العدل وعدم الجور عليهم ، وما عليه حسن بن الإمام من السيرة المكروهة وأن الإمام قد اشتدت به الآلام واختلت إمامته هذه الأيام وأنه يريد الدعاء إلى نفسه بالقيام وأنه طالب منهم المناصرة والنصح التام فأجابوه إلى ما طلبه منهم ،وعقدوا له البيعة وأنه الإمام فيهم وتلقب بالمنصور بالله ثم أمر جماعة إلى بلاد رازح لمضاررة حسن بن الإمام واحرابه من ذلك المحل ولا يبقى له فيها نفوذ كلام وخلع إمامة الإمام المتوكل إسماعيل واجابته قبائل الشام ودخلت أوامره ونواهيه إلى حدود بلاد سفيان وما إليه وانقطعت أوامر الإمام إسماعيل فيه بالمرة وتغلق حكم الشام أجمع في هذه المدة ففرح بهذا كثير من الناس لما قد نالهم من التقصير من جانب الإمام وأولاده في هذه الأيام وقبلها وما قد كابدوا من الصبّر والتقصيرات الكثيرة في أكثر أوقاتها .

ووصل من علي بن أحمد كتاب إلى أحمد بن الحسن يومئذ من جملة قوله :

قد عرفتم ما صار يجري في هذه السيرة من الأمور المخالفة للكتاب والسنة وأن الإمام المفترضة طاعته لها شروط معتبرة من اتصف بها وجبت طاعته ومن خالفها فليس بامام مفترض الطاعة ثم أن في هذا الأوان طرا علي الإمام – لو فرضنا استقامة السيرة – ما هو

مبطل لإمامته وذلك هو الزمانة المفرطة والعجز والركة حتى ضاعت بسبب ذلك أمور المسلمين وأهملت حقوقهم فحينئذ نهضنا بعد الاستخارة والدعاء إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وسيرة الأئمة الراشدين والدعاء إلى الرضا من آل محمد فإن وجدنا من هو أرضى منا وأقوم بحق الله اتبعناه وبايعناه وإلاّ فنحن قائمون بما يجب بحسب جهدنا وطاقتنا ، وأنتم حماكم الله يجب عليكم القيام بما يجب غير معرجين على ما يفوت من الملك والدنيا وصَدرت من ساقين بعد الوصول إليه وقد أجابنا إلى ما دعونا الله كافة أهل الشام من سنحان وخولان وهمدان وبني جماعة وسائر أهل الشام .

وفي ملحق بخط يَده : المراد أن النظر في هذا الأمر متعين عليكم وقد عرفتم وتحققتم أن الأمور على غير طَريقة والوجوب متعين عليكم فإن عرفتم النهضة بهذا نهضتم وأظهرتهم الدعوة ونحن متبعون على البر والتقوى .

ثم في ملحق ذكره آخر يقول فيه : إلى الصنو أحمد بن الحسن حماه الله المقصود أن الأمور قد صارت مستحيلة بلا شك ولا يجوز للجميع من جهة الله السكوت عليها والحال هذا والصنو العلامة قاسم بن المؤيد بالله ذكر لنا أنه قد كتب إليكم وأشبع لكم الفصل وينتظر لجوابكم ولا تزال المكاتبة بيننا وبينه في هذا الشّأن ، وكذلك الصنو يحيى بن حسين بن المؤيد بالله لما وصل إلينا القعدة قد حصل التراود بيننا وبينه في هذا الشأن ووجدنا عنده ما لم يكن عندنا من الأمور القادحة فإن شئتم على اجتماع الكلمة حصل التراود فيمن يقوم بهذا الأمر وإن شئتم على ترك القيام نحن له فقد بنيْنَا على استدعاء السيد محمد بن علي الغرباني صاحب برط وتخييره وننظر ما عنده .

وأجاب عليه أحمد بن الحسن : بأن كان عليك المراجعة قبل هذه الخرجة ، وعند ذلك وصل كتاب المتوكل إلى أحمد بن الحسن يستنهضه إلى الشام على علي بن أحمد يقول فيه بعد الترجمة : وبعد فإنه احتاج الحال إلى تدارك هذه الأمور العظيمة والحسم لمواد مفاسده الجسيمة ، ثم قال : وقد سبق إليكم صحبة السيد صلاح بما فيه كفاية ولكن الحال كما بلغ إلينا قد بلغ الغاية فالبدار البدار بالارتحال والسرعة السرعة قبل أن يقع والعياذ بالله الإخلال ، وذكر أبياتا من الشعر متمثلاً بها ومادحاً لأحمد بن الحسن ومثيرا لعزيمته ، حرر تاريخه ثالث وعشرين شهر جمادي الأولى سنة ١٠٨٧ .

وعند هذا الجاري من الخروج على الإمام المتوكل صدق قولنا : أن اليمن لا ينبغي

لصاحبه أن يتشاغل بالمقصد إلى بلاد غيره والخروج عنه لأنه كثير الاختلاف والمعارضات والدعوات والكثير من أهله كامنه فيهم طلب الرياسات ، ولذلك صح قول بعض ملوك بني رسول لما اطلع بعض خاصته على ما جمعه من الخزائن والمحصول فقال ذلك الرجل للملك : لو تريد فتح مصر بهذه الخزائن الكثيرة فما الذي يصدك عنه وهي هكذا مجموعة فقال مجيباً عليه : هذه تحتاج لمن يعارض في اليمن بأقداح الشعير من الخارجين فيه عند الإهمال والتقصير فاستصوب رايه ورجع إلى قوله .

والكل أخوان وأقارب لكن الملك عقيم والمحملين عليه لا يزالون في كل وقت لهم فيه القول الجسيم ، ولا سيما أهل الأطماع والرعاع من الناس الذين يحثّون إلى الأهوى ، والله يصلح كل فساد ويلم شعث المسلمين .

وسبب هذا الأمر من علي بن أحمد الإمام لما وقع منه الكتاب إلى ولده الحسن أنه يتقدم إلى جهات صعدة ويقرر من ضبط القبائل الذين صاروا يفسدون في طريق العمشية لاهمال علي بن أحمد وعدم مبالاة القبائل لأمره فيهم لما هو عليه من مصالحتهم والاستظهار لأمره بهم وصار يجري منهم الفساد ونهب أموال العباد يتغاضى له ويرضى به لأجل مطابقته لهواهم واستنصروا به لما أحسوا بأن الإمام صار في نفسه عليهم من جهة سوء أعمالهم فحملوه على الدعوة وأن يكون إمامهم . ولم يجبه من الفضلاء من يعتمد عليهم وإنما انقاد له هؤلاء ممن ذكرناهم ، وكانوا ممن دخل في سلك الحديث عنه صلى الله عليه وسلم « الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها» .

وفي سلخ جمادى الأولى أخرج أحمد بن الحسن الوطاق وبرز خارج الغراس لقصد علي بن أحمد على مقتضى أمر الإمام الى تلك الآفاق ، وَفَرَقَ محمد بن الإمام على أهل سوق صنعاء دراهم لمن يسير منهم معهم فتضرر من تضرر منهم بما فرقه عليهم لما حصل من الزائد والنّاقص لا على قدر أحوالهم .

ذكر وفاة المتوكل

وفي ليلة الجمعة وقت السحر وأول الفجر خامس شهر جمادى الآخرة سنة سبع وثمانين وألف ، مات الإمام المتوكل على الله اسماعيل بن القاسم بن محمد بجبل ضوران . وكان مرضه وانحطاط قوته يوم الثلاثاء والأربعاء ، والخميس تنفس فيه واتفق به جماعات وابتهج وبشّ ، وكان ضعفه قد أوهاه وقل قواه من ذلك الألم الذي طال به

من الباسور ، وكان وصل الخبر مدينة صنعاء صبح يوم السبت بوفاته ، ومضي دولته وأيامه .وقبر صبح يوم السبت في جبل ضوران وكان مولده كما ذكره السيد إسماعيل بن إبراهيم جحاف ونظمه بقوله :

خليفة الله إسماعيل مولانا ... أوفى البرية عند الله ميزانا
في ليلة النصف من شعبان مولده ... فهاك تاريخه في شهر شعبانا

وكان في مدته أحوال الناس ساكنة في غالب وقته ، ولم تحصل له معارضة في أمره لأجل قيام أولاد إخوته بنصرته وحفظهم لما أمرهم به من البلاد بعساكرهم وعساكره ، فلما مات محمد بن الحسن تقاصرت أحوال كثير من الناس وتغيّرت عليهم الأحوال وما ألفوه من العطاء والقرب بقضاء الأغراض والموافاة والعادات ، فشق على كثير تلك الحالات وعسرت عليهم كثرة المراجعات والملاحقات ، فمنهم من صبر وأخذ بعد العسرة ما صدر ومنهم من زرع ماله واشتغل عن الطلب في أكثر أحواله ، وكثر منهم التشكي والتوجع ، ولكن لا يجدي ذلك ، وحصل بسبب ذلك الإهمال وعدم النفع . ولولا أن مملكة اليمن لم يبق فيها من المعارضين والملوك الذين كانوا فيما مضى كائنين ،لكان سبب ذلك الخلل العظيم ولمال من الناس عنه من يميل ، الاّ أن الأمور لما اجتمعت لأولاد اخوته ، وهم معاضدون له استقامت لهم الأمور واجتمعت الكلمة في هذه الدهور ، وللسيد أحمد بن محمد الآنسي الشاعر قصيدة طويلة منها قوله :

أما الإمام اصلح الله دولته ... وازاده بسطة ما أورق العود
فقد أجاع بنيه ثم قال لا ... بناء العراق عودوا للنّدى عودوا
وفي الخزائن ما لا عدّ يحصره ... ولا حواه ابن مودود ومودود[1]
ما بالخليفة من قل ولا بذوي ... الحاجات من قبل لو يسعف الجود
كم فارق الباب من شيخ ومن حدث ... باك وكم آب بالحرمان مطرود
وإن سمعت بفتح الباب آونة ... فلا تلجة فباب البذل موصود
وكم تلونت الحرباء بوجه فتى ... فؤاده من هوان الباب مفؤود
تجاوز النفر الأدنى بنائلة ... وفاز منه بحظّ الأبيض السود
فكم من الشحر أو بغداد أو بلد ال ... إحساء لعمرك مذروع ومعدود
ولا تقل أنا من أبناء فاطمة ... ولا ذرا يمن آبائي الصيد
أتجمع المال بعد المال معتبر ... بمن مضى ولجمع المال تبديد
وكل بذل أتى من بعد مسألة ... وطول مطل فمذموم ومنكود

---

(١) هو مودود بن مسعود الغزنوي تولى سلطنة بلده وفتح الحصون العديدة توفي سنة ٤٤١ هـ «الأعلام ٧ :٣١٨» .

وأراد الشاعر المذكور أن البذل كان للبعيد دون أهل البلد والقريب فمطرود وفي حيز التشريد ، والأمر كما قال بلا إشكال ، وكان الولاة والعمال معه هم المقدّمون في الأقوال والحجة على غيرهم من الرجال ، ولا ينال أحد من أرحامه صلة ولا عطية حسنة ولا أخلاق اليهم مرضيّة الاّ من كان منهم من ولاته ، بل استأثر بالأموال واعطاها أولئك الرجال للتحيّل منه أنه يستميلهم الى مذهبه ، وطاعته من طلب المحال ، والعلماء لا يَبْدأهم بالعطاء ولا يذكرهم بالإحسان ، كما كان عليه سلفه فيما مضى بل هم عنده في حيز الإهمال يريد تبعيدهم عنه لا تَقْريبهم لأجل يسلم من الاعتراض عليه في أوامره ونواهيه منهم فلا قوة الاّ باللّه ، واقتدى به في أيامه سائر ولاته ، وكذلك من بعده حتى بلغ بهم الحال النقص في المقررات والعادات التي كانت جاريات ، وخطيب صنعاء أيضاً أنشد القصائد في الهجو لمحمد بن المتوكل لما نقص عليه ما كان يعتاده ، ولم يعطه ما طلب من قضاء دينه كما كان يعطيه والده ، وسافر الى اليمن الأسفل وأنشد القصائد في مدح أمرائه للتعرض لعطائهم خصوصاً بعد وفاة المتوكل وأحمد بن الحسن ، وهذا الخطيب يسمى محمد بن ابراهيم السحولي[1] بالسين المهملة المضمومة وضم الحاء المهملة نسبة الى أصل بلدهم سحولة بأطراف قاع جهران ، وكانت العادات السالفة ، والتقارير التي كانت أولا ماضية جارية لا هو أو في الناس ولا هو عدل في الرعايا بل زاد عليهم المطالب مع النقص في الغالب ، فلا قوة الاّ بالله وأخبر السادات والأغنياء أن الزكاة محرمة عليهم وأنها لا تحل لهم فالورع منهم من تركها وابتغى من فضل الله عوضها ممن كان له منها وهم اليسير والأكثر ما عذروه عن الطلب ممن هو ملازم لمقامه ما هو له وكذلك الأغنياء لما أخبر أنها لا تحل لهم ، فمنهم من أعطاه ، ومنهم من حرمه وأقصاه ولا شك أن الزكاة حرام على بني هاشم وعلى الأغنياء الاّ أن منهم ابن سبيل وغارماً ومجاهداً ومؤلّفاً وفقيراً ، ومع الزكاة من البلاد مرتفعات غير زكاة كالمعاون والصّيف وهي تقوم بالجانبين الاّ أن المذكور جعله عذرا في الحرمان مع أنه زاد على ذلك في أيامه في المطالب الكثيرة في اليمن الأسفل من غير الزكاة المفروضة مما يكثر محصوله ويجتمع الكثير مدخولة ، وكان كما قال بعضهم : انما الناس مسخرون لهذا الإمام والاّ فمن رأى الأحوال عجب في الاستمرار . وكان [2] القائم معه محمد بن الحسن

---

(١) سبق ذكره .
(٢) تقرأ هذه اللفظة أيضاً (وعمل) .

واليه أكثر اليمن ، فكانت الأمور في أيامه جميلة ، وأحوال الناس مستورة . فلما مات ظهرت العجائب ، وما زالت الأمور الى نقص وفيها غرائب . مع أنه ناقض قوله في الزكاة فإنه قال : اليمن خراجي مع بطلان قوله ومخالفته لإجماع من قبله ، فكان على قول مذهبه تحليل الزكاة لمن منعه ، ولعله انما أراد بذلك التّحيل على الناس والاّ فلا يخفى ذلك ، فأما الولاة فصاروا يَفْعلون معه ما شاؤا ، وكان المقصود في الجمع والتّحصيل منهم من غير معرفة بما صاروا يقبضون ويزيدونه على الرعايا في المطالب ، وكل من شكاهم فلا سماع له لأنهم عرفوا طباعه في محبّة التوفير ، وكذلك الجلساء ومن يتصل به من الأعوان والسادة والأغنياء ، لم يعذروه في الطلب ، وصار يسلم لهم ذلك على أوفر الأقسام وانما الذي اتضع عنده عن الصرف من أهل العوائد الماضين سائر النّاس المخرجين ، فكان لا يصير اليهم الا التافه الحقير وبعضهم ممطول بالجملة الكافية خصوصاً من لم يكن اليه كثرة إلحاح ومطالبة ولله در البهاء زهير [١] .

يـــا أيـهـــا البـــاذل مـــجـهوده   في خـدمــة أف لـــــه خـدمــــه

وكان للمتوكل اختيارات في مسائل غريبة خالف فيها الإجماع منها : الولاية للأم على أولادها في البيع والشراء وجميع التّصرفات ، وهو خلاف الإجماع ، لكنه رجع عن ذلك في حياته ، ومنها قوله بأن الأولياء اذا أنكحوا الصّغيرة حال صغرها فلا فسخ اذا بلغت ولو كان المنكح لها غير الأب من سائر الأولياء وهو خلاف للإجماع في غير الأب [٢] ، ومنها أن المشروط بعلم الله فاسد خلاف الإجماع ، ومنها أن الخيار للمشتري مدة معلومة اذا انتفع به في مدة الخيار يكون من الربا الحرام وهذا خلاف الإجماع ، ومنها ان الغروس التي يغرسها الأجير يملكها صاحب الأرض ، يعني اذا كان لا بأمر من المالك بل الأجير غرسها في مال صاحب الأرض وهذا خلاف الإجماع ، ومنها : ان الكلا لا يمنع طالبه من ملك الغير على وجه لا يضر وهو خلاف الإجماع ، ومنها : أمره لولاته وحكامه وقضاته بارجاع الزوجة اذا طلقها الزوج ثلاثاً بلفظ واحد متتابعات وإن كان مذهبه التحريم أمره

---

(١) ديوان البهاء زهير :٣٢١ ط دار صادر .

(٢) علق أحدهم على قول المؤلف هذا بما يلي : رواية يحيى بن حسين عن الإمام الأعظم المتوكل على الله عادت بركاته باطلة فانه لم يقل بها في نكاح الصغيره اذا زوجها غير أبيها لا تفسخ اذا بلغت بل لفظة في المسائل المرتضاة فيما يعتمده القضاة . أن نكاح اليتيمة نافذ ولو اختلف المذْهب وأنه لا فسخ لصغر ولا لاعسار ولا عيبه ولم يعرف المذكور ما مدلول لفظه عليه السلام في ذكر المسخ لجهله المركب ، مع أنا لو فرضنا أن الإمام المتوكل سلام الله عليه قال بذلك لم يكن ذلك خلاف الإجماع فإنه مذهب أبي يوسف رحمه الله من الحنفية واستدلوا بأحاديث صحيحة . . . .

بإرجاعها . وهذا خلاف الإجماع لأن الملتزم للمذهب لا يجوز له الانتقال عنه ، ومنها أن المشتري اذا اشترى لنفسه في عقد الشراء وكانوا شركاء قبل القسمة أنه يكون المشتري للجميع من الشركاء وهذا خلاف الإجماع فإنه لمن وقع العقد له وعليه أن استهلك في الثمن شيئاً على الشركاء غرامة مثله فقط .

ومكن أولاده في الولايات وأجاز لهم التصرفات ، فأحمد بشهارة وبلادها جميعاً ، وحسبن برازح وتهامة ، ومحمد بصنعاء ، وعلي باليمن الأسفل ،وحسين بحضرته متوليا لبلاد آنس متصرفا بما شاء ، وذكر في وصية له لأولاده ما لفظه : وأوصيكم أيها الأولاد ذكركم وأنثاكم وسائر قرابتي وسائر بني هاشم أن تجتنبوا الزكوات ولا تأكلوا منها شيئاً ولو أكلتم الشجر ، فإن الذي خلقكم هو الذي يرزقكم ، ولا تفعلوا كما يفعل كثير من الناس من التمسك بالشبه في ذلك وابتغوا من فضل الله ، ولا يحملكم التعبّد بالسكون في البيوت على ذلك ، فاطلبوا الرزق من فضل الله وتنقلوا ولا تتخذوا السؤال حرفة فبئست الحرفة هي وانها معينة على الفقر ، ولكن اطلبوا الرزق الحلال بإحياء الأموال ، وان امكن ان تجعلوا لكم نواباً في البيع والشراء فهو حسن نافع ، وان لم يكن الاّ بأنفسكم فافعلوا فلأن يؤجر أحدكم نفسه خير له من أن يأكل الحرام ، انتهى ماذكره المتوكل وكلامه صدق وحق لا شك فيه ، وكان في نفسه لا يأكل الزكاة يقتصر بخاصته على تجنبها ممّا يصل اليه من النذور والهدايا ومستغلات الصّوافي ، وكانت حالته في ذلك حسنة الاّ أنه لو كمَّلها بالعدل باليمن الأسفل في مطالبه وجور ولاته الجور المفرط وأزال عنه الشبهة في تكفيرهم بالجبر والتشبيه الذي لا يقولون به ولا يلتزمونه ، لكان كاملاً بأوصاف الخيرات جامعاً للأحوال السنيات ، لكنه قصَّر في النظر وقلد في الأصول والأثر ، ولم يعرف بحقائق أقوال أهل الخلاف وتفاصيل محققي علماء السنة ليعرف بذلك أقوالهم البيّنة كما عرفه غيره من الأئمة والله أعلم ، وله وصية أخرى ذكر فيها أن كتبه على كثرتها كان وقفها وصيّة ، ثم رجع الى أنها للمصالح ، وأوصى بأن جميع ما في مخازين بيت المال لبيت المال من النّقد والسلاح والخيل والعبيد الاّ ما هو يختص به لنفسه قد بينه ، ولولا طول وصيته هذه لذكرتها هناوفيها شهادة السيد محمد بن صلاح جحاف ، وعز الدين القاصر ، والوصي ولده محمد تاريخها جمادى الآخر سنة ١٠٨٧ .

ومحمد بن المتوكل قسم كتب والده بين ورثته مما فيها رسم والده والباقي بقت تحت يده لبيت المال .

وفي وصية أخرى لولده محمد بن أمير المؤمنين لما ولاه بلاد ضوران ما لفظه : واترك الإكثار من المتعلقين الذين همهم الدنيا ويكفيك القيام بأهل الحصن فإنهم عدة إن شاء الله واستصلحهم بالرغبة والرهبة ، واحبب حبيبك هونا ما وابغض بغيضك هونا ما ، فلعل الحبيب لا يدوم حبه وما أكثر ذلك فيمن محبته لأجل الدنيا ، ولعل البغيض يكون حبيباً وما أكثره فيمن كان بغضه لأجل الدنيا ، ودع ما يريبك الى ما لا يريبك وأكثر من ذكر الله . وفي وصية أخرى له الى أولاده يقول فيها ما لفظه : وأوصيهم باصلاح ذات البين فإنه أفضل من عامة الصلاة والصيام كما جاء بذلك الأثر قال الله تعالى ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾[1] ولا يتم ذلك الا بالاحتمال والصبر والتغاضي من كثير والعفو والله يأخذ بنواصيكم ويتولى اعانتهم ان شاء الله .

وكانت هذه الأعوام التي قد مضت في أكثر زمانه من الشدة العظيمة وشح الأمطار وغلاء الأسعار تصديقاً لحديث الصّحيحين عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال[2] «لا توكي فيوكى عليك» ، وقد جارت ولاته في اليمن الأسفل الجور العظيم والبلاء الذي نالهم الجسيم ، مثل بلاد العدين وبلاد برع وبلاد تعز وجبل صبر ، بحيث فقر منهم جماعات كثيرة ورحل منهم من رحل الى الجهات النائية البعيدة ، ولم يرعو المذكور بشكوى الشاكين ولا رحمهم وتعطف عليهم بحيث بقوا للشكوى سنين ، وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم كما في أبي داؤد [3](ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء) ، وكان لو أنه لم يرض بما زاده الولاة في هذه الجهة من الزيادات وأمرهم على ما كان من المقررات والعادات لكان فيه العدل التام والسلامة من الآثام ، ولَمَّا عرف حاله الولاة باستراحته بالتوفير في الدفعات جاروا على الرعايا في المطالبات وفرضوا الزيادات ولفقوا فيها التّلفيقات ، وساعدهم فيما يذكرونه من الزّيادات فحصل بسببه الجور من هذا الباب ، ولقد حكى من يعرف زمن الأتراك أنه عرض رجل من أهل سوق صنعاء على سنان باشا زيادة بالنصف على الأسواق ، فقال له سنان : من أين هذه الزيادة تجيء بها

---

(١) سورة الأنفال ، الآية ١

(١) أخرجه الترمذي ١٩٦٠ وأحمد بن حنبل ٦ :٣٤٤ والنسائي كتاب الزكاة . ٦١

(٢) أبو داؤد ٤٩٤١ عن عبد الله بن عمرو بلفظ «الراحمون يرحمهم الرحمن» .

انما تكون من ظلم الرقاب[1] وأمر بحبسه وتأديبه ، والله سبحانه يتجاوز عنه ويرحمه .

ولما وصل خبر وفاته الى صنعاء وكان قد أمر أولاده بالتهيؤ الى الحادث الذي حدث بصعدة وتلك البلاد الأقصى والناس غير راغبين الى السفر بما نالهم من التقصيرات فيما مرّ من الملازمين فضلاً عن القاصين سكنت تلك الأمور وقرّت ، واشتغل بغيرها . فكان من محمد بن الإمام أنه كتب الى أحمد بن الحسن تعزية وذكر له أنه يصلح دخوله صنعاء للخوض فيمن يصلح للمسلمين وما يكون عليه البناء هذا الحين فالله يصلح أمور المسلمين ويختار لهم ما فيه الخير . .

وكان يوم ثانيها وهو يوم الأحد ، وطلب أحمد بن الحسن قضاة صنعاء ، ومحمد بن أحمد صاحب الروضة ، ومحمد بن الإمام وأحمد بن محمد ، فساروا الجميع ، وكان مضمون طلب المذكور لمن ذكر أنهم يحضرون للنظر فيمن يقوم بهذا الأمر ، وكان محمد بن الإمام قد ذكر اليه في كتاب التعزية أنه يدخل صنعاء ويجتمع هو وإياه وسائر القضاة والأشراف للنظر فيما يصلح لهذا الأمر ويقوم بإمارة أهل العصر ، فكان جواب أحمد بن الحسن بأن الإجتماع يكون بالغراس وأنه يصل اليه وكافة القضاة وأعيان الناس ، فخرج المذكور الى الغراس وكافة القضاة والأشراف مثل القاضي علي بن جابر الهبل قاضي صنعاء ، والقاضي محمد بن علي العنسي والقاضي محمد بن علي قيس الثلائي ، وهو كان غير راض ، لكنه لزمه المحضر فكان قريب القهر والقاضي أحمد بن أبي الرجال ، والسيد غوث الدين بن يحيى والسيد عبد الله الكبسي ، وهؤلاء أعيان علماء الوقت في صنعاء وانضم اليهم القاضي عبد الواسع قاضي أحمد بن الحسن فكان المجلس الأول في الحضرة العامة النظر فيمن يصلح للمسلمين ويقوم بأمرهم في هذا الحين فأوجم الحاضرون ، ثم تكلم فيهم السيد عبد الله الكبسي بأن أولى قائم أحمد بن الحسن بعد أن تكلم أولاً محمد بن الإمام ، وكان كلامه أن أمر الإمامة عظيم لا يدخله الاّ من علم من نفسه الكمال ، وان هذا يريد أحمد بن الحسن الأكبر سنا من علم أنه يصلح نصبه اتبعناه ، وان علم من نفسه الكمال نصّبناه وقدمناه ثم تكلم الحسن بن الحاج أحمد الأسدي ربيب احسانه ومن أعوانه فقال : لا يصلح لها غير أحمد بن الحسن لأنه المجرد

---

(١) لم تتضح هذه اللفظة في الأصل وكتبناها ظنّاً

للأمور وله الصّيت في البلاد النائية كما هو مشهور به مذكور ، وتكلم محمد بن أحمد بـ
القاسم فقال : قد تقدم صنوه علي بن أحمد في جهات الشام ولا ينبغي العجلة حتـ
يجتمع الكلام ولا تكون بيعة كبيعة أبي بكر فلته ، فتغيّر أحمد بن الحسن من قوله وقال
انما حمل الإمام المتوكل على دعوته انتصاب والدك أحمد بن القاسم ، والآ فكان تار
لذلك حتى يحصل الاجتماع ، فعند ذلك انصرم المجلس على هذا لا غيره ، ثم أنه جمـ
لهم مجلساً خاصاً لمحمد بن الإمام ومحمد بن أحمد وأحمد بن محمد والقضاة وأبره
الأمر على العقد لأحمد بن الحسن بشرط عدم قيام أصلح منه وأعلم ، فإن قام مـ
هو كامل الشروط تنحّى له . وعرق الشجرة اذا قد غرس لم يمكن نزعه الآ بتعب ،
بايعوا الجميع . وكان أول مبايع لأحمد بن الحسن محمد بن الإمام بذلك الشر
والكلام ، ثم محمد بن أحمد ، ثم القاضي محمد بن علي العنسي ، ثم سائر القضاة
الحاضرين فمنهم من شرط الشرط ومنهم من لم يشرط ، وأما القاضي أحمد بن صا
بن أبي الرجال فإنه اعتقد إمامته قال : انه يقول بإمامة المقلد ، وخطب أول جمعة له و
هو الرضا ، وبعض من راجعه أجاب عليه بأن المتوكل اسماعيل كان مقلّداً وأن الاجتـ
قد تعذّر ، ثم خرج بعد ذلك الى الديوان العام بايعه سائر أصحابه من العسكر ومن عـ
له الإحسان والإنعام .وكتب الولايات لمحمد بن الإمام وغيره من أقاربه وسائر ولاته و
صنوه حسين بن الحسن ، وكتب الى سائر أولاد اخوته بشهارة والى علي بن أحـ
صاحب صعدة ،والى حسن بن الإمام صاحب جبل رازح وصاحب كوكبان .

وكان هذه البيعة عشية الأحد سابع شهر جمادى الآخر سنة سبع وثمانين بعد الـ
ليلة الإثنين ، والطالع الحمل ، وسرير الملك الجدي خال عن النحوس في وسـ
السماء ،والمريخ وزحل كانا في الثور بوطنه ومسكنه الغراس بحارة قلعة حصن ذمره

وفي هذه الأيام : استمرت الأمطار الغزيرة المتصلة في فصل الخريف وعمّت جـ
اليمن وأقبلت الزّرائع واخضرت البلاد والبقائع الآ أن الجراد أخذتها ولم تتم ثمرتها
يأتي ولو تمت لبلغ السعر الى خمسة عشر بقشة لصلاحها وقوة تحملها . وصا-
كوكبان كان حال بلوغه الخبر في شبام ثم أمر حال وصول الخبر بالطلوع الى قـ
كوكبان بأهله وخزانته وخاصته . وكان شرعت صنعاء تغلق ظنّا أن محمد بن الإمام
وأنه اذا بويع له يحصل ما يحصل من احمد بن الحسن ، فحصل المعقول من محمـ

الإمام بعد أن كان طلبه للبيعة من يريد التّفريق بين المسلمين والعجلة واثارة الفتنة ، فوقى الله شر ذلك وسكنت الأمور في هذه الوقت ببلاد صنعاء والله أعلم ما يكون من أهل شهارة وصعدة وأرسل محمد بن الإمام للحيمة وغيرهم فأخروا الوصول لحضورهم ، وقالوا : لا يكون الا عند معرفة من يستقر لهذه الأمور ويتفق عليه الجمهور . ومما شرطه في البيعة القاضي محمد بن علي قيس الثلائي القرب من الناس وترك الإحتجاب والإيناس ، وتسليم الديون اللازمة في المشتريات وتقريب أهل الفضل وتبعيد غيرهم من الأجناس ، وعزل الجوره من الولاة في اليمن الأسفل ، هذا ما بلغ به الخبر ولم نحضر ذلك المقام ولم نشاهد ما جرى فيه من الكلام وأكثر من بالغ في المبايعة الفقيه أحمد بن صالح بن أبي الرجال وأعلن بالخطبةعلى المنبر بصنعاء والغراس وكان هو أول من خطب وحرض

ولما انعقد هذا العقد اختلف الناس ، فقال كثير من العامة والخاصة : احمد بن حسن غير كامل بشروط الإمامة من العلم التام ، وانما هذا مُلك وسَلْطنة ، وبعضهم يقول : هذا صحيح الا أنه نَصب للمصلحة لجمع الكلمة وتسكين الدهما والفتنة ، لأنه اذا قام غيره حصلت الفتنة ، لما بيده من العساكر والخزائن ، والنظر في المصالح ، ودرء المفاسد أمر مهم مع أن سائرالمترشحين لها من السادات الغالب عليهم أيضاً عدم كمال شروطها ، فكان هذا الرجل ترجيحه مع كبر سنه في آل القاسم أولى بها ، ومنهم من قال : هذا كله يجيء على قواعد أهل السنة من ترجيح المصلحة مع خشية الفتنة ، ولكن العقد عند أهل السنة لمجرد المصلحة غير معتبر ، وانما المصلحة اذا غلب وقهر وكان والياً وفي نزعة تقع ثائرة فتنة ، فأما العقد ابتداء لمجرد المصلحة عندهم فلا يعتبر بها ، بل قد قال في البحر : الاجماع على أنه لا تعقد له لمجرد المصلحة ، ولكن هنا خشية ثائرة الفتنة حاصل مع عقدها لغيره وحصول مفسدة عظيمة وفتنة جسيمة ودرء المفسدة أولى من جلب المصلحة كما ذكره العلماء فهو كنزعة عن التولية ، ومنهم من قال بامامة المقلد وقد قال به الدواري[1] من المتأخرين ، لكنه مسبوق بالإجماع على اشتراط الاجتهاد ، ومن قال بجواز خلو الزمان عن المجتهد كما هو قول بعض أهل السنة ، فلم يجعلوا

---

(١) هو عبد الله بن حسن الدواري المتوفي سنة ٨٠٠ من العلماء «البدر الطالع ١ :٢٨١ ، وأئمة اليمن ٣٨٨ ومصادر الفكر الإسلامي ٣١٣»

القيام عند تعذّره قيام امامة تامة بل حسبة وملك وسلطنة ، وظاهر أهل الزمان الأغلب انهم في مقام التقليد ، فالمقصود قيام أمثل مقلد لشغر[1] المنصب لجمع كلمتهم ان اجتمعوا ، وجاء في مختصر بعض المطالب من جفر الإمام أبي طالب : ذكر أحمد بن الحسن بعد دولة الإمام إسماعيل ، وخرج السيد علي بن حسين المسوري من صنعاء الى خولان مباعدا نفسه وهارباً عن مبايعة أحمد بن الحسن ، وخرج أيضاً خارج يقال له السيد ناصر الدين من بلاد آنس ، وزعم أن الخل حرام لأنه أصله الخمر ، وأن البقول كالفجل والكراث حرام ، وأن تقبيل اليد حرام ، وغير ذلك من البدع في الإسلام ، ولعله يعتقد دين الخوارج من ابطال سنة النبي عليه الصلاة والسلام ، فانتظم في جملة الدجالين الذين يحرمون ما أحل الله ويحلون ما حرم اللّه ، ولكن لم يجبه أحد الى دعواه ، ولم يمل أحد من المسلمين الى هواه ، واضمحل أمره وزال خدعه ، وجاء الخبر بأن القاسم بن محمد المؤيد بالله بن القاسم دعا الى نفسه بشهارة وأجابه أهل الأهنوم وغَيْره من البلاد ، وكذلك خبر آخر : أن حسين بن حسن دعا الى نفسه في بلاد ولايته بجهة رداع فالأول أجابه أهل الأهنوم وغالب أهل شهارة . ولم يجبه أحمد بن الإمام المتوكل ولكن كانت الغلبة للقاسم فلما طلبه البيعة امتنع منها وحط جانبه مجازاة له بما كان يصدر من عدم الرّعايات لآل المؤيد من المذكور ، ولما كان يحصل من التقصيرات ، وهكذا الأيام والليالي تأتيك بالغرائب المعجبات ، والثاني بايعه أصحابه وكتب كل الى سائر الجهات الرسالات ، وظاهر هذه انما هو امارة ورياسات ، فأما كمال الامامات فان شروطها كالمنتفيات في جميع من ادعاها هذه الأوقات ، والله يجمع كلمة المسلمين على واحد ويدفع التعصبات والتفرقات ، وكان عقد قاسم لبيعته بشهارة يوم الاثنين ثامن شهر جمادي سنة سبع وثمانين وألف وبايعه السيد يحيى بن أحمد الشرفي والسيد يحيى بن إبراهيم وصنوه إسماعيل بن جحاف الحبوري وكذلك زاد لحق لما وصل إلى شهارة القاضي محمد بن علي قيس الثلائي بعد أن كان بايع لأحمد الحسن والسيد علي بن صلاح الضلعي العلوي صاحب ضلع الأشمور هؤلاء الذين بايعوا قاسم من الأعيان ودعوا الناس إلى اجابته وتحريم مخالفته في بيعته في ورقة طويلة أطنب في مدحه وتزكيته وقد هؤلاء الآن أربعة دعاة مع علي المتقدم في الجهات الصّعديات والله

(١) كلمة مبهمة لم تتضح

أعلم بالزيادات وما ينتهي اليه معهم الحالات ، وهذا قد جرى كما جرى مع أولاد مطهر بن شرف الدين من الاختلافات وعدم الإنصافات والاجتماعات ، بل زاد هؤلاء عليهم بدعوى الإمامات ، فإنهم لما بسطوا على ما تحت أيديهم من الجهات ، وما لهم من الولايات من غير دعا الإمامة الى أنفسهم ، فكانوا بهذا الاعتبار أعقل من اللآحقين بهم ، فإن الإمامة لا يدعيها الا من أحرز نصاب الاجتهاد ، والآ فليس ذلك إلاّ من قبيل السلطنة لمن غلب والأمر كما قال صاحب الحماسة من قول المسَاور بن هند بن زهير من العرب حيث يقول (شعراً)[1] :

لما رأيت الناس هَزَّوا فتنة عمياء تُوْقد نارها وتسعَّر

وتشعبوا شعبا فكل جزيرة فيها أمير المؤمنين ومنبر

وكان لقب أحمد بن الحسن المهدي ، ولقب علي بن أحمد المنصور ، ولقب حسين بن حسن الواثق ، ولقب القاسم بن محمد بن المؤيد المنصور ، فأعجب لهذا التفرق بينهم ، وكان لو جمعوا أقوالهم على أحدهم يجمع أمرهم لكان الأصلح لهم وتكون حسية معهم فإن التفرق على هذه الصفة معهم خلل عليهم وعلى المسلمين ، أما عليهم فقد يخرج الى غيرهم بسبب تفرقهم ، ويحصل أيضاً كثرة الشقاق فيما بينهم ، وتغلبات جهات اليمن بسببهم ، وأما على غيرهم فما يحصل من المفسدين من الفساد والتغلب وعدم الأمان ، ولكن لله في كل وقت شان والأمر لله تعالى في جميع الأوقات والأحيان[2] .

وخرب في هذا الشهر بيت بصنعاء قريب مسجد عقيل [3] فهلك فيه أهله قدر أربعة أنفس ، وخرب بيت آخر في بئر العزب من بيوت اليهود ، فهلك فيه أهله ومن جملتهم معلمهم في التوراة . وفي ضوران خرب بيت على سبعة أنفار فهلكوا جميعهم ، وخرب من البيوت والجدران كثير لقوة المطر الذي وقع في الرابع الأول . ورخصت أكثر المجلوبات مثل السمن والغنم وغيرها فلله الحمد .

---

(١) الحماسة ١ . ١٧٦ .

(٢) هنا يتوسّع بذكر الخلاف والنّزاع بين المتنافسين على الحكم . وهو خبر طويل ليس من شرطنا ايراده في هذا الكتاب وقد لخص هذه الحوادث صاحب طبق الحلوى . ٣٢٦ وما بعدها نقلاً عن كتابنا هذا

(٣) مسجد عقيل من المساجد العامرة في صنعاء قبلي السوق مشهور (مساجد صنعاء . ٨٣)

واتفق أن غريبا من الذين يطلبون الصدقة أنشأ معه مديحه يقول فيها :-

وأمـــا قـــاســـم بشهـــــارة قـــد نشــــر

واحمـــد حســـن تعـــب من ذاك الخـــبر

فأعجب حيث لم تنطق العامة الآ بذلك مما يعجب منه فلله الأمر من قبل ومن بعد .

وعلى الجملة أن أحوال الناس صارت مضطربة ، وأقوالهم مختلفة ، هذا محمد بن الإمام بعد المبايعة يضطرب كلامه ، وهذا محمد بن أحمد كذلك ، والسيد حسين بن صلاح والفقيه حسين بن يحيى حنش بايعوا بعد أن كان امتنعوا أولا قيل انها بيعة اضطرار لقاسم بن الإمام ، وقيل لم يبايعوا وأنه عذرهم ، وانما دخلوا تحت أمره ونهيه من جملة تلك الجهة ، وكذلك احمد بن المتوكل لم يبايع غير أنه دخل تحت الأمر اضطرارا ، وجاء كتاب من أحمد بن المؤيد يذكر أنه أجاب الى أخيه القاسم ، وبلاد الشرف والأهنوم وسفيان والعصيمات ووادعة وحجة وظليمة وسادة حبور وحثّ الناس على المناصرة لقاسم ، وحصلت فرقة بين بلاد خيار فيما بينهم على سبب سَوْق الدّبا من الجراد لما أحله بعضهم الى أموال البعض فاقتتلوا راح من الفريقين تسعة أنفار .

وعلى الجملة ان حال هذه الدعوات المنازعة المنهي عنها ، والتفرق الذي هو عين الاختلاف ، ودرجهم فيما بينهم متفاوتة بعد تعذّر الاجتهاد معهم ، فلو أنهم جمعوا كلمتهم على أحدهم وسلم النّاس من الفتن وان حصل النّقص بالمنصب الكامل الشروط ، فأما اذا أخذوا على هذا النزاع والاختلاف وشبوا الفتنة فيما بينهم فيالها من مصيبة عليهم وخللاً على المسلمين نعوذ بالله[1] من ذلك وبعد ذلك أمورهم ان استمرت الفتنة بينهم الى نقص وخلل عليهم وتَقْويه بخروجها عنهم الى غيرهم وقد يطمع فيها غيرهم . وأرسل أحمد بن الحسن فقيهاً وأمره بالخطبة في بلاد ذيبين فلم يحضر الجمعة أهل البلاد وقالوا : في أعناقهم بيعة قاسم بن الإمام .

وفي يوم الثلاثاء سلخ شهر جمادى الآخرة منها : دخل محمد بن أحمد بن الحسين الى دار أحمد بن الحسن لموعد بينهما في طلب ولاية فتأخر الاذن له في درج داره ، فخرج المذكور وطلع بيت ردم[2] ولحقه أصحابه . ثم أن أحمد بن الحسن لحق له

---

(١) كلمة عامصة

(١) بيت ردم بفتح الراء والدال المهملة قرية مشهورة من قرى بني شهاب - من بني مطر (ناحية البستان سابقا)

للعود ، وكان وعده في الولاية ويقول لا ينبغي في ذلك العجلة لرفع التهمة بالبيعة فإنه قد يقال كانت في مقابل زيادة ولاية ، ولئلا يناظر غيره والأمور عجيبة فانه كغيره ممن شرطها في دعوة الإمام المتوكل الأيام السابقة والله يصلح أحوال المسلمين ، قال بعض من سمع من خواصه : أن سبب هذا منه أنه لما كان قد طلب من أحمد بن الحسن زيادة ولاية على بلاده الأولى ، وان أحمد بن الحسن كان وعده ثم طال مطله ، وكان وصل عند ذلك جواب من قاسم بن المؤيد بأنه قد ولاه ولاية أبيه جميعاً عرضه على أحمد بن الحسن ظاناً نجاز الوعد ، وأن هذا الكتاب محركٌ له في ذلك الأمر فعاود لذلك ، ثم حصل من صاحب الباب الدّاخلي صاحب الحجرة والدرجة التحيير له في بابه لاستئذانه فكان سببا في ازعاجه .

وظهرت دَبًا واسعة حتى دخلت من دائر صنعاء من سوائل نقم ، وطلعت الى سطوح البيوت في القطيع ودخلت قصر صنعاء وانتشرت في كثير من الجهات اليمانية في بلاد الظاهر والجوف وبلاد صنعاء ، وبلاد الحيمة والعرشي وبني مطر ، وسائر الجهات ، وشرعت في أكل الزراعة فضَرّت مع كثرتها فلله الأمر ، والجراد الكثير الذي ينتشر في الأغلب يكون للفتن المتفتحة .

وأحمد بن حسن ومحمد بن أحمد اجتمعوا على بعث سياق إلى خمر ليكون موضع المطرح على شهارة اما ان قاسم يسلم الأمر وإلاّ فتحوا الحرب .

وأحمد بن محمد كان جواب أحمد بن حسن على مطلبه بأنه لا يوليه هذه الساعة غير ما معه من ولاية حضور من أول إلا أنه بعد رد لعسكره كل شهر من جملة أصحابه ثم أنه جعل له بلاد جفاش وملحان وكان واليها قد نال آل قاسم بن المؤيد فهرب عنها والله أعلم ما يتم منها وحمل جميع ما قد جمع آل قاسم ، وأما والي حفاش فوصل إلى صنعاء وأولاد حسن بن الإمام وصل بهم من صعدة عبدالله بن أحمد وادخلهم شهارة وخلصت الشام لعلي بن أحمد . .

مع أن علي بن أحمد يده ضعيفة في بلاد الشام لأنه إنما صار يرأس القبائل ويستعين بهم على هذه الأفعال والعمائل ولم يكن له قوة يد قاهرة عليه ولذلك حصل النهب في صعدة منهم وكل ذلك في صحائفه والمشارك فيما غشه لا هو ضبط البلاد ولا هو خلاّها لغيره من الولاة يصلحها ويزيل عنها الفساد وزاد مع ذلك ادعاء أنه إمام فتضرر كثير من

المتسببين والتجار الذين بصعدة من دولته وإنما مال إليه وأحبّه في الولاية المفسدون المتمردون من أهل جهته فلا قوة إلا بالله العلي العظيم .

والجراد عمَّ بلاد القبلة وشهارة وأكل زروعها جميعاً وسفيان والأهنوم ووادعه فخيّب الله أمل أهل شهارة في جمع الثمرة فيها ، وتوجَّه الجراد بعد ذلك الى ظليمة وعذر وما اليها ثم سار منها الى بلاد الشرف وعفار وحجة ثم الى لاعة ثم حراز والحيمة وبلاد عتمة وآنس وضوران والسّحول باليمن الأسفل وانعطف راجعاً الى بلاد ذمار ثم الى بلاد رداع ودخل المشرق ، فلم يبق هذا الجراد في جميع هذه البلاد بحيث أكل طفلاً ، فطلع السعر في جميع هذه البلاد النِّصف في الزيادة على ما كان قبل مرورها : الشّعير الى خمسين والذرة الى حرفين والبر الى مائة بقشة وأكثر ، وسلم الله بلاد صنعاء فتَمّت الثمرة فأخضرت قبل مرورها الاّأن السعر ارتفع فيها كغيرها ، وقد كان في الثمرة تجهز عظيم قريبة الصراب بحيث من كان معه من الحب من العام شاطه بأبخس الأثمان واقرض لتفريغ المدافن والمخازين للثمرة الجديدة ، ثم انتشر هذا الجراد فنَدموا غاية الندم .

وسائر الدّبا في الجهات أكل جانباً وما قد احتمل ، وأهل ذمار وفدوا الى صنعاء بغنم باعوها واشتروا بها طعاماً ، ولم يعهد أن أهل بلاد ذمار يشترون من صنعاء الطّعام أصلاً بل على العكس في الرخص له وحين يغلى وينقص على صنعاء أسعاره في أكثر أوقاته ولله الحكمة في صنعه وأحكامه .

وفي يوم الخميس سابع عشر شهر رجب : خرج احمد بن الحسن من صنْعاء الى الغراس مظهراً للغضب على قاسم بن الإمام ومن اليه من الناس وعائباً على من لم يقل بإمامته وذكر لهم اجتهاده في العلم فلا يعتقدون ، انه على طريق الحسبة في امرته لما رأى بعض الجوابات التي أرسل بها قاسم اليه ممن حضر حضرته وأن في بعضها أنه نظروا الى قيام المذكور من باب الصلاحية على جهة الحسبة وجمع كلمة المسلمين والمذكور اذا وردت عليه الفتاوى لا يجيب في شيء بها بل يتركها أو يحيلها على من يجيب فيها ثم يضع علامته عليها ، وقد يجيب في شيء منها كيف اتفق الجواب والقاسم بن المويد وصل اليه بعض الفقهاء من جهات صعدة لخبرته والنّظر في معرفته فلم يجد عنده في الأصول معرفة ولا قدر يجيب عليه فيه بالحقيقة بل وهم في مسائل العموم وقال أنه قَطْعي ولم تظهر عنده التفاصيل ، فرجع المذكور هو وآخر معه وامتنع

من بيعته وقالوا :«تسمع بالمعيدي خير من أن تراه» (١) . والظاهر ان بعد قيام هذه الدعوات لا تنحسم الاّ بحكم جاهز للخصمين . وانما ينبغي السعي للمفترقين في الصلح ان علم انهم يدخلون فيه أو ظن والاّ فالترك لذلك أولى ، ولا يجب غيره لمن عرف بتفرق الأهوى ، ألا ترى أن أحكام الشريعة لا تُتم الا بيد منفذة لها وهي الدّرجة العليا فكيف ولا يد منفذة هناك وانما هي فرقة ، ولذلك أن التحكيم الذي حصل بين علي ومعاوية بعد الفرقة لم يتم له حكم وبطل أمره وغيره جرى مع الأئمة ، فإنهم يتَناظرون ولا يرجعون في الغالب الى ترك ما يطلبون ، ومنهم من يرجع ببذل شيء من الدنيا ، وقد طلب قاسم بن المؤيد المناظرة أولا والتحكيم وينفذ تمامه بعد الفرقة والمراكزة الا أن يحصل مع أحدهم غلبة وقهر له أو بذل لما يطلبه .

وأمر أحمد بن الحسن بدار الضّرب للدراهم وصغر بقشها .

وحسن بن الإمام لما مر في ثالث عشر شهر رجب حجة طالعاً من تهامة من بعد أن نزل من رازح أراد يدخل الظفير وكتب الى هنالك كما قيل ، فقالوا : يدخل بخمسة عشر نفراً أو عشرين نفراً لا غير فترك دخوله وعرج عنه الى طريق شرس وخرج الى حبور ، وأجاب قاسم صاحب شهارة وطلع اليها قيل وسببه أن أحمد بن الحسن جعل خطا لأولاد المجزبي في إرجاع السفن التي كانت لوالدهم يكرّوها ، وكان حسن بن الإمام قبضها يوم نزل الى اللحية كما مر سابقا .

ويحيى بن حسبن بن المؤيد بالله لما وصل الى خمر بعد هربه من صعدة وأمن كتب الى بعض القبائل في تلك الجهة بأنهم ينصرونه الى القيام وأن قاسم وأحمد بن الحسن لم يحصل منهم التئام ، فلم يساعده أحد فكتب بعد ذلك الى قاسم يجيبه على الاجتماع . فأعجب من سادة اليمن ما أكثر محبتهم الى الرياسات والدخول في الأمانات والتكليفات ، والله يقول «انا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوماً جهولاً»(٢) .

ولما وصل حسن بن الإمام إلى حدود حجة انجفل البدوان بالهرب بالبقر والأغنام إلى

---

(١) مثل مشهور أنظره في :مجمع الأمثال ١ :١٧٧ والمستقصى ١ :٣٧٠ والمفصل :٩ والفاخر :٦٥ جمهرة الأمثال للعسكري ١ :٣٦٦ والوسيط في الأمثال للواحدي :٨٣ وتمثال الأمثال ١ :٣٩٥

(٢) الآية :٧٢ سورة الأحراب .

الجبال ظناً منهم أنه أحمد بن الحسن .

وأرسل بعض القضاة الى عند قاسم بن المويد عسى يحصل الصلح بينهم ولا شك أن الصلح خير كما قال الله تعالى «والصلح خير» وكما في الحديث الصحيح في حق الحسن بن علي انه قال صلى الله عليه وسلم «ان ولدي هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين من المسلمين دعواهما واحدة» . فدل هذا الحديث الصحيح المتفق عليه بين الأمة ان ترجيح المصلحة هو الأولى وغاية لسكون الدهما وسكون ما هو الأعظم من مصالح المسلمين وحسماً للأهوى . ومن العجيب الذي قل أن يتفق مثله أن فقيهاً من بني النزيلي من الشافعية يقال له محمد بن أحمد صار بشهارة عند قاسم ولازمه وصار عمدة لديه بل وكاتبه لما يعرف من عادات شهارة وساداتها وفقهائها من التشديد في عقائدهم وكراهة مذاهب من يخالفهم . وهذا الفقيه محمد بن أحمد له معرفة في علم النحو وسائر العربية وكذا في أصول الفقه وفروعه على مذهب الشافعية .

وظهر من كثير عدم الميل الى أحمد بن الحسن حتى من أهل صنعاء وجميع أهل المغرب عن بكرة أبيهم غير أنهم بين البين يظهرون أنهم غير مخالفين لأحمد بن الحسن لخوف جانبه أن يقوى وقلوبهم عنه مائلة والأهوى ، ولم يخلص في بيعة الإختيار من الأعيان لأحمد بن الحسن غير اثنين أحمد بن صالح بن ابي الرجال المرهبي[1] وغير القاضي عبد الواسع العلفي صاحب احمد بن الحسن ، ولا ترى[2] الناس غير راغبين ولا مختارين بل مضطرين اليه ومتقين . وقاسم أكثر من بايعه من الخاصة والعامة بالإختيار واليسير منهم بالاضطرار ، وأما العامة من الناس والقبائل فالأكثر لمن استقر أمره وغلبت دولته لا يميلون الى أحد من الرجلين ، والله يصلح أحوال المسلمين ، ومن هو غير قائل بإمامة الرجلين امامة اخْتيارية أصلا . أما أحمد بن الحسن فلأن سيرته سيرة الملوك مع عدم المعرفة بالعلوم . وأما قاسم فلعدم كمال علمه واجتهاده ، وانما العمل منهما لمن تم أمره من باب القهر والغلبة دولة اضطرارية وملك على جهة القهرية لمصلحة الإسلام وسكون الدهماء مثل دولة علي بن صلاح ، ودولة مطهر بن الإمام شرف الدين ودولة الحمزات من دول الأشراف ولا غير ذلك ، وعلى رأي من قال بإمامة المقلّد وخصوصاً

---

(١) يحقق اذا كان القاضي أحمد بن صالح بن ابي الرجال يتسب الى مرهبة . وفي البدر ١ : ٥٩ نسبته الى الخليفة عمر بن الخطاب .

(٢) الأصل «الأثر» .

عند تعذر وجود المجتهد الكامل لسائر الشروط .

وقاسم بن الإمام المؤيد لما كثر الوفد عليه من بلاده واستقر منهم عنده البعض من انجاده ، وكانوا لا يزالون مع قرب بلادهم يصابحونه ويماسونه فما زال يحتاج لهم الطعامات والإقامات مع قل المدخول ، فاستمد اكثر مدافن شهارة ، ثم استمد بمدافن السودة ومخازينها لمن عنده ولم يكن من البلاد التي يستمد منها الا الشّرف وعذر والسودة وظليمة بلاد حقيرة أكثرها وزاد الجراد خطبها وأكل جميع الذرة من ثمرتها ، فاذا استمر على هذه الحالة انفق ما لديه وما جاء له ويضطر بعد الى التقصير في أكثر الذين هم انصاره فيتفرقون عنه ويقل منهم اتباعه ، ويبلغ ان أحمد بن الحسن صار يبذل لمشايخ من تلك البلاد من الدّراهم التي تحدّث بها كبارهم ويفسد عليه بسببها أمرهم .

وكان احمد بن الحسن قد ظهر له بعض ما غفل عنه من كتب بعض الذين بايعوه بما ذكروه من نقص الشروط وما قصدوه وأن ذلك انما هو بيعة حسبة لا إمامة ، وتغيّر من ذلك وظهر عليه الغضب ، وكان خروجه الغراس مغاضباً وبنى أنه يقصد الى تلك البلاد غير مراع الى ما شرطوه ، وعلى العمل بمقتضى الإمامات لا الاحتساب ، فصار الناس والقضاة بين بين لا يقدرون على أمر من الأمور ، فعاد حالهم الى الانخراط ظاهراً من التقية واضطروا الى امرار امامه الغلبة على مذهب أهل السنة ، والله يصلح الحال للمسلمين .

وفي شهر رجب من هذه السنة وصل كتاب من القاسم بن المؤيد وهذا لفظ كتاب القاسم بن المؤيد بالله إلى محمد بن الإمام وهو :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى من عبدالله أمير المؤمنين المنصور بالله القاسم بن أمير المؤمنين المؤيد بالله تعالى إلى الصنو السيد العلامة الأوحد رضيع المحامد والفخامة ربي حجر الخلافة والإمامة عز الإسلام والمسلمين سليل الأئمة المطهرين محمد بن أمير المؤمنين المتوكل على الله رب العالمين حفظه الله وحماه وحرسه ووقاه ، وأهدي إليه شريف السلام وسني التحية والإكرام ورحمه الله وآياته على الدوام ، وبعد فصدور هذا السلام وأنه قد سبق إليكم منهم كتاب وعرفناك الوجه المقتضي لتأخير الاتفاق إلى آخر ما ذكرناه لكم وإلى تحرير هذه الأحرف ولم يعد الجواب ثم انا بحمد الله الذي لا إله إلا هو ونسأله أن يصلي ويسلم

على محمد وآله وأن يجعل الأعمال خالصة لوجهه الكريم ومقربه إلى جنات نعيم ، وأنه طلب الصنو صفي الدين أحمد بن الحسن حماه الله المفاوضة والاجتماع ونحن كنا طلبنا ذلك لما كنتم ذكرتم سابقاً أن الدعوة على تلك الصفة وأن المراد وجه الله سبحانه والنظر في صلاح المسلمين ثم تعقب من قبله حماه الله ما ذكرناه لكم في الكتاب السابق والكتاب هو مما يحسن إلا أن في النفس أشياء نذكرها لكم صارت برقابنا من أهل النظر يطلبون معرفة المخلص عنها حتى نكون نحن وهم على بصيرة ، وذلك أنه قد كان من الصنو أحمد حماه الله هفوات ليس عندنا ولا عندهم معرفة المخلص منها ومن تحقق التوبة عنها ، وذلك بغية على إمام الزمان المؤيد بالله مرتين فإنه خرج في الأولى إلى الحوادث وتولى حربه الوالد الحسين بن القاسم رحمه الله وحصل فيها قتل كثير من أهل آنس وريمة ووصاب وذلك بفعله وسببه على ما شاع هو سرور شلبي وتلك دماء محترمة لأنهم من جند الإمام وهي مضمونة بالإجماع لأن الباغي يضمن الدَّم بلا إشكال إلاّ أن يهدرها الإمام لوجه شرعي ولم يبلغنا أنه تخلص ولا ودى دية ولا ظهر أمر ، وإنما سكن لما أسر ، والثانية خروجه إلى نقيل الشبم وتولى حربه حي الإمام المتوكل على الله رحمه الله وكان فيه قتل كثير ولم يحصل تخلص ولا علمنا ، وأيضاً فانه خرج بالأموال التي كانت مجموعة مع والده وهي تجل وتعظم فنهبها العساكر وبذل منها في مقابل قطع الرؤوس من أصحاب الإمام شيئاً واسعاً فإن كانت تلك الأموال بيوت أموال فهل تخلص منها بالغرامة إلى إمام زمانه ، ولا يكتفي في هذا إلاّ باظهار أوجه شرعية يكون فيها عليه النفوس طيبة ، وان كانت الأموال ملكاً لوالده فهل أصلح ما بينه وبين ورثه أبيه بالغرامة أو البر فنحن نعرف بعض الزوجات ما ذكر لهن بشيء من ذلك ، ومن ذلك ما حصل مع التجار كالحُطْروم وقاسم شيحة وغيرها فانه أجحف بأموالهما كلها وصارا من جملة الفقراء والناس كالمجمعين أنه استدان منهما ولم يقض شيئاً ، ومنها على ما رفع والله أعلم بالحقيقة أنه ضرب أمة من إمائه حتى ماتت عدواناً وكسر يد أخرى وضع يدها على خشبة وضربها لأنها ناولت ولدا صغيراً كتاباً طلبه الصنو أحمد فسأله من ناولك الكتاب قال فلانه ، فطلع من الديوان وفعل هذا الفعل ولعله استمر على تسرّيها بعد ذلك ، ومنها أنه بلغ أن معه داراً تسمى دار المحجبّات وفيه إماء منتخبات من مكة بذل فيهن أمولاً من أموال المسلمين ، وقيل والله أعلم أنهن من أهل السماع والملاهي ولا يترك أحداً يتصل

بهن أبداً ، ومنها قضية الفلوس هذه التي كانت قبل موت الإمام ، فإن الإمام أراد أن يمضي كلامه فيها فامتنع الصنو أحمد أشد الامتناع مع أن أمر السكة إلى الإمام ، وغير ذلك من قتل النفوس التي قتلت في زمن حي المتوكل على الله بغير حقها وتولى قتلها بيده ، فهذه في النفس ونعيذه بالله من الإضرار على ذلك ونحب أن يطلعنا ويطلع من شاركنا في وجه هذا على وجه الخلاص إما بأحكام شرعية يبررها أو بشهادة عادلة بأن هذا المقام الذي ارتقاه يحتاج إلى العدالة المحققة ، ولا نعرف حقيقتها إلاّ بعد الخلوص من هذه التي شاعت وتناقلها الناس ، وبعد أن يعرف إصلاحه لذلك بالوجه الصحيح في ذلك الوقت وبعده لا في هذا الوقت بعد الدعوة فانه غير مقبول لأن مع ذلك الدعوة غير صحيحة فإذا صح لنا ولأتباعنا حسن الاجتماع وطوت هذه الأشياء ، وكان النظر للعلماء وأهل الخير والفضل ونحن أحبّ الناس للحق وما لنا في القيام بهذا الأمر غرض دنيوي الله يعلم النية وإنما كلّفنا عليه ، وأعلم يا صنو محمد حماك الله أن هذا واجب عليك فتجب عنه وعن وقوعه وعن كيفية اصلاحه ، ثم ترشدنا إلى طريق تسكن به النفس وما كنا نحب ذكر شيء من هذا ولكن المقام صار لله سبحانه وتعالى والدخول فيه والخروج عنه مسؤول عنهما ونعوذ بالله من الهلاك ، وقد أوجب الشرع البحث عما يوجب الشك حتى يزول ، فاعرف هذا ونحب منك حفظك الله تعالى أن تطلع هذا على الوالد زيد بن علي حماه الله لأنه حضر في حرب الحوادث ، وكذلك الفقيه بدر الدين محمد بن علي جميل ، فإنه حضر في حرب نقيل الشبم وقد عرفتم أن التوبة الصحيحة لا تكون إلا بالتخلص من الدماء والأموال على الوجه المشروع كما لا يخفى ، وقد طوينا غير ذلك مما يلهجون به وحسبنا الله ونعم الوكيل ﴿ يَـا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُم ويُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[1] وبعد ثم القصد إنا حملناك وألزمناك هذه الأمانة فتجب عنها وعن التخلص عنها ثم تعرفنا لأنه ينبني على ذلك أحكام شرعية ، ثم ذكر آخره : أنه بلغ وصولكم فانني أبرى من الوصول هذه الساعة لما يحصل من التشعبة على القبائل ولأجل الجراد الذي أكل الثمار .

فأرسل به محمد بن المتوكل إلى أحمد بن الحسن ، وهذا جواب أحمد بن الحسن على المذكور قال فيه ما لفظه :

---

(١) سورة محمد ، الآية (٧)

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله وسلام على عباده الذي اصطفى ﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيراً مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ﴾[1] من عبدالله أمير المؤمنين المهدي وفقه إلى الصنو السيد العلامة النَبيل علم الدين القاسم بن أمير المؤمنين المؤيد بالله حفظه الله وأصلح حاله وسدَّده إلى الخير وأرشد باله وعليه أفضل السلام ورحمته وبعد فإني أحمد الله الذي لا إله سواه وأصلي على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، وأني وقفت على كتابين منكم أحدهما إلى الصنو السيد الجليل العلامة محمد بن أمير المؤمنين والآخر إلى السيد الولد النجيب أحمد بن محمد بن الحسين مضمونهما واحد في أمور قلتم بعد ذكر الاتفاق الذي طلبناه منكم أن في النفس أشياء نذكرها لكم أنه صار من في جانبنا من أهل النظر يطلبون المخلص إلى آخر الكتاب ، فأقول مستعيناً بالله إن كنت فعلت هذه الأفعال في وقت إمام صادق لله فيما أمر ونهى ذي عزيمة وشكيمة معروفة وصلابة ظاهرة ورجعت إليه ومضت مدة مديدة وأنا عنده وبين يديه وختم آخر عمره بأن ولأني بلاد وصاب ، وكان لي معظما مجللاً ، وهل المؤيد بالله داهن صنوه الحسين في شكوى شيخ واحد من مشايخ الحيمة وهو ابن مفضل فرفع يد صنوه من جميع بلاد الحيمة وما بالي بقدره الجليل ، ولا نظر إلى سابقته مع والده ومعه ولا استحى من أخيه شرف الإسلام الحسن بن القاسم فكيف يداهني فيما ذكرت جميعه ، وأنا ولده ولا سابقة لي معه فهل داهنني في جميع ذلك فاستحى مني فما هذه الغفلة منك الكبيرة ، ثم أنت في نفسك أصلحك الله أنه كان الذي يَجبُ عليك عند أول سماعك هذه الأمور عني أن تخرج من واجب أوجبه الله عليك بالقول لي بما عندك في هذه القضايا ولا تسكت حتى تعرف ما عندي فيها ، وأنت تعلم قول الله سبّحانه ﴿كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ﴾[2] وقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يحل لرجل يرى الله يعصى حتى يغير أو ينتقل ، بل كنت عندك أصلحك الله مرضياً بالأمس فلما قمت بهذا الأمر الآن ، قلت فيَّ ما قلت فما عدا مما بدا أليس كتابك إليَّ بخطك في مرض الإمام رحمه الله ما لفظه سيدي ومولاي صنوي بركتي السيد الإمام العلامة شمس الملة والدين

---

(١) سورة الحجرات ، الآية ١٢ .

(٢) سورة المائدة ، الآية ٨٠

وسيّد سادات العترة الأكرمين ، فلما قمت هذا العام صار المخاطب بالإمام وسيد سادات العترة من ألأم الأنام ويرتكب الفجور والآثام ، وأما قتل النفوس في زمن المتوكل فهو عندي من أقرب القرب فإذا أنكر على من قتل علي بين يدي رسول الله في يوم بدر وأحد وفتح خيبر والخندق ويوم حنين أنكر علي بمن قتلت يوم أبين ويوم نجد السلف ويوم يافع ويوم بَحْران بحضرموت ، وأرجو من الله أن يبلغني ما بلغه بعد دعوتي هذه من القتل يوم الجمل وأيام صفين ويوم النهروان ، وأما أمر الفلوس وإني امتنعت من أمر الإمام ، فلو نطق المعترض بالحق لما قال هكذا وإنما راجعته أشد المراجعة رحمة مني لضعف رعيته لأنهم ضجّوا من كسرها وتعبوا تعباً شديداً ، فلما لم يتراجع لي نفذت أمره والأمر ظاهر ويكفيك إنما مات حتى أمرني بالتجهز إلى شام صعدة كما علمت ، وجعلني أمير أمرائه الذين أمر بتجهيزهم ، وفوضني تفويضاً كاملاً ، وولاني بلاد خولان والحرجة فهل هذا الفعل لعصيان مني أو لطاعة له ووصلني خبر موته وأنا بأول مرحلة متجهزاً في طاعته ، وأما الحطروم وقاسم شيحه فالحطروم لم يعاملني مدة حياته وأما قاسم شيحه فهو عميلي الآن وطلع بأشياء من المخا أكثرها صارت إلينا فلو كان تغير كما ذكر لما طلع بشيء وعملي له وغيره مثل عمله سائر الناس أن وجدوا قضوا وأن لم يجدوا صَبر الغريم ، وأنت كذلك بلاشك وهذا دأب الناس في هذا الزمان وغيره ، ومات مولانا المؤيد ودينه ينيف على أربعين ألف قرش فهل ذلك قادح في إمامته ، وأما ما ذكر القتيل الذي أراد الفتنة بين العسكر فلم يقع من ذلك شيء ولو يقع من أحد من الناس الآن إرادة اثاره فتنة بين العسكر لقتلته ، فإنه روى لي الإمام المتوكل على الله وحي الصنو محمد بن أمير المؤمنين أن الإمام القاسم كان يقول من قال : يا حاشداه أو يا بكيلاه فقد حل قتله بأنه من الساعين في الأرض فساداً ، ومذهبي في ذلك مذهبه ، وأما ذكر الخزايا والبلايا على مختلفها عدا من ذكر قتل جارية وكسر يد أخرى ، وفعل بيت مختص بالغنا لا يدخله أحد فلو تأدب بما أدب الله عباده من قول تعالى ﴿ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا﴾ وذكرت قول الله في قضية الإفك والجامع الأخير أو قوله ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾[1] أو قوله صلى الله عليه وسلم «لا تتبعوا عورات المسلمين» وقول أمير المؤمنين «من عرّف من أخيه وتبعه فلا يسمعن فيه أقاويل الرجال» والله أعلم ، انتهى

---

(١) سورة الإسراء ، الآية ٣٦ .

الأصل من القاسم والجواب من أحمد .

وفي كلام الأصل والجواب قوة وضعف والرجوع إلى قوله تعالى ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[1] هو الأولى في ذلك ، كما ذكر لي بعض الفقهاء أنه بقى حائراً في هذه الأحوال مهتماً بها في بعض الأيام والليالي ، فرأى في المنام أنه يقول : النفس علينا من ذلك الإمام من هؤلاء السادة فتليت عليه الآية والله أعلم .

وخذ القوة والضعف في هذين الكتابين ، أما كتاب القاسم فمنه قوله أن الباغي يضمن الدم بالإجماع ولم يبلغنا أنه ودى دية ولا تخلص ، فهذه مسألة خلاف بين العلماء منهم من لم يوجب الدية فلو قال على قول من قال بوجوب ذلك .

ومنه قوله : وكذلك النفوس التي قتلت في زمن المتوكل على الله بغير حقها فما قتل في الحروب مع المتوكل للبغاة ومن امتنع من تأدية الزكاة إليه بعد استقرار إمامة المتوكل فهى ساقطة باجماع العلماء .

وأما كتاب أحمد بن الحسن في جوابه : إن كنت فعلت هذه الأفعال في وقت إمام صادق لله فيما أمر ونهى ذي شكيمة وعزيمة معروفة وصلابة ظاهرة ورجعت إليه ومضت مدة مديدة وأنا عنده وبين يديه ، وختم آخر عمره بان ولاني بلاد وصاب ، وكان مُجللاً لي معظماً إلى آخر ما ذكره ، فهذا ليس بجواب على السؤال والاعتراض وطلب المخلص في ما جرى من تلك الأفعال ، فإن سكوت ذلك الإمام عما جرى من تلك الأفعال وما مضى من تلك الأعمال فليس بحجة في سقوط الحقوق للعباد فإن حقه قد أخذه منه قسراً وقهراً وأسره وأمنه ، وبقى حق العباد متى طالبوه في رقبته هذا ضروري لا يخفي أهل البصائر . ومنهم المطالب له ومنهم الخائف له عن مطالبته فليس بحجة ما قاله بسقط الأمور اللازمة ، وأما ولاية وصاب له فهو كان قبل أن يخرج عليه إلى الحوادث فإنه كان وضع له ولاية وصاب فلم يقبل ذلك منه وسار مغاضباً من ذمرمر إلى ذمار عند صنوه ، ثم دخل وصاب وتقدم على عتمه يحارب السيد مطهر واليها من قبل الإمام المؤيد وجرى ما جرى ، وأما تزويجه المؤيد بالله بنته فليس بحجة لأن رضاء الولي يكفي في ذلك ، وقد غلط الفقيه أحمد بن صالح بن الرجال في رسالته حيث قال أن

---

(١) سورة آل عمران ، الآية ٢٦

المؤيد والمتوكل زوجا من لا يحل تزويجه باجماع العترة ، كيف وهو عند هذا مصرح بتصويب فعله في خروجه على المؤيد بالله فانه ذكر الثقة أنه سمعه يقول ولم يجازي المؤيد فيما فعله معنا ، وقد كان روى رجل من أصحابه أنه ذكر أحمد بن حسن ما جرى معه في الخروج على عمه المؤيد ومحاربته وذكر أن سببه إنعام والده عليه وبره به فتاقت نفسي إلى ما كان ألف وليس فيه غير ذلك .

وأما تأخير قوله إلى هذا الوقت فعذره ما يترتب عليه من الأحكام للرئاسة العامة للإسلام بخلاف قبل ذلك في مدة الأئمة السابقين فالعهدة عليهم ، وأما خطه بما ذكر في كتابه ففيه حجة عليه كما ذكره ، وأما قياسه على من قتل بين يدي رسول الله يومي بدر وأحد فلعل قاسماً أراد مما قتله في غير القتال للبغاة على الإمام لأن ذاك جهاد كفار بين يدي نبي من الأنبياء فأين هذا من هذا . . الله المستعان .

وأما الفلوس التي ذكرها فإنه استمر إلى أن توفى الإمام ولعله قصد المراجعة في ذلك كما ذكره والانتظار فيها حتى ينظر ما ينتهي إليه قول الإمام كما ذكره وفيه ما فيه .

وأما المطل بالديون فالأمر ظاهر مشهور عنه ضرورة ولقد شكى عليّ يتيم قماط في الغنم أنه مات والده وعليه دين ما أوفاه أحمد بن الحسن ولا سلم إليه إلا مائة حرف من أصل تسع مائة حرف أو أكثر ومضت أعوام وهو يطالب أبوه حتى مات أبوه ، وكذلك شهد معه على قوله بعض قرابته وقالوا تشفع لهم بتعريف أحمد بن الحسن فقلت لهم روحوا إلى قاضيه عبد الواسع وهو لا يترك ما يجب عليه ومطل حسن الطحم في ألف قرش صار يدعيها ولم يحصل شيء له و أيس منه وغيرهم كثير .

وأما قوله : إن وجدوا قضوا وإن لم يجدوا صبر الغريم فمخالف للإجماع في الأغنياء مع الجدة وأنه لا يستثني له إلاّ ما يستثني للمفلس وأنت لست بمفلس بل واجد والخزائن مملوءة معك بالضرورة .

وأما الاحتجاج بالمؤيد أنه مات وعليه ذلك القدر فاتفاق[1] موته إثر الاستدانة قبل القضاء في عامه وفي قدر مهلته وأما المطل الطويل أو الخارج عن التأجيل فحرام قطعاً .

وقوله : من قال يا حاشداه يا بكيلا فانه يقتل لأنه مفسد ، فهو قول باطل لأن المفسد في الأرض لابد أن يكون قد قتل وإلا لم يجز قتله فلا حجة بل التأديب له .

---

(١) كلمة غامضة .

وأما إنكار قتل الجارية : فقد اشتهر ذلك وصحّ وهي جارية كانت مع بنته زوج إسماعيل بن محمد بن أحمد بن القاسم بالروضة ، وكذلك تواتر قتل أفراد في المدة السابقة بالضرب بالدبوس كالذي قتل بعد صلاة العيد في باب شعوب لما رمى إلى الدائر للنّصح بعد منعه له وخالفه ، فالتخلص واجب عليه من جميع ذلك والله يغفر ويرحم ، هذا في المجمع على وجوب لزومه من غير المختلف فيه مما جرى في بغيه على المؤيد بالله مرتين في الحوادث ونقيل الشبم .

وكذلك أجاب علي السيد يحيى بن أحمد الشرفي أحمد بن صالح بن أبي الرجال بما ذكر وصفه قاسم بطهارة المنشأ فقال أبو الرجال : التعريض بغيره يريد أحمد بن الحسن لا يجهل فإن العصمة منتفية عن الجميع ، وقال إذا كثرت السيئات وتاب كثرت الحسنات ، ثم ساق ذلك ولكن يقال له التوبة من حقوق العباد لابد من شرطها التخلص وارضاء الخصوم فالأمر مشكل ، ومن عجائب هذا القاضي أحمد بن صالح بن أبي الرجال أنه أكثر الذم والنضال عن أحمد بن الحسن وأول من خطب ، ثم انقلب بآخره في أول سنة ١٠٨٣ مراجعاً إلى الهجو والذم فانه قال : ما أعظم مما وقع منّا – مخاطباً لنفسه – من مبايعة أحمد بن حسن رجل غير صالح وسخط حالته لما رجع من بابه مراراً لما وصل إلى جنابه ويبقى أكثر وقته في عافش وله بعض اتصال بقتال المتوكل ولا قوة إلا بالله بعد أن كان هو أول من خطب ومدح وعظم المهدي بحيث لم يكتف بخطبه وجواباته بل جعل كراسه مستقلة إلى المسلمين في تصحيح الدعوة لأحمد بن حسن وذكر أعيان من عقدها له من السادة والقضاة وغيرهم ، ولقد ذكر كاتب الأحرف فيها وكذب عليّ فإني لم أحضر محضرهم ولا بايعت ببيعة .

وفي آخر شهر رجب : وصلت رسالة من السيد أحمد بن إبراهيم المؤيدي الملقب ابن حوريه من أولها قوله :

وبعد فيقول العبد الفقير إلى مولاه الهادي إلى الحق المبين أمير المؤمنين أحمد بن إبراهيم بن محمد بن أحمد عز الدين بن علي بن الحسين بن أمير المؤمنين عز الدين بن الحسن بن أمير المؤمنين علي بن المؤيد وفقه الله .

حتى قال : ومن دين الله الواجب وحقه الواضح وحقه الواجب أن أوجب على الأمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأن ينصبوا إماما عادلاً لاقامة الحدود والجهاد

والجمعات وتأمين الطرقات ودفع المظالم من غير فرق بين قوى وضعيف ووضع الحقوق في مواضعها في الثمانية الأصناف وشرط الفقير أن يكون غير ما سمى والتسوية وفي نهج البلاغة : وجوب القسم بالسوية . .

ثم قال ولما رأى رسم الدين قد عفا وعلم أن هؤلاء الذين دعوا مع فرض الكمال واجتماع الشروط المعتبرة فهو ظاهر الاختلال لا يسيرون إلاّ هذه السيرة ولا يميلون إلا نحو هذه العادة الماضية التي يخاف في السكوت عليها في معنى الأخذ بالجريرة فانا رأينا المسكين محروماً والضعيف مدحوضاً ومظلوماً والفقراء من بني هاشم وغيرهم لا يجدون في أكثر الأوقات ما يسد جوعتهم ويستر عورتهم وصارت حصتهم من الفي والمصالح دولا ، وقد تكلمنا في الماضي فلم يلتفت إلى أقوالنا ولم يعول على شيء من أعمالنا كذلك رأينا الأخذ من الرعية غير متوقف على كتاب ولا سنة .

قال : فلما رأينا الأمر هكذا وجب القيام بأمر الله والى من هو أصلح علما وعملاً وزهداً وورعاً وبقية الشروط المعتبرة والدعاء إلى آخر ما ذكره مما محصوله هذا ونحوه ، وقد حررت تاسع وعشرين شهر رجب الأصب سنة سبع وثمانين وألف ، فلم يرفع بهذه الرسالة أحد رأساً ولا تلقاها أحد بقبول ولا ظهر لها عند الناس نفوذ لأن صاحبها كان مناقضاً لما فيها فانه مازال يفد إلى الحضرة المتوكلية مسترفداً وطالباً من الحطام المالية والكسوات الهندية كل عام ويسير بها إلى بلاده ، وكان مع ذلك مقطعاً اقطاعاً أتته من قبلة بلاد العشة وما إليها في سباره وأصحابه وهي من غير الزكاة التي نهى عنها وقال بتحريمها وناقض ما ذكره من الاستئثار والمساواة فانه استأثر باقطاعه عن غيره من فقراء بني هاشم وغيره من الفقراء من أهل جهته فكان أمره لنفسه بالمعروف ونهيه عن منكره أقدم وأحرى فإنه يقول الله تعالى ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالبِرِ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُم وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الكِتَـٰبَ أَفَلاَ تَعقِلُونَ﴾[1] ومرفوعات اليمن أكثرها زكاة قد حصلت البلوى بها لأكثر الخلق من الأغنياء وبني هاشم وغيره من الشروط في الفقراء الخالصين ولا يخلو منهم من يصير إليه منها ما يصار على أن المطالب التي ليست بزكاة كثيرة تصير إلى بعض بني هاشم والأغنياء منها جانباً وهم في ذلك وغيرهم على سواء ، وأما الأخذ من الرعية بالمطالب الكثيرة فكلامه حق خصوصاً باليمن الأسفل مما هو لا شك منكر على

(١) سورة البقرة ، الآية ٤٤ .

الماضي والمستقبل وهذه الرسالة سببها لما بلغه أن عقدهم كان مشروطاً للرضى والصالح لها ففرح السيد بهذا الشرط وكان ذريعه له في اقامة الحجة والغرض وقالت نفسه عسى يتأتى هذا ، وكذلك قاسم بن المؤيد صار يحتج عليهم بهذا ، والأمر فيه اختلاف كثير واضطراب شديد الكل منهم بين طرفي النقيض والحال بينهم المعجب المستفيض مما يتعجب منه .

وفي هذه المدة التي مرت بعد موت المتوكل من هؤلاء السادة المتعارضين لم يَرْفع أحد منهم مظلمة ولا مطلبة زائدة ولا عزل والٍ جائر ولا اصلاح خلل حاصل ، بل الأمور على ما كانت عليه في العدين وبلاد جبل صَبِر وبلاد بُرَع وقَعار من الزوائد التي زادها الولاة الذين كان شكوهم ، والولاة أولئك أبقوهم ، ولقد انكشف لمحمد بن الإمام لما وصل ضوران من الخزائن التي لا تنحصر بعدد ، ولا يوقف فيها على حد من الذهب الأحمر والقروش والنقد ، فعجب يحيى جباري قاضي الإمام من ذلك ، وقال : ما كنت أظن أن في خزائن الإمام هذه الممالك . يُريد فما الوجه للمطالب والجور في اليمن الأسفل ولا حاجة هنالك على من يقول بجواز المعونات في الهدن[1] فكيف لمن منعها الآ عند الحاجات وعدم المكن ، وهو يقال للقاضي ، ففي شهارة والسودة وصنعاء غير ذلك من النقديّات والله أعلم لمن تصير تلك المجموعات ، وما دار على أكثرها ثلاث سنين الآ وقد راح منها الجزيل في فتنة شهارة ، ثم في الجوع الحاصل بعدها والغلا ، في الأسعار بسبب الجراد فإنه احتاج محمد بن الإمام إلى كثير منها وتمزق بعضها مع حسين بن المتوكل وبعضها مع غيره من المتصرفين حتى أن منها ما سرقها بعض الخدم ، وكانت الخطب في شهارة متضمنة للحث على الجهاد للبُغاة الخارجين عليهم مع زيادة في الاستحداد ويذكرون الآيات النازلة في قتال المشركين ، وفي وقت الأنبياء عليهم السلام الماضين وما عرفوا فيمن نزلت الآيات ولا من تضمنه تلك الصفات المتلوّات ، كأنهم يحرّفون الكلم عن مواضعه ، وأن هذا من الغلو في الدين الذي نهى الله عنه ، واقطع من عنده من الرؤساء ولايات وعدهم بها وحصل بأيديهم الخطوط فيها من أرض اليمن وهو لا يمر خطه فيها ، لكن أراد الترغيب لهم يعدهم ويُمَنِّيهم ، وجعل لكل من وصل اليه من الرعايا خطوط الجبريّات .

---

(١) جمع هدنة (معروف) .

ووصل هذا التاريخ شكاة العدين الذين أضعفهم الجور والظلم لحسن ظن بهم للإنصاف من هذا الآخر بعد مضي الإمام الأول الذي لم ينصفهم في شكواهم وما جرى عليهم من الاسترسال في أموالهم ، فلما وصلوا الى أحمد بن الحسن صاحوا بالأصوات ، وقالوا : هل أنت ممن يزيل الجور والظلمات ، وتخفف ما صار عليهم من المطالب المحدثات المخترعات ، فأرسل أحمد بن الحسن على واليهم جعفر الجرموزي ولا يعرف ما اليه أمرهم ينتهي . ووصل في أثرهم شكاة من بلاد قعار من واليهم الحاج عاطف أنه استأصل أموالهم بالظلم فطلب الى حضرة أحمد بن الحسن .

وفي يوم السبت سابع عشر شهر شعبان :وصل مشايخ الحيمة الى حضرة محمد بن الإمام فاستلقاهم بالتجليل والإعظام ، ومن افرادهم من سار الى شهارة عند قاسم بن الإمام .

وفي هذه الأيام : ظهر في البحر المقابل للمخا جلاّب انكشف فيها طعام وصل من سواحل الحبشة لما بلغهم الجراد باليمن وارتفاع السّعر .

وفي يوم الإثنين ثالث رمضان : سار محمد بن الإمام الى ضوران يعتذر بتنفيذ وصايا الإمام وافتقاد بيوت الله وحفظ المخازين عن تصرفات أخيه ، ويباعد نفسه عن المخارج الى جهات شهارة لعروض الشك معه في الأحوال ومحبة أن يكون انتظامها بواسطة غيره ، والداخل في الأمر غير مقدور لكن المهدي أحمد بن الحسن ربما يعذره لجلالة قَدْره عنده وكونه القائم ببيعته أول أمره ، واعتذر المذكور بأنه ما كان يظن انه يؤدي الى التفرق والمحذور ، وأنه اذا أدى الأمر الى الشرور والحروب فحاله يكره ذلك ، وأحمد بن الحسن المهدي ، ذكر له أن بعد ابتدائهم في المخارج وارسال جنودهم في المشارق والمغارب ليس بعده ترك ملاقاتهم .

وصل كتاب من السيد يحيى بن ابراهيم جحاف[1] الى من قرأه من الناس فيه تعظيم الاختلاف وما يجري بسببه من الفساد وعدم الصلاح والائتلاف وانتهاك الحرمات ولا وح[2] السيد بل صرح بأنه كان يجب أن يبقى السيد قاسم بشهارة على حالة الإمامة ، والمهدي على حاله ، وأنه كان يوسف الداعي والقاسم بن علي العياني كذلك أيّامهم ،

---

(١) هو الشاعر الأديب المعروف توفي سنة ١١١٧ انظر نشر العرف ٢ :٨٠٠ ومصادر الفكر الإسلامي : ٣٨٠

(٢) كأنه :ولوّح .

وهذا قول غير صحيح واحتجاج غير مليح ، لأن انتصاب قائمين في قطر واحد مع تقارب الديار لم يقل به أحد من العلماء ، ولا يتم به صلاح المسلمين وان الأهواء للناس مختلفة وطباع البشر غير مجتمعة مع طعن هذا في هذا وكل يدعي أنه الإمام الحق . وإنما كان ذلك يتم لو لم يتسمَّوا بالإمامة ويجعلوها حسبة وأنهم في درجة فكل يبقى متصرفاً على جهاته وحوزته غير قاصد لجهة غير ولايته .

وفي هذه الأيام : سار أهل الغصيرة من بلاد حمر إلى حضرة قاسم صاحب شهارة وبايعو وأسلموا إليه واجباتهم فأرسل عليهم المهدي ومحمد بن أحمد والي البلاد من أول بأداب .

ووصلت يومئذ هدية من حضرموت وكتاب الى المهدي وانهم اليه منتمون .

ووصل الشيخ جعفر الذي أرسله محمد بن المتوكل الى السودة بالدراهم التي كانت في خزانة أبيه مجموعة فوصل بها الى ولده محمد بصنعاء .

وفي هذه الأيام : اشتدت الأزمة والغلاء ببلاد الأهنوم ، ولولا سياق حصن مبين من بلاد حجة الى قاسم لما وجد شيئاً فإنه قد كان أرسل قدر ألف نفر رُتبة في مبين وحجة وبقى السياق الى شهارة هذه المدة منها ومن الشرف .

وفي هذه الأيام (شوال) : ارتفعت الأسعار بسبب ضعف الثمرة وأكل الجراد لها بالمرة ولم يبق الآ القليل في بعض الجهات ، فبلغ القدح البر الى أربعة والشعير الى حرفين ومائة ، واشتدت الحاجة مع الكافة ، فالحكمة لله تعالى فيما شاء وأراده واجتمع على الناس عُسْرين الغلاء وهذه الفتنة والله يرحم العباد .

وفي أول شهر شوال منها : رجع زحل في آخر برج الثور بالمشاهدة له . كان قد حاذى الثريا ثم رجع عنها الى الورى .

وفي هذه الأيام حال وقوف الشمس ورجوعها : زادت الأنهار وغالت كثير من الأودية الغيول الخيرية ، مثل وادي سعوان قرب صنعاء اليمن فإنه ظهر غيله وسقى أمواله . وهو قد يخرج في غزر الأمطار وينتفع به أهله في حال ذلك لكنه لا يستمر ظهوره بل يخرج .

ودار هذا الوقت الغلاء في الأسعار مع الأمطار في فصل الشتاء والله يفيض المسلمين بالخير الشامل برحمته .

ونزل هذه الأيام بصنعاء ثلج من السماء في فصل الشتاء عند رجوع الشمس أصبح على الأرض مفروشاً وعلى ساحاتها مبسوطا كالملح المدقوق ، فإذا حميت الشمس ماع ، وقلما يتفق فيها فلذلك يؤرخ ذكره لندوره ، وأما محل عادته فهو جبل قاهر حضور يقع فيه كثير من السنين .

وفي هذه الأيام (شهر الحجة) : اشتد الجوع بمخلاف جعفر بإب وجبلة وبلادها بسبب الجراد الذي حصل فيها مع الجور من الولاة بها ، فمات كثير منهم جوعاً ، وبعضهم نجا ورحل عنها الى تهامة ، وبعضهم الى اليمن الأعلى في أشد حالة . وانقطعت طريق شهارة من الباب العدني ومن طريق سوق الثلوث ووادي رخم وبقى لهم الباب الغربي والطريق التي تنزل من نجد بني حمرة وهنوم الى صومل ومور وجهة الشرف ، وحجة مستمرة الآ أنه قد نفد ما في الشرف من المدافن وحصن مبين ، وانقطع السياق الذي كان من تهامه بعد الاستيلاء عليها من علي بن أحمد بن الحسن وطرد ابن جلا عنها والحكم على بيت الفقيه والضحى وزوال أوامرهم منها فرجع سبار الرتب والعسكر على القبائل فتضرّروا من ذلك وفتر بسببه الاعتقاد الأول الذي كان معهم للقاسم وشاهدوا عياناً ما حل بهم من الضرر بمن عندهم .

وأخبر السيد عبد الله الكبسي عن حقائق حالات القاسم ، وأن العلم والاجتهاد غير حاصل فيه ولا كامل ، وإنما له مشاركة في الفقه لا يخرج به عن التقليد ، وأنه يعرف حاله من قبل هذه المدة مع الاتصال به في هذ الوقت والحضور عنده ، وذكر ما نصحه به من الاجتماع بأحمد بن الحسن وترك الافتراق ، لأجل صلاح الإسلام وتأثيره عن الشقاق مع كثرة المائلين الى أحمد بن الحسن والأتباع وجعل له فرض مسألة للترجي في الانخراط الى المساعدة ، بأن قال له : حيث ذكرت أنه لم يكن لكم عذر في التنحي فانظر الى حالة الحسن في تنحّيه وخَلْع نفسه وترك امامته ومصالحته لمعاوية صيانة للمسلمين ، وهو ممن قال النبي صلى الله عليه وسلم فيه سيصلح بولدي هذا بين فئتين عظيمتين من المسلمين ، وقال فيه الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة الحديث كما في الصحيحين ، قال : فلم يجد ذلك عنده ولا ظهر معه ثمرة قال : والحرب بذيبين الجاري سببه أمر القاسم لمن فيه بالقصد الى حرب عبد الله بن يحيى ومن معه فهو البادي ، قال : والمهدي ما كان عزمه وخروجه من الغراس نيّة الحرب بل الإصلاح والقرب من

القاسم للترجّي في الاتفاق وترك الافتراق ، ولما سئل عن الأمر الذي شاع مع النّاس من اباحة القاسم لأموال المسلمين لأصحابه ووعدهم بانتهابه وتحويلات في بعض بيوتهم لاتباعه ، قال هوشائع ، قال : وعلى الجملة أن أحوال القاسم وصنوه أحمد ومن معه من أهل شهارة موحشة في سوء الاعتقادات بالمسلمين ، فلا قوة الاّ بالله العلي العظيم ، قال السيد عبد الله الكبسي : والسيد أحمد الملقب ابن حورية المؤيدي لما كان قد بايع القاسم قبيل وصول المهدي أحمد بن الحسن ونزل السيد عن شهارة اتفق وصول المهدي فاضطر الى لقياه فأعطاه وأحسن اليه وعذره من البيعة ، وقال له : ليس عليك بعد بيعة القاسم الاّ السكون في بيتك والتوقف حتى يستقر الأمر ، وزلّجه ومن معه وسار جهته ، فلما وصل الى العمشية ببلاد سفيان قصده جماعة من قبائل سفيان وأقصوه وانتهبوه واصتاب [1] بصوب [2] وصنوه معه ، ثم لما قارب صعدة أرسل له علي بن احمد جماعة أدخلوه صعدة واعتقله فيها ، وسقطت إمامته ودعواته التي سبقت وتلاشت اعتراضاته ، فانظر أسباب الخفة ومن يريد الفتنة ، فإنه أولا كان دعا لنفسه ، ثم ثانيا قصد الى قاسم بايعه ، ثم ثالثاً سار الى حضرة احمد بن الحسن ، قال السّيد : وظهر أن المسبّب بذلك أحمد بن المؤيد كتب الى صبارة [3] بذلك لما حصل من السيد المرور على المهدي وعدم تنفيذ أمر صنوه والله أعلم ، وعلى الجملة أن الأمور عجيبة قال : وأشار عليه [4] القاضي محمد قيس لما سار اليه انه يماطل أحمد بن الحسن في المهل وأن مع ذلك لعلّه يرجع الأمر اليه لما كان قد أراد الصلح بأنه يبقى اماماً في بلاده التي قد أجابته ، وهذا إمام في الجهة التي اليه . وهذه قسمة ضيزى ومخالفة للإجماع واتباع الأهواء ، ولذلك لما قام سعد بن عبادة في الأنصار ، وقام أبوبكر قال الأنصار : منا أمير ومنكم أمير ، فقال عمر : سيفان في غمد لا يصلحان ، وانما كان فرضهم الجمع لو أنهم اتبعوا الواجب عليهم وتركوا أهواء أنفسهم وصلاح المسلمين ، أن يجمعوا كلمتهم على نصب واحد منهم ويتركوا التفرق وينظروا لذلك صلاح المسلمين ، اذا وجدوا واحدا منهم كاملا بالإمامة قالوا : فانا متبعون له غير خارجين عن منصبه ، لأن كمال الإمامة هو الواجب اتباعه اذا وجد وحصل أهله ، وإن لم يوجد المجتهد الكامل بشروطها ، وقالوا :

---

(١) اصتاب : أصيب .

(٢) صوب : جرح .

(٣) صبارة : قبيلة ووطن في نهم .

(٤) يعني أشار على القاسم المؤيد بن القاسم

أما الاجتهاد فغير معلوم في أحد أو وجد مجتهد[1] وامتنع فيرجع مع تعذره الى نصْب أمير حسبه ، يجمع شمل المسلمين ويلم شعثهم ويدفع ظالمهم من مظلومهم ، ولا إمامة ولا بيعة ، بل انتصاب لأن البيعة انما تكون لكامل الشروط ، هذا كان عليهم أولاً ، وكان عليهم ثانياً بعد صدور هذا الافتراق وعدم المساعدة الى الاجتماع والاتفاق ، أن يقولوا لهم الواجب عليكم أن تمحوا التسمّي بالإمامة ويَنْتصب أحدكم حسبة من فيه صلاح الأمة أو يكون انتصابكم حسبه في البلاد التي قد أجابتكم وتقرر الأحكام هكذا وتبرم على هذا ، ولكن حصلت الطامة الكبرى وأن كل منهم غير مسلم أنه يكون محتسباً وأنه إمام كامل الشروط ، وهو لا يستنبط مسألة ولا يجيب بعرفان في حادثة ، فهذه القضية الكبرى والحالة التي تزاحمت فيها الأهواء ، وكل من أصحابهم قائم معهم غير معترف بنقص مراتبهم ، وبعضهم مضطر في كتم ما يكرهه من نزع الأمر عنه خشية واتّقاء ، فعند هذا وتعذر انخراطه رجع القول الى قول أهل السنة في تقرير مدّعي الإمامات القهرية بالغلبة القسرية ، فمن غلب منهم جرى عليه أمرهم .

وفي هذا الشهر (شهر الحجة) : اشتد الجوع والغلاء في الأسعار مع جميع المسلمين ، بلغ القدح البر الى خمسة حروف ، والذرة الى أربعة ونصف ، والشعير ثلاثة وربع وعم الغني والفقير والله لطيف بعباده .

وزادت الشدة مع أهل شهارة بقل الطعام لما نفذ حصن مبين هذه الأيام وانقطع السياق من تهامة وعدم الثمار في حجة والشرف هذه المدة الاثمرة حقيرة من الربيع لا تكاد تكفي الآأهلها مع ما نالهم من المشاركة للرتب بمطالباتهم لهم فيها : فضاقت أنفسهم من ذلك الأمر .

وجاء الخبر من الجهات الهندية أنه خرج خارجي على سلطانها من الرازبوت ، وفعلوا مع عساكر سلطان الإسلام فعله عظيمة ومكيدة جسيمة ، فهلك منهم طائفة ثم انعطف عساكر سلطان الإسلام عليهم فكسروهم وقتلوا منهم وكسروا شوكتهم .

وفي هذا الشهر : فرق محمد بن المتوكل اسماعيل الصدقة الهندية التي كان وصلت وهي من سلطان الهند للشرائف والأشراف ، تفرق وعلى الفقراء من أهل اليمن تنفق ، فوافقت هذه الأزمة الشّديدة فصارت في محلها ، وكان للسّلطان بها الثواب الجزيل

---

(١) كلمة غامضة .

خصوصاً مع موافقة الحاجة اليها ، فانظر الى هذه الصدقة التي جاءت من الأقطار البعيدة من غير سؤال خالصة نافعة ، وهذه الدولة كانت هي الأولى بالصرف لفقراء جهاتها وإنه لا يضيع عمل عامل واللّه يقول ﴿وأنفقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مستَخْلَفِينَ فيه﴾[1]

ودخلت سنة ثمان وثمانين وألف

استهلت بالجمعة بالرؤية وبالحساب . وفي هذا اليوم اتفق قران المشتري والزّهرة في برج الدلو ، وكانت الزهرة المرتفعة على المشتري .

وفي هذا الشهر : اتفق أن رجلاً من أهل الظّهرين بحجة مات وغسل وكفن وحمل على نعشه ، فبينما هم في قبره يريدون ادخاله اذ قد انتعش وجرى فيه روحه ، فسبحان المحيى المميت فأعاده أهله الى بيته حيّاً . وأرسل أحمد بن الحسن بكتاب إلى سادة شهارة وفقهائها يقول فيه : بسم الله الرحمن الرحيم السادة العلماء الأخيار زادهم الله صلاحاً وفلاحاً وسلام عليهم ورحمة اله وبركاته ورحماته ، وبعد فإني أحمد الله الذي لا إله سواه وأسلم على نبي الله وآله وأعرفكم أني قد وصلت إلى هذه الجهة أريد جمع الكلمة وتمام الألفة وكان الصنو قاسم قد طلب مني أن أجمع جماعة من السادة والفقهاء أهل العلم ليحكموا بيننا بما يريهم الله أسْعدته لذلك طلبا لحقن الدماء وسكون الدهماء واقتداء برسول الله في قبوله صلح الحديبية على غيض من أصحابه ، ولأمير المؤمنين لما طلب منه معاوية التحكم بعد أن قال علي كلمة حق يراد بها باطل فلما رأوا أن في ذلك حقن دماء وسكون دهماء أجاب وإن كنت وكان صنوي أصلحه الله ليس فينا من هو كقريش أهل مكة ولا كمعاوية وأهل الشام ، وكان الأجل لوصول العلماء إلى خمر بعد العيد فما وصل ذلك الوقت إلا وبلغ أن الصنو أصلحه الله كتب إلى القبائل يَستَنْهضهم علي وأمر أهل هذه الجهات أن لا يجلب إلى هذه المحطة التي أنا فيها شيء مع إيْهامات توجب تخطفاً في الطرقات ، وحسبنا الله من هذه الأعمال الموصلة إلى المقاطعات وما أجر هذا الأمر على ما أراه إلا التسرع منه إلى ما يوجب سفك دماء محترمة ونهب أموال معظمة فإن الهجرَ هذا رتبة وفيه أموال لأهله ولأهل صعدة إذا أثار الصنو الفتنة توجهت إليه عينه ، وكان أمره كأمر ذيبين ، وكأني به يرسل عَينه إلى حبور فتكون فيه ما كان في الصَّلبة ، ثم يقول : نهبت أموال وسفكت الدماء ولا ينظر من

---

(١) الآية ٧ سورة الحديد .

المسبب لذلك ، فأني قد أجابني من صعدة إلى حضرموت ، وما زال يكتب إلى الناس ويقول ما يقول حتى كادت الأمور تنهار ، وجهز على غير نظر ولا اختبار فنهضت ، وكان ما كان الآن وبقى في نفسي هؤلاء الأهنوم فإنهم أهل سوابق عظيمة فيجب عليكم مناصحَة أخي هذا أن يتقى الله في هذه النبذة التي مالت إليه فأني أكبر منه سناً وأشهر كلمة ، وأكثر إجابة ورأياً وخبرة ، والعلم إن أراد أن يختبر فله الاختبار انتهى .

أخبرني القاضي أحمد بن علي العنسي وهو من المائلين الى القاسم ، قال : سأل أحمد بن الحسن سائل في الخطيب يوم الجمعة : إذا قهقه فقال : يتوضأ ، قال : وقال له السيد عبد الله بن محمد الكبسي ان فتوى جاءت الى أحمد بن الحسن في دين لازم لغريمه وليس معه الا الأطيان قال : فأجاب نظرة الى ميسرة فقال له السيد : هذا خلاف الإجماع فإن الواجب مع المطالبة يقطع له من ماله ولا يبقى الا ما يبقى للمفلس ، والقاسم ذكر أنه سئل في أصول الفقه في بحث العموم ، فلم يجد عنده السائل فيه معرفة ، ويقال أن له بعض شيء في الفقه والله أعلم بالحقيقة في ذلك ، ومتحمل هذه الزعامة ان أراد كمال شروط الإمامة ، لابد له من المعرفة الكاملة في مسائل الفقه ، وخلاف العلماء ، وأما مجرد دعوى الاجتهاد ، وأنه يقول كذا أو يقوى فلان كيفما اتفق وظهر له ، ولم يرسخ قدمه في الفقه فمجازفة ظاهرة ، ورأيت فتوى له : في أن امرأة باعت في مرض موتها من مالها بغبن في حجة فهل ينفذ ، أجاب : بأن البيع لا يصح مع الغبن وهذا غلط فاحش على جميع الأقوال ، أما قول الهدوية والحنفية فلأن الوصية بالحج والبيع تنفذ في مرض الموت من الثلث وفي الغبن من الثلث أيضاً ، وأما على قول الشافعية وغيرهم حيث قالوا بأن الحج من رأس المال فينفذ في الغبن من الثلث وأما قيمة المثل فينفذ من رأس المال ، أخبرني بعض السادة أن المهدي أفتى بأن الفقير اذا حج قبل الاستطاعة لا يصح حجّه وعليه الحج وهو خلاف الإجماع ، وأخبرني بعض السادة أنه وقف على كتاب لأحمد بن الحسن من بعض الناس يقول فيه أنها وصلت فتوى منكم وعليها علامتكم في مسألة واحدة مختلفة فيها خمسة أجوبة ينقض بعضها بعضاً ، وهذا تخليط منكم ومن أهل حضرتكم . وصار الحال كما قال تعالى ﴿فَذَرْهُم يخُوضوا ويلعبُوا حتى يُلاقُوا يَومَهُمُ الذي يُوعَدُونَ﴾[1] قال فتغير المهدي من ذلك ، وسألته[2] : هل له معرفة ، وكيف القراءة

(١) الآية (٤٢) سورة المعارج .

(٢) أي سأل المولف ذلك السّيد المار ذكره .

معه في شرح التجريد [١] ، فقال مجرّد حضور وما رأينا هناك شيئاً من العلم الاّ مجرد الحضور ، وأخبرني بعض الفقهاء الثقات أنه سأله سائل وهو بحضرته في مال ابتاع بقروش ، والصّرف يوم البيع بثلاثة أحرف وجاء شافع يشفع والصرف من أربعة أحرف ، فأجاب الشفعة قد بطلت ،قال : وغير ذلك من المسائل يكفي فيها الإشارة قال : وهو مع هذا مصرّح بالاجتهاد ، وسائر الدعاة المعارضين له بينهم وبين الاجتهاد مسافات ومراحل ، ولو أنهم اعترفوا بأنهم منتصبون للاحتساب واصلاح المسلمين وجمع كلمتهم لكان الأولى منهم . وأن العلم والجوابات ما عرفوه أجابوا فيه ، وما لم يكن لديهم معرفته أحالوه على غيرهم من القضاة والحكام من المتفرغين للعلم ، فإن عهدة العلم وثيقة وعراه شديدة ، وما كان عليهم لو اعترفوا وتواضعوا وصدقوا واتبعوا حالة العلماء الذين ﴿صَدَقُوا ما عاهدُوا اللّهَ عليه فَمنُهم منْ قَضىٰ نحبَهُ ومنْهُم من ينتظرُ وما بَدَّلوا تبديلاً﴾[٢] ولم يزكوا أنفسهم اتباعاً لقولَ الله تعالى ﴿فلا تُزكّوا أنفُسكُم هو أعلمُ بمن اتّقَى﴾[٣] ولم يدّعوا العلم الكامل اتباعاً لقول الله تعالى ﴿وما أوتيتُم من العلم إلاّ قليلاً﴾[٤] فما رأينا حالات العلماء من العارفين إلاّ إظهار القصور وعدم دعواهم الكمال اتباعاً لقول الله تعالى ﴿وفوقَ كلِ ذي علْمٍ عَليمٌ﴾[٥] وماذا عليهم لو قالوا بذلك ، وقالوا اذا سئلوا ولم يعلموا : لا نعلم ، وماذا عليهم لو قالوا نحن قمنا لصلاح المسلمين وصلاح ذات البين . وما علمناه قلناه وما لم نعلم أحلناه ، ولكن لما كان المذهب الهدوي والزيدي لا ينصبون الاّ من كان إماماً مرجوعاً اليه ، وعلموا أنهم اذا لم يدعوا ذلك لم يجابوا اليه احتاجوا الى الدعوى لذلك لأجل يجابوا الى ما هنالك ، بخلاف سائر المذاهب فإنهم وإن كانوا قائلين بشروط الإمام الكامل لكنهم اذا غلب غير الكامل قرروه لأجل مصلحة الإسلام وسكون الدهماء ، ولا يتسمون بالإمامة بل السلطنة والإمارة ، مع أن المتغلّب منهم لا يدعي ما ليس في وسعه ولا يعلم به ، بل يكل ما تعلق بالشريعة الى القضاة والحكام . والله يرحم الجميع ويختم بالخير ويصلح أمور المسلمين ، وكثير من الذين نصب أحمد بن الحسن قالوا : ما نصَبناه الاّ حسْبة لا إمامة . والسيد محمد بن علي

---

(١) من أشهر كتب الزيدية في الفقه من تأليف المؤيد بالله الهاروني المتوفي سنة ٤١١ طبع أخيراً «مصورا» .

(٢) الآية ٢٣٠ سورة الأحزاب

(٣) الآية ٣٢ سورة النجم

(٤) الآية ك ٨٥ سورة الاسراء .

(٥) الآية . ٧٦ سورة يوسف .

الغرباني الذي دعا أفتى في مسألة المحتاج أنه يبيع مال الوقف الذي على الذرية ولا قائل به ، فأراد الذي قد اشتراه التخلص ، فسألني وقال : البائع فقير فكيف في ثمن المال الذي سلمه فأجبت عليه أنه يستغل هذا المال المشترى وبحسب قدر قسام الشرك المعتاد في الجهة حتى يستوفي الثمن ثم يعيده على البائع الموقوف عليه فقال إنه سيفعل ذلك .

وفي هذه الأيام : لما قل على علي بن المتوكل المحصول من اليمن الأسفل لخلفه وشداد أهله سار الى ضوران أخذ من خزائنه بعض شيء من المال ، فلما بلغ صنوه محمد بن المتوكل ذلك تغيّر منه كونه وصي والده ، وقال : لم يأخذ ذلك من غير اذنه ولم يلبث ان عاد الى ذمار بها ويصرف منها .

وفي تاسع عشر شهر محرم : كان تحويل السنة ودخول الشمس أول أدراجه في برج الحمل وزحل في الجوزاء راجعاً ورجوعه هذا استمر من شهر رمضان ، والمشتري والدلو والزهرة والذنب في الثور والرأس في العقرب ، وكذا القمر هذا على حساب المتأخرين أما على حساب المتقدمين فيتقدم برج برج من هذا ، والزهرة راجعة يومئذ وهي ستقارن المريخ ، والشمس في شهر صفر قران آخر ، وكانت الزهرة قد قارنت المريخ كما سبق ذكره .

وفي شهر محرم : وصل كتاب تعزية من أبي العرب سلطان بن سيف بن مالك اليعربي صاحب بلاد عمان الى محمد بن المتوكل في والده ، مضمونه : انه بلغه وفاة والده ، صدّره وذكر فيه أنه بلغه قيامه في مرتبة والده وأنه استخلف خليفته وَوَصّى في أصحابه الذين يخرجون بالبضائع العمانية بالرعاية ، فأجاب عليه محمد بن المتوكل بجواب التعزية وذكر له أن الأمر صار الى أحمد بن الحسن .

وكان يوم الثلاثاء عشرين شهر الحجة : قد وصل كتاب المهدي أحمد بن الحسن بن الإمام ، ووصل عقبة يوم الخميس كتاب قاسم وفي طيه كتاب من السيد يحيى بن أحمد الشرفي والكل إخبار بما اتفق من اجتماع القضاه بالرحبة ما بين شهارة وبيت القابعي وأن الحاضر من أصحاب قاسم السيد يحيى بن إبراهيم بن جحاف وصنوه إسماعيل ومحمد قيس ، ومن قبل أحمد بن الحسن القاضي يحيى جباري الذماري ، والقاضي علي بن جابر الهبل ، ومحمد بن إبراهيم السحولي الخطيب بصنعاء ، كان ابتداء قول الحاضرين

من أهل شهارة طلب الصلح في هذه الساعة ، وأما الخلع فمتعذر فيه المقالة ، وأنه يبقى كل من السَّيدين امام في جهته التي قد أجابته ، فلم يجبهم إلى ذلك قضاة أحمد بن الحسن ، وحصل بين جباري ، وبين السيد يحيى بن إبراهيم جحاف هدار وخصام ، ثم افترقوا على غير تمام شيء فكان حالهم كما يقال :

أن القضاة تجمعوا ... يريدون صلحا أحمد

فَصَدَّوا عن ذاك المقام ... وعنه تفرقوا ولم يحمدوا

ولم يحضر من قضاة شهارة الفقيه حسين بن حنش ولا السيد حسين بن صلاح ، والسيد يحيى بن أحمد الشرفي كتابه كان مضمونه صحّة إمامة القاسم عنده وعند ابن جحاف وقيس وإسماعيل ، وبعثوا برسائل إلى الجهات بحكم أولئك الحكام بامامة قاسم فتغيّر محمد بن الإمام من ذلك ، وطلب قضاة صنعاء يكتبون أن الذي ترجّح عنده وعندهم إمامه أحمد وأرسلوا بذلك إليه في كتاب آخر إلى القبائل ، وقام في ذلك وقعد ، وكان طلب القاسم عقد صلح مدة معلومة ويبقى على الإمامة ، فلم يجاب إلى ذلك ونتج عند ذلك ناتجة ، وهو أن محمد بن أحمد بن الحسن بن القاسم تصرف في موزع واستولى عليه ومرّ أوامره ونواهيه ومرفوعاته وقال : هو يحتاج إليه ولا يرضى بمصيره إلى غيره ولا يسامح فيه ، وظهرت التربشات فنعوذ بالله من مضلات الفتن ما ظهر منها وما بطن .

ووصل أول الحجاج على قلّتهم الى اليمن ، وكان وصولهم متأخرا عن عادتهم ، فلم يصل المخفون منهم الأخامس وعشرين ذي الحجة والعادة يصلون العاشور وقبله ، فسألت حاجاً منهم فقال : كان الحج مباركاً وقف الناس الجمعة . وأقواهم الشامي ، ثم بعده المصري ، ثم العراقي قال : وخرج مع الشامي ولد الشريف بركات وأنه كان دخل العام الماضي ، وخرج هذا العام بكسوة لوالده وتقريرات يده وخرج أمير مع الَمحْمل الشامي ، وكان الشامي معتمدهما لكونه من باب السلطان ، وفرحان ساروا وهو بمكة ما كان قد خرج عنها ، وكان دخولهم من طريق تهامة مع فرحان لأجل قلتهم هذا العام ، وضعف حج اليماني عن سائر الزمان ، قال : وكانوا في نية العود مع فرحان من طريق تهامة لأجل قلتهم عن العادة ، فانتظروه ، ثم لما طال انتظارهم اضطروا الى السير

وحدهم من طريق السراة معتادهم متوكلين على الله . ومن يتوكّل على الله فهو حسبه ، فاجتمعوا نحو خمسة وعشرين نفراً ومروا طريق السراة فلم ينالهم مكروه الاّ أنه تأخر وصولهم قال : وكان سعر مكة مرتفعاً بلغت الكيلة الى ستة عشر بقشة مصري ، وأما الأعلاف والحشيش والكلأ فخير كثير وكذلك اللّحوم ، بسبب جراد ظهر في الحجاز ومصر فارتفع السعر بلغ الأردب بمصر الى ثلاثة قروش ، وهو اثني عشر قدحا ، فحساب كل قدح بحرف بدراهم اليمن لأن القرش بلغ الى أربعة حروف في الصرف .

وفي يوم السبت سابع شهر صفر : وصل الخبر الى صنعاء بأنه وقع حرب شديد بين ابراهيم بن حسين بن المؤيد وبين أصحاب أحمد بن الحسن فقتل من الجانبين كثير ، وظفروا به ولزموه أسيرا ، وعند ذلك طلع أحمد بن الحسن الأهنوم وتسور تلك البلاد بجيوشه ، فرمى عليهم من بعض قراه وبيوته فأمر أحمد بن الحسن باخراب تلك البيوت التي وقع منها الرمي بعد الحملة عليهم والقهر فخربها وحرق بعضها . فلما رأى ذلك الأهنوم أقبل اليه كثير منهم مواجهين فأمنهم واطلع الى نجد بني حمرة غربي شهارة وهو وسط الأهنوم ، وهو مجمع الطرق الغربية من شهارة . واختلف خبر القتلى ، فقيل قدر ثلاثين نفراً ، ومن أصحاب أحمد بن الحسن ستة أنفاراً قالوا وسبب قلة القتل في أصحاب أحمد بن الحسن أنهم حملوا عليهم وتَتَرَّسُوا بشمال[1] مبلولة بالماء فكانت الرصاص اذا وقعت في الشمال تطفى ويبطل فعلها كذا يروى وأَسروا كثيراً من الأسرى .

وجاء خبر آخر : أن الحرب بالأهنوم شديدة استمر ت من الأبرق بظليمة إلى نجد بني حمرة كان أولها بالأبرق علي بن إبرهيم بن حسين ومن معه وإن بعض ظليمة احتلت بعد المواجهة ، وقاتلوا مع أصحاب القاسم في جملة المقاتلة ، ويرق عليهم من الأبرق حوادثه ثم لما استولى عليه ومن معه بالقتل والأسر لم ينجل إلاّ بقتول كثيرة من الجانبين ، وأن بعضهم هلك بالحجارة وبعضهم فقد خبره ، وكانت حادثة عظيمة ، ثم لما تقدم أحمد بن الحسن من سوق الثلوث طالعاً إلى الأهنوم عاطفاً رموا عليه من القرى فوق الطريق ، فأمر بخرابها وانتهابها وخربت قرى في سيران ونحوها وحرقوها بالنار وأنها حصلت معرة عظيمة في الأهنوم ومن النساء من هرب حاجاً خارجاً ومنهن من راح

---

(١) أردية من صوف غليظة .

في الحيود ، وانتهب مع ذلك ما في تلك البيوت وكذلك سلاح المحاربين الحاضرين .

ثم انعطف راجعاً بعد هذه العملة الى محطته بحاشف[1] وقد انجلت على قتول كثيرة ولما حصل ذلك الحادث وشاهده القاسم من شهارة وما جرى من ذلك الأمر الكادث وأسر ابراهيم بن حسين وجماعة معهم من أعيانه ، جاء كتابه وأحمد بن المتوكل بأنهم لا يخالفونه ، ووصل الأسرى الى صنعاء معهم السيد صالح عقبات وفيهم السيد ابراهيم بن حسين ، وفقيه من بني الأكوع ، ومن الأهنوم جملتهم أربعة عشر نفراً من مشايخهم ، وخرج عامة أهل صنعاء للتفرجة عليهم خرج أولهم الى أن بلغ الحصبة والطرق ممتلئة فجنبوا بهم الى الجراف للعشاء والتغليس لدخول صنعاء خشية من كثرة المتفرجين ، فكان دخولهم وقت العشاء ولم يترك الكثير من أهل صنعاء التّفرجة من الصغار والكبار ، واجتمع في ضوء القمر للتفرجة خلق كثير ، وصاح عليهم الصبيان بالأصوات والتنصيرات والصولات حتى دخلوا بهم قصر صنعاء على تلك الحالات . وكان الصبيان يقولون لرئيسهم : اين جئت بعقلك ، وبقوا تحت الترسيم .

وجاء خبر : أن القاسم استدعى السيد زيد بن علي جحاف للوثاقة والشروط بينه وبين المهدي أحمد بن الحسن والأكاده[2] فطلع المذكور اليه وأمر عند ذلك بارتفاع رتب بلاد حجة وكحلان . وكانت هذه القضية رادعة لأهل شهارة والأهنوم لم يصدقوا بحقيقتها حتى رأوها مشاهدة لأنهم أهل غباوة مشهورة لا ينظرون في العاقبة ، ولا يعرفون الأمور الغالبة فما صدقوا لأجل غباوتهم ، حتى شاهدوا ذلك بأعيانهم وأبصارهم .

وأما أهل شهارة فانهم مع ذلك قاسوا على الإمام القاسم بن محمد بن علي والإمام القاسم ما قام تلك المدة إلا بملاحم معزوّة إلى علي من منقولات الجفر وغيرها مما ليس عنده بخفي ، وأما عمل هذا القاسم فانه مخالف للملاحم فإن المعروف في المنقولات الجفرية أن الملك بعد المتوكل أحمد بن الحسن والأمور السابقة في علم الله لا تنقلب جهلاً ولا خلفا فلله الأمر من قبل ومن بعد له الملك يعطيه من يشاء وحسبنا الله ونعم الوكيل .

وجاء خبر آخر فيه تحقيق الحرب : كان يوم الخميس خامس شهر صفر . والقاسم كان

---

(١) حاشف بلدة جنوبي شهارة .

(٢) كأنه التأكيد : التوثيق .

قد أمر الأهنوم وظليمة وسائر القبائل أنهم يقطعون الميرة الى محطة أحمد بن الحسن بالمرة وأنهم يمتنعون عن ايصال شيء من المصالح الى المحطة الأحمدية من علف وطعام وحطب وغير ذلك قال فمنعوا ذلك كما أمرهم القاسم وتقرب ابراهيم بمن معه من قبائل الأهنوم وأهل شهاره وظليمة الى جبل الأبرق المطل على سوق الثلوث وهو من بلاد ظليمة وحدّ الأهنوم ، فلما خرج أحمد بن الحسن وأصحابه وأجناده الىٰ حدود أسفال ذلك الجبل رموهم بالبنادق البالغة من أعلا حتى وقع بعضها بين يدي أحمد بن الحسن فأمر أجناده عند ذلك بالحرب ، فطلع عليهم همدان وبنو الحارث حملة رجل واحد وتترسوا بالشمال في أيديهم اليسار ، ولم يُبَالوا بالبنادق حتى بلغوا رأس الجبل وأعلاه واقتتلوا بالسيوف والسلاح ضرباً ، وأسروا وحرقوا بيوت قرى الأبرق بالنيران ، وخَرَّبوها ونهبوها واستولوا عليها عنوة وملكوها ، وأسروا ابراهيم بن حسين ومشايخ الأهنوم وظليمة فيها ، وكان القتل كثيرا والقليل من أصحاب المهدي قتل حول ثمانية ، وأما من أولئك فجماعة كثيرة قيل نحو خمسين وقيل أكثر ، وكانت هذه الحملة لبني الحارث وهمدان أعظم نجدة ، وكل ذلك لما بلغهم أن الأهنوم قالت : أنهم غير شي وأنهم من القصابين استحقارا لهم واستخفافا بجنابهم واستنكاراً عليهم وعجباً بأنفسهم ، والعجب يهلك والكبر مردي مربك ، قال الراوي ممن كان حاضراً في تلك النواحي : انهم قد جمعوا كثيرا من الجمع في ذلك الجبل ، وجهدوا بغاية مقدورهم ، ولله الأمر من قبل ومن بعد ، والملك ملكه يعطيه من يشا من خلقه ، والمهدي أحمد بن الحسن حال الحرب عطف من طريق وادي رجم ، ثم أنفذ الجيوش في تلك الطريق حتى بلغوا الى نجد بني حمرة ووقع بعض مراماة من تلك القرى والجبال ، كانت سببا لخراب القرى التي صدر منها الاعتداء .

ووصل خبر يوم الخميس الثاني ثاني عشر شهر صفر الى صنعاء بكتاب من أحمد بن المتوكل الى أخيه محمد ، يذكر فيه : أنه صدر والقاسم قد استخار الله وبنى على تسليم الأمر الى أحمد بن الحسن وأنه في نية النّزول اليه يوم الإثنين وأنه لم يبق الى جنابه أحد مائل حتى أهل شهارة وهذا[1] خبره . ففرح الناس بسكون هذه الفتن المظلمة والأحوال

---

(١) الأصل : هذى .

المشتته المتعبة والمنازعة المفشلة التي نهى الله عنها والله[1] بجمع كلمة المسلمين على الصلاح .

ونزل أهل شهارة الى الحضرة الأحمدية طائعين مسلمين ولم يبق الا قاسم بن المؤيد فريداً وحيداً حليف هم ، وحزن في شهارة وأحمد بن المتوكل بشهارة يأمر وينْهي ، ولم يبق للقاسم أمر فيها ، واتفق تاريخ زوال دولة القاسم هو هذا اللفظ الجاري (زالت دولة قاسم)[2] فلله الأمر من قبل ومن بعد يؤتي ملكه من يشاء وينزعه عمن يشاء ، وعند ذلك ارتفعت رتب حجة وعيان والشرف وتفرقوا ، وفرغت البلاد وواجهت والله أعلم .

وحصل مع الذين مالوا الى القاسم من البؤس والكدر والحزن غاياته ومن الضيق والانكسار نهاياته ،مع ما كانوا عليه من اعتقاد نصرهم ونصره وتزكية أنفسهم وتزكيته ما لا يوصف ، ومن المبالغات التي لاتعرف ، ولقد وصف من مبالغاتهم بعجائب يحيلها العقل ، منها وصف لي بعض الفقهاء انه حاكاه[3] جماعة من القبائل المائلين الى القاسم بأنه أكل أربع مائة نَفَر[4] من مقلا واحد بين يدي القاسم ، ومنها أن تَيْساً نذر به اليه فغلط صاحبه بذبحه ورجع في نذره ، فهرب التيس ، وقد حز في رقبته الى بين يدي القاسم ، ومنها أن الجراد فيها مكتوب قاسم بن محمد في رقبتها ، فأما الجراد فشاهدنا فيه رقمه الذي لا يزال في كل جرادة برقبتها أشبه شيء بالألفين مختلفين هكذا «×» وهو في جميع الجراد الا أنه يظهر بيِّناً في الجراد الصغير ، والقاسم المذكور تعلقت به دُيُون واسعة استْدانها وتكلف من الناس لطلبها وسؤالهم اياها ولا يفي ماله بالقضاء لها ، فاذا لم يقضها له أحمد بن الحسن من بيت المال والأعشار ارتبك في المضيق وناله اثم التفريط ، فإن حقوق العباد شديدة ، وقد شدّد النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الدين ما شدده لمن أوفى به ، فكيف اذا لم يحصل الوفاء له ، والورع لا يدخل في تكبد الديون وان دخل في شيء للضرورة فاليسير مع العلم من نفسه أن ماله في القضا يفي به من ماله أو مما هو تحت تصرفه ويده ، فأما تجشم ما لم يعلمه وتوهمه انه يقضيه مما يستفتحه فمن الغرور الذي لا يخفى على أهل المعقول وقد قيل أن ديون القاسم هذا بلغت الى نحو مائة ألف .

---

(١) كلمة غامضة .

(٢) في الأصل هكذا «زالت دولت قسمي» .

(٣) حاكاه أخبره .

(٤) النفر . الواحد من الرجال معروف

وفي هذه المدة ظهر نجم وقت السحر له شعاع من قدامه قدر نصف ذراع من مجرى الثريا ومكان طلوعها ، بقى كذلك قدر ثلاثة أيام ثم اضمحل والله أعلم .

والمهدي عند ذلك فرّق اليمن بين أولاد المتوكل أكثرها وبين أولاد أحمد بن القاسم وغيرهم وبقى معه بلاده الأولى وزيادة معها اليسير وكل منهم قال : ما يكفيه اقطاعه ولله قول الشاعر :

ما كل ما في البسيطة كافياً فإذا قنعت فكل شيء كافي

ولما أيس القاسم بن محمد صاحب شهارة عن تمام امامته وما دعاه الى نفسه وما شاهده من الحروب بعينه ، لم يسعه الاّ الهبوط من جبل شهارة والنزول في المحطة ، فاتفق بالمهدي وقفة المسالمة ، وجعل له قطعة من بلاد الشرف يتمتع بها وخاصته وأتباعه وجماعته ، ثم سار الى قرن الوعر ، وقاسم عاد الى جبلة وعرج المهدي عن طلوع شهارة لما في النفوس ، وما ظهر من حالات القاسم وأصحابه من الكمد الذي نزل بهم والبؤس . ووصل الى قرن الوعر قبائل العصيمات مواجهين فتوثق عليهم في صلاح الطرقات وترك التعدّيات . ثم سار عنه الى الفقم طرف العمشية ،فسكن به قدر نصف شهر ، ثم سار الى بركة مداعس وسط العمشية وسكن بعض أيام وأكد على سفيان في الطريق وشرطوا عليه الموافاة لهم ما يعتادونه في حفظها من الملوك السابقين ، والا فليس عليهم درك . فصلحت ، وان حصل على الندور بعض تخطف فيها من قبل دهمة لمن انفرد عن الرفقة ، ثم تقدم يؤم جهات صعدة ، فلما وصل الى العيون قدم وطاقه الى رُحْبان اليوم الأول ، خرج صاحب صعدة علي بن أحمد لاقياً له ومهنئاً ومرحباً ثم تقدم الى رحبان وسكن فيه هو ومن معه من الجنود والأعوان ، ثم دخل صعدة لمجرد الضيافة والصلاة فيها للجمعة ، وكان استقراره برحبان في نصف ربيع الأول من سنة ثمان وثمانين وألف سنة ، ووصلت اليه قبائل صعدة من البلاد الشامية والخولانية رغبة من القليل والأغلب فيهم الرهبة .

وجهّز الفقيه أمير الدين بن أحمد العلفي الأموي الى تهامة ، وأمره أن يبني البرك في أطراف بلاد الحرامية فوصل المذكور الى صبيا وسكن فيها ، وتعذر عليه النفوذ الى حيث أمر اليها ، ثم لم يلبث أن توفي بصبيا ، وكان المذكور قد بقي متولياً مدةً طويلة لعدن وعمر فيه مسجداً قريب الساحل بإسْطوانتين وثلاثة عقود ، وكان المهدي أحمد بن

الحسن قد كتب الى البلاد النجدية والى شريف مكة يطلب منهم الطاعة ، فكان جواب الشريف بركات الاجمال ، وأنه مثل واحد من أشراف اليمن لا يجهل الحق ولا يترك ما فيه الصلاح للمسلمين ولا يرضى بالمحق الا أنه يخشى إذا حصل تغيير من السلطان . ثم تحرك بعد ذلك في شهر رجب الى بلاد نجد ويقال أنه بلغ الى بيشة كل ذلك منه لتسكين بلاده وخشية لا يحصل تغيّر عليه في جهاته .

وأحمد بن الحسن أقطع بلاد صعدة لعلي بن أحمد فطاب بها خاطره ورغب بسبب ذلك الى جانبه ، ولم تطب نفوس بلاد خولان بولايته لأجل أنه كان جعل لهم خطوطاً برفع ما عليهم من المطالب أيام مخالفته على عمه اسماعيل ، وقال لهم : أنتم عون لي على عمي المتوكل ، وجعلت لكم بالنصرة رفع المطالب عنكم في هذه المدة ، فلما انقضت تلك الأمور الماضية ومات المتوكل وصارت الأمور الى هذه الحالة الثانية طالبهم في الذي عليهم من أول العادة فأبوا عنها ولم يمتثلوا أمره فيها وشكاهم الى المهدي ، فطلبهم الى رحبان ، وقال لهم يسلمون ما عليهم من المطالب ولا يخالفون عليا في شيء من المآرب ، فقالوا : اذا لم يحصل منه الوفاء بما وضع فليس لنا بولايته مطمع ونولي بلادنا غيره ونسلم ما علينا له ، فبقي علي بن أحمد بذلك تاعباً . وأحمد بن الحسن صار معرضا لأجل ما عرف من علي من اتباع الهوى ، وعدم مراعاته لما يصلح المسلمين فيما مضى ، فبقي الأمر كذلك وليس عليه في التحقيق الا أن يقول له قد صارت البلاد الشامية الصعدية اليك فحذها[1] وشر ما عليك والا تركت أمرها ومصالحها وأصلحناها .

وفي آخر شهر جمادى الأولى : عاد الجراد الذي كان توجّه الى اليمن الأسفل يؤمّ جهة القبلة من حيث جاء أولاً فضرّ في هذه البلاد التي مرَّ بها في الزراعة أكل منها بعضها وهي نبات . وعند ذلك غلت الأسعار في الجهات لا سيما مع قل المطر في الخريف ، فبلغ القدح بصنعاء أربعة حروف والشعير الى ثلاثة ، وأما الذرة فمعدومة لأجل جراد العام الماضي ، واشتدت الأزمة مع أهل اليمن الأسفل ورحلوا الى البلاد العليا وخلت بالسحول قرى كثيرة وصلبت[2] أموال عديدة وعرضت بأبخس الأثمان ، فلم يشترها

---

(١) تقرأ في الأصل فخبرها .

(٢) صلبت الأرض . يبست ودوت .

أحد لعدم من بقي من الساكنين لاقامتها فلله الأمر ، ومات في اليمن الأسفل عالم لا يحصون ، بحيث أخبرني رجل أنه دخل بيتاً في قرية فوجد فيه سبعة موتى قد ظهرت رائحتهم ونتنهم ، ثم دخل مكاناً آخر فوجد رجلاً في آخر رمق وامرأته ميتة وطفل يرضع منها وقد هي ميتة . قال : فسأل ذلك الرجل ما شأنكم فقال : الجوع وأمر الله الذي قضاه ، قال فاستعبر وحمل الطّفل الى راعي غنم قد رآه فمكنه الطّفل يرضعه من غنمه وسار فاراً من الأمر الذي رآه وأفزعه ، ووصف لي آخر من أهل جبلة وصفا عجيباً وقال : ما قد رأينا مثل هذا الزّمان في اليمن خلت قرى وصلبت أموال ، ومات عالم لا يحصى ، وفقر في الناس كثير وغنى آخرون ممن معه من الحب .

وعلي بن الإمام المتوكل علي الله اسماعيل بن القاسم نزل من ذمار في شهر جمادى الى اليمن فاستقر بإب على ضعف اليمن الذي ينبغي الفرار منه ، فازداد مع أهله التضرّر لما قد نالهم من الحاجة والخلف في بلاده ووصلوا اليه شكاة وقالوا : المطالب متعذر جمعها لضعف البلاد وتفرق أهلها فامهل بعضهم الى الثمرة ، ولم يكن فيه الاّ اليسير من الذرة ، فلما وصلت الثمرة فرّق عليهم المطالب فسلّم من معه شيئاً ، وهرب الآخرون عن اليمن ، فلما رأى ذلك الحال وعاد عليه البَعْض في مرتفعات الأموال طلع منه الى ذمار بعد أن كان جرت يده في اليمن الأسفل مع خُلْفه فلم يحتمله أهله وردّه وهم العدم له ، لأنه أراد طلب ما قد جرى عليه من زمن والده فكان مع كثرة المطالب يحتمله الناس لبركة اليمن والخير الذي لا يزال فيه في أغلب الزمن ، وكان طلوعه الى ذمار في شهر شعبان .

وكان قد مات بيفرس في جمادى الأولى منها علي بن أحمد بن الحسن بن القاسم ، وقبر في حوطة النّقيب علي ، وزال عن صنوه محمد بن أحمد صاحب الحجرية ما كان يخشاه من صنوه ، فإنه كان انفق جميع ما عنده وتغيّرت أحوال قرية يفرس وخرب ، فيها ما خرب قال الراوي : بسبب ما كثر فيها من الفساد من أهلها والرّاوي من أهل اليمن من بني الكاظمي من أهل إب ، قال : وكذلك اليمن الأسفل الذي وقع فيه الحطمة والموت والرّحلة ، أنه اجتمع عليهم الجور والفساد لعدم الغيرة منهم والقدرة على الدّفع عن حرمهم وبيوتهم من عساكر الدولة ، فانهم ينزلون بيوتهم ويختلطون بحريمهم

وأولادهم ، ويقع ما يقع من الفساد وعدم قدرتهم وضعهم عن الدّفع عن أهلهم ، وترك الصلاة الواجبة له فلا حول ولا قوة الا بالله .

ومحمد بن احمد بن القاسم ، عاد من خمر الى عمران بالبون فسكن في دار له هنالك ووصل اليه متعيّنات بلاد حجة ، وذلك جميع الدفعة وتصرف في بلاد كحلان واستمدت يده في المشاكي الى بلاد عفار ، وفتح عند ذلك دار الضّرب ، فتعب من ذلك محمد بن المتوكل واستثقل أمره ، وكتب الى المهدي : أن ضريبة عمران كثر فيها الغش وأن الأولى رفعها ، وأودع محمد بن المتوكل الى محمد بن أحمد بذلك ، وأنه ينبغي ازالة ما هنالك فلم يسعد محمد بن أحمد وأجاب بأن الأمر قد تغير عن الوقت الأول ، وقد زال الأمر وانتقل ، وأن الضرائب اذا زالت كلها أزلناها ، وما المخصّص لنا دون غيرنا في ازالتها ، ولكن ضريبة عمران لا سيما بآخرها حصل فيها غش كثير بسبب أن محمد بن أحمد يقبض من التجار الحصة التي للدّولة على الضريبة قروشا ، ثم يتركهم يضربون على ما شاؤوا ، فلذلك غشوها لأكثر من نصفها من النحاس .

وأحمد بن الحسن هذه المدة برحبان ما زال يتحدث بالتّقدم الى البلاد النجدية والى الجهات الحسائية أو المكية والحجازية ، ويقول : في بعض الملاحم التي أظهرها الإمام القاسم في دولته ، وأنه يملك الى عَقَبَة مصر الثالث من ولده . وربما كتب الى محمد بن المتوكل بهذه النية وما هو عليه من الهمة العلية ، فأجمع الناس عاقلهم وجاهلهم أن التّعدي عن اليمن الى غيره ومفاتحات بلاد السلطان عين الخلل في عواقبه ، وأن السلطان قد صار في مزيد قوة في هذ الزمان على ما كان ، فقد يؤدي تحريك تلك الجهات الى تحريكه والعزم والالتفات الى تخريجه ، وكتب محمد بن المتوكل اليه بمثل هذا الرأي ، وأن الناس كافة غير منخرطين مع ضعف اليمن أيضاً في هذه السنين ، وتعقب ذلك أن تفالت أصحابه من حضرته وانسلوا من حوزته فلم يبق عنده برحبان غير خاصته ، وطلوعه الى جهات بلاد نجد وأمور من جهات السلطان متوهمات ، انقلب المذكور راجعاً الى عيان أطراف بلاد سفيان في شعبان ، واستقر به رمضان . وفترت تلك النّيات واضمحلت تلك الإرادات ، واجتمع عنده في العيد قبائل سفيان في العصيمات ، ووصل اليه صاحب صعدة ، ومحمد بن أحمد سار من عمران الى خمر ، وكان عنده

في عيان بجميع من يتعلق به ومن حضر وأردفه أحمد بن المويد عنده[١] بعيان معه .

وفي غرة شهر شعبان منها : وصلت كتب أحمد بن حسن الى محمد بن المتوكل صاحب صنعاء يذكر له فيها : أنه رأى أن اليهود كثرت ضريبتهم المشبهه على دار الضرب وفيها نحاس كثير وغش وكثر منهم بيع الخمر من المسلمين وأعمال السحر ، وأنه قد رأى اخراجهم من جزيرة العرب لما ثبت في الحديث عنه صلى الله عليه وسلم ، قال : «أخرجوا اليهود من جزيرة العرب»[٢] وأنه مع هذا الذي رآه لا يستغني عن استمداد الرأي في مثل ذلك ، فعرض محمد بن المتوكل الكتاب على جماعة من الحاضرين ، فأجاب الفقيه أحمد بن صالح بن ابي الرجال ، بأن الرأي اخراجهم عن جزيرة العرب ولا يبقى منهم أحد وصنف في ذلك كراسة[٣] كل حججها مقلوبة معلولة ، ووافقه يحيى جباري قاضي ذمار ، فاستحسن اخراجهم مصانعة ومسايرة للمهدي ويحيى بن حسين بن المؤيد كثر في تحريض المهدي باخراجهم ، وقال القاضي محمد بن قيس : الأمر كذلك وأنه لا ذمة لهم في اليمن ، وليس من مساكنهم لكنه يجب عليكم تأمينهم وحفظهم من تخطفات القبائل الى مأمنهم لقوله تعالى ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّى يسمَعَ كلامَ الله ثم أَبْلغهُ مَأْمَنَهُ﴾[٤] وأجاب القاضي محمد بن علي العنسي بأنه يخرج المفسد لا غير . وأودع محمد بن المتوكل الى كاتب الأحرف : ما ترونه في هذا ، فقلت للرسول : ما أقول شيئاً غير ما قال العلماء السابقون والعلماء المحققون ، فهذه المسألة قد فرغوا منها وقرروها في كتبهم وحرّروها ، فلا ينبغي منها قول يخالف ذلك ، وهذا كتاب «البحر» أجمع كتاب في الخلاف وأقوال العلماء في آخره في السير يقول فيه : أن المراد بجزيرة العرب هو الحجاز لا غيره ، وأن مراد النبي صلى الله عليه وسلم بالجزيرة لحديث آخر رواه البيهقي وغيره أنه قال صلى الله عليه وآله وسلم[٥] «اخرجوا اليهود من جزيرة العرب» من تسمية البعض باسم الكل ، فأجاب محمد بن المتوكل على احمد بن الحسن المهدي : أن الحاضرين بصنعاء اختلفوا في ذلك ، فمنهم من قال : يخرجون ، ومنهم

---

(١) الأصل : عند ولعل أصل اللفظة «عيِّد» والله أعلم .

(٢) البخاري ٤ :١٨٥ وأبو داؤد :٣٠٢٩ واحمد بن حنبل ١ :٣٢٢ والبيهقي ٩ :٢٠٧ .

(٣) نشرها الاستاذ عبد الهادي التازي في مجلة «دراسات يمنية» عدد :٤ رمضان ١٤٠٠ ، ص١٢٣-١٥٨ .

(٤) الآية :٦ سورة التوبة .

(٥) أخرجه احمد بن حنبل ١ :١٩٥ ومجمع الروائد ٥ .٣٢٥ .

من قال : لا وجه لإخراجهم ، وأن من صدر منه ضريبة وغش وبيع خمر وجب تأديبه ، وجاء أمر منه بعد ذلك بأنه تخرب جميع الكنائس ، فأخرب في البون على طريقه لما عاد ما أخرب ، وكذلك أخرب ولاته باليمن الأسفل بعضاً من الكنائس ، وأمر بإخراب كنيسة صنعاء ، فراجع عليها محمد بن المتوكل وقال : هي قديمة غير محدثة ، ووجد في سيرة صنعاء للرازي [1] انها من زمان النبي صلى الله عليه وسلم ، وذكر أنها قبلي المدينة قريب الباب وأنها التي نزل بها وبر بن يحنس الصّحابي الذي أرسله النبي صلى الله عليه وسلم على الأسود العنسي الكذاب ، وذكر الرازي في تاريخه [2] الكنيسة الأخرى التي كانت للنصارى وأنها خراب بقى منها عقود ، ولعلها التي كانت في القليس ، وكنيسة اليهود غيرها في الربع القبلي من المدينة يلي الغرب باقية الآن ، الله أعلم ما يتم من أمر احمد بن الحسن فيها ، وخربت كنائس كوكبان وشبام وتلك الجهة ، وروى عن الفقيه أحمد بن أبي الرجال أنه ذكر القاضي زكريا من علماء الشافعية قرر وجوب اخراجهم من جزيرة العرب ، وهو كذب من أحمد بن صالح على القاضي زكريا ، فانا رأينا مصنفاته في مثل شرح الروض ، وشرح مختصر المنهاج له ان الإخراج مختص بالحجاز لا غيره ، كما يقوله سائر الشافعية ، والعلماء جميعاً مقررون : الحنفية والشافعية والحنابلة في كتبهم أن الأمر من النبي صلى الله عليه وسلم باخراجهم انما هو من الحجاز ، وقد أخرجهم عمر امتثالاً لأمر النبي صلى الله عليه وسلم لا غيره . ولم يخالف في ذلك الا المالكية فقالوا يخرجون من جميع اليمن ، وأما قول القاضي محمد قيس بأنه لا ذمة لهم ولا عهد فمصادم لما في سيرة ابن هشام [3] بمعاهدتهم في كتاب عمرو بن حزم الى اليمن وكتاب معاذ بن جبل لما أرسلهما النبي صلى الله عليه وسلم ، والكفار مما ينبغي ابعادهم وتسفيرهم الا أن الذمم بعد عقدها لا يخفى ما في نقضها ، ولأن ظلم أهل الذمة يسبّب زوال الدولة كما ذكره ابن هشام في السيرة وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وعلى الجملة فان المتورع في هذه المسألة لا يجيب بلا ولا بنعم لأن ولاية الكفار منقطعة عن المسلمين فلا يكون ظهيراً للمجرمين . وانما حكينا حكاية ما قاله العلماء الماضين في العهد لاغير ذلك ، ولذلك لما طلبنا نعد في جواب القاضي احمد بن صالح بن أبي

---

(١) تاريخ صنعاء : ٨٠ .

(٢) تاريخ صنعاء : ٣٢

(٣) سيرة بن هشام ٤ : ٤٣٦ .

الرجال في رسالة ، كان الجواب معلوماً لكنا تركناه تورعاً ، وقلنا أقوال العلماء ظاهرة فقلدوهم وافعلوا فيهم ما ذكره العلماء في أمرهم .

ولما طلعت الحمولة من المخا وجاءت طريق تهامة حتى خرجت إلى الهجر لقاها المهدي برحبان قبيل نزوله إلى عيان جماعة من العسكر لحفظها في طريق العمشية فاتفق أنهم لما شدوا من حباشه بآخر العسكر للغدا في حباشه فقصدها دهمة عند الضيق هنالك لما رأوها ولا رفقه معها فدافع عنها الحمالة وصاحت الصوايح حتى وصلت الغارة وكان أحمد بن الحسن بَلغَه وهو في التمشية ثم تعقب خروجه إلى عيان واستقراره فيه .

وفي هذه المدة : انقطع الفقيه احمد بن عبد الله الجربي في بيته بالروضة من مُتنزهات صنعاء وتزهد ولم يقبل من الدولة عطاء واكتفى بدرس القرآن والختم يهديها لمن أعطاه منها ، بحيث أنه مرة سرقت حوائجه وثيابه فأرسل له صاحب الروضة بكسوة فردها وصار يكتفي بالبلغة فيها ، وقد كان قرأ كتباً مثل شرح الأزهار والتذكرة ، وكان له اقامة بعض المساجد فترك ذلك كله ، وصنوه الذي اعتراه الجذب ، وخرج من صنعاء ظهر هذه المدة انه الذي يسكن بجبل جبع مابين حفاش والمحويت ، وصار متوارياً هنالك يتصل به جماعة ويقيضون له الفتوحات والله أعلم .

ورفعت هذه الأيام (شهر شوال) : الضرائب التي كانت لعلي بن المتوكل باليمن الأسفل وضريبة صنوه حسن بحبور ، وضريبة محمد بن أحمد صاحب عمران ، وضريبة كوكبان ، واستقرت ضريبة محمد بن المتوكل بصنعاء وضريبة الغراس بذمرمر .

وجهز أحمد بن الحسن مع الحجاج طريق تهامة السيد صلاح بن عز الدين كاتبه ، وأمر معه من الصر ما كان قد فعله المتوكل .

وفي شهر ذي القعدة : سرّج مسجد النهرين الذي جنب سائلة وادي صنعاء كما سرج في الأيام السابقة .

وفي عاشر شهر القعدة : اقترن المشترى والزهرة في برج الدّلو وكان المشتري المرتفع .

وفي هذه الأيام ذكر الفقيه حسن بن محمد المغربي[1] بصنعاء انه لم يجد دليلاً متواتراً قطعياً في الحجة على إجماع أهل البيت غير آية التّطهير على من احتج به في ذلك واجماع أهل البيت لا يقول به الا الإمامية ومرادهم بأهل البيت الاثني عشرية لا غيرهم ، كما عرف من قاعدتهم ، وعند الزيدية جميع علمائهم ، وبعض الزيدية وافق أهل السنة أنه ليس بحجة وبعضهم ، قال : وان كان حجة لكن أدلّته ظنية والمسألة مختلف فيها وإنما الحجة إجماع الأمة مع ما فيه أيضاً من الكلام في كونه ظنّياً والله أعلم .

وفي هذه الأيام : وقف أحمد بن الحسن على سيرة أحمد الشرفي[2] التي صنفها في سيرة الإمام القاسم وولده المؤيد ، وذكر فيها قول المؤيد ببغي أحمد بن الحسن عليه أيام خروجه ، وذكر كتبه ونصوصه ، فتغيّر أحمد بن الحسن من ذلك وقال : هذه السيرة لا يلتفت اليها . وأمر السّيد يحيى العباسي[3] الشاعر أن يصنف سيرة أخرى تكون ألفاظها موافقة للهوى ففعل السيد يحيى العباسي العلوي ذلك على ما يهواه[4] وما اشتبه عليه عرضه عليه وهو يكتبه بخطه كما قال الشاعر :[5]

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى ... فوافق قلباً فارغاً فتمكّنا

ولما وصل العباسي الى وفاة المؤيد بالله وقيام صنوه أحمد بعده ، قال العباسي لأحمد بن الحسن : ما سبب عدم القيام بدعوة أحمد وما عرفنا ما نكتب حال دعائه لكم وترك ذكره بياضاً ، فَطَلَبها منه وكتب بخطه : إن السّبب انه ادعى العصمة وأن الولاة يكونون مثله ، وليس كذلك وانما السبب الذي عرف أنه وغيره من الرؤساء طلبوا ولايات ،فلما لم تحصل منه وأجاب بتعذر مطلبهم لم يتم منهم له الإجابة .

وفي شهر القعدة منها : أرسل السيد محمد بن علي الغرباني الساكن ببرط رسالة يقول فيها بعد الترجمة وذكر القاسم بن المؤيد وأحمد بن الحسن وانهما غير كاملين بما عنده ما لفظه : وكُنْت دعوت لما عليه من كمال نظامها في عدم علمي انه فيهما . وفي مع كثرة من المرجحات ووفرة من المصححات لما رأيت البدع قد حمت على الأبدان

---

(١) من العلماء الأجلاء تفرغ للعلم ولم يتزوج قط توفي سنة ١١٤٢ «نشر العرف ١ ٥٠٠» .

(٢) يعني بها كتاب اللآلي المضيئة الملتقطة من اللواحق الندية في اخبار أئمة الزيدية (مخطوط ضخم) في ثلاثة مجلدات . منه عدة نسخ خطية انظر مصادر الفكر الإسلامي ٤٨٨ .

(٣) هو يحيى بن أحمد العباسي «ترجمته في نشر العرف ٢ ,٨١٢» .

(٤) ثم جمعه في كتاب اسماه «نفح الصور بذكر آل القاسم المنصور» منه نسخة خطية بجامع صنعاء «انظر مصادر الفكر الإسلامي ٤٩٥» .

(٥) المجنون «تزيين الأسواق ١ ١٢٠» .

صروحاً وزرّت على البلدان مسوحاً ، ولم يبد عالم في حَنْدسها شعاعا ولا بلّ كاتب بمداد إنكارها يراعاً ، بل عميت عليهم يومئذ فهم لا يسألون واشتد العمى على الأكثر فهم بمن أنكرها يتهازلون . فدعوت رغبا في الفوز بدرجات السبق الفاخرة وما أكرم الله به ذويْه في الدنيا والآخرة وترهبا من ظهور الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون وتضييع ﴿ولْتَكُن منكُمْ أمَّةٌ يدْعُونَ الى الخير ويأمُرُونَ بالمعروف ويَنْهَوْنَ عن المُنكَر وأولئكَ هُمُ المفْلحُونَ﴾[1] وقول أولى الأمر ﴿إنَّا وجَدْنا آباءنا على أمَّة وإنَّا عَلَى آثارهم مُهْتَدُونَ﴾[2] وتَصْميمهم على تلك البدع وهم يحسبون أنهم مهتدون ، وكان كثير من الأنام من العلماء والعوام متوقفاً في صحّة امامتي متردداً في شمول زعامتي توهما بسبق دعوته ويستمد من المجد لذروته ، ولم يدر أن دعوتي العادية ضبحاً المورية قدحاً المغيرة صبحاً المثيرة نقعا . هذا مَضْمونها وأكثرها بلفظها وقال حررت يوم الاثنين لتسع خلت من شوال سنة ثمان وثمانين ، ثم عقب ذلك بقصيدة مستهلها قوله احمد ربي المهيمن ذا النعم الغر والسناء الباهر :

يأيها الناس فاسمعوا ثنائي	سماع خاش لربه حاذر
ها قد دعا خمسة وكلهم	قد ادعى أن سهمه القامر
أكبرها جاعل المكوس له	دينا لديه مضيعها خاسر
عكس في السوق والطريق	جميع الناس من مؤمن وفاجر
وقلدوا الأمر منهم رجلاً	من دونه رب حاجب باسر
مستاثراً مؤثراً لأسرته	كأنما مال ربه هادر
وليس في العلم راسخاً قدما	إلا أماني يقرح الخاطر
مقسم للبلاد بين ذوي	قرباه بقسمة حاجر
أكبرها جاهل ولايته	خيانة للإله الحاشر

مع ما فيها من الانزحاف وعدم الفصاحة وقد جعلها ساكنة القافية والا فكان فيها لحن ظاهر . . وساق في القصيدة وذكر أن هذه الدولة كدولة كسرى وقيصر ثم بعد ذلك ذكر في هذه القصيدة الثناء على نفسه بالكمال والصفات المرتضاه في الرجال وأن غيره في

(١) الآية ١٠٤ سورة آل عمران .
(٢) الآية ٢٢ سورة الزخرف .

حيّز الاهمال وإنما تشدده لإنشاء هذه الرسالة والتّفوه بهذه المقالة ما ظهر له من عزم احمد بن الحسن على ترك القصد إليه وأنه قد صار يريد التعريج والارتحال من حدود تلك البلاد التي لديه فأمن الجناب وجدد الدعوة ومدّ في الخطاب ، واعتقد في هذه الدولة ومن معهم البغي والعناد ، فلا قوة إلا بالله العلي العظيم ، ولكنها شنشنته في البلاد اليمنية معتادة وأحوال الملك لمن أراده من يحط لجانب من خالفه وتركية نفسه ومن أجابه ، والدنيا لو عرفها الإنسان غرارة والدخول في تكاليفها لا يُكمل بها العبد الضعيف ولا يتم له فيها مراده ، ولو عرف هذا معنى قوله ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَٰوات والأرض والجبَال فأَبَيْنَ أن يَحملْنَهَا وأشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإنسَٰنُ إنَّهُ كانَ ظَلُومًا جهُولاً﴾[1] لكان عند ذلك يعرف عجزه عن الوفاء بها ، ولو عرف بقوله تعالى ﴿فَلاَ تُزَكُّوا أنفُسَكُم هُوَ أعْلَمُ بِمَن اتَّقَىٰ﴾[2] لكان ذلك رادعاً عن مدح نفسه وتزكيته ، ولو عرف بمعنى قوله تعالى ﴿ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها﴾[3] وقوله تعالى ﴿وَلا تَكُونُوا كالذينَ تَفَرَّقُوا واخْتَلَفُوا من بَعْد مَا جَاءَهُمُ البَيِّنَٰت﴾[4] وقوله تعالى ﴿فَلاَ تَغُرَّنَّكُمُ الحَيَوٰةُ الدُّنْيَا﴾[5] وغير ذلك من الآيات القرآنية والسنة النبوية التي يضيق ذكرها هنا لأن هذا تاريخ لإيراد فيه إلا الأخبار لا المحاججة والجدال .

وبعث السيد محمد الغرباني بتلك القصيدة[6] الأولى الى بعض الجهات ويحث على الدّعا للناس الى الإجابة له مع تطليحات وأن الهجرة الى حضرته كالواجبة على زعمه والقيام بنصرته ، وفيها بعض تحويل للقصيدة السابقة ، وذم فيها دولة احمد بن الحسن وولاته وأتباعه وهو لم يشعر أن هجرته التي هو فيها مما يجب بالإجماع الهجرة عنها ، لأن فيها أحكام الطاغوت ظاهرة شاهرة ، والشريعة فيها انما هي لمن يشاء من أهلها على سبيل المراضاة لا القهرية ولا الأخذ من الحاكم ان وجد فيها عليهم باليد القوية فالعقود بينهم على هذه الصفة لا تحل ، لأن أحكام الطاغوت كفرية بنص الله تعالى في كتابه العزيز حيث قال : «وَمَنْ لَمْ يَحْكُم بمَا أنزلَ اللّهُ فأولئكَ هُمُ الكافرونَ» [7] ونحوها من

(١)سورة الأحزاب ، الآية ٢٧

(٢)سورة النجم ، الآية ٣٢

(٣)

(٤)سورة آل عمران ، الآية ١٠٥

(٥) سورة لقمان ، الآية٣٣

(٦) انظر الرسالة والقصيدة في الأصل واعتذر صاحب طبق الحلوى عن ايرادها بقوله «ومنعني عن ايداعهما فيه ما رأيت فيهما مما يكلم ويثلم أسبل الله على الجميع ثوب ستره»

(٧) الآية ٤٤ سورة المائدة

الآيات الكريمة في الطاغوت والصفات الذميمة ، هذا حيث كان دعاؤك الى الهجرة أيها السيد لغيرك فأنت المدعو لها المخاطب بها ان كنت تعرف وتعقل مع ما في التفريق بين المسلمين من المخالفة لنهي رب العالمين . وكان الأمر كما قال الشاعر :[١]

لهوى النفوس سريرة لا تعلم   كم حار فيها عالم متكلم

وفيها بعض القضاة من بني العنسي تراهم يتدينون وينكرون على غيرهم بزعمهم وهم المستنكر عليهم بقعودهم في بلاد تجب الهجرة عنها ، فان بلاد برط وسفيان التي صاروا فيها يحكم فيها بالطاغوت على رؤوس الملا لا ينكر ذلك أحد ويقطعون السبيل وقد ذكرت لبعضهم ذلك ، فقال : ما يكره تركه لها الآن له منها زكاة تصرف اليه ، فانظر كيف آثر الدنيا على الدين فلا قوة الا بالله ، وأمثلهم قال لما اعترضته : ان محلته وجيرانه شارط عليهم ان لا يحكم أحد منهم بالطاغوت في بلده ، ولكنهم يحكمون به في غير حوطته . وهذا غير مسوغ[٢] له في التخلّص من العذر في ذلك كما لا يخفى . ولما كثر منهم هذه السّنين النهب وأذية المسلمين ابتلاهم الله بالقحط والجوع ، حتى خلت أكثر بلادهم وطاشوا في الأرض ، وأما طعن السيد في احمد بن الحسن ، فإنه أميرٌ محتسب وان كان عند نفسه اماماً ، وأما شروط الإمامة فهي في الجميع غير حاصلة ، والملك لله يؤتيه من يشاء وأهل اليمن هم كثيرون في الاختلاف والدعاوى ، فلعل هذا لكون يده قوية في مصلحة خدم أولئك وحسم شجارهم واختلافهم ، ووجدنا الدلائل القرآنية والسنة النبوية دالة على أن مقصود الشارع حسم الهرج والفتنة ، والسعي في صلاح الأمة وفي الخروج بعد هذا الاستقرار ما لا يخفى من الهرج والتهييج للفتنة والأشرار ، وكل أحد ممن يخاف الله ويتقيه يتورع عن اشعال نار الفتنة ولا يبتغيه ، ففي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم[٣] «الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها» ثم انا رأينا في الجفر المنقول عن الإمام علي ذكر أحمد بن الحسن باسمه بعد موت عمه بحروفه في «مختصر بعض المطالب من جفر الإمام علي بن أبي طالب» الذي أخرجه الشيخ طاهر المغربي لوالده الحسن بن القاسم . ورأينا أيضاً في جفر آخر الذي فيه الملاحم لمحمد بن سالم يذكر فيه صفة اسماعيل بن القاسم ، ثم ذكر بعده خادمه الملك بن الحسن حيث قال ما

---

(١) هو المتنبي من قصيدة مشهورة مطلعها هذا البيت .

(٢) في الأصل : مصوغ .

(٣) أخرجه الرافعي عن أنس «الفتح الكبير ٢ :٢٨٠»

لفظه : المائة الحادية عشرة يظهر فيها الظلم ويبطل فيها الشرع فتصير الأرض هملاً كأيّام الفترة ولا تجود السماء يومئذ بقطرة . وفيها يظهر الإمام الرحيم صاحب القلب السليم فينفي الغين وينهي عن كل شين . وبعده سبطه القوام المعروف بالإمام يعاديه أقاربه ويحبه وزيره وصاحبه ، وبعده خادمه المنسوب الى الحاء وهو الملك الزاهر فيقرر المقررات ويعود العوائد ، وفي سنة ٩٣ يظهر الخراب ويمزق الكتاب . وهو أعلم بالصّواب الى آخر ما ذكره ، فقد أفادك ذكر الإمام القاسم ظهوره وقلة المطر في هذه المائة وكثرة القحوط وهو كذلك ، وبعد سبطه أي ولده وهو اسماعيل تطول مدته وتمكن بسطته ، وأسقط المؤيد ، وبعده خادمه هو أحمد بن الحسن المذكور خادمه ومناصره ، والقائم بدعوته وأوامره في أيامه ، وهو ملك كما وصف ، فبعد ذكره في الجفر لا يمكن ان يتم لأحد معارضته أصلاً ، وهو ملك من الملوك أعطاه الله ذلك كما أعطاه غيره قبله ﴿قُلِ اللّهُمَّ مَالكَ المُلْك تُؤتي المُلكَ مَن تَشَاءُ﴾[1] والله يصلح المسلمين . أما يكفيك ما قد جرى بين المهديِ أحمد بن الحسن والسيد قاسم بن المؤيد في الفتنة ، وطول المكاتبة بينهما والمناظرة وإرسال الحكام لقصد جمع الكلمة . فلم يحصل بين الرجلين تسليم للآخر حتى وقع بينهما التشاجر ، وكان المحكم بينهما السيف الذي جرى ﴿ولو شَاءَ اللّهُ ما اقتتلُوا ولكنَّ اللّهَ يفعلُ ما يريدُ﴾[2] ولم يكن للأقلام بينهما جدوى ، وقد سكنت الأمور بعد ها فما الفائدة في رد الفتنة جذعا ، أما تعتبر أيها السيد الى ما مضى وتقول على الدنيا العفا وأن الملك لله يؤتيه من يشاء ، حيث قد تمّ إعراض المذكور عنك فذاك عده أعظم غنيمة ، وأسكن كما سكنت في المدة السابقة في مدة المتوكل ان كنت تحب تأثير المصلحة . ولو رجع السّيد الى داره وبين أهله وأرحامه وخَمل وسار سيرة أمثاله ، لكان هو الأولى له من تجشم المهالك ، وقد جرى عليه قلمه بجوابه وهو لا يشعر في قوله «وكنت دعوت لما علمته من كمال نظامها فيّ وعدم علمي أنه فيهما وفيّ» فنقض قوله لفظه كما ترى لأن المعطوف حكمه حكم المعطوف عليه في الخطابات اللغوية ، فإنه نفى بقوله وعدم علمي أنه فيهما وفيّ أي وعدم علمه انها فيه أي الإمامة بعد أن أثبت أولاً فناقض كلامه وجرى في نقضه عليه أقلامه ، مع أنه كان في هذه الرسالة التي بعثها الى الحكام نقضها يقول في مستهلها وفي كتاب عنوانها الى – من

---

(١) الآية ٢٦ سورة آل عمران

(٢) الآية ٢٥٣ سورة البقرة

صدرها : انه بعد وصول كتابكم الينا كما رأيته في كتاب صدره الينا ولم يكتب اليه بكتاب ، ولم يذكر في شفة ولا خطاب ، فتعمد الكذب مما يقدح في قائله وينقض ما يدعيه من كماله ودعوى الكمال خطا في أحوال هذا العالم لا يجوز لأحد التفوه به ، لأن القُدَر لا تفي ولا يتم لأحد دعواه ولا يطيق له ولا نجواه ، فإن المتفرد بالكمال انما هو الله تعالى الذي لا شريك له فأما هذا البشر المخلوق فهو ناقص على كل حال ، والله يُبصّرنا بعيوب أنفسنا ويغفر لنا .

وفي نصف شهر القعدة : وصل علي بن المتوكل وصنوه حسين من ذمار الى صنعاء وسكنا عند صنوهما محمد بن المتوكل صاحب المدينة الى آخر شهر الحجة وعادا الى بلاد هما ، وكان أصحابهما قد استدانوا من العمالين بالمدينة حول ثلاثمائة حرف ، فلما سار صاحب أمرهم لحقوه فلحقهم الغرماء ، فمنعوا عن التسليم لهم ، وضربوا بعضهم على القاعدة التي ألفوها باليمن الأسفل لعدم الضبط عليهم من أميرهم ، فلا حول ولا قوة الا بالله .

وفي هذه المدة : رحل من شهارة الحلَل التي كانت فيها ساكنة من مدة الإمام القاسم وولده محمد المؤيد بالله من أول الفتَنة لما تقاصرت أحوالهم وتقاللت مقرّراتهم فاضطروا بالعود الى بلدانهم واستقروا حيث كانوا قبل ، وسكنوا بأوطانهم وقرّ فيها قرارهم كما قال الشاعر . هو ابن المقرب [1] :

ولكنها الأيام تبعد تارة　　　وتدني ولا بعد يدوم ولا قرب[2]

وكان ذلك أول تغير على أهل شهارة من حالهم ووضع عليهم من افتخاراتهم والتعاظم على غيرهم واستخفافهم بالمسلمين واستحقارهم وسوء الظن بهم ، والعُجب قد نهى الله عنه وتزكية النفوس ، كما قال الله تعالى ﴿فَلا تُزَكُّوا أنفسكُمُ هُو أعلمُ بمنِ اتَّقَى﴾ [3] وكانوا يعتقدون ان الأمر كله ينتشر من شهارة ، وأن القائم فيها هو الغالب لكل غارة ، ولم يعرفوا أن أمورهم منهارة ، ولله قول الشاعر حيث يقول :

هي الدنيا تقول بملء فيها　　　حذار حذار من بطشي وفتكي

ولا يغرركُمُ مني ابتسام　　　فقولي مضحك والفعل مبك

---

(١) هو علي بن منصور شاعر مشهور توفي سنة ٦٢٩ طبع ديوانه عدة مرات اقدمها طبعة مكة سنة ١٣٠٧ .

(٢) ديوان ابن المقرب . ٣٥ .

(٣) الآية ٣٢ سورة النجم

ثم بعد هذا بأيام قلائل : تبع الضرر سائر أهل شهارة من الفقهاء والسادة ، فوصلوا الى صنعاء في غاية الحاجة ، وبعضهم خرج عن شهارة وتمزّقوا كأيدي سبأ ، وملك عليهم من هو عندهم غير موافق لهواهم ، ليعلموا أن الأمر لله لا لهم «قل اللهم مالك الملك» .

وفي شهر القعدة : سار علي بن أحمد صاحب صعدة الى بلاد رازح والعسكر يقبضون منهم المطالب ويجرون عليهم ما كان عليهم من المراتب فمنعوهم عن تنفيذ ما طلبوه ولم يمتثلوا لما أمروه ، وقالوا : لا نسلم الى صاحب صعدة ولانرضى أحداً يأتي الينا من عنده ، وقال خولان : خطوطه عليه شاهدة برفع مطالبنا وما وضعه لنا ، فلم يعذرهم أصحاب علي بن أحمد ، وقالوا لا بد من التسليم منكم لما به أمرتم فقالوا : هذا السيف بيننا وبينكم فاقتتلوا وراح من الجانبين نفوسٌ وردوا أصحاب علي يؤوساً ، فلما أن بلغ علي قَصَدهم ودخلوا قلعة رازح ، وعيال المتوكل اسماعيل بن القاسم ، كان قد استراحوا بهذا الصدّ منهم والمنع لما في نفوسهم ، وقالوا تلك البلاد لحسن صنوهم والمهدي أحمد ، قالوا : ما كان ينبغي منه تخلية علي يتولاهم . ولكل منهم هوى والميل لمحبة الرياسة من الجميع والمنافسة في هذه الدنيا ، وهو عين المحق عليهم مع اختلاف نياتهم ، فان نيات الملوك مؤثرة في رعاياهم وبسببها يعود المحق عليهم .

وفي أول شهر الحجة : رحل احمد بن الحسن من قاع الرقّة [1] الى الروضة ، وكان قد لقاه صاحب صنعاء محمد بن المتوكل وغيره اليوم الأول الى الرقة ، وعادوا بيومهم ، وأحمد بن الحسن دخل صنعاء من الروضة من باب السَّبَحَة مجردا بعيد شروق الشمس .

وفي شهر الحجة بالعشرة الأولى : انتهب دهمة من برط بعض حمولة خارجة من صعدة يقال ستة أحمال . وغزوا الى الجوف وأطراف بلاد معين انتهبوا على أهلها إبلاً ، قيل وذلك بأمر السيد الغرباني إمامهم فهو الذي افتاهم بذلك وأغراهم . ولا يخفى ما في السعي لانتهاب أموال المسلمين والمساكين من الأمر العظيم ، فلا قوة الا بالله .

وفي شهر ذي القعدة : مات السيد حسن الحرة صاحب عدن .

وفي هذا الشهر : طلع القمر ليلة سابع عشر من الشهر حمراء ظن كثير من العامة أنه خاسف فالحكمة لله تعالى .

---

(١) بلدة من همدان بالقرب من ثلا .

وفي هذه الأيام : ظهرت زلازل في بلاد ريمة وأصاب وقعار وحراز ، لم تظهر في غير هذه الجهة فالحكمة لله تعالى .

وكتب القاضي محمد بن علي قيس الى صاحبه باسم صاحب شهارة رسالة يعضه وينْهاه عن الجور في بلاد الشرف لما استفاض الجور فيها مما تضرر منه أهلها . وهذا من عجائب أحوال الزمان فان القاضي كان قد بايعه ومال اليه وغلا فيه وشهد بإمامته ثم شاهد بعد ذلك ما شاهد من الخلل والجور الذي هو رأس الإمامة في القول والعمل ، وزال بسبب ذلك مع أهل تلك البلاد بعض الاعتقادات الأولى في السيد قاسم ، وزال بما رأوه من الذين نالهم من العقائد الماضية .

وأحمد بن الحسن لما بلغه ما جرى من آل ذي دمينة من برط من النهب للقافلة من العمشية تغير خاطره ، وبعث اليهم برسالة يتوعدهم فيها .

واليهود في اليمن هذه الأيام صاروا في حيص بيص من أمر المهدي أحمد بن الحسن باخراجهم من اليمن مع ضعفهم والشدة والقحط العام بالمسلمين وبهم ، والأمر باخراب كنيستهم بصنعاء ، فصار محمد بن المتوكل يراجع عليهم والرجل مصر في شأنهم واعتل بأن المتوكل قد كان يريد ذلك فيهم . مع فتوى أحمد بن صالح بن أبي الرجال والتحريض منه .

وفي هذا الشهر : اعترض المهدي احمد بن الحسن بعض الفقهاء في التمشية وقال : لو كان واجهت في مصالح المسلمين وقضيت الغرض كان أقدم . فهز رمحه وقال هذا جوابك فسكت الفقيه والتّمشية لا تنافي المصلحة مع ابلاغ الجهد في القيام بأحوال الناس .

وفي آخر شهر الحجة : خرجت قافلة من بلاد حيدان الطريق الغربية في العمشية وفيها طعام وغيره قدر أربعين جملاً . فلما وصلت الى حدود بلاد عذر قاصدين طريق الهجر انتهبتها قبائل سفيان والعصيمات .

وفي هذه الأيام : اعتذر يحيى بن حسين بن المؤيدي بالله محمد بن القاسم بن محمد بن علي عن ولاية بلاد يريم ، وقال انها ما قامت به وخدمه وأهل بيته وأصحابه ، وأن فيها مقررات كثيرة ، ثم لم يلبث الا نحو أربعة أشهر ورجع الى طلبها من المهدي وشرط

على المهدي ترك التحويلات والطواري من أهل المطالب وإسقاط بعض المقررات ، فساعده الى مطلبه وارجع ولايتها له بعد أن كان المذكور حلف الأيمان لا يتولاها وحلف بطلاق زوجاته واعتاق عبيده كما رواه الرواة عنه ، واقتصر في هذه الولاية الثانية على خواصه ولم يرفع[1] العسكر الذي قد كان في الولاية الأولى جمعه ، وكان يجتنب صلاة الجمعة في صنعاء ويخرج الى الجراف أو نحوها يتغافل عنها لئلا يحضرها ، ثم حضرها بعد هذه الولاية الأخره[2] .

وفي هذه المدة : قد كان تقالل السَّرْق بصنعاء من السُّرَّاق ثم تحرك فسرق حانوت في السوق ، ثم بعده ثلاثة بيوت ، فتربص الحراس بصنعاء الى دخول السرق بيتا ، ثم أجمعوا عليه من خارجه مع زيادة منَ العسكر فحازوه حتى لم يتمكن السراق من الهرب ، فسلموا أنفسهم وطلبوا الأمان . فوجدوا اثني عشر رجلاً عشرة من الحرس واثنين من السراق الذين يقال لهم بني الرعدي من بني قرمان من سنحان وقد تكرر منهم السرق فحبسهم والي المدينة ولم يقم عليهم قطع اليد فيما قد سرقوه ، وكان هو الواجب شرعاً عليه فيما فعلوه .

ودخلت سنة تسع وثمانين وألف

استهلت بالثلاثاء ، والأسعار في الشدّة والغلا : القدح الحنطة بسبْعة حروف ، والذرة بخمسة والشعير بأربعة . والشّبكة التّبن بسبعة والرطل السمن بستين بقشة ، واستوى هذا السعر في جميع اليمن الاّ أنه قد ينْقص حرفاً ويرجع اليه ، ووصل بعض شيء من الطعام من بلاد الحبشة لما بلغهم الغلاء فدخل إلى اللحية وغيرها ، واستمر هذا السعر الى آخر هذه السنة الاّ انه استقر من بعد على الثلاثة الحروف للشعير والذرة الى أربعة ، والبر الى خمسة وسبب ذلك قلة أمطار الخريف ، فكانت ثمرة الصراب ضعيفة .

وفي خامس هذا الشهر وصلت كتب الحجاج الى اليمن يخبرون بأن الحج كان مباركاً وأن السّعر الكيلة المكية بعشرة كبار مصري ، والخارج من الشام ومصر والعراق العادة ، والشامي أقوى من المصري والعراقي .

---

(١) كلمة غامضة .

(٢) هنا كلام ممحو بالماء وعلق أحدهم لعلّه ابن المُنتقد عليه ، يقول «سيدي ما حملك على هذا البهتان الأعدواتك لوالدي حيث بلغ شأوه في العلم والفضل والعبادة فأنت كما قيل : حسدوا الفتى اذ لم ينالوا سعيه . . الخ ، فلقد كان كل ما نقلت على المتوكل وغيره من الكملة وأقوى بهتك لوالدي أنه خالفك في دعوات التمسك بمذهب الأشاعرة وليتك عرفت من هو الأشعري وما هو مذهبه وحالك في بهته ، كما قال المنشيء . .

وفي هذا الشهر : طلع السيد جعفر بن مطهر الجرموزي متولي العدين وأطلع معه حمولة للمهدي قريب ثمانين جملا . وطلع في اثره جماعة من مشايخ العدين يشكون علي المهدي من كثرة المطالب ، فاستبقى المهدي جعفر عنده وزلّجهم .

واشتد الغلا في الأسعار والقحط في بلاد عمان لأجل الجراد وضعف الثمار .

وفي آخر نهار السبت سادس وعشرين شهر محرم عند الغروب : توفى بدر الدين الأمير محمد بن أحمد بن القاسم بوطنه ومحل ولايته الروضة قبلي صنعاء ، ودفن عند جلمعها الذي من مآثر والده ، وكان عليه ورم براسه وقروح ظهرت بوجهه ، وكان ابتدأ عليه من الطريق حال رجوعه مع المهدي من الجهات الشامية ، وكان دخوله صنعاء عقب وصوله تكلفاً منه ، ثم لما عاد إلى الروضة انقطع مريضاً وأقعد في داره أليماً وانطفى ملكه وتحول أمره بعد أن كان لهجا في الولاية ، وطامعاً في الزيادة لما كان معه من البلاد الأولى لتمكين الرياسة ، فغلبت عليه الأقدار ولم يظفر من مقصده إلا بمخالفة إرادته ، فإنه كان طالب أحمد بن الحسن أول إمرته وقيامه في ولاية حجة ، فوضع له ولاية فاستراح بذلك بعض الاستراحة ، وحسب ان ذلك هو البغية المقصودة والحاجة المطالب فيها المرغوبة وموانع الأقدار تعمل في عدم الهنا بذلك الذي صار ، فأول حاسد له ومعاند أخوه عبدالله بن أحمد القاسم الذي من جهة صعدة ، فإنه لما عانده أخوه علي بن أحمد وغلبه على أمره واستضعفه ومنعه أيس عن ولاية في الشام ، ولم يبق له طوالع الأمل إلاّ فيما كان قد عرفه من حال قيامه مع صاحب شهارة وصهارته له ، وكان صاحب شهارة تلك الأيام قد بعثه في مقادمته رئيساً إلى حورة بحجة فلما انعكست على القاسم أموره ولم يتم لها مقصوده كما سبق ذكره ، وصل عبدالله بن أحمد مواجهاً إلى المهدي بعد فتحه لشهارة ، وكان قد نظر إلى حجة وعرفها هذه المدة مع تهالكه في الولاية والرياسة فما زال يعمل الحيلة والتزويق للمهدي في أن يبعثه إلى عمل في حجة فاتفق من المقدور أن ساعده أحمد بن الحسن المهدي على العزم إلى تلك الجهة وأنه يمنع صنْوه محمد بن أحمد عن امتداد اليد لا يكون له منها إلاّ عيَّنه وقيل بل محمد بن المتوكل عَرَّف أحمد بن الحسن في أن عبدالله بن أحمد تصلح ولايته لحجة ونظره عليها بعض منها لكون محمد بن أحمد استأصلها ولا يدفعه مثل ذلك الرجل كونه أخاه ، وقيل أن المهدي انثنى عن ولايتها لمحمد بن أحمد وأن هذا صنوه أرسله مناصباً له ومانعاً من تصرفه فيها

فأول ما جرى من المذكور ومعه من الظفر والسرور بالطمع في ولاية ذلك المخلاف المشهور أن قتل صاحب الدفعة لما سار بها إلى جهة محمد بن أحمد ، ولم يتبع أمره وأخذها عليه بعد قتله ، وأستقر بمَبْين واسترسل في الآداب وحرة اليد على الرعية والنهر القوية فأوجسوا منه خيفة ، وقالوا : هذه بلية لما كانوا ألفوا من السادة بني جحاف من البرارة والمسايرة إليهم على الصفة المعقولة العادة الجارية معهم المقبولة ، فكان المذكور لذلك في تلك الجهة ، منهم من يقول أنه متولي ، ومنهم يقول هو مأمور وآمر ، وأن الولاية باقية لابن جحاف ، وهو النائب ، ولكنه زاحمه المذكور في سياسات البلاد والمشكى والآداب فصارت بلاد حجة متشاجر فيها بين المذكور وبين واليها وبعض آل محمد بن أحمد منهارة أعمالها مختلف أحوالها متضرر من ذلك أهلها ، وأحمد بن الحسن ، يكرر الطلب لعبد الله بن أحمد المذكور وصار يواعده ويماطله .

وكان تحويل السنة الشمسية بدخول الشمس أول درجة الحمل في تاسع وعشرين شهر محرم والمريخ ، والمشترى في برج الحوت وزحل في الحوت ، والزهرة وعطارد في الحمل وكذا القمر .

وفي هذه الأيام بآخر شهر محرم : انتهب في العمشية بعض القافلة الخارجة من صعدة وتركوا الحديد والجلود واشتغلوا بالحاصل والنقود وهاجت تلك القبائل بين صعدة وشهارة من دهمي وسفياني وعصيمي ، حتى حصل التخطف في البطنات وأطراف بلاد عذَرْ وحول حصن شهارة لمن يختلف اليها . وفي طرقها من المارة .

وفي نصف صفرها : وقع مطر جود على جبل نقم ، فنزل سيل عظيم الى شعوب من وادي فروة فعمّه جميعاً ، ودفن غيل الروضة القديم الذي يخرج من الصفا ، ودفن سائر الغيول ، وخرّب في شعوب بعض بيوته التي في الحافة مما لا يعتاد خرابه ، وكان هذا بفصل الصيف .وصلح بسببه ثمرة الذرة في جميع اليمن ، وشرع السعر ينحط ، بعد أن كان قد بلغ القدح أربعة حروف .

وفي هذا الشهر : حصل شجار بين أهل الدّيون وبين التّجار لما طالبهم أهلها امتنعوا عنها بسبب فَتْوى أحمد بن الحسن لهم بانظارهم الى ثمارهم وغلاتهم ، وأدب المهدي المطالبين من التجار وأجبرهم على الانتظار ، وأمر القضاة بأنهم يحكمون بذلك عليهم

ويُجْرُونه فيهم ، وكان القاضي محمد بن علي قيس من الجارين على قول العلماء الماضين من وجوب التّسليم مع المطالبه للميسرين ، وان الأنظار انما هو للفقراء المعسرين ، فأمر ببيع العروض مما كان حاضراً للغريم إما شراه الغريم أو شرى شيئا من مال المدين بالتقويم أوباعه في ذلك اللازم من الدين ، فتحامق عليه المهدي أحمد بن الحسن وطلبه الى صنعاء ، وكان القاضي قد أرسل اليه برسالة فيها حجج العلماء مثل الحديث الذي رواه الحاكم والدارقطني والبيهقي عن أبي بن كعب بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم :[1] حجر على معاذ ماله وباعه في دين كان عليه ونحوه ، فكان جواب المهدي : أنه أرسل عليه وعذره عن القضاء ، وهذه مسألة ما أحد قد قال بها قبل هذا المذكور واستنكر ذلك جميع علماء عصره ، الاأن الرجل ملك يريد إمرار قوله كيفما كان ، وبعض من لا معرفة له معه من الفقهاء قال : ان سبب نزول الآية كما ذكر الواحدي[2] بعد نزول آية الربا يقضي بقول المهدي ، فانه قال عن الكلبي - وهو محمد بن السائب الكلبي - بعد نزول آية الربا قالت بنو عمرو بن عمير لبني المغيرة : هاتوا رؤوس أموالنا ولكم الربا ندعه لكم ، فقالت بنو المغيرة : نحن اليوم أهل عسرة فأخروا لنا الى آن تدرك الثمرة فأبوا أن يؤخروها فأنزل الله تعالى ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾[3] فالراوي الكلبي وهو ضعيف الرواية ، ثم أنه مخالف لما رواه غيره ، فإنه روى السيوطي في تفسيره عن كثير من المفسرين والحفاظ أنها نزلت في الربا ، ولم يذكر مثل قول الكلبي أصلاً ، ثم أن العسرة في اللغة الفقر ، والقرآن عربي فكيف يصح قول الكلبي مع مخالفة العربية ، ثم فعل النبي صلى الله عليه وسلم ببيعه في مال معاذ لدينه ، وغير ذلك من الدلائل ، ثم أن قد روى بعض العلماء أن هذه المسألة اجماعية أن من معه عروضاً أو عقاراً وجب تسليمها في الدين مع المطالبة بثمن مثلها كما ذكره النووي في منهاجه وغيره ، وقد روى الإجماع صاحب البحر ، وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم كما في الصحيحين[4] مطل الغني ظلم . ولهذا الاشتباه مع المهدي احمد بن الحسن ، كان أصل الشبه معه في مطل الديون التي في ذمته لكثير من المسلمين ، فكم في ذمته لهم وكم وكم ، وكانوا يشكون على مخدومه المتوكل اسماعيل فلم يقدر أن

---

(١) انظر المستدرك للحاكم ٢ :٥٨ وتلخيص الحبير ٣ .٣٧ .

(٢) الواحدي : اسباب النزول : ٦٥ .

(٤) سورة البقرة ، الآية ٢٨٠ .

(٤) البخاري ٢ :١٢٣ و ١٥٥ ومسلم (باب المساقاة) ٢٣ . وأبو داود «البيوع» وصحيح الترمذي :١٣٠٨ والنسائي ٧ :٣١٧ .

يؤثر فيه بأمره له ، فاجتمعت عليه ديون كثيرة أيام المتوكل وأيامه ، والمطل ظلم فلاقوة الا بالله ، وله شبهة في المطل أيضاً أخرى بأنه قال لبعض المطالبين له : أنا مشتري لبيت المال فلا يلزمني لكم شيء ، فانظر هذه الغفلة العجيبة ، فانه يقال له اذا كنت ولي بيت المال فهو لازم لك القضاء منه والاّ فلم تشتري ذلك ، والوكيل قد قالوا أنه يتعلق به الحقوق فيما يشتري لموكله فما فائدة هذه الأعذار التي لا تجدي ولا تنفع ، ولكن الرجل قد أعجب برأيه فتراه يتساهل أمر العلم ويدخل نفسه فيه ، ويَتْتسبه[1] بتدريس أهل الدنيا الذين يحابوه على سببها ويميلون الى هواه لأجلها ويصدّرونه ويأخذون عنه ، وهم في الباطن يعتقدون أنه ليس كذلك الا أنهم لما رأوا تأثير ذلك الى بذله لهم من الدنيا وضعوا عنده الكذب ، وقد جاءت أحاديث أن آخر الزمان يجري مثل هذا الكذب عند الملوك فالحكمة لله وأنه يكثر الجهل ، ويكثر أبناء الدنيا والواضعين الكذب عند الملوك للتّوصل اليها ، والله يوفقنا الى رضاء رب العالمين ، الاّ أن المهدي المذكور لو كان اكتفى بما قد أصر عليه في نفسه ويترك معاملة النّاس للناس ، ويكل الأمر الى الشريعة الجارية عند الحكام[2] وفي حديث رواه الطبراني والبزار عن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم[3] :سترون قبل أن تقوم الساعة أشياء تستنكرونها عظاماً يقولون هل كنا حدثنا بهذا الحديث ، وأخرج ابن ابي شيبة[4] عن عبادة بن الصامت عنه صلى الله عليه وسلم قال سيكون عليكم أمراء يؤثرونكم بما تعرفون ويعلمون ما تنكرون وينكرون عليكم فليس لأولئك عليكم طاعة ، وهو أيضاً من أوائل مصير المعروف منكراً والمنكر معروف لأن قضاء الدين للغريم من المعروف ومطله من المنكر ، وهنا قد انقلب حكمه فصدق صلى الله عليه وسلم . وأخرج البيهقي[5] وابن عساكر[6] عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سيكون بعدي خلفاء يعملون بما يعلمون ويفعلون ما يؤمرون وسيكون بعدهم خلفاء يعملون بما لا يعلمون ويفعلون بما لا يؤمرون فمن أنكر عليهم بري ومن أمسك يده سلم ، ولكن من رضي وبايع انتهى ، وجعل في ذلك رسالة

---

(١) كذا في الأصل وقد تقرأ هكذا « ويتشبه »

(٢) هنا كلام مضروب عليه قدر سطرين .

(٣) مجمع الزوائد ٧ .٣٢٦ .

(٤) ابن ابي شيبة ١٥ :٤٥

(٥) البيهقي ٨ :١٥٧

(٦) ابن عساكر ٢ : ١٤٠

من خرقه بالباطل والحجج التي لا صحة لها ولا نص فكيف وَضْعها منها : انه احتج بأخبار موضوعة فيها مثل الحديث الذي قال انه جاء في الحديث الصحيح[1] «إذاضيق الأغنياء على الفقراء أذن الله بهلاك القرى ، بعد أن زعم أن سبب الغلاء والقحط هو إلحاح التجار في المقضي من أهل الدين ، ومن الحجج الضعيفة المعلومة التي لم يعرف بها المسكين ، أنه جعل مطالبة أهل الدين للغريم وبيعه لماله من بيع المضطر الذي نهى النبي صلى الله عليه وسلم عنه وقال : عن أبي داؤد قال خطبنا علي فقال : سيأتي على الناس زمان عضوض يعط الموسر فيه على ما في يده ويبايع المضطرون ولم يؤمروا بذلك ، فهذا لا أصل له وهو حديث مقلوب محرف مزيّد في آخره ماليس فيه ، وانما الحديث على غير هذا اللفظ . وقال في رسالته هذه محتجاً على غيره به ، وهو حجة على نفسه بقوله تعالى [2] ﴿ظهرَ الفسادُ في البر والبحر بما كَسَبَتْ أيْدي النَّاس﴾ قال : فبادروا بالرجوع إلى الله بالتوبة الصادقة والإقلاع عن المعاصي والتخلص من المظالم لله وللعباد ، فهذا حجة عليه بتخلصه عن المظالم التي عليه ، وما جرى منه سابقاً من البغي على الإمام المؤيد والقتول واستهلاك خزانة والده جميعا ، لا صار ماهو بيت مال الى الإمام ، ولا صار ماهو ملك للورثة وماهو مطالب فيه أيضاً من الديون من كثير من التجار ولم يسلمها لهم ، وكذلك مطالب بأشياء من الجنايات التي صدرت منه في بغيه بغير حق ، وتهوّره من بعد ذلك في بيوت الأموال فإن مصروف بيوته في الشهر على ما روي أربعة آلاف حرف من غير الطعام والكسوات ، ولو كان جزءً يسيراً لكان بيت المال يحتمله في خاصته ، فأما هذا القدر فما قد اتفق لأحد قبله ولا يتفق لأحد بعده في ملوك اليمن ﴿أتأمرونَ النَّاسَ بالبر وتَنْسَوْن أنفُسكُمْ وأنتم تَتْلُونَ الكتابَ أفلا تعقلُونَ﴾[3] وذكر في رسالته هذه في النَّهي التّشديد على ولاته وقضاته في تحريم بيع الشيء بأكثر من سعر يومه لأجل النَّسا وقال : ما لم [4] يمتثل رفعوه الينا وسيرى من لم يمتثل سيف الانتقام بأيدينا التي هي قادرة وشدة شكيمتها لدين الله القاهر . فهذا من الجهل حيث أوجب فيمن باع الشيء بأكثر من سعر يومه يَسْتوجب القتل مع إجماع العلماء انه لا يستوجب

(١) قلت : لم أجد هذا الحديث في الصحيح ولا في الموضوع

(٢) الآية ٤١ سورة الروم

(٣) الآية ٤٤ سورة البقرة .

(٤) كذا لعل صوابه . من لم يمتثل

ذلك في الربا المجمع عليه المتفق ، وانما يضرب ويؤدب ، فكيف هذه المسألة وهي بيع الشيء بأكثر من سعر يومه ، الذي في الحقيقة القائل بأنها من الربا مخالف للاجماع ، اذ لم يقل به غير الهادي واجماع كافة العلماء انها ليست من الربا ، ثم ذكر التتن ، فقال : التتن من المضار في الأبدان ومن القبائح المفسدة المانعة عن الأديان واجتناب ذلك واجب ، فمن يرجع الينا ويعول في أمر دينه علينا ، فليترك ذلك ولا يقاربه ، فمن لم يمتثل فقد بريء منا وبرئنا منه انتهى ، فانظر واعجب من هذا ، فإني لما ذكرت له ما وجه تحريم التتن فلم يجد حجة فقلت له : مكروه لا دلالة على التحريم فقال : نعم مكروه .

وفي هذا الشهر : بعث الملك المهدي كتاباً الى اليمن الأسفل بأن التّتن يترك إطلاعه الى البلاد العليا ، وانه يرجح التحريم لتلك الشجرة المباحة التي توهم فيها من توهم ممن لم يعرف المعرفة التامة ، فما كاد يتم به أمره كل التمام ولا امتثل أحد فيما أمر به ورام لأن الحلال بَيّن والحرام بَيّن ، والله غالب على أمره لا يمكن أحد أن ينفذ أمره في المخالفة لإجماع الاسلام ، والأقوال الشاذة شاذة تضمحل فيها الأحكام .

وفي هذه المدة بشهر صفر : مازال التخليط في البلاد الشامية وطرقها وعدم انتظام أمور ولاتها وأمرها ونهيها ، وتفرغ الحرامية للنّهب خصوصاً العصيمات ومن اليهم فاستباحوا تلك الجهات ، والقاسم عند ذلك صاحب شهارة أظهر بعض ما كان عليه من دعوته وعلامته إلى من كان يجيبه من أهل نصرته ، فيكتب اليهم بالمنصور وأما الى غيرهم فبالقاسم ، ومن كان تابعه أو أجابه لا يسميه إلا بالمنصور ، وحجة ظهر فيها تغلّب عبدالله بن أحمد وامتنع عن الوصول الى المهدي ، وزيد بن علي بن يحي بن المؤيد لما استقر بظفير حجة أمر ونهى وأدب وتصرف في مخازين الوقف لمن شاء وقبض من زكاة أهل الظفير ومخلافه وتصدر فيها للمشكى ، واتفق هو والقاضي مهدي ووافق غرضه لما كان يحصل مع القاضي من أهل الظفير من الحاصل الماضي فحصل مع مشايخ الظفير التضرر من ذلك الأمر الصادر ، ومازال عنهم من المصالح في الزمن الغابر ، لأن مثل الآداب اليسيرة كان النظر لهم فيها في بلدهم وما استحسنوا مخالفة المذكور بمنعهم .

وفي هذه الأيام : تفوّه المهدي بأن البلاد قد تقسمت مع عيال المتوكل . والأمر كذلك ، ومحمد بن المتوكل واخوته لا يسمحون بشيء يفوت عنها بل قد زاد لعلي بلاد تعز ، وهم إذا انتقص عليهم شيء لم يسامحوا ، ولو أدى الى الخلاف عليه عندهم ،

كما أنه مع والدهم لو نقص عليه مما وضع له المتوكل شيئاً خالف عليه ، فكان ذلك من عجائب الدنيا والتعارض ، فيما بينهما فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم[1] .

وفي ليلة سادس عشر شهر ربيع الأول : خسف القمر طلع خاسفاً بالرأس في برج العقرب بحمرة طمسته جميعاً ثم أعقب الحمرة سواد فالحكمة لله تعالى ، وقيل إنه خسف عقب طلوعه بسرعة بنحو درجة .

وفي هذا الشهر : كتبت الى محمد بن الإمام لما حصل بعض ظن بقبول الكلام : الشفاعة في تخفيف مطالب اليمن الأسفل ، فقلت فيه ما لفظه : لا يخفاكم كثرة مطالب اليمن الأسفل والولاة صار عذرهم التشديد عليهم في عدم نقص المرسوم من الدفعات ، وهي قد زادت على المدة السابقة في زمن شرف الإسلام الحسن بن الإمام القاسم بقدر النصف فالأولى الرجوع إلى الأصل المتقدّم ، مع أن الأولين كانت أحوالهم متكافئة والبركات معهم والرعايا متكاثرة ، فإذا أمكن سعيكم وحَطّ نصف المطالب فهو الواجب ، ولقد بلغ أن من جملة المطالب مطلبة الصّلاة فإذا قيل للجاهل : صل قال : قد سلمت دراهم الصلاة ، ومنها مطلبة أدب التتن مع أنه يؤخذ فيه الزكاة فهذه مناقضة ثم بعد ذلك افتقاد فقراء كل جهة يصير إليهم من كل بلد ومن كل وال بقدر حالهم ، ولا يلجأون الى الطلب كما كان يفعله الأئمة المتقدمون مثل الهادي وشرف الدين وغيرهما ويستمر ذلك على الوجه الذي فيه الهنا[2] والله يصلح أحوال المسلمين ويجمع أمورهم على ما يحب ويرضاه رب العالمين انتهى بحروفه .

وكتبت الى الملك الزاهر بن الحسن بكتاب أيضاً نحو هذا وذكرت له التخفيف على اليمن الأسفل في المطالب والعدل لتحصل رحمة الله بالمطر وصلاح الثمر وذكرت الحديث «إرحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء» كما في سنن أبي داؤدوغيره وحديث الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا توكي فيوكى عليك » وأنه ينبغي أن يرفع الزائد على ما كان في زمان والدكم شرف الإسلام الحسن وَيُبْقى الأصل أو يزاد عليه اليسير مما يحتمله الرعايا ويسقط الزوائد فإنها زائدة النصف على ما كان وأكثر انتهى بحروفه .

---

(١) : هنا ضرب أحدهم على كلام المؤلف وهو يريد على نصف الصفحة .

(٢) : كلمة غامضة .

وفي هذه الأيام جمع محمد بن المتوكل كتب والده فجاءت ثلاثة عشر الفا وقسم منها بعضها مما وجد فيه رسم والده .

ورأيت وصايا ، أول وصية بوقفها ثم رجع عنها في وصية أخرى ، ثم جعلها في آخر وصية للمصالح وأطلق . وإنما استحسن ولده اخراج ما هو مرسوم ، وكان فيها كتب الإمام القاسم وهي ثمانمائة . وهي وقف ذرية اختلطت بكتبهم ولم ينتفع ورثة الإمام القاسم منها بل ذهبت مع المتوكل ، فإن الفقيه حسين بن محمد بن قيس خزان الإمام المؤيد بشهارة ذكر أنه قبضها المتوكل جميعاً من خزائن المؤيد بالله بشهارة فهي بين كتبه ، ومات وهي في يده وبعضها لورثة القاسم مطالبون فيها وهي معهم غير نازلين فيها والله الموفق .

وفي هذه المدة : عارض قصيدة البردة في مدح سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الفقيه مطهر بن الحسين بن عبدالله مسعود[1] بقصيدة حسنة ما قصّر فيها وشرحها شرحاً وافياً بعقودها ولغتها واعرابها ومعانيها وبيانها واستهلالها قوله :

يا حادي الركب عرّج نحو ذي سلم ... عسى يوافيك أهل البان والعلم

و مر سلعاً ولا تخشى وقيت أذى ... فيه وسل عن بدور الحي في الأكم

الى أخرها وجملتها ثمانية وثلاثون بيتاً استطرد فيها معجزاته صلى الله عليه وسلم وشرحها شرحاً بديعاً ، وقرّظ هذا الشرح الذي هو في مجلد الفقيه محمد بن حسن الحيمي[2] بقوله :

ان ترد مطلباً رفيعاً كريماً ... وكلاماً منظماً تنظيماً

ورياضاً فيها زهور ربيع ... من بديع يشفي الفؤاد الكليما

فتأمل هذا الذي ألف الندب ... وكن بالذي حواه عليماً

الى آخرها وسمى ناظم القصيدة المذكورة بـ « المطلب الرفيع في شرح أزهار الربيع » .

وفي ربيع الثاني : حصلت زلزلة في ضوران فلله الحكمة .

وفي شهر ربيع الثاني : أزال محمد بن المتوكل قبال سوق الحب كان عليه كل يوم

---

(١) : ترجمته في طيب السمر ١ : ٢٨٨ وفيه الحسين بن عبدالله بن مسعود .

(٢) : من الأدباء العلماء توفي سنة ١١١٥هـ « الدرر الطالع ٢ :١٥٣ ، نشر العرف ٢ : ٥٩ » .

أربعة عشر حرفا ً فأزالها ولم يبق إلاّ أجرة الكيالة له أجرة المثل قرش على القدح[1] من غير دراهم وقبال على الكيالة ليحصل بذلك الصيانة وإزالة المظلمة ، وقد زادت القبالات في الأسواق على ما كان في دولة الأتراك زيادة كثيرة ، كان على سوق الحب في دولة الأتراك في كل يوم حرف وللكيالين أجرتهم قدر ثلاثين كبيراً وعشرة كبار لشيخ السوق ، وكذلك سائر الأسواق بصنعاء هذا القدر وأقل منه ، وكان سوق الحطب عليه في دولة الأتراك مائة بقشة والآن عليه كل يوم أربعة عشر حرفاً فأكثر لا قوة إلا بالله ، والعدل كان هو الواجب على هذه الدولة فإنهم يقولون انهم ينهون عن المنكر والمظالم ، فأقل حالة أن يردوا ذلك إلى ما كان زمن دولة الأتراك ، فإنه عدل كثير لو فعلوه ، أو إلى ما كان أول دولتهم ، وكان هذه الزيادات أكثرها من سنة سبعين وألف في المطالب وإلا فإنها كانت قبل أقل زادت على أول الدولة هذه بمثل النصف وزادت على دولة الأتراك مثل ثلاثة أرباع والبلاء في هذه المظالم أنهم صاروا يرضون بمن يزيد في القبال ويتوهمون أن ذلك مصلحة لهم . ولا يعرفون أن الذي يزيد هو يزيد على الناس في المظلمة من هؤلاء المتقبلين والولاة ، فلو كان حسموا جميع ذلك وأخذوا المطالب المعتادة في جميع اليمن الأعلى والأسفل ليحصل العدل ويزول الجور كان هو الواجب عليهم .

وفي هذا الشهر بيوم السبت رابع عشر الشهر المذكور : خرج المهدي من الغراس الى شُرَع بالرحبة مما يلي بلاد الخشب ، فبات فيه ، وأمر حال خروجه من الغراس بتحريق التتن الذي فيه وتكسير المديع[2] على ساكنيه ، فلما بلغ المتسببين بصنعاء من البياعين للتتن خَبّوه[3] في البيوت وخافوا عليه الفوت ، وغلاء سعره على ما كان حتى بلغت الأوقية الى ثمانية كبار سبعة كبار .

وفي نصف ربيع الآخر : مات محمد صالح الطبيب العجمي الامامي الاثني عشري الرافضي بصنعاء ، وكان المذكور محترقاً رافضياً سبّاباً للصّحابة رضي الله عنهم قال : وأصله من الجيل والديلم من بلاد العجم قال : وتلك الجهة قد صار أهلها رافضة اثني عشرية بعد أن كانت زيدية ناصرية في الزمان القديم وأنه على دين أصحابه في الرفض ،

---

(١) : هنا طمس لم يظهر في التصوير .
(٢) : المديع : جمع مداعة (مسبق)
(٣) : خبوه : أخفوه .

وكان يستريح بمن في اليمن من الزيدية الجارودية ، لأن الجارودية يوافقون الرافضة في القول بالنص الجلي في علي ، ويتحاملون على الصحابة رضي الله عنهم ، ويذم الواقفية من الزيدية الذين يتوقفون في المشايخ قال مرة لواحد منهم : لا بد أن تقول الإمام علي وغيره من الصحابة ليس كذلك أو تقول المشايخ أئمة كمذهب أهل السنة ولا واسطة كما لا واسطة بين درهم مليح ودرهم نحاس أين الواسطة بينهما ، فانقطع ذلك وغلبه بالحجة لأنه لا واسطة بل خلفاء أو غير خلفاء ، وكان قد بلغ في السن على قوله فوق مائة سنة وأقعد آخر مدته ، وكان لا يستر مذهب الرافضة ، مرة قال : امام اليمن اسماعيل بن القاسم غير امام عندهم ، وانما هو سلطان ملك وأمير كما أن الشاه عندهم كذلك ، لأن الأئمة إنما هم اثني عشر لا غير ، وكان لا يغسل رجليه بالماء للوضوء للصلاة بل يمسحها من غير خف على مذهب الإمامية ، وكان يقول : انه طبيب فيقصده بعض الناس فيطلب منهم دراهم كثيرة إن سلموها ، وإلا قال ما عنده شيء أو فعل له من الدواء ما يزيد في علته قاتله الله ، روى أن مرة تداوى عنده رجل كان اسمه عمر ، فأشار عليه من أشار أنه إذا سأله عن اسمه فيقول محمد لئلا يفعل له ما يضره لكراهيته التسمية بعمر ، فداواه حتى برى ثم جاء آخر فقال : يداويه مثل ما داوى عمر فقال : من عمر اسمه محمد قال : بل اسمه عمر ، فأرسل له بمعجون يهلك منه وقال له : بقي فيه بقية من ألمه يستعمله ، فاتفق أن وضعه الواضع في بيته فأكلته شاة فهلكت في الحال ، وهذا من شدة خبثه قاتله الله ، وسلّم الله ذلك الرجل .

وفي هذه الأيام : ظهرت ضريبة الملك الزاهر المهدي ، وهي ذهب أحمر في حجم الدرهم جعل صرفه بحرف من العددي من حساب الدينار سبعة حروف وليس بذهب خالص بل فيه غش فضة ، وكذلك قطعة فضة في حجم ربع القرش جعلها بصرف حرف من العددي وسماها ربيّة وكتب في وجهها : لا اله إلاّ الله محمد رسول الله علي خليفة حقا المهدي لدين الله . وما أحد تقدمه في هذه الضربة باليمن أصلاً ولا في هذه الكتابة . ولكنها اضمحلت بسرعة ، وزاد غلت الأسعار بسبب هذه الضربة وزيادة القدح قدر الثلث فأكثر .

وفي شهر جمادى الأولى : جاء جراد من المشرق من بلاد عمان ، وأخبروا بأن بلاد عمان حصل فيها قحط وغلاء وجراد في شهر جمادى الثاني .

وحصل في أول هذا الشهر : قران الزهرة والمريخ في برج الحوت أو أول السرطان .

ووصل في هذا الشهر : والي حجة السيد علي بن حسين جحاف ، فاستخف المهدي بجنابه ولم يتلقاه عند وصوله ولا وافقه بل خرج له بعض أولاده ولم يوافقه إلا في اليوم الثاني في المجلس العام للقاصي والداني ، ووصل بشيء من الدراهم فاستقلها فزاد مثلها .

وفي آخر هذا الشهر : تفضل الله بالأمطار العامة في وسط الخريف فصلحت الثمار ووقعت صاعقة بذهبان أصابت سيداً من بني المؤيد ، وكذلك بسعوان أصابت إمرأتين ، وكان في المطر شدة ريح اقتلعت سيالة[1] كانت خارج باب اليمن وأخربت جدرات . وساق ذلك المطر إلى أقاصي المغرب ، وعمّ المشرق والمغرب فلله الحمد .

وحصل نكتة من بعض أولاد محمد بن أحمد بن القاسم اسماعيل وصنوه أحمد بالروضة ومعهما المهتدي[2] الهندي الشاعر يسامرهم وينشد أشعار المجون لهم ، فبلغ المهدي أعمالهم وتماديهم أمر عليهم عسكراً للقبض عليهم ، وكان قد وقع منهم تعدٍّ على ساقي الغيل في الليل وهم سكارى وجناية فيه وهم ثمالى ، فوجدوهم العسكر على الشراب وغيره من الفواحش والارتكاب ، وقبضوهم وكتفوهم وساروا بهم الى الحضرة المهدية فكبّلهم في الحديد ، وأمر بهم حصن ذمرمر للتّشديد ، وحبس البغية التي كانت تسامرهم وهرب المهتدي .

وفي هذه الأيام : وصل اعتراض في صورة سؤال بعث به الحاكم العماني الى ولي الأمر باليمن يذكر فيه : أن القهوة لا ينبغي استعمالها وأنها حرام عنده محتجاً أن فيها شبه بالادارة بأعمال الخمر ، وأنها مسكرة وأن بعض الشافعية حال خروجها أفتى بتحريمها ، هذا محصول اعتراضه وسؤاله ، وهو اعتراض باطل وسؤال عاطل خالف فيه إجماع العلماء وأهل السنة وغيرهم ، ولم يكن فيها من أدلة التحريم شيء لا إسكار ولا غيره ، فإنها من جملة الطيبات التي تضمنها قوله تعالى ﴿لا تُحرّموا طيبات ما أحلَّ اللّهُ لكُم﴾[3] وقوله تعالى ﴿ولا تقولُوا لمَا تَصفُ ألسنَتُكُمُ الكذبَ هذا حَلالٌ وهذا حَرامٌ

---

(١) : شجرة ضخمة .

(٢) : هو الأديب الكبير ابراهيم بن صالح المهتدي الهندي له ديوان شعر جيد مخطوط توفي سنة ١١٠١هـ «البدر الطالع ١ :١٦ ، نشر العرف ١ : ٢٩ » .

(٣) : الآية ٨٧ سورة المائدة .

لتفتَروا على اللّه الكذبَ »[1] . والأمر واضح فيها لا ينبغي التطويل في دلالتها . وأما الإدارة فليست بمجرده[2] حجة في التحريم فقد يدار الماء للشراب وقد يدار شرب اللبن كما ثبت في شمائل[3] النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يديره عن يمينه . وعلى الجملة ان القول بالتحريم من الجهل الذي لا يخفى ، مع أن الحاكم العماني كان الأولى له نهي نفسه من قطع الطريق في سواحل بلده الى اليمن . وفي البحر بحيث أنه تعدّى الى سواحل اليمن وانتهب من أموال المسلمين ما لايزال في هذه السنين حتى كان بسببه ذهاب أموال عظيمة على تجار من بلاد الاحساء وبلاد العجم والهند وغيرها بحيث أنه قطع ميرة البن في تلك الجهات في هذه السنة والتي بعدها ، ولم يخرج فيها من بلاد العجم والحسا أحد بسببه . وقَطْع الطريق أعظم شيء في التحريم فلو نهى نفسه أولاً عن ذلك لكان هو الأولى له ، والله الهادي الى سواء الطريق ، وقَطَع أيضاً طريق البصرة وتجارها الى بلاد الهند واليمن . والله يسلط سلطان الاسلام ابن عثمان على زواله ودماره فانه صار من المفسدين في الأرض بغير الحق ، مع بدعته التي هو فيها من اعتقاد مذهب الأباضية من الخوارج الردية .

وفي هذه الأيام : اطلع علي بن أحمد بن القاسم صاحب صعدة على كتاب بلاغة بخط الفقيه حسن المتميّز الذي كان وكيلاً للمتوكل على الله اسماعيل على مخازين بيت المال بصعدة يذكر فيه الى المتوكل أموراً كثيرةً على علي بن أحمد . فطلب علي بن أحمد بن المتميز الى حضرته وقال له :هذا خطك قال : نعم فقال : ما حملك على هذا الذي نقلته الى المتوكل وكشفته ، فقال الفقيه : الغيرة عليكم يا أهل البيت ، فأمر بحبسه في الحال ونهبه فنهبوه في الديوان ، وخرج الى الحبس وهو عريان وكبله بالحديد ، ثم انه تشفع فيه من تشفّع بإطلاقه فأطلقه ولم يقر بالفقيه قرار ووصل الى صنعاء بقي فيها مدة من الزمان فوق السنة ثم انه عاد الى بلاده وكان المذكور من المشيرين على المتوكل بعزل علي عن صعدة وتولية ولده الحسن ، فلم يقدر الله ذلك وحال بينه موت المتوكل

وفي آخر رجب منها : رأيت حجارة مكتوب فيها كتابة خَلقَة ما لفظه : محمد بن

---

(١) :الآية .١١٦ سورة النحل .

(٢) كذا .

(٣) : الشمائل المحمدية للترمذي : ١٠٥ ط دار الندوة وفيه عن ابن عباس قال دخلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا وخالد بن الوليد على ميمونة فجاءتنا بإناء من لبن فشرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا على يمينه وخالد عن شماله فقال لي الشربة لك الخ

ابراهيم . بهذا اللفظ فقلت لا يعلم أحد بهذا الاسم من المشهورين إلا السُّلطان محمد بن ابراهيم بن عثمان بن سليمان .

وفي هذا الشهر [شهر جمادى الثاني] : تَمّ بناء مسجد النهرين بصنعاء عمارة عظيمة ومطاهير [1] واسعة لأجل ما ظهر من تسريجة كما مضى تاريخه ، ظهر لأهل المدينة بركته ، وكان مسجداً صغيراً وله مطاهير قليلة والمُعتني بذلك جيرانه وأعانهم بالبعض ناظر الوقف ، وهذا المسجد في بطن وادي صنعاء قريب باب السَّبَحة .

واتفق في شمسان [2] بني عكاب أن جماعة ساقوا الدثا من وادي الصّلبة فطلعت الى مال أخرى فلقيتهم حرمة رجمت أحدهم فسقط ميتاً لوقوعها في رأسه ثم رجمت آخر كذلك وبقي الثالث منهم حمل على الحرمة قتلها فسقط القود بها .

وفي هذه الأيام : ظهر سبع أخاف الحميان [3] للذرة بجوار جبل نقم وسعوان وهو أكبر من الضّبع في حجم الصّعب [4] وله عقيق كعقيق البعير الصغير ، فقيل انه السمع [5] وقيل السبسب والله اعلم .

وفي هذه المدة : حصلت نفضة في الناس بحيث يعم المرض بَعْض البيوت فلا يجدون من يصنع لهم الطعام وقد يصنعه لهم رجال ثم يمرضون ويقوم الأولون ، ومنهم من يقضي عليه أجله ، وكان هذا في فصل الخريف .

وفي نصف شعبان : ظهر الجراد من تهامة وهو الذي أثّر فيها ، الواصل من عمان كما مضى ذكرها ، فأخذ على طريقه مواضع وخضر كثير من الناس في مثل جهة المغارب وسلم عنه اليمن الأعلى والمشارق وصلحت الثمار في أكثر اليمن لولا حصول النقص بالخضر بسبب الجراد ، وخلف في أطراف المشرق كَنِهْم والجوف وبرط فبلغ الشّعير الى ثلاثين بقشة وحرف والبر حرفين .

وفي هذه الأيام بآخر شهر شعبان : طلع السيد حسن بن مطهر الجرموزي بحمولة من المخا الى حضرة المهدي .

---

(١) مطاهير : جمع مطهار متحذات تلحق بالمسجد وغيره لقضاء الحاجة والوضوء .

(٢) جبل في نواحي حجة بالقرب من مبين .

(٣) الحميان : حماة الزرع .

(٤) الصعب : الجحش .

(٥) حيوان زعموا أنه متولد بين الضبع والذئب أنظر الكلام عليه في (معجم الحيوان لأمين المعلوف ١٠) .

وفي رمضانها : طلب أحمد بن الحسن جماعة من اليهود من صنعاء إلى الغراس وأمرهم بالخروج من جزيرة العرب وأنهم قد تراخوا بعد الأمرْ الأول فطلبوا المهلة حتى يبيعوا من أموالهم فأمهلهم خمسة أشهر .

وفي ليلة رابع عشر شهر رمضان : خسفت القمر ببرج الثور طمسها الخسوف جميعاً ، وكان الخسوف بسواد ثم انقلب حمرة عكس الخسوف السابق فإنه أوله كان بحمرة ، فالحكمة لله تعالى ، وقد كان السرحي المنجم ذكر الكسوفين في هذه السنة عند تقويم أولها كما وصف الواصف قبل حصول خسوفها فاتفق كما ذكره فيها .

وفيها : سرقت سرقة من بيت المتوكل بضوران دراهم وسلاح وغيره . وفرحان اتهم جماعة ، حبسهم وضرب بعضهم فاعترف أحدهم أرجع بعض شيء يسير من السلاح والباقي ذهب وهم جماعة لهم أيام يستخرجون السرقة من طاقة مفتوحة ويردونها على حالها . وكان من جملة المتهمين من الملازمين في ضوران في جبل ضوران ، فلما طلبه فرحان للضرب[1] أمر الخادم بضربه ، فحمل على الذين أرادوا قبضه طعن أحدهم ومات من جنايته .

وفي هذه الأيام بأول شهر الحجة : دخل المهدي صنعاء وأمر بتسمير كنيسة اليهود بصنعاء وقبض ما حولها من البيوت المحصولة[2] من اليهود ، وأخرج اليهود من حوانيت سوق صنعاء وشدد عليهم في بيع أموالهم وبيوتهم وخروجهم ، فباع القليل منهم ما باع من المنقولات واليسير من غير المنقولات ، وقبض الحمّام الذي لهم وشراه منهم ، وصنوه شرف الدين الحسين بن الحسن قال لليهود الذين لديه : انتم على عادتكم لا تبيعون شيئاً من أموالكم وقال : لا وجه لإخراجهم ، وخرج جماعة يسيرة من صنعاء من اليهود الى بلاد ضوران .

وفي هذه الأيام : نَجَّع كثير من بلاد برط بأغنامهم وداروا في الأرض للمعاش لخلوّ بلادهم وضعف انجادهم ، فمنهم من وصل الى ضوران وجهران وكلهم من ذي حسين من برط والنّهابة كانوا من ذي محمد من أصحاب صلاح بن كول هذا ، والله أعلم .

وفي هذه الأيام : أرسل المهدي جعفر الجرموزي والياً لبلاد العدين على عادته الأولة ،

---

(١) كلمة غامضة .

(٢) تقرأ هذه اللفظة أيضاً المجعولة .

وكان قد سكن عنده قدر سنة فزاد في قطعته في بلاد العدين قدر ألف حرف ، فكان كل شهر ثمانية آلاف وأرجعه اليها وشرط عليه انه لا يصل اليه شاك منها .

وكذلك ولّى بلاد وصاب السيد صالح بن حيدرة الغرباني ، وعزل الفقيه عامر عنها لما زاد السيد قدر ألفين على ما كان أولاً منها فإنه كان أولاً في زمان والده الحسن كل شهر ثلاثة آلاف كل شهر ، ثم زاد الفقيه عامر ألف فكانت أربعة ، ثم زاد هذا الألف فكانت خمسة . وهذه القطعة في مقابل زكاة البن والأسواق وزكاة التتن ، والمعونات ونحوها من المطالب ، وأما الطّعام فهو يقبض رأس السنة عند الثمرة ، وكان لو أنهم جعلوا ذلك بالأمانة وأكدوا على العامل في عدم الخيانة كان هو أعدل فما حصل من قليل أو كثير فهو الواقع ، فأمّا هذه القطعة فإنها ذريعة الى زيادة الوالي وقد تَزيْد الثمرة فتصير له ، وما نقص فإنه يأخذها من الرعية فتكون عليهم ظلماً بسبب ذلك ، وسبب هذه الزيادات صُغْر هذه الضريبة التي ضربها أحمد بن الحسن ، ولذلك طلع صَرْف القرش فانه الآن بأربعة حروف وأكثر ، وكان في الزمان القديم صرفه بحرفين وكسور فحصلت الزيادة في هذه الدراهم على المدة الماضية بحول النصف ، ولذلك كان بيع البن والبز الهندي بقروش على العادة لم تزد وإنما الزيادة بالنظر إلى صغر الضريبة فمع ذلك الزيادة تحتملها البلاد لكن دون هذه الزيادة التي جرت في هذه المدة بالنّظر الى صغر الدراهم وزيادة صرف القروش بسبب الضريبة فإن الذين كان دفعته ثلاثة آلاف مثل العدين باليمن الأسفل في مدة محمد بن الحسن عن ألف قرش والصرف بثلاثة حروف ، فكان الزيادة الى أربعة آلاف لما بلغ الصرف الى أربعة حروف الآن نهاية الزيادة . فأما هذه الزيادة التي جعلت في آخر مدة المتوكل الى سبعة آلاف وزيادة الألف الثامن في دولة المهدي أحمد بن الحسن ، فلا شك أنها زيادة بالنصف فيها جَور وكذلك غيره من سائر الجهات ، والله يرحم المسلمين .

ومحمد بن المتوكل كان شرع في تخفيف المطالب حتي رفعها جميعاً غير الواجبات ، فشكره أهل البلاد بالعدل حتى قال بعض جهال الفقهاء من الشيعة : ان هذا فعله من المنكر بالتّخفيف ، فذكرت الحديث عنه صلى الله عليه وسلم انه قال [1] «سيكون آخر

---

(١) لم أقف عليه وفي حديث « كيف بكم اذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف » رواه أبو يعلى من حديث أبي هريرة وإسناده ضعيف أنظر (المغني عن حمل الأسفار ٢ :٣١٥) .

الزمان المعروف منكراً والمنكر معروفاً » فلا قوة إلا بالله ، ولكنه لم يدم على ذلك بل أعادها . والمهدي أمر بإجرائها على عادتها ،وما زاده الولاة في القطع قيل منهم [1] فلا قوة إلا بالله . وهذه الدَّراهم التي تؤخذ في مقابل زكاة الأبنان [2]وسائر المطالب والأسواق .

ودخلت سنة تسعين وألف

استهلت بالأحد : وجاءت الأخبار من الجهات المكية والبلاد الشامية في سابع الشهر المذكور فرأيت كتاباً كتب بمحروس منى يقول فيه : إن الحج كان هذا العام قوياً والركّب كثير . وكان الحج المصري والشامي متوفراً وكذا العراقي مجتمعاً وان جملة الأمراء قدر أربعة وعشرين أميراً . وأن اليماني حجاجه أيضاً كان واسعاً ، وأن المحطة بلغت للجميع الى وادي محسّر وجمرة العقبة ، والأسعار مع الكثرة رخية ، الكيلة بستة كبار . وأن في عسكر الشامي زيادة على العادة . الخيل كانت قدر ألف مع الأمير الشامي من غير العسكر ، وأما الأمير المصري فعادته وأمير الشامي يسمى خليل ، وكان الأوامر في مكة له حال دخوله لا للشريف . جاؤوا بحرامية إليه فأمر بقطع رؤوسهم لديه ، وكانت هذه الزيادة لأجل الأوهام التي قد بلغتهم في سائر الأيام ، وزادوا في رتب العراق وتلك الآفاق لما بلغهم أن الحاكم العماني في العام الماضي حكم على بعض تلك البلاد التي بين عمان والحسا ولأجل لا يحصل من اليمن خلل أو من غيره من بلاد العجم .

وفي هذه الأيام : انكسرت جلبة فيها حجاج وبضاعة فغرقت بمن فيها في باب جدّة وكان قد خرج البعض منها ثم تبعتها جلبة أخرى انكسرت حال خروجها منها أيضاً فيها بضائع الشام وجماعة حجاج هلكوا فيها .

وفي آخر شهر محرم : وصل خبر بأنه ظهر جلبة قريب المخا ووصل عندها كتب من صاحب عدن والمخا يخبرون أن في البحر جلاب من عمان في باب المندب يريدون قطع الطريق للموسم وانهم مازالوا يكثرون حتى بلغت جلابهم الى فوق العشر فقال المهدي : العسكر الذين بتهامة والبنادر فيهم كفاية لحفظ البنادر لا سيما المخا لسهولته . وأما البحر فلا طاقة لهم به ، فوصل من أول المراكب الهندية بعضها فمنها ما قبضوه ورسموا عليه ومنها ما رجع من البحر قبل وصوله ، ومنها ما دخل المخا ببذل مال لهم .

---

(١) يعني من بعض الفقهاء .

(٢) صيغة جمع للبن الشراب المعروف وهو في نفسه جمع .

وارتفع ثمن البز بسبب ذلك ، ولم تخرج الأعبي الحساوي معهم من طريق بحر عمان والخليج العربي لأجل ما قد جرى معهم في السنين الماضية من ذهاب أموالهم من الفرنج بسببهم ومنهم ، فلم يخرج هذه السنة من الحساء أحد من طريقهم ، وصاروا ساكنين باب المندب مانعين جميع شهر صفر وربيع الأول والثاني .

وفي ثاني عشر شهر صفر : وصل الزوار وأخبروا بأمطار في الحجاز حصلت بأول الصيف قوية غزيرة وسيول كثيرة شديدة بحيث حملت طائفة من الحجاج بوادي الصفراء وانقطعوا عن دخول المدينة بسبب سيل وادي قبا ، وخرب في المدينة بعض بيوتها لقوة المطر النازل فيها . ووصل السيل من جبال الطائف لأنه ينزل الى المدينة كما ذكر السمهودي في خلاصة الوفا [1] بدار المصطفي صلى الله عليه وسلم .

وأرسل احمد بن الحسن خطيب صنعاء الى صنوه الحسين بن الحسن الى رداع يستدعيه فاعتذر ، وكان بذل له الشحر والشحر صار بعيداً . ومع خروج الحاكم العماني قد محق طرقه ومصالحه بل قد قيل انه استولى عليه وأن صاحبه وادعه وصالحه .

وفي ثالث عشر شهر صفر منها : كان تحويل الشمس ودخولها أول درجة في الحمل وفيه الزهرة وعطارد وزحل في الجوزاء والمريخ في السنبلة والمشتري في الحوت والجوزهر في الثور والقمر في السنبلة .

وفي هذا الشهر : دخل جبل ضوران بعض السادات وزار مشهد المتوكل اسماعيل بن القاسم ، وقال انه يريد الخلافة فأمره أهل الجبل والأمير فرحان بأنه يترك مثل هذا الكلام ويرجع الى حيث يريد ويخرج من الحصن لئلا يكون عليه الملام ، فسار وادي الحيرة تحت ضوران وأظهر لجماعة من الحاضرين عصا طرحها على الأرض ثم أمرهم بحملها فلم يقدروا على ذلك فلما عجزوا حملها بيده ، ولا يخفاك التباس الكرامة بالمخرقة والسحر وانه لا بد من الخبرة للرّجل الذي يظهر عليه ذلك ، فإن كان صالحاً يأتي بالواجبات الشرعية فهي كرامة ، وإلاّ كانت استدراجاً وبلوى ، فمثل هذه يمكن الاستعانة بالجن في رزم العصا حتى لا ينزعها أحد غير ذلك الرجل الذي له اتّصال بهم ، فإن الساحر يتصل بمردتهم فهو ممكن من غير الولي . كما اختبر حال سيد يقال له السيد

---

(١) وفاء الوفاء ٣ : ١٠٦٨

علي بن الجلال من آل الجلال السادة بصعدة فإنه يظهر على يديه من المخاريق كثيرٌ ، من جملة ذلك أنه أعطي شاشاً فخرقه وقطعه ثم جمعه في يده وفحسه ثم مده فإذا هو على حاله ، فهذا من السحر ممكن ، لأن المذكور كان لا يصلّي في كثير من أيامه شاهده كثير من الناس ، فهو يكون من القلب لعينه كما يفعله السحرة بالتخييل ثم يعود الى أصله بعد ، أو بابداله من الجان بغيره وهم لا يرونه فيدوم هذا المبدل الى أن يبلى دون الأول . وقد تقدم ذكر شيء من حكاياته فمثل هذا يجري من السحرة والممخرقين مثل الذي يجري مع الأولياء والصّالحين غير أن الصالحين ، يختصون بمزيد ما لا يدركه السّاحر بسحره ، مثل اقامة المقعد على حاله ودوامه وإبراء الأكمه والأبرص والأعمى كما كان لعيسى عليه السلام وغيره من الأنبياء .

وفي العشر الآخرة من هذا الشهر : توفي يحي بن حسين بن المؤيد بالله محمد بن القاسم بعد عوده من الحج بجهة شهاره ، وكان المذكور له بعض معرفة بعلم النحو ، وكان جاروديأ في عقيدته متحاملاً على الصحابة رضي الله عنهم غالياً في الرفض لهم محترقاً داعية ، وكان جماعاً لكتب المثالب فيهم مطرحاً لكتب المناقب مبالغاً في إحصاء عثراتهم معرضاً عن فضائلهم آخذاً للمثالب من كتب الرافضة والكذّابين مثل كتاب «المناقب والمثالب» لأبي حنيفة محمد بن النعمان [1] الرافضي الاسماعيلي العبيدي قاضي العبيدية الذي كان بمصر أيام العبيدية وهو من الرافضة الباطنية ، ومن كتب غيره من الرافضة ، وكان يطعن في مذهب الهدوية والمعتزلة وأهل السنة وينتصر للامامية ويدعي أن زيد بن علي رحمه الله كان رافضياً سبَّاباً للصّحابة وحاشاه من ذلك فإنه متواتر عنه خلافه بل كان بسببه رفض الرافضة له وترك بيعته لأنهم كانوا طالبوه بالكوفة لما وصل اليها أن يتبرأ من المشايخ فامتنع وأملى فيهم حديث الرافضة المشهور ، وهذا ظاهر عنه في جميع كتبه رحمه الله وفي التواريخ لا يمكن ردّه . وطمس من مجموع الفقه الكبير له بعض مسائله مثل مسألة إمامة قريش ، وما ذكره في الأصول وذمّه للقدرية واثبات المشيئة لله وغير ذلك فلا قوة إلا بالله .

ودخل بآخر صفر جماعة من عمان الذين في البحر الى ساحل العَارة [2] والعمارة بها

---

(١) هو محمد بن منصور أبو حيفة النعمان توفي سنة ٣٦٢ ه ابن خلكان ٥ · ٤١٥ ه

(٢) العارة : بلد عامرة بالسكان على ساحل البحر بين عدن وموزع جنوبي المخا .

بين المخا وعدن وانتهبوا منها بعض المواشي وهربوا بها البحر وباب المندب .

والحمام الذي بخبان الذي يقال له غيل الحُرضة وكان غيلاً قليلاً يخرج من أكمة عالية وحولها أحواض متفجرة فيها الحمام ، فكان الى هذا الشهر وانفتح من ذلك الموضع ماء واسع كثير وسار في الوادي لا يعهد مثله في قوته ، ثم نقص بعد تمام خروجه من احتباسه ، وكبس الحمام وتلك الأحواض التي كانت وأزالها ثم انقطع خروجه بالمرّة ولم يبق إلاّ الغيل المعتاد من تحته ، وهذا الوادي والمناحي يَعْبُر الى بلاد لحج ثم الساحل الى البحر .

وفي ليلة سادس عشر : خسفت القمر في برج العقرب بنصف الليل وكان الخسوف قدر ثلثها فالحكمة لله في ذلك .

وأنشد هذه القصيدة هذه الأيام الفقيه الأديب علي بن صالح بن ابي الرجال[1] أو بعض أصناه يقول فيها في شأن احمد بن الحسن :

لا تحسبن وللزمـــان عجـــائب	أن الخليفـــة صـــادق لا يكـذب
فلقد نزلـت بســـوحه إذ قـادني	طوعـــاً اليه لسوء حـظي أشعب
أسعى اليه على الجهالة سعي من	صـاد الغـــزال ولم تفتـه الأرنب
فنــزلت في خيش الخــزائن وفرها	تثني على شـــح النفوس وتطنب
وبحيـث ربع الصــدق قفر مجدب	والمين معمـــور حمـــاه ومخصب
وعلى الخزائن سور[2] مميز محكم	عـــال محـــل النجم منه أقرب
قـد أحكمـــوا بنيـــانه ولعله	عمـــا قـــريب يضمحـل ويخرب
فـرمى الإله الجاهلية والحمـى	حيـــث الجهـــالة والضّلال مطنب
بـفـــواقـــر تـــدع الـديـــار	يضحى الغراب بها يصيح ويندب
ورمى الغراس وساكنيه بحمرة قلاقع	تشفي البعـــيد وتشـقـــي الأقرب
فلطـــال مـــا نزل الغني بسوحه	فصَفَت مـــوارده وطاب المشرب

(١) أديب مـن أهل صنعاء توفي سنة ١٠٣٥ توسعنا في ترجمته في كتاب الأدب اليمني ٥٥١ - ٥٨٠

(٢) : كذا في الأصل .

وإذا الفقـــيـــر ثوى به مستجدياً ... ضـاقت مذاهبـــــه وعزَّ المطلب
وترى الغني لدى الخليفـــة مائس ... غرثان يرتع في النعيـــم ويشــرب
وأخــــا الخصـــاصـة لايزال مجلاً ... عنها يـــذاد كمـــا يذاد الأجـرب
يغضي على وخـــــز القنـا وفؤاده ... يمشـــي عـــلى جمر الغضا يتقـلب
« واذا تكون كـــــريهة يدعى لها ... واذا يحاس الحيس يدعى جندب »
وعلى الغراس وساكنيه وكل من ... يـــاوي اليه مـــن الأنــــام ويقرب
غضــــب من الله الغيـــور وفتيـة ... في كل آونة تجـــــل وتصعـــب
بلــــد اذا مــا رمـت تعـرف أهـله ... فاليـك مـــا يبـدو وما يتغيـــب
قـاض يـــداهـــن والـــوزير معربد ... والجند تفسـد والخليفـــة يكذب
واذا الخطيـــب رقى المنابر واضياً ... نقض الوضـوء بما يقـول ويخطب
يدعو ويطنب عنـــد ذكـــر امـامه ... غـــلط الخطيب ومان فيمـا يطنب
ولسان حـــــال الشرع يدعو للذي ... يأتي الى تلـك البقاع ويـقـــرب
يا طـــالبـاً للشـرع غـير مقصر ... تطوي المشـارق تـارة وتغـرب
لاتطـلبن الحـــق عنـــد امامـكم ... القول ما قالت(سماة)و (مجزب)[1]
ان الأميـــر يقـــول مـــا قـالا لـه ... كالببغاء ولكـل عبـــد مذهب
ولـديه أسفـــــار تكاثر عـــدّها ... محبوسة في جلــدهـا لاتقـلب
ولربما أمـــلا ومخـف بعضهـــا ... لزعـانـف تقرى عـــليـــه وتكتب
وتـــراه يـرخي الشـدق فـوق كتابه ... كالبـكر أزعجـــه همام مغضـب
فلقـــد أقـــول لمـــن يشيّد ذكرهم ... ويطيل في مدح الأميـر ويســـهب
إقصـــر بفيـْك التـّرب انك كـاذب ... والمـرء ان يك مـؤمنـاً لا يكــذب
أتقـــول بهتـــاناً وتشــهد باطـلا ... والله يكره ما تقـول ويـغضـــب
وتروم أن يصغي لقولك مؤمنــــا ... لا أم للمصـــــغي اليـك ولا أب
فدع التطـــاول والتعصـــب للذي ... تلهو بلحيتـه الجوار وتـلعــــب

(١) أسماء مملوكين للمذكور .

وتراه يضحك للجوار مقهقهاً ... مثل الغراب على الخنافس ينعب

ويبيت في علم النجوم مفكراً ... وتراه منها خائفاً يترقب

ويقول تأثير النجوم حقيقة ... وفعالا في العالمين مجرب

ومقاله في البعث مثل مقالهم ... يَرويْه عنه شقيقه والأقرب

فلك يدور على شموس بعدها ... في الأوج أقمار تنير وتغرب

يا صاحبي وللزمان بوادر ... تأتي على مر الليالي وتذهب

لا غرو أن أضحى الجواد مضللاً ... والقطر يحبس في السماء ويحجب

فلكم وكم من بدعة وافى بها ... والله يأنف للعباد ويغضب

أيقول للتتن المباح حكاية ... هذا حرام لا يباع ويشرب

ويبيح للذكر الحرير ولا يرد ... أبداً . . .(1) لمن لا يرهب

الا بدفع ضرورة يعطي بها ... ثبت الدراية في العلاج مجرب

وقضا بإخراج اليهود ولم يكن ... الى بلد ألذّ وأطيب

ان رام تطهير الجزيرة منهم ... فعلام حلّوا في ذمار وطنّبوا

أو رام تخطئة الأئمة قبله ... والأمر أشنع والقضية أعجب

وإذا تطالب بالدليل وجدته ... أعجب حيران في جبل الضلالة يخطب

واليك يا بدر الشريعة نفثة ... للغيظ أنفذها الأديب المغضب

والشوق ينشر في البلاد قصائدي ... يضحي يطير بها الجراد العنضب (2)

واعلم هديت وللزمان عجائب ... والعمر يذهب والصحائف تكتب

ان المقام على الهوان هو الأذى ... والرزق عادته يجيء ويذهب

فإلى متى جد الأكارم ناكص ... والجهل يعمر والشريعة تخرب

أين الفرار من الديار فعده ... منها العذاب وأين أين المهرب

ولقد ذكرت البعض من أفعاله ... وتركت منها الجم وهو المتعب

---

(1) كلمة في الأصل مطموسة

(2) العنصب . الجراد الضخم أو الذكر الأصغر منه .

انتهت القصيدة للفقيه الشيخ الأديب علي بن أبي الرجال . ويشهد له والله أعلم انه على دين الرافضة ما جرى منه من البغي على الإمام المؤيد مرّتين وما جرى منه من قتل النفوس بيده ظلماً ، ولم يتخلص مما يجب عن ذلك شرعاً ، ومَطْله بالديون وكذلك شعار يوم الغدير شعار الرافضة وكتابته في بعض الضربة بما يتضمن الغلو في حق أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، وإذا صح ما ذكره صاحب القصيدة هذه أن المذكور في « . . . » ، فهذه بلية عظيمة على من بايع السيد ، وقد تحملوا في أعناقهم آثامهم فلا قوة إلا بالله ، وأما كونه رافضي في أصل الإمامة وأن النص في علي جلي فهو مصرح به قائل به معتقد معه مناد بذلك ، وتهوّره في اللذات الدنياوية خصوصاً في النكاح ، ويستعين على زيادة الباءة وتحريك المباضعة بأكل الزرنباد[1] المشهور ويأمر من يفعل له معجونه ، وهو مشهور بقوة الانعاظ وتحريك الشهوة وكثرة المعاودة للنكاح لمن استعمله ، حتى انه مرة أعطى من البنايين شيئاً من معجونه لأجل يتعجب على ما يحصل معه من تأثيره فخرج عن البناء وأقل الحياء ، ومثل هذا استعمال المحرك للهوى لا يفعله إلا المسرف على نفسه . وقد نهى كثير من العلماء عن استعمال المحركات الى مثل هذه الأدوية الى زيادة الباءة لأن ذلك يكون من طلب زيادة البلوى في التكليف ، وقد يقع والعياذ بالله صاحبه في المحظورات . والانسان يود قمع ذلك لا زيادته ، ولهذا صار سَرَاري هذا الملك احمد بن الحسن ثلاث مائة جارية ما بين سوداء وبيضاء مما لا يفعله الا من تهور في اللذات والشهوات ، والوصائف معه مثلهن بلغ عددهن من فوق عدد ما كان مع الصليحي من الباطنية الذي كان ملك اليمن في المدة الماضية ، ويلبسهن لباس الرجال بالأزينة الحرير والقوايق[2] القطيفة ويجعل على رؤوسهن كالعمامة التركية وسطها مفروق كلباس الصبيان والبريمات[3] على أحقاوهن . ويجعل المخازين معهن وأعداد الدراهم بأيديهن ويجتمع بغير واحدة منهن يتنقل معهن مجتمعات ومتفرقات . ولا يتهور في اللذات ويتبع النفس هواها الا من أمن عقباها والتشبه بالرجال حرام ، ولقد أخبرني

---

(١) . الزرنباد : قال الملك المظفر الرسولي · يسمى عرف الكافور وهو شبه الزنجبيل في لونه وطعمه يؤتى به من أرض الصين . يسمن تسمينا صالحاً ويحلل الرياح والخرزة الكبيرة الملساء اذا نقت وعلقت على حقوي المنقطع عن الجماع من علة لا طبيعية أعادت الى حاله وهيجت الباءة وزادت في الانتشار (انظر المعتمد : ١٩٨) .

(٢) جمع قوق أو قوج قال دوزي « يبدو من نص كتاب الف ليلة وليلة أن هذه الكلمة تشير الى شبه عمارة تلبسها النساء مع العصابة أو العصبة «المفصل بأسماء الملابس العربية : ٣٠٦ » .

(٣) البريم · حبل مبروم وخيطان مختلفان أحمر وأبيض تشده الجارية على وسطها وعضدها .

بعض الثقات أنه مرة حضر في الكشك [1] فوصل اليه خواجا ببريمات من ذهب وفضة فشراها جميعاً بتقويم دلال طلبه فقومها بثلاثة آلاف قرش وأدخلها بيته .

وفي هذه الأيام بآخر شهر ربيعها الأول : وصلت المراكب الهندية الى المخا فتلقّاها العمانيون رسموا عليهم وعشروهم في باب المندب واستقروا فيه وصاروا يجولون حواليه .

وفي نصف شهر ربيع الآخر : وصل كتاب منهم الى أصحابهم من التّجار الذين بلغوا الى صنعاء ومن جملتهم مملوك لأميرهم صار يشتري من السفياني [2] ومضمون الكتاب المبادرة بالنزول فقد آن السفر معهم ، فلما بلغ المهدي طلب التّجار ومملوك العماني وعاتبهم في الذي صار يجري من أصحابهم وقطع الطريق ومحق السواحل اليمانية ، فأجابوا بأن هذا ليس لهم فيه سعاية وانما هم متسبّبون ، فكتب المهدي الى صاحب عمان بمعاتبته والتّلويم عليه في ذلك ، وأن كل من قد وصل الى سواحل البنادر اليمانية من مسلم وكافر من الفرنج فقد صار في أمانه وأنه ان لم يترك أفعاله قصده وناجزه .

وفي هذه الأيام بتاسع وعشرين شهر ربيع الآخر : اتفق قران بين زحل والزهرة في برج الحوت .

ووصل مع بعض حاج اليمن تقويم لبعض المنجّمين من بلاد مصر يذكر فيه تقويم هذه السنة وأنه تحصل في اليمن فتنة . ولم أقف على تقويمه لكنه كان في برج السُّنبلة المريخ والقمر قال أبو معشر : في تحاويله إذا كان المريخ بالسنبلة دلّ على كثرة القتال والحروب بناحية الجنوب وسقوط بعض الأشراف عن مراتبهم مع فساد الهواء ويبوسته .

ومثله ما ذكر ابن حبيب في تحاويله فقال : اذا كان المريخ[3] في طالع السنبلة دلّ على كثرة الحروب تلك السنة ، وزحل في الجوزاء كثرة الجيوش ومغازيهم وافسادهم تلك السنة ، وقد كان في السنة الأولى في هذا البرج أعني زحل لكنه كسره تربيع المشتري وغيره والمشتري في الحوت غزارة المطر في أول الربيع الشتوي مع فساد المطر للزروع

---

(١) الكشك : شبه رواق بارز عن مساواة بقية البيت واللفظة فارسية .

(٢) : كلمة مبهمة .

(٣) هذا الكلام مضروب عليه في الأصل .

والثمر ، والقمر في السنبلة سلامة الناس والحيوان . ورخص الدواب وكثرة المطر والطعام والثمار والزروع ، وكون كسوف القمر وقع في العقرب فحرك كسوفها في السنة السابقة في برجه السابق وهو طالع اليمن دل على تحرك سوى هذا المريخ بالسنبلة والله أعلم .

وفي هذا الشهر : خرج مركبان من الواصلة من الهند الى المخا فرآهم العمانيون فلحقوهم فمال أهل المركبين الى الساحل يريدون الخروج اليه والتّقرب ، وكان فيه أخلاط من المسلمين والفرنج فنحوا عنهما الى الساحل ، وتكسر أحد المركبين بما فيه من المال في البحر بسبب مصاككته سَاحل البر وسلم أهلهما وهربوا عنهما ، وانتهب العمانيون المركب الآخر جميع مافيه من البضائع ونالهم بسبب ذلك الخسارة ، ثم تبعهم آخر الموسم المراكب السلطانية الهندية ومعها أخلاط فواعدوهم بتسليم العشر فسلموا اليهم بعض شيء ثم ساروا الى المخا فلم يتعرضوهم الآ بعض مراكب لحقتهم فرموا عليها من المخا وأسلموهم .

وفي تاسع شهر ربيع الآخر : وصلت هدية الى محمد بن المتوكل من علي باشا صدرها من جهات البحر وذكر في خطّه : الولد السيد محمد بن المتوكل اسماعيل هذا لفظه ولم يلبث رسوله – وهو تركي ومعه خمسة من الخدامين – الآ نحو ثمانية أيام وزلّجه بمكافأة هديته .

وظهر هذا التاريخ جراد في اليمن . وكان المطر أول الخريف قليلاً .

وفي هذا الشهر : وصل كتاب من صاحب عدن الشيخ راجح بأنه وصل الى سواحل عدن مركبان من ماشرفتان[1] فأرسلوا أهله اليه : أنه يرسل اليهم في الليل جماعة من أعيان العسكر يدفعون[2] بينهم قصد عمان لهم وهم لا يشعرون بمن فيه من التضمين معهم فسار جماعة كما طلبوه في الليل واتصلوا بهم ودخلوه . فلما أصبح الصباح ولاح أقبل العمانيون الى المركب يجرونه بالكلاليب فخرج فيهم الذين داخله بالقتال والسلاح والرمي بالبنادق والكفاح ، فأخذوا منهم خمسة وعشرين رجلاً وانكسر الباقون وسلم المركب بمن فيه ودخل عدن . ولما عرف العمانيون انهم لا قدرة لهم على عدن وقرب

---

(١) في طبق الحلوى : ٣٦٠ « ماشلي فتان » ولم أقف على هذه البلدة .

(٢) تقرأ في الأصل يدقون .

عليهم وقت السفر وطلعت الثريا فجراً من المشرق عادوا بلادهم .

وفي آخر هذا الشهر : أرسل صاحب المخا بجماعة نحو العشرة من عساكر السلطنة وقالوا انهم هربوا من بندر جدة . وكان جملتهم نحو الخمسين فبعضهم ساكن بالمخا وبعضهم كان مريضاً ثم تفرقوا .

وفي يوم الأربعاء ثالث عشر شهر جمادى الأولى : وصل كتاب من بندر اللحية يذكر فيه انه دخل اليها علي باشا ومعه أصحابه من العسكر نحو ثلاث مائة بنادقية ومعه صنجق ونوبة ، وقال انه كان متولياً في الحبشة عزل فسكن في اللحية وانزلوه في سمسرة الفرضة قال الرسول بالكتاب : انه كان وصوله حاضراً ووصف هذا الوصف ، وقال : انه أولاً كتب يوم الخميس وهو في البحر بالاستيذان وانه هارب فأذن له حسن ولم يعرف أن معه هذا الجمع قال : وكان دخوله الى اللحية عقب صلاة الجمعة ثامن شهر جمادى الأولى .

وفي هذه الأيام : بعد تسمير كنيسة اليهود كما سبق . فتحت الكنيسة وأخرج ما لليهود من الكتب والتّوراة وأراق الخمر الذي كان في الجرار لها يباع مع اليهود في مصالحها ، وأمر بخروج اليهود فخرجوا عنها ارسالاً وباعوا ما ابتاع من بيوتهم وخربوا منها مالم يبتاع وباعوا خشبها وأحجارها ، وجعل الكنيسة مسجداً ورفع سقفها لأنها كانت نزلت في الأرض كثيراً لقدمها ومحرابها الى بيت المقدس لم ينحرف عن القبلة لأن بيت المقدس مقابل للكعبة . وأدبهم بالآداب من الدراهم فساروا الى موزع ، واليهود أكثرهم الذين كانوا بها نزلوا الى بلاد ذمار واليمن الأسفل وأمرهم بالسكون في بلاد موزع ، وكانت هذه الكنيسة قديمة من قبل النبوة ومقابرهم غربي صنعاء بقدر نصف ميل من باب السبحة غربي الأعناب التي هنالك في القاع الغربي ، يدل على قدمهم وكونهم من اليهود الذين قررهم النبي صلى الله عليه وسلم في اليمن وأمر معاذ ابن جبل بأخذ الجزية منهم كما في سيرة ابن هشام[١] .

وفي هذا التاريخ : أمر احمد بن بالحسن بالتحريج في التتن وأن الناس لا يشربونه . ورسم على المتسبّبين الذين يبيعون فيه ، فتضرروا بذلك وقالوا له : تذهب أموالهم فيه وهي جزيلة فإنه حصر الذي بصنعاء من التتن مع التجار ما قيمته قدر مائة ألف وأرسل الى

---

(١) سيرة ابن هشام ٣ : ٢٥٧ .

اليمن الأسفل يأمرهم بأنه لا يغرس فيه ولا ينبت ، والنقص على بيت المال حاصل لأن بعض دفعات اليمن ومحصوله من التتن ، والله أعلم ما يتم من قوله فيه ، وجاء الشهر الثاني ونقص نصف الدفعات من أماكن مزارع التتن في مثل بلاد شرعب والدمنة ووصاب وحفاش وملحان ، فبقي المهدي حائراً من ذلك وهو يسمى في كتب الطب الطباق[1] شجرة لا اسكار فيها ولا شيء مما يقضي بتحريمها ، لكنها مكروهة فقط لكونها مجرد دخان يقل الانتفاع بها ، ولكنها ما كانت تستعمل في الزمان القديم بشرب الدخان منها بل استعمالها بالأدوية وبالسفوفات والمعاجين .

وفي هذه الأيام : وقع برد كبار في جبر حجة والقبال وزنت كل بردة ستة أرطال .

وضرب الملك الزاهر ضربة جديدة مثل البقش الأولى وأصغر الا انها كانت أقل خلطاً من النحاس .ولما سكن محمد بن المتوكل ببرط أقبلت اليه قبائل برط بالضيافة من الغنم ولم يحمد الناس بلادهم بل طلعت القوافل من ورائهم ، وارتفع السعر في برط بلغ القدح الى ستة حروف والعلف ارتفع ثمنه ونال الناس المشقة فيه إلاّ أن محمد بن المتوكل بذل لهم .

وفي هذا الشهر [رجب] : قطع المهدي رأس اثنين من الحرامية بمحطته في بئر الدرج بالرحبة وذلك بسبب قتلهما لرجل في المبرز من بلاد سمارة وأخذ ما معه .

وفي نصف شهر رجب : توفي الحكيم الطبيب محمد لطفي بن الأمير المحراز[2] كان بمدينة صنعاء من الحكماء العارفين بالطّب وعلى يديه يقع الشفاء ، وكان عارفاً بأنواع العلل وأسمائها والمعاجين ومجموعاتها .

وفي نصف شهر شعبان : خرج محمد بن المتوكل من عيان وعاد الى صنعاء بعد صلاح تلك الجهة وقبض جميع ما راح من النهب من سفيان ومن برط وأكدوا عليهم الأيمان وولى في قصر عيان والياً وجعل معهم عينة من العسكر اذا صبروا على الاستمرار في ذلك المكان ، واستمر الدولة على الوفاء بما لهم من السبار كما كان أول الأزمان في مدة السلطان ، وكانت أيام السلطنة صالحة والدولة عليها حاكمة حتى خربت وزال عنها الولاة فمازال يحصل فيها ما يحصل فلا قوة إلا بالله ، وصار حالهم فيها كما

---

(١) الطاق أطره في تذكرة داؤد ١ ٢٢٩

(٢) طق الحلوى . الحرار .

قال الشاعر [١] :

خلا لـك الجو فبيضي واصفري ونـقـري ما شئـت أن تنـقـري

ولا تكاد تصلح الا باستمرار الدولة فيها وعمارة المدينة اذا حصل لها كما كانت أولا ، فأما بلاد برط العليا فلا مصلحة فيها ولا طريق هناك يحتاج اليها والله يصلح البلاد ، رأيت مرسوماً سلطانياً تاريخه سنة عشر وألف للشيخ قاسم من آل سليمان والشيخ فلحاز مـن أهل عيان بالأمان لهم والضمان والوعيد لمن تعدّى عليهم من سفيان .

ووصل هذه الايام الى صنعاء الشريف اسماعيل بن ابراهيم الحنفي الحسيني . وذكر أن صنوه كاتب مع السلطان محمد بن ابراهيم بن عثمان سلطان الروم ، وانه وصل زبيد هذا العام بعد الحج الى بيت الله الحرام ووضع بعض كتبه هنالك وديعة بزبيد وطلع الى هذه البلاد متنفساً ، وراجعه من راجعه فوجده عارفاً بعلوم العربية والمنطق والحديث وفقه الحنفية ، واتفقت به غربي صنعاء باحثته [٢] في فقه الحنفية فوجدته عارفاً ، وسألته عن قول الحنفية في الماء الكثير انه عشرة أذرع في عشرة بذراع الكرباس [٣] . ما الكرباس ، فقال : الكرباس الثوب ، باللغة الفارسية ، ومراده بالذراع الذي يذرع به الثوب ، ولم يكن معه أحد من الخدم بل يدور في البلدان يسكن في المساجد ، وكان سكونه حال وصوله الى خارج صنعاء سكن ببعض مساجد بئر العزب ، ولما طالع المجموع الكبير لزيد بن علي قال : ليس بين أبي حنيفة وبين زيد اختلاف الاّ القليل في نحو اثني عشر مسألة .

وفي يوم الثلاثاء ثاني وعشرين شـهر رجب : وقـع قران المريخ والزهرة ببرج العقرب .

ووقع في بلاد خولان صنعاء فتنة بين بني جبر وبني سحام وخصام أفضى الى الحرب والقتال .

وأمر المهدي السيد الحسن بن المطهر الجرموزي صاحب المخا بعمارة باب المندب والتحصين له فشرع السيد في ذلك ، وكان في ذلك المحل آثار خراب عمارة كانت من

---

(١) : طرفة بن العبد (حياة الحيوان ٢ ٠ ٢٤) .

(٢) . الأصل : باحثه

(٣) الكرباس ثوب من القطن الأبيض وقيل الثوب الخشن معرب كَرْباس بالفارسية

زمان بني زريع الذين كانوا ملوك عدن ثم خرب ، وهو مجمع طريق التجار الذين يخرجون من البحر الكبير الى حدود بلاد المخا .

وأهدى للملك الزاهر بعض الواصلين من أهل الهند عربة صروف على عجيل وتجرها بقر من بقر الهند ، وفيها حلي وتزويق في العربة وعناية ، وكان احمد بن الحسن يركب عليها وتجرها البقر في التماشي وهو فيها ، ولما دخل صنعاء مرّة لَقَوها[1] له الى خارج الباب وركبها .

وفي هذا العام حصل : في الموسم الهندي حركة في البيع والشراء بالمخا حتى راح الآخر بلا شيء من التجار ، ونقص فيه سعر الذهب عن العادة قالوا : ما تأخذوا الحرف الأحمر إلا بقرشين إلا ثمن .

وفي النصف الآخر من شهر رمضان : ظهرت نار عظيمة في الجبل المقابل للمخا في البحر تلتهب وترمي بالشرر الى البحر وتصعد الى السماء كالمنارة العظيمة يرونها كذلك في الليل من الجبال اليمانية البعيدة كجبال وصاب وغيرها ، وفي النهار يرون دخانها كالسحاب وظهر في خلالها نتن [2] في البحر بسبب موت كثير من الحوت المقارب من الجبل لما حصل من حره ولفحها وقذف البحر بشئ منها الى ساحل المخا ، وحصل في المخا زلازل شديدة ثم تعقبه حَريق حرق النصف فأكثر . وركب السيد حسن الوالي عليه في البحر بأهله وأولاده وفات عليه من المنقولات بالنار كثير وعلى غيره من الساكنين ، والنار يومئذ في الجبل المقابل للمخا باقية يقال للجبل سُقار بضم السين المهملة ثم قاف ثم راء ، مشهور هنالك حتى إذا كان أول شوالها نزل عليها مطر من السماء أطفأها وزال بسببه لهبها واضمحل أمرها فلله الحكمة فيما يشاء ، وقد كان اتفق من النار نار عظيمة في الجبال السبعة بين كمران ودهلك كان يرى من جبال سردد كحفاش وملحان وفي النهار يري دخانها كالسحاب وذلك في المائة الثامنة [3] ، وكان بعدها ما حصل من الفناء العظيم[4] باليمن المشهور ، نسأل الله العفو والعافية ، وكذلك

---

(١) لَقَوه : تلقّوه بها .

(٢) قلت : لعلّ هذا النتن هو رائحة الكبريت التي تصدر عن فوران البراكين والله أعلم

(٣) سنة ٨٣٥ كما ذكر المؤلف في غاية الأماني : ٥٦٩ .

(٤) يعني الطاعون العام الذي ابتدأ من سنة ٨٣٩ ومات فيه خلق كثير .

ظهور النار التي ظهرت قرب المدينة بالحجاز[١] التي كان وعد[٢] بها النبي صلى الله عليه وسلم ، كانت تأكل الحجر ولا تأكل الشجر وحصل عقبها فتنة التتار المشهورة .

ورأى في شهر رمضان كثير من الناس السماء منشقة ، وخرج منها نور أضاءت له الأرض هكذا رواه من رآها كذلك ، ولعلها ليلة القدر لأنه قد روي انها قد تظهر كذلك والله اعلم .

وفي هذا الشهر [شهر شوال] : هرب جماعة من العبيد الخيالة من أصحاب المهدي الى عند صنوه حسين صاحب رداع وقالوا : ما كساهم المهدي في عيد رمضان ولا عدّ لهم جوامكهم .

وفي شهر القعدة : وصل جواب المهدي من الحاكم العماني الى عدن ثم الى حضرته ولم يعرف ما لفظ جوابه الأرواية[٣] انه قال : عساكره مامورة بالكفار من الفرنج والبانيان أين ما وجدوهم في البحر أخذوهم ، ولم يأمرهم تتعدى الى وسط اليمن كما أجاب به على المتوكل .

وفي هذه الأيام : ظهر مجنونان أحدهما ادعى النبوة وانه قد رفع عن الناس الصلاة والصّيام وأن السماء قد امتلأت من الصلاة والصيام فلم يبق بها اتساع .

والآخر قال : انه يطلع الى السماء ومعه بيرق يسير به مع العسكر ، وخرافات المجانين كثيرة نسأل الله العفو والعافية .

وفي هذه الأيام : أرسل المهدي الى اليمن الأسفل ان الولاة الذين اكتسبوا فيه الأموال كالشيخ راجح وولده والسيد جعفر الجرموزي صاحب العدين وغيرهم يسلمون الذي على مالهم من المطالب بعد معرفة ذرعه فتضرر أولئك وقالوا : بأيديهم مراسيم وضربات[٤] من المتوكل وغيره[٥] .

---

(١) : كان ظهورها سنة ٦٥٤ أنظر العسجد المسبوك : ٢٣٠ .

(٢) : اشارة الى قوله صلى الله عليه وسلم « لاتقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء لها أعناق الابل ببصرى » أخرجه البخاري ، كتاب الفتن عن أبي هريرة أنظر النهاية لابن كثير ١ : ٢٦ .

(٣) : كذا في الأصل .

(٤) : يقرأ هذه اللفظة أيضاً (وخير باب) .

(٥) : هنا ينتهي الجزء الثاني من بهجة الزمن . وينتهي بانتهائه كتاب طبق الحلوى الذي اعتمد فيه مؤلفه على كتابنا هذا دون أن يشير اليه في قليل أو كثير .





3

الجزء الثالث



ودخلت سنة إحدى وتسعين وألف

في[1] محرّمها جاء خبر الحاج انه كان فيه كثرة وقوة خلاف العادة السابقة وأن القوة كانت للشامي . وفيه كثير من الأمراء والأعيان والرّوم وقيل أن فيه كان حاجاً ولد السلطان محمد بن عثمان ، وبلغ النّاس في منى الى وادي محسّر ، واستغرق العسكر كثيراً من بيوت مكة حتى بيت المتوكل الذي كان بمكة كان شراه في المدة السابقة ، وكان ينزل فيه الحاج فرحان في أيام سعد بن زيد ، وأما الحاج اليماني فكان ضعيفاً الى الغاية ومخرج الحاج اليماني قبل عزم الركب الشامي والمصري زيادة على عادته بمكة ثم ساروا بعد عزم اليماني .

وفي يوم السبت آخر شهر محرم : مات القاضي احمد بن جابر العيزري الأهنومي بمدينة صنعاء ، كان المذكور له معرفة بفقه الهدوية لا غيره من الفنون العلمية وكان متنسكاً يتشبه بالصوفية ويخدم نفسه من السوق بالحاجات السوقيه . ويحملها بيده وعلى جنبه ، وكان كثيراً من أيامه يخرج بطعام في جرابه ويطوف به في السكك يطعم منه من تبعه من الغرباء والكلاب حتى أن الكلاب تتعلق بثيابه وهو يلقي لها ما تأكله ، وكلما رأته كلاب المدينة تكاثرت عليه وتبعته ، وسأله بعض السائلين كيف يصلي في ثيابه وقـد تنجست من الكلاب التي تتعلق بأطرافه وأهدابه فأجاب بأنه يطرح عبائه حال صلاته[2] في المصر وغيره على رأي امامه الهادي ، وقد كان آخر أيام المتوكل اسماعيل بن القاسم لا يصليها قال : لتغير سيرته فيها فتركها وقبر بخزيمة جنب القاضي ابراهيم بن حسن العيزري . وكان من آخر يوم الخميس ويوم الجمعة ومات بكرة السبت روي عن زوجته أنها قالت : كان يقول حال مرضه هذا وشدة ألمه مخاطباً لم تقتلوه ولا يدري من يخاطب بذلك . قال الراوي : فيحتمل أن يكون من قبيل حديثه من الجان لأنه كان يقول انه مخدوم وانه سيحضرهم والحكمة لله . فانه قد ورد في قوله تعالى ﴿كالذي يتخبطُهُ الشيطانُ من المَس﴾[3] ان الصرع أحد أنواعه من قبل الجان ومنهم من يموت من ذلك ،

(١) من هنا يبتدي الجزء الثالث من بهجة الزمن ويلاحظ أن غالب صفحات هذا الجزء ضرب عليها بالقلم الا أن هذا الضرب خفيف يقرأ .

(٢) هاكشط كيف لم نستطع تبينه .

(٣) :الآية ٢٧٥ سورة البقرة .

وأحد أنواعه ألم من قبيل البخار ، والتخلية قد تحصل لمن أراد الله كما قال تعالى في سياق الحفظة من الملائكة يحفظونه من أمر الله . وإذا أراد الله بقوم سوء فلا مرد له . ونسأل الله العافية والكفاية ، وهذا أحد الأسباب التي ينبغي ترك تعاطي طلب الاستخدام بالرقاء ، فإن ذلك يحتاج الى كمال شروط التقوى لتكون اليد قاهرة وشروط الولاية والعصمة عسرة ، نسأل الله الثبات على السّنة ، وكان المذكور يحكم بالقضاء ويتولى فصل الشجارات لمن اليه أتى من غير ولاية له من المتوكل ولا من بعده ، وقال لمن سأله عن ذلك : وكيف تقضي من غير ولاية . فقال : انه لا يحتاج اليها فإن ولايته من الله تعالى .

وفي هذه الأيام : اتفق أن رجلاً رقد النهار بجامع صنعاء فخرج حنش من الحيات يسعى في المسجد حتى دخل سراويل ذلك النائم فقال الذي رأوه دعوه لا تحركوه لئلاّ يضرّه ولا تنبهوه ، ثم خرج من سراويله لما لم يجد منفذاً والرجل نائم فلما قام من نومه أخبروه بالقضية فحمد الله على السلامة .

وفي شهر صفر : جدّ المهدي احمد بن الحسن بإخراج اليهود من اليمن وأرسل عليهم مترسمين ومتقاضين لهم ومخرجين ، فخرج يهود صنعاء وجميع بلادها ما بين شهارة وسمارة ونزلوا الى جنوب موزع حسبما أمرهم بأهليهم وأولادهم . وكان نزولهم الى هذا المحل بمشورة محمد بن المتوكل فانه لما عرض احمد بن الحسن عليه الكلام في حديثهم ، وكان محمد بن المتوكل غير راض بإخراجهم ورأى أن المهدي قد أصرّ على اخراجهم ، أشار بانه اذا كان ولا بد فالى أطراف اليمن كبلاد السواحل ، ولم يعرف أن ذلك لا يتم لهم لتفرق معاشهم في أرض اليمن لحرفهم وأشغالهم ، واجتماعهم في محل واحد لا يحصل نفاق لمهرهم وصناعاتهم ونفعهم وانتفاعهم ، فكان أرادوا بالخروج الى سواحل تهامة في الجهة الغربية مما يلي بلاد المهجم والكدرا فمنع أهلها عنهم وقالوا عليهم ضرر بتضييق مراعيهم وحقوقهم وبلادهم وان ذلك لا يتم لهم ، فعدلوا الى تهامة الجنوبية بنواحي بلاد موزع وتضرّر أهل البلاد منهم ، وهم أيضاً تضرروا لعدم تمام نفاق معايشهم ، فرجع أكثرهم الى حيث كانوا و القليل منهم تفرقوا في اليمن الأسفل وقرّوا ، وقد كانوا باعوا بيوتهم بصنعاء وغيرها بنصف قيمتها الا اليسير منها ، وكان بعض من اشتراها قد خربها وباع مؤونتها وحجارها وأخشابها ، ولما تفرق اليهود

كما ذكر كتب احمد بن الحسن الى صاحب أوسة بسواحل الحبشة انهم يخرجون الى جهاته وله جزيتهم فأبى ذلك ، وأجاب على المهدي أن البلاد للسلطان ، فأمر لهم في السكون حيث كانوا ، فمنهم من رجع الى تلك البلاد التي كان فيها ومنهم الى قريبها . ويهود صنعاء عمروا لهم غرب [1] بئر العزب خارج صنعاء ديماً وبيوتاً في أطراف أصلاب كانت لجانب الوقف استأجروا أرضها وعمروها .

وضرب احمد بن الحسن ضربة جديدة فيها بعض أخلاص[2] مع صغر البقشة حتى بلغ الصرف لأجلها القرش بأربعة .

وفي شهر صفر : وقع فيما بين أهل صبيا وبني حبيب من القبائل التي حولها مما يلي الجبال شرقيها ، وذلك أن السيد صاحب صبيا غزا بعض صرمهم فيها فانتهبهم وسار بمواشيهم فتغاور القبائل وصاحت عليهم فتبعوهم فوقع بينهم مقتلة راح من الأشراف جماعة واستردوا حقهم منهم ، ثم صالوا من بعد على أطراف صبيا قصاصا بما جرى معهم على زعمهم فلم يقدر الشريف دفعهم لركَّة يده فكتب الى المهدي احمد بن الحسن بالامداد لهم فكان أهم ثم ترك ذلك ووعدهم .

وفي هذا الشهر : وصل صنعاء جماعة من عساكر السلطان الذين كانوا مع الباشا علي الذي سكن في اللّحية بعد أن عزم الباشا وبقي بعضهم فيها ، فلما وصلوا باب السبحة وقفهم والي المدينة حتى يستأذن لهم ، ثم دخلوا صنعاء وهم قدر ثلاثين نفراً بسلاحهم وبنادقهم ، ثم خرجوا الى حضرة المهدي الغراس .

وفي يوم السبت تاسع وعشرين صفر : أكسفت الشمس على مضي سبع ساعات أو ست في برج الحمل . وكان المنكسف منها يسيراً بحيث لم يدرك كسوفها اكثر الناس ، وصلي لها صلاة الكسوف بالروضة لمشاهدتهم لها ، ولم يصل لها في صنعاء لاتفاق سحاب حجبها .

وفي هذه الأيام بشهر ربيع : زاد المهدي في دفعة بلاد حجة قدر ألفين حتي أوفاها الى السبعة ، وكانت من قبل أربعة فَدَخَل فيها السيد علي بن حسين والي حجة وَرفع احمد

---

(١) . عرفت فيما بعد بقاع اليهود وأصبحت قرية مستقلة من صنعاء . وبعد جلائهم من اليمن على اثر اغتصابهم لبلد فلسطين في عهد الامام يحي فرغت هذه القرية وسميت باسم أحد الثوار في الجمهورية القائمة .

(١) أخلاص . فضه .

بن الحسن عن بلاد حجة مع هذه الزيادة زائد الربع ، وكذا زيْد على والي ريمة السيد ابراهيم بن علي جحاف ، وأزيلت يده عن ولايتها وتولاها حسن بن ناجي من الكلبيين ، ودفع الى محمد بن المتوكل كل شهر ستة آلاف بعد أن كان يدفع السيد ابراهيم ثلاثة ، وأزيلت يد السيد زيد عن ولاية بيت الفقيه بعد حيس ، ولم يبق مع السيد زيد الآ بلاد زبيد . والسيد قد توسع كثيراً في بيوته وجواريه وخدامه فحصل معه ومع بني جحاف ما حصل من الشدة والضرر هذه المدة ، وكذلك تقاصرت أحوال تقاريرهم في بلاد حبور وما يعتادونه من سباراتهم ، وكذلك بلاد شهارة حتى رحل كثير من أهل شهارة عنها من الذين كانوا في الأصل من غيرها ، والدنيا تقلب بأهلها وفيها عبر لمن اعتبر فيها .

وفي هذه الأيام : وافقني رجل من جند السلطان الذين طلعوا من اللحية فذكر لي أنه أسلم بالمصوع ثم دخل مكة وحج وزار النبي صلى الله عليه وسلم فقرأ القرآن ، ثم دخل الروم ثم خرج مع الباشا علي ، فلما عزم الباشا بعد أن استقر باللحية قدر ستة عشر شهراً سنة وأربعة أشهر طلع صنعاء قال : وكان خيالاً معه حصان مات عليه في الطريق عند طلوعه حولى بلاد المحويت ، ومعه زوجته وأولاده وكان تأهل بالحبشة وانما رحل الروم برأسه ، قال وبقي عند حسين بن المتوكل من أصحاب الباشا الأتراك قدر سبعين نفراً من غير الذين رجعوا مع الباشا علي ، ووصف قوة السلطان محمد بن ابراهيم بن عثمان هذا الأوان وكثرة استفتاحه في بلاد الفرنج النصارى واستيلائه على بلاد مالطة وبلاد الجريد [1] وغيرها قال : وهو يقرب لصاحب الحبشة الذي كان وصل اليه القاضي حسن الحيمي أيام المتوكل الذي أرسله في الأيام السابقة ، وأنه حال وصوله وهو المالك قبل أن يسلم ، وخرج من بلاده محبة في الاسلام ، وأن ملك الحبشة العليا في جبالها من النصارى كان محباً للاسلام لكنه لم يقدر على اظهاره خوفاً من النصارى أهل بلاده ، وانه كان في الباطن مسلماً ومات على الاسلام ، هذا خبره الذي أخبر به .

وفي هذه الأيام : ظهر بأيدي الناس ذهب أحمر ضريبة الدينار ووزنه وزنه ، ولكن رسمه مخالف فيه : بسم الله وما توفيقي إلا بالله توكلت على الله ، وداخلها الله حق ناصر الحق المبين ، وفي الجانب الثاني احدى وتسعين وألف ضرب بحضرة أوسة حاطها الله ، هذا لفظه ولم يصرح باسم الضارب غير هذا ، ولم يعرف من ضاربه أصلاً ولكن

---

(١) الحريد ناحية في تونس الوسطى تشمل واحات تورز ونفطة والوديان والحامة والمذكورة هنا عير المعنية والله أعلم .

خروجه مع موسم الهند وظهوره من المخا وقيل إنه فهم[1] ضربة فأس وهو في المغرب الجوان صاحبه الشريف الادريسي ، وعنده معدن الذهب الشّريفي الذي يضرب منه في مصر ، وهو هناك أمير مستقل شريف مالكي يهادي السلطان ، والسلطان له أكثر المغرب الجوان كتونس وجزيرة الأندلس .

وفي شهر ربيع الآخر هذا : لما دخل أول المراكب الهندية الى بندر المخا واقع الفرنج بآخرهم بأطراف باب المندب قدر مركبين من من بار[2] ثم عادوا ، وكان مرادهم بمراكب أهل عمان الآ أنهم فاتوا عليهم ، ووصل رجل جاء من الرافضة الى حضرة المهدي وجاراه فيها وعاد الى بلاده .

وفي هذه الأيام : ترسل القاضي احمد بن صالح بن أبي الرجال الى المهدي في شأن اليهود فيما جرى لبعضهم من الانتهاب وانه لا ينبغي ، فأجاب عليه المهدي أن ما ذكرتم لعله لتأخر المصروف فصدرت حصة ثلاثة أشهر . والقاضي المذكور كثير التلون والآراء البعيدة والمناقضة ، فانه هو الذي حرّض وشدّد وترسل باخراج اليهود من جزيرة العرب برسالة ، ثم ناقضها كما ترى كما قال الشاعر[3] :

يوم بحزوى ويوم بالعقيق ويوم بالعذيب ويوم بالخليصاء

واليهود قد . . .[4] .

وفي شعبان : عادت النار بجبل سقار التي كانت فيه العام بعد مدة ثم زالت والحكمة لله تعالى .

وفي هذه الأيام بشهر شعبان : أرسل المهدي احمد بن الحسن برسالة فيها عقيدته وقال للخطيب يخطب بها يوم الجمعة وخَطب بها بالغراس حضرته فخطب بها الفقيه محمد السحولي عقب الصلاة ، يذكر فيها عقيدة الهادي ، فعجب فقهاء الهدوية منها وقالوا : هذا من تعريف المعروف لا حاجة اليه فان الفقهاء الهدوية يعرفونها ، وظن بعضهم أنه ربما رفع لمن رفعه بعقيدة الرافضة كما سبق من قصيدة الفقيه علي بن أبي

---

(١) : كلمة مبهمة .

(٢) : كذا في الأصل ولعلها منيبار بلدة في الهند معروفة .

(٣) : هو عبدالله بن احمد بن الحارث شاعر بني عباد من أبيات أوردها ياقوت ، انطر معجم البلدان ٢ :٣٨٦) .

(٤) : كذا في الأصل لم يكمل المؤلف الخبر وهذا الخبر والذي بعده مضروب عليه بخط خفيف .

الرجال ولكنه صار بتعظيمه يوم الغدير ولم يعرف في عقيدة الهدوية لكنه قيل أن أول من أبدعه المتوكل وهو بحبور أعني يوم الغدير والله أعلم .

وفي هذا الشهر : أظهر المهدي التجهيز الى بلاد صبيا معونة لصاحبها في غزو بلاد بني حبيب لأجل ما كان وقع منهم أول السنة كما تقدم ذكره ، وطلب محمد بن المتوكل لأجل ذلك وأمر به فلم يطابق رأي محمد بن المتوكل ما ذكره له ، ولكنه لم يجسر في مخالفة أمره ، قال : هذا شهر رمضان داخل لا يصلح فيه حركة ويكون هذا من بعد ان شاء الله فساعده ، ولما عاد محمد الى الجراف ودخل من حضرة المهدي من الغراس طالبه العسكر في الجامكية والحساب فاستحمق عليهم وأخذ الجريدة لضربهم لما في نفسه وعند هذا فسح المهدي العدد لعسكره ووعدهم بالحركة لعقب العيد من غير مخالفة .

ولما كان غرة شهر القعدة الحرام : جهز ولده الحسين بن المهدي وصنوه ابراهيم الى تهامة فساروا وجمع معهم من العسكر نحو ألفين ، وأمر بني عمه وولده صاحب المنصورة كل واحد منهم بعينه ، فبعث كل واحد منهم بمائتين مائتين ، وساروا غرة الشهر المذكور ، واقترن حال خروجهم ظهور نجم الذنب من المشرق وقت السحر فبقى نحو سبعة أيام ثم طلع الى قريبه نجم آخر كان بينهما نحو المنزلة ، فلما قاربه لم يبق إلا نحو ذراع بينه وبينه أسفل النور وهو الذنب الذي بالأعلى الى الأسفل وتباعد عنه به وسلب ذلك الذنب من الأعلى ثم غرب فبقي في الغروب بقية الشهر ، ثم ظهر من المغرب غرة شهر الحجة بذنب عظيم وشعاع كبير جسيم معتدل نحو الشام ، وكان أصل ابتدائه بالمشرق ببرج العقرب ثم قطع القوس في الغيبة وظهر من المغرب في آخر برج الجدي ، ثم ارتفع وظهر من أسفله النجم ، ودخل برج الدلو ، ثم الحوت واضمحل في آخر الحوت في أول محرم من السنة الآتية فالحكمة لله والقدرة له وهال الناس مارأوه من ذلك .

واشتد [1] الجوع يومئذ ببلاد برط من دهمه ونجعوا وتفرقوا ، بعضهم الى بلاد صعدة وبعضهم إلى بلاد صنعاء ،وخلت في بلادهم قرى تعجيل عقوبة لهم باضرارهم بطرق المسلمين .

---

(١) هذا الخبر والذي بعده ضرب المؤلف عليه بخطه فيحقق .

وفي هذه الأيام شهر الحجة الحرام : حصل بقدرة الله تعالى زلزلة في بلاد ثلا وبلاد عفار ، واتصلت الى بلاد همدان فالقدرة لله تعالى فيها . وكانت بالثلث الأخير من الليل وأحس بشيء يسير بنواحي الرحبة والغراس منها .

وفي آخر شهر الحجة : مات الشيخ راجح متولي بلاد عدن ولاه المهدي بعد وفاة الحرة وكان قبل ذلك متولياً في زمان المتوكل لبلاد تعز وجبل صبر ، وكان المذكور جائراً طالما شكاه أهل جبل صبر الى المتوكل ولم يشكهم ولم ينصفهم بعزله ولا حط عنهم ما زاد من المطالب وقرره وضعفوا وركوا كثيراً للجور فيهم وناجزهم وأخذ كثيراً من أموالهم بأبخس الأثمان ، ثم قضى الله وفاته بصنعاء بعد طلوعه من عدن بما عليه للمهدي من مال البندر ، وأصلة من بني الكينعي جنوبي جبل ضوران غربي ذمار .

وفي هذه الأيام : اتفق أن رجلاً من أهل الشرف لما رأى القاسم صاحب شهارة يكثر الآداب بالدراهم على كل من شكاه من الآداب بحق أو باطل ويصادق قول الناقل ، فكتب اليه شكوى من مسعود انه قال ياكل من عنبه ويغيره فأرسل بأدب عليه قدر عشرة حروف ، فوصل الى البلد فلم يجدوا أحداً اسمه مسعود غير كلب ، قال ذلك الناقل انما هو أراده ، وقال للقاسم : أنا أردت بهذا الفعل تكفوا عن تصديق النّاقلين .

ودخلت سنة اثنتين وتسعين وألف

في أول محرمها : جاءت أخبار الحجاج بأن الحج كان مباركاً على العادة وأن السلطان أرسل بدراهم واسعة في تنفيذ العين الزرقاء المباركة عين مكة الى وادي فاطمة ثم تجر الى جدة .

وفي هذه الأيام : قرر المهدي الجزية على اليهود الذين كان حرّج عليهم وشرّدهم وأراد اخراجهم : فلما لم يستقر لهم القرار في البلاد الموزعية وعادوا متفرقين في البر لطلب المعيشة أهملهم هذه المدة وراحت عنهم الجزية حول سنة بسبب تنقلهم من جهة الى جهة وعدم طلبه للجزية . ثم قررها عليهم هذه المدة فاستأنفوا العمارة لهم والشراء والكراء للمساكن في القرى ، كل رجع الى محله أو ما يقرب منه ، ويهود صنعاء قال : يعمروا لهم جنوبي بئر العزب خارج صنعاء فعمروا لهم بيوتاً هنالك .

وجاء الخبر مع الحجاج الواصلين الآخرين بآخر شهر محرم يذكرون انه كان آخر

الحجة والحجاج في هذه الرحلة فانصب مطر غزير في جبال مكة فلما رآه الناس شدوا جمالهم يريدون الهرب من السيول لما رأوا الجبال تَنْصب الى أعالي مكة فانحدرت السيول من كل جانب ولم تمهلهم ، فحمل السيل كثيراً من الناس والجمال والأحمال ودخل السيل المسجد الحرام حمل من كان فيه وبلغ الى باب الكعبة وتراجع السيل فيه وكبس اليه كبساً كثيرا وخرب من جوانب الحوانيت بعضاً من البيوت كثيراً في المسجد الحرام كبساً كثيراً وعم المطر جبال مكة وكثيراً من الحجاز وبلغ الى القنفذة ، وكان ذلك آخر شهر كانون الأول وهو مطر الوقوف والربيع وخرب مما يلي الغادي وخصوصاً الشبيكة وخرج السيل من العمرة ، وكان خروج الحجاج على حالة شاقة ، فأهل اليمن خرجوا الى الناحية الجنوبية وشاهدوا السيل وهم في وجل عظيم بعد من راح منهم وعليهم وباتوا خارج مكة ، والشامي يقال انه قد خرج الى جوار وادي فاطمة ، وأما المصري فدارت عليهم الدائرة وتعثكلوا بمكة وحمل منهم وعليهم .

وكان تحويل السنة ثالث ربيع الأول هذا بدخول الشمس درجة الزهرة في الكسور والشمس والقمر في الحمل وكذا عطارد وزحل في السرطان والمشترى في الجوزاء والمريخ بالسنبلة وجاء ذلك والبلاد اليمانية صاحية من المطر أجمعه من اليمن الأعلى والأسفل والمغرب وتهامه والسعر ارتفع والوقت وقت الصيف آخر شهر آذار فلله الحكمة بلغ القدح يومئذ البر ثلاثة أحرف والذرة بحرفين وفي المغارب بأكثر والشعير سبعين كبيرا والغنم غالية الرأس أصبح يبتاع بثمن الأضحية والسمن الرطل بستين بقشة ولله في ذلك حكمه .

وفي هذه الأيام بآخر ربيع الثاني آخر الصيف ، ارتفع السعر ، البر بلغ الى أربعة أحرف بصنعاء ، والشعير ثلاثة والذرة كذلك ، ثم حصل مطر عند سقوط الثريا وكان قد باع كثير من القبائل بقرهم وغنمهم بنصف القيمة حتى منّ الله بهذا المطر ونبتت المراعي وتراجعت المواشي بعد ضعفها من قلّ المراعي ونقص سعر القدح البر الى مائة بقشة والشعير الى سبعين وكذلك الذرة فلله الحمد ، وذلك بغرة جمادى الأولى منها .

وفي أوائل هذا الشهر : تمنع جماعة من البعاجرة من سفيان وتعصّبوا وأرادوا قطع الطريق فصدتهم محطة عيان واستولوا عليهم وانتهبوا مواشيهم جميعاً فهربوا بنفوسهم ووصلوا الى المهدي مواجهين .

وروي أن هذا كله الذي زاد فساده والاغراء في هذه القبائل من سفيان وبرط فيما سبق هو السيد الغرباني فانه صار يحرض هذه القبائل على قطع الطريق واستباحة أموال المارة من التجار وغيرهم من أصحاب الدولة ، وقال انه هو الامام الدّاعي وأن الولاية له في الزكاة والحقوق وان هؤلاء الدولة لا ولاية لهم ، وأن الزكاة باقية على الناس لا يجزيهم ما قبضته الدولة ، فزاد هذا في الاغراء لهم لاستباحة أموال المسلمين فإنا لله وإنا اليه راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، فإذا ثبت هذا بل قد روى لي الثقة كثيراً مثل هذا ، فكل ماجرى فهو في صحائف السيد المذكور ومطالب به ومشارك في العقاب عليه ، وهذه البلاد البرطية والسفيانية لم يكن ينفذ فيها الأحكام الشرعية بل يحكم فيها بالطاغوت ، ولقد ذكرت لبعض فقهاء بني العنسي الساكنين عندهم ، كيف يحل لكم المقام وأنتم توجبون الهجرة من دون هذه الآثام وما يفعلونه من الانتهاب في الطريق في كثير من الأيام ، فلم يجد جواباً واعترف بأنها بلاد لا خير في أهلها ، وقد حصل معهم هذه السنة من القحط والخلف الذي لامزيد عليه حتى خلت في بلادهم القرى وتفرقوا في الأرض ، وخربت بعض تلك القرى الخالية لما لم يكن فيها بعدهم من يسكنها ، ولم يبق في برط الا القليل في بعض القرى والله تعالى قد عجل عقوبتهم في طغيانهم .

وفي أول جمعة من شهر جمادى الأولى : غفل خطيب صنعاء الفقيه محمد بن ابراهيم السحولي فأمر محمد بن المتوكل القاضي جباري يخطب فخطب الواجب منها بالحمد والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم نزل وأقام المقيم ثم رده محمد بن المتوكل وقال بقي عليك الشهادة فقال القاضي قد أتى بالواجب فقال محمد : لا فرجع مساعدة له ، وإلا فالأمر كما ذكر القاضي ، وقد كان قام الناس للصلاة فقعدوا ثم قاموا مرة أخرى ، فاستنكر الناس ذلك خصوصاً العامة ، لأنهم لا يعرفون إلا الخطبة المعتادة الطويلة مع أن قصر الخطبة مئنة فقه الرجل كما في الحديث [1] .

وفي هذه الأيام : اتفق لناس بصنعاء أن بخشوا في بيت مقهوي قريب باب شعوب ما بين مســـجد المدرسة والأخضر على كنز قالوا يبديه واحد من جبل بيت خولان ومعهم

---

(١) حديث « قصر الخطبة وطول الصلاة مئنة من فقه الرجل » اخرجه مسلم من حديث عمار . مئنة : علامة « تلخيص الحبير ١ . ٦٤ » .

وجد [1] : السيد حسن الأحمر قال انه يعرف استحضاره وصار يدلهم عليه فوجدوا حروفاً وقصاصات تحت الدبيا [2] وثبتوا في الحفر فوق ثلاثة أشهر ، وشعر بهم والي المدينة ، فقال تستمرون وليس عليكم إلا الخمس اذا وجدوه ، وحصل معهم مراجيم من الجان لبعض الحفارة وقضايا عجيبة ، والسيد يصدمهم ويكتب لهم ارصاداً على زعمه ، ويعدهم بظهوره ولم يتم شيء من ذلك .

وفي آخر شهر جمادى الأولى : دخل المهدي احمد بن الحسن صنعاء وحضر هو ومحمد بن المتوكل وعاتبه من جهة الضريبة ان فيها الكثير زيوف وتشبيه ، وقال ابن المتوكل ، لم يعلم بشيء في ضربته فحضر جماعة من التجار ، والقاضي محمد بن علي قيس ، وقالوا في الحضرة ، بل في ضربة القصر ثلاث ضرائب واحدة لمحمد طيبة والأخر التي لأحمد اليعاني ولعلي اليمني وللفقيه جابر ضعيفة صرف الأولى إلى محمد أربعة حروف وهذه خرجت من خمسة حروف القرش لزيادة النحاس ، ولما تحقق محمد ذلك الذي كان غائباً عنه ، أقسم بالله لا زاد ضرب بعدها وأمر برفعها ، وذكر أنه لم يشعر بذلك وكله لعدم التنبه منه عليهم وافتقادهم .

وفي ليلة الأربعاء ثالث وعشرين جمادى الأخرى منها : مات الملك المهدي احمد بن الحسن بوطنه الغراس وقبر جنب مسجده هنالك ، وكان قد حصل له ما يهواه من الملك وهذه الدنيا الناهية ، ابتسم له دهره من عبوسه وأعطته الدنيا عفوها وسقته صفوها وماشته مع جماعة من اتباعه ومتقبّلي باعه وأهل نعمته ، وطابت له أيامه في مشيده واطربه الأنس ببسطه ونشيده ، وساعدته أيامه فيها من أول قيام المتوكل الى هذا التاريخ ، واجتمع له ما يريده فيها ، فكان متوسعاً مسرفاً على نفسه في الجواري والسراري بحيث بلغن الى سبع مائة ما بين سرية ووصيفة وخدامة لا يفارقهن في الحضر والسفر ، وكان يلبسهن أغلا الملابس الغالية ويشتري لهن الأحزمة والبريمات المفضضة المذهبة بأغلى الأثمان ، وكانت سيرته سيرة السلطنة ، فأما العلم فلم يكن له فيه معرفة بحيث انه قبيل موته لما أقسم محمد بن المتوكل من الضربة أعتق عنه من مماليكه رقبة وأمر محمد انه يرجع الى الضريبة وقد كفر يمينه ، وبالاجماع أن الكفاره لا يصح التحمل فيها من غير

---

(١) كدا تقرأ هذه اللفظة

(٢) كدا ولعله جمع دب الحدق يحفر في الأرض للاستخفاء . .

الحالف ، ولكن كان أصحابه يماشونه في مطابقة هواه . . فكان هذا المهدي سلطاناً وملكاً ، ولما حصلت المشاجرة له أيام قيامه من قاسم صاحب شهارة وغيره وسار المعارضون له ، قال لبعض خواصه : ان معه ولاية من السلطان ابن عثمان في أرض اليمن وعلامته ، وانه كاتبه في تلك المدة الماضية ، ولعل ذلك كان أيام حروبه للمؤيد بالله وعدم توليته ، ولذلك سماه الأتراك احمد مراد لما كاتبه السلطان مراد في أيامه بما أراد هكذا روي عنه ، ولكنه روي عنه عقيدة الجارودية بل عقيدة الامامية بل عقيدة الرافضة فاشتبهت ، و كان يظهر شعار يوم الغدير في جميع مدته فاشتبه حاله ومذهبه ولعله كان مع هواه وما يوافق صلاح رياسته يستعين به ، فذلك الكتاب الى السلطان وتوليته تكون عند حصول اهماله من الامام المؤيد بالله وماجرى معه مستنصراً به ، وان كان مذهبه في نفسه غير ذلك المذهب كما هو الظاهر ، وكان في مدته كثير الحجاب من الناس لا يبالي بأحد من الكبير والصغير ولا سيما في مدة المتوكل ، كان يبقى بين جواره من الصبح الى العصر في غالب أوقاته ولا يوافقه أحد الآخر النهار ان حصل ، وكان لا ينال معه من الفقراء ما كانوا ينالون من المتوكل وعدّ[1] و ان سيرته كانت عجيبة ، وكان لا يقوت من يصل اليه بسفره ولا بصرف لقمة ، بل يصرف الواصل على نفسه من كيسه ، وكان يعتمد مراعاة النجوم في أسفاره ويرجع الى سؤال المنجمين كالفقيه احمد الذيبة الملازم له .

ودعا بعده المؤيد بالله محمد بن المتوكل وكان المحرض له والمطالب ، القاضيان القاضي يحي جباري الذماري ، والقاضي محمد بن علي العنسي ، وكان أول مبايع بعد اشارة القاضيين بالقيام والانبرام الحسين بن المهدي ، ثم من بعده سائر القضاة والسادة أجمع ، وأجاب احمد بن المؤيد عليه ، ولما وصله كتابه وعلامته أعلاه فوضع علامته أعلاه وادعى مثل دعواه وتربه ، والى رسوله أعطاه مع أن احمد بن المؤيد لم يقم في هذه الفورة واكتفى بمن قام غيره وله ميل إلى محمد بن المتوكل ان تم أمره وتوقف عن الاقدام ولم يعجله الا انه اراد بذلك الامر غيره من هضم علي في كتابه ، وكذلك وصل كتاب حسين بن حسن الى أولئك ، وقال في دعوته انه قد دعا الى نفسه لما كانت الدرجة واحدة والاجتهاد قد انختم بالمتوكل اسماعيل بن القاسم في المدة السابقة ، وكذلك

---

(١) كذا ، قلت : هذا الكلام مر عليه المؤلف - أو غيره - بالقلم وبعضه لا يقرأ

وصل الى الولاة والرؤساء من صاحب المنصورة مثل ذلك ، واختلفت كتبهم هذا يكتب الى هذا يدعوه اليه والآخر يكتب اليه يدعوه وعلى هذا ، وصار الناس عاجبين في حالهم واقداماتهم لهذا الأمر العظيم والاشتجار فيه ، وعدم الاتفاق فلا قوة الا بالله العلي العظيم ، واستقر حسين بن حسن بيريم وأرسل علي بن المتوكل عسكراً الى أرياب[١] راس سمارة وطرف بلاده ، وذمار فيه فرحان من قبل صاحب ضوران حسين بن المتوكل ، والكتب صارت من هؤلاء تختلف وتفترق فمنهم المجيب لهذا ومنهم لهذا ومنهم المتوقف ، ومنهم الراضي ومنهم الكاره ، وجاء كتاب علي بن احمد انه دعا وكذلك علي بن المتوكل ، وكذلك القاسم صاحب شهارة ، وكذلك حسين بن حسن ، وكذلك حسن بن المتوكل ، واحمد بن المؤيد بالله ، وكل واحد يحجر الآخر عن التصرف الآبأمره ونهيه ، وكل منهم يركز نفسه ويذم غيره ، فكانت جملة الدعاة أولهم محمد بن المتوكل بصنعاء ، ثم عبدالقادر بن الناصر بن عبدالرب بن علي بن شمس الدين ابن شرف الدين بكوكبان ، ثم قاسم بن المؤيد بن القاسم صاحب شهارة ، ثم حسين بن حسن صاحب رداع ، ثم علي بن المتوكل صاحب اب وجبلة ومخلاف جعفر ، ثم حسين بن المتوكل صاحب اللّحية والضحى وتهامة الشامية ، ثم علي بن احمد صاحب صعدة ، ثم آخرون في تلك الجهة ، وكل منهم ولاة أجابهم من اليهم ، وأصحابهم يطمعون في قيامهم كما يطمع الروافض في انتظار ظهور القائم منهم ، ولم يعلموا ان فيه الخلل عليهم في العقبى والخبط والقتال بالراية العميا ، ولكن الحكمة لله في ذلك فقد يكون لسبب لا يعلم كما قال الصفي الحلي[٢] :

في فساد الأحوال لله سر ... والتباس في غاية الايضاح

فيقول الجهول قد فسد الأمر ... وذاك الفساد عين الصلاح

فلكل شيء سبب ، ولما رأى محمد هذا الاختلاف قد جرى ، عظم عليه الخطب واشتد عليه التعب وبعث بالكتب الى هؤلاء الدعاة يحثهم على الاتفاق والاجتماع والمراودة فيمن يرجع اليه الكلام ، فأجاب حسين بن احمد ان ذلك الصواب ، لكن اذا كان الكلام بظاهره ليس فيه بواطن فالاختلاف على حاله ، وكذلك أجاب القاسم وعلي

(١) إرياب . بكسر الهمزة وسكون الراء من جبال بلاد يريم ويتصل بجبل بعدان من ناحية الشمال «المقحفي : ٢٥» .

(٢) : ديوان الصفي الحلي : ٦٦٥ .

بن احمد وطلب حسين بن حسن الالتقاء الى حدود ذمار ، وكان حسين بن حسن قد كرر الكتب الى محمد بن احمد ابن اخيه صاحب المنصورة في اجابته فلم ينخرط له في شيء من مطلبه ، فلما أيس عنه تحمل عليه ونزل الى خارج اب لموافقته لعلي بن المتوكل باجتماع الكلمة ، وان يكون هو وهو عوناً على صاحب المنصورة محمد بن المهدي وانبرم الأمر على ذلك وعادت الصداقة بينهما عداوة على حسد الملك وانقطعت الرحامة لأن الملك عقيم لا رحامة له . . . .[١] .

وفي عاشر رجب : حصلت هوشة بسوق صنعاء مابين أهل الحيمة وعيال السوق فارتجموا ، وسببه أن واحداً من أهل الحيمة ضرب واحداً من أهل السوق فأغار أهل السوق عليه وفكوه ، ثم ان أهل الحيمة مالوا عليه فحصل بينهم ما حصل من المراجيم ، وأغار جماعة من القصر فيهم قاسم بن محمد بن المتوكل ، ولما كثرت المراجيم في أهل الحيمة والجنايات رمى جماعة منهم بالبنادق وبباروت وواحدة منها مرصّصة وسلم الله ، ووقع مرجام في ظهر قاسم بن محمد بن المتوكل ، وأهل الحيمة متى اجتمعوا يحصل منهم ما يحصل مع أن أكثرهم قد كان عادوا بلادهم .

. . .[٢] وعجب كثير من الناس في هذا الاختلاف وما وقع فيه وما قبله من الحروب وهم أقارب وتعذر بينهم الائتلاف واتفاقه في وقت واحد ، فانه لما مات المؤيد بالله محمد بن القاسم وقع بين الأخوين احمد واسماعيل الحرب في خدار وثلا وحوزة صنعاء في آخر شهر شعبان ورمضان .

والسعر هذه المدة في اليمن مرتفع والوقت وقت الصراب آخر الخريف بلغ القدح من البر الى أربعة حروف ، والشعير من حرف الى تسعين بقشة ، والذرة كذلك وتبلغ الى مائة بقشة وثلاثة حروف ، وفي صعدة في خمسة حروف وأكثر مع أن المكيال فيها أقتر ، والسبب قلّ الأمطار في الخريف في أكثر بلاد اليمن فالحكمة لله ، والرطل السليط بلغ الى سبعين بقشة ، والسمن مثله ، وكثير من المشارقة يدورون وظهر عليهم الجوع فلله الأمر من قبل ومن بعد .

ومن الأمـور التي ظهرت فيها الحكمة في هذه التي قد جرت باليمن الأسفل من هـذه

---

(١) : هنا كلام متداخل بعضه بعضاً ومحو كثير .

(٢) : قبل هذا كلام كثير ضرب عليه المؤلف ثم أعاد كتابة بعضه بأعلا الصفحة وحوافيها وهي صفحات كثير لم نجزم باثباتها لعدم تأكدنا من رضا المؤلف عنها .

القضايا بين حسين بن حسن وبين علي[١] ومحمد[٢] من الفتنة ، أن علياً لما جرى منه جرة[٣] اليد في بلاده واهماله لأصحابه في الاضرار برعيته ، سلط الله عليه محمد بن المهدي ، وحسين بن حسن لما جرت منه المغادرة واختلال النية سلط الله عليه خلاف بلاده .

ومن الأمور التي ظهرت حكمتها في البلاد البرطية والسفيانية مما جرى منهم من التعدي في الطرق والقتول التي مازالت بينهم في المغازي والنهب والتخويف والمحق المرة بعد المرة والكرة بعد الكرة ، وما كان قد جروا عليه من الاحكام الطاغوتية والأمور المخالفة للشريعة المرضية ، وما بذله الذين ظلموا عليهم من الدعا فيما راح عليهم ، انتقم الله منهم بالقحط والجوع الذي أصابهم وأخلى قراهم ، فصارت بلاد برط خالية ، وتفرقوا في الأرض ، ومات من مات منهم بالجوع في السهل والنجد ، وأكلوا الميتات وحاقت بهم الجرمات والظلامات ، فالله سبحانه يمهل الكافر على كفره ، ولا يهمل الظالم على ظلمه تعجيلاً لعقوبته في اضراره ، ونسأل الله التوفيق وحسن الخاتمة .

وفي هذه الأيام : أخبرني السيد محمد بن حسين الحوثي أنه كان أرسله المهدي قبيل وفاته بافتقاد أوقاف المساجد باليمن الأسفل والتّنبّه عليها ويصف اقامتها قال : فطاف في مساجد مخلاف جعفر بنواحي جبلة أولاً ، قال : فوجد ما كان نظره من المساجد لأهل البلاد فهو مقام في الغاية بالفراش والمواجل[٤] وما يتبع ذلك ، وما كان نظره الى والي البلاد وجده مهملاً لا فراش فيه ولا إصلاح . وقد تشعثت عمارته وتعطلت الصلاة فيه لأهله بل وجد بعض المساجد قد صار صبلاً[٥] قال : ونزل المخلاف الأسفل بنواحي ذي سفال من بلاد المهدي احمد بن الحسن ، فوجد الأمر كذلك ما كان نظره الى اهل البلاد هو مقام ، وما كان نظره الى الوالي خراب ، فهذا ما اطلع عليه حسبما كان أمره المهدي ، وكذلك هذا جار في اليمن الأعلى فإن قد شاهدنا ما كان منها نظر وقفه الى الوالي مهملاً وما كان نظره الىّ أهل البلاد مقاماً بالفراش والقضاض[٦] .

(١) هو علي بن أحمد بن القاسم « صاحب صعده » .

(٢) هو محمد بن أحمد بن الحسن « صاحب المنصورة » .

(٣) حرة اليد . عندهم استطالتها إلى أماكن أخرى .

(٤) : المواحل : حمع ماجل البركة المائية (سبق) .

(٥) . صىل · اصطبل (معروف) .

(٦) : القضاض : بفتح القاف والضاد وهو خليط الحجارة والجص (سبق) .

وفي هذه الأيام : رجع رسول احمد بن الحسن من بلاد المهري وهو السيد احمد القطابري الذي كان أرسله قبيل موته الى المهري صاحب جزيرة سقطرى وسواحل بحرها مابين الشحر وظفار ، بأنه يؤهب الضيافة ، وانه يأتي بالارتحال الى بلاد الحاكم العماني لاستفتاحه فسبق الأجل عن ذلك الأمل ، مع أنه كان يجري على اليمن المشقة لأجل طول المسافة البرية ، وعدم ادراكهم للأعمال البحرية ، ومع ماعرف من حال احمد بن الحسن من تضييع من معه كما فعل عند دخول حضرموت .

وفي سلخ شوال : لما خرج أصحاب حسين بن حسن من يافع الداخلي بوفاقة ابن هرهرة واجتمعوا بحسين بن حسن بالحلقة ، واجتمعت يافع وقالوا : نقصد حسين بن حسن ونخرجه من حدود بلادنا ، والحلقة هي حدود بلاد يافع فتعاقدوا جميعاً على القتال كالمعاقدة الأولى وقالوا نحمل عليهم للقتال بأجمعنا ولا نبالي بالبنادق وان من سقط منها ندعسه [1] بأرجلنا ونلاحمهم بالسلاح ويروح من راح ، فقصدوهم على هذه الاشارة والنية وشلوا سلاحهم وقشتت [2] رؤوسهم ، واختلجت للقتال أجسامهم ، وقصدوهم ، فكانت حملة عظيمة ووقعة جسيمة وقتل من الجانبين مقتلة شديدة ، بعد أن خرجت الخيل التي لحسين للمقاتلة والطعان بالرماح والمصاولة ، وبنادق حسين تحميهم من الحلقة لمن حمل عليهم والتحم القتال وطال النزال ، ثم انقضى الحرب الأول على هذه المقتلة ، وكان القتل في يافع اكثر في هذه المرة . ثم لما أصبح الصباح وظهر ولاح ، قصدوهم بزيادة قد جمعوها ووفرة قد لقوها ، منهم من يقول سبعة آلاف . ومنهم يقول اكثر ولفوا عليهم وأحاطوا بهم احاطة الهالة بالقمر فكهلوا لهم [3] وانتهبت بيرق الخيالة بعد قتله وجماعة معهم ، وقتلوا فيهم اكثر من خرج من الحلقة عليهم ، ثم انكسروا واحتازوا فيها ولم يبق لهم طاقة على مقاتلتهم لكثرة جمعهم وعدم وصول غارة لحسين بن الحسن تعينه ، فلما أيس عن القدرة عليهم خاطب في الخروج عنهم وطلب الأمان فبذل له الشيخ بن العفيف ، وهو يومئذ رأسهم والمتبوع فيهم ، وخرج من الحلقة مكسوراً مهضوماً في الليل خشية من قبائل الرصاص لأن قد صاروا في الطريق بعد إظهار الخلاف حتى وصل الى الزهراء أحد بلاد بني الرصاص ، وكان قد وقع حرب ما بين

---

(١) : ندعسه : نطؤه بأقدامنا (عامية) .

(٢) : كذا .

(٣) : كذا ولعله سبق قلم صوابه كمنوالهم .

الزهراء وبين نجد السلف بينهم وبين الغارة التي كانت وصلت الى الزهرا من قبل صاحب صنعاء ، وكان أيضاً بعد ذلك الحرب قد وقع ماهو أعظم منه من الموجب للخذلان وعدم اتمام الغارة التي كانوا قد أرادوها لحسين بن الحسن من الحريق العظيم والأمر الشديد الهائل الجسيم ، وذلك أنه كان حسين بن المتوكل وأكثر أصحابه الذين ساروا معه نزلوا في دار هنالك لحسين بن الحسن ، وكان قد وضع في سفال هذه الدار أحمال من البارود بقت مطروحة في غرائرها[1] وبعض في مخزان فيها ، فكثر الداخل والخارج من عسكر حسين بن المتوكل والواصل منهم يصل اليها والفتائل مع بعضهم ملصاة[2] ، ومنهم من يحكها في دهليز الدار بعد تعشيرته ، فلكثرة الناس وأكثرهم لا يعرفون ما في تلك الغرائر الملقاة ، فلم يحاذر أحدهم عن شرَار النار والقتائل ونحوها من الداخل والمار ، فلعله في علم الله اتصل من ذلك شيء من النار الى أحد تلك الغرائر البارود فاشتل شلة واحدة ونفض الدار نفضة هائلة بمن فيه من السادة والفقهاء والعسكر في ضوء النهار ، أذان العصر عند أن صارت الشمس للإصفرار على حين غفلة من أولئك الذين فيها ، فكانت أعظم مصيبة وقع عليهم بها فقيل ان جملة الذي حرق بالنار خمسمائة من سادة وفقهاء وعسكر وخدام ومنهم بعض سادة بني عامر ، وحسين بن المتوكل حرق أيضاً ، وخرج من جانب من الدار وقد علق به شيء من النار ، ومن الإدبار والعلم السابق الذي سبق في هذا الأمر الذي فيهم صار ، انهم وضعوا بأيديهم ماهو سبب الى حتفهم وهلاكهم من البارود بأسفل الدار مما يحاذره الناس ولا يضعوه قربهم ولا تحتهم لجميع الملوك في الأقطار ، ﴿فإنَّها لا تَعْمَى الأبصارُ ولكن تَعْمَى القُلوبُ الَّتي في الصُّدور﴾[3] وكيف يحاذر من دون البارود كوضع الأعلاف آحاد الزراع فانهم يضعونه في مكان مفرد خشية من شرر النار ، فأما البارود فهو أعظم في المحاذرة وأبعد في المجاورة ولكن اذا حضر القدر عمي البصر وقد يكون ذلك بحكمة الله عقوبة فيما جرى من حريق أصحاب حسين بن حسن لمن في أبين ، وهذه الحروب التي جرت من يافع ما قد جرى مثلها من القبائل لأنهم حملوا على البنادق والرصاص ولم يبالوا بمن رمى وفات ، وانما تقع الحملات مع الملوك الكبار الذين يسوقون العساكر بالحملات

---

(١) . غرائر . حمع غرارة الجوالق . قال الجواليمي . وأظنه معرباً .

(٢) : ملصاة : مشتعلة بالنار واللفظة من العامية

(٣) . الآية ٤٦ سورة الحج .

بالسيوف المرهفات وبذل المال والأعطيات ، وقد جرى من يافع نحو هذا مع عسكر السلطنة في مدة الوزير حسن لما خالفوا عليه وقتلوا الأمير أحمد[1] واليهم وأخرجوه وهزموا الغارة التي وصلت ، والأمراء الذي بلغوا الى نجد السلف وانتهبوهم ، وبعد ذلك تركهم الباشا حسن ومن بعده ولم يتعرضوا لهم في جميع مدتهم ، مع ما اشتغلوا به من الحروب التي جرت معهم .

وصارت الأمور بين محمد [2] ومحمد مشتجرة مختلفة وصار أمره من ذلك في حيرة مع قلة المدخول معه من البلاد لاستيلاء محمد بن المهدي على محاسن اليمن الأسفل ، وللقطع التي قطعها لمعارضيه في اليمن الأعلى مع قلة محصوله ، وقد أنفق خزائن والده وصار الآن يطلب من التجار قرضة ، والتجار تعبوا من طلبه ، وقالوا : يشق عليهم مطالبته ولما رأوه من تفرق محاسن اليمن مع غيره فمن أين يعطيهم ان تمت قرضته ، ولما تقاصرت عليه الأموال والبذل في الجوامك والرجال هرب كثير من أهل الحيمة الذين كان جهزهم الى ذمار ، فمنهم من رجع بلاده ، ومنهم من نزل الى اليمن الأسفل عند محمد بن أحمد لملازمته لما بلغهم الوفاء لأصحابه .

وفي هذا الشهر [ذو القعدة] أمر محمد بن المتوكل بالضّربة بصنعاء وربما انه كفّر عن يمينه التي كان حلفها ، ورسم أن يكون صرف القرش ثلاثة حروف ونصف ، فتضرر الناس من هذا النقص بهذه العشرين البقشة في كل قرش ، لما يحصل على بعضهم من الخسران ، وأما ضربة محمد المهدي فكانت ضربته متقدمة على هذه من حال انتصابه للأمر بجهته ، ولم يرسم رسماً في صرفها ، وكانت باليمن ضربتان ضربة في اليمن الأعلى وضربة في الأسفل .

وفي يوم الثلاثاء ثامن وعشرين من هذا الشهر : خرج عبدالله بن يحي بن محمد بن الحسن بن القاسم الى جهة قعطبة أمره محمد بن المتوكل لما طلب حسين بن محمد ذلك فإنه استقر هذه المدة بعد عزمه في دمت واستقر قاسم بن المتوكل بمن معه في رداع تقوية لمن فيه واتفق خروجه من صنعاء عقب العصر والطالع الذنب في برج الحوت ، وكذلك اتفق خروج حسين بن المتوكل .

---

(١) : انظر غاية الأماني . ٧٧٧ .

(٢) : محمد بن المهدي ومحمد بن المتوكل (الامام المؤيد) .

كما سبق في هذا الوقت ، وقت العصر والطالع الذنب في برج الحوت ، وكذلك اتفق الحريق في الزَّهراء ، بدار حسين بن حسين وقت العصر والطالع الذنب ، وكان وصول حسين بن حسن منهزماً من يافع هذا الوقت وهذا من عجائب الاتفاق في طوالع الذنب لذلك ومالا يكاد يتفق مثله . والقدرة لله تعالى .

وفي هذا الشهر : وصل الخبر بأن قبائل الصبيحة والحواشب الذين بجوار جبال يافع وأطراف بلاد عدن وأبين قصدوا إلى لحج فانتهبوا اطرافها وأخافوا طرقها وارسل صاحب المنصورة ولده وجماعة عسكر معه . ثم ان صاحاب المنصورة زاد أرسل نقيب العبيد وجماعة معهم فالتقوهم إلى الطريق واحتربوا واياهم فهزموهم وظفروا بهم وانتهبوهم وقتلوا من قتلوا منهم ، ووقعت بالنقيب جنايات وعاد الباقون إلى المنصورة ولم يقدروا على النفوذ إلى عند أصحابهم ، والقبائل الذين يقال لهم الجحافل[1] وهم وهم الذين كان يقع منهم الخلاف آخر دولة بني رسول[2] في تلك الجهات كما ذكره المؤرخون ، ومحمد بن أحمد بن الحسن ما أمكنه الخروج بنفسه إلى بلاد هذه القبائل خشية من قبائل الحجرية لا يخالفون بعده فصار في حيرة وكتب عند ذلك إلى محمد بن المتوكل وأرسل كاتبه وأحضر الناس أنه يتفق به ويحضر الحكام والعلماء والقضاة وتقام الشريعة فيما ادعاه فأجاب عليه ابن المتوكل أن هذا هو المراد .

وفي هذه الأيام قبيل عيد عرفة : وصل جواب الرصاص لما كان طلبه محمد بن المتوكل منه بالطلوع وترك الخلاف إلى محمد بن المتوكل يذكر فيه أن حسين بن حسن قد خرج من بلاد يافع ومن بلادنا ولم نتعرضه في طريقه بل خرج مجملاً ، ومن الآن ما بقي إلى بلادنا سبيل في مطلبة ولا زكاة ولا شئ مما كان فلا يصل الينا أحد ، ومن وصل دفعناه وأخرجناه لأنه صار يحصل من الولاة الجور في البلاد .

وفي هذا الشهر الماضي : كان ابتداء دخول زحل في برج الأسد من المثلية النارية وهو علامة للحروب وغلبة بعض الدوله على بعض وتجددات كما ذكره أبو معشر[3] والفارسي[4] في أحكامهما وغيرهما ، وقد اتفق باليمن فإنه كان حلوله فيه الحروب

---

(١) الجحافل . قبيلة من بن مذحج « طرفة الأصحاب : ٦٥ » .

(٢) أنظر بعض أخبارهم في (تاريخ الدولة الرسولية) لمجهول تحقيقنا . ١٤٠ و١٤٣ و١٥٠ الخ

(٣) هو جعفر بن محمد بن عمر البلخي المتوفي سنة ٢٧٢ .

(٤) هو محمد بن أبي بكر الفارسي المتوفي سنة ٦٧٧ وكتابه في الفلك يسمى « الريح الوهيج » ، أنظر مصادر الفكر الإسلامي ٥٣٩ .

باليمن وظهور دولة المؤيد والحسن بن القاسم[1] . . . ودخوله بعد في الأسد حروب المشرق باليمن واستيلاء يافع لبلادهم والحروب التي اتفقت منهم وزحل يومئذ في آخر السرطان ودخوله الأسد في حال الحرب واستيلائهم على حسين بن حسن وقبل ذلك أول قيام الإمام القاسم وما وقع من الحروب ، وقبل ذلك ما وقع فيما بين أولاد مطهر واستيلاء السلطنة عليهم وقبض الوزير حسن لهم وادخالهم الروم . وقبل ذلك خروج الوزير الأعظم وحروب مطهر وقبل ذلك استفتاح الزمر [2] ويكون بعض ذلك أقوى في الانفلات من بعض كمثل هذا الوقت لأنه اقترن باستتمام المائة وقد جُرِّبَ بأن على كل مائة أحوال متجددة واقتران أيضاً بالتبر [3] العظيم ، وبمقارنة المشترى لزحل فى ذلك البرج قد غير ذلك والقدرة لله تعالى فى كل أمر ، وقبل ذلك زوال دولة الجراكسة في مصر باستيلاء ابن عثمان عليها وزوال دولة بني طاهر باليمن وملك الإمام شرف الدين لليمن وهلم جرا .

وفي هذه الأيام : بعث علي بن المتوكل بجماعة عسكر من تعز إلى مدينة إب يسكنون فيها لحفظها لما بلغه انتهاب قعطبه وخلاف ابن شعفل وتلك الجهة وكان قد تخوفت بلاد بعدان منهم لايحصل إلى بلادهم دخولهم .

وخالف هذه الأيام بلاد الشعر وألصوا[4]في بلادهم النيران وسبب هذا الخلاف هو الاختلاف فيما بين محمد بن المهدى ومحمد بن المتوكل مع ما كان يجرى فيهم من الجور من الولاة في المطالب والاعتساف . ووصل كتاب من حسين بن محمد بن أحمد إلى محمد بن المتوكل يطلب الجوامك للعسكر وانهم صاروا في الحاجة إلى الصرّ فبقى محمد حائراً في ذلك مع كثرة المخروج لهم من غير مدخول يقوم بهم وصارت البواقى معه من خزانة أبيه ، وعلى بن المتوكل صار في تعز كالمحبوس وظهر عليه الميل والبوس وعلم أنه إذا خرج عنه دخله ابن المهدى ولم يتركه ، وكثرت عليه الجوامك وتعب[5] أهل تعز وسائر بلاده من المطالب مع غلاء الأسعار التي عمّت فبقى الجميع في مشقة عظيمة ، وأما محمد بن المهدى فهو متنفسٌ لأن خيرة البلاد المحصلة تحت يده

---

(١) هنا كشط غليظ لم نستطع تبين ما فيه

(٢) الزّمر : هو أزدمر الوالي العثماني على اليمن من سنة ٩٥٦ إلى سنة ٩٦٣هـ .

(٣) لفظة دخلت في تجليد الكتاب .

(٤) ألصَوا : أشعلوا (سبق) .

(٥) في الأصل هكذا « ويصللك » .

فلم يكن معه مثل ما مع هؤلاء من المشقة ، والدخول من الدَّفعات لا تزال مستمرة .

وفي هذه الأيام زاد جور ناظر وقف صنعاء الفقيه يحيى بن حسن السحولي الذي فيها وكثّر من تأجير مفاسح سككها ، والفاضل من عريص أسواقها وأمرهما بالبناء فيها واستغلالها مع الاجماع أنه لا يجوز التعرض إلى شئ من ذلك وانها لمصالح المسلمين مشروعة ولا حق فيها لوقف ولا غيره من الأمور المبتدعة حتى بلغ به الحال أن سد بعض السكك النافذة بالكلية وبناها للوقف صبولاً وبعضها أجرها وباعها وصار يوهم الحكام والعوام ، وهم بين مجوز له فيما فعله من الأعمال لعدم الشجار له من غيره وبين مجوز له فعله وأمره مع علمه ببطلانه أو جهله بغروره ، وعدم كمال عرفانه ، بحيث أن والده كان أنكر ما يفعله النظار من التّساهل في هذه الأعمال وقال : لا بد للوقف في ذلك ويكتبونه في الوقف ظلماً بغير حق ، فلا حول ولا قوة إلا باللّه العلي العظيم .

وفي هذه المدة : اتفقت نادرة عجيبة وهي أن بعض الفقهاء من بني النحوي اشترى بقرة فَجَفت من السير فترجح له أن استاجر اها جملاً وفرش عليها تحتها وحملها فأنشأ الفقيه أحمد بن علي الشارح[1] هذه الأبيات متعجباً :

أمحمد كيف القضيـــــــة	والقضايا لم تــــــــــزل
قالوا اشـــــتريت بليعـــــة[2]	تشكو برجليها خَـلَل
فرثيـــــت أنـــــت لحالهـــــا	فربطها فوق الجمـــــل
وحملته ما لم يكن قدما	إلى صنعاء حمـــــــل
وعَقَلته كرها لــــــــــذاك	وكان يهرب لو عقـــل
لكن يامل نائب القاضي	فخاف من الهبـــــــل
فدنى لحمله عــــــــاره	بين المطايا وامتثـــل
وتنفس الصـــــــعدا وقال	بذلك القول المثـــــل
«من خصمه القاضي فيكفيه	التّصبر والخجـــــل»
هــذا وقد ســـــلم البو يزل[3]	في الشوارع والحـــلل

(١) أديب من أهل صنعاء وفاته سنة ١١١٠ ، نشر العرف ١ : ١٨٦ .

(٢) تصغير بلعة : الأكول وكذا للأنثى .

(٣) تصغير بازل . الابل .

مـــن صولـــــة الصـــــــبيان　　للـعـجـب الـمـؤثـر للـزّجـــل

ولما اطلع عليها بعض السادة قال :

ان يســـــتطع تقميطهـــــــا[1]　　فبقمطهـــا العـــقده تحـــل

وبـــــدهنـهـا ادهـــــن رجلها　　منهـــا عـــم[2] العمـــــــل

ولربـمــــا وعســـى عســـــى　　يـحـــوى مـــن الـنـجـوى الأمــل

واحفـــــظ مقامتهـــــا لـهـــا　　ودع الأغانـــي والغـــــــزل

ومن ابتغـــــاك مـــلامـــــــة　　قـلـت لـسـت أســـمـع من عـذل

انتهى

ودخلت سنة ثلاث وتسعين وألف

استهلت بالسبت والشمس بالجدي بآخر كانون الأول . وفي أول يوم من محرم وصلت كتب الحجاج من مكة المشرفة بأن الحج كان مباركاً وان اليماني كان ضعيفاً والأسعار متوسطة . . .[3] .

وفي هذه الأيام أزمع محمد بن المتوكل على التحريك على جهات محمد بن المهدى فكتب إلى حسين بن المهدي وصنوه اسحق بانهم يتقدمون إلى الدمنة وينظرون ما يجري وانما يريد تمام الشهر الحرام ، وصار المويد هذه الأيام في حيرة عظيمة من جهة محمد صاحب المنصورة وما من أمر يريد ابرامه هناك إلا ينقض . ولكن الأمر كما جرى به العلم السابق والإرادة لله تعالى فما يشأ كان وما لم يشأ لم يكن والله يصلح المسلمين ما فيه الصّلاح . ولو انهم تقاسموا هذه البلاد وقالوا الأعلى لك أيها الأسفل ما قد ثَبتت يدك عليه مع انه ان والاه فلا بد له من جعل تلك البلاد عطاه ولم يبق الاشتجار إلا في مجرد العلامة واللّقب وأمرها سهل بالنظر إلى عاقبة الفرقة وحصول الحرب والفتنة ولكن الملك عقيم . وأما البلاد اليافعة فان كان مرادهم انها لا ترجع إلاّ مع اجتماع الكلمة في اليمن لواحد فنعم لكن عيال المهدي غير محمد قد جعلهم ابن المتوكل أنصاره وأعضاده ، وهو كما بلغ بواطنهم غير راضية بقتال صنوهم فربما يختل مع ذلك أمرهم

(١) التقميط والقماط : خرقة واسعة يلف بها الصبي .

(٢) كذا في الأصل .

(٣) هنا كلام مضروب عليه بقلم غليظ لم يستطع تبينه .

ولا يتم النصح في قتاله ولا هو ان استولى عليه قهراً يتم له النّصح في ما قد خرج من البلاد المشرقية له والأمور منشورة والله أعلم ، ولعل هذا كان السّبب لهم في الاختلاف القياس على من مضى من منهم كالإمام المتوكل وصنوه أحمد بن القاسم فانه جرى بينهما ما جرى وهما اخوان رحمان محرمان مما كان لا يظن أن يقع بينهما محجم دم بقرابتهما كبر سنّهما فلما وقع ذلك الاختلاف والاشتجار حتى أدّى إلى الحرب والنزال ، ولك يسلم صنوه أحمد لأخيه إلاّ بالغلبة ولكنه لما انحسم بسرعة لم يحصل بسببه من القبائل ما حصل في هذا الزَّمن الآخر .

وكان اتفاق هذا في الزَّمن الآخر في سنين قاحطة وأسعار مرتفعة لم يكن مثلها مما سبق فيما كان جرى في الأيام الماضية ، ولعل لهذا أسباباً ، وهو ما كثر في هذا الزَّمان من الجور من الولاة والزيادات في المطالب من غير مبالاة ، ويقال أن ولّى أنوشروان عاملاً فانفذ العامل إليه زيادة على الخرج ثلاثة آلاف درهم فأمر أنوشروان باعادة الزيادة إلى أصحابها وأمر بطلب العامل ، وكل سلطان أخذ من الرعية شيئاً بالجور والغضب وخزنة في خزائنه كان مثله كمثل الرجل عمل أساس حائط ولم يصبر عليه حتى يجف ثم أوقع البنيان عليه وهو رطب ، فلم يبق الأساس ولا الحائط .

ويَنبغي للسلطان أن يأخذ الذي يأخذه من الرعية بقدر ، لأن لكل واحد من هذين الأمرين حداً ذكر هذا القضاعي[1] في « منهج السلوك » وقال أيضاً : في التوارة كل ظلم علمه السلطان من عماله فسكت عنه كان ذلك الظّلم منسوباً إليه وأخذ به وعوقب عليه ، وقال أزدشير : إذا كان الملك عاجزاً عن اصلاح حواشيه ومنعهم عن الظلم فكيف يقدر على رد القوم إلى الصلاح ، وقال الأحنف بن قيس شيئان لا يتم معهما حيلة إذا أقبل فليس للإدبار حيلة واذا أدبر فليس للاقبال فيه حيلة ، انتهى ما ذكره القضاعي ، والله أعلم ، ولما اشتد الضرر بكثير من أهل مدينة تعز من أهل السوق والسماسر[2] من الخبازين خرجوا من تعز باهلهم وتركوا أعمالهم لأنه صار أصحاب علي يستدينون منهم ولا يسلمون لهم القيمة بل يمطلونهم .

---

(١) هو محمد بن سلامة القضاعي المتوفي سنة ٤٥٤ « هدية العارفين » ٢ : ٧١ . ولم يذكر كتابه هذا . وهناك كتاب آخر يسمى « النهج المسلوك » تأليف عبدالرحمن بن نصر الشيرري (طبع) فلعله المقصود .

(١) السماسر : جمع سمرة . نزل التجار والمقاهي

وفي هذه الأيام ذكر لي بعض خواص محمد بن المتوكل أن محمدا ارتجاعه[1] ما يكون الرأي في هذا الأمر وانه في حيرة في النظر فاجيب . . .[2]وان محمد بن المهدي قال : لا يسلم الأمر إلا بتمام الشروط التي شرطها فان ابن المتوكل قال : يصلح ذلك لكن بعد تقديم تسليمه أولاً فأجيب أن الرأي في هذا أحد أمرين إما الدخول فيما شرط أو ترك في بلاده على حاله وانه لا بد من تلك البلاد التي ثبتت يده سواء وقع بهم المعاملة أم لا واذاك الفائدة بل أن يسلم له فلا بد له من زيادة عليهاوقال : قال النجري[3] في «معياره» وابن عبدالسلام في قواعده : ان درء المفسدة أولى من جلب الصلحة ، ثم انهم أرحام وأقارب ، فلا تكون هذه قطيعة فيما بينهم وقد نَهَى الله عنه . ومع تباعد الدِّيار ، ولم يفت شيء غير مجرد اللَّقب والنظر في المصالح والمفاسد خصوصاً مع تباعد الديَّار ، فقال هذا الرجل المستمد للرأي : لكن علي بن المتوكل لا يقدر على عَزْل صنوه إلاَّ بقتنة فأجيب عليه إذا هكذا أوجب عليه أن يتبرى من أفعاله إلاَّ إذا دخل في أوامره فانه بالاجماع جأرت بسيرته اليمن وجار أصحابه ولم يكن له كلمة نافذة على أصحابه ولا رجع بشيء مما شكاهم إليه أهل البلاد فانه إن لم يفعل ذلك كان مشاركاً في اثمه ، ثم انه يحتاج إلى التَّنبيْه في أمور بلاده العليا منها خراب كثير من أوقاف مساجدها واهمالها وتصرّف غير مستقيم فيها وجمع بعض محصولها لغير مصرفها ، وتَصْيِيق سكك صنعاء بادخال مفاسحها للوقف ، وهو لا يجوز ، وليس للوقف استحقاقها بالاجماع كما ذكره السبكى في كتابه « معيد النعم ومبيد النقم[4] » وافتقاد مكابيل صنعاء فان صنائعها[5] تزيد في كل وقت مما يمحق أسعاره ويغيرها ويؤدي إلى الحرام المجمع لمن اقترض بالمكيال الأول وقضاه بالثاني بعد الزيادة فيه مما هو ربا حرام فيها وانه يَفْتَقد أقارير[6] الناس وإمرارهم على عوائدهم وتنزيل الناس منازلهم ورفع المظالم لكي يحصل من اللّه الرحمة ، ففي الحديث «ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء »[7] وفي حديث آخر « لا توكى

---

(١) كلمة غامضة .

(٢) كلمة غامضة .

(٣) هو عبدالله بن محمد النجري المتوفي سنة ٨٧٧ وكتابه المذكور يسمى معيار أغوار الأفهام عن مناسبات الأحكام أنظر مصادر الفكر الإسلامي : ٢٦٦ .

(٤) معيد النعم : ٦٤ .

(٥) كذا لعل صوابه : صنّاعها .

(٦) أقارير : مقرراتهم . المخصصة لهم من قبل الدولة .

(٧) سبق .

فيوكي عليك» [١] ويقول الله تعالى ﴿إنَّ اللَّهَ لا يغيِّرُ ما بقوم حتَّى يُغيِّروا ما بأنْفُسهم﴾[٢] وأن المَطالب في اليمن الأسفل قد زادت وكثرت مع الطَّواريء الزائدة وعدم التَوقف على الحَذْوة الشرعية ، بحيث أخبرني بعض أهل تلك الجهة : ان الذي يَصير إلى الدولة فوق النصف ، وهذا أمر عظيم غير معروف في السَّابقين الأولين في كلام هذا محصول ، ولولا طلب المشورة ما كنت أذكره لما في الحديث عنه صلى الله عليه وسلم [٣] « من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه » وقول الشاعر :

لا تُبادي بالرأي من قبل أن تَسْأل عنه ولو رأيت عوارا
أحمق الناس من أشار على الناس برأي قبل أن يستشارا

وأخبرني الحجاج : أن المسجد الحرام تم فيه ما أمر به السُّلطان من رصّه جميعاً وتصليح مناهله وجرّ عين الزرقاء إلى خارج مكة على طريق جدة .

وفي نصف شهر صفر ليلة خامس عشر : خسفت القمر في الساعة السابعة ببرج السنبلة بالراس تغَّشاها الخسوف جميعاً بحمرة ، وكان صاحب الخسوف زحل في ثانيه ببرج الأسد وكان المريخ في المقابلة بالحوت يتبع الذنب ، وهذا الخسوف قد كان ذكره صاحب التقويم المصري الخارج العام الماضي .

وفي يوم الأحد ثاني وعشرين بشهر صفر منها : وصل كتاب محمد بن أحمد من المنصورة مصدرا في باطن كتاب من صنوه ابراهيم الساكن بيريم إلى محمد بن المتوكل المؤيد باالشروط التي قد بذلها والمواضع التي قد وصفها .

وفي خلال ذلك : انتهبت قعطبة النّهبة الثانية ووقع فيها معرة عظيمة وفعلة جسيمة والناهب لها الشيخ الجلاد بأصحابه من أهل ياقع ، بسبب كتاب وصل إليهم من صاحب المنصورة بالغارة في مفاوتته والقصد إلى قعطبة .

وفي هذه الأيام ثاني يوم من شهر ربيع الأول : وصل جواب صاحب المنصورة إلى صاحب صنعاء بالتّسليم وانه يأمر برفع المحاط التي صارت مقابلة له في الجند وذي أشرق .

---

(١) سنق

(٢) الآية . ١١ سورة الرعد

(٣) أحمد بن حبل في المسند ١ .٢٠ وكنز العمال ٣ : ٨٢٩١ وابن عدي ٣ .٣٧ عن ابي هريرة .

وفي هذه الأيام تفلّس بعض البانيان وهـرب وعليه ديون واسعة للمسـلمين ودخل في صورة يهودي متنكر وجاء طريق اللحية .

وفي يوم الاثنين ثالث عشر شهر ربيع الأول : كان دخول الشمس أول درجة في الحمل وزحل والأسد والمشتري والسرطان والمريخ والذنب بالحوت والراس بالسنبلة ، والزهرة محترفة مع الشمس وعطارد بالحمل والقمر في السنبلة وسيكون قران الثقلين زحل والمشتري في برج الأسد في آخر السنة ، والله أعلم .

وفي هذه الأيام : أمر محمد بن المتوكل بأن تكسر ضربة صنوه على بن المتوكل بتعز وانها لا تمر بصنعاء فبقى الناس في حيص بيص من أجلها ، ثم تراضى أكثرهم على قبولها . وبعضهم لم يَقْبل شيئاً منها .

وفي هذه الأيام : وصل من كوكبان وشبام أعيان من السادة وغيرهم يشكون عبدالقادر في الدين لهم وانه لم يسلم لهم تقاريرهم ، واختص بالبلاد وجعل التصرف للحريم ، فأمر المويد عليه بالحجر عن التصرف حتى يوفيهم حقهم الذي لهم .

وفي هذه الأيام بآخر ربيع الأول اتفقت نادرة من النوادر ، وهي أن شيخا جندياً من بني الرماح الذين يسكنون بني مطر كان ملازماً لأحمد بن محمد يركب الخيل . وكان له بيت بصنعاء يسكنه أكثر مدته لملازمته وأهله في بلد النشمة ببني مطر ، وبيته بصَرْحة[1] الأبهر - ان قتل هو وخادمة الحال[2] في بَيْته حُرْمة من بني هاجل كان زوجها قد مات فادخلتها امرأة الحال مع الشيخ الرماح في بيته ووقع معها هذه الفعال وقطع رأسها وأيديها ومثل بها وحملت في باقي[3] عنده إلى يساره طلحة[4] ، وطرحت قريب باب خالها ثم لم يظهر ذلك إلا بعد يوم وليلة بعد تحسس خبرها ولمّا ظهر ذلك الحادث ، هرب الغلام وأمسك الشيخ الرماح والحَالّ معه في بيته وامرأة هذه الحال وحبسوا بعد أن ضربت المرأة ، امرأة هذا الحال وكذلك الشيخ واوثقوا في الحبس ، وكانت هذه الحرمة ببيت مجاور لبيت الشيخ هذا المسمى عبدالله بن عز الدين الرماح وخادمه يسمى شحبر ، كان أولاً بواباً مع

---

(١) الصّرحة : بفتح الصاد واسكان الراء وفتح الحاء · السّاحة .

(٢) الحال باسكان الّلام : الساكن في دلك البيت .

(٣) كذا تقرأ هده اللفظة .

(٤) مسجد طلحة : ويقال له قبة طلحة من المساجد العامرة جنوبي الطريق النافذة من الخراز والطاووس وقبلي الطريق النافذة من الوشلي وجمال الدين إلى جهة داود وسوق البقر « الحجري :٦٨ » .

أحمد بن الحسن والله أعلم بحالها وبسبب ما وقع بها ، فمن قائل إنه عمل غير صالح كان بينه وبينها ومن قائل إنه يطمع ما معها ومن قائل إنه كان طلب معها ابنتها وبذل لها دراهم ، فلم يتم قولها فحاقت بهم الجميع أعمالهم وذكرنا هذه القضية لندورها من أجل المثلة بها

ووصل إلى المؤيد محمد صاحب صنعاء هذه الأيام بأول شهر ربيع الثاني دراهم من السيد حسن الجرموزي صاحب المخا من طريق تهامة وسهام والحيمة ، وترك طريق اليمن خشية من إبراهيم بن المهدي الساكن بيريم لا يأخذها كما أخذ دفعة العدين أو غيره .

وفي غرة هذا الشهر : تراجع أهل المراشي من بلاد برط ، وكانوا نجعوا إلى بلاد جهران وضوران وبلاد رداع وغيرها لطلب المرعي لنَعَمهم[1] يعد أن بلغهم مطر بلادهم ، وقد كان خلت بلادهم وتفَرّق أهلها وصارت خاوية بما طغوا فيها وقطعوا السّبيل بطرقها وهلك منهم أمة في هذا الجوع الذين أصابهم ، والله أعلم .

وفي ثامن عشر شهر ربيع الآخر : وصل حسين بن محمد بن أحمد بن القاسم راجعاً من اليمن الأسفل إلى صنعاء فقال له المؤيد بن المتوكل : لو كان بقيت بذمار فقال يحتاج العسكر إلى جوامك وسبار[2] ، وأما اسحق بن المهدي استقر بذي أشرف واستمد من البلاد التي تليه له وأصحابه له وأصحابه ، وإبراهيم بن المهدى صنوه استقر بيريم يصرف فيها ، واستولى على ما فيها ، وعبدالله بن يحيى بن محمد بن الحسن استولى على نقطة اليمن الأسفل العدين ، ودخله وتصرّف في محصوله ومحمد بن المهدي أرسل أباريحان يعينه لقَبْض ريع المخاحسبما وضع له محمد بن المتوكل في شروطه ، وخلت يد المؤيد بن المتوكل عن جميع اليمن الأسفل بالمرة ، ولم يبق له فيه إلاّ مجرد الخطبة ، وصار في أشد الحاجة ، وخلت خزائنه ولم يبق له من البلاد إلا دون ما كان له منها في وقت والده لأنه زاد خرج من بلاده الأولى قبل انتصابه بلاد حراز لأحمد بن محمد بن الحسن وبلاد ثلا لصنوه قاسم بن المتوكل ، وابن المهدي محمد صاحب المنصورة أرسل ولده اسماعيل إلى بلاد ابن شعفل لإصلاحها وتسكينها وصلاح طرقه

---

(١) نعَمهم . ماشيتهم .

(٢) سَبار : صرف يعطى يومياً للجنود ونحوهم (سق) .

ورد ما تمنوه فيها ، فلما دخلها وصل ابن شعفل وأبرز خطوط صاحب المنصورة بأنه الذي أمر له بدخول قعطبة والتّقدم إلى أب وخيلة من خلفها وشرقها ، فكان قد أراد ذلك بأمره والذي وقع في قعطبة باشارته وخطوطه وأوامره وأمرهم بتسليم ما كان قد أخذوا فأرجعوا ما بقي بأعيانه وأخذ منهم أدابٌ وأعواضٌ ، وكاتبوا إلى يافع ، فأجابت يافع بجوابات فيها مغالطة ومواعدة ، وتفرق اليمن الأعلا والأسفل بين خمسة عشر دولة متفرقة ، وكل منهم مع ذلك يقول ما حصل الوفاء لحقه ، فكان لهذا التاريخ اتضاع كثير من الولاة والرؤساء وزوال دولهم ، منهم حسين بن حسن كان له بلاد زبيد وبيت الفقيه ، ومنهم السّيد جعفر بن مطهر الجرموزي صاحب العدين استولى عليه عبدالله بن يحيى بن محمد بن الحسن بن القاسم ، ومنهم الفقيه حسين الثلائي الذي كان متولى ثلا ، ومنهم صاحب حجة السيد على بن حسن بن جحاف بسبب حسين بن محمد بن أحمد بن القاسم ، ومنهم السيد إبراهيم بن علي بن براهيم جحاف زالت ولايته بريمة وكذلك والي حفاش الجملولي وغيرهم تحولت حالاتهم وزالت ولاياتهم .

وفي هذه الأيام لما استقر عبدالله بن يحيى بن محمد بن الحسن بن القاسم بالعدين قبض محصولاته وتصرَّف في مرتفعاته وخيراته ، وقال معتذراً : أن الذي جعل له محمد صاحب صنعاء ثلاثة آلاف لأصحابه وانه يقبضها من غير واسطة واليها ويرسل ما بقى إلى صاحب صنعاء ، فأرسل بالباقى وهو النصف ، فلما وصل إلى يريم ، جدهل إبراهيم بن أحمد بن الحسن ، وقال : هو الذى جعل له محمد لأصحابه ، فانخلعت يد محمد[1] من فائدة العدين وبقى في صنعاء صفر اليدين ليس معه إلاّ الاسم ودون ما كان معه وقت والده من محصول بعض بلاده ، وكثر الاشتراك في المملكة بسبب الضعف واختلاف الحكم .

وفي هذه الأيام بشهر جمادي الأولى : استقرت دولة ابن المتوكل[2] بعض الاستقرار بعد البذل لأولاد اخوته ما طلبوه من البلاد ، ولكن لم يبق معه إلاّ الجزء اليسير منها وأعطاهم فوق ما يطلبونه وأقطعهم البلاد كما شرطوه ، وأما يافع فانهم تغلبوا وامتنعوا . وكانت الأحوال لمن كان من أهل الرياسة مع هذا المذكور فى غاية النفاسة . وأما سائر

(١) يعنى الإمام المؤيد بالله محمد بن إسماعيل صاحب الحكم فى أثناء هذه الفترة التى يؤرخ لها المؤلف .

(٢) كذا يطلق المؤلف على أمام عصره تارة يسميه باسمه المجرد محمد بدون لقب وتارة يطلق عليه ابن المتوكل كما هو هنا وأخرى يسميه المويد وهو لقبه .

أهل التقارير[١] فصارت مجرد رسوم وأسماء ولا ظهور لها ولا جدوى ، وما أحسن قول[٢]- كما قال أبو حفص عمر بن على المهدوى - :

لقد رجونا أن ننال بأمركم   رفداً يكون على الزمان معيناً

فالآن نقنع بالسلامة منكم   لا تأخذوا منا ولا تعطونا

ولم تحصل فائدة منهم إلا السلامة من ترك بيعتهم والفائدة التامة للمسلمين من اجماع كلمتهم إذا حصلت ، وسكون الفتن هو الأولى لأن البيعة إنما تكون لكامل الشروط حيث كانت إمامة اختيارية وذلك مفقود فيهم وبسبب تركهم المطالبة عَدَم طلبنا لهم فى شئ من الدنيا لأن القاعدة أن « من أكل حَلْواهم ينال بَلْواهم »[٣] وفي الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم[٤] أن من أخذ من دنياهم أخذوا أكثر من ذلك من دين من أخذ منهم ، وكان الحال كما قال المتنبي[٥] :

إنا لفى زمن ترك القبيح به   من أكثر الناس إحسان وإجمال

قال الواحدى في شرحه : يقول : من لم يعاملك بالقبيح في هذا الزمان فقد أحسن إليك لكثرة من يعاملك بالقبيح .

وفى هذا الشهر : رفع المؤيد بن المتوكل النائب للقاسم من المخا فيما كان عَيَّنه له من البندر وهو ربع محصوله ، وقال : ان السيد حسن متولي البندر يكفي وانه يُسلم محصول الربع ويرسل به إلى حضرته وتكون عليه كسوة أهل شهارة ، فتغَيَّر قاسم من هذا العمل وقال : هذا رجوع فيما قد كان فعل ولِمَ أبقى نائب محمد صاحب المنصورة وأخرج نائبه [ذكر الواصل من الصين] .

ووصل هذه الأيام رجل ممن خرج إلى بندر المخا مع أهل الهند ، ووصل حضرة المؤيد بالله محمد بن المتوكل بهدية ذكر أنها من سلطان الصين وهي حصيرة محمره من فضة ودله[٦] مروّقة ونحوها قال هذا الواصل : أن أصله من البصرة وإنما دخل إلى

---

(١) التقارير : المرتبات والمعاشات

(٢) كذا في الأصل .

(٣) من أمثال أهل صنعاء .

(٤) الحديث بمعناه في الطبراني بسند ضعيف عن ابن عباس « المغنى عن حمل الأسفار » ٣ : ١٤٠ بهامش احياء علوم الدين .

(٥) ديوان المتنبي ٥٣١ (بشرح اليازجى) من قصيدته المشهورة :

لا خيل عندك تهديها ولا مال   فليسعد النطق إن لم يسعد الحال .

(١) كلمة دخلت فى الخط المضروب به هذا الكلام لم نستطع استخراجها .

الهند ثم ساقته المقادير إلى الوصول إلى الصين فوافق سلطان الصين فجرى منه سؤاله عن سلاطين الأقاليم ثم ذكر اليمن فقال : سلطانه شريف من بني الحسن ، فقال : قد هادينا سلطان الروم وما نزال نهاديه وهذا ينبغي أن نكتب إليه[1] . . . قال وباطنه محبّة الإسلام إلا أنه لا يقدر باظهاره خشية من أهل بلده ، قال : وبلاد الصين كفّار بين مجوس ونصارى ونحو ذلك ، والسلطان هذا معه نحو خمسمائة من عسكر المسلمين وهو يجلهم ويعظمهم ، وأرسل بصدقة إلى الحرمين الشريفين في المدة السابقة أيضاً ، والله أعلم ، قال : وكان خروجه من بحر الصين إلى الهند فسار ثلاثة أشهر قال : وخلف الصين من الجهة الشرقية البحر المحيط يتصل به هذا سيره ، ويستمد من صاحب اليمن في وصايته المسامحة لمن مرّ إلى الحرمين الشريفين من الحجاج ، ومن المسلمين الذين بجنابه والتجار ، وأنه يشق عليهم طريق البر ومرادهم بطريق البحر فأجابه المؤيد بالاسعاف وأنه يمر منهم المار وليس عليه في بنادر اليمن مشقة[2] .

وفي هذه الأيام ارجع محمد بن أحمد صاحب المنصورة ربع المخا الذى كان وضعه[3] له محمد صاحب صنعاء ، وقال له : بلغنا حاجتكم فرجع ذلك إليكم ، وقيل إن المويد كتب إليه يذكر أن اليمن قد تفرق ، وصار الوافد إليه ولا يجد ما يقوم بهم وأنه يشق عليه هذا الأمر ، فأجاب المذكور بأنه قد ارجع له ربع المخا وبلاد زبيد بما قد اكتفى مع بلاده الأولى .

وطريق عدن صارت مقطوعة من الصبيحة والحواشب لا يمر فيها عُقّاب ، فرجع بعض من كان وصل من الهند ، ولم يدخلها وعرج عنها إلى المخا .

وفي آخر نهار يوم الخميس تاسع عشر شهر رجب بعد العصر : خرج المؤيّد من مدينة صنعاء إلى ضوران قال : إن مراده الاستقرار فيه هذه الأيام وقال هو أصلح للقرب إلى اليمن ومرافقه أحسن ، وصار يظهر أن مراده الحركة إلى المشرق ، وخرج في يومه ذلك ابراهيم بن المهدى طريق يريم خشية عليها من المؤيد لأنه لم يوله إياها ، وكان ابراهيم بن المهدي قد وصل إليه إلى صنعاء من يريم واستخلف بيريم ياقوت اسماعيل فأرسل المؤيد إلى يريم ناظراً لأجل محصوله .

---

(١) كلام محاه المؤلف بخط غليظ لم نستطع تبينه .

(٢) لفظة لم تظهر فى التصوير .

(٣) كلمة غامضة .

ووصل هذه الأيام قبيل عزم المؤيد من صنعاء بيومين بواقي العسكر الذين كانوا من الحيمة برداع ويشكون عدم الوفاء بالجوامك والأقوات ، مع طول المدة بالبقاء من غير ثمرة ، وهناك من الرتبة من يقوم بحفظ المدينة ، وأما المشرق فإنهم إنما خالفوا في بلادهم فإن أنتم مثبتون لهم تاركون فلا تخشوهم وإن أنتم لكم نية في الدخول إليهم فلابد لكم من عساكر قوية مما يكمل بنصابهم ونحن معكم ، ففسح لهم إلى بيوتهم ، وقال : الأمر كما ذكرتم وإذا احتجناكم كتبنا إليكم .

وفي هذا الشهر قتل رجل بالروضة في باب بيته تمكن له جماعة[١] . . . بنفسه هو وحرمة من أهل بيته وذلك بعد العشا وحملوا ما معهم أخفوه في الطريق ثم لما وصل بلده دفنوه ولم يظهر ، ثم ظهر لولي الأمر ذلك واخرجوا ذلك .

وتتابعت القرانات[٢] في هذه السنة فإنه في النصف الآخر من هذه السنة اتفق قران الزهرة وعطارد والمشتري لسلخ جمادى الأخره في برج السرطان ثم سيكون برمضان قران المشتري والمريخ في نصف رمضان في ذلك البرج أيضاً ، ثم قران الثقيلين وزحل في برج الأسد بآخر شهر شوال منها في الدرجة الثامنة من الشهر المذكور بآخر شهر منها ، وهو دليل قوة سلطان الإسلام الأكبر ، ولا ذكره المحققون من المقومين من أهل علم الفلك والمؤرخون والله أعلم .

وفي شهر رمضان : ظهر نجم الذنب من المغرب ولكنه ليس بالطويل وبالعريض مستدقا عرضه نحو ثلاث أصابع أو أقل وطوله ثلاثة أذرع ، ويقال إنهم رأوه أولاً حال ابتداء ظهوره بالشرق ، والله أعلم ، وكان ظهور هذا عقب الأمطار وصلاح بذور الثمار في الخريف والصيف في جميع أرض اليمن . المشرق والمغرب بعد أن كان تتابع عزّة الأمطار في السنين الماضية في الجهة والله يصلح الثمار[٣] . . .

وأرسل المؤيد محمد بن المتوكل من ضوران الشيخ جعفر بن علي إلى حضرة الرصاص للإصلاح فشرط الرصاص إبقاء بلاده بيده ولا يدخل عملها أحد من الولاة وأنه يسلم الواجبات بنظره وأن الطريق آمنة والبلاد صالحة .

---

(١) هذا الحر ضرب عليه المؤلف ولم نستن هذه اللفظة بعد اعمال الفكرة

(٢) القرانات : جمع قران عند المنجمين من أنواع النظر وهو احتماع الكوكبين غير الشمس والقمر في حرء واحد من أجراء فلك البروج

(٣) هذه الصفحة ورقة ٥٥ من الحزء الثالث مضروب عليها كلها ، وكثير من هذه الصفحات أعمل فيها بالكشط فلا تطول على القارىء بالإشارة إلى مثل ذلك .

وأما حسين بن حسن فصار يأكل يده[1] ويحترق على ما جرى معه ، وصار يكاتب إلى أولاد أعمامه بالنصرة له والدخول إلى اصلاح ما كان من بلاده ، وأجابوا عليه أن الأمر إلى المؤيد ولا تصلح اجابتنا ودخولنا من غير أمره ، والمؤيد ظاهره ، محبة الاصلاح ومراعاة ما هو أصلح للمسلمين في سكون الدهماء والله يصلح الإسلام .

وابراهيم بن أحمد بن الحسن لما وصل إلى يريم طرد واليها ، فلما وصل إلى المؤيد بضوران حصل مع المؤيد التعب وأهم أن يقصده ، ثم أنه تراجع وكتب إلى صنوه حسن الذي بالغراس فكتب إلى ابراهيم بالانخراط في طاعة المؤيد ، والا فهو عون عليه ، وكتب إلى العسكر الذي عنده يتهددهم ، وهم من قبائل الرحبة التي بالقرب منه فتغالت العسكر من عنده ، وبقى وحده بخاصة عبيده وخدمه ، فاضطر حينئذ إلى الوصول إلى ضوران حضرة المؤيد وسكن ، ثم ان إبراهيم بن حسين الشهاري طالب المويد في يريم ، وقال : أنه كان وعد بها وأنها كانت لأخيه من المهدي وإلا عوض غيرها فما زال يماطله هو وابراهيم بن المهدي في مطالبتهم ، حتى أصدقهم ان ما عنده شئ ، وأن البلاد قد تفرقت ، ولم يبق الا اليسير منها بيده وأهم أن يخلع نفسه ان لم ينخرطوا على طاعته ، فسكت الابراهيمان عن طلبه . وحسين صاحب الغراس تضرر من أخيه اسحق الذي كان أرسله إلى اليمن الأسفل فإنه منع عنه المطالب من البلاد التي كان تعينت له كذي اشرق وما اليها وصار يهم بأنه يقصده إليها فإنه لم يبق معه إلاّ بلاد وصابين وبلاد الرحبة وبعض بلاد همدان وخولان وصار يوفي السبارات لمن عنده ، وبيوت والده ، من الخزانه والأموال مع الجميع عجيبة .

وفي هذه السنة : كثرت الضربة للدراهم مثل علي بن المتوكل ثلاث ضرائب مع ضعف الدراهم وكثرة الغش فيها مع ضربة المؤيد وضربة حسين صاحب الغراس ، ثم فعل حسين بن محمد بن أحمد صاحب الروضة ضربة في عمران واستقر فيه ورحل عن الروضة فمنعه المؤيد فامتنع وتركها على مشقة ، وأما صنوه علي صاحب اليمن . فقال : فيها مصلحة للجند والحاجه إليها فاستمر عليها البلاد والعباد ، وكذلك محمد صاحب المنصورة مستمر عليها فبلغ صرف القرش يومئذ إلى خمسة حروف لأجل كثرتها وصغر الدراهم وغشها ، واعتمدوا فيها بقشة الخمس وتركوا ضربة الصغار منها لعدم خراجها

---

(١) يأكل يده : كناية عن التحسر والندم .

لأنها لا تتجزى إلى خمس مع صغر الأصل ، بحيث أن الضربه الأولى قلت وعدم أكثرها لأنهم صاروا يضربونها ويصوغونها لما فيها من الزيادة بالنظر إلى هذه الضربة الأخيرة والزيادة وبعد هذه الضربة إذا فعلت ضرَّت الناس بانكسار يحصل عليهم ، ولو أن الدولة يضبطون وزن الضربة لا تختلف ، كان أحسن ، وكذلك المكيال فإنه قد حصلت فيه الزيادات الكثيرة شيئاً فشيئاً وما كاد يستقر على قاعدة .

وفي صفر ختم على الفقير[1] إلى الله « صحيح الامام مسلم » بن الحجاج القشيري قراءة محققة الضبط والحراسة من أوله إلى آخره بعد سماعي له عام اثنين وسبعين وألف على الفقيه صالح بن حسن العنسي بسماعه له على الشيخ العارف محمد بن علي علان الشافعي بمكة المحروسة وفي السنة التي بعدها شرع في قراءة سنن أبي داود فسمع علي أكثرهم موالاً[2] قدر الربع من آخره ولله الحمد ، وذلك بصنعاء اليمن ، وكان هذا من جملة النعم ، لأن هذا الكتاب والبخاري وغيرهما لم يعرفهما أحد من زمان راس الألف إلى هذا التاريخ قدر مائة سنة ، فلا قوة إلا بالله .

وفي شهر شوال : وصل الخبر بأن بندر الشحر استولى عليه علي بن بدر الكثيري صاحب حضرموت وطرد عنه الوالي الذي كان من قبل محمد بن أحمد بن حسن صاحب المنصورة ، وهو ابن قاسم الرسمي ، وما خرج منه إلا برفاقه ، وحصل في البندر ما حصل من الانتهاب بعد وقوع طرف حرب هنالك ، وخرج جماعة من أهل البندر في جلاب طريق البحر بأهلهم وأموالهم ، فغرقوا في البحر لأن البحر يومئذ ما قد هو وقت ركوبه إذ كان في تشرين ، وهو انما يرتكب في كانون عقب رجوع الشمس واستولى المذكور على البندر ، ثم حصلت فتنة بين علي بن بدر المذكور وبين بعض أقاربه يسمى حسن الكثيري بسبب أن محمد صاحب المنصورة ولّى حسن الشحر والمؤيد ولاه علي بن بدر ، ثم تعقبه بآخر الشهر المذكور استيلا العولقي على بندر أحور الذي بين عدن والشحر ، وكان وصل خبر أنه وقع بحضرموت قبل هذا الحادث مطر عظيم فيه برد كثير كبار بحيث ذرع بعضها بالذراع في بعض بلاد حضرموت ومن وقع فيه شيء منه هلك .

ووصل زيد المتوكل إلى صنعاء متولياً من قبل صنوه المؤيد وكان وصوله إليها ليلة

---

(١) الفقير . يعني المؤلف نفسه

(٢) كذا في الأصل ولعله « موالي » .

ثامن عشر هذا الشهر أرسله من ضوران ، فلما وصل إليها كان أول شيء منع الناس من أهل البيع والشراء : أن لا يبيعوا إلا بنقد ، فعظم ذلك على البايع والمشتري وتضرر ، ومنع المصلحين من الإصلاح في البيوعات ، وأمر أن النسا لا تدخل الحمامات ، ومنع من التصفر بالحناء ، فبقى هذا قدر ثمانية أيام ورجع كل شيء إلى أصله الأول ، ولم يتم من ذلك شيء .

وفي هذا الشهر أتم محمد بن أحمد بن الحسن دائر[1] المنصورة الذي بناه .

وفي خلاله بأول شهر القعدة : انتهبت القبائل أبين وتصرفوا فيه بالنهي والأمر وانقطعت طريق عدن ، فأرسل محمد بن أحمد صاحب المنصورة ولده الحسن بجماعة العسكر إلى بلاد الحواشب ، ورفع الخبر بذلك إلى المؤيد وهو يريد بذلك الاستظهار على صلاح بلاده ان احتاج إلى شيء منه فعند ذلك قال المؤيد : الصواب أن هذا المخرج يكون إلى بلاد يافع وان هذا كله بسببهم ، وكتب إلى أخويه وبني عمه بالتبريز والتأهب ، فراجعوه بأنه هذا يحتاج إلى نهضة قوية فلا ينبغي فيه العجلة ، فأجاب : بأنه لا بد من ذلك ، وأنه يعينهم بما يعين من خزائنه ان احتاجوه إلى شيء فبرزوا جميعاً المؤيد في قاع بكيل وحسين بن المهدي خارج الغراس وأحمد بن محمد خارج صنعاء ، وحسين بن محمد بن أحمد خارج عمران ، وحسين بن حسن برداع ، وعلي بن المتوكل باليمن الأسفل ، ثم تقدم حسين بن حسن إلى ضوران وفرح بهذه الحركة لما قد جري من يافع معه فوصل إلى ضوران لمزيد التحريض للمؤيد بتمام الحركة والهمة وكذا طلع عليه علي بن المتوكل إلى ضوران ، ولما وصل حسين بن المتوكل من رداع صحبة حسين بن حسن لقيه أولاده وشكوا عليه ما جرى معهم من التقصير في السبار بسبب عمهم المؤيد فإنه قبض محصول البلاد ، فتغير من ذلك وعاتب صنوه عند وصوله بمعاتبة طويلة .

إحداثُ مَعَاصر

وفي هذه الأيام لما حصل قلة الطالع من السليط من بلاد لحج وقعطبه بسبب ما جرى من القبائل وارتفاع ثمنه بصنعاء . أحدث فيها سبع معاصر للسليط مخروطة من الحجارة وبالغوا فيها لأجل غلاء السليط وقلة طلوعه من اليمن أسفل بسبب ما جرى في قعطبة

---

(١) دائر : سور .

وبلاد لحج وأبين من التغيرات والانتهاب والفعلات ، وعصروا فيها الخردل لأنه الذي يزرع في البلاد العليا دون الجلجلات لأنه لا يصلح إلاّ في البلاد الحارة دون الباردة .

وفي عيد عَرَفَة حكى السيد مهدي الكبسي بأن أول الحجة الاثنين والعيد الأربعاء ، وكان الناس غير مترقبين لهذا لأجل المبارز[1] ، فعمل المؤيد وأهل صنعاء بحكمه وعيدوا الأربعاء وأما سائر البلاد فعيدوا الخميس ومن الناس من احتاط يوم الخميس .

وبعد الصراب للأثمار نزلت الأسعار في جهات صنعاء إلى ثلاثين بقشة الذرة والشعير مع كير القدح عما كان سابقاً ، وأما اليمن الأسفل فسعره مرتفع زائد على صنعاء ، القدح فيه بخمسين بقشة خلاف للعادات الماضية فإنه يكون سعره دون اليمن الأعلى ، وحصل في بعض الجهات في الذرة عسل[2] حصل بسببه النقص فيها ، وهذه البلاد هي الحيمة وما يليها غربي صنعاء ، بحيث أن بعض الناس أكل مع العسل ذلك الذي فيها فهلك منه .

ودخلت سنة أربع وتسعين وألف

في ثاني الشهر : وصلت كتب الحاج بمكة بأن الحج كان تاماً وكان الوقوف يوم الأربعاء والعيد الخميس ، ورخص السعر وصلاح الثمرات وطيبها وكثرة الحاج الشامي والمصري ، وأن المطرفي هذا العام كثير ، وأما اليماني فضعيف إلى الغاية ، وأخبروا أن الولاية من السلطان تقررت لسعيد بن بركات ، ثم وصلت الحجاج وأخبروا بمثل ذلك ، وأخبروا أن يافع اشتهر الخبر المستقبض بمكة بأنهم كتبوا إلى السلطان بما فعلوه من التغلب على بلادهم واخراج ولاتهم ، وان دولة اليمن قد صارت ركيكة ، وأن السلطان يبعث طائفة من عساكره وهم عون لهم في الاستيلاء على جميع اليمن ، وكذلك كان الحج هذه السنة قوياً واتفق انهدام بعض الآبار في طريق الشامي لما ازدحم عليها الناس فهلك جماعة فيها .

وفي يوم الأربعاء من شهر محرم : خرج حسين بن أحمد بن الحسن من الغراس إلى صنعاء لأجل المخرج إلى المشرق .

ووصلت الأخبار من يافع بأنهم قد خربوا راس النقيل الذي في جبل العر ، وجعلوا فيه

---

(١) المبارز : جمع مبرز وهو هنا المجلس ويطلق هنا على مجلس الحرب والمشاورة .

(٢) مادة تشبه العسل ، تضعف الثمرة .

خنادق وبنوا فيه النُّوب[١] والقليع[٢] ، وحصنوه وأن قد صار ابن العفيف مستعداً بالمال والرجال والبنادق الكبار وصار مظهراً للدفع والقتال وعدم الامتثال .

وكان خروج حسين بن المهدي بعد ان اختار له الفقيه أحمد الذّيبة الذى كان يعتمد والده ، فقال له تخرج يوم الأربعاء من شهر محرم فخرج من الغراس ضحى ، وكذلك خرج من صنعاء ضحى فى يوم الاثنين ثالث عشر شهر محرم ، واتفق في ذلك جميعاً أن الطالع كان الدلو وفيه الذنب ، كما اتفق في المخرج الأول لمن سبق ، والفقيه أحمد اعتمد الساعة وحلول القمر فى البروج ولم ينظر إلى الطالع ، مع أن التَّوكل في جميع ذلك كان هو الأولى ، ثم آن في اختيارات الأيام لجعفر الصادق ان يوم ثامن الشهر غير مختار للأعمال وكذلك الثالث عشر .

وأما بلاد بني أرض ، وهي بلاد الرَّصاص ، فلما بلغهم التَّبريز ، أرسلوا منهم جماعة انهم مواجهون وأنهم غير مانعين لما كانت طريق يافع في بلادهم وهى وطا لا يفعل مانع فيها وقد عُرِفَت قاعدتهم فيما مضى في خلافاتهم على عامر بن عبدالوهاب ، وعلي الوزير حسن انهم تبّع ليافع ولكنهم ينظرون ما يفعلون فان انتهضوا ومنعوا كانوا من المباشرين لمن في بلادهم كائنا من كان وان كانت يافع في الغلبة أقرب كانوا من المتجمّلين .

وأخبر الحجاج من بني عصية الذين جاءوا طريق السراة : أنهم لما وصلوا قرية مضفاة وجدوا جماعة على أبواب قريتهم مقتولين وذلك لعرف غزتهم قرية أخرى بينهم وبينهم خصومة وفتنة لا تزال ثائرة لعدم الدولة عليهم ، لأن هذه البلاد بين دولة صاحب اليمن والشريف صاحب مكة ما بين الحرجة وبين تبالة وبين هذين المحلين نحو خمسة أيام ، وهي البلاد المقابلة لبلاد الحرامية على طريق تهامة ، ومن جملتها قرى وادى ذهبان شهران ، فهذه البلاد لا دولة عليها لانقطاعها وانفصالها . قال الحجاج : فلما وصلوا قالوا لهم : بينهم حاسب نريد نَحسب لهم فيما صار يجري بينهم وبين خصومهم وان خصومهم صاروا ينتصرون عليهم ويضّروهم فقال الحجاج : ما فيهم حاسب فرسموا علهم وقالوا لابد ، فلم يطلقوهم إلاّ بعد أخذ ايمان بعضهم والتَّشديد عليهم . قال

---

(١) النوب . بضم النون مع التشديد وفتح الواو : مرقب حربي وقلعة صغيرة (سبق) .

(٢) القليع : جمع قلعة « عامية » . صوابه : قلاع وقلع وقلوع .

الحجاج : وكان صوف القرش بالطّائف من ثلاثة حروف ونصف مصرى وبمكة من ثلاثة حروف مصرى .

وفي يوم السبت ثامن عشر شهر محرم فى آخر الساعة الرابعة والطالع الحوت والمقابل السنبلة فيه المريخ : خرج أحمد بن محمد بمن معه فَبات بحدّة بني شهاب ، ثم سار ضوران ، وخرج في هذا اليوم من عمران حسين بن محمد بن أحمد بن القاسم إلى الروضة ، ثم إلى ضوران بأصحابة ، ولقد كان خروجه من عمران ضَحْوة النهار والطالع في ذلك الوقت يكون الدلو وفيه الذنب ، وتعقبهم صاحب كوكبان ، خرج يوم الاثنين عشرين شهر محرم الحرام ، وإذا كان ضحوة النهار خروجه فكذلك الطالع الذنب [1] ، وبذل حسين بن حسن من خزائنه معونة للمؤيد في سَبار العسكر ، ولما وصل حسين بن المهدي جَهْران قَبَض على ثلاثة أنفار عرفوهم بأنهم جواسيس يافع وأمر بالّزناجير في رقابهم فلما وقع ذلك بهم اعترفوا من بعد وأخبروه بأخبار يافع وانهم قد حصّنوه وغيروا الطريق قريب جبل العر وخندقوه ودفنوه في الطريق بارود على ضفة السّاقية تَتّصل من إليهم وتتواصل أنه متى وصل إليه العسكر اليمانية وسبر الحرب أحرقوا البارود ليحرقوا فيه ، وهذه مكيدة عظيمة ، وقد لا يؤمن أن يجعلوا في طرف بلد من يافع في بيوتها شيئاً من البارود لأجل إذا دخلوا أحرقوها بهم ، وصار حسين بن المهدي يحذر أصحابه من ذلك متى وصلوا إليها ، وبنوا المتارس وحصنوا جبلهم بكل ممكن .

ولما وصل الرؤساء والأجناد إلى ضوران جمع المؤيد السادة والقضاة ، وقال لهم : المراد التّجهز إلى يافع لما أصوا على التّغلب على بلادهم وعدم الامتثال لما أمرناهم فما عندكم من الكلام ، فتكلم الحاضرون بأن رأيكم حسن والناس قد وصلوا إليكم للإجابة وقد أعذرتم إليهم وما غدر من أعذر ، وأجاب القاضي محمد بن علي قيس الثلائي ، بأن يافع تجرّموا من الولاة عليهم وشكوهم ووصفوا بالجور عليهم فيجب إنْصَافهم وتحويل الولاة عنهم وإزالة المظالم التي زادت فيهم ، وقد حوا بها على الولاة عليهم ، فأجاب عليه حسين بن المهدي في الحال بالجواب قال : يا قاضي أنت أفتنت بين إمامين وبايعت بَيْعتين وفعلت الذي فعلت والآن بعد هذه الجموع لم يبق إلاّ التقدم عليهم وإصداق

---

[1] هنا كشط قدر ثلاثة أسطر ، لم نتبينه .

الفعل فيهم فقد أظهروا المباينة على الإطلاق ، وليس لمجرد إزالة الوالى بالاتفاق فقال القاضي : المراد التّوقف على أقوال العلماء ، فقال حسين ليس معنا إلاّ السيف فسكت القاضي ، أصبح الصباح وأمر بالسفر وراح ، ثم تبعه الآخرون وهم على مراده موافقون .

وأهل يافع لما كانت بلادهم جبالاً عالية ، وهي في جانب من اليمن وزاوية وعنه مائلة ، أعزتهم جبالهم ومنعتهم حصونهم ، ولأجل عسرة الطرق من غير الطريق الشرقية إليهم ووعارة مسالكهم واجتماع كلمتهم ، ومثل البلاد الشرقية المحادة لهم انهم مع وسعتها وامتدادها فان بلاد يافع جبال ممتدة من فوق دمت وقَعطبة إلى فوق عدن مسافة خمسة أيام مع ما يليها من البلاد المشرقية ، فلهذا من قديم الزّمان عزَّ تناولها للدول لمن قصدها فكانوا مع الدول الأولين في الغالب لا يتصل بهم من الدّول ، وان اتصل بهم أحد على مشقة ما زالوا يترقبون فرصة بسبب اختلافهم في ذات بينهم ويتغلبون على بلادهم ويطردون عنها واليهم ، كما فعلوه مع الوزير حسن ومع بنى طاهر مع أن مذهبهم شافعية فكان مقتضى مذهبهم ومذهب أهل السنة الصَّبر على جور السلطان ، وعدم الخروج عليه والطغيان ، وهم مع ذلك قد كَتَبوا إلى السلطان بن عثمان كما جاء الخبر به مع الحجاج ، وأخبروه بضعف دولة اليمن وأنهم قد تغلبوا على بلادهم ، وأخرجوا عنها حسين بن حسن بالسَّيف البتَّار والقهر الغالب وذلك إرادة منهم الاستبصار بهم ، وإرادة أن يعينوا عليهم ، وإلاّ فانهم لا يريدون الدولة من حيث كانت هي .

وفي عشرين شهر صفر : وصل الزوار من المدينة المنورة فأخبروا أن سعر الحبوب كان بالمدينة مرتفعاً وأما مكة وجدّة فهو متهون دون ذلك ، وذكر أن النهر الذي أمر السلطان بجرّه من مكة إلى جدة بلغ إليها ، وانتفع الناس به فيها ودخل إلى داخلها ، وبني فيها مسجداً يدخل الغيل إليه ، فكان ذلك من المحاسن العظيمة والصدقات السلطانية ، وقُوّت جدّة هذه المدة وزادت في عمائرها ، وكذلك المدينة بسعاية السلطان . هكذا أخبر الزَّوار .

وفي هذه الأيام بآخر شهر صفر : وصل الخبر أن ابن عفيف صاحب يافع . وصل جوابه على حسين بن المهدي إلى الزهراء بعدم المواجهة ، وكان عند وصول الرسول وهو القاضي حسين بن يحيى المخلافي القبض عليه والترسيم لديه ، وانتهب حوائجه وقال : لولا إنك رسول لكان الأمر غير هذا . فعند ذلك أزمع حسين بن المهدي بالارتحال إلى

جهاته والبناء هو ومن معه على قتاله ، وعند ذلك اقترب من[1] صاحب المنصورة إلى بلاد يافع وإرسال معونة وإرسال ولده الحسن بن محمد إلى مساقط بلاد يافع والتقى هو وابن العفيف بعد المكاتبة فيما بينهم . وقيل اتفقوا على التّظاهر على الواصلين من قبل المؤيد ، وكان محمد بن أحمد صاحب المنصورة ، أقواله مضطربة وكتبه مازالت مختلفة ، آخرها ينقض متقدمها ، فإنه ما خرج صنوه حسين بن أحمد بن الحسن من الغراس إلاّ بعد وصول كتاب منه إلى أخيه : بأنه قد بالغ من أجل يافع في الرّجوع على ما كانوا عليه ، والاذعان بما يطلب منهم من غير مشاققة ، فلم يجد منهم إجابة ولم يبق هناك ما يصلح فيه المعاودة ، فظن حسين بن أحمد بن الحسن أن الكلام على ظاهره ، فخرج من الغراس ظّنا انه لا يحصل من جانب صنوه ولا يخالفه ، حتى وصل إلى ضوران وبلغه ذلك الاجتماع والنّية لقصد ذلك الشان ، وصل كتاب آخر منه ، بما ينقض ذلك ، وان الشروط التي بَيْنه وبين المؤيد ما تمّت ، بعد ان وعده محمد بن المتوكل انه يزيلها على التدريج مما يقدر عليه فلما لم يتم جعل ذلك عذراً له وقال : وانه باق على ذلك الأصل ولا سيما بعد تحريك وقع من المؤيد عليه بكتاب كتبه وَوَصل إليه : مضمونه طلب اللقيا له والمعارضة والاجتماع على حرب المشرق على اليد الواحدة . وربما فعل من الكلام بعض شئ مما نفره . فعاد الأمر الأول جذعة [2] وجَهّز ولده الحسن إلى الحج ينتظر ما يكون كما سبق ذكره ، ووصل حينئذ إلى الزهراء صالح الرصاص وأولاده في حكم المواجهين وأنهم معهم إلى ما يريدونه سائرين وماشين ومقاتلين .

وفي يوم الاثنين ثالث شهر ربيع الأول : لما وصلت الجنود المؤيدية إلى طرف بلاد يافع طرحوا محطتهم في سفال جبل القرعيد[3] بلد يقال لها حصن جوهر فيها مزارع وآبار وجبل العر فوقها ، وكانت طريقهم من الزهراء إلى واد ضَيّق خرجوا منه إلى هذه المحل ، وعرجوا عن طريق الحلقة بسبب الرصّاص ، فكان إلى يوم الجمعة سابع شهر ربيع الأول وطلعوا جبل العر لقصد الحرب والقتال حال توفر اجتماعهم ووصول غوائرهم وقد كانوا بنوا المتارس القوية في عرض الجبل حجزوه من جميع طرقه ومداخله وكانت المتارس كالدوائر العالية فوق القامة على جميع عرض جبل العر من حيث منه

---

(١) كذا

(٢) الحدم والجدعة الصغير والشاب الحدث .

(٣) كذا ولعَّل صوابه قرعد بلد هنالك .

المدخل ، طول تلك العمارة قدر ميل ، فحمل أول العسكر من حاشد ويكيل ومن معهم من المغورين إلى جهة تلك المتارس فرموهم من داخله فقتلوا منهم كثيراً من فوقهم ومن جوانبهم لأنهم جعلوا متارسهم مخلوفة مقابلة لبعضها بعضاً معصورة لأجل يكون الرمي من جهة المقابلة ومن جهة المدابرة بصفة محكمة ، وكان من جملة المقتولين بيرق دار حق حسين بن المهدي وكان الرمي من داخل يقبل ليظهرهم والذين من خارج لا يصيبون شيئاً بل الرصاص يقع إلى أحجار الدوائر مما لا يقع تحتها طائل ، فعند ذلك انهزموا أول هزيمة من تلك الجملة إلى أصحابهم ، وفترت عند ذلك همة المتأخرين خلفهم لما رأوا من القتل لأصحابهم فبنوا متارس ضعيفة ، وكانوا يرامون بلا طائل لأن الرصاص لا يقع إلاّ إلى الدوائر ، والذي من داخل يأخذون فيهم لمن أشرف منهم ورشن[1] الحرب بالمراماة إلى العصر وعلي في منزله ومكانه حتى تعبوا وجاعوا بحيث ان بعضهم جلس تحت الحجارة لعدم تحصل الفائدة . وعند ذلك اختلف رأيهم كيف يكون المخرج إلى المحطة أو المساء فلما عرف الرّصاص ذلك قال : يجعل لهم ذمة أربعة أيام ويعودون[2] إلى محطتهم فأسعد إلى ذلك حسين بن أحمد بن الحسن وهو المرجوع إليه في أمرهم وقال : لا باس ولم يكن لهم الجميع معرفة كيف خدائع الحرب وكيف تكون صفة الرجوع فانحرفوا للعود آمنين مطمئنين ثقة بكلام الرّصاص وأدبروا جميعاً نازلين فما هو إلاّ أن رأوهم كذلك دَفَعت إليهم البنادق ضربة واحدة من كل جانب في ظهورهم فسقط منها كثير منهم الهالك في الحال ، ومنهم المصاب ، ثم خرج سائر القبائل الذين ليس معهم البنادق في أعقابهم يضربون ويقتلون ويرجمون ويصيحون فحصلت عند ذلك رجّة عظيمة . وكل هرب على رأسه لا يلوي على أحد ، وتفرقوا في الاجبال والشعاب والطريق والقتل في الآخر الآخرة ، وكان من جملة من رمي وأصيب أحمد بن محمد[3] وقعت فيه رصاصتان[4] إحداهما هي القاتلة في صَدْره والأخرى في رجله دفعة واحدة عند ذلك فحمله أصحابه فوق بغلة إلى بعض الطريق وجرت البغلة والقتل عمّال في الناس فطرحوه أصحابه عند مسجد صغير على الطريق لما حصرتهم

---

(١) كذا تقرأ هذه اللفظة .

(٢) الأصل : ويعودن .

(٣) هو أحمد بن محمد بن الحسن بن الإمام القاسم ابن أخي المؤلف الملقب حجر . وجد السادة بني حجر المعروفين .

(٤) في الأصل رصاصات .

القوم ولم يسع أحد منهم إلى حمل له ولا دفع وقتلوا الحاضرين عنده جميعاً فقتل من أصحابه من بقي حوله قدر سبعين نفراً من خلفه وقدامه وعنده واحتزُّوا أكثر رؤوسهم ، وكان من جملتهم أحمد بن محمد المذكور ، واهتزم الناس إلى المحطة ودخلوا حصن جوهر ، وأظلم عليهم الليل وباتوا في أشر ليلة ممن قد مات من التعب ومن الخوف ، وبنوا متارس وحصنوا حصن جوهر بالحجار لما يخشوه منهم .

وكان لما وقع هذا الحادث العظيم وقع في المحطة بعض انتهاب من أصحاب الهيثمي والجلاد ومن بعض الأجناد حال حمل الأثقال من المحطة إلى حصن جوهر والمدافعة ، وانتهب الهيثمي قافلة صاحب كوكبان كان قد شدها فساقها بأحمالها وفيها خزائنه ووطاقه ، وزالت عقول بعض أهل السوق ، وهرب الهارب في الليل على رأسه إلى الزهراء فالهارب الأول نجا لأن أهل البلاد ما قد كان تحقّقوا القصة ، والذي تأخر قتل في الطريق وانتهبوه خصوصاً في بلاد قيفة فإنهم قتلوا كثيراً من الهاربين ونهبوهم ، وكان أعيان المقتولين مع أحمد محمد الشيخ محمد بن فارع كاتب أحمد بن محمد ومن بيده دفتر العسكر ، والشيخ علي دغيش شيخ بني حشيش من بني الحارث ، والشيخ عبدالله بن سعيد العشيري شيخ الإسماعيلية في بلاد حراز ، والصباحي من مشايخ شمات ، وجماعة من سادة غربان ، واختلف الناس في عددهم ، فمن المقل ومن المكثر لأنهم ما عرفوا تحقيقهم فمن قائل ان جملتهم سبع مائة في الحرب والطرق[1] ومن قائل أربع مائة ، ومن قائل ثلاث مائة ، وكل منهم يخبر على المعرفة وأكثرهم لا يعرف لأن منهم المغورين ليسوا في دفتر ، والقتل الذي كان في أول الحملة منهم قتل البيارق من الشمع[2] والعرب وأهل العيدان[3] ، ولعل جملتهم يكونون إلى نحو ثلاث مائة ما بين مصاب ومقتول حال الحرب وفى الطرقات من باب الظن والجمع بين الروايات والله أعلم .

ولما أصبح الصباح وظهر بنوره ولاح ، نزلت يافع من جبل العر كالجراد قاصدين أهل المحطة فلم يخرج أحد من المحطة عن الحصن لما رأوه من كثرتهم وما قد حصل معهم ، ولم يبق لهم مطمع فيهم إلاّ الدفاع عن أرواحهم ، فلما قاربوهم دَفَعوا فيهم

(١) ابي قتل أثناء الحرب وفي الطريق

(٢) كذا .

(٣) كذا

بنادقهم فقتلوا منهم نحو ستين نفراً ، وكان خرج أهل الحيمة من لكمة [1] فرمهوهم من وراء أظهرهم ، وأهل المحطة من قدامهم فاهتزموا عند ذلك ، ثم كان يوم الأحد ونزلوا أيضاً للحرب فلم يأخذوا منهم شيئاً ولعل منهم أيضا ثم يوم الاثنين ثم يوم الثلاثاء ثم اكتف الحرب وخاضوا في الصلح بواسطة الشيخ عبدالقادر بن شيبان الجوفي فقال ابن العفيف : لا بأس بالصلح والأمان ويسيروا بلادهم ولكن بشرط حط سلاحهم ، فأبت العسكر من وضع السلاح فقال حسين بن المهدي : نسلّم عوضاً عنه من الدراهم فسلم أربعة عشر ألفا ووضع لهم الأمان وأرسل معهم ثلاثة أنفار رفقاء بالأمان إلى أن يبلغوا الزهراء فتم الأمر على هذا وساروا ، وسبب العزم ماحصل معهم من ذلك الحاصل وانقطاع الطرق خلفهم من المواد ، ونَفَذ ما معهم من البارود والرصاص ، وغير ذلك ، وكان المؤيد قد طلب غوائر عليهم بناء أنهم باقون حتى يصل إليهم فتراخت الغوائر ، وهم أحمد بن المؤيد ومن معه وغيرهم ، وكان عند وصولهم ضوران وقد خرجوا من الزهراء وصاروا برداع ، ثم تجدّد ما شغلهم عن ذلك الأمر بما وقع من الخلل ببلاد الحجرية وحوزة صاحب المنصورة كما سيأتي تاريخه ، ومكاتبته بالغارة عليه واستنقاذه ، فهذا جملة خبرهم ، وكان لما تغيّرت الطريق ببلاد قيفه قد أراد علي بن جميل العزم بالجامكية . فوصل نحو مرحلة من رداع وبلغه ما وقع بمن يخرج من الزهراء من القبائل فرجع خشية على ما معه من الطمع ، وكان وصولهم إلى الزهراء في عشرين ربيع الأول .

وفي يوم الثلاثاء حادى عشر شهر ربيع الأول : مات الشيخ العارف محمد كزبر الدمشقى الحنبلى بمدينة صنعاء اليمن ، وكان المذكور عارفاً بمذهب الحنابلة ، وكان قد حج إلى مكة المشرقة قدر خمسين حجة لأنه كان يسافر مع حاج الشام ببضاعة من بضائع الشام ثم كان آخر مدته ، وخرج إلى صنعاء ببضاعة من الجوخ والمصطكي والزّعفران وسائر بضائع الشام ، وتزوج فيها وسكنها ثم بعد عامين عاد إلى بلاده ، وقت موسم الحج وتعوّض من البن وسار مع المحمل الشامي إلى دمشق ، فبقى في دمشق عند أهله ذلك العام ثم خرج في موسم الحج المقبل إلى مكة ، ثم إلى صنعاء فسكن صنعاء قدر سنتين ، وذكر أن أول خروجه . وكان والده في حياة قد بلغ عمره إلى تسعين

(١) لكمة : أكمة .

سنة ثم مات وولده باليمن ، ولما وصل إلى اليمن طلبت منه عارية كتاب في فقه الحنابلة يسمى منتهى المرادات[١] فنقلت عليه نسخة للاطلاع على فقههم وإليه مختصر في أصول الفقه على مقتضى أصولهم ، وقبر رحمه الله بمقابر باب اليمن والله أعلم .

وفي هذه الأيام : انتهبت الصبيحة والحواشب قافلة كانت خارجة من عدن وقتلوا تجارها وقطعوا لسان أحد التجار منهم فيها وعبثوا بهم ، وانتهبوا جميع بضاعتهم ، وهذه البلاد من بلاد محمد بن أحمد صاحب المنصورة ، وكان أثار الخلاف فيها وقطع الطريق ثائراً من حال موت أبيه أحمد بن الحسن ولم يقدر على الحكم عليها ولا تأمينها وهو يدل على ضعف يده هنالك وإنما صار القبائل هم في الحقيقة هم أهل الغلبة ، وإلا فكان أقل حاله الحكم على الطريق مع قربهم من المنصورة وهذا بسبب الاختلاف للأنظار فيما بينه وبين المؤيد وعدم اتفاقهم ما زال هذا الأمر يجري في بلاده ، وكذلك ما جرى في غيرها فلا قوة إلاَّ بالله .

ووصل كتاب من ابن العفيف[٢] إلى المؤيد بضوران يذكر فيه ما حدث من هذا الحاصل والشجار والحرب الافتتان ، وإنهم إنما دافعوا عن أنفسهم وحريمهم وأولادهم ولفظ بعض كتابه هذا أن قال : إنَّا لو عرفنا منكم من الانصاف ما حاربنا ولا جرى منا شيء ، وانتم قبْلتنا[٣] والقصد أنَّا مطيعون لله ولكم مسلمون الحقوق الواجبة إلى من رأيتم غير سيدي الحسين بن الحسن خاطبين لكم ، ونحن مسلمون ما يجوز لكم محاربتنا فلا تجعلونا أعداء لكم بل من أصغر الخدم هذا لفظ كتابه ، وفيه كلام آخر هذا مضمونه ، فلما وصل هذا الكتاب إلى المؤيد جمع أهل مشورته وأعيان حضرته وقرأ عليهم فاختلفوا في ذات بينهم وقال أكثرهم : ان هذا خديعة منه وتسكينا لتأثرتكم وهذا الحرب وقع على غير قياس من أصله لأن يافعاً كان مطلبهم رفع المظالم ورفع واليهم الأول فلم يجابوا إلى ذلك أصلاً ، فعلى رأي الهدوية أنه إذا لم ينصف ولي الأمر جاز الخروج عليه فقد وافقوا قولهم وان لم يوافقوا مَذْهبهم أنفسهم لأنهم شافعية والشافعية لا يجيزون الخروج على الجائر مع أن المؤيد هذا لا يرضى بالجور لكن ماله أثرفي ولاته أصلاً فكان مع ذلك عليه أن يترك[٤] .

---

(١) سبق ذكره .

(٢) يقول المؤلف : ابن العفيف هذا اسمه معوضة بن محمد بن معوضة . وجده هذا معوضة خو الذي كان في مدة الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم الذي كاتبه في مدة دخول أحمد بن الحسن مستجيراً .

(١) قبتنا : من عبارات القبائل بمعنى وجهتنا وطريقنا

(٤) هنا كلمة محاها أحدهم واختفت تماما

كان قد طلب المؤيد محمد بن المتوكل من خزائنه قدر عشرة أحمال من الدَّراهم قبل وصول هذا الكتاب ، ثم أنه عند ذلك ظهر منه تبريد الكلام ، وقال للحاضرين الذين كان طلبهم من الآخرين[1] ما شاء منكم أن يسكن سكن ومن شاء أن يعزم عزم ، وما زال يمد إلى صنوه علي الزِّيادات بالعسكر إلى العشارب قريب قعطبة ، وعلى الجملة أن مادام صاحب المنصورة [2]وهم غير مجتمعين في رأيهم ولا متفقين في أفعالهم وأقوالهم فلا يكاد يتم له أمر في هذه القبائل المخالفة لأنهم صاروا يثقون بذلك والله أعلم .

وفي هذه الأيام : غزا أهل الجوف ومن إليهم من بلاد بيحان إلى أطاريف[3] بلاد بني أرض من حدود بلاد الرَّصاص وانهم ظفروا بكثير من مواشيهم فَنَهبوها وأخذوها وانتصروا عليهم فيها ، وكان قد هرب إليها الرصاص كثير من مواشيه .

وحصلت غزوة من بلاد عنس إلى بلاد قيفة أيضاً قتلوا منهم وانتهبوا من بلادهم ، ولما وصلت الدولة إلى رداع حبسوا مشايخ قيفة في القلعة برداع وهو الشيع مصعب والشيخ عبدالقادر لما قد حصل منهم من الضرر في الطريق والنهب والقتل والتعويق ، ولمَّا خرجوا رداع إلى بعض القرى حطوا فيها وقد هرب أهلها فوجدوا امرأة عجوزاً سألوها أين المدافن من البلد وإلا تخبرهم قتلوها فَدلتهم عليها فأخرجوا كثيراً من الطعام وتصرفوا فيه وأكلوه مع ما قد كان نالهم من شدة الجوع .

وفرحان دخل بلاد الشعيب من مساقط جبل يافع واستولى عليها لأنهم كانوا قد خالفوا أيضاً وانتهبوها واستولوا على طعاماتها .

وابن شعفل ترقَّع إلى الجبال فوق جبل حرير وأخلى كثيراً من تواطى البلاد خوفاً من الدولة .

وعلى الجملة أن المشرق قامت فتنته واختبطت أحواله وصار الدولة يتقربون منه ويحشدون عساكرهم إليه وصارت قبائل المشرق [4] . .

والمؤيد صار الذين كان طلبهم غارة بعضهم عنده بضوران وبعضهم زلجة إلى عند

---

(١) كذا ولعل أصل اللفظة تكتب هكذا « الأجراء »

(٢) يتكرر ذكر هذا المذكور بصاحب المنصورة ، وهو محمد بن احمد بن الحسن (الإمام المهدي والناصر) عرف بعد ذلك بصاحب المواهب كما ذكره أهل التاريخ أنظر أحباره بتوسع في كتاب تاريخ اليمن لأبي طالب ص ٢٠٣-٤٣٦ بتحقيقنا .

(٣) أطاريف : أطراف وهو من جموع طرف كما ذكره أهل اللغة .

(٤) هنا بقية كلام لم يثبته المؤلف في الصفحة التالية .

صنوه علي بن المتوكل وزلج أحمد بن المؤيد إلى ذمار بمن معه وانقلب الأمر عليه بالمحاذر من جانب محمد بن أحمد بن الحسن صاحب المنصورة وعدّ للعسكر وصار ينتظر الرسل إلى صاحب المنصورة ، ورسل يافع في جوابهم على ما كتبوه . وعلى الجملة أن هذه الحركات مع المؤيد لا يتم له إلى يافع إلاّ بعد سد الخل من جانب محمد صاحب المنصورة . وأما الحالات بينهم مبتورة فلا يكاد يتم له أمر كما هو ظاهر ، والله أعلم .

قال الراوي : أن مضمون كتاب المؤيد إلى صاحب المنصورة المعاتبة له في عدم المعونة في أعمال المشرق وانه كان يتوجه عليه ذلك قال : فأجاب مع السيد صالح عقبات بانه لم يؤمر بذلك ولا وصل إليه كتاب بالسير إلى هنالك . ولكن الأمر في المشرق عليه سهل ان ترك نظره إليه وانه يرسل بعض أولاده ويكون الدرك فيه عليه ، فأجاب المؤيد ثانياً عليه صحبة السيد صالح عقبات المذكور انه يصلح ذلك ولكن شرط وصول ولده إلى حضرته ويكون من عنده الصدور وزلجه واعطاه البيرق المنشور ، فما هو إلا أن عاد السيد صالح عقبات إلى بعض الطريق ووصل رسول صاحب المنصورة إلى محمد بكتاب يذكر فيه استمداد الغارة والمبادرة فان قبائل الحجرية صالت عليه والتفت من جميع النواحي إليه ، فأرسل محمد المؤيد إبراهيم بن حسين ببعض العسكر .وهو في الباطن قد فرح بهذا الخبر وقال لسان حاله : وواحدة بواحدة جزاء وان كان الخلل عليهم الجميع .

وقال إبراهيم بن حسن تتروى[1] ولا تعجلوا وتحققوا الخبر ولا تقدموا لئلا يكون هنالك خديعة تحصل في الطريق أو شدة اجتماع قبائل مما مثلهم لا تطيق .

واستحر الحرب فيما بين صاحب المنصورة وبين الحجرية ثلاثة أيام ، فأول يوم كان تلقاهم إلى خارج المنصورة وحّط بخيامه ووطاقه فهزموهم وانتهبوا جميع محطّته ووطاقه وخيامه واشتد الحرب والبنادق والقتل والضرب ثم جاءت الهزيمة في محمد صاحب المنصورة حتى ادخلوه المنصورة ، وقتل من أصحابه جماعة من أعيانهم الذانبي من عماله والقاضي الشبيبي من قضاته وغيرهم من العسكر والمجاريح من غيرهم أكثر . وبعد ذلك اضطر محمد صاحب المنصورة إلى الرمي بالمدافع التي كان أدخلها من عدن

(١) في الأصل : تشيروا

إلى المنصورة فسحبها ورمى بها فقتلت جماعة كثيرة واهتزموا منها وتركوا المنصورة من بعد ذلك على حالها ، وكان في خلال هذه الحرب قد طردوا عمّال صاحب المنصورة من بلادهم وقتلوا من قتلوا منهم واستولوا على الدمنة والجَند والزيلعي وبلغ حد الخلاف من باب عدن من الصبيحة والحواشب إلى باب تعز ، وغلقت أبواب تعز وعدن والمخا وانقطعت الطريق إلى البنادر من باب تعز ، وأرسل علي بن المتوكل من قعطبة زيادة في رتبة تعز لحفظه وقد كان أهم السير بنفسه ، وكان الذي قام معهم رجل يقال له علي بن حسين الرحبي صوفي حثّهم على ذلك ، وكان المذكور قد أرسل عليه صاحب المنصورة رسله فقتلوهم .

والحجرية لولا توسّطها في اليمن لكان شوكتهم أعظم من يافع فانهم لا يزالون يخالفون إذا رأوا فترة في الدولة واختلاف بينهم المرة بعد المرة ، مع أن طريق البنادر في بلادهم ، ولذلك خالفوا على محمد باشا في زمانه وطالت الحروب فيما بينهم[1] .

قال الراوي : وكان هذا الحادث في المنصورة يوم الثلاثاء ثالث وعشرين شهر ربيع الآخر والحوزة للمنصورة يوم الأربعاء والخميس وأنهم اجتمعوا على المذكور قريب عشرين ألفاً ، وكان قد جرى على الحجرية الجور العظيم في مدته المتوكل ثم استمر إلى الآن فذلك هو الذي حملهم على الخلاف ، مع ما بلغهم من قضايا يافع والاختلاف ، ومحمد بن أحمد بن الحسن هذا ما كاد يجتمع الكلام بينه وبين المؤيد بل كلما كاتبه ذكر شروطه وزاد هذه الأيام في جوابه مع السيِّد صالح عقبات ذكر تلك الروط وزاد معها شرطين إخراج اليهود إلى المحل الذي كان أخرجهم والده إلى موزع وتحريم التتن مع أن والده إذا كان متابعاً له قد قلده في هذا ، فقد كان رجع عن ذلك وقرر اليهود حيث كانوا أولاً لما جاء ولا يتم ما كان أراده من جمعهم إلى محل واحد ، لأن رزقهم مفرق في الأرض لا يتم باجتماعهم ، ثم لو فرض اجتماعهم انه يتم إلى محل واحد ففيه مفسدة ظاهرة فانه يخشى إذا اجتمعوا جميعاً حرموا الذّمة وأفسدوا وتقووا[2] . ثم انه لا وجه لنقض عهدهم الذي وضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) أنظر في ذلك الاحسان : ١٦٦ (تحقيقنا) .

(٢) قلت . أنظر إلى عقلية هذا الرجل وبعد نظره بما تصير إليه عواقب الأمور ، فإن ما أصاب المسلمين من كوارث كانت بسبب اجتماع هذه الشرذمة المغضوب عليها في موضع واحد ، وما صاروا إليه بعد ذلك من قوة لا تهدد المسلمين والعرب وحدهم وإنما تهدد مصير البشرية قاطبة بما جبلوا عليه من مكر وخبث للإنسانية فإنا لله وإنا إليه راجعون

بتقريرهم باليمن كما في كتابه إلى معاذ ونقض العهد لا يجوز كما عرف والتتن أحمد بن الحسن قد رجع عنه أيضاً وقال : أما التحريم فلا دليل عليه لما روجع ولكن مكروه فقط .

وفي خلال هذا وصلت أخبار بأن في البحر أتراكاً وأنها من جنود السلطان متوجهه إلى اليمن وكان الخبر متلاحقاً فأوله في نصف شهر جمادى الأولى لكنه من صاحب صبيا إلى بعض أصحابه بصنعاء ، ثم خرج خبر آخر مع دراويش بلاد سمرقند بخارى كانوا في العام الماضى حجاجاً فخرجوا بحراً ، وأخبروا أن وراءهم في البحر سلطان سمرقند قد كان حاجاً وأنهم يريدون الخروج والمسمى عبدالعزيز وانه خرج في العام الماضى حاجاً من طريق البر ويريد العود من طريق البحر صحبته نحو ثلاثة آلاف وقيل قدر ألفين من عساكر السلطان قاصدين المخاء إلى بندر المخا وليس في هذا الخبر شك ولا مرية ، وهؤلاء الذين أخبرو قدر اثنى عشر نفراً مما يفيد خبرهم مع الخبر الأول التواتر والله أعلم ، وكان وصول هؤلاء إلى صنعاء في عشرين جمادى الأولى .

وفي خامس وعشرين شهر جمادي الأولى : اتفق القران الثالث لزحل والمشتري في برج الأسد في عود المشتري بعد رجوعه لأنه كان قارنه كما سبق ذكره حال سيره في الاستقامة القران الأول ، ثم قارنه ثانياً حال رجوعه ، ثم قارنه هذا القران الثالث حال عوده من الرجوع إلى الاستقامة ، والمريخ يومئذ في برج العقرب راجعاً رجوعاً كبيراً والقدرة لله في جميع ذلك .

وكان وصول أحمد بن المويد إلى الجند بأصحابه وقبائل سنحان وغيرهم رابع عشر شهر جمادي الأولى ثم كتب إلى الشرمان وإلى بلاد السلمي انهم يصلوا مواجهين ويرجعوا ما قد انتهبوا في الطرقات وغيرها ويكونون آمنين حتى مضى قدر يومين ورجع جوابهم ان عقالهم والمشايخ وَصَّالون وأما الأطماع فهي قليلة وإنما هي بين البين ، ثم أنهم تباطأوا فأمر أحمد بن المؤيد عليهم عبدالله بن أحمد إلى الدمنة قدامة فوصل إلى بلاد السّلمى وأخذوا منهم نحو أربعمائة من الغنم ، وتقدم الدمنة فدخلها ، وأحمد بن المؤيد خرج من الجند إلى بلاد الشرماني قريب الجند ، فلما وصلوا طرف البلاد حمل العسكر عليهم مرة واحدة ومعهم الخيل فهرب الشرمان ولم يبق أحد منهم فلحقوهم إلى حد جبل جحاف وظفروا منهم بخمسة أنفار ملا زيم ، ولم يحصل شئ من القتل لا من هؤلاء ولا من هؤلاء ثم عاد العسكر للانتهاب فانتهبوا منهم من البقر والغنم قريب

ثلاث مائة ومن الجمال قدر مائة ومن أثاث بيوتهم ، وأما الحب فشيء كثير ولكن تركه العسكر ، ورجع أحمد بن المؤيد ومن معه إلى الجند فلما وصل إليه وصل الرسول منهم في الليل انهم قد صاروا مواجهين ومسلمين ما طلب منهم .

ولما بلغ سائر بلاد الحجرية والمحاصرين للمنصورة ارتفعوا وهربوا إلى بيوتهم وتنّفس صاحب المنصورة من الحصار وما قد جرى عليه من الشّدة البالغة وقد كان في حيرة وكيف يكون الخلاص من الأقفاص .

وعند هذا استبشر الناس بأمان الطرق وسافر الناس وشدوا اثقالهم إلى اليمن ، ونزل التجار من صنعاء ، وغيرها إلى البنادر بعد أن كان غلا البز بلغ الثوب الفرادي إلى ثمانية حروف وعشرة والقصدى[1] إلى سبعة حروف وثمانية ، ويقال انه اتفق مغزي من عند علي بن المتوكل من قعطبة إلى بلاد ابن شعفل واستولى على الشيخ وغيره وأتوا بجماعة إلى حضرته فأمر بهم في الزّناجير .

وكان اتفاق هذه الحوادث في جميع هذه الأماكن في وعد واحد من هذا الشهر وفي بعض الكتب : أظهرها الفقيه أحمد القمادى الواصل بكتاب من محمد بن أحمد صاحب حصون الدملؤة انه لم يقع له المرور والنفوذ إلى البلاد العليا إلاّ بعد أخذ خط من الشيخ على الصوفي القائم بالحجرية فجعل له خطّاً محصوله : بعد حمد الله تعالى ليعلم أهل الطريق وقبائل الحجرية ان الفقيه أحمد القمادي فى أمان الله تعالى لا يعترض في سفره إلى اليمن الأعلى ولا يتعرض له في الطريق ولا يجرى عليه شيء من التعويق وعلامته أعلاه لفظها : داعي الله علي بن عبدالله[2] . وهذا من العجائب . . ولقد صالت الحجرية صولة عظيمة ونهبوا ما نهبوا من القرى والأسواق والطرق ، وتعّدوا على نهب بعضهم بعضاً ، فإن جبل حبش قصدوا إلى سوق بفرس انتهبوه وانتهبوا بعض بيوته ولم يحترموا حرمة الشّيخ أحمد بن علوان وهم في بلده وحوطته ، ولما حدث هذا الحادث بالحجرية وحوزتهم لصاحب المنصورة كتب المؤيد إلى فقهائهم وخصّ ذلك بكتاب إلى الفقيه عبدالعزيز بن محمد عبدالعزيز المفتي [3] صاحب تعز أن يعرفهم ما سبب هذا

---

(١) الثوب الفرادي والقصدي : لم نقف عليها .

(٢) مضى في موضع آخر ان اسم علي بن الرحي .

(٣) هو المَعْرُوف بالجبيني من العلماء الاجلاء له مؤلفات توفي سنة ١١١٠ « مصادر الفكر الإسلامي . ٢٥٠» .

الخلاف ويسعى في الصلح والائتلاف فقصدهم [1] واستكشف خبرهم ، وأجا
المؤيد : أنهم ينقمون في هذا الخلاف على صاحب المنصورة الجور في المطا
طال بهم الصَّبر على ذلك حتى بلغت بهم القلوب الحناجر وأشرفوا على الـ
وأنهم يريدون الإنصاف وترك الاعتساف ، وانهم لما عرفوا عدم اجتماع الكلمة بـ
المؤيد أيسوا عن التأثير في الشكوى وانه لا يمكن المؤيد أن ينصف منه أو يعزا
دولة قائمة مستقلة بنفسها ، فدافعوا عن أنفسهم وأموالهم فمرادهم إزالة دولة ،
المنصورة عنهم ، هذا مضمون جوابهم وانهم يعلمون في المؤيد أنه لا يرتضي ذا
معذور لعدم نفوذ الأمر لما هنالك .

هذا وظهر على صاحب المنصورة التَّضرر من هذه الحوزة وعدم ارتفاع
المطالب المعهودة ، وصار يستغيث إلى محمد بالغارة ، ومحمد قد كان أمر أ
المؤيد ومن معه حتى بلغوا إلى الجند كما مر ذكره ، فلما وصلوا إلى تلك الج
المؤيد جواب الحجرية وما ينقموه كتب إلى أحمد بن المؤيد انه لا يفتك في ال
بحرب وأنه يرد ما طمع عليهم على مثلهم من الدمنه والشرمان وانه يسعى في
والسداد لا غير ذلك فسكنت الأمور في الحجرية بعض السكون ، وتنفس ،
المنصورة بعض النفس ، وان كان قد صار كالمسجون وسلك في الطريق بع
سلك على حذر ، وصارت الأمور متراقدة بين البين ، ولما علم التجار في اليم
كصنعاء بهذه الأمور ، لم تطمئن نفوسهم بالسفر إلى المخا لأنه كان هذا الوقـ
الموسم الهندي قد خرجت المراكب إلى المخا ، وبقوا منتظرين للتجار ولم يـ
أحد إلى الآن ولم يطلع إلى صنعاء بشيء من البز في هذا التاريخ وارتفعت أسـ
لانقطاع طريق المخا . لأجل صرف القروش بسبب الضريبة لعلي بن المتو
ضربها[2] قرش بغش فيها فبلغ صرف القرش في هذا الشهر إلى سبعة حروف و
الدراهم الصغار الأولى لأنهم ضرَبوها هذه الضربة [3] الآخرة .

ولما كان حادي عشر شهر جمادي الأخرى . وصل أحمد بن المؤيد إلـ

---

(١) كذا في الأصل . لعل صوابه فاقصدهم .

(٢) لفظة لم نتبينها في التصوير .

(٣) هنا كلمة راد فيها الكشط لم نتبينها وكل هذا الخبر مضروب عليه .

الخميس خاطب إلى بلاد الحجرية انهم يدخلون في يده ويطلعوا صحبته إلى المنصورة ويصلح بينهم وبين محمد محمد بن أحمد بن الحسن ، فأجابوا انهم يشرطون إزالة ولاية ابن المهدي أحمد بن الحسن عنهم أو خروجه من ديارهم أو رفع المطالب الجائرة عنهم ، وكان ذلك كالمتعذر عند أحمد بن المؤيد وعند صاحب المنصورة ، فسار أحمد بن المؤيد بمن اجتمع معه من سنحان وغيرهم من الأهنوم ووداعة قدر ثلاثة آلاف وخرج من الدّمنة من طريق تسمى العروق شرقي المنصورة ، وتلقاه كثير من أهل الحجرية في الطريق فقتل في الطريق من الدمنة إلى المنصوة من أهل البلاد كثير يقال نحو الثلاثين ، وكان الرحبي في مكان يسمى القعيد قريب المنصورة حاكم عليها وعلى من فيها فتلاقى الفئتان ، وحمل أصحاب أحمد بن المؤيد ومن انضاف إليهم من أصحاب صاحب المنصورة وقتل من قبائل الحجرية وأصحاب الرحبي جماعة ، وانهزم الرحبي وأصحابه ودهم الناس اللّيل فدخلوا المنصورة ، وانتهب النَّاس محطة الرحبي وخيامه ووطاقه ، ومحمد بن أحمد في المنصورة كان في حالة ركيلة من المحاصرة ، فتنفس بذلك وبات أحمد بن المؤيد عنده تلك الليلة ولم يلبث فيها إلاَّ يوماً واحداً وخرج عنها إلى مكان يسمى القدس بيوت المشايخ بني مغلس ، ثم تقدموا إلى بيوت الرحبي أخربوها وقطعوا أشجارها ورجعوا إلى قدس ، ثم واجه إلى أحمد بعض بعض بلاد الحجرية كالمقاطرة وأهل الأعروق والركب وبلاد اليوسفي وتخلف عن المواجهة بلاد الأحمدي وأصحابه وغيرهم ، ثم تقدم أصحاب أحمد بن المؤيد إلى بلاد الأحمدي أخربوا بيوت الشيخ وأصحابه وأحرقوها بالنار ، وطمعوا ما وجدوا من الغنم والبقر والإبل والأثاث ثم رجعوا إلى قَدَس .

ثم لما كان ثالث وعشرين شهر جمادي الأخرى : خرج صاحب المنصورة بنفسه من بلده إلى بلاد ابن انعم طمع أصحابه منها طماعات كثيرة وقبضوا عشرة أنفار أسروا وقتل خمسة منهم ثم رجع المنصورة .

وأحمد بن المؤيد سكن في قَدَس ، ثم كان آخر شهر جمادي الأخرى عادت الحجرية في الخلاف أجمع أول مرّة من جعل صبر إلى البحر وحازوا المنصورة ثانياً وحالوا ما بينه وبين ابن المؤيد أحمد بن محمد بن القاسم ، وكان تقالل عسكره لما سار بعضهم بالأطماع من عنده ورجعوا بلادهم ، وبعضهم سار مغاضباً من العسكر لما أراد ابن

المؤيد أن يقطع جامكية شهر في مقابل ما صار معهم من الأطماع فقالوا هذا لا يمكن ولا يعرف مع عسكر كل دولة ان يحسب عليهم الطمع ، ثم ان بعض العسكر ما صار إليه شئ من الطمع وبعضهم بعد خروجه من الدمنة مرضوا فانتهز قبائل الحجرية الفرصة وخالفوا ثانياً ، وكان ذلك أيضاً بسبب أن أحمد بن المؤيد أرسل بجماعة من المشايخ الذين قبض عليهم إلى عند صاحب المنصورة فلما وصلوا إليه قتل بعضهم وقتل الأسير حرام لا يجوز مع أنه روى أن قد كان أمنّهم أحمد بن المؤيد ، وعلى الجملة أن سيرة صاحب المنصورة عجيبة في ذلك ، ولقد روى الراوي انه في الخلاف الأول وحوزته ومضايقته لما كان أهم بالخروج من المنصورة إذا لم تحصل الغارة من المؤيد محمد بن المتوكل أدخل جواريه في دار من دور المنصورة وجعل تحته باروداً وقصًّا [1] ، وقال إذا دخل قبائل الحجرية عليه أحرق البارود ليهلك الجواري لئلا ياسرهم قبائل الحجرية فلما ظهر الخبر عند الجواري مات منهم من مات لهذا الأمر العظيم ، قال الراوي وهو من الفقهاء : وهذا جهل مفرط من المذكور وظلم بين على النفوس بغير حق والأمر كما ذكره فلا قوة إلاّ بالله العلي العظيم ولهذا ونحوه ما زالت الفتنة ثائرة عليه في اليمن الأسفل وما سد من حرق بدا غيره ، فان الخلاف ثائر هنالك .

والمؤيد محمد بن المتوكل كتب إلى عبدالله بن يحيى الذى تغلّب على العدين بأنه يرفع بعض المطالب عن أهل العدين ويرفع الضَّريبة التي ضربها بغير رأي منه ، فلم يلتفت عبدالله إلى أمره ونهيه فتغيَّر المؤيد من ذلك ، وقال قد عزله ، قول بلاد عمل ، وهو الذي أراد توليته وغرس شجرته هنالك وإلاّ فما كان العدين إليه من أول ، وعزل الأقران كقطع الشجرة بعد العروق التي سرت للشجر فلو كان من أول الأمر لسهل عليه من غير تعب ، وإنما كان لعبدالله هذا بلاد قفطية كما سبق تاريخه ولكنه أراد المؤيد لهذا واثنى ، ولقد ضرب ضربة ما أحد ضربها في صغر البقش بحيث جعل الخمس مثل البقشتين فغيَّر الدراهم .

وفي هذا الشهر : حبس المؤيد المنّجمين الذين بصنعاء لما كثر منهم الخطأ والوعد للناس بالأكاذيب في أوقات وأشهر يحدّوها ولم يتفق منها شئ أصلاً وتكرَّر منهم هذا المرة بعد المرة وكثر منهم التخليط على الناس والتمويهات والتَّعاطي لما لا يحسنوه ولا

(١) قصًّا : قضى . الجص (معروف) .

يعرفوه وهم سليمان الديعري والمهَّلا وغيرهما ممن لا معرفة لهم إلاَّ من باب التعاطي ، وكذلك المموهين من قلب العصاحية والورقة بقشة ونحو ذلك واغتر بهم الجهال .

وفي آخر جمادي الآخر : ترجح للسيد حمزة بن أحمد بن الحسن أن تسودَنَ[1] ودخل فيه والده بالغراس وكتب إلى بني حشيس بأنهم يصلون إليه لموجب البيعة له لأنه بلغه أن المويد صاحب ضوران تنحى ، فوصل إليه من استدعى وطلب البيعة ، وأنكر عليه القاضي عبد الواسع الواسعي وعلي بن حسين بن أحمد بن الحسن ابن أخي المذكور لأن الأمر في الغراس إليه باستنابة والده حسين بن أحمد بن الحسن ، فعند ذلك لم يلتفت إليه أحد ، وأراد ربطه لما سل على القاضي عبدالواسع ، وبقي في حالة جنون بعد ذلك ، وخرج إلى السوق بسيفه وجنبيته ، فقتل بغله ثم سكنوه وقالوا له : إما سرت إلى ضوران وإلاَّ سكنت عن هذه الأمر ، حالة عجيبة مع أنه في سن التكيف والشباب لا يحفظ من العلم بابا ولا يعرف مسألة ولا خطاباً ، فيا للعجب من ذلك ولو ادعى المملكة كان استر[2] له وعند ذلك أرسل به ابن أخيه علي بن حسين النائب في الغراس عن أبيه وقبائل بني حشيش إلى المؤيد فساروا به إلى ضوران بعد وصول رسول من المؤيد لمثل ذلك واقترن به من العجائب أن رجلاً وصل إلى بلاد حراز خرج من اللّحية فلما وصل إلى حراز ادعى أنه من أولاد المتوكل إسماعيل بن القاسم وأن اسمه أحمد بن المتوكل وانه استخطف من شهارة إلى بلاد الشام وانه يريد زيارة صنوه محمد بن المتوكل فصدّقه كثير من أهل حراز وأضافوه ، فلما بلغ والي حراز وهو الفقيه أحمد بن محمد السلفي أرسل إليه أربعة عسكر وقال لهم : أنظروا هذا الرجل ان رأيتموه عليه سيماء وجلال قبضتموه على الوجه الحسن وان كان غير ذلك فعلى وجه الإكراه ، فلما وصلوا إلى بيت الشيخ محمد السهلي وجدوه عنده في بيته وقالوا المذكور مطلوب إلى عند الوالي فساروا به ووجدوه بباقي صاية[3] وحزام بغير جنبيه ولا سروال معه مصري تهامي ، فسألوه فأخبر بمثل ذلك . وكان وصل إلى السلفي كتاب منه بخط فقيه من أهل البلاد يذكر للسلفي أنه من ولد المتوكل وأنه سيصل إليه وانه يتأهب له وعلامته أعلاه بخط الفقيه ، فأما هو فلا

---

(١) تَسَوْدن : أصابته السوداء (مرض معروف) .

(٢) أي أنه لو ادعى أن يكون ملكا كان أفضل له .ولا يدعي الإمامة التي تحتاج إلى تبحر في العلم .

(٣) من ملابس العلماء ، والقصاة : جبة واسعة الأكمام .

يقرأ ، فلما وصل عند السلفي أخبر بمثل ذلك ، وكان عند السلفي رجل وصل من المدينة المشرفة بعرفه هنالك فقال له : اليس انت الذي كنت في المدينة المشرفة واسمك إبراهيم وكنت من أهل السوق هنالك والخدمة بأعمال الشّربة والطعام وأنت الذي كنت تصل إلي وأنا في المدينة بالشربة فكيف قلبت اسمك أحمد بن المتوكل ، فسكت ولم يدر ما يجيب عليه ، فأمر السلفي بحبسه وحبس بقيد في حبس فهذا من العجائب ، وأدب السَّلفي الذين صدقوه في دعواه . وكذلك الكاتب له .

وبَعْد عزم حسين بن أحمد بن الحسن من يريم ، أمر المؤيد مكاتبة يحيى بن محمد أنه ينتقل من رداع إليه بأصحابه فساروا إليه . ومن العجائب أن جميع خلل اليمن الأسفل هذا ، وهذه الفتن صاحب المنصورة وحسين بن حسن هم الذين أثاروها وباينوا محمد بن المتوكل ولم يسيروا في أوامره . ثم لما اضطروا إليه رجعوا إلى طلب معونته فأعانهم والله يقول ﴿وتَعاونُوا على البر والتَّقْوَى ولا تَعاونُوا على الإثْم والعُدْوان﴾[1] مع أنهم فيما يريد منهم غير منقادين له ، فَالعجب من هذا التَّسخير وما هو إلا لحكمَة من الله ، فكان الواجب عليه على مقتضى الطريق الشّرعي أن يقول لهم أنتم ما أجبتوني في أوامري فلا أعينكم في شيء بل بينكم وبينهم ، وهم يَدّعون عليكم ما يَدّعونه من الجور في السيرة إلاَّ أن ترتفعوا عن بلادهم وتزال جميع هذه الزوائد والمطالب ، أو جعل واسطة بينهم وبينكم ليقبض ما رسمناه ويصل إليكم أعنّاكم وإلاَّ فلا .

وسلطان سمرقند[2] الخارج في البحر لما صل إلى مرسى المخا أرسل إلى السيد حسن الجرموزي متولي المخا بقدر ألف حرف ذهب واستأذنه في الدخول إلى البندر فأذن له لكن يدخل بقدر مائة نفر ويبقى أصحابه في المرسى فدخل المذكور بمائة نفر بقى فيه نحو شهر ثم سافر بحراً إلى بلاده ، وكان خروجه للحج براً من بلاد الشام ثم العراق ، وحصل بينه وبين قبائل الحجاز حرب قتل منهم نحو الخمسين حال خروجه لما طالبوه في المجبى فامتنع عن تسليمه وكان سبب القتال بينه وبينهم .

وفي هذه الأيام بآخر شهر رجب منها : أرسل علي بن المتوكل رسولا إلى بلاد يافع

---

(١) الآية ٢ سورة المائدة

(٢) هو السلطان عبدالعزيز تولى الحكم بعد نذير محمد سنة ١٠٥٥ وتوفى ببندر المخا سنة ١٠٩١ كما سيأتي ، أنظر « الدولة الإسلامية لستانلي بول ٢ :٦٠١ ط دمشق

وهو السَّيد قاسم بن أحمد لقمان بكتاب ووصاية مضمونة استدعاء تمام وعد الشيخ معوضة بن محمد بن معوضة العفيف بالوصول ، فلما وصل السيد المذكور إلى الشيخ معوضة اليافعي أجاب بأن حقيقة القول الذي هو ياتي عليه وتقديم تقريره قبل النزول إليه وترك بلاد يافع أجمع وانها تكون إليه وإلى من فيها من العقال ينظره والواجبات مسلّمة والخطبة والسكة للمؤيد ماضية ، ولا سبيل إلى ولاية أحد ، وكتب كتابا إلى علي بن المتوكل بذلك ، وأرسل الشيخ عبدالغفور بن سيبان الصوفي بذلك فدخل علي بن المتوكل في ذلك وبلغ شيبان إلى حضرة المؤيد بتقريره .

وفي هذه الأيام شهر شعبان وصل كثير من التجار الذين نزلوا من صنعاء أنهم لما بلغوا تعز تحققوا الأخبار من الحجرية والطريق فوافقوها مختفة وانهم يخشون على أموالهم وأنفسهم فتحيّروا هنالك .

وفي شهر شعبان كان وصول السَّيد صلاح بن إبراهيم المؤيدي من السادة آل المؤيد الذين ببلاد صعدة إلى حضرة حسن بن المتوكل صاحب اللحية هو وجماعة معه من طريق حيدان للطّلب من الدولة ، فلما قضى غرضه حسن ابن المتوكل وأعطاه ما سمح به من عطاه عزم من عنده قاصداً للمرور على دولة اليمن الأسفل ثم يطلع إلى حضرة المؤيد من تلك الجهة ، فلما بلغ إلى أسفل العدين صالت عليهم القبائل ونهبوهم وقتلوهم عن آخرهم وحزوا بعض رؤوسهم وأظهروا الخلاف على الدَّولة والامتناع من التسليم للمطالب لما قد نالهم من الجور في المدة الماضية من دولة المتوكل وما بعدها وعدم انصافهم في شكواهم على المتوكل من أجلها فصبروا ذلك الزمان لغلبة الدَّولة واجتماع الكلمة ، فلما كان هذا الوقت ورأوا الدَّولة تفرَّقت آراؤها واختلفت أنظارها خالفوا ، واتفق ذلك حال إرادتهم للخلاف فقيل انهم ظنوهم من أصحاب الدَّولة فحصل ما حصل فيهم . فلما وصل الخبر إلى عبدالله بن يحيى الأصول جهز عليهم الفقيه علي العلفي وجماعة عسكر من أصحابه فقاتلوهم بالقتال فقتلوا الفقيه علي العلفي وجماعة معه من أصحابه نحو عشرة وهرب الباقون وعبدالله بن يحيى هاب جنابهم فتركهم ولم يطالبهم وتغلبوا على بلادهم وهو في رأس العدين يترقّب .

وفي النصف الآخر من شهر شعبان وبعد وصول التجار إلى تعز تخيّروا فيه وبلغهم ما

في الطريق بوادي الغيل ببلاد القماعرة [١] من الحجرية من الأمور التي يتعذر معها المرور بالزيلعي . وكان قد استقر أحمد بن المؤيد وحسين بن المهدي بيفرس فخَرَجت رسلهم إليهم فأمروا معهم جماعة من العسكر الذين معهم وأنهم يصحبونهم إلى المخا فساروا معهم إلى بلاد شرعب ولعل وصولهم يصادف حركة الهند بالعود بلادهم لأن الوقت قد تضيّق عليهم .

وفي هذه السَّنة بشهر جمادي الأولى : خرج من جهة مكة رجل يقول أنه السيد محمد من ذرية السيد عبدالقادر الجيلاني وله في العلم معرفة ، قال أنه أخذ علي محمد بن سليمان[٢] بمكة ومذهبهم مالكي كمذهب شيخه محمد بن سليمان وقال : أن أصل بلدِه حماة بالشام[٣] وقيل وهو يريد العزم إلى الهند وقيل بل إلى اليمن وراجع بلاده ومعه تاريخ في مجلد تتمة لتاريخ ابن خلكان على ما ذكره مصنفه حيث قال في ترجمة كتابه هذا[٤] : وبعد فان علم التاريخ . . ولما وقفت على كتاب وفيات الأعيان لقاضي القضاة ابن خلكان وجدته من احسنها وَضْعاً لما اشتمل عليه من الفوائد الغزيرة والمحاسن الكثيرة ، غير أنه لم يذكر أحداً من الخلفاء ، ورأيته قد أخلَّ بتراجم بعض فضلاء زمانه وجماعة ممن تقدم على أوانه فأحببت أن أجمع كتاباً يتضمن ذكر من لم يذكره من الأئمة الخلفاء والسادة الفضلاء ، وأذيل من [حين][٥] وفاته إلى الآن ووسمته بوفاة [٦] الوفيات ورتَّبته على الحروف كأصله ، غير انه لم يذكر ضبط الأسماء كما هو شأن ابن خلكان وقاعدة الذَّيل ان يقفو طريق الأصل مع أن هذا الكتاب رأيت فيه ابن خلكان إنما ذكر الأعيان فلم يذكر ما يترك من اغفله إلاَّ عن قصد منه وعيان . مع أن هذا الكتاب قد يذكر فيه من قد ذكره ابن خلكان مثل إبرهيم بن اسحق الحربي[٧] فانه مذكور في تاريخ ابن خلكان[٨] ، ثم الخلفاء والسلاطين لم يغفلهم ابن خلكان كلهم بل ذكر بعضهم دون

---

(١) القماعرة : عزلة من ناحية ماوية « التعداد ٢ : ٣٥٥ » .

(٢) هو الروداني السابق ذكره .

(٣) كذا في الأصل .

(٤) أنظر مقدمة كتاب « فوات الوفيات» لابن الكتبي ١ :٩ ط . إحسان عباس .

(٥) ساقط من الأصل وأضفناه من « فوات الوفيات» .

(٦) كذا في الأصل صوابه « فوات » .

(٧) فوات الوفيات : ١ :١٤ .

(٨) قلت : حسب علمي أن ابن حاكان لم يترجم لإبراهيم بن اسحق الحربي والله أعلم .

بعض لأجل شرطه الذي ذكره [1] . أنه يذكر الأعيان والملوك الكبار دون غيرهم على أن الخلفاء لهم تواريخ مفردة لا حاجة إلى ذكرهم وكذلك لم يذكر ابن خلكان أحداً من الصحابة والتابعين لظهور أحوالهم وتواريخهم ، وصاحب هذا الكتاب صلاح الدين محمد بن شاكر بن أحمد الشافعي[2] رحمه الله وذكر فيه ترجمة زيد[3] بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب وسائر تراجمه في تواريخ الذَّهبي[4] والطبقات موجودة معروفة . وكذلك طبقات الحفاظ مع أن المذكور مُتعقَّب في تركه لكثير من الأعيان أيضاً ممن تأخر عن ابن خلكان فانه لم يذكرهم ، وليس أوفى من تواريخ الذَّهبي وتواريخ المذيلين عليه كابن حجر العسقلاني في كتاب «الدرر الكامنة في المئة الثامنة » في مجلدات ، وكتاب «الضوء اللامع في القرن التاسع» للسخاوي في أربعة مجلدة ، وكتابه الآخر «الوجيز» [5] في مجلد فانهم الذين استوفوا من بعد التواريخ السابقة من علماء وملوك وخلفاء ما لم يستوف غيرهم ، وأما تواريخ السيوطي في الخلفاء[6] فهو مجحف في الاختصار ، وان كان قد استوفى الخلفاء وكذلك كتابه « حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة »[7] كتاب صغير مجحف اختصره من كتاب ابن ابي حجلة المسمى «سكردان»[8] في أخبار مصر وملوك بني قلاوون الأتراك الذين قبل الشراكسة وبعد بنيِ أيوب وتعرض لأطراف أخر من عجائب مصر ، فهو يغني عن كتاب السيوطي لأنهما في حجم واحد يأتي كل منهما في ثمان كراريس .

وفي هذه المدة . وفي شعبان وصل جماعة من مشايخ يافع إلى قَعْطبة حضرة علي بن المتوكل حسبما راسلهم وواجهوه بعد تَقْرير الشروط التي شرطوها ان لا أحد يَدْخل بلادهم على ما كان شرطوه أولاً فتم ذلك بينهم ، وعند ذلك سار علي بن المتوكل إلى

---

(١) في مقدمة فوات الوفيات لمحققه الأستاذ إحسان عباس ، نقد لما جاء في مقدمة ابن شاكر قال « وذكر هده الغاية على هذا النحو شيء من المغالطات فان ابن خلكان قد صرح بأنه لا ينوي أن يترجم الكثير للخلفاء . . إلخ .

(٢) عرف بابن شاكر الكتبي توفى سنة ٧٦٤ .

(٣) فوات الوفيات ٢ :٣٥-٣٨ .

(٤) يقول الأستاذ إحسان عباس «ويتراءى لي أن مؤلف الفوات وجد أمامه كتاب الصفدي « الوافي بالوفيات» فاختار منه عدداً من التراجم وربما لم تزد على ستمائة » وجعل مصنفة الجديد في أربعة مجلدات ، قلت : والصفدي اعتمد في أكثره على كتاب « سير أعلام النبلاء » للذهبي ، فلا غبار على كلام المؤلف رحمه الله مما يدل على معرفته التامة لمصادر الكتب التاريخية ومداخل المؤلفين .

(٥) قلت : لعله كتابه المسمى « التبر المسبوك ذيل متاب السلوك » .

(٦) يعني كتاب تاريخ الخلفاء « طبع عدة مرات »

(٧) طبع سنة ١٢٩٩هـ وتكررت طبعاته .

(٨) يسمى كتاب « سكردان السلطان » تأليف شهاب الدين أحمد بن يحيى بن ابي حجلة المتوفي سنة ٧٦٢ طبع سنة ١٢٨٨هـ .

إب وتخلّص عن قعطبة بذلك . وأما ابن العفيف نفسه فما وصل .

وكان تقرير الصّلح بعناية علي بن المتوكل لما طال عليه البقاء في قعطبة فبذل بعض شيء من المال لذلك ووصل من عند ابن العفيف الشيخ عبدالغفور بن شيبان لتمام الشروط من المؤيد فوصل إلى ضَوران ، وتمت الشروط بأن البلاد لابن العفيف ، وهو يسلم من الواجبات ما أمكن فتم ذلك .

وعلي بن المتوكل عند ذلك نزل إلى بلاد أب وجبلة وبعد أن ملّ من البقاء في قعطبة ، فلما نزل إلى إب وجبلة وتم صلح يافع سكنت بلاد الحجرية عن اثارة الفتنة ووصل من مشايخهم من وصل إلى حضرة أحمد بن المؤيد وسكنت الأمور . ولما اتفق محمد بن أحمد بصنوه حسين في الزيلعي تَقَسَّموا البلاد فجعلوا لإسحق بن أحمد بن الحسن مدينة زبيد وبلادها ، وجعلوا لمحمد صاحب المنصورة الدمنة مع بلاده الأولى وجعلوا لإبراهيم بن أحمد بن الحسن بلاد أبين وما إليه وسائر بلاد والدهم لحسين بن أحمد بن الحسن وتَقَّسموها بينهم هكذا . وكل رضي بما معه .

قال الراوي : والبلاد في حكم المخالفة إنَّما سكنوا هذه المدة لما بلغهم الصّلح بين علي بن المتوكل والمشرق ورجوعه إلى إب وجبلة وأحمد بن المؤيد أصلح الحجرية ونفَّس على محمد بن أحمد بن الحسن وقبض مشايخ جبل حبشي من قبض وسائر الحجرية فرّقهم ، فبعضهم أرسل به إلى ضوران وبعضهم إلى المنصورة .

قال الراوي : وما صَلَح المشرق إلاّ ببذل علي بن المتوكل ووسائط في الصَّلح وتقرير القول وضمانات عليهم في صلاح الطّرق وسكون ثائرة الفتنة وشرطت يافع أنه لا يدخل بلادهم أحد بل يسلّمون من الواجبات ويرسلون بذلك من غير ولاة عليهم ولا واسطة .
قال الراوي : ثم رجع أحمد بن المؤيد إلى تعز وفي نيته الرجوع والطلوع ، وكذلك حسين بن أحمد بن الحسن رجع إلى تعز ومحمد رجع إلى المنصورة هذا تحقيق خبرهم

وفي هذا التاريخ خرج من رداع حسين بن محمد أبو طالب إلى ذمار وكذلك صاحب كوكبان بعد تمام الصلح للمشرق .

فانظر أيها الحكيم كيف دولة اليمن ما قدروا يحفظوا ويصلحوا ويَمْلكوا ما هو تحت أيديهم من اليمن وكيف قاموا عليهم وأرادوا التّغلب ، وقد فعلوا فان يافع تغلّبوا على

بلادهـم وحاربوا وقالـوا وهزموا فكيف يقدر أن يملك صاحب اليمن غيره من الجهات النائية كما نَوَى ذلك المتوكل المهدي هذا من المحال على كل حال .

وفي عاشر شهر رمضان : وصل الخبر أن إبراهيم بن أحمد بن الحسن طلع بعد الاجتماع في الزيلعي إلى يريم ومعه جماعة عسكر مريداً الاستقرار فيه ، وكان قد وضع له المؤيد لما سكنه وأراد التَّغلب عليه الثلث ولعله مع استقراره فيه تَبَسَّط على جميعه وبلغ الخبر أن اجتماعهم في الزَّيلعي انطوى مع تقاسمهم البلاد على تحالف بينهم انهم يد واحدة على من خالفهم وظهر انه ان أمكنهم التَّغلب على اليمن كانوا يداً واحدة ، وجعلوا رئيسهم صاحب المنصورة ، وحسين بن أحمد بن الحسن استقر في تعز وقبض مفاتيح المخازين من ابن راجح ، وتصرَّف في الطعامات وغيرها ، والمؤيد عند ذلك عجب من هذا الأمر منهم وبقى حائراً من عملهم وكيف تعقّب الإحسان منه بالمعاونة بفكه من الحصار إرادة الخلاف والاستقلال .

واتفق في هذه الأيام بأول رمضان أنه كان وصل من وصاب شكاة يطلبون التخفيف عليهم من المطالب الجائزة وانه ما جرى منهم ما جرى من المنع للوالي من التسليم إلاَّ ذلك فأجاب حسين بن أحمد بن الحسن بأنه لا يرفع شيئاً في بلاد أحمد بن الحسن ، فلما وصلوا بلادهم امتنعوا من التسليم إلى العامل عندهم ، وأهل العدين طردوا المشمرين وانتهبوهم .

وفي نصف رمضان لما وصل أحمد بن المؤيد إليه استقر فيه باقي رمضان وسار من أصحابه أكثرهم ممن بقى بعد والافكان طلع كثير منهم قبل طلوعه ، وفيهم أمراض كثيرة ، ومات من مات بالدمنة لأنها بلاد وبيئة قيل وربما دفن فيها القبائل السمن بين التراب ، وهو يحصل منه ما يحصل ، وكان صاحب المنصورة قد فرق أداباً على بلاد الحجرية ، فلما علموا بأن أحمد بن المؤيد قد طلع وعاد وخرج من تعز امتنعوا من تسليم الآداب وارجعوا الرسل الذين من بلادهم وقالوا : لا نسلم إلى صاحب المنصورة وإنما نسلم الواجب إلى من نظره المؤيد ، وقالوا : قد بعض المشائخ من بعض بلاد الحجرية طلعوا صحبة أحمد بن المؤيد ، فالجواب معهم ، وامتنعت الحجرية أجمع عن الدفع إلى صاحب المنصورة ، مع أن أحمد بن المؤيد إنما استطرف بعض تلك البلاد المخالفة

فأما جبالها العالية مثل جبل الزعازيز[1]وغيره ، فلم يتمكن من دخوله لعسرة طريقه ، وغيره من سائر القلاع التي في جبل حَبَشي منعوا أنفسهم بها ، وحاربوا فيها وابن المؤيد لما طال عليه الأمر واستشق البلاد وعرف أحوال صاحب المنصورة وعدم انقياده واختلاف انظاره لم يَسَعه إلاَّ العود ، فانه كان صحبته من المؤيد محمد بن المتوكل كتاب إلى صاحب المنصورة مضمونه أنه لا يقدم إلى شيء من الآداب لأهل الحجرية بل يتوَّقف حتى يستكشف عملهم ، فلم يسعد إلى ذلك ، وجرى بينه وبين أحمد بن المؤيد كلام في ذلك كان من جملة الموجبات لعوده وتركه ، مع انه ما نَفَّس عليه من الحصار إلاَّ هو ، وكان أيضاً اجتماعه في الزيلعي واخوته بغير حضوره .

وفي خلال ذلك عقب طلوع أحمد بن المؤيد إلى اليمن الأعلى من سمارة غزى أهل العُدَيْن وما يتصل به من القبائل إلى وصاب سوق الجُبجْب [2] في بلاد حبيش وكذلك ظلمة [3] التي غربي إب فَوْق العدين مما يلي الشمال وخالفت وصاب لاتصال هذه البلاد بهَ كبني مهدي وغَيْره .

وحصل أيضاً في هذا التاريخ بنصف رمضان خلاف شرعب وأخْرجوا جميع من عندهم من العسكر وتحالفوا على أنهم لا يسلمون شيئاً وإن كان أحد يمر من أصحاب الدولة في جهتهم فهو هدر وخرج السيد صلاح الدَّيلمي بجماعة عسكر من قبل حسين بن أحمد بن الحسن إلى بلاد شرعب فَمنعوه عن دخول بلادهم ، ثم وقع بينه وبينهم حرب قتل من الجانبين وأخرجوه من بلادهم مكسوراً وقتل من أعيان أصحابه من أشراف الجوف ، والتجار الذين نزلوا المخا قالوا : كل من كان تاجراً ولم يكن من أصحاب الدَّولة فلا يعترض . ومن كان من أصحاب الدولة انتهب .

وفي شهر رمضان :[4] حَصَلَت زلزلة في بلاد كحلان وما يتَّصل به فالقُدْرة لله تعالى ، قال الراوي : وهما زلزلتان أحدهما يوم الأحد ضحوة النَّهار والأخرى يوم الثلاثاء نصف رمضان وقت العصر فَتَسَلَح بعض الجبال في بلاد كحلان وعَفَّار وخربت بيوت في بلاد

---

(١) كذا ولعله الزعازع وهما عزلتان في ناحية المقاطرة وأخرى في الشمايتين من الحجرية .

(٢) قرية من عزلة المنار وأعمال بعدان ويشترك في هذا الاسم باليمن عدة أماكن فيحقق

(٣) قرية من أعمال إب ناحية حبيش .

(٤) هذا الحرر مضروب عليه بقلم خفيف يتضح للقارئ العادي .

قُراضة [1] فالقدرة لله على ما يشاء وكان حدُّها إلى بلاد ثلا ولم يقع شئ منها في بلاد صنعاء ولا غيرها من سائر اليمن .

وفي هذه الأيام انتهب سوق الضامر من مساقط بلاد حراز أطراف الخقار غَزَوَه جماعة من المعازبة ، وحسن بن المتوكل دخل زبيد لتَسْكين ثائرة الخلاف .

وفي هذه الأيام جاء خبر أن عَبيدة بنواحي بلاد شام صعدة تحاربوا هم وقبائل بلاد الدّرب ما بين الحرجة وبني ذَهْبَان شهران فهزمت عبيدة أهل الدرب ، وخربوا الدرب ، وهذه القبائل بين الدّولتين دولة صاحب اليمن وصاحب مكة والسلطان ابن عثمان لا دولة عليهم على مرور الزمان

وفي شهر شوال : وصل الخبر بموت الملك عبدالعزيز سلطان سمرقند وبخارى ببندر[2] المخا وهو الذي حَجَّ العام الماضي إلى بيت الله الحرام كما سبق ذكره راجعاً بِلاده من طريق البحر . فلما وصل قريب المخا دخله واستقر فيه حتى يَسْبر البحر الشرقي للمراكب فسبق أجله فيه ، وقد كان كبير السن له مدة في السلطنة ببلاد سمرقند وبخارى ، حنيفاً له سيرة مليحة في المسلمين رحمه الله تعالى .

وفي هذه الأيام مازال المؤيد يسعى في رَفْع المجاب[3] من الطرق والأسواق فرفع الأكثر منها ورفع كثيراً من المطالب الزائدة فما قَصَّرزو دعَت له الرعية خصوصاً في بلاده ، من أطاعه من غيرها ، وأما صاحب المنصورة فما عذر أهل بلاده . وفي غرّة شوال غزا مَعُوضة بن محمد بن معوضة اليافعي البيضاء من بلاد الرصَّاص فحاصرهم فيها واحتازوا إلى البيوت ثم اصطلحوا ، قال الرَّاوي : سببه علي طلب مجبى على بعض أهل بلاده في سوق البيضاء .

وَوَصَل في نصف شوال جماعة من مشايخ بلاد يافع يَذْكرون انهم مسلّمون بما عليهم من الواجبات بغير واسطة ابن العفيف فأجابهم إلى ذلك وكساهم ، وكانت طريقهم بلاد بريم ولم يصلوا إلى حسين بن حسن .

وفي نصف شهر القعدة : خرج السيد صالح بن عبدالله حيدرة الغرباني من وصاب

---

(١) قراضة : اسم مشترك لعدة بلدان يمنية منها قرية في جبل مسور

(٢) بَندر : يتكرر هذا اللفظ وهو معروف عند غالب الناس وفي اللغة البندر : المرسى والميناء والمكلأ والمدن البحرية ومقر التجار ومن المدن . فارسي معرب جمعه بنادر أنظر « محيط المحيط .٥٥ » .

(٣) المجاب . الجبايات « معروف » .

أخرجه أهل البلاد وقالوا ما يسلموا إلاّ الواجبات حسبما وضع لهم المؤيد بعد أن حسبت المطالب في وصاب سبْعين مَطْلبة .

وفي هذه الأيام : وصل إلى المؤيد من زبيد جماعة شكاة من صنوه حسن بن المتوكل أن أصحابه وعساكره ضرّوهم واستهلكوا أموالهم وسكنوا في بيوتهم وأن قد شَدّ منها بعضهم وخرجوا عنها بأهلهم .

وفي هذه الأيام : وقع في بلاد خولان فتنة عظيمة فيما بينهم وذلك انهم افترقوا طائفتين الأحلاف والجمهور ودارت بينهم المعارك والحرب يوماً بعد يوم ، فتنة عظيمة قال الرّاوي : ممن حَضَرَ الفتنة الواقعة بين خولان في بلاد صعدة : انها ثارت ما بين خولان أنفسهم والجمهور والأحلاف فصالوا على بعضهم البعض واقتتلوا قتالاً قبيحاً ، وأبلى كل منهم جهده الواسع وألقوا أنفسهم للتهلكة وصبوا على بعضهم البعض البنادق في المعركة فراح منهم عالم كثير نحو المائة وزادهم ذلك القتال غلظة انه كانوا يهتكون بيوت بعضهم البعض بالنهب وكشف الحريم والخراب ، والغيار في الأبنان والأشجار ، وفعلوا من الظلم العظيم لبعضهم البعض ما لا مزيد عليه ، وظهر على كثير منهم الفقر وذهاب المال ، وبقي الدولة الذين غاروا من صعدة متفرجين عليهم من جبل هنالك لا يمكنهم التأثير ولا الكف عن هذه الأفاعيل ، بل زاد نالتهم في الليل إلى محلهم المراجيم ، قال : ولاشك أن هذه عقوبة قد استحقوها فيما مضى ، وما سكنوا إلاّ لما ملوا وشبعوا حتى أن مشايخهم لما رأوا ما جرى لم يبق لكلامهم عند أصحابهم تأثير في الكف عَمّا قد وقَعَ وجرى ، وإن كانوا أولاً من المشاركين في إثارة الفتنة قبل ما شاهدوا من المحنة ألقوا بأنفسهم بين يَدَى صاحب صعدة ، وقالوا : يدخلهم الزّناجير بذنوبهم ، وما قد حصل منهم من المشاركة في ابتداء فتنتهم وعسى يكتف أصحابهم ، قال فعذرهم ، وقال الفتنة قد عمتكم وقد أصابكم من العقوبة بأيديكم ما يغنيكم إلاّ أنه قال بعد أن حضر الحاضر من سادة بني المؤيد وغيرهم في الصلح : لا بأس بما ترونه من العسكر يكون بسببهم بعض التسكين ورَبَطْ جأشكم لما حاق عليهم الأمر بتبعته قال : فانعقد الصلح فيما بينهم ذمّة مدة معلومة وسكنوهم بشرذمة من العسكر قليلة ، ثم عاد علي بن أحمد صاحب صنعاء إلى صعدة .

وفي شهر الحجة قبيل العيد ترجح لسيد يقال له أحمد بن الحسين الأخفش ، ادعى إنه إمام وهو في شبام وكوكبان ، وكان جاروديا[١] رافضيًا في الاعتقاد يتحمل على الصحابة رضى الله عنهم وفي غيرهم من المسلمين بمدّ لسانه ويزكى نفسه ويتخيل أن الحق ليس مع أحد إلاّ معه مثل الإعرابي الذي بال في المسجد فزجره أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم[٢] « دعوه لا تقطعوا درته وصبوا عليه ذنوباً من ماء » فلما أكمل حاجته قال : اللّهم ارحمني ومحمداً أو لا يرحم معاً أحداً فقال له النبي صلى الله عليه وسلم « لقد تحجرت واسعاً » ، وخطب خطبة بعد صلاة الجمعة بالجامع ، وذكر فيها ما ينبيء عن اعتقاده الرَّدي ، حتى ذكر أنه يوحي إليه بالوحي وان الله قد أوحى إلى النحل فبالأولى هو ، فلما ظهر للأمير عبدالقادر ما تَفَوّه به من القول الفظيع وادعائه للوحي الذي للنبي أمر بأن يقيد بقيد حديد في بيت والده فقيد أياماً ثم فك القيد عنه بشفاعة والده ولا يخرج عنه إلى غير يده ، وأمر بأن حبسه بَبيتْه فانتظم المذكور في الثلاثين الدجال الذي وعد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بظهورهم[٣] بعده وبعضهم قد مضى في زمنه صلى الله عليه وآله وسلم كمسيلمة والأسود ﴿وَمَنْ أظلَمُ ممَّن افْتَرَى عَلَى اللَّه كَذبًا وقَالَ أُوحيَ إليَّ ولَمْ يُوحَ إليه شيءٌ ومَن قَالَ سَأُنزلُ مثْلَ مَا أنْزَلَ اللَّهُ﴾[٤] وفي الجامع الكَبير للسيوطي من طريق ثوبان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنه سيكون في أمتي ثلاثون كذابا كلهم يزعم أنه نبي وأنا خاتم النبيين » أخرجه الترمذي[٥] وأحاديث أخر ، وردّ هذا السيد المذكور جميع السنة وقال : أنه لا يحتج إلا بالقرآن كدين الخوارج ، واقترن به رجل آخر في بلاد موزع عمر مسجداً ، وقال للناس أنه الكعبة ، وأظهر له مخاريق من أعمال السحر فقصده صاحب المخا فَرّق جمعه ومزقهم ، وعجائب اتفقت هذه المدة وسببها ضعف يد هذه الدولة . وفي هذه الأيام بعد

---

(١) حاروديا : نسبة إلى أبي الحارودرباد بن منذر العبدي أثبت النص لعلي بالوصف وأثبت الإمامة في البطنين بالدعوة مع العلم والفضل ، وينسب إلى بعض الجارودية القول بغيبة الإمام المنتظر كقول الإمامية وهم يعدون من الزيدية ومنهم من ينكر عليهم غلوهم ، أنظر المنية والأمل للإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضي : ٩٧ ط دار الندى .

(٢) أنظر في ابن ماجة ٥٣٠ ، وأحمد بن حنبل المسند ٣ : ١١٤ ، وسنن البيهقي ٣ : ٤١٢ ومجمع الزوائد ٣ ١٩ ، وصحيح ابن خزيمة ٢٩٧ . والمسند لأبي عوانة ١ : ٢١٤ .

(٣) إشارة إلى قوله صلى الله عليه وآله وسلم « لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان يكون بينهما مقتلة عظيمة دعواهما واحدة . وحتى يبعث دجّالون كذابون قريباً من ثلاثين يزعم كل أنه رسول الله » إلخ أخرجه البخاري في كتاب الفتن .

(٤) الآية ٩٣ سورة الأنعام .

(٥) سنن الترمذي : ٢٢١٩ .

أن دخل اسحق بن المهدي العدين طلع إلى جبل وصاب واستقر فيه وتصرَّف في تلك البلاد وقتل بعض مشايخها فلا قوة إلاّ بالله .

وفي هذه الأيام : خرج شرح إلى اليمن على الجامع الكبير[1] للسيوطي الذي في الحديث في أربعة مجلدة صنَّعه بعض العلماء المتأخرين في تلك الديار وخرج أيضاً معه شرح[2] على « المواهب اللدنية » في السيرة النبوية .

وفي هذه الأيام بآخر شهر القعْدة : رُفعت الضريبة من عند علي بن المتوكل بعد أن أرسل صنوه إليه القاضي جبارى فنزل الصّرف إلى ستة حروف ثم عادت بعد شهرين فرجع الصرف إلى سبعة ثم إلى ثمانية فسار تجّار صنعاء إلى حضرة المؤيد يشكون ومعهم خطوط من القضاة وغيرهم من أجْلها لأنها ما زالت تصغر ، كل شهر ضَرْبَته فحصل التَّضرر من جهة مسارقتها لم تَسْتقر على حالة واحدة لكنه حصل لطف للرعايا .

ودخلت سنة خمس وتسعين وألف

في رابع شهر محرم : وصلت أخبار مكة مع أول الحاج فقالوا فيها : إن الحج كان صالحاً إلاّ أن الأسعار مرتفعة بَلَغت الكيلة إلى أربع وعشرين بقشة مصرية وهي في زمان الخير ما تزيد على ثلاثة كبار أو أربعة ، وأن صرف القرش بمكة من ثلاثة أحرف ونصف مصرية زاد الصّرف فيها لكثرة القص فيها ، وان صرف القرش بدراهم مصر الأصلية أقل من ذلك ، قال الحجاج : وسبب الغلاء القحط ببلاد الحجاز ومكة وغلاء العلف ، قالوا : وخرج أمير الحاج المصري والعراقي والشامي على العادة وكان أمير المصري الباشا صالح وخيله قدر سبعمائة من غير العسكر ، قالوا : وكان بين سعيد بركات صاحب الولاية بمكة وبين الشّريف أحمد بن غالب مراكزة وانه مال إلى أحمد بن غالب جماعة من الأشراف وانه مريد للمنازعة في المملكة لمكة ، وانه والأشراف الذين مالوا معه كتبوا إلى السلطان بأنه الذي يصلح للولاية والشريف السعيد بن بركات قد أعطاه ومن معه ربع متحصل البلاد تسكيناً لهم فسكنوا .

---

(١) طبع أخيرا الجامع الكبير للسيوطي في عدة مجلدات ولا أعلم أحداً شرح هذا الكتاب .

(٢) من أشهر شروح المواهب اللدنية لأبي العباس أحمد القسطلاني المتوفي سنة ٩٢٣ (طبع سنة ١٢٨١) كتاب شرح المواهب اللدنية لأبي عبدالله محمد بن عبدالباقي الزرقاني المتوفي سنة ١١٢٢ (طبع سنة ١٢٧٨ في ثمان مجلدات ولكن هذا الشرح ليس هو المقصود هنا لتأخر وفاة المؤلف عن عصر المؤلف قلت : ولعل المقصود هنا هو شرح الملا علي بن محمد الهروي المعروف بالقارئ المتوفي سنة ١٠١٤ وصفه صاحب كشف الظنون بأنه كالحاشية والله أعلم .

وفي هذه السنة : كان خرج في الموسم الماضي خواجا من الهند يقال له الشيخ محمد بن أحمد الأشتر وطلع إلى ضوران حضرة المؤيد بعد بيع ما معه من البز بالمخا وما معه من الدراهم من أعواضها ومن الذهب غيرها واشترى من الخيل ما طابقه ولكنه لم يثمن كغيره ممن مضى بل زيادة قليلة على ثمن اليمن بنحو الربع وعرض عليه من الكتب بعض شيء اشترى ما طابقه مثل نجم الدين الرضي[١] وتفسير الشيرازي[٢] « والكشاف » من صنعاء وغيرها من اليمن الأسفل ، وقال : أن سكونه في بندر سرات وان سلطان الهند أو قنقريب[٣] باق على السلطنة وإنما خالف عليه بعض ولده واستعان بالرازبوت[٤] والأمر مستقر لوالده ، وكان هذا الشيخ الأشتر وافضى العقيدة أمامي اثنى عشري ، وقال : أن أصله من الجزيرة بالعراق ، وأنه من ولد الأشتر[٥] الذي كان من أنصار علي ، وإنما هو براسه في سرات والهند للبيع والشراء ، ولما وافقني ذكرت له الاشكال على الإمامية في رجوعهم في تقرير بعض المسائل إلى الاجتهاد مع أن أصولهم تقضي بأن أحكامهم لا توجد إلا من المعصوم عندهم كصاحب التحرير في فقههم ، ذكر ذلك في مسائل وغيرهم منهم ، فقال : ان من علمائهم من يكون يلقى إلى قلبه الحكم في المسألة ولكن هذا الجنس قليل أعز من الكبريت الأحمر ، وتعجب أيها المنصف من هذا فان هذا الذي زعمه إن كان من الإلهام فلا يختص به الإمامية على بدعتهم بل غيرهم أحق بالإلهام منهم ، وإن كان من الاجتهاد فهو ثابت عند غيرهم لا عندهم .

وفي خامس ربيع الثاني وقت تحويل سنة العالم بدخول الشمس أول درجة برج الحمل والزهرة والشمس وعطارد ، والمريخ في برج الحمل بعد أن وقع قران المريخ والزّهرة في آخر الشهر الماضي في برج الحمل لكن القران كان قبل دخول الشمس برج الحمل ، وزحل في آخر برج الأسد والمشترى في السنبلة والقمر في الثور والذّنب في الجدي ، والله أعلم .

---

(١) هو شرح الرّضي علي كافية ابن الحاجب ينسب إلى مؤلفه نجم الدين الرضي محمد بن الحسن الاسترابادي ، من أهل القرن السابع ، طبع عدة مرات أولها طبعة الأستانة سنة ١٢٧٥ ومنها طبعة قازان سنة ١٢٨٠ .

(٢) يحقق هذا التفسير إذا كان المقصود مجد الدين الفيروز أبادي الشيرازي المتوفي سنة ٨١٧ له تفسير للقرآن يسمى بصائر دوي التمير (طبع) ولعله شيرازي آخر من علماء الشيعة والله أعلم .

(٣) كذا والصواب أو رنقريب من ملوك الهند المسلمين في ذلك الوقت (سبق) .

(٤) هم الراجبوت : من طوائف الهند الوثنيين . وفي معجم الأمكنة لمعين الدين الندوي : ٢٨ « راجبوتانة » بلاد من الهند . أكثر أهلها من الراجبوت متصمنة ثماني عشرة حكومة محلية وهذه الحكومات مخالف للحكومات الإنجليزية تابعة لها

(٥) هو الأشتر النخعي مالك بن حارث أمير وشاعر من انصار الإمام علي بن أبي طالب وقائد جيوشه توفي سنة ٣٧هـ (الاصابة ت : ٨٣٤٣ . وتهذيب التهذيب ١ .١١ والأعلام ٥ :٢٥٩) .

وفي شهر رجب : كتب مسمار : أن زوجته التي كانت ببلاد يافع تزّوجها ابن العفيف وهي زوجته ، فتحمل المؤيد وقال : هذا منكر يجب النهي عنه ، وكتب في الحال إلى الأمراء وبني عمه بانه يجب الارتحال إلى يافع لإزالة هذا ، فبلغ يافع فصاحوا في أسواقهم : أن الرصاص واليافعي يد واحدة على الزيدي ، وكان يافع قد اكتسبوا في هذه السنة من البنادق زيادة على ما معهم كثيراً حتى من مدينة صنعاء وغيرها ما زالوا يشترونها ويتعاقدون انهم يحفظون بلادهم .

وعمل المؤيد هذا عجيب فانه لا هو الذي تغافل عنها إلى طرف ولا هو الذي قَصَدها وأخذ في الإقدام والبذل للخزائن وتحريض الرجال وعرف الطرق التي يصلح منها المداخل مثل الطرق الغربية ليافع ليكون المراد أقرب اليهم كطريق جبن وجحاف وأبين ولحج .

وفي يوم الخميس رابع وعشرين رجب : خرج من ضوران إلى معبر وهو متردد يقدم رجلاً إلى الجهات المشرقية ويؤخر أخرى وبني عّمد في طرفي نقيض والناس أقرب إلى المَلَل من دخول المشرق ، أما العسكري فلعدم الوفاء وما قد وقع معهم وأما المغور فالغالب عليه الاعتزار لبعد المسافة وما يحتاج إليه من الزاد والراحلة ،وكان قد كتب اليافعي إلى المؤيد كتاباً فيه المعاهدة وذكر له في جوابه عليه ما بلغه من الزواجه بزوجة مسمار فيقال انه ربما كان بعد طلاق مسمار ،مع أن الشافعي مَذْهبه الفسخ للنكاح إذا لم تحصل النّفقة للزوج بالغيبة بمسافة القصر لكنه للمغيبة ومسمار غير[1] فلا فسخ على مقتضى الشافعي الذي هو مذهب اليافعي ولكنه ادعى الطلاق من زوجها الأول . والله أعلم .

وجاء جواب ابن العفيف صاحب يافع إلى المؤيد يذكر فيه من جهة زوجة مسمار بأنه صدر إليكم كتاب مسمار بطلاقها تّطلعون عليه لتعلموا أن النكاح إنما كان بعد ذلك ، فأطلعه المؤيد على جماعة ممن يعرف خطة فقالوا : نعم خطّه وبعضهم توقف فيه والله أعلم .

وفي هذه السنة بأولها : مات الشيخ العارف محمد بن سليمان المغربي[2] المالكي بمكة

(١) كذا في الأصل وكأنها كلمة ساقطة من عند المؤلف أو سبق قلم

(٢) ترجمته في : خلاصة الأثر ٤ :٢٠٤ والفكر السامي ٤ :١١٥ وفهرس الفهارس ٤٢٥ والينبوع العربي ١ : ٢٨٤ ، ودليل مؤرخ المغرب الأقصى ٢ :٣٠٤ ، ومقدمة صلة الحلف للمؤلف :٧ - ١٣

المشرفة . وكان له بعض النظر في مكة بمن بالحرم الشّريف بأمر السلطان فنظمها زيادة على ما كان أولاً فيها : بأن صار كل شيء إلى محله ، وكان مدروساً بها في كل فن يغلب عليه المعرفة في علم المعقول . وكان قد جمع من الكتب ما يعسر حصره ويكثر وصفه من الكتب المجلوبة إلى مكة ومن غيرها من كتب مصر والقاهرة ، وله من الصّر زائد على غيره من علمائها وقطانها ، قال الراوي : وكان عارفاً بعلم الحروف وعلم الفلك وهو من بلاد فاس بالغرب الجوان ارتحل إلى باب السلطان يريد الحج إلى بيت الله الحرام . فأمره السلطان بالبقاء في مكة ، وكان ذلك هو إرادته ومقصده .

وفي ضحى يوم الأحد رابع وعشرين شهر شعبان منها : مات القاضي العارف العلامة محمد بن علي قيس[1] في قرية القابل من أعمال سفال وادي ظهر كان ذلك بعد خروجه من صنعاء للخريف فمرض هنالك سبعة أيام بالحمى وقضى الله عليه وقبر هنالك ، وكان المذكور له معرفة بالفقه الهدوي مدرساً وحاكماً وله بعض مشاركة في الأصول وكان حسن الظن بالصحابة رضي الله عنهم وبغيرهم من علماء الإسلام لا يقول بشيء من التكفير بالإلزام في مسائل الكلام ، ويرى أن الخلاف لفظي بين المعتزلة واالأشاعرة ، وجمع في ذلك كتابا نقل فيه أقوال الإمام يحيى بن حمزة وغيره . واستنسخ كتاب العواصم للسيد البحر محمد بن إبراهيم الوزير رحمه الله في الذب عن سنة أبي القاسم ، وقال ما ذكره السيد محمد هو الحق الذي يجب على كل منصف اتباعه .

وفي شعبان : حصل مطر فيه برد عظيم على معبر بقاع جهران وقبة المؤيد كان كل برده مثل البيضة بحيث ان منها ما خزق الخيام ووقعت واحدة في حصان حتى سقط فالقدرة لله .

والأسعار يومئذ ارتفعت في بلاد صنعاء وما اتصل بها إلى اليمن الأسفل بلغ بصنعاء القدح الحنطة إلى خمسة حروف ونصف والذّرة أربعة ونصف والشعير إلى ثلاثة ونصف ، وكذلك في بلاد تعز بحيث زاد السّعر فيه بلغ القدح إلى ستة حروف ، وعمّ الغلاء في جميع المشارق وذلك لقلة مطر الخريف فلله الأمر .والمغارب . وتهامة سعرها أمْثَل : الذرة إلى حرف في تهامة ، والجبال في المغرب إلى ستين بقشة .

---

(١) ترجمته في ملحق البدر الطالع . ٢٠٥ ومصادر الفكر . ٢٤٩ .

وفي هذه الأيام : لما تّحرك الرَّحبي في الحجرية وأمر صاحب المنصورة المشايخ الذين عنده رهائن بإرساله والوصول إلى حضرتّه ، وتوعدهم إن لم يأتوا به جَهّز عليه إلى بلده فَحصل بين العسكر وبين تلك الجهة قتال راح فيه نحو أربعة ومن العسكر واحد . وهرب الرَّحبي فأخربوا بيته . قال بعضهم : وربما أن بين أهل الحجرية وبين اليافعي مواطاة على ذلك وما وقع سابقاً لأجل لا يتم دخول يافع لكن صار يقع البلاء بأهل الحجرية لتوسّط بلادهم في اليمن الأسفل ، وعسرة يافع بسبب جبلهم ومع هذا الأمر لا يكاد يتم دخول يافع كما لم يتم أولا . فإن أحمد بن المؤيد والغوائر الذين كان يبعثه المؤيد إلى يافع ، ووافق اختلال الحجرية في خلاله انصرفوا إلى الحجرية ، ولولاهم لم كان حصل التنفيس على صاحب المنصورة فانه قد كان أضيق من حلقة الفاس محاصر . ووقع انتهاب يؤمئذ في لحج للسوق .

وفي شهر رمضان خرج السيد أحمد بن حسين الأخفش من كوكبان بعد أن كان حبسه الأمير عبدالقادر في بيت والده ففلت إلى نواحي برط فلم يقبله أحد منهم فدخل نواحي بلاد خولان وأطراف بلاد صعدة كما هو عادة سادة اليمن بالدّعاوي العريضة الطويلة فلا قوة إلا بالله . وتضرر منه على بن أحمد صاحب صعدة وأرسل إليه ببَغلة وسعى في استمالته إلى حضرته .

وفي ذي القعدة اتفق قران زحل والمريخ في بُرْج السنبلة وكذا الزّهرة والقمر في برج السّنبلة جميعاً .

وبلغ صَرْف القرش هذه الأيام إلى عشرة حروف فكان بسببه البقش للرعايا في اليمن الأسفل في المأخوذ ومن المال عليهم لأن العمل في ذلك على القرش ، وكانت دفعة العدين[1] للاثمار الأخرى جلابة[2] الأخر من الضربة المتقدمة وصرف القرش بحرفين والآن صار صرف القرش فوق العشرة فكان في الحقيقة المأخوذ عليهم هو ذاك الأول وأقل لأن جميع الأسعار على القرش فجاء لهم في اللطف لطف رحماني من حيث يشعر به .

وفي شهر القعدة : حصل بين خولان صنعاء خراب بيت رجل واختلاف واشتجار

---

(١) كلمة غامضة لم نَتَبيَّنها من خلال الكشط الكثيف .

(٢) كسابقتها

فبلغ المؤيد ذلك وأرسل عليهم أحمد بن محمد بن جميل الحبوري بجماعة ، فوصلوا إليهم ، فقالوا لهم : الواقع بَيْننا قد حصل فيه سداد وأنتم ارجعوا إلى المؤيد واخبروه أن قد حصل السّداد ، وزاد الكلام بينهم واستحمق أحمد بن محمد بن جميل عليهم ثم افترقوا بالمراجيم أولا ثم غيرها ، وأرسل المؤيد عند ذلك جماعة عسكر وكتب إلى محسن بن أحمد بن الحسن صاحب الغراس أنه يلقي من تلك الجهة بمن معه وكان تسكينهم أصلح .

وبلغ أن الذين ساروا للحج بطريق تهامة تحيروا فيها فلم ينفذوا إلى هنالك . فلما وصلوا ضبطوا المشايخ الفاعلين سبعة أنفار من المثيرين للفتنة وساقوهم إلى حضرة المؤيد وكان سبب الواقع بينهم كما وصف المحقق من بلادهم ، أن رجلا ساق إمرأة منهم فقصدوه فهرب ، فأخربوا بيته ونَهَبوا ما فيه واستجار بقبيلة أخرى يقال لها بني شداد والرّجل الذي خرب بيته من بني جبر ، وقالوا : إن ذلك حكم القَبْيلة في بلادهم بمن فعل ذلك ، وحكموا على الفاعل أن يسلم دية المرأة وهي حية صفة حكم طاغوت هذا خبرهم .

وفي هذه الأيام بآخر شهر القعدة : لما تصرف المؤيد وصنوه علي في مطالب جبل صبر باليمن الأسفل ، وكان قد جعل دفعته زيادة لصاحب صعدة علي بن أحمد تغيَّر من ذلك وانحرف مزاجه ، وطلب أصحابه وبعض مشايخ بلاده وكتب رسالة يلفق فيها اعتراضات ، كل ذلك لبيت القصيد من الدفعة تعود إليه وأخبرهم أنه يريد الحركة والخلاف . فأجاب عليه بعض مشايخ البلاد : أن هذا الأمر ان كنت تَبْغي به الغضب لله ، وكان هناك ما يوجب فهم معه ، وان كان لأجل دنيا يريدها فهم أبرياء من المعونة له ، فكان الجواب هذا موافق قاطع له من رجل عامي فقطعه ولم يجد حجة له .

وفي هذه الأيام ليلة عيد عرفة : وصل إلى المؤيد وهو بمعبر جهران راسان من الخيل أو ثلاثة وبعض دراهم نحو ثلاثة آلاف من شيخ يافع ابن العفيف وقال ذلك عن الفطرة في بلاده .

والمؤيد لما بلغه خبر صاحب صعدة بعث إليه بالدواء لجراحته وعلّته وما يزيل مرض قلبه من التأليف بالمال ، وقال ذلك عن دفعة جبل صبر .

ودخلت سنة ست وتسعين وألف

استهلت بالجمعة بالرؤية والحساب اتفقا جميعاً . وكانت أسعار مكة هذه السنة حيّة والخصب فيها وجميع بلاد الحجاز الكيسلة المكية سعرها إلى عشرة كبار مصرية وصرف القرش بثلاثة حروف من الضرة المصرية .

وفي هذا الشهر [محرم] : تفلّس رجل بانيان من الكفرة المجوس يقال له ميداس ، وكان قد أمال إليه كثيراً من الناس بوضع الأمانات عنده والمعاملات ولا أمانة لكافر قال الله تعالى﴿ ولا تَركنوا إلى الذينَ ظَلَمُوا﴾[1] فبقوا في حيرة عظيمة وحَال جَسيمة من جهة فوات أموالهم يقال إن جملة ما عنده ما يقارب أربعين ألفاً فأكثر مفرقة لتجار وغيرهم ، ومثل هذا المال لا يسعه بطنه ، فقدر ما كان يرسل به إلى الهند مع أصحابه شيئاً فشيئاً في المواسم ، وقد كان تفلّس قبل العام الأول بانيان فَفَلَت من صنعاء إلى بندر اللّحية ولبس لبس اليهود وركب بحراً ولم يعتبر الآخرون به في أمانة الكفار الملاعين ، وأما هذا الآخر فبقى عند المؤيد مستجيراً وزاعماً انه يسوق ما عليه بقدر حاله مما بقى تحت يده فأجاره المؤيد على ذلك وأمر غرماءه بالكف عنه وتفريق ما يكسبه على الغرماء في كل عام مما لا يفيدهم ولا ينفعهم ولكنه بما كسبت أيديهم .

وفي ليلة النّصف من شهر محرم وقع خسوف قمري فى أول برج السرطان قيل كان في الساعة السابعة .

وخرج محسن بن أحمد بن الحسن من وطنه الغراس وذوي مرمر إلى اليمانية ، فاستقر بسوقها سوق الجمعة ، وسبب ذلك أنه بلغه أن صنوه إبراهيم أخذ ولاية من صنوه محمد صاحب المنصورة[2] عليها فسبق بالعزم محافظة إليها لئلا يسبقه بالمسير والسكون فيها .

وفي هذا الشهر شهر محرم : استولى صاحب المنصورة على جبل القماطرة[3] بالحجرية بعد طول محاصرة ، ولما استولى على ذلك الجبل أمر أولاده بالتّقدم بمن معهم من عساكره لإصلاح طريق عدن ولحج وأبين والخلاف الذى جرى من قبائل ابن شعفل ، فسارو إلى تلك الجهات ، وحصل بينهم ما حصل ، ثم انهزم ابن شعفل إلى

---

(١) الآية : ١١٣ سورة هود .

(٢) يلاحظ أن نفود صاحب المنصورة بلغ إلى الأطراف الشمالية ناحية خمر وما صاقبها وهو في الحجرية ، هذا مع أن الإمامة ليست معه

(٣) كذا لعل صوابها ' المقاطرة .

معاقلة وغزا سوق بقار وانتهبه .

وفي أواخر هذا الشهر : وصل كتاب من حسين بن حسن بن القاسم إلى المؤيد محمد بن المتوكل إسماعيل بن القاسم : يتضمن العتاب له في ترك الحركة على يافع وانه لا ينبغي التغافل بعدما قد جرى منهم ، وانه ان لم يتحرك كاتب إلى صاحب المنصورة وابن أخيه وانهما يكونا يداً واحدة على القصد إلى تلك الجهة ، فتغير من ذلك المؤيد منه وواعده مواعيد الاختلاف التي يقول الله فيها ﴿وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً﴾[1] وكل ذلك من المؤيد لما لم يجد كمال العدة ، ورأى الناس أقرب إلى الملل وعدم اجتماع الكلمة ، وكون اليافعي لا يمكن أن فرض فتح بلاده إرجاع الولاية إلى حسين بن الحسن إلاّ بمشقة وكثرة اختلاف منهم ، وخلاف وانتقاض مما لا تظهر فيه كل الفائدة ، واليافعي قد صار يظهر الانتماء إلى المؤيد ويتبّرى من حسين بن حسن ، فلما أيس حسين بن حسن عن أخيه المؤيد له ، كاتب إلى إبن أخيه فأجابه بمثل ذلك وقال : يصلح ما طَلَبه وهو بعد اصلاح بلاد ابن شعفل تكون طريقه من هنالك ، فلما بلغ المؤيد قام وقعد ولم يعجبه ذلك الذي جرى بين الحسين بن الحسن وابن أخيه من هذا العمل والوعد وأرسل السيد يحيى العباسي في شان ذلك ، فسار إلى حسن بن حسن يَستدعيه للوصول فاعتذر عن الوصول ، ثم أعاد السيد إليه للتحريض على الوصول لمفاوضته فوصل إليه .

وفي خلال هذا : جاء إلى المؤيد رساله من صاحب صعدة[2] يلوم عليه في ترك ما كان يَعْتاده من دُفعة جبل صبر الذى كان شرطه له في البيعة وانه جَعله لصنوه علي بن المتوكل ، وهذا يؤدي إلى النقض واستدرج مطاعن يطعن بها عليه ويلوم في اختلاف الأقوال والمواضع لديه ، وان هذا ليس من دأب أهل الوفاء بما عاهدوا ولا ما وضعوا وكتبوا ، وقالوا ، فعند ذلك أرسل له المؤيد بمقدار دفعة جبل صبر من حضرته لمداواة جرحه ، وإلاّ فإن مع علي بلاداً واسعة ، وأقطاراً من جهات الشام كافية ولكن الدنيا غرّارة ولا يزال طالبها لا يقنع بقليلها ولا كثيرها بحيث انه كان أهم وتحدث في بلاد الشام انه ان لم يعد له ما قد وضعه خالف عليه ، واستقل في بلاد الشام بالأمر من دون انتماء إليه . .

---

(١) الآية ٤٢ سورة الأنفال .

(٢) هو علي بن أحمد بن القاسم .

وأما التخلف في القواعد والمواضع فهو لا شك لا يصلح لأهل الدين بل ولا لأهل الأمر في اعتبار سياسة الملك والمسلمين ، لأن كثرة التخلّفات ووضع العوائد والمالوفات والموضوعات تنفر الخواطر وتكسر نفوس أهل المناصب والعساكر فما الملك إلا بالكرم والجود وتمام العطاء والنفوذ .

وفي شهر صفر : نزل علي بن المتوكل من إب وجبلة إلى مدينة تعز باليمن الأسفل وكتب المؤيد إلى مشايخ بلاد آنس : أنهم لا يسلمون شيئاً من زكاة البن إلى صنوه حسين بن المتوكل وإنما تكون إليه فنزل حسين بن المتوكل من ذمار إلى وادي النائحة حتى بلغ إلى مدينة العبيد وأرسل إليهم عسكره وقَبَضها منهم على التمام والكمال ، ولم يعرج على أمر صنوه لهم ولا له وتغلب على بلاده ، وقال : هي بلاده من والده وليست من صنوه ، ومحمد هذا المؤيد حاله عجيب في تسلطه على التنقيص وعدم الوفاء وعدم الجري على قواعد من مضى كائناً من كان من الناس مع الامكان لا يرّده إلاّ من خاف جَانَبه ومنع على ما تحت يده مع أنه لم يفده القبض لأنه صار ما عنده يذهب بعضه مع المتَصرفين ويلعب به أهل المخازين ، أولاً ما كان جمعه والده المتوكل بضوران وصنعاء وشهارة والسودة فانه تصّرف في بعضه وراح بعضه بالسرقات وغيرها في أيدى المتصرفين وما زال ذلك كذلك ، فلا قوة إلا بالله وفي الحديث كما في الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال[1] «لا توكي فيوكى عليك » ولم يكن فيه من المحاسن إلاّ خصلة واحدة وهي التَّخفيف عن بعض الرعايا في المطالب والعدل فيهم من الماخوذ ، فانه قد حَطّ عمن أمكن الحط عنه ما حطّ والله يصلح الإسلام والمسلمين .

وفي هذه الأيام : أحدث أهل الأهجر سوقاً في بلادهم بسبب ما جرى مع بعض قبائلهم في شبام من بعض أصحاب عبدالقادر بن الناصر بن عبدالرب من المضاربة والتعدي وبعض الجناية ولم ينصف السيد عبدالقادر فيما جرى وقام مع أصحابه بعد مطالبتهم للشريعة أو المناظرة ، والسيد المذكور قد عرف حاله في الأوامر والنواهي ، فانه يقوم مع أصحابه ، ولا يُنصف في الغالب من ليس إلى جنابه ، ويختلف في خطرطه ومواضعه وأوامره في الحالة في مثل ذلك الشان ولكن هو دأب هذا الزمان فان اكثر الولاة

---

(١) وفي الترمذي ١٩٦٠ ج٤ : ٣٠١ من حديث أسماء .

فيه على هذا المنوال .

وفي شهر ربيع الأول : استأصل صاحب المنصورة ابن شعفل وكسره إلى جبل حرير وقتل من أصحابه كثير ، وانتهب عليهم سلاحهم وانحاز إلى بلاد جبل يافع ، فتغير المؤيد من هذا الفعل وقال هو ابن شعفل في صلحه الذي عقد له وان هذا كله مخالفة لأوامره .

وفي هذه المدة : وصل جاسوس رومي من حضرة باشا مصر إلى اليمن ، ودخل صنعاء وكان يصلى في جامعهما النوافل فلم يلبث أن عاد بلاده أخبر بذلك دَرْويش وصل إلى صنعاء بعد عزمه .

وفي هذه الأيام وصل كتاب من أحمد بن زيد إلى صاحب اللّحية حسن بن المتوكل على جهة الاعتراض عليه في سيرته وانه زاد على التجار زيادات ما كان يَنْبغي لمثله ، ومن جملة ذلك ما صار يأخذه على موقع الملح من الدّراهم و وهو مباح لا ينبغى الأخذ عليه ومن هذا وما شاكله .

نعم لما كان آخر شهر ربيع الأول : ترجح لمحمد بن أحمد بن الحسن أن أرسل ولده الحسن إلى بلاد ابن شعفل وقصده إلى معاقله واعتل عليه بما صار يحصل في الطريق التي في بلاده وكثرة التعويق ، وما جرى منه من انتهاب سوق بقار ، والقتل في سوقه وعدم كمال سلوك طريقه ، وهو اعتل بقطع جامكيته المعتادة من عدن ، فالتقاهم بالمنابذة والحرب فوقع الحرب ثم انهزم إلى نواحي جبل يافع ، وانتهبت العسكر ما ظفروا به من المواشي والسلاح ، فلما وصل يافع طلب من يافع الغارات والإمداد فأجابته يافع بالغوائر وأرسلوا ابن هرهرة في أصحابه والشيخ الجلاد من جانبه وناوأ أولاد محمد بالحرب والرمي بالبنادق والطعن والضَّرب فقتل من أصحاب حسن ومن يافع وأحاطوا به من كل جانب في محل يقال له مخر الراحة وعبدالله أحاطوا به في جبل حرير طرف بلاد ابن شعفل ومعقله ، فأما عبدالله هذا الذي في جبل حرير فانه متحصن ، كان القتل بالبنادق فيهم ، وأما حسن ففي محل غير منيع ، فحال أن وصلت والدهم الأجناد جهزّ إليهم الغارات ، وكذلك أغار عبدالله بن الحسين بن محمد بن الحسن من العدين ، وكذلك علي بن المتوكل ، والمؤيد أرسل غارة من عنده غرة ربيع الثاني حال

وصول الخبر بجماعة من رتبة الخيل ، وغيرهم من العسكر مع صنوه حسين والأمير فرحان وحسين بن حسن كان حال هذا الواقع في معبر قد وصل في الخوض في أعمال المشرق ، وكان المؤيد قد أرسل له من قبل لما كثر عليه الكتب ليفاوضه ، وكان يود الترك ان أمكن مع التردد في أمرهم ومع النظر في تلاؤم الجمع للكلام في شأنهم بينه وبين صاحب المنصورة ، وانه لا يكون عمل الحركة إلا بعد اجتماع الرأي والكلمة ، فهم في ذلك إذ جاءه خبر الحادث والغوائر من يافع ومحاربتهم لأصحاب محمد بن أحمد والتضييق عليهم وتواطأو في الكلام من غير عزيمة على توجه الحركة إلى المشرق فحسين بن حسن ذكر أن طريقه تكون الزهرا وهو منه عَيْن الخطا .

وفي هذه الأيام بخامس عشر شهر ربيع الثاني كان تحويل سنة العالم بدخول الشمس أول درجة الحمل ، ولم يكن فيه شيء من القرانات بل كانت الكواكب متفرّقة في البروج فزحل في برج السنبلة والمشترى في الميزان والمريخ في العقرب والطالع في الدلو .

ولما اضطر صاحب المنصورة إلى المعونة على قتال اليافعي لما حاصره ولده عبدالله في جبل حرير بعد أن كان أولا لا يوده ولذلك لم يعين في الجاري ليافع من الحادث الأول ، والمؤيد لما وقع في هذا الواقع وكثرت كتب صاحب المنصورة باستمداد الغارات فأمر من وصل عنده إلى مَعْبر[1] النفوذ إلى ذمار حتى ينظر فيما يصلح ، ووصلت الأخبار بأنه لمّا كثر أهل يافع على جبل حرير وقع ما وقع من القتل من الجانبين ، وكان القتل في يافع أكثر لأجل البنادق من الجبل والبيوت ، وكان القتل فيهم مثل القتل الذي وقع منهم في الحرب السابق جاءت رمية من غير رام ، وإلاّ فان صاحب المنصورة غير قاصد بذلك الانتقام بالثأر ، ثم قل عليهم الماء وتضروا ، فصالح عبدالله ومن معه بالخروج من الجبل ، واختلفت الأخبار في جملة القتلى من يافع فقيل ثلاثمائة وقيل أكثر وقيل أقل ، وقيل سبعمائة لأنهم كانوا يحملون مع كثرتهم فتدفع الرّصاص فيهم فقد تأخذ الرصاصة الواحد والاثنين . ومن أصحاب عبدالله الفقيه حسن بن عامر الهبل بمن معه نحو ستين نفراً .

ولما بلغ ابن شعفل التحرك إلى بلاه كاتب إلى علي بن المتوكل : أنا في عهدكم

---

(١) معبر : هي مقر دولة المؤيد المذكور . وهي مدينة بالجوب من صنعاء بمسافة ٦٨ك .م في وسط قاع جهران ، « المقحمي . ٦٠٩ »

وصلحكم وهذا الحادث الذي جرى نقض للعهد لا يجوز لكم ، وكذلك كتب اليافعي بمثل ذلك ، وكان قد هرب إلى قعطبة وتركوها فأقره خشية من قصد القبائل لنهبها ، ثم كان أرسل إليها القبائل تلك جماعة من أصحابهم فقصدهم عبدالله بن أحمد بن الحسن بعد خروجه من جبل حرير وقتل منهم جماعة وهرب الباقون عنها .

ثم أن علي بن المتوكل طلع من اليمن الأسفل إلى عند صنوه المؤيد ليحقق له عمل المشرق وانهم في صلحه وعهده ، وطلع صحبته الشيخ المفلحي من مشايخ بلاد المشرق وصحبتهم بعض شئ من الدراهم من واجبات بلادهم . وأولاد صاحب المنصورة تميلوا إلى نواحي بلاد الدمنة ثم قرت الأمور وسكنت .

وجاءت كتب اليافع : أنهم على ما قد بينهم وبين علي بن المتوكل وإنما وقع ما وقع لأجل الدفع عن [1]وصار باطن المؤيد ترك ذلك من أصله مع قل الخزائن معه بسبب تفرق أكثر البلاد ونهضة المشرق .

وحصل بنقيل [2]عجيب مطر عجيب نزل من البرد كل بردة مثل بيضة النعام فالقدرة لله تعالى في مطر الظافر[3] أول فصل الصيف .

ووصل كتاب من أحمد بن زيد[4] إلى صاحب اللحية يذكر فيه : أنكم تأخذون العشر على التجار الذين يصلون من عندنا لأن العشر صرنا نقبضه بجدة منهم ، وأما تجاركم فخذوه ولا نأخذه نحن في بندر جدة لأن العشر الواحد كافي مع قرب المسافة كما روى ، فلما وقع ما وقع من العزل للشريف طالب صاحب صبيا من قبل حسن بن المتوكل سار أحمد بن زيد وأخذ ولاية منه لأن صبيا قاعدة ولايتها من قديم الزمان لأشرافها في كل دولة مع أنها الحد فيما بين بلاد صاحب مكة والسلطان بن عثمان وبين ولاية صاحب اليمن فقررها المؤيد بعد ان كتب إليه الشريف طالب بذلك فقال : لا بأس به .

ولما سأل كاتب الأحرف بعض من له بعض علاقة بالمؤيد عن بذل النصيحة بما تَوجّه من أجل عمل المشرق كتبت بما حاصله : الأولى ترك يافع والإعراض عنه لأن أعماله

---

(١) كذا في الأصل لم يكمل المؤلفة بقية الجملة ولعل تمامها « الدفع عن الحرم » كما مضى مثله سابقاً

(٢) نقيل عجيب . بين البون وظاهر حاشد أسمله عولة عجيب من قرى عيال سريح .

(٣) هما أول وثاني من معالم الزراعة عند أهل اليمن يأتيان في الشهر الثالث في منزل الفرع « أنظر دايال فارسكو (مجلة الاكليل سنة ١٤١٣)

(٤) هو شريف مكة (سق) .

تحتاج إلى مصابرة وخزائن قارونية[١] وعساكر خاقانية [٢] ، ثم لو فرض القصد لهم ودخوله فلا مصلحة فيه تعود نفعها عليكم ولا على المسلمين ، ولا تقوم بجوامك من يسكنه من العسكر محافظاً ، لأنه يحتاج إلى قوة عسكر وإلاَّ خالفوا عليهم وأهلكوهم أو أخرجوهم بأمانهم كما فعلوه مع السيد شرف الدين بن مطهر . مع أنه لا يكاد يتم دخوله لو فرض حصوله إلاَّ من الطرق الغربية مثل طريق جحاف وجبن وقعطبة ولحج وأبين لأجل قرب المواد من اليمن ومقابلة قبيلة واحدة من قبل وجوههم ، وأما الطرق الشرقية التي جاءوها من أول وهي طريق الزهراء فانها بعيدة وبين قبائل مخالفة ، فمن الغرب يافع والقبلة قيفة ومن العَدَن[٣] الهيثمى ومن الشرق الرصاص ، فادنى كسيرة من يافع وحازوهم من قدامهم وخلفهم وأيمانهم وشمائلهم ، وقد صاروا هذا الزمان أهل بنادق كثيرة وهم معرفون بعدم الرَّغبة إلى الانقياد للدَّولة كائنة من كانت ، ولذلك حاربوا عامر بن عبدالوهاب وعَمّه الملك المجاهد قبله ، وما دخله إلاَّ بعد حروب شديدة من طريق جحاف وقد استعد له بهم قدر عشرين ألفا وبقى عليهم بحجاف مدة يحاربهم وكان قد خربوا عليه قصره بجبن وانتهبوه [٤] ، وكذلك سنان[٥] باشا لما قصد إلى يافع وحط عليه قدر ثلاث سنين ونصف وجرَّ عليهم ثلاثة مدافع وحط عليه بمكان يقال له الظهيرة ، وكان ذلك الوقت ما قد ملكوا البنادق وإنما حروبهم بالعيدان ، وما استفتحه سنان وإلاَّ على مشقة وبذل أموال عدة ، وكان قد عمر قلعة يراخ[٦] وجعل فيها رتبة لأجل الطريق بالمواد والقوافل إلى المحطة ، ثم كان منهم الخلاف المشهور وقتلوا الأمير أحمد متوليهم في الحلقة وحفظوا بلادهم ، وبعد ذلك تركهم سنان ومن بعده من الباشات بالمرة ، حتى أن سنان باشا أمر بخراب ما عمره بقلعة يراخ للرتبة وقال : لا يبقى بيننا وبين يافع اتصال البتة لعدم المصلحة من بلادهم ولا عائدة ، واستمر ذلك الترك لهم إلى مدة الحسن والحسين والمؤيد بالله كما ، تركها السلطنة ، وقد خالفوا على المتوكل مرتين [٧] وحصل فيها من الفتن وانفاق الأموال ما لا يخفى . وكان المتوكل خزائنه متوفرة

---

(١) حزائن قاروبية : ويقال أيضاً كنوز قارون ، أنظر في ذلك (ثمار في المصاف والمنسوب) :٨٢ .

(٢) سبة إلى حاقان وهي لفظة تترية بمعنى الملك وهي عند العرب علم حنس لملوك التتر والصين

(٣) العَدَن · الجنوب .

(٤) قرة العيون :٤٣٦

(٥) الإحسان :٦٧

(٦) يراخ . حصر من وصاب السافل

(٧) أنظر خبر خلاف يافع على المتوكل إسماعيل في طبق الحلوى :١٣٨ .

وأولاد أخوته كانوا على قلب واحد ورأي متحد ، فكيف يتّفق دخولها هذه المدة إلاّ بقوة عظيمة وخزائن وجنود واسعة وهذا شئ بعيد مع العلم بعدم المصلحة .

وفي هذه الأيام : خرج من البز نحو ثلاثين مركباً ، وفَوْق ، ومن جملتها مراكب السلطان صاحب الهند فتهوَّن البز عما كان ، وكان العام الأول مرتفعاً ، وخرجت هدية للمؤيد من الهند ومن جملتها فيل ، وكان قبيل خروج هذه المراكب الهندية ، خرج من عمان برائش[1] يتسرّقون كما هو عادتهم من قديم الزَّمان ، فلم يظفروا بشئ حتى جاء وقت تغيّر الريح عليهم في لبحر الشَّرقي فانصرفوا صرفهم الله ، وخرجت مراكب الهند في أمان الله للابتغاء من فضل الله .

وفي نصف شهر جمادى الأخرى : وصل كتب من الشريف أحمد بن زيد صاحب مكة إلى المؤيد بن المتوكل يذكر فيها كما روى من أجل تَوْليته للشريف طالب لمدينة صبياً وما إليها وانه لما وجه لعزله عنها فقرره المؤيد على ما قال .

وفي هذه الأيام : اشتد الغلاء ببلاد الحجرية . بلغ القدح إلى سبعة حروف وكذلك في بلاد المشرق مثل بلاد يافع والرصّاص وقيفة ، وكتب المؤيد إلى ابن عفيف بأنه يصل إلى حضرته وزلّج صنوه علي وقرر رأيه في تَسْكين المشرق ، فأجاب ابن عفيف : بأن الوصول يشق به ويتعذّر عليه لكثرة من يَتْبعه من أصحابه ، وأن الطريق يصلح شأنها وابن شعفل قد دخل في تقريرها وتأمينها ولا يحصل فيها تعدٍ من قبلهم فيها[2] . . .

وفي نصف شهر جمادي الأخرى : وصل من حضرة الشريف أحمد بن زيد صاحب مكة كتب إلى المؤيد قيل إن مضمونها أن بَيْتَ الشرف بيننا وبينكم واحد ، وأن السلطان وجد علينا إنا نذكركم في الخطبة ، وأمر أن يكون له ، وإنا كنا نرى لكم ذلك ، وقد سبق كتاب إلى صنوكم الحسن صاحب اللحية فلم يظهر بمسرته ، وأنه بلغنا أن التجهيز إلى دياركم ، فاشتغل بذلك المؤيد وتغير منه .

وصاحب[3] المنصورة اشتد عنده القحط والغلاء بالحجرية وما يتصل بها من الشرق وبلاد يافع وقيفه وبلاد الرّصاص حتى بلغ القَدَح الطعام إلى سبعة حروف ، وأكثر أهل

---

(١) برائش : جمع برشة مراكب بحرية .

(٢) هنا محو وكشط كثيف لم نستطع استخراج ما فيه ، ثم تلا هذا ورقة بيضاء فارغة لا ندري لماذا تركها المؤلف هكذا فيهم

(٣) هو محمد بن أحمد بن الحسن (المهدي) سق .

يافع ، وابن شعفل جاء جوابهما على المؤيد أن الكلام على ما جرى بيننا وبين صنوكم علي في تسكين الأمور ، وتَرْكنا في بلادنا ، والطريق على ابن شعفل لأنها في بلاده قد دخل في صلاحها والدَّرك علينا في تمام سياقها ، وأما الوصول فمتعذر .

وولد مولود في بلاد الرحبة . عجيب الخلقة لبقرة نصفه الأعلى على صورة آدمي ورأسه وصدره ، ونصفه الأسفل صورة البقر فالقدرة لله تعالى ، ولم يلبث أن مات ، وقيل أنه نطق جواباً على المرأة التى رأته لما قالت : أعوذ بالله من الشيطان فقال مجيباً : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .

في هذه الأيام[1] : خرجت المراكب الهند بالبضاعة من البز ونحوه قدر خمسة وعشرين مركباً ، فمن جملتها المركب الكبير الذي لسلطان الهند وهو لم يخرج العام الماضي .

وفي هذا الشهر : خرج من الهند شريف له معرفة بعلوم العربية ، وكان يسكن بمكة في المدة الأولى وإنما أرسله سعيد بن بركات بهدية إلى سلطان الهند فبلغ إلى سرات[2] ، وجاءت الأخبار بعزل الشريف سعيد وتولية أحمد بن زيد ، فعاد من سرات قال الراوي : وكان المذكور له ترجيحات خرج بها عن أصل مذهب الحنفية ، منها الجمع بين الصَّلاتين وصَنَّف في ذلك كتابا وذكر ما جاء من الأحاديث في جواز الجمع للصلاة من غير عذر ، وهو كما قال فان الأدلة قاضية بالجواز ، وقد رجَّحه كثير من الشَّافعية كما حقَّقه السيوطي في « الديباج شرح صحيح مسلم »[3] ، ولكنه روى عن هذا الشريف المذكور مسألة ضعيفة ، وهو أنه يعتقد أن لا كفر يوجد في الأمم وهذا خطأ وردّ للكتب المنزلة على جميع الأنبياء ، فقلت للراوي هذا : وما شبهته في هذه المقالة الشنيعة فقال لعله يتابع ابن عربي .

رأي المؤلف في ابن عربي

فقلت له : حاشى ابن عربي عن هذه المقالة لأنه وان قال بوحدة الوجود وأنه لا معبود إلاّ الله تعالى ، وإنَّ عبادة الكافر للصَّنم منصرفة إلى الله تعالى فمراده أنه لا واحد موجود

---

(١) تكرر هذا الخبر .

(٢) بلدة بالهند معروفة .

(٣) طبع في مصر سنة ١٢٩٩

في الحقيقة إلاّ الله تعالى فالعبادة التي وجهها الكافر إلى الصنم منصرفة في الحقيقة إلى الله تعالى لأنه لا موجود حقيقة إلاّ الله وكل ما سواه فإن والرسوم ممحوة من باب محو الرسوم والفنا فالكافر كافر بعبادته للصَّنم واشراكه واعتقاده إن شيئاً غير الله يعبد فهو ضال في الشريعة والحقيقة ، أما الشَّريعة فظاهر ، وأما الحقيقة فلكونه اعتقد شيئاً سوى الله يعبد ولا معبود إلا الله تعالى ، وما أظن هذا يصحّ عن الشريف أصلاً فلعله إنما يقول بمقالة ابن عربي فقط وإنما حصل التركيب من الرُّواة لعدم معرفة الحقيقة ما هي عند الصوفية فتوهّم من قوله بمحو الرسوم ووحدة الوجود والفناء انه لا موجود ولا معبود إلاّ الله ، وأن العبادة وان توجهت إلى الصنم للكافر فليست في الحقيقة إليه مع كفر الكافر باعتقاده بعبادة الصنم ، فظَّن الذي لم يعرف قواعدهم أنه يصوّب عبادة الأصنام كما توّهم كثير في ابن عربي بمثل ذلك ، والله أعلم .

وفي ليلة ثالث شهر رجب الفرد من هذه السنة : اتفق حريق سمسرة بصنعاء في طرف سوق الاسكافيين لرجل يقال له الخولاني ، كان من أصحاب أحمد بن الحسن بسبب بارود وضعه فيها يهود من المتسيين الذين يصلون به فاتّصل بالبارود منهم نار أول الليل فاحتمل السمسرة الرّبع العدني من السمسرة وسقط الجانب العدني من السَّمسرة على الحوانيت التي من خارج ، هلك في الحوانيت جماعة كانوا في السمسرة وكذلك اليهود أهل البارود أجمع ، وهم ستة فجملة الذي هلك أحد عشر نفراً ، وهرب الباقون من الجانب القبلي الذي سلم عن الخراب ، والبارود ما يَنْبغي وضعه في أسافل البيوت وفي السماسر إنما يوضع في الأماكن المنفصلة البعيدة عن الساكن .

وفي ليلة خامس عشرة من شهر رجب : قيل وقع خسوف القمر في برج القوس ، وقد كان حكم المنجمون بذلك قبل حصوله ، وانه يطلع خاسفاً ولم ير الخسوف لاتّفاق سحاب متراكم كان ذلك الوقت ، إلاّ أنه أخبر برؤيته من جهات أخر .

وفي هذا الشهر : ارتفع السعر بصنعاء بلغ القَدَح البر سبعة حروف ، والذرة والشعير خمسة ، وذلك بأول فصل الخريف ثم حصل المطر بأول الخريف في أكثر البلاد لكنه انقطع المطر في وسط الخريف فحصل النقص ، والسعر ما نزل لأنه كان ظهر من الدود

الذي يسمى الجرمي ، ومنهم من يسميه القاشر ، الدودة المعروفة فأكل الذرّات[1] في أكثر بلاد اليمن فنقصت خصوصاً الصفر منها ، ثم لما ارتفع آخر الشَّهر رجع نقصها فاستمر هذا الغلاء بالسعر في هذه المدة بصنعاء ، وسائر البلاد أهون ففي المغارب السّعر على النصف من هنا ، وكذلك باليمن الأسفل ، وإنما الغلاء بصنعاء لقل الواصل إليها مما كان يعتاد من اليمن الأسفل من الحبوب لضعف[2] اليمن الأسفل بالنّظر إلى ما كان ، ولاستغراق ما يجلب هنا لمن هنالك من الدولة ، وعلى الجملة أن الأسعار ، ما زالت مرتفعة من سنة ست وسبعين وألف إلى هذه المدة حول إحدى وعشرين سنة ما يعلم أن اتفق مثله .

وفي هذه الأيام بشهر شعبان : وصل زيد بن المتوكل إلى صنعاء فحبس خلق الله كثيراً من الناس ممن نقل إليه بحق أو باطل مما نهى عن التجسس له ، وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بالستر عنه من غير مراعاة مناظرة فامتلأ حبس قصر صنعاء وغيره .

وفي هذا الشهر : بلغ انه حصل في بيت الشيخ ابن العفيف اليافعي صاعقة أخربت جانباً منه ، واشاع الناس بان ابن العفيف من جملة من هلك منها ، ولم يصح وإنما حصل ذلك .

وفي ثالث شهر رمضان آخر نهار السبت : توفى علي بن المتوكل بداره بمحروس مدينة إب باليمن الأسفل ، عند نزوله من يريم بلا فصل ، فانه خرج من يريم يوم السبت سادس شهر شعبان ، وكان قد أحس بنواخز[3] معه ، فلما وصل إلى إب دخل الحمّام ثم بقى نحو يوم أو يومين واتبعه الفصادة ثم تبعه الحمام ، وقبر بحوطة الكاظمي بإب رحمه الله تعالى ، وقال راو آخر : ممن يختص به انه كان يعهده نممٌ وهو بيريم ثم وشحة ، ثم يزول عنه ، فلما كانّ يوم السَّبت عَهِدَهُ ذلك وقت الظهر في ثالث رمضان فمات آخر ذلك النهار منه ، فكان من يوم نزوله من بريم من السبت إلى السبت ، وكان دخوله إلى إب في أبهة ملوكية مع خيل كثيرة نحو أربعمائة عنان والنَّوبة تضرب والصناجق تخفق فالقدرة لله العظيم ، وكان الرجل فيه الكرم الذي تميّز به عن اخوته ولكن كان جاري

---

(١) الذرات : جمع ذرة عند المؤلف (الحبّ العروف) .

(٢) أي عدم استقراره بالحروب والفتن الواقعة فيه .

(٣) نواخز : جمع ناخز ، لغة في ناخس ، يقال نخس الدابة ينخسها غرز مؤخرها أو جنبها بعود ، والنواخز هنا تشبيه للآلام بالنخس .

اليد على رعيّته ولم يترك شيئاً من مطالبه ، فان صنوه المؤيد كان أمره بذلك فاعتذر بشدة الحاجة معه ، فالله يغفر له فهو الغفور الرحيم بعباده من المسلمين ، ومثله في جَرّة اليد صاحب المنصورة ، لكن أهل الحجرية ليسوا كاليمن الأوسط ، فانهم يَمْنعون عن أنفسهم بعض المطالب ، لا سيما جبل المقاطرة [1] ولا يدخل العسكر بيوتهم أصلاً بل يجعلون له منزلاً منفرداً أو في المساجد بخلاف اليمن الأوسط ، ولا يسلمون إلاّ ما فرض عليهم وما يطلبوا فيه من سبارهم . وقد كان علي بن المتوكل بنى[2] بفتح الضريبة في إب واستأذن صنوه ، وقال انه صار يحتاج لمن عنده ، وكان الصرف يؤمئذ قد نقص عما كان ، بلغ القرش إلى سبعة أحرف بعد أن كان في عشرة حروف ، ولو تمت الضريبة رجع الصرف على حالته الأولى وأكثر .

وفي هذه السنة ترجّح لسيد يقال له السيد علي بن حسين الشامي وهو ساكن ببلاد خولان صنعاء ، الدّعاء لقبائل خولان إلى نفسه وقال لهم : ان أحوال المؤيد تغيَّرت ، فلم يجبه أحد منهم فسكن ، وهذا من عجائب اليمن لا يزال دأبه هكذا فيهم ، مع أن المذكور ليس له إلاّ [3] في الفرائض ومشاركة في الفقه ، وفي مَذْهبه أن الإمامة يَحْتاج فيها إلى العلم الواسع .

ولما انقضى أمر وفاة علي بن المتوكل باليمن الأسفل كتب جماعة من الذين كانوا ملازمين معه من رؤسائهم إلى أخيه المؤيد بأن الولاية تكون لولده حسين[4] بن المتوكل وانه يكون بذلك حفظ الجند والاستمرار ، فتغافل المؤيد عن الجواب حتى ينظر في الصواب ، ولم يجزم بوضع الولاية بل أبقاه على تلك الحالة .

ووصل في خلاله شكاة من اليمن الأسفل يذكرون ما قد كان نَالهم من تلك المطالب الكبيرة ، والمظالم الواسعة من الأيام السابقة ، وكانوا قد شكوها إلى والده المتوكل فلم يتعذّر فيها ارتفاع على ما هي من الاتساع ، فأمر المؤيد برْفعها وإزالتها ، وأنه لا يريدها ولا يأمر بها ، وأرسل الفقيه أحمد بن عبدالحق الحيمي[5] لافتقاد تلك البلاد ورفع حقائق

---

(١) الأصل القماطرة وأصلحناها من عندنا .

(٢) بنى على الأمر . نوى وصمّم .

(٣) أي ليس له معرفة في شيء من العلوم إلاّ في علم الفرائض .

(٤) هو الأديب والشاعر ، أنظر ترجمته في نشر العرف ١ :٥٧٣ - ٤٥٨٦ ، وما كتباه عنه في الأدب اليمنى عصر حروج الأتراك ٦٠١٠-٦١٦

(٥) هو الوزير العلامة أحمد بن ناصر بن عبدالحق الحيمي ، جامع شعر الهبل وغيره ، توفى سنة ١١١٦ مسجوناً بمدينة عدن ، أنظر ترجمته في نشر العرف ١ :٢٩٥-٣٠٠ .

المطالب الزائدة في الآفاق ، فدعا له أهل اليمن ، وعادوا ونفوسهم طيّبة .

وفي بكرة يوم الأربعاء عشرين من شوال : توفي الولد شرف الدين الحسن بن يحيى بن الحسين ، ولد كاتب الأحرف بألم الحلق ، كان مرضه رحمه الله آخر نهار الجمعة خامس عشر الشهر ، ومات بصنعاء فكان له وقع عظيم عند والده كاتب الأحرف للعله[1] الطارئة التي حصلت في هذه المدة ثم شيعناه رحمه الله من الدّار التي لنا قريب الأبهر إلى بئر العزب غربي صنعاء وقبرناه قريباً من بيتنا ومَخْرفنا في مكان مناسب لمثله ويقرب من التذكر لنا والتأسّي به ، وللدعاء بأطيان بئر طاهر التي لنا ، وكان هذا المحل الذي قبر فيه رحمه الله كثيراً ما يتعوّد القعود فيه وحده عند ساقية الماء الجاري من البئر يسقي الضيّعة التي معنا والأعناب فيها ، وكان سنّه يومئذ في عشرين سنة ونصف ومولده سنة خمس وسبعين وألف ، وكان لا يفارقنا رحمه الله في بقائنا بصنعاء وفي الخريف في هذا المحل خارجها إلاّ هذه السَّنة فانه اختار واسترجح بعدم الخروج لنزهة الخريف معنا ، وكنا نحبّ مطابقة غرضه ومسايرته فسكن هنالك إلى آخر الخريف ، وكان موته رحمه الله ، وكان فيه صفات ما رأيتها في أحد من أمثاله وأبناء جنسه رحمه الله من السكينة التي رزقها وكمال العقل والقناعة ، بحيث لم يسألني في مدته حاجة ولا مطلبه ، وإنما كنت أعرض عليه ذلك عرضاً فيأخذه مني ، وكان لا يخطر بباله يسأل الدولة ولا القصد إلى أبوابهم ولا الاتصال بهم بالجملة الكافية ، فما وصل إلى أحد منهم في جميع مدته ولا عرفهم ولا كاتبهم ، وكان قد ولع بالصلاة بجامع صنعاء محبة منه للجماعة والتلاوة ، فكان لا يتركها للمغرب والعشاء كل ليلة رحمه الله ، وكان من جملة المثبطات له في السكون بصنعاء هذا العام وعدم الخروج لنزهة الخريف هو ذلك ، وربما زوجته أحبَّت سكونه بصنعاء فسكن معها ، وكان رحمه الله يشتري من الكتب ويحب مطالعتها خصوصاً ما فيه من القصص والأخبار والآداب ، وكان قد قرأ على كاتب الحروف في «كافية» ابن الحاجب شرفا واحداً ، وله الخط الحسن ، واللفظ البليغ المحكم ، وكان يظهر معه رحمه الله البركة فيما تحت يده بحيث ذكرت له مرة : أني عجبت فيما رأيته معك من الفراش والكتب ونحو ذلك وما يَشْتريه من الكسوة له وأهله من أين هذا ، فقال :

---

(٢) الأصل . العملة

الأمور متيَسّرة فعلمت أن ذلك إنما هو بركة القناعة فانها رأس الغنى ، فرحمه الله رحمة واسعة وتلقاه بالروح والريحان والرضاء والغفران ، ولقد كان رحمه الله في بعض السّنين ونحن بالخريف يدخل في رمضان إلى جامع صنعاء من بئر العزب للصَّلاة ويبقى في الجامع إلى قريب الغروب يصلي فيه ويتلو القرآن هنالك ثم يخرج إلى عندنا هذا دأبه .

ووصلت أبيات في تاريخه رحمه الله من سنبل بن سرور[١] رعاه الله برعايته[٢] وأحسن إليه في دنياه وآخرته يقول فيها :

جرى حكم المنية في الزمان ... بأن المرء مخترم الأماني

وأن الفارس الحسن بن يحيى ... يموت وما سوى الرحمن فان

مضى لن يقض من دنياه سوء ... ونادى يا خليلي ودّعاني

وولى غير ملتفت إليها ... سريعاً غير ثان للعنَان

فإما رمت تعرف أين ولّى ... فارخة « إلى ظل الجنان »

وفي هذه المدة بعد حصول الغلاء في الأسعار بقلّ الأمطار وضعف الثمار ومما حصل من أكل الجرمي من الدّود للزرائع حصلت الركة في كثير من الناس ، بحيث أنها غلقت بعض حوانيت مدينة صنعاء ، وضعف فيها البيع والشراء وترك جماعة المساني بشعوب لفترة[٣] العلف لقراشهم وأكل الدود لثمارهم وصارت أصلاباً[٤] أموالها وخلت بيوتها وصَلُب بعض أعناب الجراف ويبس الغيل فيه وعدم المساني وغور الأبار ونزول الماء فيها ، وعدم الاستقرار فيها على ما كان أولاً ، وكذلك صلب بعض الآبار التي داخل صنعاء كسمرة[٥] والعَلَمي[٦] وغيرها وبعض المقاشيم[٧] وبطلوا المَسْني فيها ويبس بقلان وادي بقلان ببني مطر ويَبست فيه الأبنان[٨] وشعوب صَلُبت بعضها لعدم قدرتهم على

---

(١) هو الأديب سنبل بن سرور الكوكباني ، ترجمته في نشر العرف ١ : ٧٤٣

(٢) كذا تقرأ هذه اللفظة .

(٣) تقرأ هذه اللفظة في المخطوطة هكذا « لفكرة » وربما كانت « لعرة » .

(٤) أصلاباً : جمع . صلب وهو الموضع المقفر الخالي عن الزراعة بعد احصراره ونصارته .

(٥) سَمُرَة : حارة من حارات صنعاء في الجهة الشرقية الشمالية .

(٦) العَلَمي : بفتح العين واللام نسبة إلى مسجد العلمي من مساجد صنعاء وتنسب إليه الحارة مما يلي سائلة صنعاء من جهة الشرق .

(٧) المقاشيم : جمع مقشامة بساتين المساحد الزراعية وغيرها ، وتكون غالباً داخل المدينة صنعاء ، حيث يزرع فيها الكراث والبقل « القشمي » عند أهل صنعاء ومن هنا جاءت تسميتها والله أعلم

(٨) الأبنان جمع بن (بُن)

علف قراشه[١] وأكل الدودي[٢] لزراعتهم فيها ، وعلى الجملة أنه لا يعلم أن قد اتفق مثل ذلك فالحكمة لله سبحانه .

وفي ثامن هذا الشهر : جاء خبر من اللحية بأن الجلاّب التي لحسن بن المتوكل حيَّرت بجدة عن رجوعها إلى اللحية .

وفيها : أرجعت قبائل قيفة والرّياشية القُباض الذّين أرسلهم حسين بن حسن للزكاة من تلك البلاد ، فوصل حسين بن حسن من ضوران وهو مستقر فيه هذا الأوان إلى حضرة ابن عمه المؤيد وهو بمعبر جهران ، وقال : يرسل بعسكر لهذا الشأن ولا يترك المَشْرق فبقي المؤيد في الحَيَران لما كثر الاختلاف عليه من الأقران .

ووصلت رسالة من قاسم صاحب شهارة يذكر له أنه بلغه رفع المطالب من اليمن الأسفل بلاد حيّ[٣] صنوه علي بن المتوكل وخصوصاً دراهم دكة تعز لأنها قد بلغت هذا الزمان في الشهر ثلاثين ألفا بعد أن كانت[٤] . . . . وأنه يحتاج إلى ذلك للعسكر وغيرهم وقد مرّ عليه أبوه فمن قبله وكان يومئذ هذه المطالب باليمن الأسفل دون ما كان آخر مدة المتوكل فلو أنه خفَّف من المطالب الزوائد ، وإلاّ فان الجور قد حصل عليهم فالمؤيد مصيب في رفعها والعدل واجب بلا شك والله يقول «وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان »[٥] والظلم ظلمات يوم القيامة وعُقْباه الحسرة والنَّدامة ، فلا وجه لاعتراض صاحب شهارة ، ولا صاحب المنصورة ويجب عليهم العدل في الرعية والسيرة المرضيّة واجتماعهم في الكلمة مع أن رفع المطالب الأخر في اليمن أقدم من دراهم دكة تعز لأنها تخص أهلها ودراهم دكة تعز تعم لأنها للطّالع والنازل من التجار من جبَلها وسَهلها ، فرفع المطالب في اليمن على رعيته أقدم وأهم لأنها كثرت عليهم ، فأنها نحو عشرين مطلبة ، فالمؤيد رجح رفع الزاوئد في المطالب في بلاد دكة تعز من الشيخ راجح وأبقى ما كان قبله .

وفي هذه الأيام : أمر صاحب المنصورة آنه لا يخرج أحد من الباب إلا بتذكرة إلى

---

(١) القراش : ماشية الرراعة (سبق) .

(٢) كذا : صوابه الدود وكأن الدودي هو في عامية أهل اصنعاء .

(٣) حي . من عبارات التكريم عند أهل اليمن وهي بمعنى حضرة عند غيرهم والله أعلم .

(٤) كذا لم يكمل المؤلف بقية الجملة .

(٥) الآية ٢ سورة المائدة .

البواب فتضرر الناس بسبب ذلك ، وسبب ذلك أن العسكر الذين يصلون إليه لا يستقرون بل يستعدون ويخرجون ، فعمت القضية فتضرر الناس بسبب ذلك العسكر وغيرهم وتقاللوا بحضرته لأن ذلك جرى مجرى الحبس والترسيم عليهم مع ركة أحوالهم وغلاء الأسعار ومشقة السَّبار[١] فان الغلاء في هذه الأيام قد طال ، والأسعار باقية على الارتفاع ، فانه هذا الوقت كان وقت الصراب ولم ينقص السعر بل القدح الصَّنعاني بثمانية حروف ، والشَّعير بأربعة ونصف ، والذرة بخمسة ، وله في الارتفاع من شهر رجب فظهر على كثير الركة ، ورحل كثير من المشارق وبلاد صنعاء لطلب المعاش ، وظهر على الدولة الضعف والركة والحاجة الماسة خصوصاً أولاد أحمد بن الحسن وباعوا في الأسواق أثاثهم وكذلك من ينضاف إليهم ممن كان ملازماً لهم ، ورخصت الأسعار في المغارب وبلاد خُبَان ويريم إلى ذمار ، لأن الثمرة كانت فيها أحسن من غيرها فبلغ القدح إلى حرفين وستين بقشة ، وأما صنعاء فلم يزل سعرها ، بل على حاله وسببه ضعف مخاليفها ، وصار يصل إليها الحبّ محمولاً ويلحقه ملحوق الكرى من هذه البلاد مثل النصف فلذلك كان في صنعاء على الارتفاع . القدح البر بسبعة حروف ، والشعير بأربعة ، والذرة كذلك .

وفي هذه الأيام بهذا الشهر : ترجح للسيد محمد بن علي الغرباني الذي كان مدة المتوكل ببرط يدعي الإمامة كما سبق ، وكان هذه المدة بصنعاء أن دخل بلاد يافع متنكراً في لباسه لباس أهل المشرق يسير معية مع بعض من سايره ، وكانت طريقة مشرق رداع حتى دخل إلى تلك الجهة يريد إذا وافقته يافع على اجابة دعوته ويحملهم على البغي على المسلمين مما يبوء بإثمه ، فلا قوة إلا بالله ، ولما وصل يافع صار بحسن لهم ما فعلوه مع الدولة .

وفي نصف[٢] شهر الحجة : قبض المؤيد بلاد تعز من البلاد التي كانت مع صنوه علي بن المتوكل ، فتغير من ذلك حسين بن المتوكل ، إذ محصولها إليه بلاد والده ، وأرسل رسولاً إلى المؤيد من أجل ذلك ، وكاتب إلى صاحب المنصورة وتقوى بجانبه أن احتاج إليه في حفظ بلاد والده ، وعند هذا سار صاحب عمران حسين بن محمد بن أبي طالب

---

(١) سق .

(٢) هذا الخبر إلى قوله « إلى بلاد ولده » ضرب عليه المؤلف وقبله محو كبير استغرق الصفحة كلها .

إلى حصن مَبْين حجة فتعب من ذلك المؤيد كثيراً ، وأرسل إليه أنه يعود إلى محله فاعتذر بأن معه هناك حلة من مدة أحمد بن الحسن وطلب منه المهلة وهو يعود فاستمد من البلاد بعض شيء مما كان له معنياً وزاد لأن أحمد بن الحسن هو الذي كان ولّى بلاد حجة والده محمد بن أحمد لأجل دخوله تحت طاعته وجعل له من محصولها جانباً واستثنى جانباً فاستمر على ذلك ولده بعده ، وكان هذا العزم طمعاً في ثبوت اليد له عليها أجمع ، والمؤيد كان قد كتب أنه يقتصر على المعتاد له ولا يسلم إليه أحد من أهل البلاد .

ودخلت سنة سبع وتسعين وألف

استهلت بالحساب بالثلاثاء وبالرؤية الأربعاء ، وحصل هذا اليوم مطر أوائل الربيع عم أكثر اليمن الأعلا والأسفل ، وتهون السعر الثلث مما كان أولاً لكن حصل من قبل الدراهم الانكسار في البيع والشراء لأجل شرك الضريبة فنقص الصرف للقرش بدون وزنه يمثله من هذه الدراهم مع كثرة النحاس فيها فانه كان الصرف للقرش للتجار بعشرة حروف أولاً ، وهذا الوقت بلغ ستة أحرف مع أن الأسعار والأجر بعد ارتفاعها أولاً لأجل الدراهم ما نقصت بنقص الصرف لعدم جري الضربة على مقدار واحد لا يختلف فأوقع في هذا الخلل .

وأخبر الحاج : أن السعر كان بمكة الكيلة بستة عشر بقشة مصري والزوار أخبروا أنه كان بالمدينة المنورة الكيلة بأربعة كبار وان تلك البلاد والحجاج صالحة وان الغلاء في اليمن .

وفي ليلة نصف شهر محرم : خسف القمر في برج الجوزاء عقب نصف الليل ابتداؤه سواد ثم بحمرة وتجلى أول السحر .

وفي غرة شهر ربيع الثاني : اتفق قران الزهرة والمريخ في برج الحوت .

وفي هذه السنة : ما زال السعر فيها مرتفعاً ، البر بلغ إلى سبعة أحرف من حساب قرش واحد ولكنه دون سنة القحط الكثير الذي في سنة تسع وسبعين فانه بلغ فيها سبعة عن قرشين وكسور لأن الصرف كان ذلك التاريخ من ثلاثة أحرف ، والقدح كان أصغر ، وان كان القدح قد فيه زيادة على ما كان زمن حيدر باشا ، وأول هذه الدولة قدر النصف ولكن فيه غلاء والحكمة لله . ولقد اخبرني رجل وصل هذه المدة إلى صنعاء يقول انه شريف

من مدينة قندهار[1] ما بين بلاد صاحب سمرقند وبخاري والأزيك وبين بـلاد الشاه عباس الإمامي قال : نفس مدينة قندهار مذهبهم اثنى عشرية على مذهب الشاه عباس وهـــم بخارجها حنفية لأنـها طرف بلاد الشاه وما اتصل بهم بلاد بلخ حنفيه تتصل إلى سـمرقند وسلطانها صاحب سـمرقند والأزيك بـلاد كاشغر حنفية كلهم فقـال المذكـور : بلادهم بلاد خير والأسـعـار بـالنظر إلى اليمن رخية وان قدر الزبدى عشرين قدحاً بقرش والخمسين الرّطل السمن بقر ، وبلادهـم تزرع الأرز والبروالشّعير والعنب والفواكه دون الذرة فلا تجيء في بلادهم لأنها باردة ، بردها أشد من جبال اليمن لأنه ينزل فيها الثلج في الربيع والشتاء والأنهار تفجر من آباره من الجبال ويزرعون عليها ،هذا ما ذكره المذكور .

وفي سادس وعشرين شهر ربع الآخر : كان تحويل سنة العالم بدخول الشمس أول درجة الحمل ، فكان المشتري في العقرب ، والمريخ في الثور وكذا الزهرة وعطارد وزحل في السّنبلة ، والقمر في الحوت والذّنب بالقوس وكان أيضاً طالع السنة .

وفي نصف جمادي الأولى : وصل أحمد بن المؤيد من نواحي بلاد شهارة في أصحابه وبعض مشايخ بلاده قدر أربعمائة ومَرّ صنعاء سكن بها قدر ثمانية أيام . وصنوه القاسم بن المؤيد نزل شهارة واستَقرّ بخمر ، وأجاش كثير من أهل تلك الجهة ، وأظهر أن هذا اجابة للمؤيد في طلابه الأول فاجتمعوا إلى خمر وأمرهم بسكون بيوت أهل خمر فقالوا له : ما يصلح دخولهم البيوت إلاّ ما هو معتاد وما زاد فالخيام ، فلم يعذره ، فاستنكر منه ذلك من لم يعرفه ما هو عليه من اعتقاد تلك الجهة فيه ، ولما استقر المؤيد بصنعاء ضَرَب النَّاس فيه وفي صنوه القاسم الظنون والأوهام ، وقال من قال : هذا يريد انه إذا جرى على المؤيدي بن المتوكل حال هو الأمير وصاحب الكلام ، وأن مراده في الباطن التقرب من صنعاء والبسط عليها ، وحسين بن المتوكل داخله الوهم أيضاً فقيل انه كتب إلى صنوه المؤيد أنه أرسل لأحمد إلى حضرته ثم سار أحمد بن المؤيد إلى مَعْبر ، ولكن القاسم من بعد ذلك فكّر في هذا الأمر وأن القيام في هذا الوقت كالمتعذّر من كل وجه لأن بلاد اليمن أجمع قد استكمل فيها التقسيم والتغلّب في بعضها من أولاد المتوكل أجمع ، ومن أولاد أحمد بن الحسن ، وأولاد أحمد بن القاسم وغيرهم ، وكان بقى الذي في يد المؤيد بن المتوكل مع أن محصولها كان لا يقوم بحاله والآن استغرقت ، فصنعاء

(١) قندهار . ولاية في أفغانستان الجنوبية كثيرة الأنهار .

وبلادها مع صنوه الحسين ، وتعز والمخا تغلب عليه محمد بن أحمد بن الحسن صاحب المنصورة ، وحراز أرسل إليه حسين بن المتوكل من اللّحية بعض أولاده ، وريمة وبرع ونواحيها دخلها زيد بن المتوكل ، وضوران وآنس استولى عليه يوسف بن المتوكل ، فاستغرقت بلاد المؤيد التي كانت باقية بيده مخرجة عن المقطعات في زمانه ، فلم يبق حينئذ مادة لمن يقوم في هذا المنصب مع أن أكثر المخاريج والقاصدين إليه ، فما ذاك يسلّم لهم ولهذا الأمر اقتضى نظر القاسم صاحب شهارة التّوقف وعدم المسارعة في الدخول في هذا المنصب مع من ادعى من أهل الاقطاعات هذا المنصب وليس له أهليه ، ولكنه قدّم المكاتبات إليهم بالنظر فيمن يصلح يريد عسى يجتمعوا عليه ويضعون الأمر إليه ويمدونه بما يحتاج إليه . وهذا أمر متباعد .

وفي هذا الشهر : قصدت برط إلى الجوف إرادة الانتهاب للثمرة معهم ويفعلون كما فعلوا المرة الأولى ، وكان أهل الجوف من الأشراف والقبائل قد حذروا منهم واستعدوا لهم ان قصدوهم ، فدافعوهم عن أنفسهم وخرج فيهم فرسان الأشراف فمنحهم الله أكتافهم وقتلوا كثيراً من كبارهم وأشرارهم ، بلغ القتل منهم قدر اثنين وسبعين نفراً وهرب الباقون إلى بلادهم ، أخذوا بالثار فيما وقع منهم سابقاً كما وصفه رجل منهم .

والمؤيد هذه الأيام لا يقضى لأحد غرضاً ولا يتصل به قاص ولا دان والآلام قيل أولها من قبيل السل الدق[1] وقيل من قَبيل الاستسقاء وانه طال علَيه ، ثمّ ظهر آخره الورم العظيم في وجهه وأيديه واستقوى عليه الألم ففصد في القيفْال[2] عرق الرأس ، ثم وصل طبيب من المخا زاد أمره بفصد آخر بين أصابعه ، ثم أَعطاه شربة وكثر عليه متابعة الاستفراغات فانحطت قوته بالمرة والحكماء يمنعون متابعة الاستفراغات لاسيما مع ضعف قوة المريض ، فانه لا يعارض شيئاً منها ، فكان يحصل معه ما يحصل ، ثم آخر أمره تقبض كثيراً بمعبر وأمر بإخراجه منه إلى حَّمام المعرة ثم يريد طلوعه جبل ضوران ، فساروا به في التختروان[3] في جهرا ، ثم لما أشرفوا على وادي الخيرة حمله الرجال فوق أعناقهم ، وكان قد منع الناس عن السير معه فلم يسر معه إلاّ من يحتاج إليه من الخدم ، وكان خروجه من معبر يوم الأربعاء آخر يوم من شهر جمادي الأولى ، ومات آخر نهار

---

(١) السل الدق : هو السل الذي تلحقه حمى الدق . كما هو معروف عند الأطباء

(٢) القيفال : عرق في الدراع يفصد لأمراض ، معرب كيفالكي ، باليونانية ومعناه الرأس وقيل عربي

(٣) التختروان : هَوْدج كالمحمل . فارسي مركب من تحت وروان ، ومعناه الذهاب والمجيء أو السفر

الخميس غرة شهر جمادى الأخرى في الحّمام ، وقضى الله عليه الوفاة بأجله المحتوم الذي لا يفوته الهارب ولا ينفع الدواء من أمر الله الغالب . وكان المذكور قد رفع مظالم كثيرة من البلاد التي نفذت بها يده وحكمه كبلاد صنعاء وبلاد حراز وضوران وأما اليمن الأسفل ، فلم ينفذ فيها كلامه ، ولم يسمع فيها قوله ، وكانت البلاد قد تفرقّت فكل له فيها حكمه وإنما له فيها مجرد النسبة والخطبة والسكة ، ورفع من الأسواق بصنعاء وغيرها المجابي ، وكان يحب العدل والرفق ولا يعاقب إلا بمقتضى الشرع إلاّ انه كان قليل الرأي ، ومن ولاه من العمال والخزان لا يحاسبه ، ولا يسمع من شكا به ولا يَرْفعه ، فأكلوا وجمعوا من ذلك جمعاً كثيراً من الذهب والقروش والخزائن والفلوس ، ونقص على كثير من أهل التّقارير تقاريرهم وعاداتهم ، وكان قد شرع في ذلك والده آخر مدته فربما تبع أثره ، ولكنه رحمه الله غلب ذلك عدله الذي تفرد به في هذا الزمان عن غيره ، واتفق بحكمة الله وتقديره جميع مدته من أول ولايته بصنعاء في وقت والده عقب وفاة علي بن المؤيد بن القاسم إلى آخر مدته غلاء الأسعار وقل الأمطار ، والسعر في هذا الشهر البُرُّ بقرش والذرة بقرش إلاّ ربع فالحكمة لله تعالى ، واتفق أيضاً وفاته ووفاة والده وأحمد بن الحسن في شهر واحد وهو شهر جمادى الآخرة فهذا قل أن يتفق مثله ، وقبر بجبل ضوران جنب والده رحمه الله تعالى ، وكان له حالة عظيمة في التواضع وعدم التّكبر والترافع على ما هو فيه من الملك والرياسة ، والا يتعرض إلى شئ من جوابات المسائل والفتاوى بل يردها إلى العلماء والقضاة ليس كأحمد بن الحسن في بعض المسائل يجيب بحسب الاتفاق ،فإذا اعترض قال هو له باجتهاد ، وما هلك امرؤ عرف قدره ، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

وأول نابح في خامس هذا الشهر جاء الخبر بأن يوسف بن المتوكل صنو محمد دعا مَنْ عنده إلى إجابته ، فأجابه البعض وخالفه الأكثر ، وكذلك حسين بن عبدالقادر الكوكباني فانه كان حاضراً بمعبر ينتظر الولاية هو وصنوه وبعض أعمامه ، فترجح له دعا إلى نفسه فأجابه أصحابه وخالفه سائر الناس ، وخرج من معبر ساعياً إلى بيته حصن كوكبان وبلاد مع أن صنوه حسن مباين له وغيره من اقاربه ، وابن حورية المؤيدي السيد أحمد بن ابراهيم كان بصنعاء عقب وصوله من بلاد صعدة يريد القصد إلى معبر ، فلما بلغه مرض المؤيد تحيّر بصنعاء ،ثم لما بلغه موت المويد أصبح مسافراً وخرج عازماً إلى

بلاده ، ثم جاء خبر بإدّعاء السيد علي بن حسين الخولاني من خولان صنعاء أجابه السادة بنو الشامي وبعض أصحابه وخالصه جميع القبائل فلم يجيبوه إلى ما أراد ، وكتب حسين بن المتوكل إلى مشايخ بلاد مسور وخولان بأنهم لا يغتروا به ، ثم جاء خبر صاحب المنصورة ،كل هؤلاء ادعوا الإمارة والإمامة على زعمهم ، وما هو إلاّ دعوى ملك وسلطنة لعدم كمال الشروط في جميعهم وأكثرهم نيته بذلك إنما هو لحفظ بلاده ، فلا قوة إلا بالله ، ونية دعوى الملك قد ذكر العلماء أنه تحرم إجابته مع كمال الشروط ، فكيف مع الاختلال من الجانبين ، فكان هؤلاء إلى الآن من هؤلاء الدعاة ما سطر[1] من الكثرة مع علي بن أحمد صاحب صعدة تفرّقوا في هذه الدعوات ، وكل من الناس اتبع هواه في اجابته ممن له تعلق بهم ، وأما سائر العباد ممن ليس له تعلق فبقى حائراً في أمرهم ، وخزائنه التى بصنعاء كانت بنظر الفقيه جابر[2] بادر إلى حمل بعض شيء من الصناديق إلى بيته وفرقها مع أهل عملته وتجارته لئلا يظهر عليه طلبه ، وبقى في بيته بعضها فلما فطن حسين بن المتوكل ببعض شيء من ذلك قبض منه المفاتيح ليحفظ ما بقى من الخزانة ، وأما خزائن ضوران فهى مع يوسف بن المتوكل ومع إبراهيم بن المؤيد تصرف فيها ، وقبضها أيضاً من يد ولد الفقيه جابر الحازن هناك لها وانتهبه وحصانه ، ولما بلغه انه قد حمل إلى بيته منها فاستَدْرك أيضاً باقيها .

ووصل إلينا كتاب حسين بن محمد بن أحمد بن القاسم يذكر فيه دَعواه إلى درجة الإمامة التي صار هذا الزمان يتطفل عليها الناس ، فأجبناه بما هذا لفظه :

بسم الله الرحمن الرحيم : وصلت إلينا إشارة السيد شرف الدين الحسين بن محمد سَلّمه الله وأرشده إلى سبيل الخيرات إن شاء الله ، والكتاب وصل بالتعزية في المرحوم المؤيد بالله رحمه الله ، فالله يخلفه على الجميع بأحسن الخلافة ويتلقاه بالرحمة والرأفة والرضاء والمغفرة فانا لله وإنا إليه راجعون والدنيا حقيرة وأحوالها خطيرة وتكاليفها شديدة أبى من تحمل التكليف فيها السموات والأرض والجبال وحملها الإنسان انه كان ظلوما جهولا كما ذكره الله في محكم الكتاب بقوله تعالى ﴿إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان أنه كان

---

(١) كذا في الأصل ولعل صوابه « ما صَدّر »

(٢) هو الفقيه جابر بن عامر الحمري صاحب الامام المؤيد ومتولي أعماله ، أنظر في ذلك مذكرات المؤيد بالله : ٨٠ « تحقيقنا » .

ظلوما جهولا ﴾[١] فالله يرحم ضعفنا ويحسن خاتمتنا ويبصرنا عيوبنا بفضله وكرمه ، وما ذكرتـم من جـهة الـدَّعوة فـلهـا شروط كـثيرة معـروفة في الكـتـب الـمسـطورة ، وصـار هذا الزمـان تلـك الشروط مطّـرحة ، وأمـا دعوى الـملك فـالملـك لله يؤتيه من يشـاء كـمـا قال تعـالى﴿قل اللـه مالك المـلك تؤتى الـملك من تـشاء﴾[٢] وكان عـليكـم وعلـى غيـركـم ان تقفـوا على ولايتكـم الأصلية المـنتسبة إلـى التولية الأولـى من الآباء والأجداد ، وتنـهوا عن المنكر وتأمروا بـالمعروف فـي جهتكـم وغيركـم مـن الـولاة كذلك يقتصر كـل علـى جهـته بتلـك الإصالة الأولى كمـا هو قول كثير من العلـماء ، ولا يتعدى أحـد على أحد بمـحاربة ولا مضـاررة ، فإن سـفك الـدماء والـمظـالـم عـند الـلـه عـظـيمة ، ومـع صـلاح الـنيـة لصـلاح المسلمين لا لصلاح الـخاصة فإن الأعمال بالنيات في حديث البخاري الـمتواتر عن النبي صلى الله عليه وسلـم أنه قال[٣] «إنما الأعـمال بالنيات ولكل إمـرىء ما نوى فمـن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسـوله ، ومن كانت هجرته إلى إمرأة ينكحها أو دنيا يصيبها فهجرته إلى مـا هاجر إليه » قال جدكم الإمـام القاسـم[٤] رحمه اللـه في جواب من سـأله عن الإمـامة ، فقـال : من كمـلت فيه شروطهـا ، ومن علـم منه أو ظـن أنه ما يـريد بذلك القيام إلاّ الملـك ولا يريد صلاح الإسلام حـرمت معاونتـه والقيام معه ، وكذا ذكـره غيـره من العلـماء ، فكيـف وسائر الـشروط لـم تكمـل ، فإنما هـو ملك والمـلك لله فـالذي أنصـحكم به مـن النصيحة الـواجبة انكـم تبصـروا في أنفسـكم وتستخيـروا الله في أمـركـم وتعتبروا بالـماضين من أسلافكم فلم تنفعـهم الدنيا ، وإنما الإنسان مرتهن بعمله مع إحراز دينه وتركه لاتـباع الهوى ، ولا تعجلوا هـذا الصنو قاسم بن الـمؤيد بالله محمد بـن القاسم عافاه الـله بلغنا انه وهو بذلك المـحل اعتذر فكيـف من هو دونه ، والله يأخذ بنواصيكـم إلى الخيـر ويصـلح الـمسـلمين ، وإياكـم إيـاكـم عن التـناحـر عـلى الـملك وانتـم أقـارب وأرحام ، والدنيا أحقر من أن تذكر ، وجميع مما لكـم عندنا بقلامة ظفر من أظفارنا ودعوة الحق لله تـعالى على عباده ، كما قال تـعالى «له دعوة الحق» ، ولا يغرك أهل نـعمتك فان المبايعين لـك أبناء دنيا مبايعتهـم لما يُنْقد لهم من الـدّراهـم ، فتوقف إن كـنـت ممن يـقبل

---

(١) الآية :٧٢ سورة الأحزاب .

(٢) الآية .٢٦ سورة آل عمران .

(٣) البخاري ١ :٢ و ٩ .٢٩ وأبو داود ٢٢١٠ ، والترمذي ١٦٤٧ ، والنسائي «الطهارة» ب٥٩ ، وابن ماجة ٤٢٢٧ .

(٤) هو القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، من أئمة الزيدية توفي سنة ٢٤٦ «اتحاف المهتدين .٤١» .

النصيحة انتهى ، وهذا كله منى لكم نصيحة فحيث كانت الدعوة للإمامة لأن لها شروطاً ، وأما دعوى الملك والسلطنة فلها باب آخر لكن أنتم أهل البيت ما يصلح لكم إلاَّ الاجتماع على من يكمل بها ، وإلاَّ اختل النظام ونودى بينكم إلى الفتنة والتنازع والخصام ، وهو خلل عليكم وعلى المسلمين لقوله تعالى « ولا تنازعوا فتفشلوا وتَذْهب ريحكم »[1] أي قوتكم . فهذا غاية نصحي لكم « إن أريد إلاَّ الإصلاح »[2] .

وفي عشية يوم الاثنين وقت العشاء :دخل السّيد محسن بن أحمد بن الحسن إلى صنعاء واصلاً إلى صنعاء من ذمار يريد محله الغراس ، وأساس انحطاط درجة الإمامة والدخول فيها بغير كمال شروطها ، أحمد بن الحسن وسبّبه الحاضرون من السادة والفقهاء ومحمد بن المتوكل لم[3] . فسهلوا له الوسيلة فدخلها ورغب مع ذلك إليها ،وإلا فان كتابه إليهم إنما هو بالوصول والمراودة في إقامة من يصلح والنظر ، فلما حضروا مجلسه تكلم الجهال أولاً بالصلاحية من أبناء نعمته من الملازمين له ،وفتحوا له الباب إلى ذلك فجرى ما جرى فسنّ للمتأخرين هذه الدّعاوي العريضة الطويلة في درجة الإمامة ، ومعلوم بالضرورة اعتبارهم شروطها ومعرفة العلم الذي ادعوا العمدة فيها ،وربما لفق من لفّق من الجهال إمامة المقلد وهو خلاف الاجماع ،على أن إمامة المقلد لمن يعرف بمسائل الفقه لمن يقلده فكيف فيمن عرى من هذا ، وهذا ، فلا قوة إلا بالله . فلو أنهم جعلوها دعوى الملك والسلطان وجمعوا عليهم بالحسبة مع ما فيه الخطر عليه ،كان هو القياس ولكن لا ذا تأتي ولا ذا حصل فلم يبقى معهم إلا التّنازع والدعاوي هذه التي قد ادعوها والله يلطف بالمسلمين ويرد ضرر الأشرار والمعتدين في نحورهم آمين .

وفي ثامن شهر جمادى الأخرى : وصل من القاسم بن محمد بن القاسم هذا الكتاب يقول فيه بعد التّرجمة إلى كاتب الأحرف : وبعد أحمد الله حق حمده وصلواته على محمد وآله من بعده . فانها وردت إلينا كتب من الأصناء الكرام ومن غيرهم من الأعيان الأهل الفخام منّبهة بما اختاره الله وقضاه وحكم وارتضاه وفاة الصّنو أمير المؤمنين وسيد المسلمين المؤيد بالله رضوان الله عليه وسلامه ونقل روحه الطاهرة إلى دار الآخرة فانا لله وإنا إليه راجعون وإنا إلى ربنا لمنقلبون . والحمد لله لا راد لأمره ، لا معقب لحكمه

---

(١) الآية :٤٦ سورة الأنفال .

(٢) الآية :٨٨ سورة هود .

(٣) هنا كلام مضروب عليه بقلم أحدهم وكل الصفحة ضرب عليها إلا أن يتضح بصعوبة فهمه .

﴿الذي خَلَقَ الموتَ والحياةَ ليبلوكُم أيكم أحسَنُ عَمَلاً﴾[1] وأطول اغتراراً وأملاً . والله يعظم للإسلام فيه الأجر ويعصم القلوب بعصمة الله الصّبر ، ويخلفه بأحسن خلافة ويتلقّاه بالرأفة والرحمة ويلحقه بسلف الصالحين وآله الطاهرين ﴿مَعَ الذينَ أنعمَ اللّهُ عليهم منَ النبيّين والصدّيقينَ والشُّهداء والصَّالحينَ وحَسُنَ أولئكَ رفيقاً﴾[2] واللّه يرزق الجميع حسن الاستعداد ليوم المعاد والتزود من التقوى بأكمل عدة وأكرم إرادة ، وبعد شريف السلام ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم ، تاريخه : شهر جمادى الأخرى سنة سبع وتسعين وألف ، ثم قال بآخره : الحاق خير إن شاء الله . ولا يخفا كم حماكم الله وقوع هذا الحادث الجليل والخطب المهيل ، فلا قوة إلاّ بالله العلي العظيم فحال صدورها ونحن في محل الاستخارة لله عز وجل وطلب الاستشارة من الأصناء ومنكم ومن جميع من دار عليه رحى الإسلام فيما يصلح به أحوال الأنام ، وحفظ بَيْضة الإسلام والله يقضيها بالخير والخيرة ، وشوركم مستمد ودعاؤكم وبعد شريف السلام ورحمة الله . انتهى كتابه .

وهذا جوابه : بسم الله الرحمن الرحيم . الصنو السّيد الأكرم العلامة الأعلم علم الإسلام القاسم بن أمير المؤمنين محمد بن أمير المؤمنين القاسم بن محمد حفظه الله . وأهدى شريف السلام ورحمة الله وبركاته ، وبعد فانه وصل كتابكم بما بلغكم من وفاة الصنو الفاضل العادل المؤيد بالله محمد بن المتوكل على الله فالله يتلقاه بالمغفرة والرضا والرحمة وأن يخلف على المسلمين بأحسن الخلافة ، وينشر على روحه الرّوح والريحان فانه الجواد الكريم ، وكان المذكور كما عرفتم نادرة هذا العصر في محبته للعدل ورفع المظالم واهتمامه بذلك مما يمكنه رفعه ويمر فيه كلامه إلاّ أنه رحمه الله كان قد امتحن بأهل عصره من المخالفات وعدم الامتثال في المنهيات إلاّ اليسير ممن أثر كلامه وما هو تحت يده ، وهي الخصلة الرفيعة والمنقبة لها الجسيمة . هذا وما ذكرتم من توقفكم رعاكم الله وأحسن إليكم عن المسارعة إلى الانتصاب لهذا الأمر العظيم والتكليف الشاق الفخيم الذي هو كمال قال الله تعالى ﴿إنَّا عَرَضْنَا الأمانةَ علَى السَّموات والأرض والجبال فأبَيْنَ أن يَحْملنها وأشفقنَ منها وحَمَلَها الإنسانُ إنَّهُ كانَ ظلُوماً جَهُولاً﴾[3]

---

(1) الآية ٢٠ سورة الملك .

(2) الآية : ٦٩ سورة النساء .

(3) الآية : ٧٢ سورة الأحزاب .

وانكم اقتضى نظركم الاستمداد للمشورة من الأصناء والعلماء فلقد اتبعتم عين الصواب ووافقتم الأمر الذي لا يستعجل لمثله ولا يعاب ، فان المسارعة عن الاجتماع للكلمة هو محل المنازعة التي بسببها تحصل والعياذ بالله المظالم وعدم الصّلاح للمسلمين والمآتم ، لاسيما ما يقع فيه من سفك الدماء وانتهاب الأموال ، ولاسيما ما يقع فيه من قطيعة الرحم قبل الاتفاق والنظر ، فلقد أدركتم بذلك الفضل والرأي الحسن ، وإلاّ فان هذا الزمان قد ارتكب النّاس التطفل على مرتبة الإمامة والدّعوى بمحلها والتسمي باسمها ، وجهلوا شرطها ، وما هو المقدم فيها مما يحار الإنسان فيه ويعجب من الذين يعينهم عليه ، فان الإمام القاسم رحمه الله ذكر جواب من سأله عن الإمام فقال في الجواب : هي لمن تم له شروطها المعروفة عند العلماء ولا بد مع تمام شرطها من العلم انه بدخوله فيها لم يرد الملك والدنيا وإنما يريد صلاح عامة الإسلام ، فان علم منه انه يريد الملك حرمت معاونته واجابته ، وذكر مثل ما ذكره رحمه الله غيره من العلماء ، فإذا كان هذا الشرط مع كمال الشروط ، فكيف حال هؤلاء الذين دخلوها وليس لهم من شروطها إلاّ الدعاوي الباطلة فانهم ادعوا من جهة تصرفهم في بيت المال لمن يتعلق بهم ، فتعجب أيها العارف هذه الشبهة الظاهر بطلانها لأنهم أظهروا أن مرماهم الاهتمام بالمحبة للدنيا ، فأظهرت عليهم نيتهم الفاسدة انها ليست لصلاح الإسلام ، وإنما هي لأكل الحطام ، ثم أن تصرفهم مع بطلان دعواهم بكمال شروط الإمامة ، فإذا بطلت الإمامة بطل فرعها من الولاية وصحة التصرف ، فكان لو أنهم جعلوها سلطنة كغيرهم من السّلاطين وتحاشوا عن دعوى الإمامة ، فإما أن تكون حسبة على قول ، أو بالغلبة على قول أهل السنة ، والإمام شرف الدين في جواب مسائله ونهج البلاغة وشرحها للامام يحيى[1] في بعض خطبه فانه قال الإمام يحيى في الديباج عند شرح الخطبة المصرحة بتقرير المتغلب للضرورة سلطان ظلوم خير من فتنة تدوم ، والله يأخذ بنواصينا وإياكم للخير آمين . لكنه صار يورطهم في ذلك جلساء السوء وأهل نعمتهم لأجل يأكلوا معه مما جمعه لهم فالله يوفقنا وإياكم لرضاه . وأنت أيها الصنو مع توقّفك واقتحام من هو دونك لها وعدم التوقف على شرطها أولى بها وأحق إن شاء الله ، وان صنوكم ليس له خبرة إلاّ بمجرد الوصف بيد أن ننبهكم على أشياء تبلغنا في مثل

---

(١)يعنى الامام يحيى بن حمزة المتوفي سنة ٧٤٩ في شرح نهج البلاغة المسمى « الديباج العرصي » .

المسارعة في الأداب لمجرد وصول الشاكي من غير مناظرة وحقيقة وترك لشيء من العوائد المارة للسابقين ومن له رعاية لمن وضعوها من استحقها ، فهذا مما ينبغي مراعاته وشرطه ، والتحقيق في الآداب بالدّراهم بالأموال مع ما في الآداب بالمال من الخلاف بين العلماء كما حققه ابن بهران في « بهجة الجمال »[1] وغيره فان المصادفة لمن له هوى وعداوة لا يخفاكم خَطَرها ، وعليكم إن شاء الله مع تمام هذا الأمر أن تم الافتقاد للعمال ومحاسباتهم كل سنة لأن المؤيد رحمه الله أهمل المحاسبة لهم وأبقى أهل التّقارير بالمكيال الأول حسبما كان عليه والدكم واخوته ، وعدم الرجوع في الخطوط والمواضيع الأولى واللأّحقة ، وتنزيل النّاس منازلهم ، ورعاية أهل المناصب والعلماء والمتعلّمين بالكفايات وافتقاد الأوقاف والمحاسبة فيه للنظار عليه كل سنة ، وافتقاد المكيال الذي صار الصّانع له يلعب به كل وقت ، وهو الجحدري الحداد ، فانه ما يزال يسارقه في الزيادة شيئاً فشيئاً في كل شهر ، مما أدى إلى الربا المحرم في القرض والمداينة حيث يأخذ بمكيال ناقص ثم يقضيه وقد زِيْد فيه والرجوع إلى مكيال والدكم المؤيد رحمه الله الذي كان بصنعاء في مدته وآخر دولَة السلطنة[2] فانه الآن قد صار نصف هذا المكيال ولأجل صيانة بيت المال بسببه في التقارير لأنه زاد النِّصف وزادت بسبب الزيادات الأسعار ، وكذلك الضريبة تغيرت فيكون عملها على قدر معلوم بالميزان لا يختلف كما لا يختلف قَدْر القرش ، هذا ما يتوجه البيّنة عليه ، وكذلك ان حصلت المكنة في مطالب اليمن الأسفل التي زادت على ما كان الزمان الأول ، وقد كان أراد المؤيد بتخفيفها لكنه ما تم ذلك كله لموانع منعته ، وكنت ذكرت له من أجلها وكانت نيته مباركة رحمه الله وخيار الأمور أوساطها ، هذا ما يتوجه إليه عليكم إن شاء الله ، وقد أجبنا على بعض من ادعى مرتبة الإمامة وليس بأهل ، بأن الأولى له أن يتوقف فيها كما سبق ذكر جوابه هذا ، ولا تتركون المفاوضة كما قد ذكرتم بمثل حسين بن حسن ، وصاحب المنصورة ، ومحسن بن أحمد بن الحسن ، لأنهم إذا وافقوكم فهم الذين يخشى من جنابهم وأنتم أمثل موجود إن شاء الله ، وكذلك مفاوضة حسين بن المتوكل ولعله يجب إلى جنابكم ، والله يلهم الجميع إلى اجتماع الكلمة فيما بينكم فان المطلوب المهم تسكين الدهاء وصلاح المسلمين ،

---

(١) بهجة الجمال : ٦٩ط مصر سنة ١٣٤٩هـ .

(٢) يعني السلطنة العثمانية .

«وإنما الأعمال بالنيات وإنما لكل إمرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجّرته إلى دنيا يصيبها أو إمرأة ينكحها ، فهجرته إلى ما هاجر إليه»[١] الحديث .

وَوَصلت كتب عيال المتوكل أجمع إلى صنوهم الحسين بن المتوكل وهو بصنعاء ، وهم قاسم صاحب ثلا واخوتهم الذين بضوران أجمع وأنهم مجيزون لما رآه حسين بن المتوكل وتابعون له وكذلك حسين بن حسن صاحب رداع بأن المقصود النَّظر فيمن يصلح ، وتوقف كما توقف القاسم .

وجاء خبر بأنه ظَهَر في بلاد الشرق بالمغرب تحت شهارة سيد يقال له السيد عبدالله بن على بن خالد ، ووالده هذا هو الذي كان متولياً ببلاد عَفّار وادعى بالدعاوي للإمارة ، فلم يجبه أحد ، وكذلك السيد علي بن الحسين الشامي[٢] الخولاني ، جعل رسالة إلى الناس يطلب الدعاء لهم بعد أن ذَمّ آل القاسم وأعوانهم من القضاة والوزراء والأعوان لهم جميعاً ، وقال : لا يصلح أحد من آل القاسم ، وذكر أن الكمال فيه بهذا الشَّأن فارتكب أمرين التَّحقير للناس والسب لهم مما باء بوزرْهْ والتزكية لنفسه التي نهى الله عنها بقوله تعالى ﴿فلا تُزكُّوا أنفسَكُم هو أعلَم بمنِ اتَّقَى﴾[٣] ودخل في حديث الإعرابي لما بال في المسجد فنهره أصحابه صلى الله عليه وسلم فقال[٤] « دعوه لا تقطعوا درته » ثم لما أتم أقبل إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال له : اللهم ارحمني وأرحم محمدا ولا ترحم معنا أحداً فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : لقد تحجرت واسعاً ، فالله يرحمنا ويوفقنا ، ثم انه ذكر أن مقام الإمام مقام النبي صلى الله عليه وسلم ، فهذا خطأ عظيم من المذكور ، فان مقام النبوة رفيع قال الله تعالى ﴿لا تجعلُوا دُعاءَ الرَّسُول كدُعاء بعضكُم بَعْضاً﴾ [٥] وقال تعالى ﴿ النبيُّ أوْلَى بالمؤمنينَ من أنفُسهمْ﴾[٦] وغير ذَلك مَن الآيَات والأخبار النبوية كحديث الصحيحين[٧] « أنها تنام عيني ولا ينام قلبي » وسائر خصوصياته

---

(١) سبق تخريج الحديث قبل قليل

(٢) هو العلامة المحقق مولده سنة ١٠٣٣ وكان قد أحرز العلوم ولما لم يتم له أمر الإمام اعتزل في بيته ثم عاد إلى صنعاء وأقام بها متوليا للوقف ، توفى سنة ١١٢٠ ه نشر العرف ٢ :٢١٩ .

(٣) الآية :٣٢ سورة النجم .

(٤) سبق تخريجه .

(٥) الآية ٦٣ سورة النور

(٦) الاية ٦ سورة الأحزاب

(٧) البخاري ٤ ١٦٨٠ وأبو داؤد ١ ١٠ وابن حبان ٢١٢٤٠ .

التي اختص بها عن غيره كثيرة فيها مجلدات مصنفة كالخصائص في المعجزات للسيوطي وشفاء القاضي عياض وغير ذلك ، لأن الأنبياء عليهم السلام معصومون وليس كذلك الأئمة ، إلاّ عند الإمامية الاثنى عشرية وفي الأئمة الأثنى عشر لا غير ، وهو ظاهر البطلان ، وأما ما ذكره في العطاء وتَخْيير الناس في الأبواب فهو لو ولّي ما هُمْ فيه لكان فعله كفعلهم أو أعظم منهم ، لأن رضاء الناس وكفايتهم جميعهم غاية لا تدرك ، ولا يكفي الخلق إلاّ خالقهم ضرورة ، ولذلك لما أراد سليمان عليه السلام وقد ملك الأرض كلها أن تكون الأرزاق على يده وقد جمع جمعاً كثيراً ، فجاء حيوان واحد وهو التنين من حوت البحر لرزقه واستوعب جميع ما قد جمعه من الطعام ، فعند ذلك اعتذر سليمان عليه السلام ، وعلم أن الرزق لا يقوم به إلا الله تعالى ، إلاّ أن العمال ينبغي منهم الزهد في بيوت الأموال ، والتوقف على قدر عمالتهم لا غير ذلك ، وكذلك يتوجه على السّائلين أن لا يستكثروا من السؤال خصوصاً الأغنياء منهم ، ولكن هذا محال فانه لا يتم ذلك منهم لما في الحديث الصحيح عنه صلى الله عليه وآله وسلم « لو أعطى أحدكم واديين من ذهب لابتغي ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم إلاّ التراب »[1] وأنت ايها السيد ادعيت كمالك فذا شيء ما علم ، فان قراءتك إنما كانت في الفرائض والمترب[2] وعلم الغبار[3] والقسمة ، وهذا إنما هو من أبواب الفقه ، وأما سائر علوم الاجتهاد مثل أصول الفقه وأصول الدين وعلم المعاني والبيان والتفسير فليس لك في ذلك ما تعتمد عليه أصلاً ، ولا الحديث والأسانيد ورجال الحديث والجرح والتعديل وما هو صحيح من السنة وما هو ضعيف أصلاً ، ولم تَسْمع شيئاً من كتب الحديث المسنده المعتمدة إلا «مختصر جامع الأصول» وليس ذلك بمفيد لأن الرجال ما عرفتهم ولا ما تكلّم فيه بالضعف والصّحة والحسن وهو من شروط الأئمة ثم الاجتهاد وهو الاستنباط ، وإنما غاية ما عندك التقليد وإمامة المقلد لا تصح كما سلمنا فأين استحضار مسائل الفقه ومعرفة الخلاف ، ومعرفة أدلة المسائل ، وكيفية معرفة الترجيح فيها والمراجعة ، هذا على سبيل المجاراة على فرد دعواه ، وأما ان كنت تريد مجرّد الدَّعوى المتعارف بها من غير مراعاة الشروط

---

(١) مسلم كتاب الركاة ب٣٩ حديث رقم ١١٧ ، وأحمد بن حنبل المسند ٣ ·٢٤٧ ، والترمذي :٢٣٣٧ ، وابن حبان :٢٤٨٣ ، والبخاري ٨ ١١٥

(٢) ضرب من الحساب

(٣) علم الغبار · اسم لعلامات تدل على الأعداد

كما قد فعله غيرك فذا يرجع إلى باب الملك والسلطنة ، وهو إنما يكون بالغلبة لا بالاجتهاد فلا عند كافة العلماء ، وأما قوله لا يصلح أحد من آل القاسم فهذه دعوى نفي والشهادة على ذلك لا تصح كما هو مقرر في كتب الفقه ، لكن منهم من زهد فيها واتبع قوله تعالى ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأمانةَ علَى السَّموات والأرض والجبال فأبَيْنَ أن يَحْمِلنها وأشفقنَ منهَا وحَمَلَهَا الإنسانُ إنَّهُ كانَ ظلُوماً جَهُولاً﴾[1] ومنهم من عنده من العلم مثلك وهو إنما يريد الاجتماع في الكلمة لئلا تحصل منازعة ومشاقة ومقاطعة أرحام وصلاح الإسلام بتَسْكين الدهماء وأما قولك انك الكامل والأحق بها فان كان للهوى فهو كماقال الشاعر[2] :

أتـانـي هـواها قبل أن أعـرف الـهـوى

فـوافـق قـلـبـاً فـارغـاً فـتـمـكـنـا

وللعجب بالعمل دخل في المحرم فان من عجب بعمله هلك كما في الحديث صلى الله عليه وآله وسلم «لو لم تذنبوا لخشيت عليكم أعظم من ذلك العجب العجب»[3] رواه البزار[4] وذكره صاحب البيان[5] في الفقه أول كتابه والمهدي في تكملته . وفي المطالب العاليه[6] لابن حجر قال مسدد : حدثنا عبدالله بن داؤد عن موسى بن عبيدة عن طلحة بن عبيد الله بن كريز قال : قال عمر بن الخطاب : أن أخوف ما أخاف عليكم إعجاب المرء برأيه ومن قال أنا عالم فهو جاهل ، ومن قال أنا في الجنة فهو في النار ، وقال عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم[7] يقول : من زعم انه في الجنة فهو في النار ، فالسعي بالاصلاح بين المسلمين هو الواجب كما ذكره الله تعالى حكاية عن النبي شعيب قال «وما أريد إلا الاصلاح ما استطعت» وقال الله تعالى ﴿ولا ينفعكُم نُصْحي إنْ أردتُّ أن أنصحَ لكُمْ إن كانَ اللّهُ يُريدُ أنْ يُغْويكُمْ﴾[8] ، والله أعلم .

وفي عاشر شهر جمادي الأخرى : وصلت أخبار اليمن الأسفل بأن محمد صاحب

---

(١) الآية :٧٢ سورة الأحزاب .

(٢) للمجنون (سبق)

(٣) أخرجه البَزار وابن حبان في الضعفاء والبيهقي في الشعب من حديث أنس وفيه سلام بن أبي الصهباء قال البخاري : منكر الحديث وقال أحمد : حسن الحديث ، ورواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي سعيد بسند ضعيف جداً « المغني عن حمل الأسفار ٣ :٣٥٩» بهامش احياء علوم الدين ، وميزان الاعتدال ٢ ١٨٠ والعقيلي ٢ .١٥٩ والكامل لابن عدي ٣ :٣٠٦ .

(٤) كشف الاستار ٤ .٨٢

(٥) البيان لابن مظفر .

(٦) المطالب العالية :٤٤٢٣ .

(٧) المطالب العالية ٢٩٨٥٠ .

(٨) الآية : ٣٤ سورة هود .

المنصورة قام بالمملكة واستولى على المخا وتعز ولم يكن له من قبل ، كما استولى على زبيد وبيّت الفقيه بعد موت أحمد بن الحسن ، وغلب عليه في دولة المؤيد ، ودعا الناس إلى اجابته فأجابته بلاده فصارت البلاد اليمنية هكذا بعضهم ممن توقف وحفظ بلاده وهم العقال ، وبعضهم دعا الناس إلى المملكة العامة والسَّلطنة كصاحب عَمْران وكوكبان وصاحب المنصورة ولم تجبهم إلاّ بلادهم ، ومنهم لم يجبه إلاّ أهل حضرته وما قاربه من بلاده ، هذا ما جرى معهم والله أعلم كيف يكون منتهى عملهم ، وبعث بكتب إلى سائر قبائل اليمن الأعلى وغالبهم التوقف على من اجتمع عليه العلماء والأعيان والعقلاء ، وجاء خبر صاحب صعدة بأنه أيضاً أظهر دعواه للملكة[1] :

هذا بناقوس يدق وذا على جبل يصيح

كل يقوى قوله يا ليت شعري ما الصحيح

ووصل رسول صاحب المنصورة محمد كاني التركي وأصحبه بدراهم إلى حسين بن المتوكل كثيرة قيل سبعة آلاف ويطلب منه الاجابة ، واشتغلوا بطلب الملك وما اعتبروا بمن مضى ، وما قد جرى ، وان الملك لا ينفع ، ولقد وصف من حضر موت المؤيد بالمعرة بوادي النايحة مما فيه عبرة . وهو انه لما وصل إلى الحمام مات فيه وذاق الحمام وان مرضه كان هو الورم الشديد في وجهه ويديه وأرجله حتى صار كالمنتفخ ، وانه لما قضى الله عليه الموت والأجل المحتوم وساقته الحفرة إلى ذلك الموضع باختياره ، وما ناله في الطريق والجبال من الألم الذي مسّه ، طلب له الكفن فلم يوجد في محله وإنما كفنوه في بقايا ثياب ، ثم طلبوا له نعشاً فلم يوجد له ، فكأنهم حملوه فوق عيدان إلى قريب قرية هنالك لعلها الحيرة ، وطلبوا منهم[2] قعادة فأعطوهم قعادة بالكرى فلما وضعوه عليها جاءت قصيرة بقت أرجله معلقة عليها وحملوه كذلك فاتفق نزول مطر غزير فَنَزل سيل في شعبة على الطريق فوضعوه فيها وبقي السيل والمطر يمر من تحته وفوقه حتى أضحى ، ثم أطلعه الجمالون على مشقة في العقبة إلى الجبل ، فكان ذلك عبرة لمن اعتبر وتذكره لمن اذكر ، فأين كان الملك الذي كان ، ثم لم توجد له الأكفان ولا ما يحمل عليه من العيدان ، فسبحان القادر على كل شئ الذى كتب الموت على العباد والحيوان وساوى بين الملوك فيه والمساكين والفقراء والغرباء من الماضين

(١) للمعري .

(٢) قعادة : سرير

واللاَّحقين إلى آخر الزمان .

وفي هذه الأيام انحطت الأمطار بحمد الله في جميع اليمن المشارق والمغارب وهو مطر الصيف فصيفت جميع بلاد اليمن ،وصار الناس في مذاري الذرات ، وأما الأسعار فباقية على الارتفاع لأنه لا يردها إلا الصرب ،وقد لحقت الناس الأعسار في جميع مدة محمد بن المتوكل من حال تولي صنعاء وقيامه بعد أحمد بن الحسن ، وفي مدة أحمد بن الحسن إلى الآن ، نحو إحدى وعشرين سنة فلله الأمر من قبل ومن بعد ، ولما تحول حال محمد بن المتوكل وتقضت أيامه ، وكان قد حَصَّل في مَعْبر أبنية وحوانيت خربها أهلها وحملوا أخشابها وعادت كما كانت أولاً لم يبق فيه إلا أهله الأصليين عبرة للمعتبرين .

ووصل كتاب من يوسف المتوكل يذكر فيه الدعوى من جملة غيره ، فقلت في جوابه في ظهر كتابه ما هذا صورة : عليكم السلام . وصل مكتوبكم هذا بالتعزية في صنوكم فانا لله وإنا إليه راجعون ، والله يخلفه على المسلمين بأحسن خلافة ويتلقاه بالرحمة والرأفة ، وإن يجمع كلمة المسلمين على الخير ، وذكرتم دخولكم بعده للامرة وجعلتم ذلك مشروطا برضاء غيركم ، فقد شاركتم في ذلك كثير مثل صاحب المنصورة ، وصاحب صعدة وغيرها من الرؤساء ، وذلك محل التنازع المنهي عنه ، وفيه عدم السعي في صلاح الإسلام لأن كل واحد شرط ذلك ، والشرط يتوقف على المشروط ، ولم يتم المشروط لأنهم منازعون بعضهم البعض في دعوى المملكة ، وكل أجابة أصحابه وأهل نعمته ميلاً إلى الدنيا ، فكان القياس انكم تجمعون كلمتكم يا هؤلاء الذين تريدونها كما توقف القاسم بن محمد بن المؤيد رعاه الله وحسين بن حسن ، وأما الانتصابات في كل جهة فهي خلل على المسلمين ولا ينظر أحد منكم إلى صلاح الخاصة بل صلاح العامة ، وتحرير النية لأن النية إذا كانت مشوبة بما يفسدها من طلب الملك فسدت وبطلت ، وأما شروط الإمامة الكاملة فتعلم ويعلم غيرنا تعذرها وعدم الأهلية لها فيمن قد طلبها ، فالأولى صيانة للمسلمين من الاشتجار والاختلاف فيما بينكم ، وأنتم أرحام وقطيعة الرحم فيه الوعيد الشديد في القرآن والسنة ، ولأن اذا بلغ الأروام[1] اختلافكم خرجوا عليكم وأزالوا هذه الدولة عنكم بأشر حال كما فعلوه لأولاد

---

(١) يعني الأتراك .

مطهر بن شرف الدين لما اختلفوا ، وقد كان بلغنا انكم قد رجعتم عن ذلك وقلدتم صنوكم الحسين بن المتوكل . ثم جاء كتابكم بخلافه ، وليس في هذه الدّعاوي سكون الدهماء بل هي عين المحركة للاختلاف والاشتجار إنما السكون لو توقفتم جميعاً وبقى كل منكم فيما إليه من البلاد التي قد ولاها المتقدمون على قول الجمهور : ان الولاية تبطل ، ولا يشاجر أحد منكم الآخر في الزائد على ما تحت يده ، ومن ناب ، ولكل ولاء أمام قبله بلا نصب على الأصح فيما تحت يده ، هذا هو تسكين الدهماء إن اردتموه ، والاّ فهي سترجع بعد لمن غلب من القهر والغلبة على قول أهل السنة والإمام يحيى[١] والإمام شرف الدين [٢] ، بعد مظالم وسفك دماء وانتهاك حرم وأموال ومآتم كثيرة ، فلا حول ولا قوة إلا بالله ، فإن تحبّ السعادة فلا تدخل في هذه الشبكة العظيمة ، هذه نصيحة ولا تغتر لمن يلفق لك الأقوال واعتبر بمن مضى فلم ينفعهم لا ملك ولا مال والسلام .

ووصل كتاب من محمد [٣] بن أحمد بن الحسن يذكر دعوته وتلقب بالناصر ، وانه أجابه قضاة تعز والقضاة بحضرته وأهل بلاده ، وقال الرسول : لعله تَهيأ للخروج من المنصورة ، واستخلف ولده عبدالله فيها وان قد ألزم بالضيافة في الجَنَد ، وهذا لفظ جوابه[٤] : بسم الله الصنو الجليل النَّبيل سليل الآباء الأكرمين عز الإسلام والمسلمين ، محمد بن أمير المؤمنين حفظه الله وأهدى شريف السلام ورحمة الله وبركاته . وأنه وصل كتابكم لما بلغكم من وفاة المؤيد بالله محمد بن أمير المؤمنين وإنا لله وإنا إليه راجعون ، والله يتلقاه بالرحمة والغفران وبحسن خلافته على جميع أهل الإسلام . وذكرتم انتصابكم بعد بلوغ خبره وبثّ رسائلكم إلى الجهات فالله تعالى يصلح الأحوال ويجمع الكلمة على الخير في الحال والمآل ، ولكن الأمور قد انتشرت في هذه البلاد العليا وادعى هذا المنصب جماعات مما صرنا وغيرنا في حَيرة عظيمة منها لأنه يحصل بسبب الاختلاف شجارات تفضي إلى القتال ، وعدم سكون الدّهماء فيما بين هؤلاء الجماعات مما بسببه الخلل على المسلمين وانتهاك الحرمات ولا سيما وأكثر هؤلاء الدعاة أرحام وعصاب[٥] ولا يخفاكم ما في قطيعة الرحم من الآيات البَينات والأحاديث

---

(١) الإمام يحيى بن حمزة .

(٢) الإمام يحيى شرف الدين .

(٣) هو المعروف فيما بعد بصاحب المواهب .

(٤) يعني جوابه من قبل المؤلف إلى المذكور .

(٥) العصاب مصدر وما عصب به من منديل ونحوه وهو هنا العصبة وهم قوم الرجل وقرابته لأبيه .

النبويات ، وأما والدكم الحسين بن الحسن والقاسم بن محمد فانهم لما رأوا هذا الأمر وما يؤول إليه توقفوا ولم يقدموا عليه وأشدهم وأصلبهم في طلبه صاحب صعدة وان غيره أهون شوكة ، وبقى معكم والدكم الحسين بن الحسن والقاسم بن محمد ، وكذلك حسين صاحب صنعاء إذا رأيتم تقديم اجتماع كلمتهم قبل حصول أحاديث فيما بينكم وبينهم فالأمر إن شاء الله متماثل ومتقارب ، وإذا قد اجتمعتم على كلام واحد فسائر الناس أجمع اتباع ولا يُخشى منهم ضرر ولا نزاع وأنتم أعرف بالصَّواب . إن شاء الله وممن سعى في المسلمين بالصّلاح والاجتماع . وأما صنوكم[1] فلا يخفاكم حاله وأنه تخلص عن جميع علق تكاليف الخلق للأولين والآخرين ، وعرف منا ذلك المتوكل فيما مضى فقدر وارتضى ، وكذلك والدكم ، وكذلك محمد بن المتوكل ، كلهم سايرونا على ما نحبه من عدم تعلق أمر ولا تكليف ، ولا محاضر ولا مجامع ، وإعْذارنَا كمالا بخفاكم اتباعاً لقوله تعالى ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمٰوات والأرض والجبال فَأَبَيْنَ أن يَحْمِلنها وأشفقنَ منهَا وحَمَلَهَا الإنسانُ إِنَّهُ كانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾[2] والسَلام ، وقد عرفتم هذه الشدة في هذه السنة بغلاء الأسعار ، وانتهت النَّصائح للمذكورين في الاجتماع في جميع هذا الشهر فلم تجد فكان الأمر كما قال المتنبي :

وإذا كانت النّفوس كباراً تعبت في مرادها الأجسام .

وكان حسين بن المتوكل . وأحمد بن المؤيد قد جمعوا القضاة والسَّادة وغيرهم يوم الأربعاء آخر يوم بشهر جمادى الأخرى ، وقال : الأولى قيام القاسم بن المؤيد وأمر الحاضرين بكتابة شهادتهم فكتبوها ، وشاع في الناس ان قد بايعوا القاسم ، ولم يحضر محسن بن المهدي معهم بل قد كان بني بالخطبة بالغراس لصنوه محمد صاحب المنصورة . ولكن غلبته القبائل من بني الحارث وهَمدان والقاضي عبد الواسع ، فامتنعوا عن الخطبة لمحمد ودخل القاضي عبدالواسع صنعاء ،وكان من جملة من شهد لقاسم .

وكان في خلال ذلك بيوم الخميس غرة شهر رجب ، وصل كتاب من حسين بن علي بن المتوكل من بلاد إب وجبلة يذكر فيه إلى عمه حسين بالمبادرة بالغارة عليه وانه قد صار بإب محاصراً لم يبق بينه وبين اسحق بن المهدي إلا مقدار ساعة فالغارة الغارة

---

(١) يعني المؤلف نفسه .

(٢) الآية ٧٢ سورة الأحزاب

والبدار البدار ، فلم يتمكن صنوه بمادة من صنعاء بل كان أرسل يكتب إلى محمد بن المهدي من السَّادة والأعيان والقضاة بالنصيحة في جمع الكلمة وترك الفرقة ، وأن هذه المفاتحة بالحرب لا تصلح وأن على المسلمين مشقة لا سيما هذه المدة بسبب غلاء الأسعار وضعف الناس عن الحركة إلى البلاد فالله أعلم ما يتم .

وفي ثالث شهر رجب : وصل الخبر بأنه حصل بين إبراهيم بن أحمد بن الحسن وبين حسين بن علي بن المتوكل حرب ، فكان ذلك أول فتح بين المذكورين ، وذلك ان إبراهيم بن أحمد بن الحسن تحرك من ظلمه[1] إلى سد مشورة[2] المطل على العدين فترجح لحسين بن علي بن المتوكل اللقيا له إلى ذلك المحل واحتربوا ، فوقع القتل بين الطائفتين ثم انهزم أصحاب إبراهيم واحتاز إبراهيم في بعض البيوت هنالك ، وكان المباشر للحرب الأمير فرج ، ثم أغار قاسم بن علي بن المتوكل والشيخ حسين بن محمد الوادعي من عند حسين بن علي بن المتوكل فأحاطوا به في الدَّار وما زالوا يرمون من داخل ، اصتاب[3] من ذلك جماعة ، ومنهم الشيخ حسين بن محمد الوادعي برصاصتين ، وكان ذلك يوم الخميس حادي عشر رجب الفرد في شهر الله الحرام ، وكان القتل من أصحاب حسين بن علي كثير ، وكذلك من أصحاب إبراهيم أولاً ، وكان القتل في أصحاب إبراهيم وآخره كان في أصحاب حسين بن علي ، فمن أصحاب إبراهيم نحو خمسة وعشرين نفراً ومثلهم مصاويب في حرب اليوم الأول . وفي اليوم الثاني كثير واكثر القتل في اليوم الثاني في أصحاب حسين إلى أن اقبلت الغوائر من الجانبين من إسحق[4] وغيره . ثم اهتزم أصحاب حسين بن علي إلى إب وجبلة وتفرقوا وعزموا إلى جهة ، وحينئذ خَطَب محسن بن المهدي بالغراس لصنوه في يوم الجمعة ثالث وعشرين شهر رجب ، فلم يعجب القاضي عبدالواسع[5] خطيب الغراس ودخل صنعاء فخطب غيره ، ويوسف بن المتوكل حال أن بلغه هذا الحادث أرسل بقدر مائتين رئيسهم القاضي يحيى جباري مأمورا من عنده بالاصلاح إن حصل وإلاَّ كان يداً مع

---

(١) طلمة بفتح الظاء وإسكان اللام قرية من ناحية حبيش واعمال إب « المقحفي . ٤١٤ »

(٢) مشورة : بفتح الميم وإسكان الشين . جبل في الجنوب من جبل حبيش ويطل على العدين « المقحفي ٥٩٩ » .

(٣) اصتاب : أصيب .

(٤) المذكور هو إسحق بن المهدي أحمد بن الحسن هو جد السادة آل اسحق المعروفين بروابعهم وأدبائهم .

(٥) هو القاضي عبدالواسع بن عبدالرحمن العلفي المتوفي سنه ١١٠٨ ، أنظر ترجمته في « مصادر الفكر الإسلامي ٢٩٢ »

حسين بن علي بن المتوكل ولماثّل عرش الخلافة وهوى نجمها ووهى ركن الإمامة وطمس رسمها ، وصارت الإمامة دعوى وعادت العافية بلوى والخزائن التي جمعوها نزول وتهوى حتى عطلوها وتحاربوا بها ، فلا قوة إلاّ بالله ويخشى عليهم مع هذا الاختلاف والتحارب فيما بينهم وعدم الائتلاف زوال دولتهم أجمع فيزول عنهم الطمع .

وكان حسين بن علي بن المتوكل قد بعث رسولاً السيد قاسم بن لقمان إلى حضرة محمد صاحب المنصورة فكان جوابه : انه يبقي لحسين ما بقى تحت يده إب وجبلة وما وما حولها دون تعز فلا سبيل إليه فقال حسين : هذا لا يسمح وبنى على على القتال فحصل ما جرى وترك النصيحة انه يتوقف « وان ترك المفسدة أولى مر جَلْب المصلحة » كما ذكره العلماء فلم يحصل لذلك جدوى فأصبح حيث أمسى وانقلب الأمر عليه وزال ما في يده ، وكان كما قال الله تعالى ﴿ولا ينفعُكُم نُصْحي إنْ أردتُّ أن أنصَحَ لكُمْ إن كانَ اللّهُ يُريدُ أنْ يُغْويكُمْ﴾[1] ولا ينفعكم لحكمة علمها الله تعالى ، ووصل خبر أن بعد هذه الواقعة والهزيمة لأصحاب حسين بن علي بن المتوكل وما جرى فيه وأصحابه من الكسيرة وعاد سيفه مغلولاً وجنده ما بين مقتول ومنهوب[2] انصبت تلك الجنود الصائلة إلى وادي جبلة من تلك الجبال التي فوقها راكبة وعليها غالبة لاتصالها بسد مشورة حيث وقع الحرب أول مرة ، فانحدروا لها كالسيل واظلمت على أهلها الآفاق كما يظلم الليل وأرادفلان ودخلوها بالسيف الضارب . وفر من فر وانكسر من انكسر من أصحاب حسين بن علي وغيرهم من ساكنيها . وكان حسين بن علي بجبلة ، وعادت رجال الجانبين بميرة الطعام من الطريق وانقطع المسافرون من التجار خوف التعويق ، وكان بعض الواصلين إلى جبلة بدراهم لشياطة الحب انتهبت عليه حال الحرب ورجع عَطَلاً آسفاً . حتى أمسى تلك الليلة بجرف وهو خائف يترقب . وإذا برجل يحفر تحته حفرة ودفن فيها شيئاً بالقرب من ذلك المحل الذي هو فيه وهو لايشعر به مما انتهب يوم الحرب حال الكسيرة ، فلما أصبح الصباح وظهر أوائل الفجر ولاح ، سار إلى ذلك الموضع ينظر ما دفنه ذلك الرجل فاذا هو بجنبية محلية[3] وسيف وغَّدارة أيضاً محلية ، فحملها وسار بالطريق ، وقال : قد هذا من العوض فيما راح من الدراهم والتعويق ،

---

(١) الآية ٣٤ سورة هود .

(٢) كذا

(٣) محلية محلاة بالفضة ونحوها .

فلاقوة إلاّ بالله العلي العظيم .

ثم أن حسين بن علي بن المتوكل لما علم القهر له والغلبة والجنود التي ليس له بها طاقة وعاين ما جرى خضع ودخل فيما كان رسم عليه وجرى وصاح عليه أهل المدينةومن لديه لما لم يجد له منفذاً ولا ناصراً إليه ونصّرت جميع بلاده لصاحب المنصورة المتسّمى بالناصر ، واكتف ذلك الأمر الذي جرى بعدما وقع ومضى ، وكان جملة القتلى من الجانبين كما قيل ستين قتيلاً .

وفي هذه المدة بنصف شهر شعبانها واجهت بلاد ذمار لصاحب المنصورة ، وجميع بلاد عَنْس وزُبيد ، وجعلت الولاية فيها لإسماعيل بن عبدالله بن القاسم ، وكانت في ولاية حسين بن المتوكل ، ثم واجهت صنعاء ، واضطر حسين بن المتوكل إلى ذلك ، وكذلك صاحب كوكبان حسين بن عبدالقادر ، وعند ذلك أيس أحمد بن المويد وصنوه القاسم عما كاتبوه من اجتماع الكلمة وتقرير القول ، وسار أحمد الروضة إلى بلاده وادعة وجهاتها ، وقاسم إلى شهارة ، والأسعار ارتفعت بصنعاء بلغ القدح البر عشرة والذرة ثمانية وتسعة .

وفي أول هذه السنة سارع النّاس إلى قطع أشجار جبل ضين بعد أن كانت من أول محومة[1] فلم يبق فيه شئ ، ولكنه حصل في غير بلادهم الضعف ونزل في أكثرها البَرَد في المطر فأزالها .

وقد سَلّم الدعاة جميعاً لصاحب المنصورة وخلعوا أنفسهم اضطراراً من غير قتال خشية من الوقوع فيما وقع لصاحب جبلة .

كتب صاحب المنصورة بخطه في شهر شعبان أنه يريد الطلوع والاتفاق بالأصناء والأولاد إلى معبر أو ذمار ، فلو كان هذا قبل ما قد جرى من الفتنة الكائنة بجبلة كان ذلك هو الذي أراده القاسم بن المؤيد صاحب شهارة وكافة الأعيان من السّادة والقضاة ، وأنه لا يقدم ولا يحجم في شئ حتى يكون على اجتماع كلمة ، فلم يسعد إليه المذكور وجزم بالقتال من غير تردد في الأمور . وصده عن تمام الطلوع فتنة يافع ، وصدقت التجربة في اختلاع كل سادس من الخلفاء ، فكان كل من قام من هؤلاء هو في طبقة السادس من قيام الإمام القاسم فخلعوا انفسهم ، هذا حسن بن المتوكل وصنوه يوسف وحسين بن

---

(١) كذا في الأصل . ولم أقف على هذه اللفظة .

محمد صاحب عمران وحسين بن عبدالقادر صاحب كوكبان ، خلعوا أنفسهم جميعاً وبقي صاحب المنصورة ، وصاحب صعدة أيضاً خلع نفسه ، وأجاب محمد ، وأما صاحب شهارة فانه بعد وصوله شهارة وما جرى في اليمن الأسفل بجبلة وأيس من الاجتماع بقي على توقفه بشهارة ، ولكنه مع ذلك لم ينفذ بلاده الأصلية للضعف معه ومع الناس من هذا الغلاء والشدة . وجاء سبب تضاعف أمر صاحب المنصورة بانصرافه إلى مفاتحة المشرق ، وفي شهر رمضان بعث صاحب المنصورة محمد بن المهدي رسلا إلى رؤساء اليمن الأعلا بأنهم يرسلون من أصحابهم عسكراً لقصد المشرق وأرسل المقدمات من أصحابه إلى تلك الجهة ، فأرسل بلاد إلى بلاد أبين ولحج ولده يحيى ، وإلى الجهة التي يقرب إليها آخرون ، وأما ولده إسماعيل فباق في قعطبة ، وكان ذلك على رؤساء أهل اليمن الأعلا وعلى من معهم أشق شيء للغلاء في الأسعار والشدة وانه لا يحملهم إلى تلك الجهة إلا بما لابد منه مما لا يقدرون عليه فوعدوه بذلك وتثاقلوا ، وقالوا : إذا كان لابد فبعد رفع الثمرة من بعد عيد عرفة والاّ فالأولى ترك تلك الجهة وعدم التشاغل بها لعدم المصلحة للمسلمين وللدولة فيها ، وكان قد أرسل ولده إبراهيم إلى ذمار وكذلك إسحق إلى يريم فاستقروا فيها وتصرفوا في ولايتها ، ولم يبق لإسماعيل بن عبدالله الذي كان ولاه ذمار بحضور ابراهيم تصرف ولا كلام .

وفي نصف رمضان : فما بعده إلى نصف شوال : تناهي السعر بصنعاء بلغ القدح البر إلى أربعة عشر حرفا والذرة إلى اثنى عشر والشعير إلى ثمانية ، وقريب أوائل الثمار فتهون السعر في شهر القعدة .

وفي هذه الأيام : أرجعت المجابي في أسواق صنعاء والأبواب على ما كانت سابقاً بعد أن كان ازالها المؤيد في زمانه . وحسن بن المتوكل لم يلبث بضوران بل عاد بسرعة إلى بلاده جهة تهامة واللحية ، وكان الموجب لطلوعه كثرة مكاتبة حسين بن علي بن المتوكل بالغارة عليه ، فوصل ضوران وقد انقضى الأمر فعاد راجعاً وأجاب إلى محمد بن المهدي مضطراً .

وفي حادي عشر شهر رمضان : ظهر نجم الذنب وقت السحر بالمشرق وكان مثله إلى جهة الجنوب يميل إلى المغرب فالقدرة لله تعالى : وبقي كذلك نصف شهر ثم غرب

من المشرق واضمحل وهو كما ورد في الأثر علامة الغلاء في الأسعار ، واتفق عند طلوعه هذا الغلاء العظيم فلله الحكمة في ذلك ، ولكن قد فرج الله بصلاح الثمار وكمال حصادها يكون لعيد عرفة بشهر الحجة إن شاء الله ، وكان الغلاء الكبير بصنعاء وبلادها وبلاد القبلة إلى صعدة وبلاد ذمار ، فأما المغارب فأهون ، وكذلك تهامة لكن لعسرة الطرق إلى صنعاء لا يطلع إليها حبوبها ولا ميرتها[١] . وإلا فانها في أسفال المغارب بثلاثة حروف ونصف كل قدح من الذرة إلى أربعة لا زيادة وأما البر فمعدوم فيها لأنها لا تزرعه ، والله يهون الأسعار ويصلح البلاد .

واستقرت الدولة والمملكة لمحمد بن أحمد بن الحسن وخربت القراديع[٢] التي كان نصبها الدعاة وبقت اليد لواحد ، وكان الأمر كما قال الشاعر[٣] :

حنانيك بعض الشر أهون من بعض

وجاء الخبر من حضرموت بأن الغلاء في الأسعار والقحط كان أعظم من سائر اليمن ، فانه بلغ السعر عندهم كل قدح يفوق ثلاثين حرفاً ثم هون الله . وأقبلت الثمرة فنزل عن ذلك إلى مائة بقشة ولعله ينزل السعر عند تناهي الصراب في جميع اليمن إن شاء الله .

وفي خامس عشر شوال يوم الجمعة : خطب القاسم بن المؤيد بشهارة لمحمد بن المهدي صاحب المنصورة ولم يبق معارض لمحمد بن المهدي أحمد بن الحسن بن الإمام القاسم وتلقب بالناصر ، وسبب موالاة القاسم صاحب شهارة بذله بالتولية له في جهة القبلة مما كان إلى حسين بن محمد بن أحمد أبو طالب وبلاد عفار وجعل له ربع المخا وغير ذلك فانخرط في الإجابة ، وكان قد بعث والياً إلى الشحر يقال له الفقيه أحمد العمادي فوصل إليه فأخرجه صاحب حضرموت والشحر علي بن بدر وقال : البلاد بلادنا وزلجه بالمصروف طريق الجوف فخرج وعاد خائباً مما ولاه ولم يحصل له ما كان يهواه إلا أنه خطب للناصر وأرسل بهدية قدر أربع خيل وقوى رؤوسهم خلاف يافع هذه المدة وإلا فهم أقرب للانقياد للدولة ليسوا كيافع ، والمشرق قد تغلق بابه من مدة والده فتوليته لا تحصل إلا بعمل آخر والوقت لا يحتمل فانه كان عليه اولاً ان تقرر أمور اليمن

---

(١) الميرة : الطعام . يمتاره الانسان (سبق) .

(٢) القراديع : جمع قرداع . البناء الهزيل في عرف أهل صنعاء

(٣) شطر بيت لطرفة بن العبد .

الذي بين يديه ، ثم إذا تمكن من بعدواجتمعت الكلمة معه واليه كان على صفة أخرى .

وفي هذه المدة حكى لنا بعض أهل المدينة المباركة إنهم وجدوا داخل القبة رجلاً دريوشا[1] فسأله الطواشية فأخفى نفسه ، ومازال يدخل ويخرج والأبواب مغلقة ، فقال بعضهم : لعله ولي وبعضهم قال لعله ساحر ولم يقدروا لدفعه .

وسار حجاج تهامة بغير أمير ، وقال الناصر : في حسن بن المتوكل كفاية في تزليجة للحاج إلى حلي علي ما كان في الزمان الأول قبل دولة المتوكل ، وفي أول دولته فان العهدة كانت على صاحب جازان في تزليج الحاج إلى حلي ، وحسن بن المتوكل ما تم منه تزليج عسكر إلى حلي .

وفي آخر ذي القعدة : كان الصِّراب للزرائع فتهونت الأسعار ، بلغ القدح البر إلى خمسة حروف والذرة إلى مئة بقشة ، وكذلك الشعير ، وما زال السعر ينزل ، فتراجع الناس بعد ما لحقهم من الشدة الطويلة ، فلله الحمد والمنة وهذا مع كبر القدح وصفر البقش في الضربة فتكون على حساب الدولة الأولى . دولة محمد بن القاسم نصف قدح والدراهم زائدة النصف يصح السعر بعشرين بقشة .

ولما لم يجهز أمير حاج مع حجاج طريق تهامة وصل الحجاج إلى أبي عريش وصبيا ثم انه ترجح لهم العود فعادوا ، وأما حجاج السراة من بني عصية فساروا على عادتهم ، وكذلك سار من جاء طريق البحر ، وحسن بن المتوكل ما تم منه تزليج عسكر إلى حلي ، وقال العادة الأولى قد تغيرت ، وتلك الجهة قد دخلت في أطراف بلاد أحمد بن زيد فالأولى الترك مع ما قد تجدد في زمان المتوكل من انقلاب العادة الأولى .

وجاء الخبر بأن بعض المراكب لما رجعوا من المخا ووصلوا إلى البحر صادفهم الفرنج فنهبوهم أموالهم ، ولا قوة إلا بالله .

وفي ثابت عيد عرفة المباركة : وصلت كتب من الشريف أحمد بن زيد صاحب مكة المشرفة [إلى القاسم بن المؤيد وإلى حسين بن الحسن] [2] مضمونها انه وصل كتاب من سلطان الإسلام يذكر فيه انه وصل إليه كتب من الشيخ معوضة بن محمد بن معوضة العفيف وغيره من مشايخ يافع يذكرون فيها أن المؤيد باليمن وأقاربه قد ضعفت دولتهم

---

(١) كذا : لعل صوابه درويشاً .

(٢) ما بين القوسين ضرب المؤلف عليه

وأنه حصل بينهم وبينكم حروب وهزموهم المرة بعد المرة واستولوا على ما يليهم من بلادهم ، وأن السلطان يبعث طائفة من قبله إلى اليمن وهم عون لهم ، وأن الشريف يبعث بطائفة من قبله إلى اليمن ، وأنه يتحقق أمور اليمن فان كان على ما قالت يافع فلا بأس ، والله أعلم ما يخرج بعده ، وكان في علم الله ترك الصر[1] هذه السنة إلى مكة فربما يتقوى عند الشريف صحة الخبر بالركة قال : وكان وصول الكتب إلى حضرة السلطان في شهر ربيع من هذه السنة والله أعلم .

والعسكر الذين قد كان اجتمعوا مع أخويه تفرق بعضهم ولم يصل إلى قعطبة إلا البعض نحو خمسة عشر مائة مع عبد الله ومحسن وتفالت منهم كثير حال عزمهم من ذمار وضاعوا ، واختلف عليه اخوته لاسيما إبراهيم فانه بذمار متغير الخاطر وصنوه اسحق لما تخلف عليهم فيما كان وضع لهم وتثاقل من طلبه من أولاد المتوكل وعدم شرعه نفوذهم ولما ذكر له مراحل كثرة رجوعه في أوضاعه وولاياته المرة بعد المرة بقي حائراً من ذلك ،فقال أن ولاياته وعطاءه إنما هو لمن ناصحه وأجابه ووصل للقتال والمراكزة ليافع ، فأما من لم يكن كذلك فلا حظ له في ولاية ولا غيرها وان رجوعه فيما رجع لأجل ذلك ، وبذل العطاء لمشايخ الحجرية وأسقط عنهم بعض المطالب قصداً لتأليفهم ومعونتهم .

ودخلت سنة ثمان وتسعين وألف

استهلت بالأحد : وجاء التحقيق أن يوسف بن المتوكل يريد الرجوع عن الموالاة . بعد أن كان والى النّاصر صاحب المنصورة ، وسبب ذلك أن يافع كاتبت إليه ، وكان قد استنكر على الناصر التخلفات في أموره والمناقضات ، فقال : هذا لا يركن عليه في شئ من الأمور ، وأن يافع كاتبت بأنهم مطيعون ومسلمون فلم يقبل منهم الناصر ، وعلي بن أحمد صاحب صعدة يريد مثل ذلك وأظهر دعوته أيضاً ورجع عن موالاته للناصر ، وكاتب إلى قاسم صاحب شهارة بالاتفاق للمشاورة وأن سبب ذلك اضطراب أمور الناصر وتناقض أعماله كما قدح به يوسف ، والناصر صار مشتغلاً بمفاتحة يافع ، وكان هذه المدة منه مجرد حفظ أطراف البلاد بالرتب لا غير ذلك ، وصار يكاتب البلاد أيضاً بالامداد ولم يحصل له المراد بل يواعدونه المواعيد مع كثرة الترداد ، ولم يظهروا إلى

(١) الصّر : سبق شرحه

الآن التحول .

ويافع تضرروا بالمحاصرة وعدم دخولهم إلى البلاد للأسباب ومنعهم دخول عدن ، وأجاب الناصر على يافع انه لا يقبل منهم إلا من وصل مواجهاً إلى بين يديه .

وفي هذه المدة لما كثرت الضرائب للدراهم وصغرت السكة بلغ صرف القرش إلى اثنى عشر حرفاً ونصف وإلى ثلاثة عشر حرفاً وإلى أربعة عشر وخمسة عشر ، ثم ما زال يزداد الصرف إلى أن بلغ إلى خمسة وعشرين حرفاً فحصل مع التجار التضرر من جهة ما باعوه ، والصرف كان بعشرة وتسعة وثمانية ، وكان فيه مهلة في المخلص فانتقض البائع والمشتري ، فالمشتري باع البضاعة المشتراه بربحها عَدَدي[1] علي أصل صرف القرش الأول مثلا بحرف في العشرة الحروف ، وكان المقضى على أصل صرف القرش بثلاثة عشر حرفاً فخسر المشتري حينئذ حرفين اثنين ، والبائع حيث قبض عشرة حروف يوم باع أو تسعة من العَدَدي صرف القرش تاريخ البيع وأراد أن يصطرف القرش للموسم الآخر انتقض ثلاثة حروف ، فحصل الخسارة عليهم من الجانبين وربح آخرون ، وهو من كان في يده القروش وصَرَفها عند ارتفاع الصرف قدر حاجته في مصاريفه ، ومما كان بيعه بالقرش[2] مثل تجار الهند إلى بلادهم وأهل البُن ، لأن بيعهم بالقرش ومن باع بالقرش من التجار وقبضه حال البيع أو أمهل فيه ولم يقبض العَدَدي فهو لا[3] ، لا نقص عليهم لكنهم القليل لأن القبض والبيع أكثره بالعددي فلا يحصل العدل إلاّ لو كانت الضربة بالميزان للدراهم لا تزيد ولا تنقص كما توزن القروش فهذا لا يحصل للجميع الخسران وتكون الضربة واحدة مستقرة إما صغيرة أو كبيرة .

وفي هذه الأيام أول شهر محرم الحرام : تم حصاد الثمار ، وكان أكثر ذلك الذرة فتهونت الأسعار . واستقر السعر للقدح الذرة مائة بقشة على كبر القدح وصغر الدراهم ، فكان على الزمان الأول نصف قدح ، والبقشة على النصف زيادة على هذا يأتي بالقدح الأول والدرهم الأول لكل قدح بثلاثين بقشة أو بعشرين فلله الحمد .

وصاروا يضربون مع القروش كل بقشة كبيرة من الأولى ، والضرائب بلغت إلى نحو أربعة عشر ضربة ، في صنعاء ضربتين ، وفي الغرَاس واحدة ، وفي كوكبان وفي عمران

---

(١) عددي . نقود صغيرة متفرقة من الفضة وغيرها .

(٢) لما فيه من الفضة

(٣) الأصل مهلا

وفي ذمار وفي يريم وفي رداع وفي المنصورة ومع زيد بن المتوكل في بلاد ريمة . وفي اللحية . وصار قُبَال كل ضربة للدولة في كل يوم قدر ثمانمائة حرف وألف حرف وأحقرها كل يوم خمسمائة حرف للدولة غير الملاحيق والأجر للضرابين ، محصول كبير معهم في ذلك ، وصار القروش يأتي التجار بها والبانيان يضرب لهم عند المتقبل لدار الضرب مع ما يحصل معها من القروش من الدولة . وأكثر من صار يبدل القروش ويجعلها بيع وشراء البانيان والسبب في ذلك انهم صاروا يضربون البقشة أولاً نحاساً ويغطسونها بالفضة غطساً من أعلا الدارس[1] يدخل البقشة نحو السدى فضة فقط ، ومتى استعملت البقشة ظهر داخلها نحاساً على حاله لأنها إنما صارت تحلى بالفضة فالقرش يخرج منها في التحقيق بخمسين حرفاً .

ووصل أمر للشيخ ابن خليل بأنه يسوق محصول بلاد همدان من الطعام إلى مخزان صنعاء فبلغ صنوه محسن ، وهو في بلاد العشارب فقال هذا محال فان البلاد بلاده ، ولا يساق إلا على جاري العادة إلى الغراس ، وكتب إلى صنوه الحمزة أنه يمنع ابن خليل عن ذلك فمنعه وقد كان أهم محسن بالطلوع لولا بعض العقال قال : لا يصلح له . وصار مع هذا الارتباش : إخوته يغيروا على الناصر الذين هم محسن وإبراهيم مع أولاد المتوكل وغيرهم فمنعوا جميعاً على كل أمر يأتي مخالف لجاري عادتهم .

وفي الليلة رابع عشر محرم : خسفت القمر في برج الجوزاء ، وجاء الحجاج من بني عصية الذين طريقهم السّراة فأخبروا بعموم صلاح الثمار اتصلت من اليمن إلى الشام وأن الكيلة بمكة بستة كبار وان الشريف أحمد بن زيد كان بالحجاز بعد أن دخل بلاد نجد كما سبق عاد فأمنها وانتهب عليهم كثيراً من مواشيهم وأدخلها مكة وقبض على جماعة من مشايخ تلك الجهة إلى مكة ، وكان دخوله قبيل الموسم ، وأن حاج اليماني ضعيف إلى الغاية لم يحج إلا بنو عصية الذين جاؤوا من السّراة وهم قليل والشامي كان حجه قوياً زائداً على العادة أميرهم الباشا صالح في قوة خيل فوق ألف عنان وبضائع الشام كثيرة ولم يكن لها طالب من اليمن لعدم دخول التجار هذا العام ، وحاج المصري كان دون العادة لأنه حصل بمصر ما حصل من الموت والطّاعون نعوذ بالله منه فهلك كثير بمصر

---

(٤) الدراس عملة حقيرة كأنها تلك التي اختفت كتابتها ، وقد وحدت هذا الاسم منذ العصر الرسولي يقول أحدهم في دم المدارس :
سع المدارس لو علمت بدارس يعلو واخسر صفقة للمشتري (أنظر كتابنا حياة الأدب اليمني ٢٤) .

بحيث غلقت بعض بيوته فالقدرة لله سبحانه والخيرات شاملة ورخص الأسعار ورخص البضائع .

وبلغ الخبر أن علي بن أحمد خطب بصعدة لنفسه وخلع صاحب المنصورة ، وكذلك يوسف صاحب ضوران حذف خطبة الناصر صاحب المنصورة ، وصاحب صنعاء حسين بن المتوكل بَنَى على مثل ذلك ، فتغير الناس من هذا الأمر لا يكون سبب الفتنة ورد الأمر الذي كان استقر وسكن بعض السكون جذعة ، وأما قاسم صاحب شهارة فأجاب على علي صاحب صعدة بعدم الاتفاق وأنه لا يثق بأحد على الإطلاق .

وسبب هذا الأمر اضطراب أوامر صاحب المنصورة وتناقضها بحيث لم يبرم أمراً من الأمور بل يناقضه من عزل وتولية ثم له فزّات[1] كثيرة للرؤساء والسادة والتوعدات المتواترة على أشياء غير موجبة ووضع الزناجير في الرقاب والمعاقبات المُجلدة والتّشديدات الغليظة فنفرت نفوس كثير من الأعيان والرؤساء والقادات الكبار والمشايخ والنقباء والعقال ولم يصبر على حاله إلا القليل لما يبذله من المال والبرطيل[2] وهم على حَذَر منه في الأفاعيل لكن غلبهم حبّ المال مع أن بذله ليس لغاية بل لمن شاء وأختار ومنهم من يصل إليه من الوافدين والمساكين فلا يصلهم بشيء ، ومنهم من يحول له على الولاة فلا يجدي خطه في شيء ، وحرك هذه الأيام صاحب المخا السيد حسن بن مطهر الجرموزي وصادره فيما عنده وتوعده وتهدده وحبسه ، وطلب العذر فلم يعذره وبذل له [عشرة آلاف قرش حسبما طلبه] جميع ماله ويتركه فلم يقيله ، ولما ظهر ليوسف هذه الأحوال وهو بضوران استنكره منه وكثر الشكا عليه ، وكان قد كتب إليه أهل يافع بأنهم منقادون لما يجب من الشريعة وأنهم مسلمون للواجبات حافظون للطرقات فما الوجه لغزوهم من صاحب المنصورة ، فوقع هذا عند يوسف وبعث برسالة إلى القضاة والي إخوته وقال : هذا لا يجوز لصاحب المنصورة فعله ، فأجابوا عليه بأن ذلك كما قال وإنما غلب هذا الرجل للأمر المحال وتكليف الناس ما لا يطاق ولا يكاد ينال ووافق هذا أيضاً بعض أولاده وإخوته الذين هم عبدالله بن محمد بن أحمد بن الحسن ، وعمه إسحق بن أحمد بن الحسن ، وعبدالله بن يحيى بن محمد بن الحسن ، وعلي بن الحسين بن أحمد

---

(١) أفعال مماحكة .

(٢) البرطيل : الرشوة

بن الحسن مع ما جرى أيضاً من التوعد لهم من صنوهم ووالدهم من التوعدات والمناقضات في الولايات ، وكان من المقدور أن عبدالله ولده تراخى عليه سبار العسكر الذين عنده بقعطبة فكاتب والده بحاجة النَّاس إلى المصروف ، وأن منهم من قد هرب من حضرته ، فلما وصل الرسول إليه تهدده ، وقال : المصروف قد صرنا في جمعه ولكن عبدالله لابد من مؤاخذته وسأصنع به وأصنع وأفعل من النكال ما يراه أفضع وهذا الزنجير الكبير - وأشار إليه • قد أهَّبته له وأنت - يشير إلى الرسول - لك الزنجير الصغير ، فلما بلغ ولده عبدالله هذا الكلام وما هو باني عليه من النكال والخصام مع ما قد رأوه مما جرى مع صنوهم حسن من الحبس الطّويل قال : هذا من تكليف ما لا يطاق وكيف وهو يريد استفتاح جبال يافع فما مراده إلا القاؤهم إلى التهلكة مع عده الرعاية والوفاء ، وزاد اتفق أنه جهز ولده إسماعيل إلى جبلة وجعل أمرها إليه وعبدالله هو الذي فتحها واستولى عليها ، فقال لسان حاله وإسراره : أصبح قيامه معه لا دين ولا دنيا وأظهر النَّدم والاستغفار عَمَّا وقع منه في جبلة وما جرى ، وكاتب يوسف وقال : هو الأولى بالاتباع وأجابه ، وكذلك إسحق وعبدالله بن يحيى وعلي بن حسين وأما إبراهيم بن أحمد بن الحسن فهو قد باينه من قبلهم فاجتمعوا على هذا وارتفع عبدالله من قعطبة إلى إب ، فلما وصلت كتبهم إلى يوسف أظهر الدّعوة ، وكاتب إلى صنوه الحسين بن المتوكل صاحب صنعاء وجزموا بالخلع للمذكور فخلعوه وخطبوا ليوسف بصنعاء وذمار وضوران وإب وجاءت كتب يافع بالإجابة ليوسف فكان هو السادس من الإمام القاسم ، وكل سادس مخلوع في الغلب ووافقهم يحى بن محمد بن الحسين أيضاً واختلف أهل صنعاء فيما بينهم وتخوفوا من صاحب المنصورة ، وقالوا لا يحصل عليه منه انتصار فيحصل ما يحصل من الخلل وقد يحصل من أولاده واخوته انتقاض فيما فعلوه من الإجابة ليوسف فصاروا في حالة عجيبة ، وقد كان شد أهل جبلة بحللهم جبلة خشية لا يقع فيها مثل العملة الأولى وكذلك بعض أهل مار رحلوا عنها ، فعند أن بلغه هذا الحادث بقي في حالة عجيبة وتغير مزاجه وتحذر بالخروج من المنصورة وجعل للعسكر الذين عنده زيادات في الجوامك ومن دخل معه ، وصار المذكور يقدم رجلاً ويؤخر أخرى خشية من خلاف يافع وابن شعفل وأطراف الحجرية ، وعند ذلك أرسل ولداً له صغيراً يسمى محسن بجماعة إلى ذي أشرق وهو في ولاية صنوه إسحق ، فتلقاه بالحرب والمنع عن دخول

بلاده فوقعت الهزيمة في أصحاب النَّاصر وانتهبوا السلاح وأسروا جماعة من جملتهم ولده محسن ، ثم أرجع محسن إلى عند والده ، فأطبقت البلاد إلى تعز ليرسف وازدادت الحيرة مع النَّاصر في منصورته .

وعند ذلك تابع حسين بن المتوكل الإمداد بالعسكر إلى ذمار وإلى عند عبدالله بن النَّاصر وإسحق فتقوت أيديهم ، وكان قد أرسل النَّاصر والياً إلى حراز ووالياً إلى الحيمة ، فمنع عن ذلك حسين بن المتوكل ، وجهز جماعة عسكر فأخرجوهم عنها ، ولما حدث هذا الأمر كان حسين بن حسن ومحسن بن أحمد بن الحسن باقين على إجابة صاحب المنصورة فبعثوا بطائفة من عسكرهم إلى بَعْدان فخرج عليهم عبدالله بن يحيى بن محمد بن الحسن فاحتربوا فيه وهزموهم وقتلوا منهم واستولوا عليهم ، وكان من جملة القتلى ولد مسمار من أصحاب حسين بن حسن ، ثم أن حسين بن حسن عوض بطائفة من عسكره رئيسهم ولده قاسم بن حسين فوصلوا إلى إرياب ما بين بَعدان وسمارة وبريم وسكنوا فيه لما لم يجدوا مدخلاً إلى بَعْدان فتلقاهم في إرياب علي بن حسين بن أحمد بن الحسن وعبدالله بن حسين وعبدالله بن النَّاصر ووقع الحرب الشّديد فاستولوا عليهم أجمع وأسروهم وقتلوا منهم وانتهبوا جميع محطتهم وقبضوا ولد حسين بن حسين القاسم بن حسين . وعند هذا ذكر رجل مجنون هذا صاحب المنصورة : قد كان سَبَّرت[1] له لكنه ما أحسن لنفسه . والحمزة بن أحمد بن الحسن صاحب الغراس كَرَّر الطَّلب لقبائل بني الحارث وهَمْدان على أنه يدخل بهم صنعاء فمنعوا أنفسهم وقالوا ما ندخل ويحصل بسبب قبائلنا فيها الظُّلم للمسلمين ولا نَدْخل بينكم أيضاً إلاَّ من استقر عليه أحد واتفق الناس عليه من السادة والقضاة والعقال فنحن مع الجماعة ، فأصابوا وأحسنوا وما قصروا ووافقوا الشرع الشريف .

وفي هذه الأيام ظهر حيوان منكر قال الناس : انه السبسب[2] فيه ضراوة فضر كثيراً من الناس وأكلهم في النهار والليل من صَدَفه منفرداً إلا أن يكونوا جماعة في بني مطر وضوران وسَنحان وقاع صنعاء ، وقد قتل منها بنو مطر وسنحان اثنين وفي طريق الغراس قتل واحد منها ، وبقى واحد منها في شعوب يدور أكل صَعْباً[3] بشعوب وآخر بقاع صنعاء

---

(١) سبّرت : صلُحت .

(٢) السبسب : سبق ذكره وهو الزبزب كما في حياة الحيوان ٢ . ٤ .

(٣) صعب : جحش

العدني وظهر في بلاد حضور ، قال من رآه من الناس : وصفته أنه عريض الصَّدر عريض الجبهة دقيق الخرطوم له أنياب ظاهرة عريض الذَّنب مسلوب من مؤخره وكبره ما بين الضبع والكلب إلا أنه أطول منهما وصار يثب لمن ظفر به إلى النحر ولا يأكل إلا بني آدم سَلطه فالله يَدفع ضرره ، وخوف كثيراً من الناس وأكلت جماعة من الناس[1] ، وقد خرج هذا الحيوان في مدة محمد باشا في سنحان ، وقتلوه تلك المدة ثم لم يظهر إلى التاريخ .

وفي ليلة سابع شهر صفر وقت العشاء : خر نجم من المغرب إلى المشرق سمع له حركة من شدة خريره فسمعه كل الجهات ورأوه كل يقول هو في جهته .

وفي العشر الأخرى من صفر : وصل الخبر أنه اتفق حرب في الجند ما بين إسحق بن المهدي ، وحسن ولد صاحب المنصورة ، وصنوه محسن الذي كان أسره إسحق ثم أرجعه عند والده في الحرب الأول وكان هذا الحرب الآخر في الجند ، فانكشف عن قتل كثير من الجانبين ، ثم كاد أن يغلب إسحق ومن معه فجاءت الغارة من حسين بن علي بن المتوكل ومن عبدالله بن محمد بن الحسن ، فوقعت الهزيمة في أصحاب صاحب المنصورة ، واستولوا على المحطة وأسروا الحسن وصنوه محسن مرة ثانية ، وحضر أيضاً في الحرب علي بن حسين بن أحمد بن الحسن في جانب يوسف ، ثم رجع كل إلى مكانه وعند ذلك أذعن إسماعيل بن محمد بن أحمد بن الحسن بالمواجهة ، وهو في جبلة لما رأى أن قد صار في حكم المحتاز في جبلة من جميع الجوانب من أعلا وأسفل إلى يد صنوه عبدالله وشرط رجوعه إلى والده .

وعلى الجملة أن الأمور فيها اضطراب وقتال على الملك بلا شك فالله يدفع بدفاعه ويسكن ثائرة هون الفتنة التي عُقْباها عليهم وعلى المسلمين وخيمة ، وحال كَتْب الأحرف ، وصلت كتب إلى حسين بن المتوكل أن حسين بن حسن واجه إلى يوسف واستكملت المواجهة والقبض على بنى المهدي أحمد بن الحسن ، وبقى صاحب المنصورة في منصورته وإخوته وأولاده قد خالفوا عليه ،وقبض على من قاتل معه ، ووقع في حرب الجَنَد القتل الكثير قيل نحو مائتين من الجانبين وقيل أكثر ، فلا قوة إلاَّ بالله ،

---

(١) علق أحدهم بهامش المخطوطة قوله : وقد اتفق مثل هذا في سنة اثنى عشرة ومائتين وألف أو نحو ذلك وهلك جماعة في حضور وبلاد همدان وبلاد سنحان وعلمان وغير ذلك وأخاف الناس لاسيما الأطفال ، وقد ذكره في حياة الحيوان بالزبزب من حرف الراي وذكر ظهوره ببغداد وظهوره على أسطحتهم واهتمامهم به وتحارسهم وضربهم الطسوت ونحوها لا فراعه أه قلت أنظر مادة زبرب في حياة الحيوان ٢ ٤٠

وكان أكثر من أجاش به صاحب المنصورة من الحجرية لأن العسكر كانوا قليلاً عنده .

وقد غيرت هذه الدولة حالها وسعت في خراب ملكها وأغرت عليها غيرها وحصل خفضهم لما كان يرفعهم وضرهم ما كان يَنْفَعهم وغاب عنهم من السعد والإقبال ما كان يحضرهم ، وخذلهم من الكل ما كان ينصرهم ، وانفتحت عليهم الأيام وقلبت لهم وجوهها ، وكشفت لهم مكرها وأبرزت لهم مكروهها وأغارت عليهم الغير فسبتهم وسلبتهم وغالبتهم فغلبتهم ، وأذلت أنفسهم العزيزة وهدمت معاقلهم الحريزة ، وطمست على أموالهم المكنوزة ، وصارت الدنيا عليهم بعد أن كانت لهم وجعلت ظلّهم هجيرهم[1] بعد أن كان هَجيرهم ظلّهم ، وانطفى الملك وعفى السلطان ومشى عَليهم الدهر وجرى عليهم الزّمان وجاهرهم من استحالات الناس حالات ومن بلوتهم ألوان وتخليفات شعراً :

والناس أعوان من والته دولته وهم عليه إذا عادته أعوان

والجرموزي السيد حسن الذي كان في المخا سلم ما سلم من المال لصاحب المنصورة وحمل باقي ما معه من المحصول وشد بخزائنه وأثاثه من المخا طريق تهامة وخرجت من بيت الفقيه طريق الحيمة حوائجه وجواربه إلى صنعاء وهو بقى برأسه مرسماً به[2] في المنصورة .

وجاء الخبر بثامن ربيع الأول : أن مدينة تعز دخلها أصحاب يوسف وملكوها ، وكان فيها من قبل صاحب المنصورة المتولي لها الشيخ ابن راجح الأنسى ، وكان[3] دخولها ولم يجر فيها قتال ولا انتهاب ، وإنما حصل طرف قتال خارجها ما بين أصحاب يوسف وأصحاب صاحب المنصورة ، وهو أن ولده إسماعيل كان بعد خروجه من جبلة[4] سكن خارج المدينة فقصده حسين بن علي بن المتوكل ، وعبدالله بن يحيى بن محمد بن الحسن ومن معهم من من العسكر ، فاتفق طرف حرب قتل من أصحاب اسماعيل ثلاثة ثم انهزم إلى الدمنة ، فعند ذلك واجه أهل تعز وتبع حسين بن علي ومن

---

(١) هجيرهم : الهجير والهاجرة : نصف النهار في القيظ خاصة عند زوال الشمس مع الظهر أو من عند زوالها إلى العصر لأن الناس يسكنون في بيوتهم كأنهم قد تهاجروا .

(٢) مرسّماته : أي تحت الترسيم وهو التحفظ به من قبل الدولة .

(٣) الأصل : وكادخولها .

(٤) كتبها قعطبه ثم ضرب عليها وكتبها هكذا .

معه حتى بلغوا الدمنة ، وإسماعيل ترفع إلى حصن هنالك وواجهت تلك الجهة أيضاً إلى حسين بن علي وبعض الحجرية واجهوا إلى يوسف ، وعند هذه الأخبار تحرك القاسم بن المؤيد صاحب شهارة ، وقال : أما إذا كان هكذا وقد انتصب يوسف وهو حدث صغير السنّ فالأمر مشكل ، وكان قد كاتبه صاحب صعدة علي بن أحمد وكان علي بن أحمد قد انتصب للأمر في جهاته وأنه لا باس بالترادد هو واياه على ما يصلح ، ويريد أن يحصل الاجتماع بقاسم وانه يسلم له الأمر ويكونوا يداً واحدة ، وقيل انه كاتبهم حسين بن حسن صاحب رداع ، فالله أعلم ما يكون منهم .

ووصل إلى ضوران رسول من عبدالله بن الناصر انه يحتاج من يوسف دراهم للعسكر فقال للرسول : لم يكن معه خزانه ولا مادة والبلاد قد تقسمت .

وعند ذلك في عشرين شهر ربيع الأول : سلم قاسم بن المتوكل صاحب ثلا لصنوه يوسف ، وزيد بن المتوكل سار من بلاد ريمه إلى تهامة فاستولى على زبيد وواجه إليه ، وكاتب صاحب المخا إلى يوسف .

وخرج الفرنج ببضاعة أدخلوا بعضها إلى المخا ثم ركزوا[١] في باب المندب لتلقي الحاكم العماني وتجار عمان فتحير النعمان عنهم .

ووصلت كتب صاحب صعدة علي بن أحمد إلى قضاة صنعاء وغيرهم بأنهم يجيبونه في دعوته ، وان النية معه إلى الخروج إلى جهة اليمن من صعدة لتكون اليد له ، وأن الناصر ليس بأهل وانه أراد أن يأخذ ذلك بالسيف ، وحصل ما حصل بسببه وأمره بجبلة من المقتلة المنكرة ، وان يوسف دعا الرضا وأنه لا يصلح وأنه قد دعا إلى نفسه راض لنفسه بما دعا غير مشروط بالرضا من غيره فحصل الأمر العجيب من هذا الاختلاف كلما أشرف السكون من جانب انقض من جانب .

وجاءنا كتاب من علي بن أحمد هذا بمثل ذلك وانه يستمد الرأي في ذلك بعد إبرامه فكان كما قال الأول في المثل[٢] « ذرينا شعير ما تشير » ، فأجبت عليه بما معناه : أن الأولى أن تكون أموركم مَبنية على التسكين وحفظ ما تحت يده من بلاده الأولى انتساباً إلى الأولين وليكن الأمر من الجميع على طريق الاحتساب لعدم كمال الشروط التامة

---

(١) ركزوا العلم . نصبوه

(٢) من الأمثال الدارجة عند أهل صنعاء .

ولأجل يكون في ذلك الصَّلاح بتَسْكين ثائرة الفتنة وأن قد ذكر العلماء كالنجري من الهدوية في معيارة ، وعبدالسلام من الشافعية في قواعده : أن درء المفاسد أولى من جلب المصلحة ، وذكر الزمخشري في تفسير سورة الكهف أن الشرائع مصالح ، وأن هذه المسألة كلها ظنية ،وارتكاب المقطوع بالمظنون لا يجوز من القتل والقتال وغصوب الأموال وأذية المسلمين والمحافظة على بلادكم أولى من خروجكم مع أن أحمد بن زيد صاحب مكة بلغ انه خرج إلى بيشة ويخشى إذا خرجتم من اختلال بلادكم .

والضربة غَيَّرها صاحب المنصورة وجعل إلى ما كانت عليه وجعل إلى ما كانت عليه في زمن والده أحمد بن الحسن واستقر الضرب للقرش عنده منها للخمسة أخرف وصعدة كذلك غَيَّروها ولم تسلك فيها ضربة غيرهم أصلاً ولأجل هذا . وقل القروش ، والضربة في بلاد يوسف كسدت وفترت ولم يبق فيها محصول كما كانت ولم تبق ضربته إلا الشيء الحقير في بعض الأوقات وصارت تضمحل وتصغر حتى صارت البقشة الخمس بقشة صغيرة بلغ صرف القرش إلى سبعة وعشرين حرفاً منها .

وحسن بن المتوكل استولى على الضامر من بلاد حراز ، وتصرف فيه لاتصاله ببلاده بمساقط حراز من جهة الغرب مما يلي الحفار وبلاد لعسان ، وسبب عزل الناصر لصنوه محسن من بلاد الغراس وتولية الحمزة عزمه من رداع وموالاته ليوسف ووصوله إليه إلى ضوران حال مروره فلما بلغه ذلك عزله عن البلاد .

وفي هذه الأيام : تقرر زيد بن المتوكل في المخا بعد أن قرر عمله واستولى عليه وخطب فيه لأخيه يوسف واستولى في المخا على علي بن يحيى بن حسين بن المؤيد وأرسل به إلى ضوران تحت الأسر فوصل ضوران .

وظهر خبر من رجل خصيص أن صاحب المنصورة الناصر كتب إلى أحمد بن زيد أنه يمده بغارة أو انه إذا غلبوه فانه ربما يرحل إلى بلاده مكة ويستعين به فى المخرج ، هكذا أخبرنى به من له اتصال به واختصاص بجناب صاحب المنصورة ، وأنه يريد الخروج من المنصورة هذه الأيام إلى السهل فان حاوله مطمع فى الاستيلاء على بلاد تعز ثم النفوذ إلى غيره فذلك ، وأن لم يحصل عرج إلى تهامة ، وسار جهة الشَّريف ولو إلى صبيا ويستمد من هنالك من رئيسهم أو الى اللحية لأن صاحبها حسن بن المتوكل من أعوانه وأتباعه فهذا من العجب .

وقبائل المشرق استولوا على بلاد لحج وحصل في اليمن الأسفل من الريش ما لم يحصل مثله فلا قوة إلا بالله .

وصاحب المنصورة كاتب إلى يافع بأنهم يعينوه على عيال الإمام المتوكل ومن انضاف إليهم وبذل لهم ولاية عدن وبلاد لحج فلم يسعدوه ، وقالوا : المراد حفظ بلادنا .

وحصلت الحوزة على المنصورة من جميع الجوانب وطرح بعض القوم في محل يقال قدس . وخرج السيد حسن الجرمرزي رسولاً بالخوض بالصلح فكان خروجه من الفرج له ، فلم يكن همه إلاَّ النجاة من حبال صاحب المنصورة بعد ما حصل معه من الترسيم والصيقة . ولم يبق لصاحب المنصورة من البلاد التى حوله مادَّة بل ينفق ما جمعه من الدخرة على من عنده ممن بقى من الخاصة ، وعلى الجملة أن أكثر اليمن قد صار مجيباً ليوسف والتهايم والجبل لم يبق إلاَّ صاحب صعدة . ويوسف أصغر أولاد المتوكل سنُّه فى نحو خمس وعشرين سنة والملك للّه يوتيه من يشأ والله يصلح البلاد والعباد .

وفي ثامن شهر جمادي الأولى : كان تحويل سنة العالم لدخول الشمس أول درجة الحمل وزحل قد خرج من السنبلة والمشترى في برج القوس وكذا المريخ والجوزهر في العقرب والقمر في الجوزاء والزهرة وعطارد في الثور .

وطالت الفتنة هذه فيما بين المذكورين فهذا إلى هذا التاريخ سلخ جمادى الأولى منها سنة كاملة وجرى ذلك بينهم كما جرى مع ملوك الطَّوائف ، وقال الصفدي في شرح اللاَّمية[1] عند أول بيت منها في قوله :

أصالة الرأي اغنتني عن الخطل .

ما لفظه : لما استولى اسكندر على ملك فارس كتب إلى أرسطو يأخذ رأيه في ذلك فكتب إليه الرأي أن توزع ممالكهم بينهم وكل من وليته ناحية سمِّه بالملك وأفرده في ناحية ، واعقد له والتَّاج على رأسه وإن صغر ملكه ، فإن المسمى بالملك لا يخضع لغيره ولا ينتسب[2] أن يقع بينهم تغالب على الملك فيعود حربهم لك حرباً بينهم فان دنوت منهم دانوا لك ان نأيت تعززوا بك ، وفي ذلك شاغل لهم عنك وأمان لإحداثهم بعدك

(١) الغيث المسجم شرح لاميه العجم ١ . ٧٨ط العلمية .

(٢) الغيث المسجم : ينشب .

شيئاً ، فلما بلغ الاسكندر ذلك علم أنه الصَّواب وفرق القوم فى الممالك فسموا ملوك الطّوائف[١] فيقال إنهم لم يزالوا برأي أرسطو مختلفين أربعمائة سنة ولم ينتظم لهم أمر انتهى كلامه .

وطلع جماعة من الهنود الواصلين بالبز من المخا إلى صنعاء خشية منهم على ما معهم لما رأوا أعمال المخا بسبب زيد بن المتوكل مجعوثة .

وجاء خبر : أن الزريقة من الحجرية والوا إلى صاحب المنصورة ووعدوه بالقيام معه والإعانة بدفع المحطة التي عليه من ولده وغيره ، فعند ذلك كَتَب حسين بن علي وعبدالله بن يحيى إلى يوسف بالإمداد بالعسكر لئلاَّ يحصل ما يحص باجتماع القبائل ، فكتب يوسف إلى صنوه حسين صاحب صنعاء ويحيى بن محمد فأرسل حسين بجماعة عسكر نحو أربعمائة رئيسهم شيخهم الشيخ صلاح بن خليل الهمداني . وفي خلاله هرب من أصحاب حسين بن علي بن المتوكل النقيب البرطي الملقب الفرحة بجماعة من أصحابه إلى المنصورة ، وصارت المنصورة يدخلها يومئذ من طريق القماطرة[٢] ما يحتاج إليه مما يجلب فاسترجع بسبب ذلك وركدت المراكزة حينئذ . وقيل وسبب هرب النقيب الفرحة أنه كان أرسله إلى المنصورة على صفة أنه يستخرج له بعض شئ من المال فسار إلى هنالك ووصف لصاحب المنصورة انه إذا بذل له من المال وصل مواجهاً وانتقل من محطته وتنحى إلى الدمنة فأعطاه ألف دينار من الذهب وألف حرف عددي من الفضة وخرج بها إلى حسين بن المتوكل فرجع حسين عن ذلك القول وأراد يأخذها منه ولا يتم منه ما قال فأبى النقيب ، وقال : هذه أمانة لا يغدر فيها إلا بتمام قوله الأول فانسل هارباً وأعادها جميعاً فسمح صاحب المنصورة للنقيب بالعددي وقبض الذهب ثم أن النقيب لازمه وما زال يخرج إلى الغزو إلى المحطة في الليل .

وحصل قران بين الزهرة وعطارد في برج الثور شوهد قرانهما وقت المغرب عقب غروب الشمس .

وفي هذه الأيام : السيد حسين بن زيد بن علي حجاف الذي كان متوليا ببندر عدن من قبل صاحب المنصورة طلبه الناصر إلى المنصورة فصادره بجميع ما معه وخرج منها لا

---

(١) أنطر حول ملوك الطوائف في مارس في تاريخ الطبري ١ : ٥٨٠ - ٥٨٤

(٢) كذا عند المؤلف وهي المقاطرة . ناحية معروفة من بلاد الحجرية وربما كانت هكذا تنطق عند العامة في ذلك الوقت والله أعلم .

يملك مما جمعه شيئاً حتى مماليكه وهو الذي اختار هذا فإنه لما عزل من زبيد وبيت الفقيه أيام أحمد بن الحسن تاقت نفسه إلى الولاية فقصد باب المنصورة فولاه عدن ، ثم خرج منه عطلاً[1] ، وولايات صاحب المنصورة ليس لها أمل لأنه سريع الانقلاب فيها والمصادرة فيما جمع منها .

ثم خرج الناصر يوم ثاني إلى محطة ولده عبدالله وصنوه إسحق فوقع حرب أعظم من الأول واستمر ذلك اليوم الذي خرجوا فيه عليهم إلى الليل من ضحوة النهار إلى يوم ثاني ثم عاد إلى المنصورة وقد راح من الجانبين كثير ومصاويب ووصل جماعة منهم إلى صنعاء وإلى البلاد العليا سائرين بلادهم .

وضايقوا المنصورة ورموا بالبنادق إلى دخلها فأصابوا جارية في حجرة الدار حاملة لشيء من الطعام فسقطت في حجرة الدار ميتة لا قوة إلا بالله ، وحصل في هذه الحرب الإعانة من أصحب ابن مغلس من قبائل الحجرية فكثروا قلهم فوقع ما وقع . وصار أصحاب يوسف يستمدون بالكتب إليه بالغارة وقد تعذرت لأن ذلك الحادث زاد الناس عدم الرغبة إلى العزم وقل المدد لضعف الدراهم وعدم الانتفاع بها ولأنه لم يكن مصدقا مع يوسف غير صنوه حسين صاحب صنعاء فأما غيره وإن قد والوا في الظاهر فهم غير منجدين ولا واصلين ولا ناهضين بل صاروا محافظين لبلادهم ، ويقول لسان حالهم : أنه أن حصل نصرة ليوسف فقد والوه وأن حصل خلافه فهم لم يجر منهم محاربة لصاحب المنصورة .

وفي هذه الأيام بنصف شهر جمادي الأخرى : ضعفت الضريبة مع حسين بن المتوكل وغيره ، وتعذرت القروش والدراهم الأولى وامتنع التجار عن تسليم القروش لأجل قلتها معهم ومن معه بقية منها يريد إذا حصل له عوض من الموسم الهندي ولعدم المصلحة فيها وصفر بقشها وارتفاع الصرف فيها ، بلغ القرش خمسة وثلاثين حرفاً وأكثر فلم يبق مهم خراج فيها ، فأمر حسين بن المتوكل البانيان على تسليم قروش فامتنعوا فأمر بجماعة منهم الحبوس والحصون وقال : لا بد لهم من التسليم فقالوا : خراج لهم فلم يعذرهم وغلقوا حوانيتهم وهم الذين كانوا يبذلون الشفعاء في قبول القروش للضربة ولكنهم لما عرفوا بضعفها بعد وصغرها امتنعوا .

---

(١) عطل : بفتح العين والطاء : عاطل « معروف » .

وجاء الخبر : بوصول الجنود العثمانية إلى مكة وخروجهم عنها طريق اليمن في هذه الأيام بأول رجب ، وأن أحمد بن غالب الشريف الأمير المكي قد بلغ إلى قحطان ووادي ذهبان رأس بلاد الحجاز فمن الناس كثير قال : في ذلك فرج على المسلمين من هذه الفتنة التي طالت باليمن من غير مصلحة للمسلمين ولأن الظاهر انها لا تنقطع فيما بينهم لأنهم قد اشتجروا على البلاد وكل منهم يريد بلاد الآخر .

وجاء خبر : أن حسين بن علي وعبدالله بن يحيى واجهوا وطلب لهم الأمان الشيخ الأحمدي ودخلوا المنصورة .

وبقي يوسف في حيرة وسقط في يده لا سيما وصنوه زيد بالمخا قد واجه إلى صاحب المنصورة فتغلق باب اليمن الأسفل جميعه إلى سمارة .

واستعاضت الأخبار بصنعاء وغيرها بخروج أحمد بن زيد وأحمد بن غالب شريف مكة معهم جيوش وأمراء من العرب والترك كثير وأن أولهم دخل صبيا[1] ، ثم جاء الخبر : قدموا صبيا إلى صنعاء .

وفي يوم الجمعة ثاني عشر رجب : أمر الدولة بأنة البقشة التي كان حسابها خمسة كبار تكون بقشتين لضعفها وصغرها ، ففرح البعض وتغير البعض من الناس : الفقراء استراحوا لذلك ، والأغنياء تضرروا لأن عليهم كسراً فيها وارتبشت أحوالهم وغلق[2] كثير من أهل البيع والشراء حوانيتهم واضطرب الحال في التعامل بذلك وضربوا ضربة أخرى تكون أكبر من الأولى قليلا ، وقالوا يتعامل بهذه وهذه كل شئ بحسابه ، فلذلك حصل الاضطراب في التعامل وهذا من الضرابين حيلة لما تناهت الأولى في الصغر التي لم يمكن ضربها ، ولم يبق لهم مصلحة لعدم تمكن تصغيرها فلما ضربوا الضربة الجديدة صاروا يصغرون قليلاً قليلاً لأجل تثبت لهم المصلحة وهي مفسدة في الحقيقة وبخس فلا قوة إلا بالله ، وجعلوا الوقية [3]يدخلها ثلث نحاس وثلث جسد[4]وثلث فضة وقد يزيد على ذلك في الغش .

---

(١) هنا قدر كلمتين لم تتصح في الأصل لشدة الكشط ، وقد جاء هذا الخبر جميعه مصروبا عليه من قبل المؤلف والله أعلم

(٢) علق أغلق .

(٣) الوقية · الأوقية من الأوزان معروفة . يختلف مقدارها شرعا باختلاف الموزون والأوقية من غير الذهب والفضة أربعون درهماً = ١٢٧ غراما وأوقية الفضة أربعون درهماً ولكن درهم الفضة يساوي ٢٫٩٧٥ وعلى هذا فأوقية الفضة ١١٩ غراما « لغة الفقهاء : : ٩٧» .

(٤) الجسد . يطلق على الذهب والفضة والرصاص والاسرب والحديد والنحاس .

وبلغت الأخبار أن صاحب المنصورة يريد التجهز على يوسف إلى ضوران وصنعاء وقال : نقصدهم ونحوزهم كما حازونا وضاررونا فجاء إخبار أن الخارجة من عساكر السلطنة وفيهم الشريف أحمد بن زيد وأحمد بن غالب وغيرهما ففرج الله فلعله يحصل التفريج على المسلمين من طول هذه الفتنة ، ويكون على أيديهم فك هذه المحنة ، وتكون كدولة عيال مطهر بن شرف الدن لما اختلفوا اختل ملكهم وانتقل إلى غيرهم فسكنت الأمور ، والظاهر أنه لا يسكن هذه الفتنة التي قامت فيهم إلا يد أخرى وإلا فغريب المحال اجتماعهم بالاختيار إلا أن يكون[1] . . . .

وفي هذه الأيام : بعد ان استولى محمد بن أحمد صاحب المنصورة على أصحاب يوسف كما سبق ، وتكاثرت كتب يوسف إلى صنوه حسين والي صاحب عمران وكوكبان ليقفوا وواعدوه ، بالتجهيز من غير جزم منهم .

وحسين بن حسين السحولى الذي كان يخطب بصنعاء لما بلغه حادث المنصورة هرب يوم وصله الخبر إلى بلاده بجهران واستقر فيها خائفاً مترقباً إذا حصل من صاحب المنصورة قوة يد لأجل ما جرى منه من الخطب والاستحداد فيها ، وكان قد سبقه هارباً ابن أخيه محمد بن ابراهيم السحولي وهو الخطيب في الأصل بصنعاء لما أمر بالخلع لصاحب المنصورة فامتنع وسار بلاده .

وفي آخر يوم بشهر رجب : ترجح لقبائل بني الحارث وهمدان أن نوروا في بلادهم ونصروا لصاحب المنصورة محمد بن أحمد بن الحسن قيل انها جاءتهم كتب منه فأجابوها لما رأوا ضعف صاحب ضوران وصنوه ، وكان صنوه حسين وهو يبالغون في تجهيز عسكر من عندهم ويبذلون لهم الجوامك مع قلة ما في أيديهم فيحصلون ذلك بالجهد الجهيد من معاون ، وما يجدون من دور الضرب معهم على تقالل محصولها بعد أن تغيرت الضربة فيها والانكسار حصل معهم لما حولوها وجعلوا الخمس الأولى على النصف من الضربة الأخرى فانكسروا فيها وانكسر كثير من أهل البيع والشراء وتقالل الداخل والخارج بالأسباب ، واضطربت الأحوال ، وكلما تكلفوا على اصلاح شيء انتقض من الجانب الآخر ، فإن بالأمس كانوا جمعوا عسكراً من بلاد آنس وبني

---

(١) كذا لم يكمل المؤلف الجملة

الحارث وصلوا إلى بعض الطريق وتفالتوا ورجعوا أرسالاً من غير مبالاة وراحت الدراهم التي بذلوها لهم ضائعة ، وكذلك مع الأولين تخاذلوا فيما بينهم وتماكروا . وعلى الجملة أيما التأم لهم أمر يريدونه بعد ان كان جرى ذلك قبل الاستيلاء من صاحب المنصورة ، فانه بلغ صاحب المنصورة الحالة الركيكة التي أيس منه أكثر الناس ، ثم كان الاستيلاء منه بسبب أنه بذل أكثر ما تبقى في خزائنه لقبائل الحجرية ومشايخها وأباح لهم ما انتهبوه على المحطة التي كانت غلبه فيها ، والسبب الثانى تخاذل العسكر فيما بينهم فانهم لما رأوا القبائل كثرت عليهم دَخَلوا في بعضهم البعض انهم مع صاحب المنصورة كون أكبر الفساد الذي معهم من قبائل بني الحارث وهمدان وهي بلاد أحمد بن الحسن فمالوا إليه ، ثم أن البلاد أكثرها مع غير أولاد المتوكل ، وهم صاروا مع أنفسهم في بلادهم ، وانما غاية مرامهم في الإجابة تارة لهذا وتارة لهذا ، لأجل لا يحصل عليهم الخلل من الجانبين بل من قوى منهم فهم معه فلذلك لم يرفعوا رأساً في معونة يوسف بل بعسكر مع كثرة مطالبته لهم وإنما صاروا يواعدونه مواعيد عرقوب ، وهم في خلال ذلك مكاتبون إلى صاحب المنصورة وانهم معه إلا ياتي منهم إلى جنابه ما يخشى ولا ما يدفعه ، وصاروا يأكلون محصول البلاد ويجمعون الخزائن منها والزاد ، ويوسف صاحب ضوران وصنوه لم يبق معهم ما يخزن ولا ما يجمع بل بلغوا في نفقاتهم إلى العدم والنفاذ مثل ما بلغ إليه محمد صاحب المنصورة وأبلغ ، والله يتدارك المسلمين بسكون ثائرة الفتن ما ظهر منها وما بطن .

وفى هذه الأيام وقعت المراكزة على المخا من القبائل مع عينة يسيرة من العسكر ، فخاف أهل البندر من النهب إذا دخل لأنه غير حريز وفيه يومئذ زيد بن المتوكل والسيد حسن الجرموزي واكثر مراكب الهند توقفت خارج البندر لما امتنعوا عن الدخول من البحر لما عرفوا بذلك والبعض قد كان دخل ولم ينزل أحد من التجار من اليمن الأعلا خشية على أموالهم .

ووصل خبر بأن عبدالله بن محمد الناصر لما رسم به والده ومنع الداخل والخارج عنده غير خدَّام واحد يخدمه ، وأمره في بعض الليالى أن يحرق مخزان البارود الذي تحت بيت والده ومن فيه ففعل ذلك فحرق نصف الدار وسلم والده لأنه كان في النصف

الآخر الذي سلم من الحريق أراد بمكيدة لوالده فيها ففطن به قبل حصول ما أراده ، فلما حصل منه ذلك أمر به والده إلى حصن الدملوه وشدد عليه بزنجير لما اطلعوه وقيدوه في الحصن المذكور .

وقد كان هذا محمد بن أحمد الملقب بالناصر المذكور أمر بعض القبائل أن يقصدوا إلى المخا لأخذه ونهبه فاجتمعوا طمعاً منهم فى أخذ أموال المسلمين فثبت لهم زيد بن المتوكل وعنده من العسكر نحو سبعمائة وضربت المدافع وجرحوا فيهم فانهزموا وقتلوا منهم جماعة وولوا الأدبار وحمى الله البندر .

ووصل كتاب هذه الأيام : من الشريف أحمد بن زيد بن محمد صاحب مكة إلى الناصر والمنصورة بأن صر العام الماضي وصر هذه السنة يسلموه ، وانه لا يعذرهم عنه .

وفي هذا الشهر [شعبان] مرَّ جراد جاء من جهة الشام .

وأهل الهند لما تكاملت مراكبهم رسوا في المرسى في باب المخا ولم يخرجوا إلى البندر أصلاً وصاروا يبيعون ممن وصل إليهم والمشتري القليل لانقطاع طريق المخا ، وإنما صار يصل من يصل من البحر من اللحية أو من طريق الساحل من تجار تهامة والبانيان ، فأما تجار البلاد العليا فلم يسافروا ثم اخرجوا باقي مراكبهم بعد واقعة موزع وهزيمتهم وتحولت الطريق إلى المخا من تهامة يومئذ .

وفي شهر رمضان : خرج صاحب المنصورة إلى قَدَس وأظهر الإعداد والبذل لمن خرج معه من الصفراء والبيضاء فاجتمع كثير من أجل الاطماع لديه وأهم بالتقدم إلى تعز ثم أنه عاقه الم فى رأسه أوجب عوده إلى المنصورة ، فسكنت الأمور بعض السكون وأما تعز فانه قوى رتبته .

وفي هذه الأيام : ازدات الضربة إلى الضعف والركة فجعلوا في الوقية قفلة فضة والباقي نحاس وجسد مخلوط بحيث أن بعضها يظهر فيها النحاس والحمرة حال الضربة ، فأما إذا بقت بعض أيام لم يبق بها انتفاع ، وبلغ صرف القرش بها إلى ثلاثين حرفاً واستوت ضريبة صاحب المنصورة وضريبة يوسف في الضعف ، وظهرت للدولة الركة المفرطة خصوصاً حسين بن المتوكل لأن معظم الدورة عليه ومبالغ الجهد في امداد العسكر الذين باليمن ومعاونة صنوه يوسف كل ذلك لتحمل صاحبه وزيره زيد الجملولي في

حملة على ذلك لأجل أنه يسلم من صاحب المنصورة لأنه كان حاول في طلبه إلى حضرته وحبسه وازالته عن يوسف . وظهر ظلمه في صنعاء في طلب المعاون من أهل البيع والشراء والتجار ومشاطرة أموالهم بالقرض الذي لا يقضى والمعونات والتعجل في الزكوات وطلبهم للقروش منهم للضربة كرهاً وغصباً ، وصاروا يجأرون بالدعاء بسبب ذلك لما لم يجدوا من ينصفهم ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

وفي يوم الثلاثاء من عشر شهر شوال : اتفق قران بين الزهرة وزحل في برج الميزان ، وحصل في هذا اليوم وهو الثلاثاء ثامن عشر شوال دخول الناصر جبلة واستولى على عبدالله بن يحيى وفرحان بعد حرب جرى هنالك وجاء عليهم بجمع لا طاقة لهم بهم أكثرهم من الحجرية ، فسقط في يد صاحب ضوران وصاحب صنعاء لضعف ما عندهم من المال والرجال ، وعدم نفوذ الأوامر والكلام وبقوا في حالة عجيبة من هذا الجاري وعرفوا انه بعد ذلك إليهم آت .

وجاءت كتب الناصر إلى أولاد المتوكل أنه لا سبيل إلى الاختبار والاجتماع بعدما قد جرى من النزاع فيما بينهم والحروب وليس معه إلا السيف لمن لم يسلم الأمر ، وأنه قد خرج من بلاد تعز إلى جهة جبلة ، وكان مما ذكر من الحادث بجبلة .

وكان خروجه من المنصورة في عيد الفطر بأول شهر شوال إلى قدس ثم إلى الجند ثم إلى القاعدة والحوض الأشرف خارج مدينة تعز وبنى على الارتحال بنفسه إلى البلاد العليا بجموع كثيرة من قبائل الحجرية أكثرهم ومن غيرهم .

وسار بعض قبائل الحجرية لمحاصرة بندر المخا فحاصروه حتى بلغ بعد الوقعة التى وقعت والهزيمة فيهم في موزع فانقطعوا ثانياً بزيادة جمع جمعوه حتى أن السعر بلغ في المخا المبلغ العظيم القدح وصاروا في حالة ضعيفة وقد كان خرج من عسكر زيد البعض عقب وقعه موزع والحال عجيب .

وظهر عن زيد بن علي الجملولي انه كان أرسل في رمضان رجلاً بشيء من أرصاد السحر أن يوضع بأرباع المنصورة حضرته ففطن به صاحب المنصورة ، فطلبها من المذكور وتعقب ذلك خروجه منها .

واستولى حال وصوله جهات تعز على أموال ابن راجح وقبضها وانتهب ما هنالك من

المنقولات للشيخ ابن راجح .

ومن ضعف رأي زيد بن علي الجملولي أ«انه حمل حسين على إرسال دراهم وكتاب إلى يافع ليكونوا عوناً لهم على صاحب المنصورة فقبضوا الدراهم وواعدوهم وليس مرادهم إلاّ حفظ بلادهم .

وفي يوم الجمعة ثامن وعشرين شهر شوال : دخل محسن بن أحمد بن الحسن من الغراس إلى صنعاء ، وذكر لحسين بن المتوكل انه في نية الخروج للقيا صنوه الناصر محمد بن أحمد بن الحسن صاحب المنصورة ، وانه ما يسعه إلاّ الخطبة والتسليم للأمر والموالاة لصنوه . وإلا فهو أول من يحاصر صنعاء وأن القبائل التى حول صنعاء قد والوا جميعاً إلى جناب ، الناصر فيخشى منهم على المدينة الضرر ان لم يوالى والأمر كما ذكره الليلة الأولى ليلة الجمعة نَوَّرت جميع بلاد سنحان والرحبة حين ظهرت النار في جبل نقم فما وسعه إلا الانخراط في سلك الإجابة للناصر وخطبوا هذه الجمعة المذكورة آخر جمعه في شوال للناصر ، وكان حال الخطبة وركز في الجامع سبعة بنادقية من العبيد بفتائلهم عالقة مقابل الخطيب فلما ذكر الخطيب الناصر وضعوا بنادقهم وصلوا مع الناس ، واتصلت الإجابة إلى شهارة فأما شهارة وبلادها فالخطبة فيها للناصر مستمرة لأنها إلى قاسم بن المؤيد وهو إلى جناب الناصر فزال بسبب ذلك عن الناس الحرج واطمأنت قلوبهم من الحادث وحصل لهم الفرج والله يصلح ما فيه الصلاح ، وكل هذه الفتنة هذه المدة سببها ولده عبدالله بن الناصر فانه الذي بعثها وإلا فكانت هادئة ساكنة وقد وقع في عمله والله يصلح أحوال المسلمين .

وبنو الجرموزى شدوا حوائجهم وخزائنهم من دار صنعاء الذي كان وصل إليه من المخا خشية على ذلك من الناصر إذا تمكن من الطلوع إليها .

ووصل واصل من ضوران يحقق أمر يوسف فقال : قد بلغ في الركة والضعف الحد الذى لا مزيد عليه ، وتقالل الناس حوله لم يبق له متابع ولم يبق في يده شيء من المال ولا الرجال ، وانه لما فتح على من عنده المشورة أجمعوا على أنه لا مصلحة له فى مقاومة الناصر بل التسليم أولى له إلا القاضى جباري حمسه فصار المذكور في الحيرة .
وقد قرب الناصر منه وشد من ضوران بعض حلله خشية لا يحصل فيه حرب يكون سببه

الانتهاب وحال بلغ يوسف قضية جبلة وهرب عبد الله بن يحيى وفرحان ووصولهم إلى ضوران فسح لأولاد الناصر الذين كانوا لديه منهم حسن وصل إلى الغراس وصنعاء ومنهم يحيى وإسماعيل نزلوا للقيا والدهم ، ولقد كان مشدّداً عليهم في الترسيم العظيم بالحرس في الطرق حوالي الحصين على طريق جماعة حتى حصل لهم الفرج والنفس ، وكذلك فسح لجميع من كان من أصحاب الناصر ، ومنهم من سار فلم يعترضه ، ولم يبق عنده إلا جماعة يسيرة من خاصة أصحابه مع أن منهم أهل العهد[1] هربوا مثل الخطيب وهو السيد أحمد بن محمد الجلال فانه هرب وامتنع عن الخطبة بالمرة وسار بيته بجراف مخراف صنعاء .

وسبب خروج الناصر من المنصورة أن قبائل الحجرية وصلوا إليه يشكون ما قد نالهم من المغازي في بلادهم بسبب الحروب وانه ربما يحصل مثل الذي قد كان أولاً فيها ، وانه يتوجب عليه صيانتهم والخروج من المنصورة وحدود الحجرية والتقدم إلى غيرها ، وانهم بين يديه فأخذ عليهم المواثيق ، وكان سبب خروجه .

ووصل رسول من مكة وهو الشريف أحمد بن هزاع بكتب مضمونها من جهة انها بلغت الأخبار إلى حضرة السلطان وأن اشراف اليمن يفردون الأمر لواحد منهم ويتركون الفتنة التى طالت بينهم وانه بلغ رجوع الحاج العام الماضي وانه اذا كان لخوف في الطريق فيسير معهم الشريف احمد هزاع إلى مكة .

ولما تفاقم الأمر على السيد حسن بن مطهر الجرموزي والي المخا وعرف معاملة الناصر له ، خاف فهرب من المخا وحمل ما معه من بقية المال وبقية أهله في البحر وتوجه مكة بحراً .

ولما استولى الناصر على اليمن الأسفل ولاه الولاة من تحت يده فجعل ولاية العدين للسيد حسن بن محمد بن أحمد الإمام الحسن المؤيدي الذي كان والده في زمن جده الحسن بن القاسم متولياً له ، وكان السيد حسن المذكور ساكناً بالعدين على ما معه من المال ، وإب وجبلة جعل عليها العمال ليكون السيد عليهم من غير مخالفة ولا قتال .

ووصلت آداب على جماعات من قبل الناصر ، وكذلك على اليهود والبانيان بسبب

---

(١) أهل العهد : أهل الوظائف الدينية ، ونحوها

الضربة المغشوشة .

وفي عشرين شهر القعدة : وصل عبدالله بن يحيى بن محمد بن حسن إلى صنعاء في حالة منكوسة ضعيفة في ثلاثة أنفار لا غير بعد أن مخارجه وحركاته في الجنود بين يديه والبلاد العدنية تنساق إليه والكلمة العالية معه في تلك البلاد اليمنية فالقدرة لله تعالى والحكمة ، ومن رأي حاله وما عليه وجميع من خالف على الناصر من الذلة اعتبر بهذه الدنيا وعرف انها كسراب بقيعة .

وفي يوم الجمعة عشرين شهر القعدة : دخل الناصر ذمار وجهز على يوسف إلى ضوران عساكره فوصلوا إلى رصابة [1] ، وكان أصحاب يوسف من بلاد أنس قد جعلهم رتبة في المنشية ونحوها ، فلما قرب منهم جنود الناصر ورأوا جهران قد أشعلوا النيران ونصروا للناصر هربوا إلى بيوتهم في آنس فسقط في يد يوسف ولم يبق في يده أحد كتب إلى الناصر بالمواجهة والإجابة ، وكان الناصر قد كتب إلى قبائل بني حشيش بالوصول إلى حضرته لمحاصرة يوسف قبل هذه المواجهة وانحسم الاختلاف بالأمر الغالب ليوسف ومن معه فالله يسكن الأمور ويصلح أحوال الجمهور .

وزيد الجملولي سار إلى حضرة الناصر بذمار قيل بطلاب منه وقيل ابتداء من نفسه ، فلما وصل إلى الناصر أمر بضرب عنقه بعد أن طيف به في سكك ذمار والمرفع خلفه ، وقال الناصر : إنه السبب في هذه الحروب والفتن التي جرت والخلاف عليه ، وهذه الضرائب ، وان كافة الناس يشكون ظلمه فيهم .

ويوسف بعد التسليم للناصر خرج من ضوران إلى حضرة الناصر بطلاب له .

والناصر كان سكونه بدار الأمير سهيل رأس ذمار من جهة الغرب .

وجاء طلاب ليحيى بن محمد ، وصل له رسول محمد بن محمد كاني التركي فسار إلى حضرته .

وفي يوم الثلاثاء بعد العصر ثالث عشرين القعدة : خرج حسين بن المتوكل من صنعاء لما بلغه قتل صهره زيد بن علي الجملولي كما سبق ذكره ، وما وقع معه وزاد حسين بن المتوكل نفوراً ما بلغه مع ذلك أن الناصر يريد تولية ولده إسماعيل بصنعاء وبلادها

---

(١) رصابة : أكبر قرية في قاع جهران جنوب صنعاء بمسافة ٧٥ك م « معجم المقحفي ٢٦٨» .

فخرج من صنعاء إلى جهة القبلة وحال خروجه لم يبق في يده من المال شيء لأنه كان نفذ ما معه فيها كان ينفقه على العسكر الذي يجهزهم إلى اليمن لأجل الناصر ، وعند خروجه من صنعاء انتهب دار الضرب الذي كان معه بالقصر وكذلك بواقي ما كان في بيت الجملولي في القصر ، ولم يبق في القصر أحد من أصحاب حسين بن المتوكل .

ووصل سعيد شاوش إلى صنعاء بأنه يقبض السلاح الذي ابتاع من خزانه القصر ، وبطلاب جماعة وأداب عليهم ، فساروا ومنهم من كان قد هرب ومن جملة المطلوبين جعفر بن مطهر الجرموزي فسار وهو خائف ، وكان قد طالت ولايته في العدين في زمان المتوكل وشكا أهل العدين به في الزيادات التي زادها عليهم فلم يشكهم ، ووصل طلاب لعبدالله بن يحيى بن محمد بن الحسن فهرب ولحق بحسين بن المتوكل لأنه عرف ما بعد الطلاب إلا السجن لما قد جرى منه من الحروب المرة الأولى والثانية ، وكان هرب إلى ذي بين عند أصهارهم بني زبيبه ، وكذلك هرب أحمد شمسان إلى قبائله بني جبر ، وطلب الفقيه يحيى بن حسين السحولي الناظر على الوقف فهرب أيضاً من بعض الطريق بعد خروجه من صنعاء قيل انه سار طريق اللحية لأنه أقرب[1] ، وبلغه شدة غضب الناصر عليه لأجل الخطبة التي خطبها في الخلع له وإقامة يوسف ، والقاضي جباري هرب من ضوران إلى قبة المهدي بن أحمد بن الحسن بالغراس يريد الجورة ثم إنه أمنه الناصر .

وبلغ أن الناصر برز بالوطاق في الديلمي شرقي ذمار يريد بلاد يافع لما حصل منهم التعدي في أطراف البلاد وقد كان برز به أولا في منقذة جهة صنعاء والقبلة حتى رفعه إلى هنالك ، ويوسف بن المتوكل وصل إلى صنعاء ، وكان صحبه إسماعيل إلا أنه تقدم قبله ، وسبب ذلك أنه أمره الناصر بأنه لا يعود إلى ضوران .

وفي يوم الاثنين تاسع وعشرين شهر القعدة : وصل إسماعيل بن الناصر إلى صنعاء متولياً وحاكماً .

وتمزق محصول المخا هذه السنة بعضه مع الجرموزي وبعضه مع زيد ابن المتوكل وبعضه مما بقى مع حسين بن علي .

وجاء خبر تسليم الأمر للناصر من حسن بن المتوكل صاحب اللحية ، وانه قبض على

---

(١) تقرا هذه اللفظة في المخطوطة « ابدت » .

السيد حسن الجرموزي في البحر بما معه من المال والبز والحوائج ولم يتم له الهرب إلى مكة .

وتمزق أولاد المتوكل ومن كان معهم في الجهات كل على وجهه متفرقين ليس همهم إلا النجاة . والناصر استقر بذمار وصرف همته إلى الجهات اليافعية فأول من أرسل السيد صلاح بن محمد في جماعة من العسكر طريق بلاد لحج ويحيى بن محمد بعد وصوله ذمار آخر شهر ذي القعدة أرسله طريق رداع أ قعطبه .

وكان حركة أهل المشرق إلى أطراف بلاد اليمن الأسفل سببا لكسر همة الناصر إلى النفوذ من ذمار إلى صنعاء وغيرها ، وسببا في كسر الخوف الذي كان قد حصل مع بني المتوكل ومن مال إليهم من الناس في البلاد العليا .

وسبب هذه الحركة إلى جهة حدود يافع ما جرى من قصدهم إلى لحج ، وما وقع منهم من الحرب لرتبة لحج ، قيل وسبب تحركهم انه قد كان حصل من يوسف مصالحتهم بترك بلادهم لهم ، والناصر قال لا يمكن ذلك فحصل ما حصل واستاصلوا رتبة لحج وقتلوهم لم يسلم منهم إلا دون العشرة وجملتهم فوق المائة ، فقد كان قتلوا منهم جماعة بالبنادق ومن داخل البيوت ثم كثرو عليهم ، ولما بلغ يافع تحرك الناصر لهم هربوا من لحج إلى بلادهم .

وفي أول شهر الحجة : وصل الخبر بأن صالح الرصاص مات في جهاته وعند ذلك بعث الناصر رسله إلى العسكر فسار بعضهم قبل عيد النحر وبعضهم وعد لبعد العيد .

والضربة التي من أولاد المتوكل كسوها وارجع الضربة إلى الخمس الأولى الكبيرة ، وضرب دراهم صغار عن بقشة صغيرة ، فكان الحرف ثمانية كبار بالخمس الجديدة وبالصغيرة الحرف قدر أربعين بقشة ، وكان صرف القرش بأربعة حروف من الكبيرة بعد أن بلغ صرف القرش قدر خمسة وثلاثين حرفاً ، وكان ذلك هو الضرائب الأولى ، فاذا استمروا عليها ولم ينقصوها انتفع الناس بها وان نقضوها كانت مثل الأولى .

وفي تاسع عشر ذي الحجة : وصل نقيب من عند الناصر إلى صنعاء بالقبض على وطاق حيدر ، وقد كان في بيت زيد بن المتوكل فقبضوا الخيام وحملوها وغير ذلك ، وحصل مع الساكنين في بيته ما حصل وذلك بسبب انه لم يسلم الأمر للناصر .

وحكم المنجمون بأن الشمس تكسف بآخر شهر الحجة يوم الأربعاء تاسع وعشرين في برج العقرب بالجوزهر الذي هو الذنب ، وحصل قران يومئذ بين الزهر وزحل في برج الميزان ، وسيحصل قران الزهرة والمشتري في برج القوس في أول السنة الآتية بآخر محرم .

وجاء خبر : أن صاحب صعدة علي بن أحمد لما وصل حسين بن المتوكل وعبدالله بن يحيى أجاب عليهم فيما ذكروه من الاستعانة في تحريك الفتنة فقال :لا يسعنا هذا ولا مصلحة للمسلمين ولا لنا يا أهل هذا البيت فيها ،وقد كفى بما وقع والدنيا عند الله حقيرة والمقصود فيها السعي في الصلاح ودرء المفاسد أولى من جلب المصالح ، فسقط في أيديهم وتحسروا في أنفسهم وخابت آمالهم فيما كانوا يظنوه من مطابقة هواهم .

وخرج هذه المدة من يافع رجل بكتب إلى أحمد بن زيد يذكرون فيها أن عيال الامام اختلفوا واشتجروا ، وان قد سبقت منهم كتب أولى مثل ذلك وان المبادرة مطلوبة ، وانكم إذا جهزتم من جهتكم عينة يدخلون من تهامة ونحن نفتح من جهة المشرق إلى حدود البنادر والي حيس فعلتم ذلك فظفر بها أصحاب المناصر وأتوا بالمكتب إلى حضرته ، فطوق الزنجير في رقبته واعتقله في بعض معاقله قيل وهذا الرجل سيد .

وفي آخر شهر الحجة بطلت السكة من الدراهم الصغيرة وأعيدت الضربة الأولى التي كانت زمان المتوكل كل بقشة خمس كبار من الضربة الكبيرة ، ومع صرف القرش بها إلى أربعة حروف .

وفي هذه الأيام : كان سعر القدح الصنعانى بصنعاء مع كبر القدح من عشرين بقشة أربع خماسيات ، والبر من حرف بعد أن كان القدح في هذا التاريخ أيام صراب الثمار من أربعة حروف والبر من ثمانية فنزل بسبب هذه الضربة النصف ، وكذلك سائر البضائع إلا أن أهل الأسباب الذين كان اجتمع معهم من الضربة الأولى حصل عليهم الكسر خصوصاً التجار ، فإن استمرت هذه الضربة على حالة واحدة فالمصلحة ظاهرة مع الناس والله يصلح الأمور .

وأرسل قاسم صاحب شهارة إلى بيت الجملولي بسيران فوجدوا أشياء كثيرة من الذهب والقروش فطبع عليها وسار إلى السودة استقر فيها .

واكتسفت الشمس في يوم الأربعاء تاسع وعشرين شهر الحجة في برج العقرب طلعت كاسفة ، وكان الكسوف فيها من أسفلها قدر نصفها بالذنب فالقدرة لله .

ودخلت سنة تسع وتسعين وألف

استهلت بالجمعة بالرؤية ، وبالخميس على الحساب ، والناصر بلغت جنوده إلى حدود جبل حرير وحدود بلاد يافع ، استقر فيه السيد صلاح الديلمي بمن معه من العسكر ، وأهل الحيمة ومن إليهم من جهة أخرى .

وكان الشيخ عبدالغفار من آل باعلوي هذه الأيام بصنعاء ، وهو يسكن بحضرموت وبالجوف ولهم فيه معتقد ، وكثيرا ما يختلف من حضرموت إلى صنعاء طريق الجوف ، رأيته ظاهر الصلاح والتسليم ويحب الإصلاح فيما بين المسلمين ، ذكر قرب الطريق الشرقية من حضرموت إلى الجوف إلا أنها في بعض المراحل مقاطع وقال : ان من حضرموت الى أطراف الجوف نحو عشرة أيام وأقل من ذلك والى نجد كذلك ، ومن العجائب انه يسير بغير نعل حافياً ، وهو شافعي في المذهب قد وخطه الشيب وله قدرة على الأسفار فيما بين هذه الجهات ، وفيه أخلاق طيبة ولا يسأل أحداً بل أن اعطى شيء قبله من غير سؤال .

وصار الرؤساء والمطلوبون من أصحابهم يقدمون رجلاً ويؤخرون أخرى ومنهم من يعتذر بجمع الثمرة ، وأما الذين قد ساروا أولا مثل أهل الحيمة وبعض العسكر من غيرهم ، فوقفوا منهم في رداع ومنهم في حدود جبل حرير ، وكلما كتب إليهم الناصر قالوا : يلحق جميع العسكر والرؤساء وهم يتقدمون جميعاً ، والله يصلح للمسلمين ما فيه الصلاح .

وحسن بن المتوكل قد كان خرج من اللحية يريد الوصول إلى حضرة الناصر لإجابته ، فكتب إليه الناصر بأنه يتوقف هذه الساعة في جهاته ، والمطلوب إنما هو المعونة بعسكر أو مال .

وسار المطلوبون من العسكر وغيرهم من خولان صنعاء وسنحان وغيرها بعد تمام الثمرة معهم ، ما وسعهم إلا العزم لإجابة الناصر فساروا في نصف شهر محرم ، وكذلك صاحب كوكبان جهز محطة من عنده نحو سبعمائة ورئيسهم مهدي بن الناصر بن

عبدالرب بن علي بن شمس الدين بن الإمام شرف الدين ، وصاحب عمران كذلك أرسل عسكره ، وتتابع الناس إلى حضرة الناصر ، وكان قد ترتب قبائل الرصاص طرف بلادهم بالزهراء لأنهم أظهروا الخلاف مع يافع ، فخرج الذين قد كان اجتمعوا برداع الخريص ببلاد قيفة وتقربوا منهم وهم قدر ألف نفر مع يحيى بن محمد ومحسن بن المهدي أحمد بن الحسن فهربوا منها ، وتقرب العسكر إلى المعسال .

وجاءت كتب يافع بالمواجهة فلم يجب عليهم الناصر بجواب ، وقال : لا بد من دخول البلاد وأخذ ما قد أخذوه على الناس وما جرى منهم سابقاً من العناد .

ووصل كتاب من الناصر إلى يوسف وهو بصنعاء انه يمتنع من التقدم في المحراب[1] يوم الجمعة للصلاة فان في ذمته ما قد جرى عليه من الخروج والحروب والديون اللازمة وليتقدم غيره وهو يعزم شهارة فترك المذكور التقدم وامتثل وتأخر للصلاة في المؤخر ، وراجع إلى الناصر من جهة العزم إلى شهارة : وانه لا يعرفها لأنه ولد بضوران وتلك الديار ، وقد صنعاء أوفق في البقاء والحركة تعسر عليه في هذه المدة ويلزمه لوازم شاقة وان ينظر وصايا من صنوه يريد افتقادها وتنفيذها .

وأخبرني بعض الحجاج الذين جاؤوا طريق تهامة قال : لما وصلوا إلى أبي عريش طرف بلاد صاحب اليمن بقوا منتظرين لوصول أمير حاج ، على ما قد كان بني عليه يوسف بن المتوكل بتجهيزه ، فلما أزف الوقت ولم يصل في وقته اجتمع أحمد بن مهنا وجمع قبائل من الحرامية بصبيا وأفاض عليهم بشأن الحجاج ، فقالت الحرامية وأهل البلاد : إن كان مع الحجاج أحد أمير من صاحب اليمن فلابد من تسليم المعتاد ثلاثين كورجة [2] وقدر مائتي قرش ويسلم حق العام الماضي مع هذا العام دخلوا وساروا آمنين إلى بيت الله الحرام ، وان لم يكن أحد أمير دخل الناس والبلاد ، بلاد الشريف ولو لم يصر إليهم شيء من الأصل ويدخل مع الناس الشريف أحمد بن مهنا الذي من قبل أحمد بن زيد فانه يكفي الحجاج وإلا فلا حرج عليهم ، فدخل كثير من الحجاج مع أحمد بن مهنا إلى بيت الله الحرام ، ورجع من رجع وهم القليل ، مع أن الحجاج من أصلهم لم

---

(١) يعنى محراب الجامع بصنعاء .

(٢) كورجة : الكورجة في غير الموزون تساوي عشرين وحدة « قانون صنعاء : ١٩ » .

يكونوا كما كانوا ، وحجوا وعادوا طريق الحرامية بلاد الحجر ، ومعهم في العودة شريف الخلا[١] أخذ منهم المعتاد من المجبا لا غـيره .

ووصل إلى حضرة الناصر بعض شعراء صنعاء فقال : لاحظ لكم عندنا لأن ألسنتكم طالت علينا فرجع بغير شيء ، والسنة حرمانهم كما جاء في الحديث[٢] النبوي « احثوا في وجوه المداحين التراب » ، أي احرموهم .

وفي هذه الأيام بآخر شهر محرم : وصل إلى حضرة الناصر أصحاب يحيى بن محمد يشكون منه في عدم الوفاء بالجوامك وانه أعطاهم من الدراهم الأولى وقد كسدت لا تنفعهم ، وقد كان يشكوه مرة أمر له بدراهم من عنده وأنه يريد الآن يسلم لهم من الجديدة بقدر حساب الأولى فيجعل الثلاثة بحرف من الجديدة فعند ذلك عزله وجعل صنوه عبدالله بن محمد الصغير في السن مكانه وولاه بلاده .

وحصل هذه السنة في بندر المخا كساد البز الخارج من البحر لأجل قلة نزول التجار هنالك . . .[٣] في البحر وتحريقها بما فيها بالنار عداوة للإسلام ، ولكن لما كان البز كثيراً من العام الماضي والذي قبله لأنه كان باليمن العالي اكتفى التجار والناس به ولعله يحصل لهم رأس مالهم فيه في الذي بقى معهم منه ، بعد أن كان بعضه قد باعوه برأس المال دينا إلى هذا العام .

وجاءت كتب صاحب صعدة علي بن أحمد بالتسليم للأمر إلى جناب الناصر وخطب له بصعدة وأطلق الناصر صنوه إسحق من حبس المنصورة ووصل إلى صنعاء ، وكذلك ولده عبدالله أخرجه من حصن الدملؤه وطلع إلى حصن ذمرمر محلهم ، ولكنه تحت الحفظ وأمر بالترسيم عليه بذمرمر ، ولم يبق للناصر معارض يومئذ ولم يبق الشغلة معه إلا لبلاد يافع ، وأنه لابد من دخول بيارقه[٤] وأعلامه إليه ولم يسعدهم إلى عدم دخوله ، وإلا فقد كانت جاءت كتبهم بالتسليم للأمر لما قد وقع منهم من القضية في لحج ، فلم يقبل منهم ، والله يصلح كل شان[٥] .

***

(١) لم أقف على هذه اللفظة .

(٢) أخرجه مسلم من حديث المقداد « المغنى عن حمل الأسفار ٣ :١٥٨ » وأنظر البخاري ٢ :١٠٤ وابن حبان ٢٠٠٨. والحلية ٦ :٩٩ .

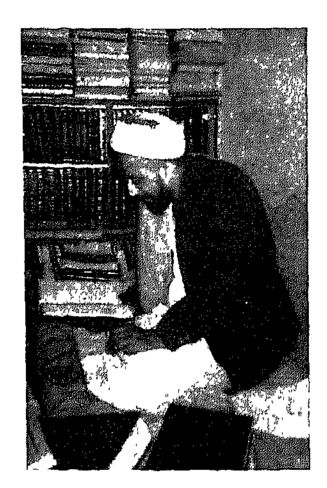
(٣) هنا قدر نصف سطر ضرب عليه لم نستطع تبينه .

(٤) بيارقه : أعلامه والبيرق العلم والراية « فارسية » .

(٥) هنا انقطع كلام المؤلف آخر الصفحة وترك وجه الورقة الآخر فارغاً وقد كتب فيه قصيدة رائية لعلها للمؤلف ، والله أعلم .



للمحقق



عبد الله الحبشي

أ- مؤلفات:

١- مراجع تاريخ اليمن ١٩٧٢.
٢- فهرس المخطوطات اليمنية ١٩٧٤.
٣- دراسات في التراث اليمني ١٩٧٦.
٤- الصوفية والفقهاء في اليمن ١٩٧٧.
٥- تصحيح الاعلام اليمنية في كتابي هدية العارفين ومعجم المؤلفين.
٦- معجم المواضيع المطروقة في التأليف الإسلامي
٧- الادب اليمني في فترة خروج العثمانين.
٨- مصادر الفكر الإسلامي ١٩٧٨.
٩- الكتاب في الحضارة الاسلامية.
١٠- معجم النساء اليمنيات.
١١- الرحالة اليمنيون ورحلاتهم شرقاً وغرباً.
١٢- مجموع المقامات اليمنية
١٣- فهرس مخطوطات الجامع الكبير (بالاشتراك).
١٤- اليمن في لسان العرب.
١٥- المقامات في التراث اليمني
١٦- حياة الادبي اليمني في عصر بني رسول.
١٧- حوليات يمانية.
١٨- البرتغاليون على ساحل البحر الأحمر (نصوص مجهولة).
١٩- مؤلفات حكّام اليمن.
٢٠- معجم البلدان اليمنية.
٢١- اوليات يمانية.
٢٢- مؤلفات الشوكاني.
٢٣- مؤلّفات محمد بن اسماعيل الأمير.
٢٤- مؤلفات يحيى بن الحسين.
٢٥- فهرس مخطوطات مكتبة المؤرخ زبارة.
٢٦- فهرس مخطوطات العلامة محمد بن محمد المنصور.
٢٧- تصحيح اخطاء كلمات

ب ـ تحقيقات:

١- تاريخ وصاب للحبيشي.

٤٢- تاريخ حضر موت لشنبل.

٤٣- يوميات صنعاء.

٤٤- تثبيت الفؤاد للامام الحداد.

٤٥- بلوغ الوطر لجغمان.

٤٦- تاريخ صنعاء لابن جرير الصنعاني.

٤٧- سيرة الامام المنصور بالله القاسم بن علي العياني.

٤٨- تاريخ مكة في القرن الحادي عشر «نصوص مستلة من مخطوط يمني».

ج - تحت الطبع:

١- مدرسة التاريخ اليمني.

٢- تاريخ الفكر الإسلامي في اليمن.

٣- المطرفية مذهب مجهول (نشرت منه حلقات في مجلة اليمن الجديد).

٤- محمد بن ابراهيم الوزير رائد التحرر في الفكر اليمني.

٥- الزيدية (تاريخها وأعلامها).

٦- لطف الله جحّاف ومجتمع القرن الثالث عشر.

٧- عبقرية الامام المهدي.

٨- ابن عبد الوهاب في التراث اليمني.

٩- المدنية في الشعر اليمني.

١٠- الحيمي ومدرسة البديع في اليمن.

١١- الادب اليمني في المهجر.

١٢- من حديث المكتبة اليمنية (دراسة لأمهات الكتب اليمنية نشرت منه بعض الفصول في مجلة العرب واليمن الجديد والكلمة)

١٣- بيوت العلم في تهامة (نشرت منه بعض الحلقات في مجلتي العرب واليمن الجديد).

١٤- بيوت العلم في اليمن (موسوعة علمية تتعلق بتراجم اعيان الاسر اليمنية المشهورة بالعلم).

١٥- بحوث يمانية (مجموعة مقالات متفرقة).

١٦- اتحاف النبية للعمراني (تحقيق)

١٧- منحة الفتّاح الفاطر (تحقيق)

١٨- الموجز المبين (تحقيق)

١٩- طبقات الزيدية (تحقيق بالاشتراك مع الدكتور رضوان السيد)

٢٠- رحلة ابن عابد الفاسي (تحقيق بالاشتراك مع الدكتور إبراهيم السامرائي)

٢١- ديوان عمارة اليمني (تحقيق بالاشتراك مع الدكتور إبراهيم السامرائي)

٢٢- طراز اعلام الزمن للخزرجي

٢٣- عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف ، حياته وأدبه

٢٤- ابن حمير ، شاعر العصر الرسولي (نشرت منه حلقات في صحيفة الثورة).

٢٥- معجم الفقة الزيدي







هذا الكتاب

مختارات تمثّل مرآةً صادقةً للمجتمع اليمني خلال القرن الحادي عشر ، حققها عبدالله الحبشي عن مخطوط بهجة الزمن للمؤرخ يحيى بن الحسين الذي تتبّع أخبار العامّة وحياة الناس ، ورصد كلّ ما يدور في مجتمعه من أوبئة ومجاعات وحوادث طبيعية ، وهبوط وارتفاع في الأسعار والعملة بالإضافة إلى الحوادث السياسية والتاريخية الهامة والأخبار الثقافية والعلمية .



المجمع الثقافي

Cultural Foundation

ص . ب . ٢٣٨٠ - ابوظبي - الامارات العربية المتحدة - هاتف : ٢١٥٣٠٠

P. O. BOX 2380 - ABU DHABI - U. A. E. - TEL. 215300 - CULTURAL FOUNDATION

تصميم الغلاف : علي الجال